خزانة الادب وغاية الارب للعالم الاديب
واللوذعي الاريب الشيخ تقي
الدين أبي بكر علي المعروف
بابن حجة الحموي
رحمه الله

م

وبهامشها رسائل ابي الفضل احمد بن الحسين بن يحيى
ابن سعيد الهمذاني المعروف ببديع الزمان رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله البديع الرفيع الذى أحسن ابتداء خلقنا بصنعته وأولانا جميل الصنيع فاستهلت الاصوات ببراعة توحيده وهو البصير السميع أدب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه حتى أرشدنا جزاه الله عنا خيرا الى سلوك الادب وأوضح لنا بديعه وغريبه نحمده حمدا يحسن به التخلص من غزل الشهوة الى حسن الختام ونشكره شكر من شعر ببديع صفاته فأحسن النظم وأعوذ بالله من قوم لا يشعرون بهذا النظام ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة شاعر بانه الواحد وان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث من بيت عربى فصاحته على الأعراب والاعراب أعظم شاهد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين هم نظام هذا البيت الشريف ودوائر بحره وأنواع بديعه وديباج صدره وسلم تسليما كثيرا (وبعد) فهذه البديعية التى نسجتها بمدحه صلى الله عليه وسلم على منوال طرز البردة كان مولانا المقر الاشرف العالى المولوى القاضوى المخدومى الناصرى سيدى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة جمل الله الوجود بوجوده هو الذى ثقف لى هذه الصعدة وحاب لى ضرعها الحافل لحصول هذه الزبدة وماذاك الا انه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى التزم فيها بتسمية النوع البديعى وورى بها من جنس الغزل ليتميز بذلك على الشيخ صفى الدين الحلى تغمده الله تعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد النبى وآله سالت أدام الله توفيقك وسهل الى نفائس الخيرات طريقك ان اجمع لك آثار ابى الفضل أحمد بن الحسين البديع نظمها ونثرها واؤلف شواردها قلها وكثرها ليكون متنسكها لخاطرك



برجحته لانه ما التزم فى بديعيته بحمل هذا العبء الثقيل غير أن الشيخ عز الدين ما أعرب عن بناء بيوت اذن الله ان ترفع ولا طالت يده لابهام العقادة الى شئ من اشارات ابن أبى الاصبع وربما رضى فى الغالب بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمى ونثر شمل الالفاظ والمعانى لشدة ما عقده نظما

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

فاستخار الله مولانا الناصرى المشار اليه ورسم لى بنظم قصيدة اطرز حلتها بديع هذا الالتزام وأبارى الحلى برقة السحر الحلال الذى ينفث فى عقد الاقلام فصرت أشيد البيت فيرسم لى بهدمه وخراب البيوت فى هذا البناء صعب على الناس ويقول بيت الصفى أصفى موردا وأنور اقتباس فاسن كل ما حده الفكر واراجعه ببيت له على المناظرة طاقه فيحكم لى بالسبق وينقلنى الى غيره وقد صار لى فكرة الى الغايات سباقه فجاءت بديعية هدمت بها ما نحته الموصلى فى بيوته من الجبال وجاريت الصفى مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال وسميتها تقديم أبى بكر عالما انه لا يسمع من الحلى والموصلى فى هذا التقديم مقال وكان المشار اليه عظم الله شأنه هو الذى مشى امامى وأشار الى هذا السلوك وارشد فاقتديت برأيه وهل يقتدى أبو بكر بغير محمد فقلت

* (لى فى ابتدا مدحكم يا عرب ذى سلم * براعة تستهل الدمع فى العلم) *

اعلم انه اتفق علماء البديع على ان براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعانى واضحة فى استهلالها وان لا يتجافى بجنوب الالفاظ عن مضاجع الرقة وان يكون التشبيب نسيبها مرقصا عند السماع وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشم الحزن ومطلعها مع اجتناب الحشو ليس له تعلق بما بعده وشرطوا ان يجتهد الناظم فى تناسب قسميه بحيث لا يكون شطره الاول أجنبيا من شطره الثانى وقد سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء وفى هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع وان أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشئ من حسن الابتداء وأورد فى هذا الباب قول النابغة

كلينى لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطئ الكواكب

قال زكى الدين بن أبى الاصبع لعمرى لقد أحسن ابن المعتز الاختيار فانى أظنه تطر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس حيث قال

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فرأى ابتداء امرئ القيس على تقدمه وكثرة معانيه متفاوت القسمين جدا لان صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعانى وليس فى الشطر الثانى شئ من ذلك وعلى هذا التقدير مطلع النابغة أفضل من جهة ملاءمة الفاظه وتناسب قسميه وان كان مطلع امرئ القيس أكثر معانى وما عظم ابتداء امرئ القيس فى النفوس الا الاقتصار على سماع صدر البيت فانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى شطر بيت واذا تأمل الناقد البيت بكماله ظهر له تفاوت القسمين وقال أعنى ابن أبى الاصبع اذا وصلت الى قول البحترى من هذا الباب وصلت الى غاية لا تدرك وهو قوله

أوان فراغك من دواعى أشغالك ومتنزه الناظر وقت انتفاضك من عوارض أحوالك وكان أبو الفضل وضئ الطلعة رضى العشرة فتان المشاهدة سحار المفاكهة غاية فى الظرف آية فى اللطف معشوق الشيمة مرزوقا فضل القيمة طلق البديهة سمح القريحة شديد العارضة سديد السيرة

بوذى لو يهوى العذول ويعشق * ليعلم أسباب الهوى كيف تعلق

انتهى كلام زكى الدين بن أبى الاصبع ولقد أحسن أبو الطيب المتنبى حيث قال

اتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى

ومثله قوله (اى قول حبيب)

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا * فلم ادر أى الظاعنين أشيع

وما ألطف قول أبى تمام فى هذا الباب

لا انت انت ولا الديار ديار * خف الهوى وتقضت الاوطار

ومثله قول أبى العلاء المعرى

ياساهر البرق ايقظ راقد السمر * لعل بالجزع أعوانا على السهر

وقد خلب القلوب ابن المعتز فى تناسب القسمين بقوله

أخذت من شبابى الايام * وتولى الصبا عليه السلام

وما أحلى ما ناسب ابن هانئ قسمى مطلعه بالاستعارات الفائقة حيث قال

بسم الصباح لاعين الندماء * وانشق جيب غلالة الظلماء

وقال الشريف أبو جعفر البياضى يشير الى الرفق بالابل عند السرى وناطف ماشاء فى تناسب القسمين حيث قال

رفقا بهن فما خلقن حديدا * أوما تراها اعظما وجلودا

وهذه القصيدة طريقها الغريب لم يسلكها غيره فانه نسجها جميعها على هذا المنوال ومنها

يقلبن ناصية الفلا بمناسم * وسم الوجا بدماتهن البيدا

فكأنهن نثرن درا بالخطا * ونظمن منه بسيرهن عقودا

ومما يعذب فى الذوق من هذا الباب قول ابن قاضى ميلة

يزيد الهوى دمعى وقلبى المعنف * ويجنى جفونى الوجد وهو المكلف

وقد نبه مشايخ البديع على يقظة الناظم فى حسن الابتداء فانه أول شئ يقرع الاسماع ويتعين على ناظمه النظر فى أحوال المخاطبين والممدوحين ويتفقد ما يكرهون سماعه ويتطيرون منه ليتجنب ذكره ويختار لاوقات المدح ما يناسبها وخطاب الملوك فى حسن الابتداء هو العمدة فى حسن الادب فقد حكى ان ابا النجم الشاعر دخل على هشام بن عبد الملك فى مجلسه فانشده من نظمه

صفراء قد كادت ولما تفعل * كأنها فى الافق عين الاحول

وهشام بن عبد الملك احول فاخرجه وأمر بحبسه وكذلك اتفق لجرير مع أبيه عبد الملك فانه دخل عليه وقد مدحه بقصيدة حائية أولها

* أتصحو أم فؤادك غير صاح *

فقال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبى الطيب المتنبى خطابه لممدوحه فى مطلع قصيدة حيث قال

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا * وحسب المنايا ان يكن أمانيا

زلال الكلام عذبه فصيح اللسان عضبه ان دعا الكتابة اجابته عفوا فأعطته قيادها صفوا أو القوافى أتته مل الصدور وعلى التوافى ثم كانت له طرق فى الفروع هو افترعها وسنن فى المعانى هو اخترعها ومصداق ما ادعيناه له تشهده فى أثناء شعره ونثره وكان فى صفاء العقيدة بين

ومن مستقبحات الابتداء قول البحترى وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التى أولها

* لك الويل من ليل تقاصر آخره *

فقال بل لك الويل والخزى وأما قصة اسحق بن ابراهيم الموصلى فى هذا الباب فانى انفعل واخجل عند سماعها وما ذاك الا انه دخل على المعتصم وقد فرغ من بناء قصره بالميدان فشرع فى انشاء قصيدة تنزل بمطلعها الى الحضيض وكان هو وحكاية الحال فى طرفى نقيض وهو

يا دار غيرك البلا ومحاك * ياليت شعرى ما الذى ابلاك

فتطير المعتصم من قبح هذا المطلع وأمر بهدم القصر على الفور فنعوذ بالله من آفة الغفلة هذا مع يقظة اسحق وسير الركبان بحسن محاضرته ومنادمته للخلفاء ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد مع انه قيل ان أحسن ابتداء ابتدأ به مولد قول اسحق الموصلى حيث قال

هل الى ان تنام عينى سبيل * أن عهدى بالنوم عهد طويل

فانظر الى هذا الاديب الحاذق المتيقظ كيف استطردت به خيول السهو الى ان خاطب المعتصم فى قصر رياحين تشييده غضة بخطاب الاطلال البالية وانظر الى حشمة أبى نواس كيف خاطب الدمن بخطاب تود القصور العالية ان تحلى بشعاره مع بلوغه فى تناسب القسمين الطرف الاقصى حيث قال

لمن دمن تزداد حسن رسوم * على طول ما أقوت وطيب نسيم

وقصة ذى الرمة مع عبد الملك تقارب قصة اسحق مع المعتصم فانه دخل عليه يوما فامره بانشاد شئ من شعره فانشد قوله

* ما بال عينك منها الماء ينسكب *

وكان بعين عبد الملك رمش فهى تدمع أبدا فتوهم أنه خاطبه وعرض به فقال له ما سؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة فقته وأمر باخراجه انتهى ما أوردته فى حسن الابتداء للعرب والمولدين وفحول الشعراء ونبهت على حسنه وقبحه ولكن جذبتنى يا أخا العرب نسبة المتأخرين الى ان أثبت فى هذا المحل تشبيبها ونسيبها وأظهر فى شرح هذه البديعية لاهلها بديعها وغريبها ليعلم من تنزه فى هذه الحدائق الزاهرة ان ما ربيع الآخر من ربيع الاول ببعيد واذا تحقق ان لكل زمان بديعا تمتع بلذة الجديد وهنا بحث لطيف وهو ان الاستشهاد بكلام المولدين وغيرهم من المتأخرين ليس فيه نقص لان البديع أحد علوم الادب الستة وذلك انك اذا نظرت فى الكلام العربى اما أن تبحث عن المعنى الذى وضع له اللفظ وهو علم اللغة واما ان تبحث عن ذات اللفظ بحسب ما يعتريه وهو علم التصريف واما ان تبحث عن المعنى الذى يفهم من الكلام المركب بحسب اختلاف أواخر الكلم وهو علم العربية واما ان تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوى وهو علم المعانى واما ان تبحث عن طرق دلالة الكلام ايضاحا وخفاء بحسب الدلالة العقلية وهو علم البيان واما ان تبحث عن وجوه تحسين الكلام وهو علم البديع فالعلوم الثلاثة الاول يستشهد عليها بكلام العرب نظما ونثرا لان المعتبر فيها ضبط الفاظهم والعلوم الثلاثة الاخيرة يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم لانها راجعة الى المعانى ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم اذا كان الرجوع

الكفاة قدوة وفى حسن النظر لكافة نظرائه اسوة وقد اوتى حفظا لايسمع كلمة الا اعتلقها فاعتقلها ثم اذا شاء اعادها ونقلها وقد اجبت الى مسؤلك وجعلت بعض اوقاتى مصروفة لتحصيل مأمولك وجمعت لك ما وجدته من الرسائل والرقاع لتنظر فيها وتستفيد ويقرب اليك منها ماتريد

الى العقل وقال أبو الفتح عثمان بن جنى المولدون يستشهد بهم فى المعانى كما يستشهد بالقدماء فى الالفاظ قال ابن رشيق فى العمدة الذى ذكره أبو الفتح صحيح بين لان المعانى اتسعت باتساع الناس فى الدنيا وانتشار العرب بالاسلام فى أقطار الارض فانهم حضروا الحواضر وتفننوا فى المطاعم والملابس وعرفوا بالعيان مادلتهم عليه بداهة عقولهم من فضل التشبيه وغيره ومن هنا يحكى عن ابن الرومى ان لائما لامه وقال له لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت اشعر منه فقال له انشدنى شيأ من قوله اعجز عن مثله فانشده فى صفة الهلال

فانظر اليه كزورق من فضة * قد اثقلته حمولة من عنبر

فقال له ابن الرومى زدنى فانشده

كان اذريونها * والشمس فيه كاليه
مداهن من ذهب * فيها بقايا غاليه

فقال واغوثاه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذاك انما يصف ماعون بيته لانه ابن الخلفاء وأنا مشغول بالتصرف فى الشعر وطلب الرزق به امدح هذا مرة واهجو هذا كرة وأعاتب هذا تارة واستعطف هذا طورا انتهى كلام ابن رشيق * ورايت الشيخ شمس الدين بن الصائغ رحمه الله تعالى قد استشهد فى شرح البردة الذى سماه بالرقم بغالب أهل عصره فيما عرض له من أنواع البديع حتى أورد لهم شيأ من محاسن الزجل * رجع الى ما كنا فيه من حسن الابتداء وتناسب القسمين وايراد ما وعدنا به من كلام المتأخرين قال قاضى هذه الصناعة وفاضلها والمتأخر الذى لم يتقدم عليه بغير الزمان أوائلها

زار الصباح فكيف حال الدياجى * قم فاستدم بفرعه أوفى الدجا

انظر الى حسن هذا الابتداء كيف جمع مع اجتناب الحشو بين رقة النسيب وطرب التشبيب وتناسب القسمين وغرابة المعنى ومثله قوله يخاطب العاذل

اخرج حديثك من سمعى فما دخلا * لا ترم بالقول سهما ربما قتلا

وما ألطف ما قال بعده

وما يخف على قلبى حديثك لى * لا والذى خلق الانسان والجبلا

ومثله قوله

سمعتك والقلب لم يسمع * فكم ذا تقول وكم لا اعى

وما ألطف ما قال بعده

يقول وما عنده انى * بغير فؤاد ولا اضلع
اما مع هذا الفتى قلبه * فقلت نعم يافتى ما معى

واما مطلع قصيدة ابن النبيه فان الاذواق السليمة تنتبه به الى فتح هذا الباب وهو

ياساكنى السفح كم عين بكم سفحت * نزحتم فهى بعد البعد مانزحت

والقصيدة كلها تحف وطرف عارضها ابن نباتة فما حلا معها مكرر نباته واجرى الصفى معها ينابيع فكره فما صفا له معها مورد وجاراها الصفدى فتصفدت سوابق قوافيه عن لحاقها ومنها

والله الموفق للصواب

اولها * (كتب) * الاستاذ ابو الفضل الهمذانى بديع الزمان الى الشيخ ابى العباس الفضل بن احمد الاسفرايني وهو اول ما استوزر لابى القاسم محمود ابن سبكتكين الناصر لدين الله فاتح السند والهند * كتبت اطال الله بقاء الشيخ الجليل السيد وادام علوه

وروضة وجنات الورد قد خجلت * فيها ضحى وعيون النرجس انفضحت

تشاجر الطير فى أفنانها سحرا * ومالت القضب للتعنيق فاصطلحت

والقطر قد رش ثوب الدوح حين رأى * مجامر الزهر فى أذياله نفحت

ومما يحسن نظامه فى هذا السلك قوله

رناوانثنى كالسيف والصعدة السمرا * فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى

ومما اختاره الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله من ديوان أبى الفتوح نصر الله بن قلاقس وهو حسن فى هذا الباب قوله

كم مقلة للشقيق الغض رمداء * انسانها سابح فى بحر انداء

وقوله

قفا واسألا منى زفيرا وادمعا * أ كانا لهم الا مصيفا ومربعا

وهو من الغايات التى اختارها الشيخ جمال الدين بن نباتة من شعر ابن قلاقس فانه قال طالعت ديوان الاديب البارع أبى الفتوح نصر الله بن قلاقس فطالعت الفن الغريب وفتح على بتأمل الفاظه فتلوت نصر من الله وفتح قريب بيد أنى وجدت له حسنات تبهر العقول فضلا وسيآت يكاد بذكرها ابن قلاقس يقلى انتهى كلام الشيخ جمال الدين بن نباتة ومما وقع فى تناسب القسمين الى الغاية قول الشيخ ظهير الدين بن البارزى رحمه الله وهو

يذكرنى وجدى الحمام اذا غنى * لانا كلانا فى الهوى يعشق الغصنا

ذكر الصلاح الكتبى فى كتابه فوات الوفيات ان الشيخ اثير الدين ابا حيان قال رأيت الشيخ المذكور صوفيا بحماة المحروسة وأنشدنى لنفسه هذه القصيدة وعدة مقاطيع منها

أراك فاستحيى فاطرق هيبة * واخفى الذى بى من هواك واكتم

وهيهات ان يخفى وانت جعلتنى * جميعى لسانا فى الهوى يتكلم

وتوفى بعد الثمانين والستمائة واما مطلع الشيخ شمس الدين بن العفيف فى هذا الباب فطراوته لاتنكر لانه كان ينعت بالشاب الظريف قال فى شطره الاول

* اعز الله انصار العيون * وفى الثانى

* وخلد ملك هاتيك الجفون *

وما اظرف ما قال بعده

وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وجدد نعمة الحسن المصون

وما أحسن ابتداآت الشيخ عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة فجميعها نسجت على هذا المنوال منها قوله

حروف غرامى كلها احرف اغراء * على ان سقمى بعض افعال اسماء

وقوله

وبلاه من نومى المشرد * أواه من شغلى المبدد

وقوله

اهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا

وتمكينه عن سلامة والحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد وآله وسلم ليسوا افنة بالباب قسعد بالحضرة واخرى بالمغيب تكمد بالحسرة والله ما للساعة من ولى النعمة ممن ولا كالاعتياض من لقائه عين وعين فليت كتاب الاذن شفى مما نجد وليت هذا الجزء تمام اتعد معاذ الله ان

وما أحلى ما قال بعده

اسكنه وافى وقد * حلف السهاد على ان لا

وقد توارده وابن عنين فى هذا المعنى وكل كساه ديباجة تأخذ بمجامع القلوب ومطلع ابن عنين قوله

ماذا على طيف الاحبة لو سرى * وعليهم لو سامحونى بالكرى

وقول مهيار الديلمى فى هذا الباب مشهور والذى أقوله ان الشيخ جمال الدين بن نباتة نبات هذا البستان وقلادة هذا العقيان ومن مطالعه التى هى ابهج من مطالع الشمس قوله فى هذا الباب

فى الريق سكر وفى الاصداغ تجعيد * هذا المدام وهاتيك العناقيد

وقوله

بدا ورنت لواحظه دلالا * فما ابهى الغزالة والغزالا

وقوله

سلبت عقلى باحداق واقداح * يا ساجى الطرف بل يا ساقى الراح

وما ألطف ما قال بعده

سكران من مقلة الساقى وقهوته * فاترك ملامك فى السكرين يا صاح

وقوله

انسان عينى بتجبيل السهاد بلى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل

وقوله

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتنى الجنون بالسوداء

وقوله

نفس عن الحب ما حادت وما غفلت * باى ذنب وقاك الله قد قتلت

وقد تقدم شروط لا بد من اجتنابها فى حسن الابتداء منها الحشو ولكن وقاك الله حشو اللوزينج وقوله

لام العذار اطالت فيك تسهيدى * كانها لغرامى لام توكيد

ولولا الاطالة لافعمت الاذواق من هذا السكر النباتى ورايت للشيخ صفى الدين الحلى فى الارتقيات قصيدة قافية مطلعها فى هذا الباب غاية وهو قوله

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما انا من يحيا الى حين نلتقى

وانشدنى من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلى قصيدة نونية نظمها بحماة ومطلعها فى حسن الابتداء حسن

سمعنا حمام الدوح فى روضة غنا * فاذكرنا ربع الحبائب والمغنى

ولقد سهوت عن مطلع الشيخ علاء الدين على بن المظفر الكندى الشهير بالوداعى فانه ليس له فى تناسب القسمين قسيم وهو

بدر اذا ما بدا محياه * اقول ربى وربك الله

اشتاق الى حضرته لكنى افتقر اليها فقر الجسد الى الحياة والحوت الى الفرات وانما مثل العبد مع الاصحاب مثل الارض مع السحاب افيسمى القحط شوقا ام يكون الموت وجدا انى عبد الشيخ واسمى احمد وهمذان المولد وتغلب المورد ومضر المحتد وعبد بهذه الصفة غريب نادر

وعارضه الشيخ جمال الدين بن نباته فى هذه القصيدة بعينها وترقى الى مطلع بدره وزاحمه فى حسنه بمطلع الشيخ جمال الدين

له اذا غازلتك عيناه * سهام لحظ أجارك الله

ومن مطالعى التى حصل لى فيها الفتوح فى هذا الباب قولى

طلعتم بدورا فى أعز المطالع * فبشرنى قلبى بسعد طوالع

وقولى

اغرا الحظك مالى منه تحذير * ولا لتعريف وجدى فيك تنكير

وقولى

فى عروض الجفا بحور دموعى * ما أفادت قلبى سوى التقطيع

وقولى

لله قوم لنظم الوصل قد نثروا * شعرت فى حبهم ياليتهم شعروا

وقولى

جردت سيف اللحظ عند تهددى * يا قاتلى فسلبتنى بتجرد

وقولى

هواى بسفح القاسمية والجسر * اذا هب ذاك الريح فهو الهوى العذرى

وكانى بمنتقد تألم قلبه على المتقدمين بكثرة النقد ومالت نفسه الى مع المتأخرين ليستوفى الشروط الادبية فى مباشرة هذا العقد وقولى

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * ياليته بنسيم العتب لو عطفا

فاقول وبالله المستعان ان جماعة من المخاديم بدمشق رسموا ان أعارض شيأ من نظم الشيخ جمال الدين بن نباته وتخيروا الى خمس قصائد منها قصيدته السكانية التى مطلعها

تصرمت الايام دون وصالك * فمن شافعى فى الحب يا ابنة مالك

فلما انتهيت الى معارضتها وجدت بين الشطر الثانى من المطلع وبين الشطر الاول مباينة كما تقدم فى مطلع امرئ القيس من الكلام على ان فى شطره الاول ما ليس فى الثانى * وقد اتفق علماء البديع على ان عدم تناسب القسمين نقص فى حسن الابتداء * وقد تقدم قول زكى الدين ابن أبى الاصبع ان مطلع النابغة أفضل من مطلع امرئ القيس لتناسب القسمين وان كان مطلع امرئ القيس أكثر معانى انتهى ولو قال الشيخ جمال الدين فى مطلعه

تمذهبت فى هجرى بطول مطالك * فمن شافعى فى الحب يا ابنة مالك

لجمع بين تناسب القسمين ومطلعى الذى عارضت به الشيخ جمال الدين

رضيع الهوى يشكو فطام وصالك * فداوى بنى الحب يا ابنة مالك

وكذلك من مطلع الشيخ صفى الدين الحلى فى قصيدته الجيمية التى هى من جملة القصائد الارتقيات التى امتدح بها الملك المنصور صاحب ماردين

جاءت لتنظر ما بقى من المهجى * فعطرت سائر الارجاء بالارج

فالشطر الثانى ليس من جنس الشطر الاول فان الشطر الاول فى الطريق الغرامية ليس له

وللصدور والملوك بغريب الاعلاق ولوع والمولى أحق بعيده له ولاؤه وعليه بلاؤه واليهما تسابه وله وعليه كسبه واكتسابه ولا أزيده بجمالى وباستقرائهما علما وقد تطول عام أول وخولنى من العناية ما خول ووافقت القوم على نصف المال فى العاجل وانتظارهم فى الباقى الى القابل ورأيت لرجاء الامر مظلمة فاغتنمت وانتهزت صفو المال ولم آخذ من القوم صفراء ولا بيضاء انما أخذت منهم الحمار والجباره والتبن والغراره والطست والمناره والكوز والغضاره والازار والغفاره والجبة والفاره ثم لطف الله فى تلك العقود فحلها وأحياها كلها وذلك بكريم عناية الشيخ الجليل السيد أدام الله تأييده فالله يحسن جزاءه ويجعلنى واهلى من كل مكروه فداءه وارتهن الباقى بعون الله

مثيل ومن أنكر هذا النقد ينظر فى مطلع الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله سره فانه فى هذا الباب طرفة وهو

ما بين معترك الاحداق والمهج * أنا القتيل بلا اثم ولا حرج

وهنا نكتة لطيفة تؤيد هذا النقد اتفق ان الشيخ نور الدين على بن سعيد الاندلسى الاديب المشهور الذى من نظمه قوله

واطول شوقى الى ثغور * ملأى من الشهد والرحيق

عنها أخذت الذى تراه * يعذب من شعرى الرقيق

لما ورد الى هذه البلاد اجتمع بالصاحب بهاء الدين زهير وتطفل على موائد طريقته الغرامية وسأله الارشاد الى سلوكها فقال له طالع ديوان الحاجرى والتلعفرى واكثر المطالعة فيهما وراجعنى بعد ذلك فغاب عنه مدة واكثر من مطالعة الديوانين الى ان حفظ غالبهما ثم اجتمع به بعد ذلك وتذاكرا فى الغراميات فانشده الصاحب بهاء الدين زهير فى غضون المحاضرة

يا بان وادى الاجرع * وقال اشتهى أن يكمل لى هذا المطلع فافكر قليلا وقال

سقيت غيث الادمع * فقال والله حسن لكن الاقرب الى الطريق الغرامى أن تقول

هل مات من طرب معى * وما الطف مطلع الحاجرى فى هذا الطريق

لك أن تشوقنى الى الاوطان * وعلىّ أن ابكى بدمع قانى

والآراء على هذا النوع تستحسن هنا مطلع ناصر الدين بن النقيب فانه اعدل شاهد مقبول والتشبيب بنفسه الطيب يغنى فى هذه الحضرة عن الموصول وهو

قلدت يوم البين جيد مودّعى * درر انظمت عقودها من أدمعى

وبالنسبة الى حسن الابتداء آت مطلع الشيخ برهان الدين القيراطى مع حسنه وبهجته فيه نقص وهو

قسما بروضة خدها ونباتها * وبآسها المخضل فى جنباتها

فانه لم يأت بجواب القسم ولا ما يحسن السكوت على مطلعه ولا تتم الفائدة الا به ومشايخ البديع قرروا ان لا يكون المطلع متعلقا بما بعده فى حسن الابتداء وقد آن ان أحبس عنان القلم فان الشرح قد طال ولم اطله الا ليزداد الطالب ايضاحا ويداوى علل فهمه بحكم المتقدمين ويتنزه فى رياض الادب على النبات الغض من نظم المتأخرين انتهى ما أوردته فى حسن الابتداء وقد فرع المتأخرون منه براعة الاستهلال فى النظم والنثر وفيها زيادة على حسن الابتداء فانهم شرطوا فى براعة الاستهلال ان يكون مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه مشعرا بغرض الناظم من غير تصريح بل باشارة لطيفة تعذب حلاوتها فى الذوق السليم ويستدل بها على قصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة او مدح أو هجو وكذلك فى النثر فاذا جمع الناظم بين حسن الابتداء او براعة الاستهلال كان من فرسان هذا الميدان وان لم يحصل له براعة الاستهلال فليجتهد فى سلوك ما يقوله فى حسن الابتداء وما سمى هذا النوع براعة استهلال الا لان المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به ورفع الصوت فى اللغة هو الاستهلال يقال استهل المولود صارخا اذا رفع صوته عند الولادة

واهل

تعالى ثم بعالى رأيه فان تدارك فقد ابيضت الحقوق وحان قطافها وهنالك النوائب واختلافها والايدى واجترافها والافواه واعتلافها والعمالة واتساقها والزعامة واتفاقها والاكرة واتصافها والاعوان واسرافها هذه التى أعلمها ثم التى أخافها الجراد واجتحافها والقمل واتلافها والعساكر واجترافها والريح واتساقها فاذا امتلأت أجوافها فالعطاش واغترافها والبطان واشتفافها والشفاه وارتشافها والصوفة وانتزافها والقطنة واستنطافها والشمس واشرافها أفليس عما قريب جفافها هى أيد الله الشيخ الجليل البد لا انسها الرخصة انه لا يقبض للناحية بعد شهرين عرق ولا يوجد

وأهل الحجيج اذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وسمى الهلال هلالا لان الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته * ومما وقع من براعات الاستهلال التى تشعر بغرض الناظم وقصده فى قصيده براعة قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليمنى حيث قال

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب

فاشارات العتب والشكوى لاتخفى على أهل الذوق فى هذه البراعة ويفهم منها ان بقية القصيدة تعرب عن ذلك فان زكى الدين بن أبى الاصبع قال براعة الاستهلال هى ابتداء المتكلم بمعنى مّا يريد تكميله وهذه القصيدة فى حكمها وتحتمها وتسير أمثالها نهاية والموجب لنظمها على هذا النمط أنه كان بينه وبين الكامل بن شاور صحبة أكيدة قبل وزارة أبيه فلما وزر واستحال عليه فكتب اليه هذه القصيدة التى من جملتها

ولا تحتقر كيدا صغيرا فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب

ومنها

اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من الانفاق فى غير واجب

فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

ومنها

وما راعنى غدر الشباب لاننى * ألفت لهذا الخلق من كل صاحب

ومنها

اذا كان هذا الدر معدنه فمى * فصونوه عن تقبيل راحة واهب

رأيت رجالا حالهم فى مآدب * لديكم وحالى عندكم فى نوادب

تأخرت لما قدمتكم علاكم * علىّ وتأبى الاسد سبق الثعالب

ترى اين كانوا فى مواطنى التى * غدوت لكم فيهن أكرم خاطب

ليالى اتلو ذكركم فى مجالس * حديث الورى فيها بغمز الحواجب

ومن الطف البراعات واحشمها براعة مهيار الديلمى فانه بلغه انه وشى به الى ممدوحه فتنصل من ذلك بالطف عذر وابرزه فى معرض التغزل والنسيب فقال

اماوهواها حلفة وتنصلا * لقد نقل الواشى اليك فامحلا

وما احلى ما قال بعده

سعى جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولو شاء قللا

واذ كرنى مهيار بحسن براعته ما كتبت به الى سيدنا ومولانا قاضى القضاة صدر الدين ملك المتأدبين أبى الحسن على بن الآدمى الحنفى الناظر فى الحكم العزيز بالديار المصرية والممالك الاسلامية جمل الله الوجود بوجوده من حماة المحروسة الى أبوابه العالية بدمشق المحروسة ورياحين الشبيبة غضة وكانت مطالعاتى قد تأخرت عن أبوابه العالية لعارض حجب الفكر عن هذا الفن وهى رسالة مشتملة على نظم ونثر فصدرت الجواب بقصيدة ترفل فى حلل النسيب على طريق مهيار وكلها براعة استهلال أولها

وصلت ولكن بعد طول تشوقى * ودنت وقد رقت لقلبى الشيق

بأهلها الطرف من ورد حوضها الآن ورده ملآن فان احتسب الشيخ الجليل ونشط لقاصد ينهضه بمنشور يسدله عن عناية يؤكدها بكتاب يصحبه الى الشيخ الرئيس أبى عامر رجوت أن يرتفع المراد والافلا وان استسقى عمر ابن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب فسقى الناس وكشف الجدب فقد استسقيت بشيخى الجماعة والسنة وابنى سيدى شباب أهل الجنة وتعززت كابهما (وليس امرؤ فى الروع كانا سلاحه * عشية يلقى الحادثات باعزلا) والشيخ الجليل السيد ولى النعمة مولانا فى تشريف عبده وخادمه وتصريفه على أمره ونهيه عالى رأيه ان شاء الله تعالى

(وله اليه صدر كتاب)

كتابى اطال الله بقاء الشيخ عن سلامة يغبر فى وجهها

وما أحلى ما قلت بعده

فملت من طرب برجع حديثها * فكأنما قد نادمت بعتيق

وجمعها على هذا الطريق البديعي ومثله ان المقر المخدومي الاميني الحمصي لما انتقل من توقيع حمص المحروسة الى صحابة ديوان الانشاء بدمشق قصد نقلي من حماة المحروسة الى أبوابه العالية وحب حماة يفتر العزم عن ذلك وهذا يفهم من قولي فى بعض قصائدى فيها

بلذعناق الفقر لى بفنائها * وفى غيرها لم ارض بالملك والرهط

ولكنه قطع اسئلته العالية بعد أن كانت كؤس الانشاء دائرة بيننا فكتبت اليه بقصيدة تشعر بعتب لطيف و بلابل الغزل تغرد فى أفنانها على طريقة مهيار الديلمى وطريق مولانا قاضى القضاة صدر الدين عظم الله تعالى شأنه و براعة استهلالها

من باسياف هجرهم كلمونا * ما عليهم لو انهم كلمونا

ولم اعرب فى نحو هذه القصيدة عن غير هذه الاشارات اللطيفة

ومنها

غلقوا باب وصلهم فتح الله لهم بالهناء فتحا مبينا

وصلوا هجرنا وعيش هواهم * لم نحل عنهم ولو قطعونا

ملكوا رقنا فصرنا عبيدا * ليتهم بعد رقنا كاتبونا

ولم ازل اغازل عيون هذه المعانى الى المخلص فقلت

حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا فى بعادنا مسنونا

والحشا لم يخن عهود وفاكم * فاسئلوا من غدا عليها أمينا

ومما يشعر بالتهنئة والنصر على الاعداء براعة العلامة لسان الدين بن الخطيب وهى

الحق يعلو والاباطل تسفل * والحق عن أحكامه لا يسئل

فانه قال نظمت للسلطان أسعده الله وانا بمدينة سلا لما انفصل طالبا حقه بالاندلس قصيدة كان صنع الله مطابقا الاسم لالها ووجهت بها الى رندة قبل الفتح ثم لما قدمت انشدتها بين يديه بعد الفتح وفاء بنذرى وسميتها الفتح الغريب فى الفتح القريب منها

فاذا استحالت حالة وتبدلت * فالله عز وجل لا يتبدل

واليسر بعد العسر موعود به * والصبر بالفرج القريب موكل

والمستعد بما يؤمل ظافر * وكفاك شاهد قيدوا وتوكلوا

ومنها

المجد والحمد منك سجية * بحليهما بين الورى يتجمل

اما سعودك فهو دون منازع * عقد باحكام القضاء يسجل

ولك السجايا الغر والشيم التى * بغريبها يتمثل المتمثل

ولك الوقار اذا نزلت على الربا * وخفت من الروع الهضاب المثل

ومنها

عوذ كمالك ما استطعت فانه * قد تنقص الاشياء مما تكمل

الحرب والحصار وعافية معها الخوف والحذار وصنع الله حارس أثناء الخطوب والشيخ الجليل بحمد الله ملئ القلب ثابت القدم وافر الاعوان والخدم يخيل بالظفر والسلاح بعض ويكلم ويهذو بهم والحرب على ساق والقنيات على تلاق ونحن الى هذه الغاية متضعون ومستعاون والله ولى الكفاية

(وله اليه عتاب) كتابى والثمرة أدام الله عز الشيخ تخرج من اكمامها فتكون صرة قبل تمامها ثم تصير مزة كثيرا من ايامها ثم تكون بحة عفصة ثم لا يزال الليل والنهار ينضجانها حتى تصبح رطبا جنيا وتؤكل حلوا هنيا وقد تصورنى الشيخ الجليل حجرا لا يؤثر فى الماء والنار ولا ينضجنى الليل والنهار وللشباب نزقة طيش ثم يريعون اذا جاء الاربعون وينزعون

تاب الزمان اليك مما قد جنى * والله يأمر بالمتاب ويقبل
ان كان ماض من زمانك قد مضى * باساءة قد سرك المستقبل
هذا بذاك فشفع الثانى الذى * ارضاك فيما قد جناه الاول
والله قد ولاك أمر عباده * لما ارتضاك ولاية لا تعزل
واذا تغمدك الاله بنصره * وقضى لك الحسنى فمن ذا يخذل

ومنها

وطعنت عن أوطان ملكك راكبا * متن العباب فأى صبر يجمل
والبحر قد خفقت عليك ضلوعه * والريح تبلع الزفير وترسل
ولك الجوارى المنشآت قد اغتدت * تختال فى برد الشباب وترفل
خرقاء يحملها ومن حملت به * من يعلم الاشى وماذا تحمل
صبحتهم غر الجياد كأنما * سد الثنية عارض متهلل
من كل منجرد أغر محجل * يرمى الجياد به اغر محجل
زجل الجناح اذا اجد لغاية * واذا تغنى للصهيل فبلبل
جيد كما التفت الظليم وفوقه * اذن محشقة وطرف اكحل

ومنها

وخليج هند راق حسن صفائه * حتى يكاد به يقوم الصيقل
غرقت بصفحته النمال واوشكت * تبغى النجاة فاوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منه * مورد والشط منه مهدل
وبكل ازرق ان شكت الحاظه * مرء العيون فبالعجاجة يكحل
متأود أعطافه فى نشوة * مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له ان الفصيح بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل
لله موقفك الذى وثباته * وثباته مثل به يتمثل
والخيل خط والمجال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل

وهى طويلة وجميعها فرائد ولما كثر منها الاعلى ان نظم الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى غريب فى هذه البلاد ومن البراعات التى يفهم من اشاراتها انها تهنئة بمولود قول أبى بكر بن الخازن رحمه الله تعالى

بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا * وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

ومما يشعر بقرينة الذوق أن الناظم يريد الرثاء قول التهامى

حكم المنية فى البرية جارى * ماهذه الدنيا بدار قرار

وهذه القصيدة يرثى بها ولده وهى نسيج وحدها وواسطة عقدها

ومنها

ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار

وان كانوا الاوزعون ولقد نظرت فى المرآة فوجدت الشيب يتلهب وينهب والشباب يتأهب ويذهب وما اسرج هذا الاشهب الا لسير واسأل الله خاتمة خير وأنا أرجو أن يكون ما نسبنى اليه ولى النعمة أدام الله علوه من الظلم والعدوان مطايبة ومزاحا فان كان اعتقادا فلامى الويل وسال بى السيل فأما الخراج وتوابعه فوالله ما أحوج عاملا الى اقتضائه انما الحديث فى جزاف يطلب ومحال يكتب فاما حقوق الديوان أصلا وفرعا فلا يدعى العمال على باقيا الا غرمت للدرهم دينارا المجنون أنا واما الشركاء فهم يفدوننى بالامهات والآباء وقد سمع الشيخ الجليل كلامهم والذكرى تنفع المؤمنين * ومما أطرف به المجلس العالى زاده الله شرفا انه كان فى جيرتنا رجل

جبلت على كدر وانت تريدها * صفوا من الاقذاء والاقذار

واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار

فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى

وما اعلم ان أحدا استهل المراثى بأحسن من هذه البراعات ومنها يشير الى ولده وهو من المعانى المستغربة

جاورت اعدائى وجاور ربه * شتان بين جواره وجوارى

وأما قصيدة الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى فى تهنئة السلطان الملك الافضل بسلطنة حماة وتعزيته بوفاة والده الملك المؤيد سقى الله ثراه فانها من عجائب الدهر فانه جمع فيها بين نقيضى المدح والرثاء فى كل بيت وبراعتها

هنا محاذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام فى ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

يرد مجارى الدمع والبشر واضح * كوابل غيث فى ضحى الشمس قد همى

سبحان المانح والقاسم لا يتعلم الادب من هنا فهو من المحجوبين عن ادراكه (وكتب اليه) الشيخ صلاح الدين الصفدى قصيدة ضمن فيها أعجاز معلقة امرئ القيس وصرح فى براعتها بغليظ العتب ولم يأت فى البراعة باشارة لطيفة يفهم منها القصد بل صرح وقال

أفى كل يوم منك عتب يسوءنى * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فاجابه الشيخ جمال الدين بقصيدة ضمن فيها الاعجاز المذكورة وبراعة استهلالها

فطامت ولاقى ثم اقبلت عاتبا * أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

والاشارة بقوله افاطم مهلا بعض هذا التدلل لا يخفى على حذاق الادب ما مراده منها وفى هذا القدر كفاية وما أحلى ما قال بعده وهو مما قصده فى تلك الاشارة

فدونك عتب اللفظ ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا بمعطل

(وهنا بحث) وهو انى وقفت على بديعية الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن جابر الاندلسى الشهيرة ببديعية العميان فوجدته قد صرح فى براعتها بمدح النبى صلى الله عليه وسلم وهى

بطيبة انزل ويمم سيد الامم * وانثر له المدح وانشر طيب الكلم

فهذه البراعة ليس فيها اشارة تشعر بغرض الناظم وقصده بل أطلق التصريح ونثر المدح ونشر طيب الكلم فان قال قائل انها براعة استهلال قلت ان البديعية لابد لها من براعة وحسن تخلص وحسن ختام فاذا كان مطلع القصيدة مبنيا على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع وتظهر هذه القصيدة سافلة بالنسبة الى طريق الجماعة غير أن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الاندلسى شرحها شرحا مفيدا (وهنا فائدة) وهو ان الغزل الذى يصدر به المديح النبوى يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضاءل ويتشبب مطربا بذكر سلع ورامة وسفح العقيق والعذيب والغوير ولعلع واكناف حاجر ويطرح ذكر محاسن المرد والتغزل فى ثقل الردف ورقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار وما أشبه ذلك وقل من يسلك هذا الطريق من أهل الادب وبراعة الشيخ صفى الدين

الحلى

يكنى أبا الهول كانسميه اسطوانة المسجد لكثرة صلاته وكان له عم موسر لا عقب له فرزق ولدا على كبر السن فحمل أبا الهول فرط غمه ان زوى الله عنه ميراث عمه على ترك الصلاة أصلا فكان لا يؤدى فرضا ولا نفلا ولا يرد سلاما ولا يعمل فى الخير عملا ولا يغسل استه مثلا وقد وجدت لابى الهول عدلا وهو أبو فلان وكان فيما مضى يعتق فى كل شهر عبدا ويصلى بالليل وردا ويتخذ مصانع وربطا فرجع من الحضرة وقد سلخه الله من كل خير وضربه فى قالب غير فهو الآن لا يشهد جامعا ولا جمعة ولا يصلى فى الطاهر ركعة ولا يعطى فقيرا حبة ولا يرزق طفل منه محبة وقد اتخذ نقباء واعوانا وارتبط رجالة وفرسانا وقد ملأ الرساتيق والبلاد اجحالا وما يحمل أحد قبلى على سعايته ولولا أمر خصنى لرأيت حقا

الحلى فى هذا الباب من أحسن البراعات وأحشمها وهى

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم * واقر السلام على عرب بذى سلم

فقد شبب بذكر سلع والسؤال عن جيرة العلم والسلام على عرب بذى سلم ولا يشكل على من عنده أدنى ذوق ان هذه البراعة صدرت لمديح نبوى ومطلع البردة أيضا فى هذا الباب من أحسن البراعات أيضا وهو

أمن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

فمزج دمعه بدمه عند تذكر جيران بذى سلم من الطف الاشارات الى ان القصيدة نبوية وما أحلى ما قال بعده

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة * وأومض البرق فى الظلماء من اضم

وحشمة الشيخ جمال الدين بن نباتة فى براعة قصيدته الرائية النبوية يتعلم الاديب منها سلوك الادب وهى

صحا القلب لولا نسمة تتخطر * ولمعة برق بالغضا تتسعر

وما احشم قوله بعده

وذكر جبين المالكية ان بدا * هلال الدجى والشئ بالشئ يذكر
سقى الله أكناف الغضا سائل الحيا * وان كنت أسقى أدمعا تتحدر

وأما قصيدتى النبوية الموسومة بامان الخائف فانها عذبة هذا البارق وحلبة مجرى هذه السوابق لانى لم اخرج فى تغزلها عن التبارى والتشبيب بذكر المنازل المعهودة وبراعتها

شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم

وقلت بعده

وضاع شذاكم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم
وجزتم بوادى الجزع فاخضر والتوى * على خده بالنبت صدغ منمنم
ولما روى أخبار نشر ثغوركم * اراك الحمى جاء الهوى يتبسم

وما أليقه أن يكون صدرا للمدائح النبوية ومنها

فيا عرب الوادى المنيع جنابه * واعنى به قلبى الذى فيه خيموا
رفعتم قبابا نصب عينى وخضوها * تجر ذيول الشوق والقلب يجزم
ويا من اماتونا اشتياقا وصيروا * مدامعنا غسلا لنا وتيمموا
منعتم تحيات السلام لموتنا * غراما وقد متنا فصلوا وسلموا
يقولون لى فى الحى أين قبابهم * ومن هم من السادات قلت هم هم
عريب لهم طرفى خباء مطنب * بدمعى وقلبى نارهم حين تضرم

ومن ألطف الاشارات الى ان هذا التغزل صدر قصيدة نبوية قولى منها

أورى بذكر البان والرند والنقا * ومغنى اللوى والجزع والقصد أنتم

ولم أزل فى براعة الاستهلال استمهل أهلة هذه المعانى الى ان وصلت الى حسن التخلص فقلت

لله ان انهض الى المجلس العالى لتصويب حاله وقد طويت هذا الكتاب على ما عاملنى به واذا كانت هذه حالى وأنا امشى بالنهار على الماء واعرج بالليل الى السماء علم الشيخ الجليل حال العامة واذا أنعم بالتطرف الرقعة التى طويت كتابى هذا عليها وفى جواب القاضى فى آخرها وعلى ظهرها علم صدق ما يقوله العبد وللشيخ الجليل فى تأهيل العبد للجواب وزجر هذا الطويل عما تعاطاه رايه العالى ان شاء الله تعالى

(وله اليه فى شأن أبى البحترى)

جزى الله الشيخ الجليل السيد النبيل أفضل ما جازى مولى عن عبده ثم أضعف الله له من عنده ومن قال جزاك الله خيرا فقد أولى جميلا وأعطى جزيلا وما قصر من اتخذ الله وكيلا وما بى أدام الله تمكين الشيخ الجليل مال حصل أو حق وصل انى لا اعدم فى كنفه المال

تقنعت فى حبى لهم فتعصبوا * على وهم سادات من قد تلثموا
لهم حسب عال يطعا مكة * لان رسول الله فى الاصل منهم

ومن الاغزال التى لاتليق أن يكون غزلها المديح قصيد نبوى قصيد السرى الرفاء فانه مدح بها الفاطميين وجدهم صلى الله عليه وسلم وبجرح القلوب بندبة الحسين عليه السلام فانه قال منها

مهلا فما نقضوا آثار والده * وانما نقضوا فى قتله الدينا

وهذه القصيدة مشتملة على مدح النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته وندبة الحسين بن على عليهما السلام فما ينبغى ان تكون براعتها

نطوى الليالى علما ان ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

ما أحق هذه البراعة لبعدها من المديح بقول القائل

غنيتم بالرقمتين ودارهم * بوادى الغضى يابعدما اتمناه

وما كفاه حتى قال بعد ذلك

وتوجى بكؤس الراح راحتنا * فانما خلقت للراح أيدينا
قامت تهز قواما ناعما سرقت * شمائل البان من اعطافه اللينا
تدير خمرا تلقاها المزاج كما * القيت فوق جنى الورد نسرينا
فلست ادرى أتسقينا وقد نفحت * روائح المسك منها أم تحيينا
وقد ملكنا زمان العيش صافية * لو فاتنا الملك راحت عنه تسلينا

أقول غفر الله هذا الغزل فيه اساءة أدب على ممدوحيه فانه شبب بوصف القيان وبذكر الخمر وبينه وبين المديح مباينة عظيمة (رجع) الى البراعات البارعة التى تشعر انها صدر المديح النبوى بالاشارات اللطيفة منها براعة الشيخ برهان الدين القيراطى وهى قوله

ذكر الملتقى على الصفراء * فبكاه بدمعة حمراء

وأما براعة بديعيتى فانها ببركة ممدوحها صلى الله عليه وسلم نور هذه المطالع وقبلة هذا الكلام الجامع فانى جمعت فيها بين براعة الاستهلال وحسن الابتداء بالشرط المقرر لكل منهما وابرزت تسمية نوعها البديعى فى أحسن قوالب التورية وشنفت باقراط غزلها الاسماع مع حشمة الالفاظ وعذوبتها وعدم تجافى جنوبها عن مضاجع الرقة وبديعية صفى الدين غزلها لا ينكر غير أنه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعى مورى به من جنس الغزل ولو التزمه لتجافت عليه تلك الرقة واما الشيخ عز الدين الموصلى فانه لما التزم ذلك نحت من الجبال بيوتا وقد أشرت الى ذلك فى الخطبة بقولى وهى البديعية التى هدمت بها ما نحته الموصلى فى بيوته من الجبال وجاريت الصفى مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال وسميتها تقديم أبى بكر عالما انه لا يسمع من الحلى والموصلى فى هذا التقديم مقال ومن أحسن اشارات براعتى التى تشعر انها صدر مديح نبوى تشبيبى بعرب ذى سلم وخطابى لهم بانى فى مدائحهم براعة تستهل الدمع وكأنى وعدتهم بشئ لا بد من القيام به وهذا حسبما أراده ابن أبى الاصبع بقوله براعة الاستهلال هى ابتداء الناظم بمعنى ما يريد تكميله انتهى ما أوردته هنا من البراعات

وابلغ فى دولته الآمال ولكن أبو البحترى حمانى لذيذ النوم ومنعنى بياض اليوم أنى يكون مثلى وأنا بجنب ضرب يعبث به صفعان كانه درب وكنت أسمع بطرار كانه النبل ولم أسمع بمحتال كانه الطبل ويقولون لص كالحية فى الظلم وطرار كالزلم فاما طرار كالسلم ولص فى طول المنارة وعرض الغرارة فلا الا هذا الحروعنوان الاحمق كنيته ثم لحيته ثم حليته ثم مشيته ووالله ما أعرف معنى أبى البحترى فهلا أبو حامد وأبو خالد وان امرأة تقعد مدة تعصر بطنها وظهرها وتعد يومها وشهرها ثم تسميه أبا البحترى لرعناء لا تستحق مهرها وخليقة ان تطلق نهرها فلا تلد دهرها ثم الوجه الجهيم لا يحمله كريم والانف السمين لا يثقله الامين والقطف سير الحمير والهرولة مشية الخنازير

البارعة نظما وأما براعات النثر فانم امثلها ان لم تكن براعة الخطبة أو الرسالة او صدر الكتاب المصنف دالة على غرض المنشئ والافليست ببراعة استهلال وقد رأيت غالب البديعيين قد اكتفوا عند استشهادهم على براعة الاستهلال فى النثر بقول الصاحب عمرو بن مسعدة كاتب المأمون فانه امتحن أن يكتب للخليفة يخبره ان بقرة ولدت عجلا وجهه كوجه الانسان فكتب الحمد لله الذى خلق الانام فى بطون الانعام ورأيت الشيخ صفى الدين الحلى فى شرح بديعيته قد التى عند الاستشهاد بها عصى التسيار واحتجبت عنه فى هذا الافق الشموس والاقمار أين هو من علو مقام القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر وقد كتب عن السلطان الملك الظاهر الى الامير سنقر الفارقانى جوابا عن مطالعته بفتح سوس من بلاد السودان واستهل بقوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة الله اكبر ان من البلاغة لسحرا والله ما أظن هذا الاتفاق الغريب اتفق لناثر ولا هلال كاتب المأمون فى هذا الاستهلال بزاهر وهذا المثال الشريف ليس له مثال منه صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامى تثنى على عزائمه التى دلت على كل أمر رشيد وأتت على كل جبار عنيد وحكمت بعدل السيف فى كل عبد سوء وما ربك بظلام للعبيد وبراعة الشيخ جمال الدين بن عبد الرزاق الاصفهانى فى رسالة القوس تجارى براعة القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فى هذه الحلبة وتساويها فى علو هذه الرتبة فانه أتى فيها بالعجائب وأصاب غرض البلاغة بسهم صائب واستهلها بعد البسملة بقوله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا * (منها) * شيطان تطلع شمس النصرة من بين قرنيه مارد لا يصلح الا بتعريك اذنيه صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم وأما براعة الشيخ جمال الدين بن نباتة فى خطبة كتابه المسمى بخبز الشعير فانها ناص الخاص ولا بد من مقدمة تكون هى النتيجة الموجبة لتسمية هذا الكتاب بخبز الشعير فانه مأكول مذموم وما ذاك الا انه كان يخترع المعنى الذى لم يسبق اليه ويسكنه بيتا من أبياته العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى بلفظه ولا يغير فيه غير البحر وربما عام به فى بحر طويل يفتقر الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يسع الشيخ جمال الدين الا انه جمع من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين واستهل خطبته بقوله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا ورتب كتابه المذكور على قوله (قلت انا) فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال) فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين قلت

ومولع بفخاخ * يمدها وشباك
قالت لى العين ماذا * يصيد قلت كراكى

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

أغار على سرح الكرى عندما رمى الشكرا كى غزال للبدور يحاكى
فقلت ارجعى يا عين عن ورد حسنه * ألم تنظريه كيف صاد كراكى

ومن ذلك قال الشيخ جمال الدين قلت

وله اليه فى هزيمة السامانية بباب سرخس ما أظن اطال الله بقاء الشيخ السيد ال ساسان الا معتدين على الله مقاطعة أرضه ومساقاة ثمارها يا هؤلاء لا تكابروا الله فى بلاده ولا تراودوا الله تعالى غير مراده ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده وما أرى آل سيمجور الا معتقدين انهم يأخذون خراسان قهرا كأنما كانت لامهم مهرا فلهم من حولها محيط والله من ورائهم محيط وبلغنى ان صاحبهم أسر فان كان ما بلغنى صحيحا فمرحبا بالاسر ولا لعا للعاثر حتام كفر الكافر وغدر الغادر وأبو الحسين بن كثير خذله الله لا يكاد يرى الخير من ابن واحد فترجوه من ابن كثير وهو الترياق المجرب للملك المقرب يقذف من

اسعد بها يا قمري برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال من البحر

قلت له والطير من فوقه * يصرعه بالبندق الصائب
سكنت في قلبي فحركته * فقال لم أخرج عن الواجب

قال الشيخ جمال الدين قلت

وبهجتي رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

فاخذه الصلاح وقال

واهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا فدب عليه

وأحسن ما وقع في هذا الباب للشيخ جمال الدين أنه قال

بروحي عاطر الانفاس ألمى * ملي الحسن خالي الوجنتين
له خالان في دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

فاخذه الصلاح وقال

بروحي خده المحمر أضحت * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله الشيخ صلاح الدين سرق كما يقال من الحبتين حبة قال الشيخ جمال الدين قلت

يا غادرا بي ولم اغدر بصحبته * وكان مني محل السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسي اخال جفا * فجاء ما خلته نقشا على حجر

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

مازلت اشكو حين وفرلي الضنا * قسما وأسلني الى البلوى وفر
حتى توفر من شكاية لوعتي * لي قلبه فرأيت نقشا في حجر

قال الشيخ جمال الدين قلت

يا عاذلي شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتي ألذ وأزين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتي هي أحسن

فاخذه الشيخ صلاح الدين مع البحر بل أخذ الكل مع القافية وقال

بأبي فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلي عن وجهها * لما تبدت بالتي هي أحسن

ومن ذلك قال الشيخ جمال الدين واجاد الى الغاية

فديتك أيها الرامي بقوس * ولحظ يا ضنى قلبي عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشيء منجذب اليه

كل جانب دحورا هذا المؤيد من السماء بين تدبيره يلتمس في بيره وهذا سنان الدولة ببركة ضميره وقع في تحبيره ولا يزال هذا البائس حتى يسأل الله العافية عن بدنه وحديث ما حديث هذا الجمال كأن ابليس يقسم كل صيحة اللعين القافصار يقسم الوفا سلطان آتاه الله واسطة البر وحاشية البحر وامكنه من طاغية الهند وسخر له ملوك الارض يريد جمال مراغمته

* يا للرجال لنازل الحدثان *

اني لاعجب من رأس يودع تلك الفضول فلا ينشق ومن عنق يحمل ذلك الرأس فلا يندق وما أجدر ابن محمود مثلا الا ابن الراوندي اذ ذهب الى ابن الاعرابي يسأله عن قول الله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف أتقول العرب ذقت اللباس فقال

فاخذه

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

تشرّط من أحب فذبت وجدا * فقال وقد رأى جزعى عليه
عقيق دمى جرى فأصاب خدى * وشبه الشئ منجذب اليه

ومما اطلق الشيخ صلاح الدين غفر الله له لسان المبضع ما قاله الشيخ جمال الدين ونظم بعده هذين البيتين لكن فى حيز الاعتدال واين انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد وليته فى براعة استهلاله بقول الله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا قال بعدها اللهم ومن دخل بيتى كافرا بفوائدى المنعمة وبيت شعرى سارقا من الفاظه ومعانيه المحكمة فاخجله فى سره وعلانيته وعاتبه على قوله ونيته * ومنها بلغنى ان بعض أدباء مصر غلامن منحته ودى واتفقت على ذهنه الطالب ما عندى واقته وهو لا يدرى الوزن تسقام من زكاه نقدى واودعته ذخائر فكرى فانفقها واعرته أوراقى العتيقة فلا والله ماردها ولا اعتقها بل انه غير الثناء بالهجاء والولاء بالجفاء ونسبنى الى سرقة بيوت الاشعار مع الغناء عنها والغنى فتغاضيت وقلت هما زمشاء بنيم وغصة صديق اتجرعها ولو كانت من جيم واخليت من حديثه بلبغى ومجلس صدرى وصرفت ذكره عن فكرى * ولكن وقفت له على تصانيف وضعها فى علم الادب والعلم عند الله تعالى ووشحها بشعره وشعرى المغصوب المنهوب يقول ياصاحبى الاّ * وما يتوضح من جيد تلك الاشعار لمعة الا ومن لفظى مشكاتها ولا تتضوع زهرة الا ومنى فى الحقيقة نباتها فضحكت والله من ذهنه الذاهل وذكرت على زعمه قول القائل

وفتى يقول الشعر الا أنه * فيما علمنا يسرق المسروقا

وعجبت له كيف رضى لنفسه هذا الامر منكرا وكيف حلا لذوقه اللطيف هذا الحرام مكررا وقد أوردت الآن فى هذا الكتاب قدرا كافيا ووزنا من الشعر وافيا وسميته خبز الشعير المأكول المذموم وعرضته على معدلة مولانا العلم ابشام خليله مظلوم ولولا الاطالة لاوردت جميع أبيات الشيخ جمال الدين التى دخلها الشيخ صلاح الدين بغير طريق ليرتدع القاصر عن التطاول الى معانى الغير * ومن البراعات التى يستهل بها فى هذا الافق الذى مرآة حسنها مصقولة براعة المقر المخدومى القضائى الفخرى عبد الرحمن بن مكانس مالك أزمة البلاغة وملك المتأخرين نظما ونثرا فى رسالة كتبها الى المقر المرحومى القضائى الزينى أبى بكر ابن العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بالابواب الشريفة وبقية الفضلاء الذين فضلوا بالطريق الفاضلية بسبب عبد الله القيرولى الضرير فانى نقلت من خط المشار اليه ما صورته * ورد علينا شخص من القيروان ضرير يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالى من المعالى فتردد الى فى مجالس متفرقة ثم بلغنى بعد ذلك أنه وشى الى صاحبى الشيخ زين الدين بن العجمى بانى اهتضمت من جانبه وانتقصته وغضضت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام الغير كثيرا فتأذى بسبب ذلك وتأذيت من كذب الناقل فكتبت اليه رقعة براعة استهلالها * ليس على الاعمى حرج * (أقول) انه يستغنى بهذه البراعة عن الرسالة * ومنها وبلغ المملوك أنه رماه بعض الاصحاب بريبة مثل هنمفاصى وتردد اليه مرة اخرى فعبس وتولى ان جاءه الاعمى * ولقد

لابأس ولا باس واذا حيا الله الناس فلا حيا ذلك الراس هبك تتهم محمدا لم يكن نبيا أتتهمه بأن لم يكن فصيحا عربيا وجئت تسأل ابن الاعرابى الدس الاعرابى نفسه جاء بهذا الكلام كذلك ابن محمود ينقض استه ويضرب مذرويه لينال الملك لا لوافر عدّه ولا لكثرة عدّه انما يطمع فى الملك لانه ابن محمود أفليس محمود نفسه بالملك أحق فالحمد لله الذى نصركم واخزاهم وثبتكم ونفاهم واركب اخراهم أولاهم فلا رحم الله قتلاهم ولا جبر الله جرحاهم ولا فك اسراهم ولا اراكم الا قفاهم وان اقبلوا فقض الله فاهم * ويرحم الله عبدا قال آمينا * (وله اليه فى هزيمة السامانية بباب مرو)

وردت رقعة الشيخ الجليل أدام الله بسطته منى على

خسرت صفقته اذا المملوك مابرح مخلصا لمولانا فى ولائه ومبادءاله على سلطنة البلاغة واجل من تشرف بحمل لوائه ومولانا بحمد الله أولى من استفتى قلبه واستدل على صفاء صدق محبته بشواهد المحبة والمسؤل من صدقاته امران أحدهما الجواب فانه يقوم عند المملوك مقام الفرج من هذه الشدة والآخر ردّ كل فاسق عن هذا الباب العالى فان أبا بكر أولى من يصلب فى الردّة انتهى كلام القاضى فخر الدين * ولقد كشف الشيخ جمال الدين بن نباته عن هذا الوجه القناع واظهر من بهجته فى رسالة السيف والقلم ماليس لمطالع البدور عليه اطلاع فان الرسالة مبنية على المفاخرة بينهما ولما انتصب القلم لمفاخرة السيف كانت براعته ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون واستهل بعدها بقوله الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم * وبراعة استهلال السيف قوله تعالى وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز واستهل بعده بقوله الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها فى ذوى العصيان فاغصتهم بماء الحتوف وما أظن ان احدا من المتقدمين نسج على هذا المنوال ولا نفث فى عقد أقلامهم مثل هذا السحر الحلال * وممن طلع من العصريين فى هذا الافق الساطع فابدر ورقى بلاغته أعواد هذا المنبر القاضى ناصر الدين بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية فانه اتفق له بحماة محنة كان لطف الله تعالى متكفلا له بالسلامة منها ولم يضرم نارها الامن غذى بلبان نعمته قديما وحديثا فالحمد لله الذى اسعف الاسلام والمسلمين بنجاته وامتع العلم الشريف والرياسة بطول حياته ولما هاجر من حماة المحروسة الى دمشق المحروسة كان اذ ذاك مولانا السلطان الملك المؤيد كافلها ففوض اليه خطابة الجامع الاموى فلم يبق أحد من اعيان دمشق حتى حضر فى تلك الجمعة لاجل سماع الخطبة فكانت براعة خطبته الحمد لله الذى أيد محمدا بهجرته ونقله من أحب البقاع اليه لما اختاره من تأييده ورفعته فعلا بالجامع الاموى أصوات ترنم حركت أعواد المنبر طربا وكاد النسر أن يصفق لها بجناحيه عجبا * وما ألطف براعة الشيخ العلامة نور الدين أبى الثناء محمود الشافعى الناظر فى الحكم العزيز بحماة المحروسة والشهير بخطيب الدهشة بحماة المحروسة فى كتاب أدعيته المسمى بدواء المصاب فى الدعاء المجاب وهى الحمد لله سامع الدعاء ودافع البلاء وفيها البناء والتأسيس فانه أشار بسامع الدعاء الى الدعاء المجاب وبدافع البلاء الى دواء المصاب * واما براعة خطيب الخطباء ابى يحيى عبد الرحيم بن نباتة الفارقى فانها اشغلت أفكارى مدة ولم يسعنى غير السكوت والاحجام عنها فانه استهلها فى خطبة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الحمد لله المنتقم ممن خالفه المهلك من آسفه ولقد اعتذر عنها جماعة من اكابر العلماء وأورد الشيخ سرى الدين بن هانئ فى شرحه الذى كتبه على ديوان الخطب على هذه البراعة عذرا لابى البقاء ارجو ان تهب عليه نسمات القبول * وما احشم ما استهل الشيخ جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزى فى خطبة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الحمد لله الذى استأثر بالبقاء وحق له أن يستأثر وحكم بالفناء على سكان هذا الفناء فاذعنوا لحكمه القاهر * واما

صدر أنتظرها وقلب استشعرها وانى لا أغلط فى قوم أميرهم صبى ولا فى دولة عميدها خصى وسنانها حلق ونصيرها شقى وعدوها اقوى انى اذا اغوى يا قوم بماذا ينصرون أبمال عليه اعتمادهم أم بجمع هو مدادهم أم بعدل به اعتضادهم أم لرأى هو عمادهم هل هم الاسطور فى قطور ان الله تعالى علم انهم ان ملكوا لم يصلحوا وأمرهم أن لا يفلحوا فسمعوا واطاعوا اطائفة من المدابير وقوفهم بين النار والنير ان أقاموا فالسيوف الهندوانيه وان أمنوا فالاتراك والخانيه وان أيسروا فجرجان والجرجانيه وان استأخروا فالعطش والبريه هو الموت ان شاء الله آخذا بالحلاقيم محيطا بالظاعن منهم والمقيم بجرجان يا مدابير جرجان ان بها أكله من التين وموته فى

خطبة الشيخ صفي الدين في صدر شرح بديعيته فان استهلالها نير ولكن فيه نظر وبعض مباينة عما نحن فيه فانه قال الحمد لله الذي حلل لنا سحر البيان وكتابه مبني على البديع ولهذا استهليت خطبة شرح بديعيتي بقولي الحمد لله البديع الرفيع ولما جمعت ديواني استهليت خطبتي بقولي الحمد لله الذي لايحصر مجموع فضله ديوان * وكان قد رسم لي أن انشئ صداقا للملك الناصر وانا اذ ذاك بدمشق وقد حمل ركابه الشريف بها على بنت المرحوم الشريف السيفي كشبغا الظاهري الحموي فاستهليت بقولي الحمد لله الذي أيد السنة الشريفة بقوة وناصر وتمثلت بعد هذا التاريخ بالمواقف الشريفة الامامية الخليفية المستعينية العباسية زادها الله شرفا وتعظيما فبرزت الى أوامرها المطاعة ان انشئ عهدا بكفالة السلطنة بالبلاد الهندية للسلطان العادل مظفرشاه شمس الدنيا والدين صاحب دهلي والفتوحات الهندية فاستهليت براعته بقولي الحمد لله الذي وثق عهد النجاح للمستعين به وقلت بعد الاستهلال وثبت أوتاده ليفوز من تمسك من غير فاصلة بسببه وزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا فافرغ على اطراف الارض حلل الخلافة الشريفة وعلم ان في خلفها الزاهر زهرة الحياة الدنيا فقال عز من قائل اني جاعل في الارض خليفة واختارها من بيت براعة استهلاله من أول بيت وضع للناس وسبقت ارادته وله الحمد ان تكون هذه النهلة الشريفة من سقاية بني العباس وذلك في العشر الاواخر من رمضان سنة ثلاث عشرة وثمانمائة * ومما انشأته في الديار المصرية وقد استقريت منشئ ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تقليد مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي عظم الله شأنه بصحابة ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية بتاريخ شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة واستهليته بقولي الحمد لله الذي أودع محمدا سره وقلت بعد الاستهلال وجعله ناصر دينه فحل به عقد الشرك وشد أزره وارسله لينشئ مصالح الامة فهذبنا بترسلاته والله أعلم حيث يجعل رسالاته وبين ديوان الانشاء الشريف بصاحب من بيت ظهر التمييز بكتابته وأيد الاسلام والمسلمين بملك مؤيد تمسك بمحمد وصحابته * وانشأت بعد هذا التاريخ توقيعا لرئيس الطب بالديار المصرية فكانت براعته الحمد لله الحكيم اللطيف * وبراعة الشيخ صلاح الدين الصفدي في شرح لامية العجم في غاية الحسن فانه استهلها بقوله الحمد لله الذي شرح صدر من تأدب والكتاب مبني على شئ من علم الادب * واما البراعات التي بحلوتقبيلها وجنات الطروس فمنها براعة الشيخ جمال الدين بن نباتة من رسالة كتبها الى القاضي علاء الدين الحسني واستهلها بقوله يقبل الارض العلية على السحاب نسبا وقال بعد الاستهلال الموفية على حصباء الانجم حسبا هذا الادب ان اطنبت في وصفه فهو فوق الوصف * وكتب اليه الشيخ برهان الدين القيراطي من القاهرة المحروسة الى دمشق المحروسة رسالة بليغة واستهلها بقوله يقبل الارض التي سقت السماء نباتها وقال بعد البراعة وحرس الله ذاتها وعمر بمعاني الحسن أبياتها * ومن اظرف ما وقع من البراعات المتوشحة برداء التبكيت براعة القاضي فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرج فانه كان له صديق متهم بعبد له فكتب اليه رسالة يداعبه فيها

الحين ونظرة الى الثمار والاخرى الى التابوت والحفار ونجارا اذا راى الخراساني فجر التابوت على قده واساف الحفار على لحده وعطارا يعد الحنوط برسمه وبها للغريب ثلاث قصات للكيس أولها لكراء البيوت والثانية لابتياع القوت والثالثة لثمن التابوت اغلى الله سعر اسواق النجارين والحفارين والمكارين آمين يارب العالمين

(وله اليه في فتح بهاضية)

ان الله وهو العلي العظيم المعطي ماشاء من على الانسان بهذا اللسان خلق ابن آدم وأودع فكيه مضغة لحم يصرفها في القرون الماضية ويخبر بها عن الامم الآتية يخبر بها عما كان بعد ما خلق وعما يكون قبل أن يخلق ينطق بالتواريخ عما وقع

واستهلها بقوله يقبل اليد الشهابية كثر الله عبيدها وقال بعد البراعة وضاعف خدمها واضعف حسودها وقد خطر لى ان أوردها بكمالها لوجازتها وغرابة اسلوبها فانه قال بعد يقبل الارض الخ وينهى بعد ولاء يمتد ودعاء يستد وثناء كانه عنبرا وكافورا وند ان مولانا توجه والاعضاء خلفه سائره وكل عين لغيبته ساهره ولا يخفى عليه شوق العليل الى الشفاء والظمآن الى صيب الماء والغريب الى بلده والمحصور الى سعة مسلكه ومقعده فمولانا يطوى هذه الشقة ويقصر هذه المدة ويدع أحد غلمانه يسد مسده فالمملوك قلق لسماع أخبار التشويش فى البلاد وتطرق اهل الجرائم والفساد فمولانا يرسم لغلمانه أن يشمروا فى خدمته ذيلا ويسهروا عليه بالنوبة لمن يطرق ليلا والله المسؤل أن تكون هذه السفرة مجملة ويخص فيها بالتبرك مخرجه ومدخله ويبلغه من فضله مزيدا ويجعل يومه عليه مباركا وليله عليه سعيدا * وكتب المقر المخدومى فضل الله بن مكانس مجد الادب الذى ظهر من يتيمه فخره ورضيع لبانه الذى ما سقانا منه ذرة الا قلنا لله دره الى والده المقر المرحومى الفخرى من القاهرة الى حلب وهو صحبة الركاب الشريف الظاهرى يشكو اليه رمدا حصل له بعده وكان مبدأ الرسالة قوله

ما الطرف بعدكم بالنوم مكحول * هذا وكم بيننا من بعدكم ميل

وقال بعد الاستهلال لا استهلت لمولانا دموع ولا جفا جفنه مدى الليالى هجوع (منها) يطالع العلوم الكريمة بما قاساه طرف المملوك من الرمد وما حصل عليه من الكمد

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كانهن الغوادى * لا تسل ما جرى على الخد منها

فلو رآه وقد أخذت عيناه من العناصر الثلاثة بنصيب وعوضها الهواء عن التراب بمضاعفة الماء واللهيب لرأى من نارها ما يفحم القلوب ومن دمعها ما هو البلاء المصبوب واستمر انسانها حتى أنشدها المتوجع فانها الدمع فبئس القرين وطالت مدة رمده حتى اقعد أتى على الانسان حين وتزايد خوف المملوك على مقلتيه وشحه بكريمتيه فقصد فى الذراعين وكاد أن يصير لولا أن من الله تعالى عليه أثرا بعد عين * وكتب الى المقر المخدومى المشار اليه سيدنا الامام العلامة الذى صلت جماعة أهل العصر خلف امامته وملك قياد البلاغة ببراعته وعبارته بدر الدين رحلة الطالبين أبو عبد الله محمد بن الدماميني المخزومى المالكى جوابا عن حل لغز فى ورد أرسله اليه فاستهله بقوله يقبل الارض وينهى ورود الجواب الذى شفى الصدور وروده وقال بعد الاستهلال واللغز الذى نم بوروده منه بان الحى وزروده (منه) فاستجلى المملوك منه بالنصر يفوز ورده وودلو اقتطف من أغصان حروفه ورده فرده ذل التقصير عاريا عن ملابس عزه وأنشد قول ابن قلاقس وهو يتلى بنار عجزه

اذا امتنعت أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فظهر من طريق سعته نصره وعلم ان هذا الورد لا يحسبن من غير تلك الحضره وان هذه الفاكهة لا تخرجها الا اغصان اقلام لها يدى الراحة المخدومية بهجة ونضره (ومنه)

من خطب وجرى من حرب
وكان من يابس ورطب
وينطق بالوحى عما سيكون
بعد وصدق عن الله بالوعد
ولم ينطق التاريخ بما كان
ولا الوحى بما يكون بأن الله
تعالى خص أحدا من
عباده ليس النبيين بما خص
به الامير السيد عين الدولة
وأمين الملة ودون الجاحد
ان يجد أخبار الدولة
العباسية والمدة المروانيه
والسنين الحربيه والبيعة
الهاشميه والايام الامويه
والامارة العدويه والخلافة
التيميه وعهد الرسالة
وزمان الفترة ولولا الاطالة
لعددنا الى عاد وثمود بطنا
بطنا والى نوح وآدم قرنا
قرنا ثم لم يجد قائل مقالا
أن ملكا وان علا أمره
وعظم قدره وكبر سلطانه
وهبت ريحه طرق الهند
فأسر طاغيتها بسطة ملك ثم
خلاه وعرض الارض قوة

وغشى نظر المملوك من هذا الغزل ببساتين الوزير على الحديقة فرأى كل وردة واخت الوجنات الحمر فتحير او وردة هى أم شقيقة وعلمت ان الفكر القاصر لا يجارى من بديهته من بحار الفضل رويه وان الخاطر الذى هو على ضعف من رعايا الادب لا يقوى على سلطان هذا الغزلان شوكته قوية (منه) وعتمت من ورده الوارد بالمشموم ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم فاستقطر البين ماء الورد من حدق * وكتب اليه من القاهرة المحروسة فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة عند دخولى اليها فى البحر هاربا من طرابلس الشام وقد عضت على أنياب الحرب بثغرها رسالة مشتملة على حكاية الحال وزيت فى براعتها بصنفين * أحدهما الفواكه البدرية الذى جمعه من ثمار أدبه * والثانى نزول الغيث الذى كتب فيه على الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم للشيخ صلاح الدين الصفدى واستهليتها بقولى يقبل الارض التى سقى دوحها بنزول الغيث واثمر بالفواكه البدرية وقلت بعد الاستهلال وطلع بدر كمالها من الغرب فسلمنا المعجزات المحمدية وجرى لسان البلاغة فى ثغرها فسما على العقد بنظمه المستجاد وانشد لافض الله فاه وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد

لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدنيا ابتسام

فأكرم به من مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ما ثبت لمدعى الباطل به حجة وعرفات أدب ان وقعت بها وقفة صرت على الحقيقة ابن حجة وافق معان بالغ فى سمو بدره فلم يقنع بما دون النجوم وميدان عربية يجول فيه فرسان العربية من بنى مخزوم (منها) أورى بدخوله الى دمشق ومطارحته الجماعة وتالله ما الفرسان الشقر او البلق فى هذا الميدان مجال واذا عرفوا ما حصل للفارس المخزومى عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال وينهى بعد أدعية ما برح المملوك منتصبا لرفعها وتغريد اثنية ما السجع المطوق فى الاوراق النباتية مثل سجعها واشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فى مصر بالآثار

وابرح ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الديار من الديار

وهذه الرسالة لكونها انتظمت فى طويل البحر ومديده يفتقر الى سرد غالبها لتعلقها بحكاية الحال وينهى وصول المملوك الى مصر مخيما بكنانتها وهو بسهم البين مصاب مذعور لما عاينه من المصارع عند مقاتل الفرسان فى منازل الاحباب مكلما من ثغر طرابلس الشام بألسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين ان لا يبرح سفره على جناح

وكان فى البين ما كفانى * فكيف بالبين والغراب

(منها) يا مولانا وابثن ما لاقيت من أهوال البحر واحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من أعاريضه فى زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر تلك اللجج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجوارى الحسان وقد رمت ازر قلوعها وهى بين يديه لقلة رجالها تسبى فحققت ان رأى من جاء يسعى فى الفلك غير صائب واستصوبت هنا رأى من جاء يمشى وهو راكب وزاد الظما بالمملوك وقد اتخذ فى البحر سبيله

قلب وصبح مصستان وهى المدينة العذراء والخطة العوراء والطلبة الغراء فاخذ ملكها أخيلة مغز وعنف ثم خلا مظلمة فضل والطف ثم لم يلبث ان خاض البحر الى جهاضبة والسيل والليل جنودها والشوك والشجر سلاحها والضح والريح طريقها والبر والبحر حصارها والجن والانس أنصارها فقتل رجالها وغنم أموالها وساق اقيالها وكسر أصنامها وهدم اعلامها كل ذلك فى فسحة شتوة قبل أن يتطرقها الصيف توسطها السيف وهو الله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ثم حكمت علماء الامة واتفق قول الائمة ان سيوف الحق أربعة وسائرها النار سيف رسول الله فى المشركين وسيف أبى بكر فى المرتدين

وكم قلت من شدة الظمأ يا ترى قبل الحفرة أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة

وهل أنا راكب بحر النيل منشرحا * واشرب الحلو من أكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا أمواجه حتى متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت واوات دوائره مقام مع فنصبنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب وقارن البحر فيه سوداء استرقت مواليها وهي جارية وغشيهم منها في اليم ما غشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقعها الريح فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها لفقد رجالها وجرى ما جرى على ذلك القلب ففاض وتوشحت بالسواد في هذا المأتم وسارت على البحر وهي مثل وكم سمع فيها المغاربة على ذلك التوشيح زجل برج مائى ولكن تعرب في رفعها وخفضها عن النسر والحوت وتتشامخ كالجبال وهي خشب مسندة من بطنها عدة من المصبرين في التابوت تأتي بالطباق ولكن بالمقلوب لان بياضها سواد وتمشي مع الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها العبث أنامل قلوعها بالعود وترقصنا على آلتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود وتتشامم وهي كما قيل أنف في السماء واست في الماء وكم تطيل الشكوى الى قامة صار بها عند الميل وهي الصعدة الصماء فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى اذا هبت الصبا وهي ابنة مائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهي تجري بهم في موج كالجبال وتدعي براءة الذمة وكم أغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل أرداف الامواج وكم وجلت القلوب لما صار لاهداب مجاذيفها على مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنة البحر طرة قلعها فبالغ الريح في تشويشها وكم مرت على قريتها العامرة فتركها وهي خاوية على عروشها تتعاظم فتهزل الى ان ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيتها بعد ذلك التعاظم وقد تبت وهي حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ٭ وأما البراعة التي لخطبة كتابي المسمى بمجرى السوابق في وصف الخيول المسومة فانها أحرزت قصبات السبق وهي الحمد لله الذي يقف عند سابق فضله كل جواد ويقصر في حلبة هذا الكرم الذي ليس له غاية في بديع الاستطراد نحمده على ما ألهمه الحزم وارشده الى حد المعرفة حازة قصبات السبق ولا نقول كاد نحمده على ان جعل لنا الخير معقودا بنواصي الخيل ونشكره شكرا نعلو به على أشهب الصبح ونمتطي أدهم الليل ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو ان نكون منها في ميادين الرحمة من السابقين ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله قائد الغر المحجلين وقد آن ان نقطع طول هذا البحث برسالة السكين فان استهلالها يسن ما كل من الذوق ويبرزه من قراب الشك الى القطع باليقين وما ذاك الا أنه لما انفرد كمال الدين عبد الرزاق الاصفهاني برسالة القوس واستوفى جميع المحاسن وجاء الشيخ جمال الدين بن نباتة برسالة السيف والقلم واظهر فيها معجزات الادب اردت ان اعززهما من اختراع رسالة السكين بثالث واستهليتها بقولي يقبل الارض التي قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفاقة بمسنون عزائمها (منها) وينهي وصول السكين التي قطع المملوك بها اوصال الجفا واضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ما غابت الا و بلغ الاقلام من تقشيرها

وسيف علي في الباغين وسيف القصاص بين المسلمين وسيوف الامير وفقه الله في مواقفه لا تخرج عن هذه الاقسام فسيفه بظاهر هراة فيمن عطل الحد واتهم بأنه ارتد وسيفه بظاهر غزنة سد في وجه العقوق نوعا من الكفر والفسوق وسيفه بظاهر مرو فيمن نقض العهد بعد تغلظه ونبذ اليمين بعد تأكيده وسيفه بظاهر سجستان فيمن نبه الحرب بعد رقودها وخلع الطاعة بعد قبولها وسيفه الآن في ديار الهند سيف قرنت به الفتوح واثنت عليه الملائكة والروح وذلت به الاصنام وعز به الاسلام والنبي عليه السلام واختص بفضله الامام واشترك في خيره الانام

الى الحق (منها) ماشاهدها موسى الاسعد فى محراب النصاب وذل بعدما خضعت له الرؤس والرقاب كم ايقظت طرف القلم بعدما خط وعلى الحقيقة ماروى مثلها قط وكم وجد الصاحب بها فى المضايق نفعا وحكم بحسن صحبتها قطعا من أجل انها تدخل فى مضايق ليس للسيف قط فيها مدخل وكلما تضعه توجزه والرمح فى تعقيده مطول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وبإقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت السيف فى بحر غمده كالغريق ولو سمع بها من قبل ضربه ما حمل التطريق انتهى ما أوردته من براعة الاستهلال نثرا ونظما ومن لم يربهجة ما أبرزته للمتأخرين فهو فى هذه اعمى

(ذكر الجناس المركب والمطلق)

*(بالقسم رىّ فسرى طلقوا وطنى * وركبوا فى ضلوعى مطلق السقم)*

اما الجناس فانه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الادب وكذلك كثرة اشتقاق الالفاظ فان كلا منهما يؤدى الى العقاد والتقييد عن اطلاق عنان البلاغة فى مضمار المعانى المبتكرة كقول القائل واستحيى ان أقول انه أبو الطيب

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل عيش كلهن قلاقل

ولقد تصفحت ديوانه فلم أجد لوافد هذا النوع نزولا الا ماقل فى أبياته وهو نادر جدا ولا العرب من قبله خيمت بابياتها عليه غير ان هذا البيت حكمت على أبى الطيب به المقادير ومثله قول القائل

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

فقرب وقبر لاجل الجناس المقلوب هو الذى قلب عليه القلوب اللهم الا ان يقع الجناس فى حشو بيت من البحور التى تحمل ثقله من غير اعتنا بامره كقول القائل

لله لبنى كلما ابنا على * تعنيفها ونهودها تتقاعد

وينارا سما وهى اسمى رتبة * لقد احترقت وريقها بارد

ففى طلعة شمس التورية هنا ما يغنى عن النظر الى زحل الجناس ولقد احسن من قال

انظر الى صور الالفاظ واحدة * وانما بالمعانى تعشق الصور

والجناس من صور الالفاظ وممن وافق على ذلك علامة عصره الشهاب محمود وقال انما يحسن الجناس اذا قل وأتى فى الكلام عفوا من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل الى جانب الركة ولا يكون كقول الاعشى

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى * شاو مشل شلول شلشل شول

ولا كقول مسلم بن الوليد

شلت وشلت ثم شل شليلها * فاتى شليل شليلها مشلولا

ولا بأس به فى مطالع القصائد ان تعذر على الناظم ان يركبه تورية فانه نوع متوسط بالنسبة الى ما فوقه من أنواع البديع كما قرره مشايخه كالتورية والاستخدام والاستعارة والتشبيه وما قارب ذلك من أنواع البديع وحكى عن ابن جنى ان الاصمعى كان يدفع قول العامة اذا قالوا هذا يجانس هذا اذا كان من شكله ويقول ليس بعربى خالص

الجناس المركب والمطلق

وارخت بذكره الايام واحفت لشرحه الاقلام وسند كر من حديث الهند وبلادها وغلظ اكبادها وشدة احقادها وقوة اعتقادها وصدق جلادها وكثرة اجنادها تبذ العلم السامع أى غزوة غزاها الامير السيد انها بلاد لولم تحيها السحاب بدرها لاهلكتها الشمس بحرها فهى دولة بين الماء والنار ونوبة بين الشمس والامطار تقدمها صحاب الجبال وتحجبها رحاب القفار ويعصمها ملتف الغياض وتحفها طواغى الانهار حتى اذا خرقت هذه الحجب خاض الى عدد الرمل والحصا رجالا وشبه الجبال افيالا وانزاع الخاض

وقال ابن رشيق صاحب العمدة هو من أنواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لا يشك فى تكلفه وقد كثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون فى نظمهم ونثرهم حتى بردورك انتهى كلامه ولم يحتج اليه بكثرة استعماله الا من قصرت همته من اختراع المعانى التى هى كالنجوم الزاهرة فى افق الالفاظ واذا خلت بيوت الالفاظ من سكان المعانى تنزلت منزلة الاطلال البالية وما احلى قول الفاضل هنا

انما الدار قبل بالسكان * ثم بعد السكان بالجيران
فاذا ما الارواح شردها الحتف * فماذا يراد بالابدان

وكان الشيخ صلاح الدين الصفدى يستسمن ورمه ويظنه شحما فيشبع افكاره منه ويملأ بطون دفاتره ويأتى فيه بتراكيب تحف عندها جلاميد الصخور كقوله غفر الله له

ونم فى امان بالحبيب ولا تخف * لقائط واش فى لقاء طواشى

وقوله

وكم ساق فى الظلماء والليل شاهد * رواحل واط فى رواح لواط

وقوله

واين اذا كان الفراق معاندى * مطالع ناء فى مطال عناء

وقوله فى الراح

وكم البست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

وقوله

اذا جرح العشاق قالوا اتق فى * مدار جراح فى مدارج راح

وقوله

وكم شمت لما اقسمت مقدار ودكم * بوارق باس فى بوار قياس

وقوله

ولا تفحص باب الهدايا وعدها * مطار فراش لا مطارف راش

وقوله

ثنت نحوه الاغصان قامة لينها * طواعن شاط فى طواع نشاط

وقوله

ومر على غيرى سقام وصحة * ولم يرقان مثل ذى يرقان

ورأيت بخط الشيخ بدر الدين البشتكى تحت هذا البيت والذى قبله وهو الضعيف بالبرقان وان من ذلك مبلغه من النظم لجدير ان يقعد مع صغار المتأدبين انتهى ومنه قوله

لجار وابرى حين جاورت واجترى * فما فاته مما يروم جناس

وقوله

زاروا وزانوا وزادوا * هذا الجناس المليح

وفى ذلك من الركة ما لا يخفى على أهل الذوق السليم ولولا الخشية من سام الاسماع لاوردت له كثيرا من هذا النمط وما اظرف ما وقع له مع الشيخ جمال الدين بن نباتة وذلك

جلادا ومصناف الجبال طعانا واركان الجبال ثباتا ثم لا يعرفون غدرا ولا بياتا ولا يخافون موتا ولا حياتا ولا يبالون على أى جنبيه وقع الامر وينامون ويحتم الجمر وربما عمد أحدهم لغير ضرورة داعية ولا حمية باعثة فاتخذ لرأسه من الطين اكليلا ثم قور قحفه فحشاه فتيلا ثم اضرم فى الفتيل نارا ولم يتأوه والنار تحطمه عضوا فعضوا وتأكله جزأ فجزأ فاما محرق نفسه ومغرقها وآكل لحمه ومفصل عظمه والرامى به من شاهق فاكثر من ان يعد واقلهم من يموت حتف أنفه فاذا مات هذه الميتة أحدهم سب بها اعقابه وعظم عندهم عقابه بلاد هذه حالها وفيه تلك أهوالها وجبال فى السماء قلالها وفلاة يلمع آلها وغياض ضيق مجالها وانهار كثيرة أوحالها

انه لما وقف على كتابه المسمى بجنان الجناس وقد اشتمل على كثير من هذا النوع قرأ جنان الجناس وجرى بينهما بسبب ذلك ما يطول شرحه وهذا مما يؤيد قولي انه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله ويعجبني هنا قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردي رحمه الله تعالى

اذا أحببت نظم الشعر فاختر * لنظمك كل سهل ذي امتناع
ولا تقصد مجانسة ولكن * قوافيه وكله الى الطباع

وكان الاسعد بن مماتي أيضا ممن لم يعمل الجناس له مذهبا في نظمه وما احلى ما قال

طبع المجنس فيه نوع قيادة * او ما ترى تأليفه للاحرف

ومن غريب ما يحكى ان الشيخ صلاح الدين الصفدي مع تهافته على الجناس والتزامه بما صنفه في جنسه وأنواعه زاحم ابن مماتي في لفظ بيته ومعناه فقال

الا ان من عاني القريض بطبعه * يقود فارسه لمن صدوا احتشم
الم تره ان قال شعرا مجانسا * يؤلف ما بين الحروف اذا انتظم

فانظر كيف أخذ المعنى وغالب الالفاظ ولم يتمكن من نظم ذلك الا في بيتين أتى فيهما بكثرة الحشو مع قلة الادب على أهله فان الاسعد اثبت القيادة لطبع المجنس والشيخ صلاح الدين اثبت الحكم المذكور لمن يعاني نظم الشعر وقد طال الشرح وتعين الكلام على الجناس لان الشروع فيه يلزم لاجل المعارضة لمن تقدمني من ناظمي البديعيات اما هذا النوع فانه ما سمي جناسا الا لمجيء حروف الفاظه من جنس واحد ومادة واحدة ولا يشترط فيه تماثل جميع الحروف بل يكفي في التماثل ما تعرف به المجانسة واما اشتقاق الجناس فمنهم من يقول التجنيس هو تفعيل من الجنس ومنهم من يقول المجانسة المفاعلة من الجنس أيضا الا ان احدى الكلمتين اذا تشابهت بالاخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية والجناس مصدر جانس ومنهم من يقول التجانس التفاعل من الجنس أيضا لانه مصدر تجانس الشيئان اذا دخلا في جنس واحد ولما انقسم أقساما كثيرة وتنوع أنواعا عديدة تنزل منزلة الجنس الذي يصدق على كل واحد من أنواعه فهو حينئذ جنس وأنواعه التام والمحرف والمصحف والملفق وهلم جرا كما أن البديع جنس وانواعه الجناس واللف والنشر والاستعارة والتورية والاستخدام وغير ذلك من أنواع البديع واما حدود أنواع الجناس فقد اختلفت فيها عبارات البديعيين ولكن نأتي بحد كل واحد من الانواع في موضعه ونذكر ما وقع الاتفاق عليه وقد صدرت بديعيتي هذه بالجناس المركب والمطلق حسبما رتبه الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته ولكن فاته شنب التسمية وابرازها في شعار التورية من جنس التغزل فحد المركب أن يكون احد الركنين كلمة مفردة والاخرى مركبة من كلمتين وهو على ضربين فالاول ما تشابه لفظا وخطا كقول الشاعر

عضنا الدهر بنابه * ليت ما حل بنا به

ومثله قول القائل

ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعاني امت بما أودعاني

وطريق طويل مطالها شام الهندورجالها والهندوانية واستعمالها زحم الامير السيد أدام الله ظله هذه الاهوال بمنكبه محتسبا نفسه معتمدا نصر الله وعونه فركض اليهم بعون من الله لا يخذل ومدد من التوفيق لا يفتر وقلب من الاهوال لا يجبن وحث على المطلوب لا يقصر وسيف على الضريبة لا يشكل فسهل الله له الصعب وكشف به الخطب ورجع ثانيا من عنانه بالاسارى تنظمهم الاغلال والسبايا تنقلهم الجمال والقيلة كأنها الجبال والاموال ولا الرمال فتح ذخره الله عن الملوك السالفة الخالية الكفرة الطاغية الجبابرة العاتية حتى وسمه بناره وجعله بعض آثاره والحمد لله معز الدين وأهله ومذل الشرك وحزبه وصلى الله على محمد وآله

(وله أيضا)

دواء الشوق أطال الله بقاء

وحفظت من شيخي العلامة الشيخ شمس الدين الهيتي الحسني النجوي وانا في مبادي العمر والاشتغال من الجناس المركب المتشابه قول القائل من دو بيت

في مصر من القضاة قاض وله * في اكل مواريث اليتامى وله

ان رمت عداله فقل مجتهدا * من عدله دراهما عدله

وكان يقول لا أعرف لهما ناظما وما ألطف قول القائل

ياسيدا حاز رقى * بما حباني واولى

أحسنت برا فقل لي * أحسنت في الشكر أولا

وقال العلامة شهاب الدين محمود أنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الوهاب لنفسه من المتشابه لفظا وخطا

سار في سقمي من بعدهم * كل من في الحي داوى اورقا

بعدهم لاطل وادي المنحني * وكذا بان الحمى لا أورقا

واورد الشيخ صلاح الدين الصفدي لنفسه في كتابه المسمى بجنان الجناس من هذا النوع قوله

يامن اذاما أتاه * أهل المودة اولم

انا محبك حقا * ان كنت في القوم اولم

وهذا النوع لم يذكره الشيخ صفي الدين في بديعيته انتهى الكلام على المتشابه من المركب لفظا وخطا والثاني ماهو متشابه لفظا لا خطا ويسمى المفروق وهو الذي نظمه صفي الدين في بديعيته كقول الشاعر

لاتعرضن على الرواة قصيدة * مالم تكن بالغت في تهذيبها

واذا عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذي بها

ومثله قول القائل

يامن تدل بمقلة * وانا مل من عندم

كفي جعلت لك الفدا * أسياف لحظك عن دمي

ومثله قول ابن أسد الفارقي

غدونا بآمال ورحنا بخيبة * أماتت لنا افهامنا والقرائحا

فلا تلق منا غاديا نحو حاجة * لتسأله عن حاجة والقرائحا

ويحسن هنا قول أبي الفتح البستي فيه

وان أقر على رق أنامله * اقر بالرق كتاب الانام له

وما ألطف قول العلامة شهاب الدين محمود من هذا النوع

ولم أر مثل نشر الروض لما * تلاقينا بينت العامرية

جرى دمعي وأومض برق فيها * فقال الروض في ذا العام ريه

ومن لطائف الشيخ جمال الدين بن نباتة

فمرائره أم مليحا أمردا * وسلاطه بين الجوانح أم ردا

ومثله

القاضي الامام ابن يعاصي قلم لا يطلب منه الخلاص وان انتظر حتى تمكنه قضية همته طال عليه وعلى منتجعي ماله وود الشيطان لو ظفر بهذا منه خاضر الوقت وموجود اليوم ان هذا العالم الاصيل متبرم بالمقام منتقض للمطار صوفي الطبع في الانتظار ناري المزاج حار الامشاج ولا علاقة له بهراة الا القاضي الامام والسلام

(وله اليه أيضا)

رقعتي هذه أطال الله بقاء الشيخ الجليل من بعض الفلوات ولو جهلت ان الحذق لا يزيد في الرزق وان الدعة لا تحجب السعة لعذرت نفسي في الرحل أشده والجبل أمده ولكني أعلم هذا وأعمل ضده وأصل سراي بسيري ليعلم أن الامر لغيري والافق أخذني بالمطار في هذه الاقطار والمصار في هذه

ومثله قول شمس الدين محمد بن العفيف

اسرع وسر طالب المعالى * بكل وادو كل مهمه
وان لحا عاذل جهول * فقل له ياعذول مه مه

ومثله قوله

ان الذى منزله * من مصب دمعى امرعا
لم أدر من بعدى هل * ضيع عهدى ام رعى

ومثله قول القاضى بهاء الدين السبكى رحمه الله تعالى

كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهى * حتى تعود لى الحياة وانت هى

وأنشدنى قاضى القضاة تقى الدين بن الحسنى الحنفى بحماة فى مبادى العمر وقد ذكرت بين يديه الجناس المركب

قلت للعاذل الملح على الدمـ * ـع واجرائه على الخد نيلا
سل سبيلا الى النجاة ودع دمـ * ـع عيونى تجرى لهم سلسبيلا

ومن أنواع الجناس المركب نوع يسمى المرفو وهو أن يكون أحد الركنين جزأ مستقلا والآخر بجزأ من كلمة أخرى كقول الحريرى

والمكر مهما اسطعت لاتأته * لتقتنى السودد والمكرمه

وقوله

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يحاكى المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه

وهذا النوع لايخلو من تعسف وعقادة فى التركيب انتهى الكلام على الجناس المركب واقسامه غير ان هنا لطيفة وهو أنه قد تقرر ان ركنى الجناس يتفقان فى اللفظ و يختلفان فى المعنى لانه نوع لفظى لامعنوى وهو نوع متوسط بالنسبة الى مافوقه من أنواع البديع والتورية من اعز أنواعه وأعلاها رتبة فاذا جعلت الجناس تورية انحصر المعنيان فى ركن واحد وخلصت من عقادة الجناس وحركت الاذواق وابهجت خاطر السامع بما تحققه من بديع تركيبها وتأهيله بغريبها وانا اذكر المثالين هنا ليتضح فى الاذهان الصحيحة ان النهار لم يحتج الى اقامة دليل قال صاحب الجناس المركب

أعن العقيق سالت برقا أومضا * أأقام حادبالركائب أومضى

قال صاحب التورية

واذا تبسم ضاحكا ما التفت * ان عاد برقا فى الدياجى أومضا

وهنا يحسن ان يتمثل بقول القائل

ومن يقل للمسك أين الشذا * كذبه فى الحال من شما

ومثله قول الشاعر

نديمى لاتسقنى * سوى الصرف فهو الهنى
ودع كاسها الطلسا * ولا تسقنى مع دنى

الامصار لولا الشقاء لم يأتنى العمر مهيجا والرزق نهجا نضيجا حتى آتيه قصدا واتكلفه زرعا وحصدا واعارضه شيا وطبخا واعرض له الشعاب والجبال الصعاب وازل بمناخ سوء لكن المرء يساق الى ما يراد به لا الى ما يريد اما هذه الاشقاص ان تيسر منها الخلاص بعد ماسافرت وسفرت وناظرت ونظرت وحفرت وحرثت و بذرت ونذرت وزرعت وعمرت حمدت الله كثيرا ورأيته مغنما كبيرا وان لم يكن من اتمام القصة بد فلا غنى عن نظر كريم ومهلة فيها مجال وتسويغ يصلح به فاسد وقرض يتألف به شارد

وما كل يوم لى بارضك حاجة
وما كل يوم لى اليك رسول

والسلام

نسخة ماجرى بينه وبين الاستاذ أبى بكر الخوارزمى

ومن التورية المركبة ما أنشدنى من لفظه علامة عصرنا القاضى بدر الدين بن الدماميق مما كتب به الى مولانا الحافظ الشيخ شهاب الدين ملك المتأدبين وعمدة المحققين أبى العباس أحمد بن حجر الشافعى

حى ابن على حوزة الجد والعلا * ومن رام اشتات المعالى وحازها
وكم مشكلات فى البيان بفهمه * تبينها من غير عجب ومازها (ومازها)

فاجابه شيخنا المشار اليه

بروحى بدرا فى الندا ما أطاع من * نهاه وقد حاز المعالى فزانها
يسائل ان ينهى عن الجود نفسه * وها هو قد بر العفاة ومانها (ومانهى)

وما أحلى ما قال متغزلا

سالت من لحظه وحاجبه * كالسهم والقوس موعدا حسنا
ففوق السهم من لواحظه * والقوس الحاجبان وقد رنا (واقترنا)

ومن نثر الشيخ بدر الدين المشار اليه فى التورية المركبة يشير الى تقريظ كتبه لبعض أهل الادب على مصنف سافل لم يمكن تسميته والتزم فى التقريظ نوع الايهام من الاول الى الآخر (٢) وكتب الشيخ بدر الدين على ذلك المصنف قوله ولقد كنت أرتجى بابا أدخل منه الى التقريظ ففتح لى المقر التقوى بابا مرتجا ونهج الطريق الى المدح فاقتفيت آثاره واهتديت حين رأيت منهجا ومثله قوله فى التقريظ الذى كتبه على بديعتى هذه كتبت واسياف الخطوب ليس لها الا الجوانح اغماد والزمن قد كادنى بسهام أوتاره المصيبة ورمانى بعد ان كاد ومثله ما أنشدنى من لفظه لنفسه الكريمة احد اعيان العصر القاضى مجد الدين ابن مكانس حيث قال

اقول لحبى قم ومس يا معذبى * كميسة خود حولك السكر راسها
ولا تسه عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا وماسها

واعجبة الشيخ شهاب الدين ابن حجر فى هذا الباب من طرف الادب فانها تورية خفية مركبة فى الاصل

يا فاضلا هو فى الاحا * جى ليس يخلو من ولع
ما مثل قولك للذى * يشكو الحبيب اسكت رجع

فصه مرادف اسكت وباه مرادف رجع فحصلت التورية فى صهباء وصهباء ومن النظم فى هذا النوع الغريب قول المعمار

وخادم يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو الحبيب محسن * وكم دموع فى الهوى اسالها (اساءها)

ومثله قول الشيخ شمس الدين المزين فى غلام مليح وله لالا مليح

ومليح لالاه يحكيه حسنا * فهو كالبدر فى الدجا يتلالا
قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلالا

ومن نظمى الغريب فى هذا النوع

٢ قوله وكتب الشيخ بدر الدين على ذلك المصنف هكذا فى النسخ والصواب اسقاطه

من المناظرة يوم اجتماعهما فى دار الشيخ السيد أبى القاسم المستوفى بمشهد من القضاة والفقهاء والاشراف وغيرهم من سائر الناس وهى باملاء الاستاذ ابى الفضل بديع الزمان رحمه الله (من هجا)

(أنكاد)

قال الاستاذ أبو الفضل احمد بن الحسين الهمذانى بديع الزمان سأل السيد امتع الله ببقائه اخوانه ان أملى جوامع ما جرى بيننا وبين أبى بكر الخوارزمى أعزه الله من مناظرة مرة ومنافرة أخرى وموادعة اولا ومنازعة ثانيا املاء يجعل السماع له عيانا فما

تصديتم لقتل ضعيف جسم * لغير الوجد فيكم ما تصدى
وعدت ضلوعه بالسقم لما * تعديتم عليه وما تعدى (وما تعدا)

وقلت فيه

بعد هند وبعد سلمى تعطشت الى رشف كل لعس الى
وفؤادى يقول لا تطلب الرى من الريق بعد هند وسلمى (وسلما)

وقلت من قصيدة مطولة

حين قابلت خده بدموعى * أثرت خلت ثوب خز منمنم
وانظر اليوم خده مع دموعى * واحك ما شئت عن عقيق وعن دم (وعندم)

والبيت الاول من المعانى المخترعة التى لم يسبق اليها انتهى ما أوردته من الكلام على الجناس المركب واستجلاء عرائس التورية وأما الجناس المطلق فان الناس فى الفرق بينه وبين المشتق معارك وسماه السكاكى وغيره المتشابه والمتقارب لشدة مشابهته وقربه من المشتق وكل منهما يختلف فى الحروف والحركات ولكن الفرق بينهما دقيق قل من أتى بعصمته ظاهرا فان المشتق غلط فيه جماعة من المؤلفين وعدوه تجنيسا وليس الامر كذلك فان معنى المشتق يرجع الى أصل واحد والمراد من الجناس اختلاف المعنى فى ركنيه والمطلق كل ركن منه يباين الآخر فى المعنى وانا اذكر لكل واحد منهما شاهدا يزول به الالتباس فالمشتق كقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم وقيل ان ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى فعلى كل تقدير الجميع راجع الى العبادة والمعنى فى الاشتقاق راجع الى أصل واحد ومنه قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وقوله تعالى اذا وقعت الواقعة وقوله تعالى أزفت الآزفة ومن النظم قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وما ألطف قول كشاجم فى خادم اسود مشهور بالظلم

يا مشبها فى فعله لونه * لم تخط ما أوجبت القسمه
فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيامة ومن أسحر الحلال قول بعض المتأخرين فى هذا الباب

عاتبت طيف الذى أهوى وقلت له * كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال آنست نارا من جوانحكم * يضىء منها الذى السارين قنديل
فقلت نارا الهوى معنى وليس لها * نور يضىء وهذا القول مقبول
فقال نسبتنا فى الحال واحدة * انا الخيال ونار الشوق تخييل

وقد نبه على الاشتقاق فى قوله نسبتنا فى الحال واحدة ورأيت الشيخ شمس الدين بن الصائغ فى شرحه على البردة لما انتهى الى قول المصنف

ظلمت سنة من أحيا الظلام الى * ان اشتكت قدماه الضر من ورم

تلقينه الا بالطاعة على حسب الاستطاعة الا ان للقصة تشبيبا لا تطيب الا به ومقدمات لا تحسن الا معها وسأسوق بعون الله صدر حديثنا الى العجز كما يساق الماء الى الارض الجرز فنبدأ فيها باسم الله عز وجل والصلاة على النبى محمد صلى الله عليه وسلم ذهابا بالقصة ان تكون بتراء وصيانة لها عن ان تدعى جذماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل خطبة لم يبدأ فيها باسم الله فهى بتراء وقد خطب زياد خطبته البتراء لانه لم يحمد الله عز وجل ولم يصل على رسوله عليه السلام وهذا مقام نعوذ بالله منه ونسأله التوفيق والصواب بورده وصدره ثم أطال الله بقاء السيد وامتع ببقائه أحباءه انا قعدنا نعد آثاركم ونروى

قال ظلت وظلام جناس اشتقاق وهو كقوله تعالى واسلمت مع سليمان قلت اما ظلمات وظلام فاشتقاق بلا خلاف وأسلمت مع سليمان جناس مطلق لانه لم يرجع في المعنى الى أصل واحد وهو أعظم شواهد البديعيين على الجناس المطلق انتهى الكلام على المشتق وأما الجناس المطلق فلشدة تشابهه بالمشتق يوهم أحد ركنيه ان أصلهما واحد وليس كذلك كقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله وكقوله تعالى ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ومنه ما كتب به الى المأمون في حق عامل له وهو فلان ماترك فضة الافضها ولاذهبا الاذهبه ولامالا الامال عليه ولافرسا الاافترسه ولادارا الاادارها ملكا ولاغلة الاغلها ولاضيعة الاضيعها ولاعقارا الاعقره ولا حالا الاأحاله ولاجليلا الاأجلاه ولادقيقا الادقه فهذه الاركان هنا شواهد على الجناس المطلق ليس فيها ركنان يرجعان الى أصل واحد كالمشتق بل جميع ماذكرنا اسماء أجناس وهي محمولة على عدم الاشتقاق ومثل ذلك من النظم قول الشاعر

عرب تراهم أعجمين عن القرى * متنزلين على الضيوف النزل
فاقت بين الازد غير مزود * ورحات عن خولان غير مخول

ومثله قول الآخر

بجانب الكرخ من بغداد عن لنا * ظبي بنفره عن وصلنا نفر
ضفيرتاه على قتلي تظافرتا * يامن رأى شاعرا أودى به الشعر

وما أحلى قول القائل

سلم على الربع من سلمى بذى سلم

فالثلاثة عنان جنسها مطلق في المطلق وقال الآخر واجاد

اذا اعطشتك اكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى * وهامة همته في الثريا

وما أحلى قول أبي فراس في هذا النوع

فما السلاف ازدهتني بل سوالفه * ولا الشمول دهتني بل شمائله

ومثله قول الصاحب بهاء الدين زهير

يامن لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل

والبحتري

واذا ما رياح جودك هبت * صار قول العذول فيها هباء

ويحسن هنا قول الشاب الظريف محمد بن العفيف

أراك فيعتلي قلبي سرورا * واخشى أن تشط بك الديار
فجر واهجر وصد ولا تصلني * رضيت بان تجور وانت جار

وما احسن ما قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى بمنه وكرمه

تولى شبابي فولى الغرام * ولازم شيبي لزوم الغريم
ولولم يصدني بازيه * لما صار مثنى مهاة الصريم

انتهى

ما آثركم نقد العصر قبل نفاد نقودها وفنيت الخواطر قبل أن تفنى المآثر فكيف لاوان ذكر الشرف فأنتم بتوبجدته أو العلم فأنتم عاقدو بردته او الدين فأنتم ساكنوا بلدته أو الجود فأنتم لابسو جلدته أو التواضع صرتم لسدته أو الرأى صلتم بجدته. وان بيتا تولى الله عزوجل بناءه ولزم الرسول صلى الله عليه وسلم فناءه وأقام الوصى كرم الله وجهه عماده وخدم جبريل عليه السلام أهله لحقيق ان يصان عن مدح لسان قصير نعود للقصة نسوقها (وأولها) انا وطئنا خراسان فما اخترنا الا نيسابور دارا والاجوار السادة جوارا لاجرم أنا حططنا بها الرحل ومددنا عليها الطنب

انتهى الكلام على المطلق وعلى الفرق بينه وبين المشتق منه نظما ونثرا وقد رسم لى ان أثبت فى بديعيتى هنا أبيات من تقدمنى فى النظام كالشيخ صفى الدين الحلى والشيخ عز الدين الموصلى وما ورد فى بديعية العميان من القدر الذى استعملوه ليشاهد المتأمل فى هذا الميدان مجرى السوابق فان الشيخ صفى الدين جمع بين الجناس المركب والمطلق فى بيت واحد وهو المطلع فقال

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم ✻ واقر السلام على عرب بذى سلم

والعميان لم يأتوا فى البيت الا بنوع واحد فقالوا فى المركب

دع عنك سلمى وسل ما بالعقيق جرى ✻ وأم سلعا وسل عن أهله القدم

وقالوا فى الجناس المطلق

جار الزمان فكفوا جوره وكفوا ✻ وهل أضام لدى عرب على اضم

فالمطلق فى أضام واضم واما جار وجور فمشتق ولكن لم يخف ما فى البيتين من الثقل مع خفة الالتزام وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

فى سلمى وسل ما ركبت بشذا ✻ قد اطلقته أمام الحى عن ام

فالشيخ أتى بالنوعين فى بيت واحد وورى بالاسمين من جنس الغزل ومع ذلك تلطف وتضاءل عليهم واحتشم وبيتى تقدم ذكره ولكن دعت الضرورة الى ذكره هنا حسب المرسوم وهو

بالقمر بى فسر بى طلقوا وطنى ✻ وركبوا فى ضلوعى مطلق السقم

وفى تسمية النوع هنا ما يغنى عن التنبيه عليهما وقد تقدم الشرح على كل واحد منهما والشيخ صفى الدين والعميان لم يثقل التقييد بتسمية النوع لهم كاهلا مع ان يكون مورى به من جنس الغزل وشتان بين عالم الاطلاق والتقييد بضيق هذا الخناق لان الرقيق لم يقم له سوق بل يصدق اذا ما ادعى عتقه والله المسؤل أن يقيم لنا سوق القبول فى متاجر الرقة فان الشيخ صفى الدين قال فى خطبته مع الاطلاق قياده فانظر أيها العالم الاديب الى غزارة الجمع وهى ضمن الرياقة فى السمع ثم قال بعد ذلك

ودع كل صوت غير صوتى فاننى ✻ أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

(ذكر الملفق)

✻(ورمت تلفيق صبرى كى أرى قدمى ✻ يسعى معى فسعى لكن أراق دمى)

حد الملفق ان يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين وهذا هو الفرق بينه وبين المركب وقل من أفرده عنه وغالب المؤلفين ما فرقوا بينهما بل عدوا كل واحد منهما مركبا الا الحاتمى وابن رشيق وأمثالهما ولعمرى لو سموا الملفق مركبا والمركب ملفقا لكان أقرب الى المطابقة فى التسمية لان الملفق مركب فى الركنين والمركب ركن واحد كلمة مفردة والثانى مركب من كلمتين وهذا هو التلفيق وما ألم بالملفق احد من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفى الدين الحلى وما ذاك الا أنه قال فى خطبة بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وهذا دليل على انه لما عارضه الشيخ عز الدين والتزم تسمية الانواع التى ذكرها الشيخ صفى الدين لم يجد بدا من نظمه لاجل المعارضة ولكن نحت فيه بيتا من الجبال وسيأتى وأما العميان فانهم عدوه فى بديعيتهم من المركب فاختصرته هنا وكذلك بقية أبياتهم فى انواع

وقديما كالسمع بحديث هذا الفاضل فنتشوقه ونخبره على المغيب فنتعشقه ونقدر أنا لو وطئنا ارضه ووردنا بلده يخرج لنا فى العشرة عن القشرة وفى المودة عن الجلدة فقد كانت لحمة الادب جمعتنا وكلمة الغربة نظمتنا وقد قال شاعر العرب غير مدافع

أجارتنا انا غريبان ههنا
وكل غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظن كل الاخلاف واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف وقد كان اتفق علينا فى الطريق من العرب اتفاق لم يوجبه استحقاق من بزة بزوها وفضة فضوها وذهب ذهبوا به ووردنا نيسابور براحة أنقى من الراحة وكيس أخلى من

الملفق

جوف حمار وزى أوحش من طلعة المعلم بل اطلاعة الرقيب فما حلت لنا الا خصبة جوانه ولا وطئنا الا عتبة

الجناس تعين اختصارها فانهم لم يأتوا في البيت الا بالنوع الواحد ومن الملفق في النظم قول الشاعر

وكم لجباة الراغبين اليمن * مجال مجود في مجالس جود

وما الطف ما قال القاضي أبو علي عبد الباقي بن أبي حصين في هذا النوع وقد ولي القضاء بالمعرة وهو ابن خمس وعشرين سنة وأقام في الحكم خمس سنين وهو

وليت الحكم خمسا وهي خمس * لعمري والصبا في العنفوان

فلم تضع الاعادي قدر شاني * ولا قالوا فلان قد رشاني

وما احلى قول الشيخ شرف الدين بن عنين في هذا الباب

خبروها بأنه ما تصدى * لسلوعنها ولو مات صدا

ويعجبني قوله بعد المطلع

وسلوها في زورة من خيال * ان تكن لم تجد من الهجر بدا

انتهى وبيت الحلي في الملفق

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم * لهم ولم استطع مع ذاك منع دمي

ولم يمكن الشيخ صفي الدين ان يحصر مع الملفق غيره من انواع الجناس في بيت واحد لما تقدم من صعوبة مسلكه وهو عزيز الوقوع ولكن لهم ونق وموقع في الذوق لطلاوة تركيبه وغرابة اسلوبه وبيت الشيخ صفي الدين في غاية الرقة والانسجام غير ان التعريف حكم عليه فصار مشوشا والمشوش كل جنس تجاذبه طرفان من الصنعة فلا يمكن اطلاق احدهما على الآخر وبيت صفي الدين تجاذبه المحرف والملفق انتهى وبيت الشيخ عز الدين

ملفق ظاهر سري وشان دمي * لما جرى من عيوني اذ وشى ندمي

هذا البيت فيه الجناس الملفق على الصنعة وتسميته على الشروط المذكورة ولكن عجزت لمقادة تركيبه عن الطيران باجنحة الفهم لا احوم له على معنى وتطرت بعد ذلك في شرحه فوجدته قد قال ان لفظة ملفق صفة للجار والمجرور في قوله في سلي وسل مارکبت بشذا يعني ان الشذا الذي أطلقته سلي امام الحي كان ملفقا وبيتي المسؤل له من الله السلامة

ورمت تلفيق صبري كي أرى قدمي * يسعى معي فسعى لكن أراق دمي

والكلام في رقة قولي ورمت تلفيق صبري الخ البيت انما وقع من أصحاب الغراميات لا من أصحاب البديعيات وقد تقدم قولي ان الفرقة الناجيه من التعسف والتكلف في النظم لم ترض بالجناس اذا امكنت التورية وقال المقر المرحومي الفخري في التورية التي سماها جناسا ملفقا

ان الهوا ابن يامعشوق قد عبثا * بالروح والجسم في سري وفي علني

فالروح تفديك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور فيك فني (في كفني)

وانشدني من لفظه لنفسه علامة عصره الشيخ بدر الدين الدماميني

تدرى لماذا أتاك قلبي * في عسكر الوجد وهو تائب

اذنب ثم اختشى فوافى * من ذلك الذنب فيك ثائب (في كتائب)

داره وهذا بعد رقعة كتبناها واحوال انس نظمناها فلما أخذنا الحظ عينه سقانا الدردي من أول دنه وأجنانا سوء العشرة من باكورة فنه من طرف نظر بشطره وقيام دفع في صدره وصديق استهان بقدره وضيف استخف بأمره لكنا قطعناه جانب أخلاقه وولیناه خطة رأيه وقاربناه اذ جانب وواصلناه اذ جاذب وشربناه على كدورته ولبسناه على خشونته ورددنا الامر في ذلك الى زي استغشه ولباس استرثه وكاتبناه نستقد وداده ونسل قياده ونستميل فؤاده ونقيم مناآده بما هذا نسخته

(بسم الله الرحمن الرحيم) الاستاذ أبو بكر والله يطيل بقاءه ازرى بضيفه أن وجده يضرب اليه آباط القلة في أطمار الغربة فأعمل في رتبته أنواع المصارفة وفي الاهتزاز اليه أنواع المضايقة من ايماء بنصف الطرف واشارة

وأنشدني من لفظه لنفسه الكريمة احد أعيان العصر ابن مكانس

كمال أوصافي يامنيتي * في الحب أن اصبحت مثل الخلال
وملت من سكر الهوى نشوة * فارحم معنى مغرما فيك مال (في كمال)

ومن قطعي في هذا النوع الغريب

رأت حياة شبابي قد قضت اجلا * والسقم قد زاد لما قل مصطبري
قالت سرقت نحول الخصر قلت لها * ما يعمل الشيخ هذا وهو في كبر (فيك بري)

انتهى والله عز وجل أعلم

(المذيل واللاحق)

* (وذيل الهم هل الدمع لي يجري * كلاحق الغيث حيث الارض في ضرم) *

المذيل اختلف جماعة المؤلفين في اسمه ولم يتقرر له أحسن من هذه التسمية فان فيها مطابقة للمسمى وماذاك الا أن المذيل هو ما زاد احد ركنيه على الآخر حرفا في آخره فصار له كالذيل وهو الفرق بينه وبين المطرف ويأتي الكلام على المطرف في موضعه فالمذيل كقول كعب بن زهير

ولقد علمت وأنت خير علية * أن لا يقربني الهوى لهوان

وما الطف من قال

وسألتها باشارة عن حالها * وعلي فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان فزال عنه النون

ومنه قول أبي تمام

يمدون من أيد عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضب

وقال آخر

عذيري من دهر موار موارب * له حسنات كلهن ذنوب

ومن النثر فلان حام حامل لأعباء الامور كاف كافل لمصالح الجمهور ومثله فلان سال عن اخوانه سالم من زمانه * ومن غرائب البهاء زهير في الجناس المذيل قوله من قصيدة

أشكو وأشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر
طرفي وطرف النجم فيك كلاهما ساه وساهر

وأوضح مما نحن فيه قوله منها

يا ليل بدرك حاضر * ياليت بدري كان حاضر
حتى يبان لناظري * من منهما زاه وزاهر

وما احلى ما ختم القصيدة بقوله

بدري أرق محاسنا * والفرق مثل الصبح ظاهر

وقد تأتي الزيادة في آخر المذيل بحرفين كقول حسان بن ثابت

وكنا متى يغزو النبي قبيلة * نصل جانبيه بالقنا والقنابل

ومنه قول النابغة

(المذيل واللاحق)

بشطر الكف ودفع صدر القيام عن التمام ومضغ الكلام وتكلف رد السلام وقد قلبت تربيته صغرا واحتملته وزرا واحتضنته نكرا وتأبطته شرا ولم آله عذرا فان المرء بالمال وثياب الجمال ولست في هذه الحال وفي هذه الاسمال أنقز نصف النعال فلو صدقته العتاب وناقشته الحساب لقلت ان بواديتا ناغية صباح وراغية رواح وناسا يجرون المطارف ولا يمنعون المعارف (شعر)

وفيهم مقامات حسان وجوههم *
وأندية ينتابها القول والفعل

ولو طوحت بأبي بكر أيده الله طوائح الغربة لوجد منال البشر قريبا ومحط الرحل رحيبا ووجه المضيف خصيبا ورأى الاستاذ أبي بكر في الوقوف في هذا العتاب الذي معناه ود والمر الذي يتلوه شهد موفق ان شاء الله تعالى

لها نارجن بعد انس تحولوا * وزال بهم صرف النوى والنوائب

ومنه فى رثاه قوله

فيالله من حزم وعزم طواهما * جديد الردى تحت الصفا والصفائح

وارق ما سمعته فى هذا الباب قول القائل

ان البكا هو الشفا * من الجوى بين الجوانح

انتهى الكلام على الجناس المذيل وأما اللاحق فقد قال من فرق بينه و بين المضارع والمراد بالمضارع هنا المشابه والفرق بينهما دقيق فان اللاحق هنا ما ابدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه ومتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه سمى مضارعا وان كان قريبا منه كان مضارعا أيضا وانا اذكر شاهد كل منهما فان الفرق بينهما يدق عن كثير من الافهام ولم يساعده على ظلمة شكه غير ضياء الحسن والمضارع هو المتشابه فى المخرج كقوله تعالى وهو الى الغاية التى لاتدرك وهم ينهون عنه وينأون عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ومثله قول بعضهم البرايا أهداف البلايا ومن النظم قول الشريف الرضى رحمه الله

لايذكر الرمل الاحن مغترب * له الى الرمل أوطار وأوطان

فاللام والراء والنون من مخرج واحد عند قطرب والجرمى وابن دريد والفراء قال بعض أهل الادب فى كتاب راش سهامه بالعقوق ولوى ماله عن الحقوق فالعين والحاء من مخرج واحد ويعجبنى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى هذا الباب

رق النسيم كرقتى من بعدكم * فكأننا فى حبكم نتغاير

ووعدت بالسلوان واش عابكم * فكأننا فى كذبنا نتخاير

فالغين والخاء من مخرج واحد انتهى الكلام على المضارع ومقاربه فى مخارج حروفه على الابدال واللاحق قد تقدم انه ما ابدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه كقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وكتب بعضهم فى جواب رسالة وصل كتابك فتناولته باليمين ووضعته مكان العقد الثمين ومن النظم قول البحترى وأجاد الى الغاية

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـ * ـراف تلقى منازل الاشراف

وقعودى عن التقلب والار * ض لمثلى رحيبة الاكناف

ليس عن ثروة بلغت مداها * غير أنى امرؤ كفانى كفافى

فكفانى وكفافى هو اللاحق الذى لايلحق * وهنا نكتة لطيفة تؤيد قول البحترى فى بيته الاول وهو

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـ * ـراف تلقى منازل الاشراف

قيل لبعضهم فى أى موضع فى القرآن الاطراف منازل الاشراف فقال فى قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين فهذا أشرفهم وكان صلى الله عليه وسلم ينزل من أقصى المدينة والاطراف والاشراف مما نحن فيه * وما أحلى قول أبى

* (فأجاب بما نسخته) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

وصلت رقعة سيدى ومولاى ورئيسى أطال الله بقاءه الى آخر السكاج وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ومؤلم عتبه وعتابه وصرفت ذلك منه الى الضجر الذى لايخلو منه من مسه عسر ونبابه دهر والحمد لله الذى جعلنى موضع انسه ومظنة مشتكى ما فى نفسه اما ماشكاه سيدى ورئيسى من مضايقتى اياه فى القيام فقد وفيته حقه أيده الله سلاما وقياما على قدر ما قدرت عليه ووصلت اليه ولم أرفع عليه الا السيد أبا البركات العلوى أدام الله عزه وما كنت لارفع أحدا على من جده الرسول وامه البتول وشاهداه التوراة والانجيل وناصراه التأويل والتنزيل والبشير به جبريل وميكائيل فاما القوم الذين صدر سيدى عنهم فكما وصف حسن عشرة وسداد طريقة وكمال

هلال العسكري في اللاحق

اراعي تحت حاشية الدياجي * شقائق وجنة سقيت مداما
وان ذكرت لواحظ مقلتيه * حسبت قلوبنا مطرت سهاما
وان مالت بعطفيه شمول * سقانا من شمائله سقاما

انتهى الكلام على الجناس اللاحق والفرق بينه وبين المضارع ومن الناس من يسمي كل ما اختلف بحرف تجنيس التصريف سواء كان من المخرج أو من غيره ولكن رأيت استجلاء الفرق أنور ولا يشترط ان يكون الابدال في الاول ولا في الوسط ولا في الآخر فان جل القصد الابدال كيفما اتفق وبيت الشيخ صفي الدين يشتمل على المذيل واللاحق وهو

أبيت والدمع هام هامل سرب * والجسم في اضم لحم على وضم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

يذيل الدمع جار جارح بأذى * كلاحق ماحق الآثار في الاكم

قال شيخنا الشيخ شمس الدين الهيتي وقد تقدمت ترجمته لما أنشدته هذا البيت والذي قبله بعد حفظي لهما من المصنف بجملة لو عزا أحد هذين البيتين الى الجان ما شككت في قوله وبيت بديعيتي

وذيل الهم همل الدمع لي بجرى * كلاحق الغيث حيث الارض في ضرم

فالمذيل في هم وهمل واللاحق في غيث وحيث

(التام والمطرف)

*(يا سعد ما تم لي سعد بطرف فتى * يفري بهم وقليل الحظ لم يلم)*

أما الجناس التام فهو ما تماثل ركناه واتفقا لفظا واختلفا معنى من غير تفاوت في تصحيح تركيبهما واختلاف حركتهما سواء كانا من اسمين أو من فعلين أو من اسم وفعل فانهم قالوا اذا انتظم ركناه من نوع واحد كاسمين أو فعلين سمي مماثلا وان انتظما من نوعين كاسم وفعل سمي مستوفى وجل القصد تماثل الركنين في اللفظ والخط والحركة واختلافهما في المعنى سواء كانا من اسمين أو من غير ذلك فان المراد أن يكون الجناس تاما على الصفة المذكورة من حيث هو أكمل الانواع ابداعا وأعلاها رتبة وأولها في الترتيب فمنه قول الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه صولة الباطل ساعة وصولة الحق الى الساعة وقيل ما وقع في القرآن العظيم غير هذين الركنين وهو قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ولكن استخرج ابن حجر من القرآن جناسا آخر تاما عظيما وهو قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار * ومن الشعر قول بعضهم وأجاد

وسميته يحيى ليحيى فلم يكن * الى رد امر الله فيه سبيل

ومن ملح هذا النوع قول ابن الرومي

للسود في السود آثار تركن بها * وقعا من البيض يثني أعين البيض

ومثله قول أبي الفتح البستي

فهمت كتابك يا سيدي فهمت ولا عجب ان أهيم

(هامش)

تفصيل وجملة ولقد جاذبتهم فاحمدت المراد ونلت المراد
فان كنت قد فارقت نجدا وأهله
فما عهد نجد عندنا بذميم
والله يعلم نيتي للاخوان كافة ولسيدي من بينهم خاصة
فان أعانني الدهر على ما في نفسي بلغت اليه ما في الفكرة

(التام والمطرف)

وجاوزت مسافة القدرة وان قطع على طريق مشرفي بالمعارضة وسوء المؤاخذة صرفت عناني عن طريق الاختيار بيد الاضطرار فما النفس الا نطفة بقرارة اذا لم تكدر كان صفوا معينها وبعد فجد عتاب سيدي اذا لسترحينا عتبا واقترفنا ذنبا فاما أن يسلفنا

٢ قوله سواء كانا الخ المناسب حذف من وكذا فيما بعد

أما ابو الفتح فانه نابر على استعمال الجناس كثيرا ولكن ما أعلم انه نظم أحسن من هذا البيت وقد تجمل به نوع الجناس وكاد ان يكون تورية * وما أحسن قول المعرى فيه واحشمه

لم نلق غيرك انسانا يلاذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

ومطلع الشيخ صفى الدين فى قصيدته البائية التى عارض بها المتنبى وامتدح بها السلطان الملك الناصر سقى الله عهده حسن فى هذا الباب وهو

اسبلن من فوق النهود ذوائبا * فتركن حبات القلوب ذوائبا

ومن محاسنها

عاتبته فتضرجت وجناته * وازور ألحاظا وقطب حاجبا

فأذابنى الخد الكليم وطرفه * ذو النون اذ ذهب الغداة مغاضبا

ومطلع قصيدة ابن نباتة التى امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة غاية فى هذا النوع وقد عارض أبا الطيب المتنبى ولكن أتى فيها بما لو سمعه ابو العلا لرجع عن ديوان احمد واقر بمعجزات محمد فمطلع المتنبى

ارق على ارق ومثلى يأرق * وجوى يزيد وعبرة تترقرق

ومطلع ابن نباتة

ما بت فيك بدمع عينى اشرق * الا وأنت من الغزالة اشرق

ولاجل اطنابى فى هذه القصيدة تعين ايرادى من محاسنها هنا * فمنها

انفقت عينى فى البكاء وحبذا * عين على مرأى جمالك تنفق

وتكاثرت فى الجفن انجم ادمعى * فكأن غرب الجفن منى مشرق

واخافنى فيك العذول وما درى * أنى بجورك فى الهوى اتشوق

قسما بمن جعل الاسى بك لذة * والدمع راحة من يحب ويعشق

ان العذول هو الغبى وان من * يخشى عليك حياته لموفق

لى من نصيب هوالسهم وافر * وسهام سحر من جفونك ترشق

يمتار من دمعى عليك ذو البكا * فاعجب له من سائل يتصدق

ولقد سقيت بكاس فيك مدامة * فى غيظ عذالى عليك فلا سقوا

وضممت من عطفيك غصن ملاحة * بالحلى يزهر والغلائل يورق

وقرأت من خديك بعد تأمل * خطا به حب القلوب معلق

ورزقت من جفنيك ما حسد الورى * حظى عليه وهو رزق ضيق

ونعمت باللذات وهى جديدة * ولبست ثوب الراح وهو معتق

فى ليل أفراح كأن هلاله * للشرب ما بين الندامى زورق

حتى استطال الفجر يطعن فى الدجى * فهو السنان أو العدو الازرق

ياحبذا ليل نبيع به الكرى * لكننا لاعن رضا نتفرق

حيث الشباب الى المسير قد اركض * لايستقر وطالب لايرفق

ما سرنى أن الكميت بجنبها * نحوى السقاة وأن فودى ابلق

العربية فمن نصونه عن ذلك ونصون أنفسنا عن احتماله ولست أسومه أن يقول استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ولكنى اسأله أن يقول لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فحين ورد الجواب وعين العذر رائدة تركناه بعزه وطويناه على غره وعمدنا الذكره فسحوناه عن صحيفتنا ومحوناه وصرنا الى اسمه فأخذناه ونبذناه وتركنا خطته وتجنبنا خلطته فلا نطرنا اليه ولا نطرنا به ومضى على ذلك الاسبوع ودبت الايام ودرجت الليالى وتطاولت المدة وتصرم الشهر وصرنا لانعير السماع ذكره ولانودع الصدور حديثه وجعل هذا الفاضل يستزيد ويستعيد بالفاظ تقطعها الاسماع من لسانه وتوردها الى وكلام تحفظه الالسنة من فيه وتعيده على فكاتبناه بما هذه نسخته

(بسم الله الرحمن الرحيم) أنا أرد من الاستاذ سيدى

زار الغضا ونأى الحبيب وجادنى ✽ ارق على ارق ومثلى يأرق

والعذر عن طول ما أوردته واضح لغرابة اسلوبها غزلا ومدحا ومنها فى المدح

قوم اذا كراهم على صحف العلا ✽ أصل الفخار وكل ذ كر ملحق

الملك بعض ديارهم فلينزلوا ✽ والنجم بعض جدودهم فليرتقوا

ان يسمع الدين الحنيف بجدهم ✽ فلأنه بأبي الفتوح مطوق

أو يبق ماضيهم على سنن الوفا ✽ فلأنهم يبقاه أفضلهم بقوا

ملأت مواهبه القلوب مهابة ✽ فالقلب قبل الطرف فيها مطرق

وكأنما اقلامه بسوادها ✽ غربان بين فى الخزائن تنعق

لاعيب فيه سوى العزائم قصرت ✽ عنها الكواكب وهى بعد تحلق

منها

يا أيها الملك المكمل فضله ✽ وقيت من حدق الملك تحدق

وبقيت للمداح تجلب عيسهم ✽ جلبا بغير بلاد كم لا ينفق

اذ كرتنا زمن المؤيد لاعدت ✽ مثواه باكية الغمامة تشهق

حتى تجر به ذيول حديقة ✽ اكمامها بيد النسيم تفتق

منها

وبديعة كالروض الا انها ✽ تجلى بجارحة السماع وتنشق

نظمتها عقدا بدون مثاله ✽ فى النظم شاب من الوليد المفرق

لافضل لى فيها وبحرك قاذف ✽ درر الصفاء يقول للناس أنفقوا

من عش بيتك قد درجت فطار لى ✽ فى الخافقين جناح ذكرك يخفق

ولكم علقت من القريض صناعة ✽ ما كنت لولا كم بها أتعلق

لكم الولا منى لأن نداكم ✽ فى كل حادثة لقـرى يعتق

ومن مطالعى فى الجناس التام قولى

ياطيب الاخبار يا ريح الصبا ✽ يا من اليه كل قلب قد صبا

وهذه القصيدة كتبتها من القاهرة المحروسة سنة اثنتين وثمانمائة الى القاضى ناج الدين بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف تشوقا اليه والى حماة المحروسة وقلت بعد المطلع أخاطب النسيم بما هو ارق منه

ياصادق الانفاس يا أهل الذكا ✽ ياطاهر الاذيال كم لك من نبا

يامن نراه عبارة عن حاجر ✽ ياروح نجد مرحبا بك مرحبا

يانسمة الخبر الذى من طيبه ✽ تتنشق الاخبار عن تلك الربا

بالله ان رفعت ذيلك بالحمى ✽ ووردت شعبا من دموعى معشبا

وهززت فيه كل عود أراكة ✽ اضحى بها تيك النغور مطيبا

ولثمت من ثغر الاقاحى مبسما ✽ أبدى بدر الطل ثغرا أشنبا

ودخلت كل خباء زهر قد غدا ✽ بدموع أجفان الغمام مطنبا

أطال الله بقاءه شرعة وده وان لم تصف وألبس خلعة بره وان لم تضف وقصارای أن اكمله صاحا عن مد وان كنت فى الادب دعى النسب ضعيف السبب ضيق المضطرب سيئ المنقلب أمت الى عشرة أهله بثقة وانزع الى خدمة أصحابه بطريقة ولكن بقى أن يكون الخليط منصفا فى الوداد ان زرت زار وان عدت عاد وسيدى أطال الله بقاءه ناقشنى فى الحساب القبول أولا وصارفنى فى الاقبال ثانيا فاما حديث الاستقبال وأمر الانزال والانزال فنطاق الطمع ضيق عنه غير متسع لتوقعه منه وبعد فكلفة الفضل بينة وفروض الود متعينة وارض العشرة لينة وطرقها هينة فلم اختار قعود التعالى مركبا وصعود التغالى مذهبا وهلا ذاد الطير عن شجر العشرة وذاق الحلو من ثمرها فقد علم الله أن

وطرقت حي العامرية ظامئا * فنعمت في الوادي برياز يغبا
وحملت من نشر الخزامى نفحة * مشمولة بالطيب من ذاك الخبا
عج بالعذيب فان محجر عينه * أضحى لما حملته مترقبا
واصحب عبير المسك منه فانه * لشوارد الغزلان أضحى مشربا
واذا تنسمت الشذا وتعطرت * منك الذيول وطبت ياريح الصبا
عرج على وادي حماة بسحرة * متيمما منه صعيدا طيبا
واحمل لنا في طي بردك نشره * فبغير ذاك الطيب لن نتطيبا
وأسرع الى وداوي في مصربه * قلبا على نار البعاد مقلبا
تمذاك السفح والوادي الذي * مازال روض الانس فيه مخصبا
وانعم بعصر نسبناك كن أرى * وادي حماة ولطفه لي أنسبا
أرض رضعت بها ثدى شبيبتي * ومزجت لذاتي بكاسات الصبا
ياساكني مغنى حماة وحقكم * من بعدكم ماذقت عيشا طيبا
ومهالك الحرمان تمنع عبدكم * من أن ينال من التلاقي مطلبا
واذا اشتهيت السير نحو دياركم * قرأ النوى لي في الاواخر من سبا
وقد التفت اليك يادهري بطو * ل تعتبي ويحق لي أن أعتبا
قررت لي طول الشتات وظيفة * وجعلت دمعي في الخدود مرتبا
وأسرتني لكن بحق محمد * يادهر كن في مخلصي متسببا
محمد ومدينة قد حلها * لم ألق غيرهما اقلبي مطلبا
مولى اذا قصد الزمان بمحنه * خفضي غدا عن رفع قدري معربا
ذو رتبة نصب السعود بيوتها * من فوق هام الفرقدين وطنبا
وفضائل أمست على حلل العلو * م برقمها الزاهي طرازا مذهبا
وكتابة منسوبة لكن الى * عين الكمال وحقها أن تنسبا
واذا تسنم ذروة من منبر * لخطابة فابن الخطيب هنا هبا
من بيت فضل قد علت طبقاته * وأراه للعلم الشريف مبوبا
واذا وقفت لحاجة في بابه * تلقاه بابا للنجاح مجربا
ياكاتب الاسرار يامن فضله * قد جمل الدنيا وزان المنصبا
اقلامك السمر الرشاق اذا انثنت * أغنت نهار الخطب عن بيض الظبا
سود العيون كأنما الحاظها * قد كحلت بسواد احداق الظبا
لكن الى وجه الطروس اذا رنت * ابدت لنا سحرا حلالا طيبا
وسرى نسيم الذوق في قصباتها * فغدا بها بين الانام مشببا
فلاجل ذا ان رجحت أقوالها * لم نلق الامر قصا أومطربا

رجع الى ما كنا فيه من الجناس التام * ومن نظمي فيه أيضا مع زيادة التورية

طلبت تقبيله من احب وقد * انكرت في الخد نقطة حسنه

شوقي اليه مقد كدالفؤاد برحا الى برح ونكأه قرحا على قرح ولكنها مرتمرة ونفس حرة لم تقصد الا بالاعظام ولم تلق الا بالاجلال واذا استعفاني من معاتبته وأعفى نفسه من كلف الفضل يتجشمها فليس الاغصص الشوق أتجرعها وحلل الصبر أتدرعها ولم أغره من نفسي فانا لو اعرت جناح طائر لما طرت الا اليه ولا وقعت الا عليه. وبقينا نلتقي خيلا ونقنع بالذكر وصلا حتى جعلت عواصفه تهب وعقاربه تدب وهو لايرضى بالتعريض حتى يصرح ولا يقنع بالنفاق حتى يعلن وأفضت الحال به وبشامعه الى أن قال لو أن بهذا البلد رجلا تأخذه أريحية الكرم وتملكه هزة الهمم يجمع بيني وبين فلان يعنيني فلما وردت عليه الرقعة

فسرق لي قلبه وقال اذا * لثمت خدي لاتنكر الحسنه

انتهى الكلام على الجناس التام وقد تقدم قولي ان جميع من نهلت من شرابهم الصافي لم يرضوا بالجناس التام اذا أمكن استدراك التورية من ركنيه لعلهم بعلو رتبتها عنه والتفات الاذواق الصحيحة السليمة الى حسن موقعها واذا راجعت النظر في كلامهم وجدت غالب مانظموه من التورية جناسا تاما فن ذلك قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل من دوبيت

كم قال معاطفي حكتها الاسل * والبيض سرقن ماحوته المقل

والآن أوامري عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

ففي تحد وتعتقل جناسان تامان اذا أبطلت الاشتراك وأبرزت كلا من الركنين في موضعه على طريق من له رغبة في الجناس ومثله قول محيي الدين بن عبد الظاهر في كوز

وذي أذن بلا سمع * له قلب بلا قلب

اذا استولى على حب * فقل ماشئت في الصب

ومثله قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهي اللمى أحوى المراشف أشنبا

وقالوا بدا حب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الى محببا

ومثله قول الشيخ شرف الدين الانصاري شيخ شيوخ حماة

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملني بما يحلو وتلوي * ولكن ليس في جوفي مراره

ومثله قول الشيخ ظهير الدين البارزي سقى الله ثراه

يا حمة الحب التي * طال اليها تلفتي

هل أنت مسك الترك أو * هل أنت مسك تبتي

ومثله قول الشيخ علاء الدين الوداعي

أثخنت عينها الجراح ولا اثم عليها لانها نعساء

زاد في عشقها جنوني فقالوا * مابه قلت انه بي سوداء

ومثله قول لسان الدين بن الخطيب

جلس المولى لتسليم الورى * ولفصل البرد في الجو احتكام

فاذا ما سألوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

ومثله قول الشيخ سراج الدين الوراق فيمن بخل بالراح والتورية ثلاثية وهو

لاتطمعن براحة من معشر * سادوا بغير مآثر السادات

قطعت عن المعروف أيديهم وقد * سرقوا العلا فخلت من الراحات

ومثله قول نصير الدين الحمامي

لي منزل معروفه * ينهل غيثا كالسحب

اقبل ذا العذر به * واقبل الجار الجنب

ومثله قول شهاب الدين الحاجبي

حشمر قلامسه نه وخدمه وزمّ عن الجواب قلمه وجشم الايجاف قدمه وطلع مع الفجر علينا طلوعه ونظمنا حاشيتاد أر الامام أبي الطيب فقلت الآن تشرق الحشمة وتنور وتنجد في الفضل وتغور وقصدناه شاكرين لأناه فانتظرنا عادة بره وتوقعنا مادة فضله فكان خلبا شمناه وآلا وردناه وصرفنا الامر في تأخره وتأخرنا عنه الى ماقاله ابن المعتز

أنا على البعاد والتفرق
لنلتقي بالذكر ان لم نلتق

وأنشدنا قول ابن عصرنا أبي الطيب

أحبك ياشمس البلاد وبدرها
وان لامني فيك السها والفراقد
وذاك لان الفضل عندك باهر
وليس لان العيش عندك بارد

وقول آخر وقد أحسن وزاد

أحبك في البتول وفي ابيها
ولكني أحبك من بعيد

ثم رأى اذا انجلى الغبار
أفرس تحتي أم حمار

له عين لها غزل وغزو * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

ومثله قول ابن الوردي

قالت اذا كنت ترجو * وصلي وتخشى نفوري
صف ورد خدي والا * أجور نادبت جوري

ومثله قول ابن الصائغ

هجرت فاحشاني لذاك توقدت * جمرا ولست في المحبة فاتره
هذا وتحرمني التقبيل في الهوى * من ذا الذي يرضى بنار الهاجره

ومثله قول ابن نباتة في الملك المؤيد صاحب حماة

لنا ملك قد قاسمتنا هباته * فنثر العطا منه ونظم الثنا منا
يذكرنا أخبار معن بجوده * ونثني له لفظا فيثني لنا معنى

ومثله قوله وهو أعدل شاهد في هذا الباب

دمعي عليك مجانس قلبي * فانظر على الحالين في الصب

فذكر الجانس هنا أحد لازمي التورية والدمع هو اللازم الآخر وقد نبهنا الشيخ جمال الدين على أنه لم يرض بالجناس ويؤيد ذلك قوله على الحالين ومنه قول القيراطي

أباح لي نرجس ألحاظه * في مجلس مافيه ما ننكره
فقلت ورد الخد حل لي به * أيضا فقال الكل في الحضره

ومثله قول بدر الدين بن الصاحب

فتنت ببنت من عوارض خده * فها أنا في قيد الغرام أسير
وما كان لي بالعشق قط تعلق * ولا بالهوى قبل العذار شعور

ومثله قول صلاح الدين الصفدي

ان لم تصدقني تصدق بالكرى * ليزورني فيه الخيال الزائل
وانظر الى فقري لوصلك واغتنم * أجري وقل للدمع قف ياسائل

ومثله قول ابن أبي حجلة

ياصاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

وما أظرف قول يحيى الخباز الحموي

أصبحت في العالم أعجوبة * عند ذوي المعقول والفهم
جدي حموي فاسمعوا واعجبوا * وما كفى حتى ابي امي

ومثله قول المعمار

قد بت من كربي افقد النسا * أفور كالتنور من نار به
وقد طغى الماء فمن لي بأن * أحمل بالجود على جاريه

ومثله قول الشيخ شرف الدين حسن المشهور بالزغاري

وعلم يقينا أيننا يبرز خلابه عقوا وأيننا يغادر في المكر ويود فلان بوسطاه بل بعناه لو رحلنا وقلنا في المناخ له ثم الى كلمات تعدو هذا الحذو وتنحو هذا النحو وألفاظ أتتنا من عل وكلن من جوابنا ان قلنا بعد الوعيد يذهب بالبيد وقلنا الصدق ينبئ عنك لا الوعيد وقلنا ان أجرأ الناس على الاسد اكثرهم رؤية له وقد قال بعض أصحابنا قلت لفلان لا تناظر فلانا فانه يغلبك فقال أمثلي يغلب وعندي دفتر مجلد ووجدنا عندنا دفاتر مجلده وأجزاء مجوده وأنشدناه قول جحل بن نضله

جاء شقيق عارضا رمحه
ان بني عمك فيهم رماح
بل أحدث الدهر بنا نكبة
أم بل رقت أم شقيق سلاح

وقلنا انا نقتحم الخطب ونتوسط الحرب فنردها مقحمين ونصدرها بلغاء

وألسنتنا قبل النزال قصيرة
ولكنها بعد النزال طوال

قيل لى اذا رأيت أقمار تم * عن بدور السماء للطرف تلهى
أى وجه أضناك قلت دعونى * فسقامى قد صح من كل وجه

ومثله قول عز الدين الموصلى

حديث عذار الحب باد وساقه * له أوجه تبدى لقلبى اشتياقه
درى انتى أصغى الى الحسن دائما * فابدى لنا ذا الحديث وساقه

ومثله قول ابن مكانس

يقول معذبى اذهمت فيه * بخد خلت فيه الشعر غلا
أتعرف خده للعشق أهلا * فقلت له نعم أهلا وسهلا

وأنشدنى من لفظه لنفسه بقية السلف ومن كان للفروع النباتية نعم الخلف الشيخ زين الدين أبو بكر بن العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بالديار المصرية وقد تمثلت بين يديه بالقاهرة المحروسة سنة احدى وثمانمائة وطالبته بشئ من لفظه فى المواليا فانه كان امام فنونه المتشعبة فقال

للحب قالوا معناك الذى اذبلتو * جدلو بقبله فقلبو فيك خبلتو
فقال اقسم لوان البوس سبلتو * ومات للشرق مادرتو وقبلتو

ومنه قول ابن خطيب داريا

تقول وقد أتتنى ذات يوم * مخبرة عن الطبى الجموح
يسرك ان أروح اليه أجرى * فقلت لها خذى مالى وروحى

ومنه قول بدر الدين الدماميني

قم بنا نركب طرف الـ * ـلهو وسبقا للمدام
واثنيا صاح عنانى * لكميت ولجام

ومثله قول ابن حجر

سالوا عن عاشق فى * قمر باد سناه
اسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

ومثله قولى

عاتبته ودموعى غير جارية * لأن دمعى من طول البكا نشفا
فقال لم أر وكف الدمع قلت له * حسبيك الله يا بدر الدجى وكفا

ولم استطرد الى هذا الا لتأييد قولى ان جميع من نسجت على منوالهم لم يرضوا بالجناس التام اذا أمكنت التورية التامة وصبح الفرق بينهما بحمد الله ظاهر وبدر مثاله فى ليالى السطور سافر انتهى ما أوردته من محاسن التورية التامة ووجوب تقديمها على الجناس التام اذا كان عند الناظم يقظة وكان ممن يميل الى هذا المذهب واما الجناس المطرف فهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا فى طرفه الاول وهذا هو الفرق بينه وبين المذيل فان الزيادة فى المذيل تكون فى آخره واما المطرف فتكون زيادته فى أوله لتصيرله كالطرف ويسمى الناقص والمردف وفى تسميته اختلاف كثير ولكن مطابقة المطرف فى التسمية طرفة كقوله

فأرضك ارضك ان تأتنا
تنم نومة ليس فيها حلم
فمن ظن أن سيلاقى الحروب
وان لا يصاب فقد ظن عجزا
فانك متى شئت لقيت منا
خصما ضخما يهشك قضما
ويأكلك خضما وحثثناه
على الاخذ بأدب الله من
قوله والصلح خير وان جنحوا
للسلم فاجنح لها وأنشدناه
قول القائل
السلم تأخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من أنفاسها
جرع
(وقلنا له)
نصحتك فالتمس يا ويك غيرى
طعاما ان لحمى كان مرا
الم يبلغك ما فعلت ظباه
بكاظمة غداة ضربت عمرا
وجعل الشيطان يثقل بذلك
أجفان طرفه ويقيم به
شعرات أنفه
وحتى ظن ان الغش نصحى
وخالفنى كأنى قلت هجرا
واتفق ان السيد أبا على
نشط للجمع بينى وبينه فدعانى
فأجبت ثم عرض على حضور

قوله حرفا المناسب ان يزيد
أو حرفين بدليل غسليه

تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق والزيادة تارة تكون فى أول الركن الثانى كما تقدم وتارة فى أول الركن الاول كقول أبى الفتح البستى

أبا العباس لا تحسب بانى * بشئ من حلى الاشعار عارى
فلى طبع كسلسال معين * زلال من ذرى الاحجار جارى
اذا ما اكبت الادوار زندا * فلى زند على الادوار وارى

ومثله

وكم سبقت منه الى عوارف * ثنائى على تلك العوارف وارف
وكم غرر من بره ولطائف * فشكرى على تلك اللطائف طائف

ومثله قول القائل

قام يسعى مابين شرب أعزه * من بنى الترك أغيد فيه عزه

وقصيدة هذا المطلع رأيتها فى بعض التذاكر بخط الشهاب محمود ولم أعرف لها ناظما وأعجبنى فيها أبيات منها

يقظ ما يشير طرف اليه * بمرام الاو يعرف رمزه
كلما تفعل الصوارم تغنى * عنه الحاظه المراض بغمزه

ومن نظم ابن نباتة الذى جعله نقشا

عطفت كامثال القسى حواجبا * فرمت غداة البين قلبا واجبا

ومثله قولى

والله ماهب النسيم بحاجر * الا ترقرق مدمعى بمحاجرى

انتهى الكلام على الجناس التام والمطرف وهما فى بيت البديعية ظاهران وبيت صفى الدين الحلى قوله

من شأنه حمل اعباء الهوى كمدا * اذا همى شأنه بالدمع لم يلم

وبيت عز الدين الموصلى

مذتم للعين انس حين طرفها * مرأى الحبيب بذل العين لم يلم

وبيتى

باسعد ماتم لى سعد بطرفى * بقربهم وقليل الحظ لم يلم

وللمتأمل ان يستحلى ويستجلى ما يظهر فى مرآة ذوقه ولا يميل عن جادة الانصاف

(المصحف والمحرف)

*(هل من بنى وبقى ان صحفوا عذلى * وحرفوا وأتوا بالكلم فى الكلم)*

بنى وبقى فيهما جناس التصحيف ومنهم من يسميه جناس الخط وهو ما تماثل ركناه خطا واختلفا لفظا والمقدم فى هذا قوله تعالى والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه قصر ثوبك فانه انقى وأتقى وأبقى وقول النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلا ينشد على سبيل الافتخار وقيل سأله عن نسبه فقال

انى امرؤ حميرى حين تنسبنى * لامن ربيعة آبائى ولا مضر

أبى بكر فطلبت ذلك وقلت هذه عدة كنت أستنجزها وفرصة لا أزال انتهزها فتجشم السيد أبو الحسين وكاتبه يستدعيه فاعتذر أبو بكر بعذر فى التأخر فقلت لولا كرامة للدهر أن نقعد تحت حكمه أو نقبل خسف ظلمه ولا عزازة للعوائق أن تضيعنا ولا نضيعها وتعيقنا ولا ندفعها وكاتبته أنا أشحذ عزيمته على البدار وألوى رأيه عن الاعتذار وأعرفه ما فى ذلك من ظنون تشتبه وتهم تتجه وتصاوير تختلف واعتقادات تختلف وقدنا اليه مركوبا بالسكون قد ألزمناه اللجم وأعطيناه الراحلة فجاءنا فى طبقة اف وعدد ثف كل بغيض قد اصبح وانفه خمسة أشبار مع أرباب عاهات وأصحاب

(المصحف والمحرف)

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك والله الأم لحدك وأقل لحدك ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كنت تاجرا ما اخترت غير العطران فانى ان فاتنى ربحه لم تفتنى ريحه ومنه قول القاضي الفاضل في بعض رسالاته فانتم يا بني أيوب ايديكم آفة انفس الاموال كما ان سيوفكم آفة انفس الابطال فلو ملكتم الدهر لاعطيتم لياليه أداهم وقلدتم بيض أيامه صوارم ووهبتم شموسه واقماره دنانير ودراهم واوقاتكم اعراس ومآتم الاعلى الاموال فهي مآتم والجود خاتم في أيديكم ونقش خاتم نقش في ذلك الخاتم وقال أهل الادب خلف الوعد خلق الوغد والاربعة أركان بغير حشو وهو غاية في هذا الباب ومن النظم قول الشاعر

فان حلوا فليس لهم مقر * وان رحلوا فليس لهم مفر

ومثله قول أبي فراس

من بحر جودك اغترف * وبفضل علمك اعترف

ولم اذكر هنا من جناس التصحيف الا النوع السالم من اختلاف الحركة بالتحريف فانه اذا اجتمع فيه النوعان صار مشوشا كقول الحريري

زينت زينب بقد يقد

فهذا فيه التحريف والتصحيف وقد تقدم ان الركنين اذا تجاذبهما نوعان من التجنيس ولم يخلصا لواحد كان الجناس مشوشا ومثله قول أبي تمام

في حده الحد بين الجد واللعب

ومن المصحف السالم ما كتبت به الى المقر المخدومي فخر الدين بن مكانس في رسالتي التي ذكرت فيها حريق دمشق وهو وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره ولقد كان أهلها في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وضاع من غير تورية بعطره الناسم ومن غراميات البهاء زهير ولطائفه في الجناس المصحف قوله

وليس مشيبا ما ترون بعارضي * فلا تمنعوني ان أهيم وأطربا
وما هو الا نور ثغر لثمته * تعلق في اطراف شعري فالهبا
وأعجبني التجنيس بيني وبينه * فلما تبدى اشنبا رحت اشيبا

وما أظرف قول شمس الدين بن العفيف وقد كنى باحد الركنين عن الآخر وهو

ياذا الذي صد عن محب * فيه أذاب الغرام قلبه
مالك في الهجر من دليل * لكن هذى علوقبه

ولم يطالب فيه بالتشويش لظرافته ولطافته انتهى الكلام على الجناس المصحف واما قولي وحرفوا وأتوا بالكلم في الكلم فهذا جناس التحريف وهو ما اتفق ركناه في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات سواء كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك فان القصد اختلاف الحركات كما تقرر والمقدم فيه وهو الغاية التي لا تدرك قوله تعالى ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ولا يقال ان اللفظين متحدان في المعنى لانهما من الانذار فلا يكون بينهما تجنيس فاختلاف المعنى ظاهر اذ المراد بالاول الفاعلون

جرابانات لاتنال العين منهم الاجبسا وسرحنا الطرف منهم ومنه في احى من است النمر وأعطش من أنف النغر فظننا انه يريد أن يلقى كتيبة أو يهزم دوسرا أو يفل الانكدين أو يرد الوفدين ثم رأينا رجالا جوفا قد حلقوا صوفا فأمنا المعرة ولم نخش المضرة وقنا لمواليه وجلس يحرق أرمه وتمثل ببيت لاتقتضيه الحال

* مرآنا في الحبالة تستبق *

فتركناه على غلوائه حتى اذا نفض ما في راسه وفرغ جعبة وسواسه عطفنا عليه فقلنا يا عافاك الله دعونا لك وغرضنا غير المهاوشه وأستزرناك وقصدنا غير المناوشه فلتهد أضلوعك وليفرخ روعك

* يا مارس رحس لا نريد قتالا *

وما اجتمعنا الا لخير فلتسكن سورتك ولتلن فورتك ولا ترقص لغير طرب ولا تمد لغير سبب وانماذكرناك

وهم الرسل وبالثاني المفعولون وهم الذين وقع عليهم الانذار وقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي ومثله قولهم جبة البرد جنة البرد ومثله قولهم رطب الرطب ضرب من الضرب ومنه قول القاضي الفاضل لازالت الملوك ببابه وقوفا والاقدار له سيوفا والخلق له في دار الدنيا ضيوفا ودين دين الحق اذا جردوا لتقاضيه سيوفا سيوفي ومن النظم قول أبي تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

وما أحلى قول أبي العلاء المعري

لغيري زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

ومثله قول ابن الفارض رحمه الله تعالى

هلا نهاك نهاك عن لوم امرئ * لم يلف غير منعم بشقاء

ومثله قول الشيخ عبد العزيز شيخ شيوخ حماة

لعيني كل يوم فيه عبره * تصيرني لاهل العشق عبره

وغاص هو والقاضي الفاضل في هذا البحر وأظهروا من هذا الروي جواهر العقود فمن قصيد شيخ الشيوخ بحماة

اذا غفل الوشاة بعثت دمعي * فيغدو مرسلا من غير فتره
علامة شقوتي في الحب اني * ثقلت عليك لا من طول عشره
سألزم باب خمار الثنايا * ليطلق لي ولو في العمر سكره

وظريف هنا قول الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف من قصيدة

لا جازي حبيب قلبي بظلمه * انا أحق عليه من قلب أمه
جوره مثل عدله عند من يهـ * ـواه مثلي وظلمه مثل ظلمه

وما اظرف قول الصاحب بهاء الدين زهير من غرامياته في هذا النوع

زها ورد خديك لكنه * بغير النواظر لم يقطف
وقد زعموا أنه مضعف * وما علموا أنه مضعفي

وأورد الشيخ كمال الدين الدميري في كتابه المسمى بحياة الحيوان عندما انتهى الى ذكر المها أبياتا تعجبني في هذا الباب أولها تام وآخرها مطرف وباقي الابيات تحريفها تمتزج بالاذواق حلاوته المعتدلة والابيات لجميل بثينة

خليلي ان قالت بثينة ماله * أتانا بلا وعد فقولا لها لها
أتى وهو مشغول لعظم الذي به * ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بثينة تزري بالغزالة في الضحى * اذا برزت لم تبق يوما بها بها
لها مقلة كحلاء نجلاء خلقة * كأن اباها الظبي أو أمها مها
دهتني بود قاتل وهو متلفي * وكم قتلت بالود من ودها دها

ويعجبني قول من قال ان الصديق الصدوق أول العقد وواسطة العقد ومثله قولهم البدعة شرك الشرك وما أحلى قول ابن نباتة

لتملأ المجالس فوائد وتذكر أبياتا شوارد وامثالا فرائد ونباحثك فنسعد بما عندك وتسألنا فتسر بما عندنا ويقف كل واحد منا موقفه من صاحبه وقديما كنت أسمع بحديثك فيعجبني الالتقاء بك والاجتماع معك والآن اذ سهل الله ذلك فهلم الى الادب نتفق يومنا عليه والى الجدل نتجاذب طرفيه فاسمع خبرا واسمعنا مثله ولنبدأ بالفن الذي ملكت به زمانك وفتت به أقرانك وملكت به عنانك وأخذت منه مكانك فطار به اسمك بعد وقوعه وارتفع له ذكرك عقب خضوعه واستخدمت به الرجال حتى اذعن العالم وقلد الجاهل وقالوا قول الصوفية باذهنا كله بخارنا بفرسك وجدلنا بنفسك فقال وما هو فقلت الحفظ ان شئت والنظم ان أردت والنثر ان اخترت والبديهة ان نشطت فهذه أبوابك التي أنت فيها ابن دعواك تملأ منها فاك فاحجم عن الحفظ رأسا ولم

قوامك تحت شعرك ليا آمامه * غدا لك حاملا علم الامامه

ولى مع زيادة التورية

ولما أرانى الشعر وهو مذيل * وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف

بدا بخمار من خمار بريقه * فقلت اهم هذا الجناس المحرف

انتهى الكلام على الجناس المصحف والمحرف وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

من لى بكل غرير من ظبائهم * غزير حسن يداوى الكلم بالكلم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى الحنبلى

هل من تقى نقى حين صحف لى * محرف القول زان الحكم بالحكم

أما التصحيف والتحريف فى هذا البيت فظاهران واما المعنى فالسريرة عند الله وبيتى

هل من يقى وينى ان صحفوا عذلى * وحرفوا وأتوا بالكلم فى الكلم

(ذكر اللفظى والمقلوب)

*(قد فاض دمعى وفاظ القلب اذ سمعا * لفظى عذل ملا لا اسماع بالالم)*

اما اللفظى فهو النوع الذى اذا تماثل ركناه وتجانسا خطا خالف أحدهما الآخر بابدال حرف منه فيه مناسبة لفظية كما يكتب بالضاد والظاء وشاهده قولى فى البيت فاض وفاظ فان الاول من فيض الماء والثانى من التلف وجاء فى هذا النوع من القرآن العظيم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فالاول من النضارة والثانى من النظر والحقوا به ما يكتب بالهاء والتاء كقولهم جبلت القلوب على معاداة المعادات وقيل هو حديث أو بالنون والتنوين كقول الارجانى

وبيض الهند من وجدى هواز * باحدى البيض من علياء هوازن

أو بالالف والنون كقول الشاعر ابن العفيف

أحسن خلق الله وجها وفا * ان لم يكن أحق بالحسن فمن

ولم ينظم هذا النوع غير الصفى وهو قليل جدا وأصعب مسالكه تركيبه بالضاد والظاء لاجل ابدال الحرف الذى فيه المناسبة اللفظية وقد تقدم قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ انه أورد فى شرحه الذى سماه رقم البردة شيئا من محاسن الزجل على هذا النوع البديعى الذى أطلق عنان القلم فى الكلام عليه والزجل فن يتمكن الناظم فيه من المعانى لجولانه فى ميادين الاغصان والخرجات وهو لا يحسن رسمه فى الكتابة الا من عرف اصطلاحه وكان الشيخ علاء الدين بن مقاتل اذا ذكر الزجل كان ابن بجدته وأبا عذرته وممن سلمت اليه مقاليد هذا الفن وأورد الشيخ صلاح الدين الصفدى له نبذة من غرر ازجاله فى تذكرته وتاريخه تغنى عن الاكثار فى ترجمته وله فى الجناس اللفظى زجل جانسه بالظاء والضاد لم يسبق اليه ومطلعه قوله

ان مع معشوقى جفون ولحاظ * لو رآهم عابد لهام وحاض

ومع أنوار من سحر عينيه اذا * حفظوه باب أنساه صلا نودا

ان ماء و عيون فواتر حور * فى لهور ولدانها بواتر جفون

(اللفظى والمقلوب)

يجل فى النثر قدها وقال ابادهك فقلت انت وذالك فمال الى السيد أبى الحسين يسأله بيتا ليجيز فقلت ياهذا أنا اكفيك ثم تناولت جزأ فيه اشعاره وقلت ان حضر هذا شعر أبى بكر الذى كد به طبعه وأسهر له جفنه وأجال فيه فكره وأنفق عليه عمره واستنزف فيه يومه ودونه فى صحيفة ما ترجه وجعله ترجمان محاسنه وعبر به عن باطنه وأخذ مكانه وهو ثلاثون بيتا وسأقرن كل بيت بوفقه وانظم كل معنى الى لفقه بحيث اصيب اغراضه ولا اعيد الفاظه وشريطتى ان لا أقطع النفس فان تهيأ لواحد أو امكن لناقد ممن قد حضر يريد النظر ان يميز قولهم من قولى ويحكم

كيف لا يفتن عشاقو ذاك الفتور * وعلى خده شامه بنقطة فنون
من نظرهم نظره يبقى مسحور * وكيف أنو ما ينسحر من عيون
يعتقدهم رقودوهم ايقاظ * وجفون كل جفن بسيف أى قاض
يقضى فين بسروباح وهذى * حكمه ممن أضل ناس وهدى
حضرتى لما ان يغيب عنى * فى غيابو ياما بتحفظ فصول
حتى نوا بصير قريب منى * ولوانو يكون فى ميدان يجول
ايش تضيق الدنيا على ذهنى * ولا يدرى ايش كان يريد لو يقول
وانس ماقد حفظتو من الالفاظ * ويضيق بى رحب المكان الفاض
ولا اطلب يومى شراب وغدا * فابقى سكران طول ليلتى وغدا
يانسيم السحر على حبى * بث منى طيب السلام كاو
قه وأوصيه بالعاشق المسبى * وبقلبى ذاك الذى استلو
وان تيسر لك أن ترى قلبى * وان يسل عن جسمى الضعيف قلو
انوفضيل من بعدك الى انفاظ * واغتسل مما من عيونو فاض
وعلى حذو الدارجين قد حذا * وفى نايو حادى المنايا حدا
اذكرانى فى عتبو وخد البهار * عصتو حتى وقف على ماجرا
وبقى هو يحمر ونا بصفار * ونوادر منى ومنوترا
فلا تعجب من خد وكيف يحمار * فوق ورد الخدود وتحتو جرا
ماء الحيا فى وجناتو لما انغاظ * ونشف ماء لونى الى ان غاض
وماينكر حالى وحالو فدا * سر فيه ممن أنا لو فدا

ونظمت فى هذا النوع الغريب توريه شجاعات فى غاية الحسن ولم أسبق اليها الامن الشاب الظريف محمد بن العفيف كقوله

عبتم من المحبوب حمرة شعره * واظنكم بدليله لم تشعروا
لا تنكروا ما احمر منه فانه * بدماء أرباب الغرام مضفر

وقولى

خاطرت فى عشق له يامهجتى * لا تشغلى قلبى الحزين وخاطرى
فالطرف شاهد منه ناضر قده * فغدا يهيم بكل غصن ناضر

وقولى

مرج حماة بنواغيره * زاد على المقياس فى روضته
واغتاظ نمروذ دمشق له * فقلت لا افكر فى غيضته

وقولى

حضيت عزمى اليك شوقا * فلم أطق مكثة بارض
وحيث لم احظ بالتلاقى * فغايتى ان الوم حظى

انتهى الكلام على الجناس اللفظى واما الجناس المقلوب وسماه قوم جناس العكس وهو

الذى

على البيت انه له أولى اويرجح ما نظمه بشار الزويه على ما املىته على لسان النفس فلابد السبق او يكون غيرها فاعفاء عن هذه المقاومة و يتنحى لنا عن أرض المماثلة ويخلى بنا الطريق لمن يبقى المناربه فقال أبو بكر ما الذى يؤمننا من ان تكون نظمت من قبل ماتريد انشاده الآن فقلت اقترح لكل بيت قافية لا اسوقه الا اليها ولا أشبه الا عليها ومثال ذلك ان تقول حشر فاقول بيتا آخره حشر ثم عشر فانظم بيتا قافيته عشر ثم هلم جرا الى حيث يتضح الحق ويفتضح الزرق وتستقر الحجة وتستقل الشبهة وتنطرد فيعرف الحالى من العاطل ويفرق بين الحق والباطل قال ابو بكر ان بشاركا فى هذا العنان ومال الى السيد ابى الحسين يسأله بيتا لبشر قبعنا رأيه فيها رآه ولم نرض الارضاه وأعمل كل منا لسانه وفمه وأخذ

الذي يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص ويخالف أحدهما الآخر في الترتيب كقوله تعالى حكاية عن هرون خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارقأ وما ألطف ما أشار الصاحب بن عباد الى الجناس المقلوب بقوله لابي العباس بن الحرث في يوم قيظ وقد طلب مروحة الخيش ما يقول الشيخ في قلبه يعني الخيش ومروحة الخيش احدثها بنو العباس وذكرها الحريري في المقامات وقال اسمعوا وقيتم الطيش وانشد لغزا في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة * ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها * على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيظ تنطف بالندى * ويبدو اذا ولى المصيف قحولها

وكان السبب في حدوث هذه المروحة ان هرون الرشيد دخل يوما على اخته علية بنت المهدي في يوم قيظ فألفاها وقد صبغت ثيابها من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف فجلس هرون قريبا من الثياب المنشورة فصارت الريح تمر على الثياب فتحمل منها ريحا بليلة عطرة فوجد لذلك راحة من الحر واستطابه وأمر أن يصنع له مثل ذلك وقال ابن الشريشي في شرح المقامات وهذه المروحة شبه الشراع للسفينة تعلق بالسقف ويشد بها حبل وتبل بالماء وترش بالماورد فاذا أراد الرجل في القائلة ان ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجيء فيهب على النائم منها نسيم بارد رطب انتهى كلامه * رجع الى الجناس المقلوب * فمنه قول بعضهم

حكاني بهار الروض حين ألفته * وكل مشوق للبهار مصاحب
فقلت له ما بال لونك شاحبا * فقال لاني حين اقلب راهب

وما احلى قول ابن العفيف مع زيادة التورية

أسكرني باللفظ والمقلة الـ * كحلاء والوجنة والكاس
ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس

وبديع هنا قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في الامير شجاع الدين بهرام

قيل كل القلوب من * رهب الحرب تضطرب
قلت هذا مخرص * قلب بهرام مارهب

وبيت عبد الله بن رواحة غاية في هذا النوع وقيل أمدح بيت قالته العرب فانه من جملة مديح النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله

تحمله الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

وما احلى قول القائل

والقيتهم يستعرضون حوائجا * اليهم ولو كانت عليهم جوائحا

ومثله

ان بين الضلوع مني نارا * تتلظى فكيف لي ان أطيقا

دواته وقلمه فأجزنا البيت الذي قاله وكلما اجزناه اجازة جاري القلم فيها الطبع وباري اللسان بها السمع وسارق الخاطر بها الناظر وسابق الجنان فيها البنان اذ قلنا
هذا الاديب على تعسف فتكه * وبروكه عند القريض ببركه
متسرع في كل ما يعتاده * من نظمه متباطئ عن تركه
والشعر أبعد مذهبا ومصاعدا * من أن يكون مطيعه في فكه
والنظم بحر والخواطر معبر * فانظر الى بحر القريض وفلكه
فتى توانى في القريض مقصرا * عرضت اذن الامتحان بعركه
هذا الشريف على تقدم بيته * في المكرمات ورفعه في سمكه
قد رام مني أن أقارن مثله * وانا القرين السوء ان لم أزكه
واذا تطمت قصمت ظهر مناظري * وحطمت جارحة القرين بدكه

فبحق عليك يامن سقانى * أرحيقا سقيتنى أم حريقا

ومن الغايات فى هذا الباب قول القائل

لبق اقبل فيه هيف * كل ما أملك ان غنى هبه

فهذا البيت كل كلمة منه بانضمامها الى أختها تجانسها فى القلب وأعلى منه رتبة قول سيف الدين ابن المشد

ليل اضاء هلاله * أنى يضىء بكوكب

وهذا البيت كل كلمة منه تقرأ مستوية ومقلوبة وهو مما لا يستحيل بالانعكاس كقول الحريرى ساكب كاس وهذا النوع يأتى الكلام عليه فى موضعه لان المراد هنا جناس القلب وللشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموى ايضا زجل فى هذا النوع سارت به الركبان انشده المصنف فى حماة بحضرة الملك المؤيد والشيخ صفى الدين والشيخ جمال الدين بن نباتة ووقع فى المجلس شىء اذا استوعبت الزجل كتابة علمته

قلبى يحب تياه * ليس يعشق الا اياه * فازمن وقف وحياه * يرصد على محياه
بدر السما لو يطمع * من رام وصالو يعطب

صغير بحير فى امرو * غزال قهر بسمرو * ليث الهوى وغمرو * فاعجب لصغر عمرو
ريم ابن عشر واربع * اردى الاسود وارعب

اذ كر نهار تبعتو * وروحى كنت بعتو * وخيب مافيه طمعتو * فقال وقد سمعتو
ارجع ولا لى تتبع * اخشى عليك لا تتعب

كم قدامو وخلفو * مشيت مطيع لخلفو * ورمت لثم كفو * قال دع منالك وكفو
فان لثم اصبع * من الثريا اصعب

مازلت لو نداری * حتى حصل فى دارى * ناديت ودمعى جارى * ايش كان يصيب يا جارى
لو كنت من فيك اشبع * قال ايش يكن لك اشعب

من حاز حسن خدو * لخطو لقتلى حدو * وورد خدو ندو * مافى الرياض شىء ندو
روض الحيا مبرقع * عليه ساج معقرب

من فى الجمال فريدو * للصب من وريدو * يذبح وهو يزيدو * وكم ذا شيخ مريدو
خلاه دموعو يبلع * وهو بعقلو يلعب

كم خصم فى المقاتل * صابو ابن مقاتل * وكم ذا فى المحافل * قد انشا لو جحافل
من كل بيت مربع * ملحون بألف معرب

والشىء اللطيف الذى وقع فى المجلس المشار اليه ووعدت بذكره ذكروا ان الشيخ علاء الدين بن مقاتل لما وصل الى قوله ملحون بألف معرب صار الشيخ جمال الدين بن نباتة ينظر الى الشيخ علاء الدين بن مقاتل و يشير الى الشيخ صفى الدين الحلى و يقول ملحون بألف معرب والملك المؤيد يتبسم لذلك اه واذا نظر المتأمل الى بعض هذه الاحرف فى رسم كتابة الزجل لا ينتقد فان شرط رسمه ان يوضع كذا لاجل تحرير وزنه انتهى الكلام على الجناس اللفظى والمقلوب وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فيهما

ودبغت منه أديمه وتركته
نهج الاديم بدبغه وبدلكه
اصغوا الى الشعر الذى نظمته
* كالدر رصع فى مجرة سلكه
فتى عجزت عن القرين بديهة
فدمى الحرام له اراقة سفكه
وقال أبو بكر ابياتا جهدنا
به أن يخرجها عن الغلاف
ويبرزها من اللحاف فلم
يفعل دون أن طواها
وجعل يعركها ويفركها
فقلت ان البيت لقائله كالولد
لناجله فمالك تعق ابنك
أوتضيمه أبرزها للعيون
وخلصها من الظنون فكره
أبو بكر أيده الله ان تكون
الهزة أعقل منه لانها
تحدث فتغطى فلم يستجرئ
أن يظهر ثم مسح جبينه
وبسط يمينه للبديهة نفسا
دون ان يكتب فقلنا أنت
وذاك واقترح علينا أن
نقول على وزن قول أبى

بكل قد نضير لا تظيرله * لا ينقضى أملى منه ولا ألمى

وبيت الشيخ عز الدين

لفظى حض على حظ يمانعه * مقلوب معنى ملا الاحشاء من ألم

وبيتى

قد فاض دمعى وغاظ القلب اذ سمعا * لفظى عذول ملا الاسماع بالالم

انتهى والله أعلم

(ذكر الجناس المعنوى)

*(أبا معاذ أخا الخنساء كنت لهم * يا معنوى تهذونى بجورهم)*

اما الجناس المعنوى فانه ضربان تجنيس اضمار وتجنيس اشارة ومنهم من سمى تجنيس الاشارة تجنيس الكناية وكل منهما مطابق التسمية ولم ينظم الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته غير نوع الاضمار وهو اصعب مسلكا من جناس الاشارة ولابد أن انوع هذا الشرح بمحاسن النوعين فان المعنوى طرفة من طرف الادب عزيز الوجود جدا ولم يذكره الشيخ جلال الدين القزوينى فى التلخيص ولا فى الايضاح ولا ذكره ابن رشيق فى العمدة ولا زكى الدين بن أبى الاصبع فى التحرير ولا ابن منقذ فى كتابه والعميان ذكروه فى شرح بديعيتهم ولكن ما تيسر لهم نظمه وذكر الشهاب محمود فى كتابه المسمى بحسن التوسل فى صناعة الترسل منه نوع الاشارة لا نوع الاضمار ولكن ما نظمه ولم يذكر نوع الاضمار فى بديعيته غير الشيخ صفى الدين الحلى وقد تقدم القول أنه قال عن بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وكان شيخنا قاضى القضاة علاء الدين بن القضامى رحمه الله يقول وهو امام هذا العلم ما اعلم لبيت أبى بكر بن عبدون فى اضمار الركنين ثانيا غير بيت الشيخ صفى الدين الحلى ولولم يفتح ابن عبدون هذا الباب فى بيته ما حصل للشيخ صفى الدين دخول الى نظم هذا النوع انتهى والكلام على البيتين يأتى بعد تعريف النوع فالمعنوى المضمر هو أن يضمر الناظم ركنى التجنيس ويأتى فى الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه فان تعذر المرادف اتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى كقول أبى بكر بن عبدون المشار اليه وقد اصطبح بخمرة ترك بعضها الى الليل فصارت خلا

الا فى سبيل اللهو كاس مدامة * اتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وامست لجسم الشنفرى بعد ثابت

فبنت بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء والشنفرى قال

اسقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمى من بعد خالى لخل

والخل هو الرقيق المهزول فظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران فى صهباء وصهباء وخل وخل وهما فى صدر البيت وعجزه ومن هنا أخذ الشيخ صفى الدين الحلى وقال

وكل لحظ أتى باسم ابن ذى يزن * فى فتكه بالمعنى أو أبى هرم

فابن ذى يزن اسمه سيف وابو هرم اسمه سنان فظهر له جناسان مضمران من كنايات الالفاظ الظاهرة فظهر قول شيخنا قاضى القضاة علاء الدين ان هذا الباب ما فتحه للشيخ صفى

(الجناس المعنوى)

الطيب المتنبى حيث يقول

أرق على ارق ومثلى يأرق * وجوى يزيد وعبرة تترقرق

وابتدر أبو بكر ايده الله الى الاجازة ولم يزل الى الغايات سباقا فقال

واذا ابتدهت بديهة ياسيدى * فأراك عند بديهتى تتقلق

واذا افرضت الشعر فى ميدانه * لا شك أنك يا أخى تتشقق

انى اذا قلت البديهة قلتها * عجلا وطبعك عند طبعى يرفق

مالى أراك ولست مثلى عندها * متموها بالترهات تمخرق

انى أجيز على البديهة مثل ما * تربانه واذا نطقت أصدق

لو كنت من صخر أصم لهاله * منى البديهة واغتدى يتفلق

لو كنت ليثا فى البديهة خادرا * لرؤيت يا مسكين منى تفرق

وبديهة قد قلتها متنفسا * فعل الذى قد قلت يا ذا الاخرق

ثم وقف يعتذر و يقول ان

الدين غير ابن عبدون وكنت أود أن يكون شيخنا رحمه الله حيا ويرانى قد عززته بثالث وهو

أبا معاذ أخا الخنساء كنت لهم * يا معنوىّ فهدّونى بجورهم

أبو معاذ اسمه جبل وأخو الخنساء اسمه صخر فظهر لهم من كنايات الالفاظ الظاهرة أيضا جناسان مضمران فى صدر البيت وهما جبل وجبل وصخر وصخر وبالنسبة الى الجبل فى الركن الواحد يحسن قولى فهدّونى بجورهم وقد أظهرت محاسن هذا الجناس المضمر وكشفت عن جماله الباهر سطور الاشكال ليتمتع به صاحب الذوق السليم فان فحول المتأخرين وقفوا عن المجاراة فى حلبته ولم يتعلق أحد منهم بالاذيال الضرب الثانى وهو جناس الاشارة ويأتى الكلام عليه * ومن غريب ما يحكى ان الشيخ صلاح الدين الصفدى قال فى شرح لامية العجم وفى كتابه المسمى بجنان الجناس لما اعترضه الجناس المعنوى قال هذا النوع عندى باطل ولم يتيسر لهم منه نظم بيت واحد مع كثرة تهافته على الجناس وانواعه والذى يظهر لى انه عجز عن نظمه فانه قال فى غضون ذلك وقد استخرجت من شعر أبى الطيب المتنبى من الجناس المعنوى قوله

حاولن تفديتى وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا

وهذا دليل على أنه لم يفهمه انتهى الكلام على الجناس المعنوى الذى يضمر فيه الركنان وما أخرت بيت الشيخ عز الدين الموصلى ونثرت نظم الترتيب الذى تقدم الا لتحميه عن نظم الجناس المعنوى المضمر الركنين وميله الى جناس الاشارة لسهولة مأخذه فلم يبق لبيته طاقة على المناظرة لنصوله عن النوع الذى عارض فيه الشيخ صفى الدين والظاهر انه قنع بقول القائل

اذا منعتك أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

والضرب الثانى من المعنوى وهو جناس الاشارة والكناية وهو غير الأول وسبب وروده هذا النوع فى النظم أن الشاعر يقصد المجانسة فى بيته بين الركنين من الجناس فلا يوافقه الوزن على ابرازهما فيضمر الواحد ويعدل بقوته الى مرادف فيه كناية تدل على الركن المضمر فان لم يتفق له مرادف الركن المضمر يأتى بلفظة فيها كناية لطيفة تدل عليه وهذا لا يتفق فى الكلام المنثور والذى يدل عليه المرادف قول امرأة من عقيل وقد أراد قومها الرحيل عن بنى ثهلان وتوجه منهم جماعة يحضرون الابل وهو

فما مكثنا دام الجمال عليكما * بثهلان الا أن تشد الأباعر

ارادت أن تجانس بين الجمال والجمال فلم يساعدها الوزن ولا القافية فعدلت الى مرادفة الجمال بالاباعر والذى يدل على مضمره اللفظة الظاهرة بالكناية اللطيفة قول دعبل فى امرأته سلمى

انى أحبك حبا لو تضمنه * سلمى سميك ذل الشاهق الرامى

فالكناية اللطيفة فى سميك لانها أشعرت ان الركن المضمر فى سلمى يظهر منه جناس الاشارة بين الركن الظاهر والمضمر فى سلمى وسلمى الذى هو الجبل ومثله قول الآخر

هذا كما يجىء لا كما يجب
فقلت قبل الله عذرك لكنى
أراك بين قواف مكروهة
وقافات خشنة كل قاف
كحبل قاف منها تتقلق
وتتشقق وتتفلق وتحرق
وتصرق وتطلق وتعلق
وتبرق وتشرق وأحمق
واخرق الى أشياء لا أكثر
بها العدد فخذ الآن جزاء
عن قرضك وأداء لفرضك
وقلت
مهلا أبا بكر فزندك أضيق *
فاخرس فان أخاك حى يرزق
دعنى أعرك اذا سكت سلامة *
فالقول يجد فذويك ويعرق
ولقافك فتكات سوء فيكم *
تدع الستور وراءها لا تخرق
وانظر لاشنع ما أقول وأدعى *
أله الى اعراضكم متسلق
يا أحمقا وكفاك ذلك خزية *
جربت نار معرق هل تحرق
فلما أصابه حر الكلام
وسمه لفح هذا النظام

وقت

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد تلك الخدود

فكنى عن العقارب بمقلوب البراقع ولاشك ان بين اللفظ المصرح به والمكنى عنه تجانسا ومثله قول الآخر بهجو مغنيا ثقيلا

قال غنيت ثقيلا * قلت قد غنيت نفسك

ومن الكنايات بالمرادف قول شرف الدين بن الحلاوى وهو غاية فى هذا النوع

وبدت لنا أثر ثغره فى قرطه * فتشابها واختلفين فاشكلا

فرأيت تحت البدر سالفة الطلا * ورأيت فوق الدر مسكرة الطلا

اراد أن يجانس بين سالفة الطلا وسلافة الطلا فلم يساعده الوزن فعدل بقوته الى المسكرة وهى مرادفة السلافة وقد تقدم ان الشيخ عز الدين الموصلى لم ينظم من المعنوى الا هذا الضرب وهو الذى أوجب تأخيريته عن المناظرة وقد تقرر ان الشاعر يريد فى هذا النوع اظهار الركنين فلا يساعده الوزن فيعدل بحسن تصرفه الى مرادفه وأراد الشيخ عز الدين أن يمشى على هذا الطريق فحصل له فى الطريق عقلة فانه قال

وكافر بضمير الاحسان فى عذل * كظلمة الليل عن ذا المعنوى عمى

فالليل يسمى كافرا وهو الذى يستر الاشياء وكافر هنا بمعنى ساتر وهذا هو الركن الذى اضمره عز الدين ورادفه بالظلمة وكنى بها عنه فظهر منه اجناس الاشارة بين كافر وكافر غير أن الوزن ما عصى على عز الدين حتى عدل الى المرادف فلو أراد ان يبرز الركنين لكان الوزن داخلا تحت طاعته اذا قال

وكافر بضمير الاحسان فى عذل * ككافر الليل عن ذا المعنوى عمى

ولما وقف مولانا الشيخ شهاب الدين بن حجر على هذا النوع قال هذا عزيز الوجود وانشدنى بعد أيام فى مولانا السلطان الملك المؤيد هذين البيتين وهما فى نوع المضمر المقدم ذكره غاية وهما

جمع الصفات الصالحات مليكنا * فغدا بنصر الحق منه مؤيدا

كأبى الامين برأيه وبجده * أنى توجه وابن يحيى فى الندى

ومن نظمى فى نوع الاشارة الغريبة قولى من جملة قصيد فى سكر حماة

وجناس ذاك السكر يحلو لورى * تحريفه وبروق فى تشرين

ففى صريح الجناس وتورية التحريف كنايتان لطيفتان يظهر منهما اجناس الاشارة محرفا بين السكر والسكر والمراد بقولى يروق فى تشرين ان عاصى حماة يروق فى هذا الفصل الى ان ترى قراره من أعالى شطوطه وهذه القصيدة كتبت بها من القاهرة المحروسة فى عام ثمان عشرة وثمانمائة الى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى كاتب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية وقد حل ركابه الكريم بحماة المحروسة وقالت شطوطها اهلا بعيش اخضر يتجدد وروى عاصيها بعد نار شوقه الكامل عن المبرد وعادت الى عصر الشبيبة وقد شاهدت الملك المؤيد ومطلع القصيد

خل التعلل فى حمى يبرين * فهوى حماة هو الذى يبرينى

قطع علينا فقال يا أحمقا لا يجوز فان أحق لا ينصرف فقلنا يا هذا الا قطع فان شعرك ان لم يكن عيبة عيب فليس بظرف ظرف ولو شئنا لقطعنا عليك ولوجد الطعن سبيلا اليك واما احق فلا يزال يصفعك لتصفعه حتى ينصرف وتنصرف معه وعرفناه أن للشاعر أن يرد مالا ينصرف الى الصرف كما ان له رأيه فى القصر والحذف وانشدناه حاضر الوقت من اشعار العرب فقال يجوز للعرب مالا يجوز لك فلم يدر كيف يجيب عن هذا الموقف وهذه المواقفة وكيف يسلم من هذه المصارفة لكا قلنا أخبرنا عن بيتك الاول امدحت ام قدحت وزكيت أم جرحت ففيه شيئان متفاوتان ومعنيان

وأطمع ولاتذكرمع العاصى حمى * مافى وراء النهر مايرضينى
انا سائل والنهر فيها انثى * ومع افتقارى نظرة تغنينى
والنبت يضبطها بشكل معرب * لمايزيد الطير فى التلحين
والغصن يحكى النون فى ميلانه * وخياله فى الماء كالتنوين
والله ماانا آيس من قربها * باللهصدقنى وخذ بيمينى
فالطرف قد أبقى بقايا ادمع * وهناك اجريها برجع انينى
فاحذر ملامى عند فيض مدامعى * فالدمع دمعى والعيون عيونى
قالوا تسلى عن غمار شطوطها * فاجبت لا والتين والزيتون
يالائمين على شريعة حالكم * فى ذاك دينكم ولى أناديني
قلنا على الاعراف من ريحانها * قصص أتت بتناسخ البشنين
وبسط شرعا بالنبا كم شرعت * اعوادها وتثقفت باللين
لكن اذا اشتبكت رأيت الظل قد * ألقته مضطربا شبيه طعين
وخيال ضوء الشمس فى تدويره * يحكى فم الطعنات فى التكوين
وعيونها كم قال هدب نباتها * ماالتباقى مثل شرح عيونى
تلك المعالم والمعاهد بغيتى * بحماة لا الجيران من جيرون
كم قال دمع الصب ليتهم على * تلك الرسوم بفضلهم يجرونى
يانازلين حمى حماة نعمتم * فيها صباحا نوره يهدينى
قد كنت أنساها برؤيتكم وقد * صرتم بها فالصبر غير معينى
غبتم وهذا محضرى لى شاهد * بالعسر من صبرى وبالمضمون
وحللتم دار السعادة بالحمى * فبحقكم بالبعد لا تشقونى
ذنبى عظيم لانقطاعى عنكم * فلاجله فى مصر لا تبقونى
وتكونت نار اشتياقى فى الحشا * لفساد تكوينى فدع تكوينى
وعجزت ضعفا عن وفادين اللقا * فترفقوا بفؤادى المرهون
فعسى يزول ظلام بعدى عنكم * وارى ضياء القرب من شمسين
ولرقة فيكم أظن بانكم * حنيتم طربا بالرجع حنينى
هذى غراميات صب ماله * أرب بتورية ولا تضمين
لكن اذا ذكروا بديع مدائح * فى البارزى فكل فوق دونى
ما القصد غرى انما أنا عبده * فالشك أدفعه بحسن يقينى
الغصن نسقيه وغصن يراعه * يسقى الورى لكن أنا يشنينى
فالطرس وهو مطوق بيمينه * يشدى السواجع معرب التلحين
هو كامل فى فضله وعلومه * والله اعطاه كمال الدين
حسنت لياليه وايام له * فهدى الزمان بطرة وجبين
ياصاحب البيت الذى عن وصفه * قد اعجمت شعراء هذا الحين

متباينان منها المتبدات
فخاطبت ياسيدى والثانية
انك عطفت فقلت تتفلق
وهما الابركضان فى حلبة
ولا يخطان فى خطة ثم قلت
لمخدوزنا من الشعر حتى
اسكت عليك فتستوفى من
القول حظك واسكت علينا
حتى نستوفى حظنا ثم انى
احفظ عليك انفاسك
واوافقك عليها واحفظ على
أنفاسى ووافقنى عليها فان
عجزت عن اختلافها حفظتها
لك فسلنى عنها بعد ذلك
وأخذنا بيت أبى الطيب
المتنبى

أهلا بدار سباك اغيدها
أبعد ما بان عنك خردها

فقلت

يانعمة لا تزال تجددها
ومنة لا تزال تكندها

فاخذ بمخنق البيت قبل
تمامه ومضيق الشعر قبل

ان

ان جاء نظمى قاصرا عن وصفه * عذرا فهذى نشطة الحسين
ونم كبرت وبان عجزى انما * كانت مسرات اللقا تصبينى
وحجبت مولى عن حماه وعيقوا * عنى فهذا من فنون جنونى
وقعدت عن ديوان شيخ شيوخنا * فى مصر جار عويس والمتبنى
برهان شوقى قد أقمت دليله * بسنا فجوت مع ضياء الدين
لازلتم بكمالكم فى نعمة * مقرونة بالنصر والتمكين

انتهى

(ذكر الاستطراد)

*(واستطردوا اخيل صبرى عنهم فكبت * وقصرت كالبنا ابو صلهم)*

الاستطراد فى اللغة مصدر استطرد الفارس من قرنه فى الحرب وذلك ان يفر من بين يديه يوهمه الانهزام ثم يعطف عليه على غرة منه وهو ضرب من المكيدة وفى الاصطلاح ان تكون فى غرض من اغراض الشعر توهم أنك مستمر فيه ثم تخرج منه الى غيره لمناسبة بينهما ولا بد من التصريح باسم المستطرد به بشرط أن لا يكون قد تقدم له ذكر ثم ترجع الى الاول وتقطع الكلام ٣ فيكون المستطرد به آخر كلامك وهذا هو الفرق بينه وبين المخلص فان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول وقطع الكلام بعد المستطرد به والامران معدومان فى المخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر الى ما يخلص اليه وحد صاحب الايضاح الاستطراد بحد أتى فيه بالغرض بعد ما بالغ فى الايجاز فانه قال الاستطراد هو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به ثم يقصد بذكر الاول التوصل الى الثانى فى قوله متصل به جل القصد وعدم الاحتياج الى الكلام الكثير وذكر الحاتمى فى حلية المحاضرة انه نقل هذه التسمية عن البحترى وذكر غيره ان البحترى نقلها عن أبى تمام وقال ابن المعتز الاستطراد هو الخروج من معنى الى معنى وفسره بان قال هو ان يكون المتكلم فى معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط او الاخبار أو غير ذلك الى معنى آخر يتضمن مدحا وهجوا او وصفا وغالب وقوعه فى الهجاء فمنه قوله تعالى فى كتابه العزيز الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود فذكر ثمود استطراد وقيل ان أول شاهد ورد فى هذا النوع وسار مسير الامثال قول السموأل

وانا لقوم لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

فانظر الى خروجه الداخل فى الافتخار الى الهجو وحسن عوده الى ما كان عليه من الافتخار بقوله

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الاحبة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

فانظر كيف خرج من الغزل الى هجو الحرث بن هشام والحرث هو أخو أبى جهل أسلم يوم الفتح وحسن اسلامه ومات يوم اليرموك بالشام ومنه قول البحترى من قصيدة فى

(الاستطراد)
تطامه فقال ما معنى تكندها فقلت يا هذا كند النعمة كفرها فرفع يديه ورأسه وقال معاذ الله أن يكون كند بمعنى جحد وانما الكنود القليل الخير فاقبلت الجماعة عليه يوسعونه بريا وفريا ويتلون له قول الله تعالى ان الانسان لربه لكنود وقلت له أليس الشرط أملك والعهد بيننا ان تسكت ونسكت حتى تتم ونتم ثم نبحث ونفحص فنبذ الادب وراء ظهره وصار الى السخف يكيلنا بصاعه ومده وينقض فيه حجة

٣ قوله فيكون المستطرد الخ صوابه فلا يكون المستطرد كما يفهم من سابقه ولاحقه

وصف فرس

كالهيكل المبنى الا أنه * فى الحسن جاء كصورة فى هيكل
ملأ العيون فان بدا أعطينه * نظر المحب الى الحبيب المقبل
ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

ومنه قول أحمد بن يحيى البلاذرى يرثى أبا تمام

أمسى حبيب رهن قبر موحش * لم يدفع الاقدار عنه بكيد
لم ينجه لما تناهى عمره * أدب ولم يسلم بقوة أيد
قد كنت أرجو أن تنالك رحمة * لكن أخاف قرابة ابن حميد

ما أحسن ما خرج من الرثاء الى الهجو فى حميد بن قحطبة والقرابة التى بينه وبين ابن حميد انهما كانا طائيين ومنه قول الحسين بن على القمى

جاورت أجبالا كأن صخورها * وجنات نجم ذى الحياء البارد
والشوك يفعل فى ثيابى مثل ما * فعل الهجاء بعرض عبد الواحد

ومنه قول أبى محمد بن مكدم وهو غاية فى هذا الباب

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة * وبرد اغانيه وطول قرونه
قطعت فنومى عن جفونى مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
بذى اولق فيه اعوجاج كانه * أبو جابر فى خبطه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كانه * سنا وجه قرواش ونور جبينه

فانظر الى قوة الاستطراد من وصف حاله مع الليل الى هجاء الثلاثة ومدح قرواش * ومنه

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به باس وان كان من جرم

انظر ما ابلغ ما خرج من الوعظ الى الهجو المؤلم فى قبيلة جرم ومثله

وشادن بالدلال عاتبنى * واميتنى من تدلل العاتب
فكان ردى عليه من خجل * ابرد من شعر خالد الكاتب

ومنه قول ابن المعتز

ولقد شربت مدامة كرخية * مع ماجد طلق اليدين حميد
على ماء بارد فكأنما * علت ببرد قصيدة ابن سعيد

ومثله قول بعضهم يصف خمرا طبخت حتى راقت وصفت

لم يبق منها وقود الطابخين لها * الا كما ابقت الانواء من دارى

انظر ما أحلى استطراده من وصف الخمر الى وصف داره بالخراب بألطف كناية والغريب فى هذا الباب الاستطراد من الهجو الى الهجو وهو كقول جرير يهجو أم الفرزدق

لها برص بأسفل اسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

ومثله قوله

وكأنى اقرا بحرف ابى عمرو على القوم سورة الانعام
محنة تصفع ابن عمرو بن يحيى * فى دماغ الاعشى بنعل القطامى

جهده وأفضى الى السفه
يغرف علينا غرفا ويستقى
من جرفه جرفا فقلت يا هذا
ان الادب غير سوء الادب
والمناظرة حضرنا الا للمناظرة
فان نفضت عن هذا
السخف يدك وثنيت عن
هذا السفه قصدك والا
تركت مكالمتك ولو كان
كان فى باب الاستخفاف شئ
أعظم من الاحتقار
وانكارا بلغ من ترك
الانكار لبلغته منك فاخذ
يمضى على غلوائه ويمعن
فى هرائه وهذائه فاستندت
الى المسند ووضعت اليد
على اليد وقلت أستغفر
الله من مقالتك ونفضتها
قائمة معه وسكت حتى عرف

ولقد

ولقد اردت ان استطرد هنا الى ذكر ما وقع لى وللمتأخرين من الاستطرادات الغريبة فلم اجد أبدع من بيت البديعية فاكتفيت عند قضاة الادب بحسن آدابه فانه اعدل شاهد فى هذا الباب وحبست عنان القلم عن الاستطراد فى وصفه علما ان فى انصاف علماء الادب اذا وقفوا عليه ما يغنى عن ذلك وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

كأن آناء ليلى فى تطاولها * تسويف كاذب آمالى بقربهم

الذى يظهر لى ان الشيخ صفى الدين عبر على الاستطراد ٢ بتقديم اداة التشبيه فى اول البيت وقد تقدم قول صاحب الايضاح أن يقصد بذكر الاول التوصل الى الثانى وما خرج أحد من الاستطراد بطريق التشبيه الا جعل اداة التشبيه مع المستطرد به فى آخر الكلام كقول السرى الرفاء

انا روضة بالدار صيغ لزهرها * قلائد من حلى الندى وشنوف
يمر بنا فيها اذا ما تبسمت * نسيم كعقل الخالدى ضعيف

فاداة التشبيه جاءت هنا فى الآخر مع المستطرد به كما تقرر ولم يقدم الناظم فى اول البيت ما يتوصل به الى آخره اه ومثل هذا الايراد قول ابن جلنك الحلبى وهو أظرف ما رأيت فى هذا الباب حكى أنه كتب رقعة الى بعض الحكام وقيل الى قاضى القضاة كمال الدين بن الزملكانى يسأله فيها شيأ فوقع له بخبز وأستحيى أن اقول انه رطلان فتوجه ابن جلنك يوما الى بستان يرتاض فيه فقيل انه لقاضى القضاة المشار اليه فكتب على حائط البستان

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت ابوابها
والبان تحسبها سنانيرا رأت * قاضى القضاة فنفشت اذنابها

فاستطراده من وصف البستان وتشبيه البان التشبيه المخترع الى هجو قاضى القضاة مرقص عند سماعه * وما شك احد من اهل الادب أن التشبيه غريب فى اختراعه وقيل ان الشيخ بدر الدين بن مالك املى عليهما كراسة فى البديع وانا بالاشواق الى رؤيتها ٣ ومن استطرادات ابى عبد الله محمد بن حجاج البغدادى فى طريقه التى لم ينسج على منوالها غيره فان الشيخ جمال الدين ابن نباتة قال فى خطبة كتابه المسمى بتلطيف المزاج فى شعر ابن حجاج فانى رأيت نتائج افكار الشعراء ذرية بعضها من بعض وامم اشعارهم تبعث جميعها فى صعيد واحد من الارض الا اشعار الاريب الفريد ابى عبد الله الحسين بن حجاج فانها امة غريبة تبعث وحدها وذرية عجيبة تبلغ باتقان اللهو واللعب رشدها لم يخطر خاطرا حدثنا بها خبرا ولا أستطاع على معارضة شهدها صبرا انتهى قول الشيخ جمال الدين واستطراده الموعود بذكره

قوله

تفديك امى وابى * وابنى وان كان صبى
يا من اليه حيثما * وجهته منقلبى
يا من مديح غيره * عندى عزيز المطلب
لحية من يشنأك فى * حال رضا وغضب
من عين من يطلبها * بالليل فى است مختبى

الناس وايقن الجلاس انى املك من نفسى مالا يملكه وأسلك من طريق الحلم مالا يسلكه ثم عطفت عليه وقلت يا ابا بكر ان الحاضرين قد عجبوا من حلمى اضعاف ما عجبوا من علمى وتعجبوا من عقلى أكثر مما تعجبوا من فضلى وبقى الآن ان يعلموا ان هذا السكوت ليس من عى وأن تركانى للسفه اشد استمرارا من طبعك وغربى فى السخف امتن عودا من نبعك وسنقرع باب السخف معك ونفترع من ظهر السفه مفترعك فتكلم

٢ قوله على الاستطراد كذا فى النسخ وصوابه الى الاستطراد وقوله بعد ذلك من الاستطراد كذا فى النسخ وصوابه الى الاستطراد

٣ قوله ومن استطرادات الخ كذا فى النسخ وهو خبر مقدم لم يذكر مبتدأه ولو قال ولنذكر بعض استطرادات الخ لسلم من هذا

وامه ام الشكو * لشى استها والريب
ذات حر أوسع من * شارع باب اللعب
وشعرة غليظة * ذات نبات اشيب
قد شاب منها بعضها * وبعضها لم يشب
تنتف منها طاقة * بشدة او تعب
فاشككت انها * لحية ابن الحلى

ومنها في الاستطرادات الغريبة لما بلغه ان المهذب يعشق ابن اخيه وينكر ذلك ويعقد الأيمان عليه بسببه قوله

جارية مثل شرا * ع المضرب المطنب
صعدت من عليها * بالليل فوق مرقب
حتى رأيت ابن اخى * بحضرة المهذب

ومثله قوله من قصيدة

حتى متى أفديك يا سنى * بندف قطن استك دقاسى
متى ارى سرمك منهدما * وخصيتى تهزمن تحتى
قالت بهذا الاير واستصغرت * وكان قد نام على بخت
قلت نم هذا على مابه * قد ضرط البخت فما انت
هذا اذا قام استوى طوله * بطول ساقيك اذا نمت
فلو رأيتيه على بيضه * مثل ابن منصور في الدست
خريت بالطول على عارضى * صاحب ديوانى او بلت
* يا أيها الاستاذيا من به * يمحى كما أملته وقتى
خذ بيدى انى فى محنة * زلقت فيها فى خرا تحتى

وأما قول القاضى الفاضل فى هذا الباب على طريقته الفاضلة فانه عجيب وهو

لى عندكم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادى المرهون
فكانى الف ولام فى الهوى * وكان موعد وصلكم تنوين

ومثله قول مسلم بن الوليد

سريت بها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر خالد

وغاية الغايات فى هذا الباب قول عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت اسلناها على الاسل
لا ينزل المجد الا فى منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

انظر الى هذه البلاغة الهاشمية كيف جمعت بين حشمة الافتخار وتفخيم الحماسة وبديع الافتنان وغريب الاستطراد ورقة الانسجام انتهى الكلام على بيت الشيخ صفى الدين الحلى وبيت العميان

قد افصح الضب تصديقا لبعثته * افصاح قس وسمع القوم لم يهم

وهذا

الآن فقال لى انا قد كسبت بهذا العقل دية أهل همذان مع قلته فما الذى افدت انت بعقلك مع غزارته فقلت أما قولك دية أهل همذان فما اولانى أن لا أجيب عنه لكن هذا الذى تمدح به وتتبجح وتتشرف وتتصلف من انك شحذت فاخذت وسألت فحصلت واجتديت فاقتنيت فهذا عندنا صفة ذم يا غافل اقله ولأن يقال للرجل يا فاعل يا صانع احب اليه من ان يقال يا شحاذ ويا مكدى وقد صدقت انت فى هذه الحلبة اسبق وفى هذه الحرفة اعرق ولعمرك انك اشحذ وانك فى الكدية انفذ وانا قريب العهد بهذه الصنعة حديث الورد لهذه الشرعة مرمد اليد فى هذه الرقعة فأما المال فعندنا يهودى يماثلك فى مذهبه ويزيدك بذهبه ومع ذلك لا يطرفنى الا بعين الرهبة ولا يمد الى الأيد الرغبة ولو كان حظا لأخطأ مثل هذا العقل ولو كان المال غنما لما ادركته بهذا السعى ولكن عرفنى هل كنت فيما سلف من زمانك ونبت من اسنانك الا هاربا بذماتك مضرجا بدمائك مرتهنا بقولك بين وجنة

وهذا البيت على طريق الشيخ صفي الدين الحلي فان ناظمه قصد بذكر الاول التوصل الى الثاني وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

يستطرد الشوق خيل الدمع سابقة * فيفضل السحب فضل العرب العجم

الذي اقوله ان الشيخ عز الدين رحمه الله أحرز قصبات السبق بما استطرده هنا على الشيخ صفي الدين وعلى العميان مع التزامه بتسمية النوع المورى به من جنس الغزل ومراعاة جانب الرقة وتقلم الاستطراد على الشرط المذكور وبيت بديعيتي

واستطردوا خيل شوقي عنهم فكبت * وقصرت كلما البينا بوصلهم

وهذا البيت غريب ولابد لاهل الادب من تأهيل غريبه انتهى

(ذكر الاستعارة)

(وكان غرس التمني يانعا فذوى * بالاستعارة من نيران هجرهم)

الاستعارة عندهم افضل من المجاز وهي اخص منه اذ قصد المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز ومرتبتها في الاذواق السليمة ابلغ وليس في انواع البديع اعجب منها اذا وقعت في مواقعها والناس فيها اختلاف كثير وأما اصحاب المعاني والبيان فانهم اطلقوا فيها اعنة اقلامهم وجالوا بها في ميادين البحوث وليس الغرض هنا الا نقص الاستطراد الى ماوقع فيهما من المحاسن تقلما وتقرابعد تقريبها الى الاذهان بحد ويزول بها الالتباس * حد الرماني الاستعارة فقال هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل وذكر الخفاجي كلام الرماني وقال تفسير هذه الجملة قوله عز وجل واشتعل الرأس شيبا استعارة لان الاشتعال للنار ولم يوضع في اصل اللغة للشيب فلما نقل اليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لان الشيب لما كان يأخذ من الرأس شيأ فشيأ حتى يحيله الى غير لونه الاول كان بمنزلة النار التي تسري في الخشب حتى تحيله الى غير حاله المتقدمة فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ولابد ان تكون الاستعارة ابلغ من الحقيقة لاجل التشبيه العارض فيها لان الحقيقة لو قامت مقامها لكانت اولى بها ولا يخفى على اهل الذوق أن قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ابلغ من كثر شيب الرأس وهو حقيقة ولابد للاستعارة من مستعار منه ومستعار ومستعار له فالنار مستعار منها والاشتعال مستعار والشيب مستعار له انتهى * ومنهم من قال هي ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه وهذا يؤيد قول ابن جني ان لم تكن الاستعارة للمبالغة والا فهي حقيقة وكلام ابن جني حسن في موضعه فان الشيء اذا اعطى وصف نفسه لم تكن استعارة وقال ابن المعتز هي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها كقول النبي صلى الله عليه وسلم ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء فاستعار صلى الله عليه وسلم الفحمة للعشاء لقصد حسن البيان ومنهم من قال هي استعارة الشيء المحسوس للشيء المعقول قال فخر الدين الرازي هي جعلك الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه وقال ابن ابي الاصبع في تحرير التحبير هي نقل اسم الراجح الى المرجوح لطلب المبالغة في التشبيه وحسن البيان فانك اذا قلت زيد اسد فقد نقلت اسم الاسد لزيد لكن الاسد راجح في الجراءة وزيد مرجوح وقد بالغت في تشبيه زيد بالاسد واحسنت البيان انتهى ولا تحسن الاستعارة

(الاستعارة)

موشومه وجوارح مهشومه ودار مهدومه وخدود ملطومه ومتى صفت مشاربك اواخصبت مرابعك الا في هذه الايام القذرة وستعرف غدك من بعد وتنكر أمسك وتعلم قدرك في غد وتعرف نفسك وما أضيع وقتا انطقته بذكرك واسا ما دنسته باسمك وملت الى القوال فقلت أسمعنا خيرا فدفع القوال وغنى ابياتا منها

وشبهنا بنفسج عارضيه

بقايا اللطم في الخد الرقيق

فقال ابو بكر احسن ما في الامر اني احفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها فقلت يا عافاك الله اعرفها وان انشدتكها ساءك مسموعها ولم يسرك مصنوعها فقال انشد فقلت انشد ولكن روايتي تخالف هذه الرواية وأنشدت

وشبهنا بنفسج عارضيه

بقايا الوشم في الوجه الصفيق

الا اذا كان التشبيه مقررا وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسنا وما احسن قول ذي الرمة هنا

أقامت بها حتى ذوى العود في الثرى * وكف الثريا في ملاءته الفجر

فاستعار للفجر ملاءة واخرج لفظه مخرج التشبيه وكان ابو عمرو بن العلا لا يرى أن لاحد مثل هذه الاستعارة واحسن الاستعارات ما قرب منها دون ما بعد واعظمها في هذا الباب قوله تعالى والصبح اذا تنفس فان ظهور الانوار من المشرق من اشعة الشمس قليلا قليلا بينه وبين اخراج النفس مشابهة شديدة القرب ومن هذا النور استضاء الحريري في مقاماته بقوله الى أن عطس انف الصباح وقد تقدم ان بعد الاستعارة يبعد من القلوب عند أهل الذوق كقول ابي نواس مع يقظته

بح صوت المال مما * منك يشكو ويصيح

فاي شيء ابعد استعارة من صوت المال وكيف يصيح ويبح من الشكوى ومثله قول بشار

وجدت رقاب الوصل اسياف هجرنا * وقدت لرجل البين نعلين من خدي

قال ابن رشيق في العمدة ما اقبح رجل البين والحسن استعارتها وكذلك رقاب الوصل ومثله قول ابن المعتز وهو من انقد النقاد

* كل يوم يبول زب السحاب *

واين هذا البعد من قرب استعارة ابن نباتة القديم في قوله

حتى اذا بهر الاباطح والربى * نظرت اليه باعين النوار

فنظر اعين النوار من اشبه الاستعارات واليقها واقربها لان النوار يشبه الصورة اذا كان مقابلا لمن يمر به كانه ناظر اليه ويعجبني هنا قول القائل ولم يلحق فيما قاله

مجرة جدول وسماء آس * وانجم نرجس وشموس ورد

ورعد مثالث وسحاب كاس * وبرق مدامة وضباب ند

ومن الغايات في هذا الباب قول مجير الدين بن تميم

وليلة بت أسقى في غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم

مازلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

والذي اتفق عليه علماء البديع ان الاستعارة المرشحة هي المقدمة في هذا الباب وليس فوق رتبتها في البديع رتبة واعلاها واغلاها قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فان الاستعارة الاولى وهي لفظ الشراء رشحت الثانية وهي لفظ الربح والتجارة ومن الاستعارات المرشحة قول الامام علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه الدنيا من أمسى فيها على جناح امن أصبح فيها على قوادم خوف فان الاستعارة الاولى التي هي لفظ الجناح رشحت الثانية وهو لفظ القوادم مع زيادة المطابقة بين الامن والخوف والصباح والمساء وناهيك بالبلاغة الهاشمية وباب المدينة وما احلى قول بعض العرب فيه اجعلنا ومطايانا الوشية الموت فاستقينا بها ارواح العدا ومثله قول الشاعر

سلامة بن جناح * يجدحت الراح

فاتته السكتة واضجرته النكتة وانطفأت تلك الوقدة وانحلت تلك العقدة واطرق مليا وقال والله لاضربنك وان ضربت ولاشتمنك وان شتمت ولتعلمن نبأه بعد حين ولتعلمن اينا الضارب واينا المضروب وقلت يا ابا بكر مهلا فانك بين ثلاثة فصول لم تضطها من عمرك وثلاثة احوال لم تتعدها في امرك وانت في جميع الثلاثة ظالم في وعيدك متعد في تهديدك لانك كهل وانت شاعر وكنت شابا وأنت مقامر وكنت صبيا وانت مؤاجر فنطاق القدرة في الفصول الثلاثة ضيق عن هذا الوعيد لكنا نصفعك الآن وتضربنا فيما بعد فقد قيل اليوم قصف وغدا خسف وقيل اليوم خمر وغدا امر فقال ابو بكر والله لو دخلت الجنة واتخذت السندس والاستبرق جنة لصفعت فقلت والله لو ان قفاك

اذا انقضى زمن نا * علينا بالاقداح

ومثله لابن سكرة وشتان بين قوله هنا وبين قوله فى الكافات

قبل ما اعددت للبر * د فقد جاء بشده

قلت دراعة عرى * تحتها جبة رعده

والذى نشأ هنا قول القائل

والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا بكؤس الشقيق

ومثله قول ابن رشيق رحمه الله

باكر الى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المزاح

من قبل ان ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وما الطف قول ابى زكريا المغربى وقد ترجمه ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب فى تاريخه المسمى بالاحاطة فى تاريخ غرناطة وهو

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما

تحسب البدر محياً ثملا * قد سقته راحة الصبح مداما

ويعجبنى هنا قول ابن قلاقس

وفى طى ابراد النسيم خميلة * باعطافها نورا لمنى يتفتح

تضاحك فى سر المعاطف عارضا * مدامعه فى وجنة الروض تسفح

وتورى به كف الصبا زند بارق * شرارته فى فحمة الليل تقدح

وقال ابو الحسن على بن ظافر العسقلانى فى كتابه المسمى ببدائع البداية اجتمعت انا والقاضى الاعز يوما فى روضة فقلت له اجز طار نسيم الروض من وكر الزهر فقال

وجاء مبلول الجناح بالمطر وما ابدع قول ابن خفاجة فى هذا الباب

وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا * باضعف من طرف المريب وافترا

وصفرة مسوالك الاصيل تروقنى * على لعس من مسقط الشمس اسمرا

وممن تلطف فى استعمال الاستعارة المرشحة الى الغاية مجد الدين الاربلى بقوله

اصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهماً منكم بغير ملال

لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

وممن جاراه فى هذه الحلبة ابو الوليد بن حيان الشاطبى بقوله

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف

برداء الشمس اضحى * بعد ما سال يجفف

وظريف قول مجير الدين بن تميم منها

كيف السبيل لان اقبل خد من * أهوى وقد نامت عيون الحرس

وأصابع المنثور تومى نحونا * حسداً وتغمزها عيون النرجس

ومثله قوله

غدا فى دنج فى خرج فى برج لاخ لك من النعال ماقدم وما حدث وشملك من الصفع ما طاب وخبث وانشدت قول ابن الرومى

ان كان شيخا سفيها
يفوق كل سفيه
فقد اصاب شبيها
له وفوق الشبيه

ثم لما آبت نفس العقل وزال سكر الغيظ تمثلت بقول القائل

وازالنى طول النوى دار غربة * اذا شئت لاقيت امرأ لا اشاكله

أحامقه حتى يقال سجية
ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

ودفع القوال فبدأ بابيات ولحن باصوات وجعل النعاس يثنى الرؤس ويمنع الجلوس فقمنا عن الليل وهو بحره مائل الذقن الى ما وطأ من مضجع ومهد من مهجع ولم يكن النوم حل الجفون ولا شغل العيون حتى اقبل وفد الصباح وحيعل المؤذن

لما ادّعى المنثور أن الوردلا * يرقى وأن يصلى بنار سعير

ودت ثغور الاقحوان لو أنها * كانت تعض أصابع المنثور

ومثله قوله

كيف السبيل للثم من احببته * في روضة للزهر فيها معرك

ما بين منثور أقام ونرجس * مع اقحوان فضله لا يدرك

هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو اليّ وثغر هذا يضحك

وما احلى قول محيي الدين بن قرناص الحموي

قد اتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندا بجمان

ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من انامل الاغصان

وقال البدر الذهبي واجاد

هلم يا صاح الى روضة * يجلو بها العاني صدا همه

نسيمها يعثر في ذيله * وزهرها يضحك في كمه

ومثله قول ابن عمار

بالسلة بتنا بها * في ظل اكناف النعيم

من فوق اكمام الربا * ض وتحت اذيال النسيم

واما مطلع قصيد ابن النبيه في هذا الباب فانه ابهى من مطالع الاقمار * وديباجة الاستعارة من حليه تستعار وهو

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر * ودب عذار الظل في وجنة النهر

وهذا المعنى مولد من قول ابن خفاجة الاندلسي

* وطرة ظل فوق وجه غدير *

ولكن ابتسام ثغر الزهر عن شنب القطر في قول ابن النبيه غاية وتلطف الشريف العقيلي في هذا الباب بقوله

وروضة الجام فيها * من زهرة الراح ورد

فاشرب على وجه روض * له من الماء خد

وما احلى قول القاضي السعيد بن سنا الملك هنا

ولبعدهم طالت ذوائب ليلهم * فبها تغطى ضوء وجه نهارهم

واحلى منه قوله

سرى طيفه لا بل سرى لي سرابه * وقد طار من وكر الظلام غرابه

اتتبع نقش الليل صفحة خده * فقلت حبيب قد أتاني كتابه

وقال من غيرها بشوك القنا يحمون شهد رضابها

وما احلى تكميله بقوله * ولا بد دون الشهد من ابر النحل ومثله قوله

الّتي حبائل صيد من ذوائبه * فصاد قلبي بأشراك من الشعر

واحلى منه قوله

خصر ادير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلي له تعنيق

بالفلاح ونُدب الى النهوض بالفروض فاجبنا فلما قضينا الفرض فارقنا الارض فأوى الى ام مثواه واويت الى الحجرة وظني ان هذا الفاضل يأكل يده ندما ويبكي على ما جرى دمعا ودما فانه اذا سمع بحديث همذان قال الهاء هم والميم موت والذال ذل والالف آفة والنون ندامة وانه اذا نام هالمناطيف واذا انتبه راعه مناسيف واخذ الناس يترامزون بما جرى ويتغامزون وراب هذا الفاضل تغامزهم مثل ما راب المريض تغامز العواد فجعل يحلف الناس بالعتق وتحرير الرق والمكتوب في الرق انه اخذ قصب السبق وانه ينطق عن الحق والناس اكياس لا يقنعهم عن المدّعي يمين دون شاهدين وسعوا بيننا بالصلح يحكمون قواعده ومعاقده وعرفناه فضل السن فقصدناه معتذرين

وغاية

وغاية الغايات قوله

بعثت لى على فم الطيف قبله * فأنالني بعض المسرة جله

ومن الاستعارات الحسنة فى هذا الباب قول شمس الدين بن العفيف فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

حيا الثنايا ترية الهادى الرسول حياه * بمنطق الرعد بادمن فم السحب

وظريف هنا قول ابن قلاقس

هدتنا السرور بنجوم راح * بها قذفت شياطين الهموم
وكف الصبح تلقطها تبدى * بجيد الليل من درر النجوم

ومن اللطائف فى هذا الباب قول ابى الحسن العقيلى

لناخ يحسن ان يحسنا * رضاه تجانين عذب الجنى
قد عرفت روضته معروفه * بانها تنبت زهر الغنى
اذا تبدى وجه احسانه * تنزهت فيه عيون المنى

و يعجبنى فى الاستعارة المرشحة قول ابن سعيد الموصلى من قصيدة يتشوق فيها الى دمشق المحروسة فانه اتى فيها فى بيت واحد باستعارات كثيرة مع اجتناب الحشو ومطلع القصيدة قوله

سقى دمشق واياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها

وبيت الاستعارة بعده

ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن فى احشا اراضيها

ومن اغرب الاستعارات وأبدعها واحشمها قول ابن زيدون من قصيدته النونية المشهورة

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وقد عن لى ان انثر فى حدائق الاستعارة نبذة من زهر المنثور واورد منه ما زهو بوروده على روضات الزهور كقول القائل وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور وجسوم نار فى غلائل نور الى ان ذاب ذهب الاصيل على لجين الماء وشبت نار الشفق فى فحمة الظلماء ومثله قول على بن ظافر الحداد فى دوح انعطفت قدود أشجاره وابتسمت ثغور ازهاره وذر كافور رمانه على عنبر طينه وامتدت بكاسات الجلنار انامل غصونه وقال آخر وأجاد وقد عرق بالندا جبين النسيم وابتل جناح الهواء وضربت خيمة الغمام واغرورقت مقلة السماء وقام خطيب الرعد فنبض عرق البرق ولقد حاز القاضى الفاضل قصبات السبق فى هذا الميدان بقوله كتبها المملوك وقد عمشت مقلة السراج وشابت لمة الدواة وخرس لسان القلم وكل خاطر السكين وضاق صدر الورق وما احلى قول القاضى محى الدين بن عبد الظاهر والاغصان قد اخضر نبات عارضها ودنانير الازهار ودراهمها قد تهيأت لتسليم قابضها وقال جمال الدين بن نباتة كتبها المملوك ودمع الغيث قد رقا ووجه الارض قد راق وقدود الاغصان قد راسلت اهواء القلوب بالاوراق وقيان حمائمها قد ترنمت وجذبت القلوب بالاطواق والورد قد احمر خده الوسيم وفككت ازراره من اجياد القضب انامل النسيم وخرجت أكفه من أكمامه لاخذ البيعة على

البغا وما الهامة مهيضة واهتزاز متفضة واشارة مريضة بكف مضمها على الهواء مصبا وبسطها فى الجو بسطا وعلمنا أن المقمور ان يستخف ويستهين والقامر ان يحتمل ويلين فقلنا ان بعد الكدر صفوا كما ان عقب المطر صحوا فهل لك فى خلق فى العشرة نستأنفها وطرق فى الخلطة نسلكها فان ثمرة الخلاف ما قد بلوتها فقال ظهر الوفاق لفظا كما ذكرت والجميل اجمل كما علمت وسنشترك هذا العنان وعرض علينا الاقامة عنده صبابة ذلك اليوم فاعتللنا بالصوم فلم يقبل العذر والح فقلت انت وذاك فطعمنا عنده واخذنا دندان مزده وخرجنا والنية على الجميل موفورة و بقعة الود معمورة وصرنا لا نتعالى الابمدحه ولا نتنقل الا بذكره ولا نعتمد الأبوده لابل

الازهار بالتقديم ومما كتبته في البشارة الصادرة عن الملك المؤيد عند عوده من البلاد الرومية وحلول ركابه الشريف بحلب المحروسة المتضمنة ما من الله به من الفتح الذي صار له في الروم قصص سنة عشرين وثمانمائة فمن ذلك قولي عند حصار قلعة طرسوس وفتحها ورأوا ألسن السهام في أفواه تلك المرامي فقالوا رأينا المصائب ناطقة وماروا على سماء برج غيوم ستائر الملعب فيها من بوارق تفوطها بارقة وحكم عليهم القضا بالاعتقال ولم يأتوا عند ذلك الحكم بدافع هذا بعد ما صفق مقبلهم جاد وجهه فبصقت فيه أفواه المدافع وقولي في الاستعارة المرشحة أيضا عند حصار قلعة درندة وفتحها وقررنا صدع سورها باختلاف الآلات فجاء ما قررناه نقشا على حجر وادعت ان صخرها اصم فاسمعناه من آذان المرامي تنقير المدافع وتحريك الوتر وقرعنا سن جبلها ببابات المدافع وكسرنا منه الثنية وامست حلق مراميها كالخواتم في أصابع سهامنا المستوية ومثله قولي عند حصار قلعة كختار وفتحها على لسان حال القلعة في سموها وافراط علوها فانا الهيكل الذي ذاب قلب الاصيل على تذهيبه وود دينار الشمس ان يكون من تعاويذه والشجرة التي لولا سمو فرعها لتفكهت به حبات الثريا وانتظمت في سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فارمدنا عيون مراميه بدم القوم واميال سهامنا على تكحيلها التزاحم وغاية الغايات في هذا الباب قولي عند حصار قلعة كركر وتنكرت اكراد كركر بدور القلعة فعرفناهم بلامات القسي وألفات السهام وعطست انوف مراميها باصوات مدافعنا وكان بها زكام ومن حسن ختامها ولم نخرج عما نحن فيه من بديع الاستعارة وغريبها قولي فلا بكر قلعة الا افتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كاس برج اترعوه بالتحصين الا توجنا رأسه من حبات مدافعنا بالحباب انتهى ولم احبس عنان القلم عن الاستطراد الى ما وقع لي من محاسن الاستعارة نظما الا التخفيف عن بيت البديعية وقلت نكفيه المزاحمة في مناظرة الشيخ صفي الدين الحلي ومبارزة الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله وحمل ثقل العميان فبيت الشيخ صفي الدين رحمه الله في بديعيته وهو الشاهد على نوع الاستعارة

ان لم احث مطايا العزم مثقلة * من القوافي تؤم المجد عن أمم

وبيت العميان

يقول صحبي وسفن العيس خائضة * بحر السراب وعين القيظ لم تنم

بيت الشيخ صفي الدين وبيت العميان لم يحسن السكوت عليهما ولا تتم الفائدة بهما فان بيت الشيخ صفي الدين متعلق بما قبله وبيت العميان متعلق بما بعده وبيت الشيخ عز الدين صالح للتجريد وهو

دع المعاصي فشيب الرأس مشتعل * بالاستعارة من ازواجها العقم

القول ولو بلغت ماعسى ان يكون ان في قوله من ازواجها العقم ما يرعب السامع وبيت بديعيتي

وكان غرس التمني يانعا فذوى * بالاستعارة من نيران هجرهم

وقد تقدم ان المقدم عند علماء البديع الاستعارة المرشحة فلفظة غرس رشحت يانع واما قولي بالاستعارة من نيران هجرهم بعد ذوى فما عده الا من المنح الالهامية فان اسم النوع

الذي

ملأنا البلاد شكرا والاسماع نشرا وبتنا نحن من الحال في اغذيها شرعة ومن الثقة في اطيبها جرعة ومن الظنون في اهلها فرعة ومن المودة في اعزها بقعة واوسعها رقعة حتى طرأ علينا رسولان متحملان لمقالته مؤديان لرسالته ذاكران ان ابا بكر يقول قد تواترت الاخبار وتظاهرت الآثار في انك قهرت واني قهرت ولا أشك ان ذلك التواتر عنك صدرت اوائله والخبر اذا تواتر به النقل قبله العقل ولابد ان نجتمع في مجلس بعض الرؤساء فنتناظر بمشهد الخاصة والعامة فانك متى لم تفعل ذلك لم آمن عليك تلامذتي او تقر بجزلك وقصورك عن بلوغ امدي وما أبدي فعجبت كل العجب مما سمعت واجبته فقلت اما قولك قد تواتر الخبر بانك قهرت وان ذلك عن جهتي صدر

الذي هو الاستعارة جمع بين التورية والاستعارة والترشيح مع عدم الحشو وصحة التركيب والمشي على جادة الرقة والالتزام بتسمية النوع موري به من جنس الغزل انتهى

(ذكر الاستخدام)

(واستخدموا العين مني وهي جارية * وقد سمحت بها أيام عسرهم)

الاستخدام هو استفعال من الخدمة وأما في الاصطلاح فقد اختلفت العبارات في ذلك على طريقين الاولى طريقة صاحب الايضاح ومن تبعه ومشى عليها كثير من الناس وهي ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين فتريد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم تعيد عليه ضميرا تريد به المعنى الآخر أو تعيد عليه ان شئت ضميرين تريد بأحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر وعلى هذه الطريقة مشى أصحاب البديعيات والشيخ صفي الدين الحلي والعميان والشيخ عز الدين وهلم جرا الثانية طريقة الشيخ بدر الدين بن مالك رحمه الله تعالى في المصباح وهي ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم يأتي بلفظين يفهم من احدهما أحد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر ثم ان اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما والطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين وهذا هو الفرق بين التورية والاستخدام فان المراد من التورية هو احد المعنيين وفي الاستخدام كل من المعنيين مراد ونقل الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ما يؤكد هذا فانه قال المشترك اذا لزم استعماله في مفهوميه معا فهو الاستخدام وان لزم في أحد مفهوميه في الظاهر مع لمح الآخر في الباطن فهو التورية ومنهم من قال الاستخدام عبارة عن ان يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا متوسطة بين قرينتين تستخدم كل قرينة منهما معنى من معنى تلك اللفظة المشتركة وهذا مذهب ابن مالك وعلى كل تقدير فالطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين بضمير وغير ضمير وأعظم الشواهد على طريقة ابن مالك ومن تبعه قوله تعالى لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت فان لفظة كتاب يحتمل ان يراد بها الاجل المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظتي اجل ويمحو فاستخدمت أحد مفهوميها وهو الامد بقرينة ذكر الاجل واستخدمت المفهوم الآخر وهو الكتاب المكتوب بقرينة يمحو ومنه قوله من القصيدة النباتية

حويت ريقا نباتيا حلا فغدا * ينظم الدر عقدا من ثناياك

فان لفظة نباتي يحتمل الاشتراك بالنسبة الى السكر والى ابن نباتة الشاعر وقد توسطت بين الريق وحلاوته وبين الدر والنظم والعقد فاستخدمت احد مفهوميها وهو السكر النباتي بذكر الريق والحلاوة واستخدمت المفهوم الآخر وهو قول الشاعر النباتي بذكر النظم والدر والعقد وليس في جانب من المفهومين اشكال وأما شاهد الضمائر على طريق صاحب الايضاح فجميع كتب المؤلفين لم يستشهدوا فيها على عود الضمير الواحد الا بقول القائل

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

فلفظة السماء يراد بها المطر وهو أحد المعنيين والضمير في رعيناه يراد به المعنى الآخر وهو

(الاستخدام)

فبالقصاص ومن لسان جمع اتمدح بقهرك ولا أتبجح بقصرك وان لنفسك عند ذلك لشأنا ان ظننتني أقف هذا الموقف أمات شاء الله تعالى أبعد مرتقى همة وصعد نفس أسأل الله ستر ايمتد ووجها لا يسود فاما التواتر من الناس والتظاهر على انى قهرتك فلو قدرت على الناس لخطت افواههم ولقبضت شفاههم فالحيلة وهل الى ذلك سبيل فاتوسل أم ذريعة فاتوصل ثم هذا التواتر ثمرة ذلك التناظر مع ذلك التساتر فان كان قد ساءك فاحرى ان يسوءك عند مجمع الناس ومحتفل أولي الفضل ولان يترك الامر مختلفا فيه خير لك من ان يتفق عليه وان احببت ان تطير هذا الواقع وتهيج هذا الساكن فرأيك موفقا فاما هذا الوعيد فقد عرضته

النبات وأما شاهد الضميرين فانهم لم يخرجوا به عن قول البحترى وهو

فسقى الغضى والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحى وضلوعى

فان لفظة الغضى محتملة الموضع والشجر والسقيا صالحة لكل منهما فلما قال والساكنيه استعمل احد معنى اللفظة وهو الموضع بدلالة القرينة عليه ولما قال شبوه استعمل المعنى الآخر وهو الشجر بدلالة القرينة عليه انتهى والشيخ صفى الدين رحمه الله لم يستطرد فى شرح بديعيته الى غاية ذلك ولكن رأيته فى شرحه قد أورد على بيت البحترى نقدا حسنا ليس فيه تحمل ولا اشكال فانه قال شرط علماء البديع ان يكون اشتراك لفظة الاستخدام اشتراكا أصليا والنظر هنا فى اشتراك لفظة الغضى فانه ليس باصلى لان أحد المعنيين منقول من الآخر والغضى فى الحقيقة الشجر وسموا الوادى غضى لكثرة نبته فيه وقالوا جمر الغضى لقوة ناره فكل منقول من أصل واحد ولم يرد فى كتب المؤلفين غير هذين البيتين وقول أبى العلاء

قصد الدهر من ابى حمزة الاوّاب مولى حجى وخدن اقتصاد

وفقيها افكاره شدن للنعـ * ـمان مالم يشده شعر زياد

فالنعمان يحتمل هنا اباحنيفة رضى الله عنه ويحتمل النعمان بن المنذر ملك الحيرة فان الزمخشرى صنف كتابا فى مناقب أبى حنيفة سماه شقائق النعمان فى حقائق النعمان وأما أبو العلاء فانه أراد بلفظ النعمان اباحنيفة وأراد بالضمير المحذوف ابن المنذر ملك الحيرة وزياد هنا هو النابغة وكان معروفا بمدح النعمان بن المنذر وهذا يصح على طريقة ابن مالك فان فقيها يخدم أباحنيفة وشعر زياد يخدم النعمان بن المنذر ولا يصح على مذهب صاحب الايضاح فان ضمير يشده لم يعد على واحد منهما لان شرط الضمير فى الاستخدام ان يكون عائدا على اللفظة المشتركة ليستخدم بها معناها الآخر كما قال البحترى فى شبوه فهذا الضمير عائد على الغضى وهذا جعل الضمير فى يشده غير عائد على اللفظة المشتركة التى هى النعمان فصار طيب الذكر الذى يشيده زياد لا يعلم لمن هو لان الضمير لا يعود على النعمان اللهم الا ان يكون التقدير مالم يشده له فيعود الضمير على النعمان بهذا التقدير انتهى وما أحلى قول بعض المتأخرين مع عدم التعسف والسلامة من النقد وصحة الاشتراك الاصلى وهو

والغزالة شئ من تلفته * ونورها من ضيا خديه مكتسب

وأنا بالاشواق الى معرفة الناظم وهذا النوع أعنى الاستخدام قل من البلغاء من تكلفه وصح معه بشر وطه لصعوبة مسلكه وشدة التباسه بالتورية وقد تقدم ما أوردناه من النقد على بيتى البحترى وأبى العلاء وهو أعلى رتبة عند علماء البديع من التورية وأحلى موقعا فى الاذواق السليمة ولكن قل من ظفر منه بسلامة التخلص من علق النقد وصعد من غور التعسف الى نجد السهولة قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ومن أنواع البديع ما هو نادر الوقوع ملحق بالمستحيل الممنوع وهو نوع التورية والاستخدام الذى تقف الافهام حسرى دون غايته عند مرامى المرام

نوع يشق على الغبى وجوده * من أى باب جاء يغدو مقفلا

لا يفرع هضبته فارع ولا يقرع بابه قارع الا من تمهر فى البلاغة نحوه فى الخطاب ويجرى

على جوانحى اجمع وجوارحى كلها فلم تنشد الابيت القائل وعيد تخرج الآرام منه وتكره نية الغنم الذئاب فكم تتكوكب تلامذتك ويتعسكرون ويتحيش أصحابك ويتجمهرون ولست اراك الا بين ثنتين احداهما (تروح الى اتى وتغدو الى طفل) والاخرى تجيب دعوة المضطر اذا دعاك بصفات فان كان الله قضى أن القتل بأخس السلاح فلا مفر من القدر المتاح رزقنا الله عقلا به نعيش ونعوذ بالله من رأى بنا يطيش وقلنا من بعد ان رسالتك هذه وردت موردا لم نحتسبه ووصلت موقفا لم نرتقبه فلذلك خرج الجواب عن البصل ثوما وعن الجهل لوما فلما ورد الجواب عليه وسع من الغيظ فوق طاقته وحمل من الحقد فوق عيبه وقال قد بلغ السيل الزبا وعلت

ربعها

ربعها بأمره رناء حيث أصاب على ان المتقدمين ماقصدوه جملة كافيه ولا شعروا به لما شعروا انه دخل معهم فى بيت تحت قفل قافيه وأما المولدون من الشعراء كالفرزدق وجرير ومن عاصرهما وخاض معهما لجة بحر البلاغة فلم يرد أحد منهم ورد هذا الغدير وأما الذين تفقهوا من بعدهم فى الادب وتبهوا الضال طرقه بالطلب فربما قصدوا بعض أنواع البديع فجادت انجاحت وفاتت مرة أخرى وأخرى فاءت وقد قصد ابوتمام كثيرا من الجناس وفتح أبوابه وشرع طرقه للناس وأما التورية والاستخدام فانتبه لمحاسنهما وتيقظ وتحرى وتحرر وتحفد وتحفظ الامن تأخر من الشعراء والكتاب وتضلع من العلوم وتطلع من كل باب واظن ان القاضى الفاضل رحمه الله تعالى هو الذى ذلل منهما الصعاب وأنزل الناس بهذه الساحات والرحاب حتى ارتشف هذه السلافة أهل عصره وأصحابه الذين نزلوا بربوع مصره وخفقت رياحهم بالاخلاص فى نصره كالقاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك ومن انخرط معه فى هذا السلك ولم يزل هو ومن عاصره على هذا المنهج فى ذلك الأوان ومن جاء بعدهم من التابعين باحسان الى ان جاء بعدهم حلبة أخرى وزمرة تترى فكلهم يرمون فى هذا الاحسان عن قوس واحده ويتفقون من مادة هى فى الجود معن بن زائده ويصلون المقطوع بالمقطوع فلا تخلو فيه كلمة فائتة من فائده وغالب شعرهم على هذا النمط وا كثره درر اسماع متى تلتق تلتقط كأبى الحسين الجزار والسراج الوراق والنصير الحمامى والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فهؤلاء هم الفحول الذين جددوا بعد القاضى الفاضل الى هذه الغايه ورفعوا راية هذا النوع وكان كل منهم عرابة تلك الرايه تسابقوا جيادا والتيار المصرية لهم حلبه وتلاحقوا أفرادا وهم فى شرف هذا الفن من هذه النسبه وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم وتأزر نصرهم ولان فى هذا النوع هصرهم وبعد حصرهم فيما أرادوه كما زاد حصرهم كل ناظم تود الشعرى لو كانت له شعرا ويود الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا منهم شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيى الدين بن قرناص وشمس الدين بن محمد بن العفيف وسيف الدين بن المشد ثم ان الشيخ صلاح الدين قال فى آخر هذا الفصل وهؤلاء معهم جماعة يحضرنى ذكرهم عند شعرهم ويعز على ان لم ارهم على تكاثرهم افوات عصرهم وكأنى بقائل يقول لقد أفرطت فى التعصب لاهل مصر والشام على من دونهم من الانام وهذا باطن باطل وعدوان وحمية لاوطانك وما جاورها من البلدان فالجواب ان الكلام فى التورية والاستخدام لاغير ومن هنا تقطع المادة فى السير ومن ادعى انه يأتى بدليل وبرهان فالقياس بيننا والشعراء والميدان وقد رجح صاحب يتيمة الدهر شعراء الشام على شعراء العراق وقال انهم حازوا قصبات السبق عليهم فى حلبة السباق فانهم قوم جبلت طباعهم على اللطافه وطبعت جبلتهم على الكيس والظرافه انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدى قلت واتصل هذا الحديث القديم بالشيخ جمال الدين بن نباتة فاينع فرعه النباتى بفضه

الوهاد الربانى أمرك وستوى فى يومك ونصرف فى قومك ثم مضت على ذلك أيام ونحن منتظرون لفاضل ينشط لهذا الفصل ويتطرينا بالعدل فاتفقت الآراء على أن يعقد هذا المجلس فى دار الشيخ أبى القاسم الوزير واستدعيت فسرحت الطرف من ذلك السدف عالم افرغ فى عالم وملك فى درع ملك ورجل تظم الى التنبل تبذلا والى الترفع تواضعا ونطق فودت الاعضاء لو انها اسماع مصغيه واستمع فتمنت الجوارح لو أنها السن ناطقه فقلت الحمد لله أن عقد هذا المجلس فيدار من يفرق بين من يحق ومن يزرق وكنت أول من حضر وانتظرت مليا حضور من ينتظر وقدوم من يناظر وطلع الامام أبو الطيب وأخذ من المجلس موضعه

ووريقه واستعبد التورية والاستخدام فى سوق رقيقه فمن استخداماته ما أرانا من استخدام البحترى عبث الوليد وقلنا بعده فى استخدام أبى العلاء ليس على الاعمى حرج فانه مشى على الحس فى ظلمة التعقيد واستخدام الشيخ جمال الدين الموعود به قوله من قصيدة رائية امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم

اذا لم تفض عينى العقيق فلا رأت * منازله بالقرب تبهى وتبهر
وان لم تواصل عادة السفح مقلتى * فلا عادها عيش بمغناه اخضر

تطرأيها المتأمل الى صحة الاشتراك بين الاستخدامين وانسجام البيت الاول مع البيت الثانى وسيلان الرقة لذا القطر النباتى والتشبيب المرقص بالمنازل الحجازيه والغزل الذى يليق ان تصدر به المدائح النبويه ولعمرى انه مشى على طريق صاحب الايضاح فزاده ايضاحا ولو دعى الى عروس الافراح زاده افراحا وهذه القصيدة التى ظفرت منها بهذين الاستخدامين محاسنها غرر فى جباه القصائد ولانواع البديع بها صلة ومن أبياتها عائد منها

سقى الله أكناف الغضى سائل الحيا * ولن كنت اسقى ادمعا تتحدر
وعيشا نضى عنه الزمان بياضه * وخلفه فى الرأس يزهو ويزهر
تغير ذاك اللون مع من أحبه * ومن ذا الذى ياعز لا يتغير
وكان الصبا ليلا وكنت كحالم * فوا أسفى والشيب كالصبح يسفر
يعللنى تحت العمامة كتمه * فيعتادنى حسرة حين أحسر
ويشكرنى ليلى وما خلت انه * اذا وضع المرء العمامة يشكر

ومنها

وهيفاء أما جفنها فمؤنث * كليل وأما لحظها فمذكر
يروقك جمع الحسن فى لحظاتها * على أنه بالجفن جمع مكسر
يشف وراء المشرفية خدها * كما شف من دون الزجاجة مسكر
خليلى كم روض نزلت فناءه * وفيه ربيع للنزيل وجعفر
وفارقتها والطير صافرة بها * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

ومنها فى وصف الناقة

ورب طموح العزم أدماء جسرة * يظل بها عزمى على البيد يجسر
طوت بذراعى وخدها شقة الفلا * وكف الثريا فى دجى الليل يشبر
ومدت جناحى ظلها الف الضحى * فشدت كما شد النعام المنفر
بصم الحصى ترمى الحداة كانما * تغار على محبوبها حين يذكر
اذا ما حروف العيس خطت بقفرة * غدت موضع العنوان والعيس أسطر
فلله حرف لا ترام كأنها * لوشك السرى حرف لدى الشد مضمر

وعارض الشيخ جمال الدين بن نباتة جماعة نسجوا على منواله فى عصره لكن الذوق السليم يشهد أنهم كانوا خلاسة قطره وهذا الشرح هو جامعهم الكبير واذا ذكرت فيه نظائرهم فاعلم انه ليس لخيمهم نظير نرجع الى الاستخدام وشواهده وايراد ابيات البديعيات فيه فبيت صفى الدين قوله

والامام أبو الطيب تيقسه أمة ووحده عالم ثم حضر السيد أبو الحسين وهو ابن الرسالة والامامة وعامر ارض الوحى والمجتبى بفناء النبوة والضارب فى الادب بعرقه وفى النطق بحذقه وفى الانصاف بحسن خلقه فجشم الى المجلس قدم سبقه وجعل يضرب عن هذا الفاضل بسيفين لامر كان قدم توعله وحديث كان شبه لديه وفطنت لذلك فقلت أيها السيد أنا اذا سار غيرى فى التشيع برجلين طرت بجناحين واذا مت سواى فى موالاة أهل البيت بلحمة الة توسلت بغرة لائحة فان كنت أبلغت غير الواجب فلا تحملنك على ترك الواجب ثم انى لى فى آل الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد قد تطمت حاشيتى البر والبحر وركبت الافواه ووردت

من كل ابلج وارى الزند يوم قرى * مشمر عنه يوم الحرب مصطلم

وبيت العميان

ان الغضى لست أنسى أهله فهم * شبوه بين ضلوعى يوم بينهم

أقول لو عاش البحترى ما صبر العميان على هذه السرقة الفاحشة فانهم أخذوا لفظه ومعناه وضميره وما اختشوا من الحرج ولا سلموا من النقد وبيت عز الدين

والعين قرت بهم لما بها سمحوا * واستخدموها من الاعدا فلم تنم

قوله والعين قرت بهم لما بها سمحوا الى غاية الحسن فانه أتى بالاستخدام وعود الضمير فى شطر البيت مع الانسجام والرقة واستخدامه فى العين الناظرة وعين المال وأما قوله فى الشطر الثانى واستخدموها من الاعدا فلم تنم ما اعلم ما المراد به فان الاستخدام فى العين التى هى الجارحة قد تقدم والذى يظهر لى ان اضطراره الى تسمية النوع الجأه الى ذلك وبيت بديعيتى

واستخدموا العين منى فهى جارية * وكم سمحت بها ايام عسرهم

فالتورية فى جارية بعد استخدموها لم يوجد فى سوق الرقيق مثلها والعود بالضمير مع تمكن القافية وعدم التكلف والحشو لا يخفى على أهل الذوق السليم فان قافية مصطلم فى بيت صفى الدين تمجه الاذواق انتهى الكلام على الاستخدام

(ذكر الهزل الذى يراد به الجد)

*(والبين هازلنى بالجد حين رأى * دمعى وقال تبردانت بالديم)*

قال صاحب التلخيص ومنه يعنى فن البديع الهزل الذى يراد به الجد كقوله

اذا ما تميمى أتاك مفاخرا * فقل عد عن ذا كيف اكلك للضب

ولم يزد على ذلك شيأ والهزل الذى يراد به الجد هو ان يقصد المتكلم مدح انسان أوذمه فيخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللائق بالحال كما فعل أصحاب النوادر مثل أشعب وابى دلامة وأبى العيناء ومزيد ومن سلك مسلكهم كما حكى عن اشعب انه حضر وليمة بعض ولاة المدينة وكان رجلا بخيلا فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة فيها جدى مشوى فيصوم الناس حوله ولا يمسه أحد منهم لعلمهم ببخله واشعب كان يحضر مع الناس ويرى الجدى فقال فى اليوم الثالث زوجته طالق ان لم يكن عمر هذا الجدى بعد ان ذبح وشوى اطول من عمره قبل ذلك ومن شواهد الهزل الذى يراد به الجد ما أنشده ابن المعتز من قول أبى العتاهية

ارقيك ارقيك بسم الله أرقيكا * من بخل نفسك عل الله يشفيكا

ما سلم كفك الا من يناولها * ولا عدوك الا من يرجيكا

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس وقوله ابلغ ما سمع فيه والطف وهو

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بان الفتى يهذى وليس بفعال

قال زكى الدين بن أبى الاصبع ما رأيت احسن من قوله ملتفتا وان كان بعلها انتهى وهذا النوع أعنى الهزل الذى يراد به الجد ما سبكه فى قوالبه الا من لطفت ذاته وكان له ملكة فى هذا الفن وحسن تصرف ومن أطرف ما وقع فى هذا الباب انه حصل لى

(الهزل الذى يراد به الجد)

المياه وسارت فى البلاد ولم تسر بزاد وطارت فى الآفاق ولم تسر على ساق ولكنى أتوق بها اليكم ولا أتنفق بها عليكم وللآخرة قلتها لا للحاضرة وللدين ادخرتها لا للدنيا فقال أنشدنى بعضها فقلت

بالله ضرب الزما
ن على معرس اخيامه
لتدرك من خزا
مى روضه عادت ثغامه
لرزيه قامت بها
للدين اشراط القيامه
لمضرج بدم النبو
ة ضارب بيد الامامه
متقسم بظبا السيو
ف مجرع منها حمامه
منع الورود وماؤه
منه على طرف الثمامه
نصب ابن هند رأسه
فوق الورى نصب العلامه

بالديار المصرية جرب أشرفت منه على التلف فوصف لى الحكيم بطيخا وهو عزيز الوجود فى تلك الايام فبلغنى انه أهدى الى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية عظم الله تعالى شأنه بطيخ فكتبت اليه

مولاى عاقبنى الزمان بجربة * وقد انقطعت بجسمى المسالوخ
وعمت من حزنى على ماتم لى * لكن شممت روائح البطيخ

فالكناية على طلب البطيخ سبكت فى أحسن قوالب الهزل مع حسن التضمين ومثله قولى

جاء الشتاء فرأسى * والجسم صارا شمانه
بطيلسان ابن حرب * وفروة ابن نباته

ففى طيلسان ابن حرب وفروة ابن نباتة مع مافيهما من الهزل الظاهر كنايتان عن الفقر الذى تزايد حده وطيلسان ابن حرب معروف لشهرته وأما فروة ابن نباتة ففيها الاشارة الى قوله

زرقة جسمى وبياض ثلجها * سنجابى الابلق فى فصل الشتا

ومثله قولى

وصاحب تسمح لى نفسه * بغدوة لكن اذا ما انتشا
يضحك سنى للغداعنده * ٢ لكننى اقلع ضرسى للعشا

نبه على الهزل الذى يراد به الجد زيادة تلطف الاستدراك ومراعاة النظير وكان هذا الصاحب تغمده الله برحمته ورضوانه من أعز الاصحاب على ولكن التصريح باسمه غير ممكن هنا وبين الهزل الذى يراد به الجد وبين التهكم فرق لطيف وهو أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهذا النوع بالعكس وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

اشبعت نفسك من ذمى فهاضلك ما * تلقى وا كثر موت الناس بالتخم

فقوله وا كثر موت الناس بالتخم كناية يهزلون بها على من يفرط فى أ كل شئ ويخص به نفسه وبيت العميان

قل للصباح اذا ما لاح نورهم * ان كان عندك هذا النور فابتسم

لم أر فى بيت العميان هزلا يراد به الجد والله اعلم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

هزل اريد به جد عتابك لى * كما كتمت بياض الشيب بالكتم

الشيخ عز الدين غفر الله له حكى هنا حكاية لم يسعنى الكلام عليها لئلا يطول الشرح وبيت بديعيتى

والبين هازلنى بالجد حين رأى * دمعى وقال تبردانت بالديم

انظر ايها المتأمل هنا بنور الله تعالى فان الهزل الذى يراد به الجدا نا ملتزم تسميته وقد استوعب شطر البيت وانظر كيف افرغت هذا النوع الغريب فى أحسن القوالب واغرب المعانى فان الدمع تزايد انهماله الى ان صار كالديم الهاطلة والبين يغبطنى بذلك مهازلا ويقول لى تبرد أنت بهذه الديم

(ذكر المقابلة)

*(قابلهم بالرضا والسلم منشرحا * ولو اغضابا فيا حربى لغيظهم)*

ومة بل كان النبى
بلثمه يشفى غرامه
قرع ابن هند بالقضيب
عذابه فرط استضامه
وشدا بنغمته عليه
وصب بالفضلات جامه
والدين ابلج ساطع
والعدل ذو خال وشامه
ياويح من ولى الكتا
ب قفاه والدنيا امامه
ليضرسن يد الندا
مة حين لا تغنى الندامه
وليدركن على الغرا
مة سوء عاقبة الغرامه
وحمى اباح بنو أمية
عن طوائلهم حرامه
حتى اشتفوا من يوم بد
ر واستبدوا بالزعامه
لعنوا أمير المؤمنين
بمثل اعلان الاقامه

٢ قوله لكننى الخ كذا بالاصل وفيه ان هذا مرجز والشعر سريع اه

(المقابلة)

المقابلة ادخلها جماعة فى المطابقة وهو غير صحيح فان المقابلة أعم من المطابقة وهى التنظير بين شيئين فاكثر و بين ما يخالف وما يوافق فبقولنا وما يوافق صارت المقابلة أعم من المطابقة فان التنظير بين ما يوافق ليس بمطابقة وهذا مذهب زكى الدين بن أبى الاصبع فانه قال صحة المقابلات عبارة عن توخى المتكلم بين الكلام على ما ينبغى فاذا أتى باشياء فى صدر كلامه أتى باضدادها فى عجزه على الترتيب بحيث يقابل الاول بالاول والثانى بالثانى لا يخرم من ذلك شيأ فى المخالف والموافق ومتى أخل بالترتيب كانت المقابلة فاسدة وقد تكون المقابلة بغير الاضداد والفرق بين المطابقة والمقابلة من وجهين أحدهما ان المطابقة لا تكون الا بالجمع بين ضدين والمقابلة تكون غالبا بجمع بين أربعة اضداد ضدان فى صدر الكلام وضدان فى عجزه وتبلغ الى الجمع بين عشرة اضداد خمسة فى الصدر وخمسة فى العجز والثانى ان المطابقة لا تكون الا بالاضداد والمقابلة بالاضداد وغير الاضداد ولكن بالاضداد أعلى رتبة وأعظم موقعا ومن معجزات هذا الباب قوله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فانظر الى مجىء الليل والنهار فى صدر الكلام وهما ضدان ثم قابلهما فى عجز الكلام بضدين وهما السكون والحركة على الترتيب ثم عبر عن الحركة بلفظ الارداف فالتزم الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة فانه عدل عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة وهى تشير الى الاعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس واضافة الظرف الى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ليهتدى المتحرك الى بلوغ المآرب ويتقى أسباب المهالك والآية الشريفة سيقت للاعتداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه ليتم حسن البيان فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المنافع والمصالح التى لو عددت بالفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة عنها الى الفاظ كثيرة فحصل فى هذا الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن الا تراه سبحانه وتعالى كيف جعل العلة فى وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث قال لتسكنوا ولتبتغوا بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات من انواع البديع المقابلة والتعليل والاشارة والارداف وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن البيان وحسن النسق فلذلك جاء الكلام متلائما آخذا اعناق بعضه باعناق بعض ثم أخبر بالخبر الصادق ان جميع ما عدده من النعم باللفظ الخاص وما تضمنته العبارة من النعم التى تلزم من لفظ الارداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض ومن رحمته وهذا كله فى بعض آية عدتها عشر كلمات فالحظ هذه البلاغة الباهرة والفصاحة الظاهرة انتهى ومن أمثلة صحة المقابلة فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم ما كان الرفق فى شىء الا زانه ولا كان الخرق فى شىء الا شانه فانظر كيف قابل الرفق بالخرق والزين بالشين باحسن ترتيب وأتم مناسبة وهذا الباب فى مقابلة اثنين باثنين ومنه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا جعلهم مفاتيح الخير مغاليق الشر

لم لا تغرى باسما • ولم تصبى بالعمامه

لم لا تزولى باجبال ولم تشولى بالنعامه

بالعنة صارت على اعناقهم طوق الحمامه

ان العمامة لم تكن للتيم ما تحت الغمامه

من سبط هند وابنها دون البتول ولا كرامه

ياعين جودى للبقيع فذرى بدم رغامه

جودى بمذخور الدموع وراسلى بدرا انتظامه

جودى بمشهد كربلا • فوفرى منى ذمامه

جودى بمكنون الدموع اجدى اجادا ابن مامه

فلما أنشدت ما انشدت وسردت ما سردت وكشف له الحال فيما اعتقدت انحلت له العقدة وصار سلما لوسعنا حلما وحضر بعد ذلك الشيخ أبو عمر البسطامى وناهيك من حاكم يفصل وناظر يعدل يسمع فيفهم ويقول فيعلم ثم حضر بعد

ومنه وهو ظريف فى مقابلة اثنين باثنين أن المنصور قال لمحمد بن عمران انك لبخيل فقال يا أمير المؤمنين لا أجمد فى حق ولا أذوب فى باطل ومنه فى النظم قول النابغة

فتى كان فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

وقول الحلي

ورنح الرقص منه عطفا * خفف به اللطف والدخول

فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

واخبرني مولانا قاضي القضاة الشافعي نور الدين الحاكم بحماة المحروسة المشهور بخطيب الدهشة أنه كان بحماة يهودي يطوف بالحناء والصابون على رأسه و يقول معي حناء اخضر جديد وصابون يابس عتيق وأما مقابلة ثلاثة بثلاثة فقيل ان المنصور سأل ابا دلامة عن أشعر بيت فى المقابلة فأنشده

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

فالشاعر قابل بين أحسن وأقبح و بين الدين والكفر والدنيا والافلاس قال ابن أبي الاصبع انه لم يقل قبله مثله ومن مقابلة أربعة باربعة قوله تعالى فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المقابلة بين قوله واستغنى وقوله واتقى لان معناه زهد فيما عنده واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وذلك يتضمن عدم التقوى ومن مقابلة أربعة باربعة قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه فى وصيته عند الموت هذا ما اوصى به أبو بكر عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها واول عهده بالآخرة داخلا فيها فقابل أولا بآخر والدنيا بالآخرة وخارجا بداخل ومنها بفيها فانظر الى ضيق هذا المقام كيف صدر عنه مثل هذا الكلام قال علماء البديع كلما كثر عددها كانت ابلغ فمن مقابلة خمسة بخمسة قول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه لعثمان بن عفان رضي الله عنهما ان الحق ثقيل مرى والباطل خفيف وبي وانت رجل ان صدقت سخطت وان كذبت رضيت واوردوا لابي الطيب فى مقابلة خمسة بخمسة

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وانثني وبياض الصبح يغري بي

قال صاحب الايضاح ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح والمقابلة الخامسة بين بي ولي فيها نظر لان الباء واللام صلتا الفعلين ورجح بيت أبي دلامة المتقدم على بيت ابي الطيب بجودة المقابلة ولكن القافية مستدعاة فان الذي ذكره مختص بالرجل و بغيره والمعنى قد تم بدون الرجل قال زكي الدين بن أبي الاصبع لو كان لما اضطر الى القافية افاد بها معنى زائدا بحيث يقول بالبشر لكان البيت نادرا وعلى كل تقدير بيت ابي دلامة افضل من بيت المتنبي لصحة المقابلة لانه قابل بالاضداد والمتنبي بغير الاضداد والمقابلة بالاضداد افضل وهو مذهب السكاكي فانه قال المقابلة ان تجمع بين شيئين متوافقين فاكثر ثم اذا شرطت هنالك شيأ شرطت هنا ضده انتهى و بيت المتنبي افضل بالكثرة عند غير السكاكي وان المقابلة عنده لا تصح الا بالاضداد واسلم من بيت ابي الطيب فى التركيب ما اورده الصاحب

ذلك القاضي أبو نصر والادب ادنى فضائله وأيسر فواضله والعدل شيمة من شيمه والصدق مقتضى همممه وحضر بعده الشيخ أبو سعيد محمد بن أرمك أيده الله وهو الرجل الذي يحميه لالاؤه ولوذعيته من ان يدال بمن أو بمن الرجل وهو الفاضل الذي يحطب فى حبل الكتابة ما شاء ويركض فى حلبة العلم ما اراد وحضر بعده أبو القاسم بن حبيب وله فى الادب عينه وفراره وفى العلم شعلته وناره وحضر بعده الفقيه أبو الهيثم ورائد الفضل يقدمه وقائد العقل يخدمه وحضر بعده الشيخ أبو نصر بن المرزبان والفضل منه بدا واليه يعود وحضر بعده أصحاب الامام أبي

قوله مختص بالرجل الخ صوابه غير مختص بالرجل

شرف الدين مستوفى اربل

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفى رجل حر قيد ذل يشينه

وبيت صفى الدين الحلى

كان الرضا بدنوى من خواطرهم * فصار سخطى لبعدى عن جوارهم

فقابل الرضا بالسخط والدنو بالبعد ولفظة من بعن فاذا قلنا ان من ضد عن سلم له أربعة بأربعة وخواطرهم بجوارهم على مذهب من يرى ان المقابلة تجوز بالاضداد وبغيرها وبيت العميان

بواطئ فوق خد الصبح مشتهر * وطائر تحت ذيل الليل مكتتم

بيت العميان أمكن من بيت صفى الدين فى المقابلة لانهم قابلوا وطئا بطائر لان الواطئ هو الماشى على الارض والطائر السائر فى الهواء وفوق بتحت وخد بذيل لما بينهما من معنى العلو والسفل والصبح بالليل ومشتهر بمكتتم وانظر لفظة مشتهر مع مكتتم وهى القافية التى لا يمكن أمكن منها ولفظة خواطرهم ومقابلتها بجوارهم فى بيت صفى الدين وما بينهما من المباينة غير ان ثقل قولهم بواطئ يشق حمله على لطيف الذوق وبيت الشيخ عز الدين

ليل الشباب وحسن الوصل قابله * صبح المشيب وقبح الهجر واندمى

قابل بين ليل وصبح وشباب ومشيب وحسن وقبح والوصل والهجر وهى مقابلة صحيحة بين الاضداد وأتى بلفظة قابله اضطرارا لتسمية النوع وأما قوله واندمى فقافية مستدعاة أجنبية من المقابلة فانه لم يوهلها المقابلة ضد ولا لغيره بل تركها بمنزلة الاجانب وبيت بديعيتى

قابلتهم بالرضا والسلم منشرحا * ولوا غضابا فواحربى لغيظهم

قد تقرر ان الشيخ عز الدين لم يأت بلفظة قابله فى بيته الا اضطرارا لتسمية النوع فانه لم يقابلها بشئ فانظر كيف أتيت بلفظة قابلتهم فى أول البيت وقابلتها فى الشطر الآخر بلفظة ولوا ومقابلة بقية الاضداد من الرضا والغضب والسلم والحرب ظاهرة وتمكين القافية بغيظهم ومقابلتها بالانشراح اظهر فان القافية اذا كانت ممكنة وهى جارية فى عدد المقابلات كانت من اعلى رتب هذا النوع كما تقدم فى بيت المتنبى وبيت أبى دلامة وقافية العميان منتظمة فى هذا العقد بخلاف بيت صفى الدين وبيت عز الدين انتهى

(ذكر الالتفات)

*(وما أرونى التفاتا عند نفرتهم * وانت باطبى أدرى بالتفاتهم)*

فسر قدامة الالتفات بان قال هو ان يكون المتكلم آخذا فى معنى فيعترضه اما شك فيه او ظن ان رادا يرده عليه أو سائلا يسأله عن سببه فيلتفت اليه بعد فراغه منه فاما ان يجلى الشك أو يؤكده او يذكر سببه كقول الرماح بن ميادة

فلا صرمه يبدو وفى اليأس راحة * ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

فكأن الشاعر توهم ان قائلا يقول له وما تصنع بصرمه فقال لان فى اليأس راحة وأما ابن المعتز فقال الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة ومثاله فى الكتاب قوله تعالى بعد الاخبار بأن الحمد لله رب العالمين اياك نعبد واياك نستعين وكقوله تعالى ان أراد

الطيب الاستاذ
وما منهم الا اغر نجيب
وحضر بعدهم أصحاب الاستاذ الفاضل أبى الحسن الماسرجسى
وكل اذا عد الرجال مقدم
وحضر بعدهم أصحاب الاستاذ أبى عمر البسطامى
وهم فى الفضل كاسنان المشط
ومنه بأعلى مناط العقد
وحضر بعدهم الشيخ أبو سعيد الهمذانى وله فى الفضل قدحه المعلى وفى الادب حظه الاعلى
وحضر بعد الجماعة أصحاب الاسئلة المسبلة والاسوكة المرسلة رجال يلعن بعضهم بعضا فصاروا الى قلب المجلس وصدره حتى رد كيدهم فى نحرهم وقيموا

(الالتفات)

النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين وكقوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض مالم نمكن لكم ومثال ذلك من الشعر قول جرير

متى كان الخيام بذى طلوح * سقيت الغيث أيتها الخيام

وانصراف المتكلم عن الخطاب الى الاخبار وهو عكس الاول كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ومثاله أيضا قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم

ثم قال يخبر عن هذه المخاطبة

كيف المزار وقد تربع أهلنا * بعنيزتين وأهلها بالغيلم

أو انصراف المتكلم عن الاخبار الى التكلم كقوله تعالى والله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت أو انصراف المتكلم عن التكلم الى الاخبار وهو كقوله تعالى ان نشأ أن يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز والقراءة في الكلمات الثلاث بالنون شاذة نقلها صاحب البحر الزاخر وفي هذا الكتاب سبعة آلاف رواية وقد جمع امرء القيس الالتفاتات الثلاث في ثلاثة أبيات متواليات وهو قوله

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد

وذلك من نبا جاءنى * وخبرته عن أبى الاسود

فخاطب في البيت الاول وانصرف عن الخطاب الى الاخبار في البيت الثانى وانصرف عن الاخبار الى التكلم في البيت الثالث على الترتيب وما أحلى قول مهيار بن مرزويه في قصيدته التى سارت بمحاسنها الركبان وامتدح بها الوزير زعيم الدين في يوم نوروز سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ثنو المطلع

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الرى يا دار أماما

فانصرف عن الاخبار الى المخاطبة في بيت واحد ومثله في اللطف قول القاضى الارجانى

وهل هى الا مهجة يطلبونها * فان ارضت الاحباب فهى لهم فدى

اذا رمتم قتلى وانتم أحبتى * فماذا الذى اخشى اذا كنتم عدى

ومثله قول أبى الطيب

لولا مفارقة الاحباب ماوجدت * لها المنايا الى ارواحنا سبلا

بما بجفنيك من سحر صلى دنفا * يهوى الحياة وأما ان صددت فلا

ومثله قول ابى العلا

يودان ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

ومن لطائف الالتفات بالانصراف من الخطاب الى الاخبار قول ابن نبيه

من مجر عينيك الأمان الامان * قتلت رب السيف والطيلسان

امسر كالرع له مقلة * لولم تكن كحلاء كانت سنان

بالنعال الى صف النعال فقالت لمن حضر من هؤلاء فقالوا أصحاب الخوارزمى فلما أخذ المجلس زخرفه من حضروا تنظر أبو بكر فتأخر اقترحوا على قوافى أبتنوها واقتراحات كانوا يبتوها فاظنك بالخلفاء أذيت لها النار من لفظ الى المعنى نسقته وبيت الى القافية سقته على ريق لم ابلعه ونفس لم أقطعه وصار الحاضرون بين اعجاب بما أوردت وتعجب مما أنشدت وقال أحدهم بل أوحدهم وهو الامام أبو الطيب لن نؤمن لك حتى تقترح القوافى وتعين المعانى وتنص على بحر فان قلت حينئذ على الروى الذى أسومه وذكرت المعنى الذى أرومه فانت حى القلب كما عهدناك منشرح الصدر كما شاهدناك شجاع

فقوله عن المقلة بعد تشبيه القوام بالرمح أنها لو لم تكن كحلاء كانت سنانا بديع وغريب ومن اغرب ما وقع لى فى هذا النوع اللطيف انى صرحت باسم الالتفات عند وقوعه بقولى من قصيد

والله ان لم التهم من بعد ذا * فعلى زمانى لم ازل متعتبا
وقد التفت اليك يا دهرى بطو * ل تعتبى ويحق لى ان اعتبا
قربت لى طول الشتات وطيفة * وجعلت دمعى فى الخدود مرتبا

واتفق لى أيضا نظير ذلك فى رسالة كتبتها الى العلامة بدر الدين ابن قاضى اذرعات رحمه الله منها سكن القلب وغير بدع اذا كان القلب للبدر منزلا ورام هلال الافق ان يباهى سموه بمطلعه فقلنا ما أنت من براعة هذا الاستهلال ولا وتطاول الرامح الى الطعن فى محله الذى يجل قدرا عن مناظر ومباهى فقلنا له اقصر مكتفيا والا فعند التناهى ولقد شوقتنى ظباء المعالى فى هذا المسرح الى الالتفات فقلت ملتفتا الى تلك الليالى المقمرة بنوره وقطوف الفوا كه البدرية دانيات

أيا بدرا سما افق المعالى * واوقع طائرا من كل نسر
ذكرت لياليا منه تقضت * فيا شوقى الى ليلات بدر

وأما بيت القصيدة اعنى البديعية فانه البيت الذى خطبت من بابه بالفتح ونادا الغير من وراء حجراته وتغايرت ظباء الصريم وهو فى سرب بديعه على حسن التفاته وودت ربوع البديعيات ان يسكن منها فى بيت ولكن راودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت ولقد انصف الحريرى فى المقامة الحلوانية عند ايراد البيت الجامع لمتشبهات الثغر بقوله يا رواة القريض واساة القول المريض ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وها أنا قد عرضت خبيئتى للاختبار وعرضت حقيبتى على الاعتبار وقلت وانا ماش فى عرض بيت بديعيتى على هذا السنن وارجو ان يكون بحسن التفاته فى مرآة الذوق مثل الغزال نظرة وافتة وسابرزه بين اقرانه واذا انسدلت غدائر الاشكال ظهر الفرق من نور بيانه فبيت الشيخ صفى الدين

وعاذل رام بالتعنيف يرشدنى * عدمت رشدك هل أسمعت ذا صمم

ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وأما بيت عز الدين

وما التفت لساع ج فى شغف * ما أنت طالب كن من وجدى بملتزم

وبيت بديعيتى

وما أرونا التفاتا عند نفرتهم * وانت يا ظبى أدرى بالتفاتهم

فهذا البيت فيه التورية بتسمية النوع وقد برزت فى أحسن قوالبها ومراعاة النظير فى الملائمة بين الالتفات والظبى والنفرة والانسجام الذى أخذ بمجامع القلوب رقة والتمكين الذى ما تمكنت قافية باستقرارها فى بيت كتمكين قافيته والسهولة التى عدها التيفاشى فى باب الظرافة وناهيك بظرافة هذا البيت والتوشيح وهو الذى يكون معنى اول الكلام دالا على آخره ورد العجز على الصدر والالتفات الذى هو المقصود دون غيره من الانواع فقد

الطبع كما وجدناك وشهدنا انك قد أحسنت وان لا فتى الا أنت فما خرجت من عهدة هذا التكليف حتى ارتفعت الاصوات بالهيللة من جانب والحوقلة من آخر وتعجبوا اذ أرتهم الايام ما لم ترهم الاحلام وجاءهم العيان بما يخل به السماع والعجز هم الفهم ما أخلفهم الوهم ثم التفت فوجدت الاعناق تلتفت وما شعرت الا بهذا الفاضل وقد طلع فى شملته وهب بجملته بأوداج ما يسعها الزمان وعينين فى رأسه تزران ومشى الى فوق أعناق الناس وجعل يدس نفسه بين الصدور يريد الصدر وقد أخذ المجلس أهله فقلت يا أبا بكر تزحزح عن الصدر قليلا

اشتمل هذا البيت على ثمانية أنواع من البديع مع عدم التكلف والله تعالى أعلم

(ذكر الافتنان)

*(تغزلي وافتناني في شمائلهم * اضحى رثا لاصطباري بعد بعدهم)*

الافتنان هو ان يفتن الشاعر فيأتي بفنين متضادين من فنون الشعر في بيت واحد فأكثر مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء والهناء والعزاء فأما ما افتن به الشاعر من النسيب والحماسة كقول عنترة

ان تغدفي دوني القناع فانني * طب بأخذ الفارس المستلئم

فأول البيت نسيب وآخره حماسة وكقول أبي دلف ويروى لعبد الله بن طاهر

أحبك يا ظلوم وأنت مني * مكان الروح من جسد الجبان

ولو أني أقول مكان روحي * خشيت عليك بادرة الطعان

ومما جمع فيه بين التهنئة والتعزية قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ومما جمع فيه بين التعزية والفخر قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ومن انشاء العلامة الشهاب محمود مما كتب به من رسالة تهنئة وتعزية ان رزقه الله تعالى ولدا ذكرا في يوم وماتت له بنت قوله ولا عتب على الدهر فيما اقترف ان كان قد ساء فيما مضى فقد أحسن الخلف واعتذر بما وهب عما سلب فعفا الله عما سلف ومما جمع فيه من النظم بين التهنئة والتعزية قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية لما دفن اباه وجلس للتعزية

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذي بالملك اصفاكا

لا رزء اصبح في الاسلام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وقال زكي الدين بن أبي الاصبع أحسن شعر افتن فيه صاحبه بالجمع بين التعزية والتهنئة قول أبي نواس للعباس بن الفضل بن الربيع يعزيه بالرشيد ويهنيه بالامين حيث قال

تعز ابا العباس عن خير هالك * بأكرم حي كان او هو كائن

حوادث ايام تدور صروفها * لهن مساو مرة ومحاسن

وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى * فلا انت مغبون ولا الموت غابن

ولعمري ان جمال الدين بن نباتة رحمه الله قال في تعزية الملك المؤيد صاحب حماة وتهنئة ولده الافضل بالسلطنة بعد أبيه ما هو أحسن من قول أبي نواس الذي استحسنه ابن أبي الاصبع وقول من تقدمه وان تأخر ابن نباتة فقد تقدم بنباته فانه استطرب في قصيدة مطولة بالجمع بين التهنئة والتعزية الى آخرها وأتى بمعان منها سلامة الاختراع والذي يؤدي اليه اجتهاد ذوقي ان هذه القصيدة من العجائب في هذا النوع واوردت مطلعها في براعة الاستهلال لكن تعين ايراده هنا لندخل منه الى بيوت القصيدة المشتملة على هذا النوع ليتأيد ما أثبتت اليمن غرابة اسلوبها وهو قوله رحمه الله تعالى

هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام في ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

ترد

(الافتنان)

(قوله ثم ننجي الآية) الذي فيها انما هو تبشير وانذار

الى مقابلة اخيك فقال لست برب الدار فتأمر على الزوار فقلت يا عافاك الله حضرت لتناظرني والمناظرة اشتقت امامن النظر أو من التنظير فان كان اشتقاقها من النظر فمن حسن النظر ان يكون مقعدنا واحدا حتى يتبين الفاضل من المفضول ثم يتطاول السابق ويتقاصر المسبوق فقضت الجماعة بما قضيت وغض هذا الفاضل من تلك الحكمة والحط عن تلك العظمة وقابلني بوجهه فقلت أراك أيها الفاضل حريصا على اللقاء سريعا الى الهيجاء (ولو زمتك الحرب لم تترمرم) ففي أي علم تريد أن تناظر

نزد مجاري الدمع والبشر واضح * كوابل غيث في ضحى الشمس قد همى

سقى الغيث عنا تربة الملك الذي * عهدنا سجاياه أعز وأكرما

ودامت يد النعمى على الملك الذي * تدانت به الدنيا وعز به الحمى

مليكان هذا قد هوى لضريحه * برغمي وهذا للأسرة قد سما

وروضة أصل شاذوى تكافأت * فغصن ذوى منها وآخر قد نما

فقدنا لإعناق البرية مالكا * ومنا لأنواع الجميل مقسما

كأن ديار الملك غاب إذا انقضى * به ضيغم أنشأ به الدهر ضيغما

كأن عماد الدين غير مقوض * وقد دمت يا أزكى الأنام وأحزما

فان يك من أيوب نجم قد انقضى * فقد أطلعت أوصافك الغر أنجما

وان تك أيام المؤيد قد مضت * فقد جددت علياك وقتا وموسما

هو الغيث ولى بالثناء مشيعا * وأبقاك بحرا بالمواهب مفعما

وكانت وفاة الملك المؤيد في شهر المحرم فقال ولم يخرج عما نحن فيه

بك انبسطت فينا التهاني وانشأت * ربيع الهنا حتى نسينا المحرما

والجمع بين التهنئة والتعزية في نوع الافتنان أصعب مسلكا من الجمع بين النسيب والحماسة لشدة التناقض بينهما ومن أظرف ما رأيت في هذا النوع ان ابن حجاج جمع في الافتنان بين التعزية والمدح المؤدي الى التهكم بقوله في تعزية بعض الرؤساء بابيه في بيت واحد وهو

أبوك قد جل أهل الثرى * فجمل القحبه المقبره

وأما الغزل المخمس فكثير في نظم الفحول وغيرهم وما أحلى قول مهيار الديلمي في بيت واحد

وأتعب من حاولت يا قلب وصله * حبيب سنان السمهري رقيبه

ومن اتحف الأذواق بحلاوة هذا النوع وجمع فيه بين النسيب والحماسة القاضي الارجاني رحمه الله تعالى في قوله

نزل الاحبة ساحة الاعداء * فغدا اللقاء منهم بلقاء

وما احلى ما قال بعده

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى * من دون نظرة مقلة نجلاء

فقصدتها سرا لحول قبابها * سمر الرماح يملن للاصغاء

من كل باكية دما من دونها * يوم الطعان بمقلة زرقاء

يا دمية من دون رفع سجوفها * خوض القنا بالخيل بحر دماء

لو ساعد الاحباب قلت تجلدا * أهون علي بملتقى الاعداء

ومثله قول أبي الطيب في بيت وكل من النصفين كامل في معناه

عدو يفديه من دونها * سلب النفوس ونار حرب توقد

ومن تفنن في هذا النوع وجمع بين رقة النسيب وفخامة الحماسة ابراهيم بن محمد الانصاري الساحلي المعروف بطويجن جرى ذكره في التاج بما نصه جواب الآفاق ومحالف الرفاق رفع له ببلده راية للأدب لا تحجم واصبح نسيج وحده فيما يسدي وألحم فان نسب صار

فاوما الى النحو فقلت يا هذا ان اليوم قد متع والنهار قد ارتفع والظهر قد أزف ولئن قرعنا باب النحو أضعنا اليوم فيه فهذا يخرج الناس فعلا هتاف الناس ايهما ردا الجواب هناك ما يدري المجيب فان شئت أن أناظرك في النحو فسلم الآن لي ما كنت تدعيه من سرعة في البديهة وجودة في الروية وقدرة على الحفظ ونفاذ في الترسل ثم أنا اجاريك في هذا فقال لا أسلم ذلك ولا أناظر في غير هذا وارتفعت الضجة واستمرت الملاحة حتى أبلغ الاستاذ الفاضل أبو عمر اليه وقال ايها الاستاذ انت أديب خراسان وشيخ هذه الديار وبهذه الابواب التي قد عدها هذا الشاب كنا نعتقد لك السبق والحذق

للنسب شرف ونسب وان مدح قدح من أنوار فطنته ما قدح كم حرك الجامد ونظم الجمان في سلوك المحامد فمن قوله في الافتنان الذي جمع فيه بين الحماسة والتشبيب

خطرت كيباد القنا المتأطر * ورنت بالحاظ الغزال الاعفر
وأتت بين تطاعن وتداعب * في فتك قسورة وعطفة جؤذر

وما أبدع قوله منها

وبملعب الصدغين مطرد وجنة * زحفت عليه كتائب ابن المنذر

وله ولم يخرج عما نحن فيه

زارت وفي كل مرمى لحظا محترس * وحول كل كناس كف مفترس

وما أحلى ما قال بعده

مهما تلا خدها الزاهي الضحى نطقت * سيوف آماقها عن آية الحرس

ويعجبني قول أبي الفتوح بن قلاقس

عقدوا الشعور معاقد التيجان * وتقلدوا بصوارم الأجفان
ومشوا وقد هزوا رماح قدودهم * هز الكماة عوالي المران
وتدرعوا زردا تخلت أراقما * خلعت ملابسها على الغزلان

ومن افتن في قصيدة كاملة وتفنن وخلص من تفخيم الحماسة والفخر الى رقة الغزل وأحسن القاضي السعيد هبة الله بن سنا الملك رحمه الله فانه قسم القصيدة شطرين وتلاعب في ميدان البلاغة بالفنين وهذه القصيدة تقف دونها فرسان الحماسة ويكبو الجواد من خولها ويثني من أطائف غزلها من لعبت بلطف شمائله خمر لطف شمولها وهي

سواي يخاف الدهر او يرهب الردى * وغيري يهوى ان يكون مخلدا
ولكنني لا أرهب الدهر ان سطا * ولا أحذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مد نحوي حادث الدهر طرفه * لحدثت نفسي أن أمد له يدا
توقد عزم يترك الماء جمرة * وحلية حلم تترك السيف مبردا
وفرط احتقار للأنام فانني * أرى كل عار من حلا سودد سدى
وأظما أن أبدي الى الماء منة * ولو كان لي نهر المجرة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذلل * رأيت الهدى أن لا أميل الى الهدى
وقدما بغيري أصبح الدهر أشيبا * وبي بل بفضلي أصبح الدهر أمردا
وانك عبدي يا زمان وانني * على الكره مني أن أرى لك سيدا
وما أنا راض أنني واطئ الثرى * ولي همة لا ترتضي الافق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتي * لخرت جميعا نحو وجهي سجدا
وبذل نوالي زاد حتى لقد غدا * من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا
ولي قلم في أنملي ان هززته * فما ضرني أن لا أهز المهندا
اذا جال فوق الطرس وقع صريره * فان صليل المشرفي له صدى

وتثاقلت عن مجاراته فيها عما بينهم ويوهم واضطره الى منازلة او نزول عنها ومقارعة فيها أو اقرار بها فقال سلت الحفظ فانشدت قول القائل

ومستلم كشفت بالرمح ذيله
أقمت بعضب ذي شقاشق ميله
فجعت به في ملتقى الحي خيله
تركت عتاق الطير تحجل حوله

وقلت يا ابا بكر خفف الله عنك كما خففت عنا في الحفظ قد كفيتنا مؤنة الامتحان ولم تضع وقتا من الزمان فلو تفضلت وسلت البديهة ابضامع الترسل حتى نفرغ النحو الذي أنت عليه أكبر واللغة التي أنت بها اعرف والعروض الذي أنت عليه اجرأ والامثال التي لك

والمخلص

والتخلص من الحماسة والفخر الى الغزل قوله

ومن كل شيء قد صحوت سوى هوى ٭ أقام عذولي بالملام وأقعدا
اذا وصل من أهواه لي تصعدى ٭ فليت عذولي كان بالصمت مسعدا
يحب حبيبي من يكون مفندا ٭ فياليتني كنت العذول المفندا
وقال لقد آنست نارا بخده ٭ فقلت والي ما وجدت بها هدى
وكم لي الى دار الحبيب التفاتة ٭ تذكرني عهدا قديما ومعهدا
ولم أدم ذاك الخد بالصفا انما ٭ جعلت خلوقا حين ابصرت مسجدا
تراقب طرفي أن يلوح هلالها ٭ فقد طالما قد قام حين تعبدا
عبرت عليها واعتبرت تجلدي ٭ فياحسرتي لما اعتبرت التجلدا
كأن بطرفي ما بقلبي صبابة ٭ فلم ير تلك الدار الا تقيدا
وكم لجوادي وقفة في مراحها ٭ تعود منها جيده ما تعودا
تعود ذاك الجيد مني أنني ٭ أصيره من در عيني مقلدا
ويارب ليل بت فيه وبيننا ٭ عناق أعاد العقد عقدا مبددا
ولم اجعل الكف الشمال وسادة ٭ فبات على كفي اليمين موسدا
وجردته من ثوبه وأعدته ٭ بثوب عفاف كاسيا متجردا
وقربني حتى طربت الى النوى ٭ واوردني حتى صديت الى الصدا
شهدت بان الشهد والمسك ريقه ٭ وما كنت لولم أختبره لأشهدا
وأن السلاف البابلية لحظه ٭ والا سلوا انسانه كيف عربدا

وممن حذا هذا الحذو ونسج على هذا المنوال ومشى فيه على طريق ما سلكها احد قبله الصاحب بهاء الدين زهير فانه كتب الى كمال الدين بن العديم أبياتا ضمنها أنه تعصبه لقضاء حاجة له ولم يؤهل غيره لها وتخلص منها الى الغزل بما تستجلي منه عرائس البيان ويظهر به الافتنان وهي

دعوتك لما أن بدت لي حاجة ٭ وقلت رئيس مثله قد تفضلا
لعلك للفضل الذي أنت ربه ٭ تغار فلا ترضى بأن تتبدلا
اذا لم يكن الا تحمل منة ٭ فمنك وأما من سواك فلا ولا
حملت زمانا عنكم كل كلفة ٭ وخففت حتى آن لي أن أثقلا
ومن مذهبي المشهور مذ كنت أنني ٭ لغير حبيب قط لن أتذللا
وقد عشت دهرا ما شكوت لحادث ٭ بلى كنت أشكو الاغيد المتدللا
وما همت الا بالصبابة والهوى ٭ ولا خفت الا سطوة الهجر والقلا
أروح وأخلاقي تذوب حلاوة ٭ وأغدو وأعطافي تسيل تغزلا

وقد طال الشرح ولكن رأيت الافتنان نوعا غريبا فطلبت بالكثرة زيادة ايضاحه ليستضيء المتأمل في ظلمات الاشكال بنور مصباحه وبيت الشيخ صفي الدين

ما كنت قبل ظبا الالحاظ قط أرى ٭ سيفا أراق دمي الا على قدم

فيها السبق والقدم والاشعار التي انت فيها تقدم فقال ما كنت لاسلم الترسل ولاسيما الحفظ فقلت الراجح في شيئه كالراجح في قيمته لكنا نقبلك عن ذلك السماح فهذه انشدنا خمسين بيتا من قبلك مرتين حتى أنشدك عشرين بيتا من قبلي عشرين مرة فعلم أن دون ذلك خرط القتاد تهاب شوكتها اليد فسلم ثانيا كما سلم بادئا وصرنا الى البديهة فقال احد الحاضرين هاتوا على شعر أبي الشيص في قوله
ابقى الزمان به ندوب عضاض ٭ ورمى سواد قرونه ببياض
فاخذ ابو بكر يفند ويصعد مقدرا انا نغفل عن انفاسه

كان المطلوب من الشيخ صفي الدين في هذا النوع غير هذا النظم مع عدم تكلفه بتسمية النوع
وأما العميان فانهم لم ينظموا هذا أيضا في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

كان افتناني بثغر راق مبسمه * صار افتناني بثغر فيه سفك دمي

وبيت بديعيتي

تغزلي وافتناني في شمائلهم * أضحى رثا لاصطباري بعد بعدهم

والجمع في افتنان هذا البيت بين النسيب الخالص والتعزية وكل من الشطرين مستقل بمعناه هو جمع غريب والكناية عن موت الصبر بان التغزل أضحى رثاء له من ألطف الكنايات ويؤيد ذلك قولي بعد بعدهم ذكر ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا يسمى التفريع لم ينظمه أصحاب البديعيات وهو قريب من الافتنان ولكن بينهما فرق دقيق لان الافتنان لا يكون الا بالجمع بين فنين من أغراض المتكلم كما تقدم والتفريع يخالف ذلك وهو الجمع بين الفنون والمعاني والله تعالى أعلم

(ذكر الاستدراك)

*(قالوا ترى لك لما بعد فرقتنا * فقلت مستدركا لكن على وضم)*

الاستدراك على قسمين قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد وقسم لا يتقدمه ذلك فمن أمثلة الاول قول القائل

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادي

قال ابن أبي الاصبع لم اسمع في هذا الباب أحسن من قول ابن دويدة المغربي يخاطب رجلا أودع بعض القضاة مالا فادعى القاضي ضياعه وهو

ان قال قد ضاعت فيصدق أنها * ضاعت ولكن منك يعني لو تعي
أو قال قد وقعت فيصدق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

وممن تلطف في هذا الباب وأجاد للغاية القاضي الارجاني بقوله

غالطتني اذ كست جسمي ضنا * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

ولقد احسن القائل في شكوى الزمان بقوله

ولي فرس من نسل اعوج سابق * ولكن على قدر الشعير يحمحم
وأقسم ما قصرت فيما يزيدني * علوا ولكن عند من اتقدم

وهذه كلها شواهد القسم الاول من الاستدراك وأما شواهد القسم الثاني وهو الذي لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد فمثل قول زهير

أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

ومتى لم يكن في الاستدراك نكتة زائدة عن معنى الاستدراك لم تدخل في أنواع البديع والا فلا يعد بديعا ولا يخفى على الذوق السليم ما في بيت زهير من الزيادة على معنى

(الاستدراك)

او توليه جانب وسواسه ولم يعلم انا نحفظ عليه الكلم ثم نوافقه عليها فقال

يا قاضيا ما مثله من قاض
انا بالذي تقضي علينا راض
فلقد لبست ضفية ملومة
من نسج ذا البارق الفضفاض
لا تغضبن اذا نظمت تنفسا
ان الغضا في مثل ذلك تغاض
فلقد بليت بشاعر متقادر
ولقد بليت بنابذ ثب غاض
ولقد قرضت الشعر فاسمع واستمع
لنشيد شعر طائعا وقراض
فلاغلبن بديهه بديهتي
ولا رمين سوداء ببياض

فقلت يا ابا بكر ما معنى قولك ضفية ملومة وما الذي اردت بالبارق الفضفاض فانكر أن يكون قاله قافية فوافقه على ذلك

الاستدراك بقوله ولكنه قد يهلك المال نائله فانه لو اقتصر على صدر البيت دل على ان ماله موفور وتلك صفة ذم فاستدرك ما يزيل هذا الاحتمال ويخلص الكلام للمدح المحض واذا تأمل الذائق بيت الارجانى متع ذوقه بحلاوة الادب من قوله

ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

فالنكتة الزائدة على معنى الاستدراك لا تخفى الا على من حجب عن ذوق هذا العلم وهو من شواهد القسم الاول فانه قرر ما أخبرت به من قولها انت عندى فى الهوى مثل عينى ثم أكد بقوله صدقت ثم نكت بالزيادة على معنى الاستدراك التنكيت الذى يتماثل النسيم على رقته ولولا ما سكن هذا النوع بيتا بديعيا ولا تأهل بعد غربته واصحاب البديعيات على هذا المنوال نسجوا وأداروا كؤس السلافة على أهل الاذواق ومازجوها بلطف مزاجهم فامتزجوا والذى أقوله ان الشيخ صفى الدين حلا فى هذا المنهل الصافى مورده وعلا فى هذا السلك البديعى منظمه ومنضده وبيته

رجوت أن يرجعوا يوما وقد رجعوا * عند العتاب ولكن عن وفا ذممى

فانه قرر ما اخبر به قبل الاستدراك وأكده بقوله وقد رجعوا ثم قوله عند العتاب تكميل بديعى وأما العميان فانهم ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت عز الدين

فكم حبت بالاستدراك ذا أسف * لكن عن المشتهى والبر من سقمى

وأما هذا البيت فانه عامر بقلق البناء مع عقادة التركيب وبيت بديعيتى

قالوا انرى الشمل بعد فرقتنا * فقلت مستدركا لكن على وضم

وفى انصاف اهل العلم والذوق السليم ما يغنى عن التطويل فى محاسن هذا البيت

(ذكر الطى والنشر)

(والطى والنشر والتغيير مع قصر * للظهر والعظم والاحوال والهمم)

الطى والنشر هو أن تذكر شيئين فصاعدا اما تفصيلا فتنص على كل واحد منهما واما اجمالا فتأتى بلفظ واحد يشتمل على متعدد وتفوض الى العقل رد كل واحد الى ما يليق به لا أنك تحتاج أن تنص على ذلك ثم ان المذكور على التفصيل قسمان قسم يرجع الى المذكور بعده على الترتيب من غير الاضداد لتخرج المقابلة فيكون الاول للاول والثانى للثانى وهذا هو الا كثر فى اللف والنشر والاشهر وقسم على العكس وهو الذى لا يشترط فيه الترتيب ثقة بأن السامع يرد كل شئ الى موضعه تقدم أو تأخر وأما المذكور على الاجمال فهو قسم واحد لا يتبين فيه ترتيب ولا يمكن عكس مثاله ان يقول لى منه ثلاثة بدر وغصن وظبى فصل من هذا ان اللف والنشر على ثلاثة اقسام واذا كان المفصل المرتب فى اللف والنشر هو المقدم نبدأ بشواهده فمنه بين شيئين قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فالسكون راجع الى الليل والابتغاء راجع الى النهار ومنه قول الشاعر

ألست انت الذى من ورد نعمته * وورد راحته أجنى واغترف

وقد جمع هذا البيت مع حشمة الالفاظ بين جناس التصريف والاستعارة واللف والنشر وما ألطف قول شمس الدين محمد بن دانيال الحكيم

أهل المجلس وقالوا قد قلت ثم قلت فما معنى قولك ذئب غاض فقال هو الذى يأكل الغضا فقلت استنوق الجمل يا أبا بكر وانقلبت القوس ركوة وصار الذئب جملا يأكل الغضا فما معنى قولك ان الغضا فى مثل ذلك تغاض فان الغضا لا أعرفه بمعنى الاغضاء فقال لم أقل الغضا فقلت ما قلت فانكر البيت جملة فقلت يا ويحك ما أغناك عن بيت تم حرب منه وهو يتبعك وتتبرأ منه

الطى والنشر

وهو يلحق بك فقل لى مامه فى قراض فلم أسمعه مصدرا من قرضت الشعر ولكن هلا قلت كما قلت وسقت الحشو الى القافية كما سقته فقال هذه طريقة لم تسلكها العرب فلا أسلكها ثم دخل الرئيس

ماعاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى وقد * اصبحت لافوقى ولاتحتى

ومن غراميات البهاء زهير

ولى فيك قلب بالغرام مقيد * له خبر يرويه طرفى مطلقا
ومن فرط وجدى فى لماه وثغره * اعلل قلبى بالعذيب وبالنقا

ومثله قوله

ياردفه ياخصره * من لى بنجد أوتهامه

ومثله قول ابن نباتة

له قلب ولى دمع عليه * فهذا قاسيون وذا يزيد

ومثله قوله مع زيادة التورية

لاتخف عيلة ولاتخش فقرا * ياكثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى قتاله

ومثله قوله مع زيادة التورية

سألته عن قومه فانثنى * يعجب من اسراف دمعى السخى
وأبصر المسك وبدر الدجى * فقال ذا خالى وهذا أخى

ولابن حيوس بين ثلاثة وثلاثة

ومقرطق يغنى النديم بوجهه * عن كاسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * من مقلتيه ووجنتيه وريقه

ومثله قول ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

ومثله قول حمدة الاندلسية وهو

ولما أبى الواشون الافراقنا * ومالهم عندى وعندك من ثار
غزوناهم من ناظريك وأدمعى * وأنفاسنا بالسيف والسيل والنار

قال الشيخ شهاب الدين ابو جعفر الاندلسى نزيل حلب وقد اورد هذين البيتين فى شرحه على بديعية صاحبه ابى عبد الله محمد بن جابر الاندلسى ان حمدة كانت من ذوى الالباب وفحول اهل الآداب حتى ان بعض المتطفلين تعلق بهذه الاهداب وادّعى نظم هذين البيتين لما فيهما من المعانى والالفاظ العذاب وماغره فى ذلك الابعد ديارها وخلو هذه البلاد من أخبارها وقد تلبس بعضهم بشعارها وادّعى هذا من أشعارها وهو قولها

وقانا لفحة الرمضاء روض * وقاه مضاعف الطل العميم
تظل غصونه تحنو علينا * حنو الوالدات على الفطيم
وأسقانا على ظمإ زلالا * ألذ من المدامة للنديم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

قوله عبدى فى نسخة ثوبى بدل عبدى وهو اللائق

أبو جعفر والقاضى أبو بكر الحربى والشيخ أبو زكريا الحيرى وطبقة من الافاضل مع عدة من الاراذل فيهم ابو رشيدة فقلت ما أحوج هذه الجماعة الى واحد يصرف عنهم عين الكمال وأخذ الرئيس مكانه من الصدر والدست وله فى الفضل قدم وقدم وفى الادب هم وهم وفى العلم قديم وحديث فتم المجلس وظهر الحق بنظره وقال قد ادعيت عليه أبياتا أنكرها فدعونى من البديهة على النفس واكتبوا ماتقولون وقولوا على هذا فقلت
برز الربيع لنا برونق مائه * فانظر لروعة أرضه وسمائه
فالترب بين ممسك ومعنبر * من نوره بل مائه ورُوائه

فهذه الابيات نسبوها الى المنازى من شعرائهم وركبوا التعصب فى جادة ادعائهم وهى ابيات لم يحكها غير لسانها ولا رقم بردها غير خسانها وقد رأيت بعض المؤرخين من اهل بلادنا اثبتوها له اقبل ان يخرج المنازى من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى كلام الشيخ شهاب الدين المذكور ومنه بين ثلاثة وثلاثة قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى وعفا عنه امين

عرج على حرم المحبوب منتصبا * لقبلة الحسن واعذر لى على سهرى
وانظر الى الخال فوق الخد تحت لمى * تجد بلالا يراعى الصبح فى السحر

ومنه بين اربعة واربعة

ثغر وخد ونهد واحمرار يد * كالطلع والورد والرمان والبلح ٣

ومثله قول شمس الدين بن العفيف رحمه الله تعالى

راى جسدى والدمع والقلب والحشا * فاضنى وافنى واستمال وتيما

ومثله قولى من قصيدة

من محياه والدلال ومسك الخال والثغر ياشيوخ البديع
انظروا فى التكميل واللف والنشر وحسن الختام والترصيع

وللشيخ شهاب الدين ابى جعفر الشارح المذكور بين خمسة وخمسة ولكن لم يخل من التعسف وهو

ملك يجى بخمسة من خمسة * كفى الحسود بها آفات لمابه
من وجهه ووقاره وجواره * وحسامه بيديه يوم ضرابه
قمر على رضوى تسير به الصبا * والبرق يلمع من خلال سحابه

ولابن جابر ناظم البديعية بين ستة وستة

ان شئت ظبيا او هلالا او دجى * او زهر غصن فى الكثيب الاملد
فللحظها ولوجهها ولشعرها * ولخدها والقد والردف اقصد

صبرنا على الاملد لكونه صفة الكثيب ولكن لم نصبر على دخول القصد فانها زيادة اجنبية وقد جمع قاضى القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن البارزى بين سبعة وسبعة

يقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق فى مجلس لاصاحبه
كبدر ببرق قد شمسا أهلة * لدى هالة فى الافق بين كواكبه

قال شهاب الدين المذكور فى شرح بديعية صاحبه ابن جابر ان اللف والنشر فى هذين البيتين غير كامل التفصيل لانه نص فى اللف على ستة ونص فى النشر على سبعة وكل منهما راجع الى منصوص عليه فى اللف الا الاهلة فانه راجع الى الاشطار وهى غير مذكورة فى اللف قلت هذا يفهم من قوله يقطع قال الشيخ شهاب الدين قوله ضحى فى بيت اللف مطرح لانظير له فى النشر قلت ضحى ليس لها فى الحسن نظير فانه جعل البطيخة شمسا وهى انور من قول صاحبه فى بيته املد واقصد فانه لم ينص عليهما فى اللف وهما أجنبيان مما نحن فيه ووصلوا فى الجمع بين اللف والنشر المفصل المرتب الى اثنى عشر لكن تكلفوا وتعسفوا واتوا به فى بيتين ولم نسفر لهم

والماء بين مصندل ومكفر * فى حسن كدرته ولون صفائه
والطير مثل المحصنات صوادح * مثل المغنى شاديا بغنائه
والورد ليس بممسك رياه اذ * يهدى لنا نفحاته من مائه
زمن الربيع جلبت أزكى متجر * وجلوت للرائين خير جلائه
فكأنه هذا الرئيس اذا بدا * فى خلقه وصفاته وعطائه
يعمى أعز مجير وندى أغر * محجل فى خلقه ووفائه
يعشو اليه المعتفى والمجتدى * والمجتوى هو هارب بذمائه
ما البحر فى تزخاره والغيث فى * أمطاره والجو فى أنوائه
بأجل منه مواهبا ورغائبا * لازال هذا المجد حلف فنائه
والسادة الباقون سادة عصرهم * متمدحون بمدحه وثنائه
فقال ابو بكر تسعة ابيات قد غابت عن حفظنا لكنه

٣ قوله والبلح فى نسخ والوهج وحر الروى

وجوه المعاني المسفرة عن بهجة ولابن بلدتنا الشيخ علاء الدين بن مقاتل مالك ازمة الزجل وقد تقدم ذكره فيما أوردته له من أزجاله على الجناس المقلوب واللفظي الجمع في اللف والنشر بين ثمانية وثمانية مع عدم الحشو والقرار من التعسف وصحة الانسجام وهو

خدود واصداغ وقد ومقلة * وثغر وأرياق ولحن ومعرب

فورد وسوسان وبان ونرجس * وكاس وجريال وجنك ومطرب

ومما سمعت في هذا النوع وفيه الجمع بين عشرة وعشرة قول بعضهم

شعر جبين محيا معطف كفل * صدغ فم وجنات ناظر ثغر

ليل صباح هلال بانة ونقا * آس اقاح شقيق نرجس در

وجل القصد هنا ان يكون اللف والنشر في بيت واحد خاليا من الحشو وعقادة التركيب جامعا بين سهولة اللفظ والمعاني المخترعة انتهى الكلام على اللف والنشر المفصل المرتب * وأما القسم الذي هو العكس أعني غير المرتب فكقول الشاعر

كيف أسلوا وأنت حقف وغصن * وغزال لحظا وقدا وردفا

فعدم الترتيب ظاهر في البيت * واما القسم المذكور على الاجمال فهو قسم واحد لا يتبين فيه ترتيب ولا عكس كما تقدم ومثله قول ابن سكرة في بيت الكافات الثمانية

جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

وظريف هنا قول من قال

جاء الصفاع وعندي من حوائجه * سبع اذا الصفع في ميدانه وقفا

نطع وطرق وزربول وغاشية * وركوة وجراب ناعم وقفا

ففي قوله بعد ما ذكره من آلات الصفع وقفا غاية في اللطف وقوة في تمكين القافية انتهى الكلام على اللف والنشر المفصل المرتب وعلى غيره * واما أصحاب البديعيات فانهم ما نظموا الا المفصل المرتب لانه المقدم عند علماء البديع في هذا الباب ولم يأتوا به الا في بيت واحد بحيث يكون مثالا شاهدا على هذا النوع وماشيا على سنن الابيات المفردة المشتملة على أنواع البديع وبيت صفي الدين غاية في هذا الباب لما اشتمل عليه من السهولة والرقة وعدم الحشو وهو قوله

وجدي حنيني انيني فكرتي ولهي * منهم اليهم عليهم فيهم بهم

والعميان لم يأتوا بهذا النوع الا في بيتين مع عقادة التركيب واقبح بست عنان القلم عن الكلام عليهما لكونهما من جملة مديح النبي صلى الله عليه وسلم وهما

حيث الذي لمن بدا في قومه وحبى * عفاته وربى الاعداء بالنقم

فالبدر في شبهه والغيث جاد لذي * محل وليث الشرى قد جال في الغنم

وبيت عز الدين الموصلي

نشر ويسر وبشر من شذا وندى * وأوجه فتعرف طي نشرهم

قوله فتعرف طي نشرهم ليس له نص في اللف لانه نص فيه على ثلاثة وعجز عن ترتيب اللف

جمع فيما بين اقواء واكفاء واخطاء وابطاء فرددنا عليه بعد ذلك عشرين ردا ونقدنا عليه فيها كذا انقدا ثم قلت لمن حضر من وزير ورئيس وفقيه وأديب أرأيتم لو أن رجلا حلف بالطلاق الثلاث لا أنشد شعرا قط ثم أنشد هذه الابيات فقط هل كنتم تطلقون امرأته عليه فقالت الجماعة لا يقع بهذا طلاق ثم قلت انقد على فيما نظمت واحكم عليه كما حكمت فأخذ الابيات وقال لا يقال تطرقت الكذا وانما يقال تطرقت اليه فكفتني الجماعة اجابته ثم قال شبهت الطير بالمحصنات وأي شبه بينهما فقلت يا رقيع اذا جاء الربيع كانت شوادي الاطيار تحت ورق الاشجار فيكن كأنهن المخدرات تحت الاستار ثم قال لم قلت مثل المحصنات مثل المغنى فقلت هن في الخدر كالمحصنات وكالمغنى في ترجيع الاصوات ثم قال لم قلت زمن الربيع جلبت از كى متجر وهلا قلت اربح متجر فقلت ليس الربيع

والنشر فى نص اللف وعلى كل تقدير فلابد له من تسمية النوع فسماه ولكن أتى به فضلة ولو التزم الشيخ صفى الدين أن يسمى هذا النوع البديعى فى بيته لتجافت عليه تلك الرقة ويتى

فالطى والنشر والتغيير مع قصر ＊ للظهر والعظم والاحوال والهمم

فالطى والنشر فى نص اللف قبالة الظهر والعظم والتغيير مع القصر قبالة الاحوال والهمم هذا مع زيادة المعنى على الشيخ عز الدين وعدم التكلف ولولا الالتزام بتسمية النوع ومراعاة السهولة والانسجام وصلت الى أكثر من هذه العدة

(ذكر الطباق)

(بوحشة بدلوا انسى وقد خفضوا ＊ قدرى وزادوا علوا فى طباقهم)

المطابقة يقال لها التطبيق والطباق والمطابقة فى اللغة ان يضع البعير رجله فى موضع يده فاذا فعل ذلك قيل طابق البعير وقال الاصمعى المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد فى مشى ذوات الاربع وقال الخليل بن أحمد يقال طابقت بين الشيئين اذا جمعت بينهما على حذو واحد انتهى وليس بين تسمية اللغة وتسمية الاصطلاح مناسبة لان المطابقة فى الاصطلاح الجمع بين الضدين فى كلام او بيت شعر كالايراد والاصدار والليل والنهار والبياض والسواد وليس فى الالوان ما تحصل به المطابقة غيرهما اعنى البياض والسواد فقد قال الرمانى وغيره البياض والسواد ضدان بخلاف بقية الالوان لان كلا منهما اذا قوى زاد بعدا من صاحبه انتهى واذا ألحقوا بقية الالوان بالمطابقة فالتدبيج أحق منها بذلك فانهم أوردوا فى المطابقة من التدبيج قول ابن حيوس على جهة الكناية

فافخر بعم من جود يمينه ＊ وأب لافعال الدنية آبي

ببياض عرض واحمرار صوارم ＊ وسواد نقع واخضرار رحاب

وقد تقرر أن المطابقة الجمع بين الضدين عند غالب الناس سواء كانت من اسمين أو من فعلين أو من غير ذلك وقال الاخفش وقد سئل عنها أجد قوما يختلفون فيها فطائفة وهم الاكثر انها الشئ وضده وطائفة يزعمون أنها اشتراك المعنيين فى لفظ واحد منهم قدامة بن جعفر الكاتب وأوردوا فى ذلك قول زياد الاعجم

ونبئتهم يستنصرون بكاهل ＊ وللؤم فيهم كاهل وسنام

فكاهل الاول اسم رجل والثانى العضو المعروف فاللفظ واحد والمعنيان مختلفان وهذا هو الجناس التام بعينه وقال الاخفش من قال ان المطابقة اشتراك المعنيين فى لفظ واحد فقد خالف الخليل والاصمعى فقيل أوكانا يعرفان ذلك فقال سبحان الله من أعلم منهما بالطيبه وخبيثه وما احسن ما أتى الاخفش فى الجواب بالمطابقة (ومنهم) من أدخل المقابلة فيها وليس بمليح اذلم يبق للفرق بينهما محل فان السكاكى قال المقابلة ان تجمع بين شيئين فاكثر وتقابل بالاضداد ثم اذا شرطت هنا شيأ شرطت هناك ضده والمطابقة هى الاتيان بلفظتين والواحدة ضد الاخرى وكأن المتكلم طابق الضد بالضد ولقد شنى زكى الدين بن ابى الاصبع القلوب فيما قرره فانه قال المطابقة ضربان ضرب يأتى بالفاظ الحقيقة وضرب يأتى بالفاظ المجاز فما كان بلفظ الحقيقة سمى طباقا وما كان بلفظ المجاز سمى تكافؤا (فمثال التكافؤ)

بتاجر يجلب البضائع المربحة ثم قال ما معنى قولك الغيث فى أمطاره والغيث هو المطر

الطباق

نفسه فكيف يكون له مطر فقلت لاسقى الله الغيث أديبا لا يعرف الغيث وقلت له ان الغيث هو المطر وهو السحاب كما ان السماء هو المطر وهو السحاب وقال الجماعة قد علمنا أى الرجلين أشعر وأى الخصمين أقدر وأى البديهتين أسرع واى الرويتين أصنع فقال أبو بكر فاسقونى على الظفر فقالوا كفاك ما سقاك ثم ملنا الى الترسل فقلت اقترح على غاية ما فى طوقك ونهاية ما فى وسعك واخترما تبلغه بذرعك حتى أقترح عليك أربعمائة صنف فى الترسل فان سرت فيها برجلين ولم أطر بجناحين بل ان أحسنت القيام بواحد من هذه الاصناف ولم تخلف كل الاخلاف فلك يد السبق وقصبه ومثال ذلك أن أقول لك اكتب كتابا يقرأ منه

وهو من انشادات قدامة

حلو الشمائل وهو مرّ باسل * يحمى الذمار صبيحة الارهاق

فقوله حلو ومرّ يجرى مجرى الاستعارة اذ ليس فى الانسان ولا فى شمائله ما يذاق بحاسة الذوق

ومن أمثلة التكافؤ قول ابن رشيق وهو حسن

وقد أطفؤا شمس النهار وأوقدوا * نجوم العوالى فى سماء عجاج

ومثله

ان هذا الربيع شئ عجيب * تضحك الارض من بكاء السماء

ذهب حيثما ذهبنا ودر * حيث درنا وفضة فى الفضاء

وما أحلى قول القائل فى هذا الباب

اذا نحن سرنا بين شرق ومغرب * تحرك يقظان التراب ونائمه

فالمطابقة بين اليقظان والنائم ونسبتهما الى التراب على سبيل المجاز وهذا هو التكافؤ عند ابن أبى الاصبع * واما المطابقة الحقيقية التى لم تأت بغير الفاظ الحقيقة فأعظم الشواهد عليها قوله تعالى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وكقول النبى صلى الله عليه وسلم للانصار رضى الله تعالى عنهم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع فانظر الى هذه البلاغة النبوية والمناسبة التامة ضمن المطابقة * ومن الشواهد الشعرية قول الحماسى

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل أن أتقدما

(ولآخر)

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة * لقد سرنى أنى خطرت ببالك

ولآخر فى وصف فرس وأجاد

وأرى الوحش فى يمينى اذا ما * كان يوما عنانه بشمالى

والمعجز الذى لا تصل اليه قدرة مخلوق قوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات فانظر الى عظم هذه المطابقة وما فيها من الوجازة * ومن ذلك فى الحديث قول النبى صلى الله عليه وسلم فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة للكبر ومن الحياة للممات فوالذى نفسى بيده ما بعد الحياة مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار انتهى ما قررته فى المطابقة لغة واصطلاحا وما أوردته من الفرق بينها وبين التكافؤ على رأى ابن ابى الاصبع (ولهم مطابقة السلب بعد الايجاب) وهى المطابقة التى لم يصرح فيها باظهار الضدين كقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فالمطابقة حاصلة بين ايجاب العلم ونفيه لانهما ضدان ومثله قول البحترى

يقيض لى من حيث لا أعلم النوى * ويسرى الىّ الشوق من حيث أعلم

فالمطابقة باطنة ومعناها ظاهر فان قوله لا اعلم كقوله جاهل والسابق الى هذا امرؤ القيس بقوله

جوابه هل يمكنك ان تكتب أو أقول لك اكتب كتابا على المعنى الذى أقترح لك وانظم شعرا فى المعنى الذى أقترح وافرغ منهما فراغا واحدا بل كنت تمده ساعدا أو أقول لك اكتب كتابا فى المعنى الذى أقول وأنص عليه وانشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ولا تغافل حتى اذا كتبت ذلك قرئ من آخره الى أوله وانتظمت معانيه اذا قرئ من أسفله بل كنت تفوق لهذا الغرض سهما أو تجيل قدحا أو تصيب نجحا أو قلت لك اكتب كتابا اذا قرئ من أوله الى آخره كان كتابا فان عكست سطوره مخالفة كان جوابا بل كنت فى هذا العمل وارى الزند قاصد القصد أو قلت لك اكتب كتابا فى المعنى الذى يقترح ولا يوجد فيه حرف منفصل من راء تتقدم الكلمة أو دال تنفصل عن الكلمة بديهة ولا يجم فيها قلمك بل كنت تفعل أو قلت لك اكتب

جزعت

جزعت ولم اجزع من البين مجزعا * وعزيت قلبا بالكواعب مولعا

فالمطابقة حاصلة بين ايجاب الجزع ونفيه ومن المستحسن فى ذلك قول بعضهم

خلقوا وماخلقوا المكرمة * فكانهم خلقوا وماخلقوا

رزقوا ومارزقوا سماح يد * فكانهم رزقوا ومارزقوا

ومثله قول بشر بن هرون وقد ظهر منه الفرح عند الموت فقيل له اتفرح بالموت فقال ليس قدومى على خالق أرجوه كمقامى عند مخلوق لاأرجوه فالمطابقة حاصلة بين ايجاب الرجاء ونفيه انتهى الكلام على مطابقة السلب بعد الايجاب (ولهم ايهام المطابقة) كالهم ايهام التورية والشاهد على ايهام المطابقة قول الشاعر

يبدى وشاحا ابيضا من سيبه * والجو قد لبس الوشاح الاغبرا

فان الاغبر ليس بضد الابيض وانما يوهم بلفظه أنه ضده ومثله قول دعبل

لاتعجبى ياسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

فالضحك هنا من جهة المعنى ليس بضد البكاء لانه كناية عن كثرة الشيب ولكنه من جهة اللفظ يوهم المطابقة (ولهم) الملحق بالطباق وهو راجع الى الضدين كقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم طابق الاشداء بالرحماء لان الرحمة فيها معنى اللين ومثله قوله تعالى مما خطاياهم أغرقوا فادخلوا نارا فالمطابقة بين الغرق ودخول النار فان من دخل النار احترق والاحتراق ضد الغرق (ومنه) قول الحماسى

لهم جل مالى ان تتابع لى غنى * وان قل مالى لا أكلفهم رفدا

فى قوله تتابع لى غنى معنى الكثرة واما قول ابى الطيب

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

فتفق عليه انه من الطباق الفاسد فان المجرم ليس بضد المحب بوجه ما وليس للمحب ضد غير المبغض انتهى وذكروا فى آخر الباب (طباق الترديد) وهو أن ترد آخر الكلام المطابق على اوله فان لم يكن الكلام مطابقا فهو من رد الاعجاز على الصدور ومنه قول الاعشى

لايرقع الناس ما وهوا وان جهدوا * طول الحياة ولا يوهون مارقعوا

وجل القصد فى هذا الباب المطابقة فى الحقيقة التى قررها ابن ابى الاصبع وتقدم ذلك فى أول الباب مع الشواهد عليه ومثله قول بشار

اذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمرا ثم نم

ومن لطيف هذا الطباق ما أورده القاضى جلال الدين القزوينى فى ايضاحه على تلخيصه وهو قول القاضى الارجانى

ولقد نزلت من الملوك بماجد * فقر الرجال اليه مفتاح الغنى

والذى اقوله ان المطابقة التى يأتى بها الناظم مجردة ليس تحتها كبير أمر ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شئ سهل اللهم الا أن تترشح بنوع من أنواع البديع تشاركه فى البهجة والرونق كقوله تعالى تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب ففى العطف بقوله تعالى وترزق

كتابا خاليا من الالف واللام تصب معانيه على قالب الفاظه ولاتخرجه عن جهة أغراضه بل كنت تقف من ذلك موقفا ممدوحا أو يبعثك ربك مقاما محمودا أو قلت لك اكتب كتابا يخلو من الحروف العواطل بل كنت تحظى منه بطائل أو تبطل اهانك بباطل أو قلت لك اكتب كتابا أوائل سطوره كلها ميم وآخرها جيم على المعنى الذى يقترح بل كنت تغلو فى قوسه غلوة أو تخطو فى أرضه خطوة أو أقول لك اكتب كتابا اذا قرئ معوجا وسرد معوجا كان شعرا بل كنت تقطع فى ذلك شعرا بلى والله تصيب ولكن من بدنك وتقطع ولكن من ذقنك أو أقول لك اكتب كتابا اذا فسر على وجه كان مدحا واذا فسر على وجه كان قدحا بل كنت تخرج من هذه العهدة أو قلت لك اكتب كتابا اذا كتبته تكون قد حفظته من دون أن تلحظه بل كنت تشق من

من تشاء بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الافعال العظيمة قدر على أن يرزق بغير حساب من شاء من عباده وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب سبحانه وتعالى فانظر الى عظم كلام الخالق هنا فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس الذى لا يدرك لو جازته وبلاغته ومبالغة التكميل التى لا تليق بغير قدرته ومثل ذلك قول امرئ القيس

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالمطابقة فى الاقبال والادبار ولكنه لما قال معا زادها تكميلا فى غاية الكمال فان المراد بها قرب الحركة فى حالتى الاقبال والادبار وحالتى الكر والفر فلو ترك المطابقة مجردة من هذا التكميل ما حصل لها هذه البهجة ولا هذا الموقع ثم انه استطرد بعد تمام المطابقة وكمال التكميل الى التشبيه على سبيل الاستطراد البديعى ولم يكن قد ضرب لانواع البديع فى بيوت العرب وتد ولا امتد له سبب وقد اشتمل بيت امرئ القيس على المطابقة والتكميل والاستطراد على طريقة فان ابن المعتز قال هو ان يكون المتكلم فى معنى فيخرج منه بطريق التشبيه الى معنى آخر وممن كسا المطابقة ديباجة التورية أبو الطيب المتنبى حيث قال

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان
كان رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسى وأنت يمانى

لعمرى لقد رفع أبو الطيب قدر المطابقة وازال حقارتها بمجاورة هذا النوع البديعى الذى عظم عند أهل الادب قدرا ومثله قول الصاحب بن عباد فى رثاء الوزير كثير بن احمد

يقولون قد أودى كثير بن أحمد * وذلك رزء فى الانام جليل
فقلت دعونى والعلا نبكه معا * فمثل كثير فى الانام قليل

وابو تمام كساها ديباجة المجانسة بقوله

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

وما احلى قول الارجانى من قصيدة

تعلق بين الهجر والوصل مهجتى * فلا أرب فى الحب اقضى ولا نحبى

فشد أزر المطابقة ببديع اللف والنشر واهلها بغريب هذا المعنى بعد ما سال رقة وعلق بخاطرى من هذه القصيدة

فلا تعجب أنى عشت بعدهم * فانهم روحى وقد سكنوا قلبى

ومنها

وحرف تجوب القاع والوهد والربا * كحرف مديها الجر والرفع والنصب
نجائب يقدحن الحصى كل ليلة * كان بايديها مصابيح الركب

ومن المطابقة باللف والنشر ايضا قول شيخ شيوخ حماة المحروسة

ان قوما يلحون فى حب ليلى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها ولاموا عليها * أخذوا طيبا وردوا خبيثا

ومثله قوله يخاطب العاذل

نفسك به الى ما لا أطاولك بعده بل است البائن اعلم فقال أبو بكر هذه الابواب شعبذة فقلت وهذا القول طرمذة فما الذى تحسن أنت من الكتابة وفنونها حتى أباحثك على مكنونها وأكاثرك بمخزونها وأشرفها قلت وأسرفها السائل وفلك فقال الكتابة التى يتعاطاها اهل الزمان المتعارفة بين الناس فقلت اليس لا تحسن من الكتابة الا هذه الطريقة الساذجة وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم المتناول بكل يد وفم ولا تحسن هذه الشعبذة فقال نعم فقلت هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبل وأناضلك بهذا النبل ثم تقاس ألفاظى بالفاظك ويعارض انشائى بانشائك واقترح كتابا يكتب فى النقود وفسادها والتجارات ووقوفها والبضاعات وانقطاعها والاسعار وغلائها فكتب أبو بكر بما نسخته

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أراك بخيلا بعولي فهبني * سكوتك عني اذا لم تعني
ذممت الهوى ورجوت السلو * فأبكيت عيني وأضحكت سني

ومثله قوله

ناوجوها ازانت سناها فروع * حالكات أغنتكم عن حلا كم
لي من حسنكم نهار وليل * أنم الله صبحكم ومساكم

ومثله قولي من قصيد

توغل حرقتي أجرى دموعي * فقل ماشئت في دخل وخرج

ومنه قول أبي حفص المطوعي في الباب

اوماترى نوز الخلاف كأنه * لما بدا للعين نور وفاق

فالمطابقة هنا بزيادة التورية مع الاستعارة البديعة ويعجبني قوله بعد هذا البيت

كأكف سنور ولكن نشره * يسعى بفأر المسك في الآفاق

وأما سحر البلاغة هنا فقول القاضي الفاضل

دام صاحي وداده عمر الدهر جنينا السكرى النشوان

انظر أيها المتأمل ما أبدع ما أبرز المطابقة في حلل هاتين الاستعارتين الغريبتين وما ألطف ما أبدع معنى المطابقة بقوله بعدها

وبنات الصدور واقع فيها * زعم الجد من بنات الدنان

فالفاضل أبرز هذه المطابقة في حلل الاستعارة ولكن من أين للمستعير صحو الوداد ونشوة السكر سبحان المانح ماهذه الا مواهب ربانية وأما الذين تقدم القول بالاقتداء بآرائهم في هذا الفن فانهم ما أبرزوها الا في شعار التورية فمن ذلك قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في موصول

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فصح سكوت والهوى يتكلم

فانه جمع بين التورية والتضمين والمطابقة وما أحلى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض في المطابقة بالتورية في قوله

أرج النسيم سرى من الزوراء * سحرا فأحيا ميت الاحياء

ومثله قول الوداعي في قصيد وهو في غاية الحسن

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد يا حار

وما ألطف قول الشيخ شمس الدين الواسطي في دوبيت

ان ضرمني بجذوة التذكار * حبي وبرى عظمي شكرت الباري
فالعاذل في هواي لا عقل له * ما ابلد عاذلي وأذكى ناري

ومثله قول سراج الدين الوراق

وبي من البدو كلاعا لخفون بدت * في قومها كمهاة بين آساد
فلو بدت لحسان الحضر قبلها * على الرؤس وقلن الفضل للبادي

الدرهم والدينار عن الدنيا والآخرة بهما يتوصل الى جناب النعيم ويخلد في نار الجحيم قال الله تبارك وتعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وقد بلغنا من فساد النقود ما أكبرناه أشد الاكبار وأنكرناه أعظم الانكار لما نراه من الصلاح للعباد وتنويه من الخير للبلاد وتعرفنا في ذلك ما يربح للناس في الزرع والضرع ويعود اليه أمر الضر والنفع الى كلمات لم تعلق بحفظنا فقلت ان الاكبار والانكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار الجحيم والزرع والضرع امجاع قد نبتت في المعد ولم تزل في البد وقد كتبت وكتبت ولا أطالبك بمثل ما أنشأت فاقرأ ولك اليد وناولته الرقعة فبقي وبقيت الجماعة وبهت وبهتت

ومثله قول أبى الحسين الجزار

أمولاى مامن طباعى الخروج * ولكن تعلمته من خمولى
أتيت لبابك أرجو الغنى * فاخرجنى الضرب عند الدخول

ومثله قول الوداعى فى مطلع قصيد

ما كنت أول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

ومثله قول مجير الدين بن تميم

لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت واقف مدمعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وكتبت من هذا النوع الى القاضى كمال الدين بن النحاس وكيل بيت المال بدمشق المحروسة

كمال الدين يامولاى يامن * يغير البحر من بذل النوال
أيجمل أن يقول الناس انى * أتيت لحاجة لم تقضها لى
وأصبح بينهم مثلا لانى * أتانى النقص من جهة الكمال

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى

انى اذا آنست هما طارقا * عجلت باللذات قطع طريقه
ودعوت ألفاظ الحبيب وكاسه * فنعمت بين حديثه وعتيقه

ومثله قوله

قصدت معاليك ارجو الندى * واشكو من العسر داء دفينا
فما كان بينى و بين اليسار * سوى أن مددت اليك اليمينا

ومثله قوله

حزنى من مهفهف القد رام * أسهم اللحظ ما أسد وأرشق
كلما قلت يفتح الله بالوصـل رمانى من سحر عينيه بغلق

ومثله قوله

ان أساء الحبيب قامت بعذر * وجنة منه فوقها شامات
بالها وجنة أقابل منها * حسنات تمحى بها سيآت

ومثله قوله

قام غلام الامير يحسبنى * يوم طهور البنين طاوسا
فأنزل الحاضرون من شبق * وعاد ذاك الطهور تحبيسا

وما ألطف قوله من هذا النوع

ياغائبين تعللنا لغيبتكم * بطيب لهو ولا والله لم يطب
ذكرت والكاس فى كفى ليالبكم * فالكاس فى راحة والقلب فى تعب

ومثله قوله فى براعة قصيد

* يوم صحو فما جعله لى يوم سكر *

وما أحلى ما قال بعده فى الشطر الثانى

* فأدرلى كاسى رضاب وخمر *

الكافة وقالوا لى اقرأ
نغمات اقرؤه منكوسا
وأسرده معكوسا والعيون
تزرق وتحار وكانت نسخة
ما أنشأناه
(بسم الله الرحمن الرحيم)
الله شاء ان المحاضر صدور
بها وتملأ المنابر ظهورلها
وتفرع الدفاتر وجوه بها
وتمشق المحابر بطون اها
ترشق آثارا كانت فيه آمالنا
مقتضى على أياديه فى تأييده
الله أدام الامير جرى فاذا
المسلمين ظهو رعن الثقل
هذا و يرفع الدين أهل عن
الكل هذا يحط أن فى اليه
تضرع ونحن واقفة
والتجارات زائفة والنقود
صيارفة أجمع الناس
صار فقد كريما تطر البنظار
شيمه مصاب واتبعنا كرمه
بارقة وشمنا همه على آمالنا
رقاب وعلقنا أحوالنا وجوه
له وكشفنا آمالنا وفود
اليه بعثنا فقد تطره بجميل

منها ولم يخرج عاطفين فيه

جفن عينيه فاتر متجنى ٭ انما خده المشعشع جزى

ومثله قوله من قصيد

فريد وهو قتان التثنى ٭ فيا قمرى من فرد تثنى

وله فى روضة من قصيدة

مطابقة الأوصاف أمانيسها ٭ فصح وأماماؤها فتكسرا

انظر ما أحسن تصريحه بالنوع هنا فى قوله مطابقة الاوصاف ٭ ومثله قول الشيخ برهان الدين ابراهيم القيراطى من قصيد

يابى غنى ملاحة اشكوله ٭ فقرى فيصبح بالغنى يطرب

ومنها فى هذا النوع

وغدا ينادمنى وكأس حديثه ٭ اشهى الى من العتيق واطيب

ومثله قوله

فى جفنه سيف مضاربه ٭ ياصاح أسبق لى من العذل

وبخده والردف لى خبر ٭ قد سار بين السهل والجبل

ومثله قول الشيخ زين الدين بن الوردى

تجادلنا أماء الزهر ازكى ٭ أم الخلاف أم وردا القطاف

وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا ٭ وقد حصل الوفاق على الخلاف

ومثله قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب وهو فى غاية الظرف

كم جار صرف الدهر فى حكمه ٭ وضرّنى من حيث بى يعتنى

ألبسنى من شيبتى حلة ٭ قلت له والله عريتنى

ومنه قول الشيخ صلاح الدين الصفدى وقد أهدى الى الشيخ جمال الدين بن نباتة مخففة

أيا فاضلا تدنو الافاضل نحوه ٭ وتشكر فى جمع المناقب تصريفه

اذا كنت بالاحسان ثقلت كاهلى ٭ فلا عجب أن كنت تقبل تخفيفه

ومنه قول الشيخ صفى الدين الحلى من قصيدة

والريح تجرى رخاء فوق بحرتها ٭ وماؤها مطلق فى زى مأسور

قد جمعت جمع تصحيح جوانبها ٭ والماء يجمع فيها جمع تكسير

ومنه قول المعمار

أصاب قلبى خطائى ٭ بلحظه لشقائى

فرحت من فرط وجدى ٭ أشكو الى الحكماء

قالوا اصبت بعين ٭ فقلت من عظم دائى

ان كان هذا صوابا ٭ فتلك عين الخطاء (الخطائى)

وحسن هنا قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى

وحديقة مطلولة باكرتها ٭ والشمس ترشف ريق ازهار الربا

يبدار كأن ونعماه تأييده وأدام بقاءه اقه أطال الجليل الاميرأى ان وصلى الله على محمد وآله الاخيار فلما فرغت من قراءتها انقطع ظهر احد الخصمين وقال الناس قد عرفنا الترسل أيضا نقلنا الى اللغة فقلت يا أبا بكر هذه اللغة التى هذّدتنا بها وحدّثتنا عنها وهذى كتبها وتلك مؤلفاتها نخذ غريب المصنف ان شئت واصلاح المنطق ان أردت وألفاظ ابن السكيت ان نشطت ومجمل اللغة ان اخترت فهو ألف ورقة وأدب الكاتب ان أردت واقترح على أى باب شئت من هذه الكتب حتى أجعله لك نقدا وأسرده عليك سردا فقال اقرأ من غريب المصنف رجل ماس خفيف على مثال مال وما أساه فاندفعت فى الباب حتى قرأته لم أتردد فيه وأتيت

يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا عدا بين الرياض تشعبا

ومنه قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي

بروحي افتدى خاله فوق خده * ومن أنا في الدنيا فأفديه بالمال

تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال (الخالي)

ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلي

سموا مني مهجتي سعيدا * ولي شقاه به يزيد

اذا اجتمعنا يقول ضدي * هذا شقي وذا سعيد

وظريف قول جمال الدين عبد الله السوسي

ورب أقطع يشدو * ساروا وما ودعوني

ما أنصفوا اهل ودي * واصلتهم قاطعوني

وألطف منه قول الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا

يا معشر الاصحاب قد عن لي * رأي يزيل الحق فاستظرفوه

لا تحضروا الا بأخفافكم * ومن تثاقل منكم خففوه

ومثله قوله

تصفحت ديوان الصفي فلم أجد * لديه من السحر الحلال مرامي

فقلت لقلبي دونك ابن نباتة * ولا تتبع الحلي فهو حرامي

وظريف هنا قول الشيخ بدر الدين البشتكي وان لم يكن فيه تورية فقد صرح باسم النوع من جنس الغزل

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى * مليحا دونه السمر الرشاق

فقلت وهل أنا الا أديب * فكيف يفوتني هذا الطباق

ومن المطابقة بالتورية قول القاضي بدر الدين بن الدماميني رحمه الله

بدرا اذا شمت فوق الخد عارضه * يوما أرى الصبح بالظلماء مختلطا

وظن ان صوابا هجر عاشقه * لما رأى منه شيبا باديا وخطا

ومن العجيب في هذا النوع قول شيخنا العلامة شهاب الدين ابن حجر فسح الله في اجله

خليلي ولى العمر منا ولم نتب * وننوي فعال الصالحين ولكنا

فحتى متى نبني بيوتا مشيدة * وأعمارنا منا تهد وما تبنا (تبنى)

وما أحلى قوله فيه

أتى من أحبائي رسول فقال لي * ترفق وهن واخضع تفز برضانا

فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

ومثله قوله

نأى رقيبي وحبيبي دنا * وحسنه للطرف قد أدهشا

آنسني المحبوب يوم اللقا * لكن رقيبي فيه ما أوحشا

وما أظرف قوله فيه

اشكو

على الباب الذي يأتيه ثم قلنا اقترح غيره فقالوا كفى ذلك فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من اخبار فصيح الكلام ولا أطالبك بسواه ولا أسئلك عما عداه فوقف حماره وخمدت ناره وقال الناس اللغة مسلمة لك أيضا فهات ما غيره فقلت يا أبا بكر هات العروض فهو أحد ابواب الادب وسردت منه خمسة أبحر بألقابها وأبياتها وعللها وزحافها فقلت هات الآن فاسرده كما سردته فلما برد خجر الناس وقاموا عن المجلس يقدونني بالامهات والآب ويشيعونه باللعن والسب وقام أبو بكر فغشي عليه وقف اليه فقلت يعز علي في الميدان أني * قتلت مناسبي جلدا وقهرا ولكن رمت شيأ لم يرمه * سوا الله فلم أطق ياليث صبرا وقبلت عينه ومسحت وجهه وقلت أشهد أن الغلبة

اشكو الى الله مابى * وماحوته ضلوعى
قدطابق السقم جسمى * بنزلة وطلوع

انظر كيف جمع بين قصر الوزن وعدم الحشو وصحة التركيب والمطابقة بالتورية وتسمية النوع من جنس الغزل ومثله قوله

قال حبى اكتم الهوى * خوف لاح وواشيه
كيف اسطيع كتمه * وسقامى علانيه

وأنشدنى من لفظه لنفسه ابن مكانس وقد أوقفته فى الشرح على هذا النوع فقال

ياسادتى والعشق لم يبق لى * من بعدكم روحا ولا حسا
صبحنى الهم لهجرانكم * والضر لما غبتم مسا (مسى)

وله

لثغرك طعم ونشر يلذ * ونسقى به ياأخا البدر عشقا
فدعنا نعت ونعش فى الهوى * غراما وتم ذوقا ونشقا (ونشق)

ومثله قوله

رب خذ بالعدل قوما * أهل ظلم متوالى
كلفونى بيع خيلى * برخيص وبغال

ونقلت من ديوان والده المقر الفخرى

زارت معطرة الشذا ملفوفة * كى تختفى فابى شذا العطر
يامعشر الادباء هذا وقتكم * فتناظموا فى اللف والنشر

ونقلت أيضا من ديوانه

لم انس معشوقة زارت بجنح دجى * فبت فى مسك انفاس وطيب سمر
حتى الصباح وعيناها تظن بأنه * هاروت حل عشا فيها وسحر

ونقلت منه ما امتدح به أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

يا ابن عم النبى ان أناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم فى الحقيقة باب * ياإماما وما سواك مجاز

وقوله

علقتها معشوقة خالها * ان عمها ابا الحسن قد خصصا
ياوصلها الغالى وياهجرها * لله ما أغلى وما أرخصا

وقلت فى هذا المعنى من قصيدة

وكيف أكتم حبا فى هواه ولى * من أحمر الدمع فوق الخد تشهير
ونار خديه قلبى أرخصت وغلت * لما غدت ولها فى القلب تسعير
وقال أغمدت سيف اللحظ عنك فكيف * الحال قلت له والله مشهور

وقلت من قصيدة وصرحت باسم النوع

طابقت رقة حالى بالجفا عبثا * لما طباقك الارقة وجفا

له فيه لا يا أبا بكر جئتنا من باب الخلطة وفى باب العشرة وتفرق الناس وجسنا للطعام مع أفاضل ذلك المقام ولما حلقنا على الخوان كرعت فى الجفان وأسرعت الى الرغفان وأمعنت فى الالوان وجعل هذا الفاضل يتناول الطعام بأطراف الاظفار ولا يأكل الا قضما ولا ينال الا شما وهو مع ذلك ينطق عن كبد حرا ويفيض عن نفس ملأى فقلت يا أبا بكر بقيت لك منة وفيك مسكة (ياقوم انى ارى الاموات قد نشروا * والارض تلفظ موتاكم اذا قبروا) فأخبرنى يا أبا بكر لم غشى عليك فقال لحى الطبع وحى الفرو فقلت أين أنت عن السجع هلا قلت حى الطبع وحى الصفع وقال السيد أبو القاسم أيها الاستاذ أنت مع الجد والهزل تغلب.

وقلت من قصيدة

شرقونا بدمع العين عجبا * ليتهم عند موتنا قبلونا

وقلت بعده

حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا في بعادنا مسنونا

حتى تخلصت الى مدح أمين الدين من غزل هذه القصيدة ولم اخرج عما نحن فيه من المطابقة بالتورية بقولي

والحشا لم تخن عهود هواكم * واسألوا من غدا عليها أمينا

ومن غريب ما وقع لي في هذا النوع قولي من قصيدة

بدر منير قسا برؤيته * لكن يرى عند خده شفقه

وقلت من قصيدة

لي في حماكم أهيف من عامر * وخراب بيت تصبري بالعامري

سلطان حسن ظاهر لما بدا * جال الهوى في باطني بالظاهر (بالظاهري)

وضفرت شعرك اذ ظفرت بمهجتي * يفديك محاول العرام من ظافر

وحبيت برد الثغر اذ طابقته * في ضمن تورية بجفن فاتر

انظر ما أحلى قولي في ضمن تورية والمراد المطابقة بالتورية وقلت مطابقا والتورية ثلاثية

بر هجرك عجبا قد قضيت لنا * وشاهد الحسن بالاحسان حلالك

وكتبت الى بعض الخادم بحماة المحروسة حرسها الله تعالى أطلب منثورا أبيض فماطلني مدة والمنثور الابيض عزيز بحماة

زهر الوعود ذوى من طول مطلكم * لانه من ندا كم غير ممطور

والعبد قد جهز المنظوم ممتدحا * فطابقوه اذا وافى بمنثور

وقلت

هو يت غصنا الاطيار القلوب على * قوامه في رياض الوجد تغريد

قالت لواحظه انا سود على * بيض الظبا قلت انتم أعين سود (سودوا)

وقد طال الشرح ولكن هذا الطول تنشرح له الصدور وتعلو به همة الطالب ولم يرض بعدها بالرخيص من هذا الفن ويتأيد قولي ان الذين اقتديت برأيهم ومشيت على سننهم لم يرضوا بالمطابقة المجردة ولم ينظموها الا في سلك التورية وقد أوردت لهم هنا من ذلك ما شنف الاسماع ورقص عند السماع والكمال لله فان الشيخ صفي الدين لم يأت بالمطابقة الا مجردة وبيته

قد طال ليلي وأجفاني به قصرت * عن الرقاد فلم أصبح ولم أنم

وبيت العميان مثله لكنه عامر بالركة والعقادة وهو

واسهر اذا نام سار وامض حيث وفي * واسمح اذا شح نفسا واسر ان يقم

وبيت عز الدين

ابكي فيضحك عن در مطابقة * حتى تشابه منثور بمنتظم

فقلت لا تطلبوه ولا تطعموه طعاما بصير في بطنه مغصا وفي عينه رمصا وفي جلده برصا وفي حلقه غصصا فقال أبو بكر هذه اسجاع كنت حفظتها فقل كما أقوله بصير في عينك قذى وفي حلقك أذى وفي صدرك شجى فقلت يا أبا بكر على الالف تريد خذ الآن بفيك البرا وعلى هامتك الثرى ولا أطعمك الله الا من وراء كما ترى فقال أيها الاستاذ السكوت أولى بك ومالوا الى وقالوا ملكت فاسجع فأبى أبو بكر ان يبقى لنفسه حجة لم ينقضها أو يدخر علينا كلمة لم يعرضها فقال والله لاتركنك بين الميمات فقلت ما معنى الميمات فقال بين مهزوم ومهدوم ومهشوم ومغموم ومحموم ومرجوم فقلت وأتركك بين الميمات أيضا بين الهيام والصدام

لعمري ان بيت صفي الدين و بيت العميان بتنزلان عند هذا البيت العامر بالمحاسن منزلة الاطلال البالية فان الشيخ عز الدين جمع فيه بين تسمية النوع من جنس الغزل و بين غرابة المعنى وحسن الانسجام ورقة النسيب و بديع اللف والنشر ولم يأت كل منهما الابمجرد المطابقة وأما قول العميان في آخر بيتهم واسر ان يقم فهذا اللفظ من بقية ماسقط من حجارة البيت وبيت بديعيتي

بوحشة بدلوا انسي وقد خفضوا * قدري وزادوا علوا في طباقهم

فالمطابقة والتورية وتسمية النوع البديعي اجتمعت هنا في قافية هذا البيت الذي علا بطباقه وتفيأ أهل البديع بظل رواقه

(ذكر النزاهة)

(نزهت لفظي عن فحش وقلت هم * عرب وفي حيهم يا غربة الذمم)

النزاهة مانظمها أحد في بديعيته الا صفي الدين الحلي وقد تقدم القول انه ذكر عن بديعيته انه ماتيجة سبعين كتابا في هذا الفن وهو نوع غريب تجول سوابق الذوق السليم في حلبة ميدانه وتغرد سواجع الحشمة على بديع افننانه لانه هجو في الأصل ولكنه عبارة عن الاتيان بألفاظ فيها معنى الهجو الذي اذا سمعته العذراء في خدرها لا تنفر منه وهذه عبارة عمرو بن العلاء لما سئل عن أحسن الهجو وقد وقع من النزاهة في الكتاب العزيز عجائب منها قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض ام ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون فان ألفاظ الذم المخبر عنها في كلام الآية أتت منزهة عما يقع في غير هذا القسم من الفحش في الهجاء والمرض هنا عبارة عن ابطان الكفر ومن النزاهة البديعية في النظم قول أبي تمام

بني فعل له مابالي و بالكم * وفي البلاد مناديح ومضطرب

لجاجة لي فيكم ليس يشبهها * الا لجاجتكم في انكم عرب

ومن غريب هذا النوع قول معبد بن الحسين بن جبار في رجل كان يدعو قوما الى سماع قينة له ثم انكشف له بعد هذا انهم كانوا ينالون منها القبيح

ألم أقل لك ان القوم بغيتهم * في رؤية العود لا في رنة العود

لا تأمنن على الشاة التي عقرت * فأنت غادرتها في مسرح السيد

فانظر الى مصاحبة هذه المعاني ونزاهة ألفاظها عن الفحش ومن ذلك قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقالوا أحسن ماوقع في هذا الباب قوله أيضا

لو ان تغلب جمعت انسابها * يوم التفاخر لم تزن مثقالا

فانظر الى هذا الهجو المنكي كيف بالغ في تنزيه ألفاظه عن الفحش وفيه معنى الهزل الذي يراد به الجد وهو غاية في هذا النوع وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

حسبي بذكرك لي ذما ومنقصة * فيما نطقت فلا نقص ولا تذم

والجذام والجمام والزكام والسام والبرسام والهام والسقام و بين السينات فقد علمنا طريقة بين منحوس منخوس منكوس معكوس متعوس محسوس معروس

النزاهة

و بين الخاآت فقد فتحت علينا بابا بين مطبوخ مشدوخ منسوخ ممسوخ مفشوخ وبين الباآت فقد علمتني الطعن وكنت ناسيا بين مغلوب ومسلوب ومرعوب ومصلوب ومركوب ومنكوب ومنهوب ومغصوب وان ثنتنا كلنا بهذا الصاع وطاولنا بهذا الذراع وعرضنا عليك من هذا المتاع وكاثرناك بهذه الانواع ثم خرجت واجتبر فقد كان اجتمع الناس وغلت الكروش ولما خرجت لم يلقوني الابالشفاه تقبيلا وبالافواه تهليلا وانتظروا خروجه الى ان

وقال انها بالذال المعجمة فان جل قصده الذم هنا والذى أقوله ان هذا البيت شموس ايضاحه آفلة فى غيوم العقادة ولبنه استضاء بما قاله جرير ومشى على سننه والعميان لم ينظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين نظمه فى بديعيته لاجل معارضة الصفى وقال فى بيته يخاطب العاذل

لقد تفيهقت بالتشديق فى عذلى * كيف النزاهة عن ذا الاشدق الخصم

قد تقرران النزاهة هجو ولكن شرطوا أن لا ينظم هجوها الا بألفاظ لا تنفر منها العذراء فى خدرها والذى أقوله وأنا أستغفر الله ان ألفاظ عز الدين فى بيته ينفر منها الجان فكيف حال العذراء وحاصل القضية انه نزه ألفاظه عن النزاهة ولم يتفيهق ولم يتشدق غيره وما أحقه بقول القائل

وما مثله الا كفارغ حمص * خلى من المعنى ولكن يفرقع

وبيت بديعيتى

نزهت لفظى عن فحش وقلت هم * عرب وفى حيهم يا غربة الذم

حشمة النزاهة لا تخفى على أهل الذوق السليم والعلم مع ما فيها من عدم التكليف فى الميل عن التعسف والذى أقوله ان بيتى فى هذا الباب يجر اذيال البلاغة مع جرير وشارك فى العذوبة والتبارى ولكن له نبأ فى التسمية صدر عن خبير

(ذكر التخيير)

(تخيروا الى سماع العذل وانتزعوا * قلبى وزادوا نحولى مت من سقمى)

التخيير هو ان يأتى الشاعر ببيت يسوغ فيه ان يقفى بقواف شتى فيتخير منها قافية يرجحها على سائرها يستدل بتخييرها على حسن اختياره كقول الشاعر

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت

فانه يسوغ أن يقال ماله مال ماله سبب ماله أحد ماله قوت فاذا تأملت ماله قوت وجدتها أبلغ من الجميع وادل على القافية وأمس بذكر الحاجة وأبين للضرورة وأشجى للقلوب وأدعى للاستعطاف فلذلك رجحت على ما ذكرناه ومن هذا النوع فى الكتاب العزيز قوله تعالى ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون فالبلاغة تقتضى أن تكون فاصلة الآية الاولى للمؤمنين لانه سبحانه وتعالى ذكر العالم بجملته حيث قال السموات والارض ومعرفة ما فى العالم من الآيات الدالة على أن المخترع قادر عليم حكيم ولا بد من التصديق أولا بالصانع حتى يصح أن يكون ما فى المصنوع من الآيات دليلا على انه موصوف بتلك الصفات والتصديق هو الايمان وكذلك قوله تعالى فى الآية الثانية لقوم يوقنون فان خلق الانسان وتدبير خلق الحيوان والتفكر فى ذلك مما يزيده يقينا فى معتقده الاول وكذلك معرفة جزئيات العالم من اختلاف الليل والنهار وانزال الرزق من السماء واحياء الارض بعد موتها وتصريف الرياح يقتضى رجاحة العقل ليعلم ان من صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع

العالم

غابت الشمس ولم يظهر أبو بكر حتى حضره الليل بجنوده وخلع الظلام عليه فرونه فهذا ما علقناه عن المجلس وأديناه والسيد أطال الله بقاءه يقف عليه ان شاء الله

(تم ما أملاه أبو الفضل فى مناظرة أبى بكر الخوارزمى وكتب اليه بعض من عزل عن ولاية يستمد وداده ويستميل فؤاده فأجابه بما نسخته)

وردت رقعتك فأعرتها طرف التعزز وصددت

التخيير

اليها بالتعزز وجمعت عنها ذيل التحرز فلم تندعلى كبدى ولم تحظ بناظرى ويدى وخطبت من مودتى ما لم أجد لها كفوا وطلبت من عشرتى ما لم أرك لها رضا وقلت هذا الذى رفع عنا أجفان طرفه وشال بشعرات أنفه وتاه بحسن قده وزها بورد خده ولم يسقنا من نوئه ولم نسر بضوئه والآن اذ نسخ الدهر آية حسنه وأقام مائل غصنه وفثا غريب عجبه وكف زهو زهره واتصر

العالم الكلي بعد قيام البرهان على أن للعالم الكلي صانعا مختارا فلذلك اقتضت البلاغة ان تكون فاصلة الآية الثالثة لقوم يعقلون وان احتيج للعقل في الجميع الان ذكره هنا امتن بالمعنى من الاول ويروى أن اعرابيا سمع شخصا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال ما ينبغي ان يكون الكلام هكذا فقيل ان القارئ غلط والقراءة والله عزيز حكيم فقال نعم هكذا تكون فاصلة هذا الكلام فانه لما عز حكم واذا تأملت فواصل القرآن وجدتها كلها لم تخرج عن المناسبة كقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر لا يجوز التبديل بينهما اذ لا يجوز النهي عن انتهار اليتيم لمكان تهذيبه وتأديبه وانما ينهى عن قهره وغلبته كما لا يجوز ان ينهر السائل اذا حرم بل يرده ردا جميلا ويعجبني قول ديك الجن

قولي لطيفك ينثني * من مضجعي عند المنام

عند الرقاد عند الهجوع عند الهجود عند الوسن

فعسى انام فتنطفي * نار تأجج في العظام

في الفؤاد في الضلوع في الكبود في البدن

جسد تقلبه الاكف على فراش من سقام

من قتاد من دموع من وقود من حزن

أما انا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

من معاد من رجوع من وجود من ثمن

فهذه القوافي المثبتة يقابل كل بيت بما يليق به منها والاولى اولى وارجح وبيت صفي الدين الحلي رحمه الله تعالى

عدمت صحة جسمي اذ وثقت بهم * فما حصلت على شئ سوى الندم

فلذكر عدمت في صدر البيت يليق ان تكون القافية العدم ولذكر الصحة يليق ان تكون القافية السقم ولذكر الوثوق يليق ان تكون القافية الندم والبيت في غاية الرقة والانسجام وبيت عز الدين

تخير قلبي هوى السادات صح به * عهدي واني لحزني ثابت الالم

أما تخير هذا البيت فاني تركته لاهل الذوق السليم بل تخير البيت بكماله ولم تنظم العميان في بديعيتهم هذا النوع وبيتي

تخيروا لي سماع العذل وانتزعوا * قلبي وزادوا نحولي مت من سقمي

فسماع العذل يليق به السأم وانتزاع القلب يليق به الالم وزيادة النحول يليق بها السقم وتقديم السقم هنا اقرب من النحول ولم يدخل الى هذا البيت من الاجانب قافية

(ذكر الابهام)

(وزاد ابهام عذلي عاذلي ودجا * ليلي فهل من بهيم يشتفي ألمي)

الابهام بياء موحدة وهو ان يقول المتكلم كلاما مبهما يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما من الآخر ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد بل يقصد ابهام الامر فيهما والابهام

لنا منه بشرات كسفت هلاله واكسفت باله ومسخت جماله وغيرت حاله وكدرت شرعته جاء يستقي من جرفنا جرفا ويغرف من طيننا غرفا فمهلا يا أبا الفضل مهلا ارغبت فينا اذ علا * لك الشرف خد مخمل وخرجت عن حد الطلبا * وصرت في حد الابل الآن تطلب عشرتي * بعد العداوة يا اجهل وتناسيت أيامك اذ تكلمنا نزرا وتلحظنا شزرا وتجالس من حضر وتسترق اليك النظر وتهتز لكلامك وتهش لسلامك (ومن لك بالعين التي كان مدة * اليك بها في سالف الدهر تنظر) أيام كنت تتمايل والاعضاء تتزايل وتتغانج والاجساد تتفالج وتتلفت والاكباد تتفتت وتتخطر وترفل والوجد يعلو بنا ويسفل

(الابهام)

مختص بالفنون كالمديح والهجاء وغيرهما ولكن لا يفهم من ألفاظه مدح ولا هجاء بل يكون لفظه صالحا للامرين ومثاله ما يحكى أن بعض الشعراء هنأ الحسن بن سهل باتصال ابنته بالمأمون مع من هنأه فأثاب الناس كلهم وحرمه فكتب اليه ان أنت تماديت على حرماني عملت فيك بيتا لا تعلم مدحتك فيه ام هجوتك فاستحضره وسأله عن قوله فاعترف وقال لا اعطيك او تفعل فقال

بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن
يا امام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يعلم ما أراد بقوله ببنت من فى الرفعة أو فى الصغر واستحسن منه الحسن ذلك وناشده أسمعت هذا المعنى ام ابتكرته فقال لا والله بل نقلته من شعر شاعر مطبوع كثير العبث بهذا النوع اتفق انه فصل قباء عند خياط اعور اسمه زيد فقال له الخياط على طريق العبث به سآتيك به لا تدرى اقباء هو ام دواج فقال له الشاعر ان فعلت ذلك لاعملن فيك بيتا لا يعلم احد ممن سمعه ادعوت لك ام دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لى زيد قباء * ليت عينيه سواء

فاعلم احد ان الصحيحة تساوى السقيمة او بالعكس فاستحسن الحسن صدقه اضعاف استحسانه حذقه وغالب الناس يسمون الخياط عمرا ويقولون

خاط لى عمرو قباء * ليت عينيه سواء

ولكن نقل زكى الدين بن ابى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير أن الخياط كان اسمه زيدا وأورد البيت مصرعا مرفوع العروض والضرب ووجه الرفع ظاهر فيهما ولم يتفق للمتأخرين ولا للسلف من قبل فى هذا الايهام غير البيت المتعلق بالخياط زيد والبيت المتعلق بالحسن بن سهل وقد تقدم ذكرهما وقد عززتهما بثالث لما وقفت على تاريخ زين الدين بن قرناص الحلبى ووجدته قريبا من قباء زيد الخياط فقلت

تاريخ زين الدين فيه عجائب * وبدائع وغرائب وفنون
فاذا رآه مناظر فى جمعـه * خبره عنى انه مجنون

وكذلك الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته وتبعه الشيخ عز الدين الموصلى لاجل المناظرة ويأتى الكلام على بيتيهما وقد كشفت عنه قناع الاشكال وابرزت بدوره المحتجبة فى افق الكمال فانى كتبت فيه تقريظا مرض بقراضة الذهب ان تكون له رملا ولا سبقنى اليه اديب ولا ولدته على هذا الطريق شكلا وما ذاك الا انه ورد الى الديار المصرية وانا منشئ دواوين الانشاء المؤيدى خلد الله ملكه الشيخ شمس الدين محمد بن ناهض الفقاعى فى شهر شوال سنة ثمانية عشر وثمانمائة وقد صنف سيرة مشتملة على نظم ونثر للسلطان الملك المؤيد ولم يكن للمشار اليه المام بتعاطى الادب فى مبادى عمره فسألنى أن أكتب له عليها تقريظا قبل تقديمها فامتنعت من ذلك مدة فدخل على بمن لا تمكن مخالفته فسألته كتابة شيخنا القاضى بدر الدين بن الدماميني أولا فتوجه اليه فالتزم بالايمان المغلظة انه لا يكتب له الا اذا كتبت له فلزمتنى الكتابة من وجوه فكتبت له هذا التقريظ الذى صلت البلغاء خلفه فانه للمحاسن جامع وأوضحت طريقه فضاع نشره الذى كان من غير نور بضائع (وهو)

وقفت

وتدبر وتقبل فتمنى وتخبل وتصد وتعرض فتضنى وتمرض (وتبسم عن الى كان منورا بتخلل حر الرمل غض له ندى) فاقصر الآن فانه سوق كسد ومتاع فسد ودولة عرضت وأيام انقضت وعهد نفاق مضى وخطب كساد نزل وخد كان لم يكن وخط كان لم يزل ويوم صار أمس وحسرة بقيت فى النفس وثغر غاض ماؤه فلا يرشف وريق خدع فلا ينشف وتمايل لا يعجب وتثن لا يطرب ومقلة لا تجرح ألحاظها وشفة لا تفتن ألفاظها فختام تدل والام ولم تحتمل وعلام وآن أن تذعن الآن وقد بلغنى الآن ما أنت متعاطيه من غريه يجوز بعد العشاء فى الغسق وتشبيه يفتضح عند ذوى البصر وافنائك لتلك الشعرات حفا وحصا واسياءك لها نتفا وقصا وسيكفينا الدهر مؤنة الانكار عليك بما يزف

قوله ظاهر فيهما النظر ما وجهه فى العروضة

وقفت على قواعد الادب من هذه السيرة الناهضه فوجدت مطرب الحلم. اقدا عرب عن التنكيت لاهل النكت الاديه ونويت معها سلوك الادب لاحتشامها بالصفات المؤيديه فانهم لما قوبلت بالادب الاتقوت بسلطانها ولا جارتهما سيرة مطولة الا كانت قاصرة عن الجرى فى ميدانها ولاذكرت التواريخ المتقدمة معها الاتأخرت وكبت خلفها ولا ناظرها ذوقصص الاثقل عليه امرها ونظر الى قصصه فاستخفها ولا بالغ اهل التقاريض فى تقاريضهم الاوكانت دونها واستحق لها هذا الوصف فى ذمة أهل الادب فاستوفت منه ديونها. فلو نظر الصفدى الى هذا التاريخ وراجع النظر لسلخ جلده اوتصفحه الكتبى لعند على تاريخه وما عده اوكاثره ابن كثير لرأى نقصه متزايدا عنده اوعاصره ابن خلكان لقال لم امازج شراب القاضى بخلى فان عنده حضه وبرده. اولمحه الذهبى ومره بتاريخه لقيل له هذا ما ينطلى معه وعلم ان خلاصة الذهب تظهر بالسبك فهضم من جانبه ووضعه ولو ادركه البديع لرمى بديعه وعلم انه بدعة اولحقه الوهرانى لرآه فى المنام ان حصل له بعد مطالعته هجعة نسب هذا التاليف الى الدولة المؤيدية فصارله على كل اهل الارض صوله فلوناظره مؤلف بجلد لقلنا هذا جراب الدوله تحمس فى شعره وتغالى فالتى لنا فى سوق الكلام رخصه ولوزايده ابو تمام لحقق بجزءوارانا بنفسه نقصه ثم هذه الاشعار التى ما زاحمها شاعر بديوانه الاتلت عليه بعد الزلزلة الواقعه وتقوم القيامة وهى الى الحشر مرمية على القارعه ولقد اقام اوزانها بالقسط ولكن رجحها على القيراطى بفضله ونقص عنها الراجح الحلى لان فيها زيادة على مثله فيا لهمن شعر قصر عن بحره الطويل كل معارض وكيف لا وناظمه ذوهمة علية وناهض وابن ناهض وقدوقف ابن حجة وقوف معتوف ان عنده فى نظمه ونقعه وسكت المقر البدرى على اعترافه انه قاضى الادب وامامه الذى صلت البلغاء خلفه وقفت لعلماء الادب هذا الباب وارجو ان يكون قضا مينا ثان يضونى براعة بحسن الختام واذا حصل العلل من هذا النهر وبنا نعم وقفت وغير خاف عن علومهم الكريمة ان شرط الواقف ما يهمل واتمثلت مراسيم المصنف مع سلوك الادب الذى يذوقه من له فيه اعذب منهل والله يجمعنا على هذا الشرب لنحلو موارده بالموارده ولا يحجبنا عن الكلام الذى يحسن السكوت عليه وتتم به الفائده (وكتب بعد ذلك سيدنا القاضى بدر الدين المشار اليه) وقفت اناولا كاداثبت نظرى لشدة الخجل وسألت المهلة فى وصف هذه الالفاظ فاذاهى قد جاءت على عجل فقلت أما المقام الشريف الممدوح عز نصره ولازالت تفتخر بدولته القاهرة مصره فقد مد على الرعية جناح العدل وحمى بيضة الاسلام وتواردت على تجريح عداته وتعديل صفاته السنة السيوف والاقلام وسار على القوم طريق فاذكرنا السيرة العمريه وطلع فى سماء الكواكب كالبدر فقل ما شئت فى الطلعة القمريه ودعا الى نسك طاعته فلبته فى ذلك الموقف النفوس ونادى على اعدائه منادى الحتف ثارا ثا كيف يكون الترخيم بحذف الرؤس ياهيك بها مناقب سرت القلوب وسارت ونافست النجوم جواهر الالفاظ فى مدحها فغارت وشملت البرايا بالمن والمنح وقابلت المسىء بالعفو والصفح حماها الله

اليك من بنات الشعر وامهاته فاما ما استأذنت رأيى فيه من الاختلاف الى مجلسى فما أقل نشاطى لك واضيق بساطى عنك واشبع قلبى منك واشد استغنانى عن حضورك فان حضرت فأنت كغاش نروض عليه الحلم وتعلم به الصبر وتكلف فيه الاحتمال ونغضى منه الجفن على قذى ونطوى منه الصدر على أذى ونجده للعيون تأديبا وللقلوب تأنيبا ما لك يا أبا الفضل تعتاض من الرغبة عنا رغبة فينا ومن ذلك التدلل علينا تذللا لنا ومن ذلك التعالى تصبصا ومن ذلك التغالى ترخصا وما بال الدهر ابدلك من التزايد تنقصا ومن التسحب على الاخوان تقمصا ولئن اعتضت عن ذلك الذهاب رجوعا لقد اعتضنا عن هذا النزاع نزوعا فانا برحلك وجانبك ملق حبلك على غاربك لا أوثر قربك ولا انسر بك ولو أحببت ان أوجك لقلت

تعالى من الغير وجعل صفاتهما الشريفة جمال الكتب والسير وأما منشئ السيرة فماذا اقول وقد رأيت الخطاب جليلا وماذا أصف وقد حملني العجز عبأ ثقيلا هو كبير اناس مزمل من البلاغة بانواع وأجناس يأتم به الهداة كانه علم وتروم الادباء المقايسة به فيقاسون ولكن من شدة الالم له في الادب صريمه وشهامه وفراهة تجري به الى المقامات الرائقة فلا تعتريه سآمه ماهمّ بتركيب معنى الا وشرح الصدور بذلك الهم ولا شك فارس فكره غارة الاوتم منها على بيوت الشعراء ماتم طالما ظهر برغم انوف الحسدة في المجالس فضله وصعبت الآداب على غيره لكنها اصبحت عليه سهله وعقل غرائب نكته عما سواه فلله ما ابدع عقله كدر عيش الحلي بما ابتدعه من العجائب ولا يشكر له تكدير الصفي واكتفى في ميدان البراعة بجواد فكره الذي جال وهو مكر مفر وهكذا يكون المكتفي اتى في تاريخه بالفاظ لو رآها ابن الاثير لتاثر وابن سعيد لتعثر وابن بسام لاصيب منها بالقارعة فعبس وتولى او الحجازي لرمى منها بالداهية التي هدمت ما بناه وثقلت عليه حملا وكتب خطا لو لمحه ابن مقلة لاصيب منه بنظره أو ابن البواب لهتك ستره وجاء بادب لو وازن أحد به الراجح الحلي لما اقام له وزنا ولا رجحه ولو تامل المليحي ملاحة لفظه الذي ما مر مثله بالذوق الا قال لسان التعجب ما أملحه ولو قيس به ابن الرومي المتعاظم لانشد الناظم

ولواني بليت بهاشمي * خؤولته بنو عبد المدان
لهان على ما القى ولكن * تعالوا وانظروا بمن ابتلاني

ولو تشبه به مادح كافور لعاد من برده بكبد حرا ولو كاف مجاراته صاحب القطر النباتي لقال وربما أفرغ علينا صبرا ولو تعرض ديك الجن لعزائمه في الادب لما زادته الا خبالا ولو رأى سطورا تتوالد منها المعاني العجيبة والليالي كما عات حبالى ولو أصبح ابن قادوس نجارا بمثل أدبه اقلماه حسبه ان يدور في الدولاب ولو تسرح الزغاري الى تصيد معانيه الشاردة لقطعت عليه اذناب الكلاب ولو تلقى المعمار عليه العلم انه ينحت من الجبال بيوتا ولو رآه ابو نواس لقال هذا الذي نقل الادب خبرا او علم من اين يؤتى ولو عورض به ابن نباتة لطال على قريحته الميتة العجب او ذكر الصابي لقال الذوق السليم ليس في عمرنا من صاب سوى هذا الاديب ولو أدرك آدابه الحكيم ابن دانيال لعلم انه ما تخيل نظيرها في الوهم ولا نه ورد مثلها في الخيال واذا كان الامر كما قال حسان بن ثابت الانصاري

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على البرية ان كيسا وان حمقا

فما اوفر عقل هذا الشاعر وأوفاه وما أقدره على تخيل المعاني الغريبة واقواه وما احق من قاسه على قرنائه من هذه الصناعة التي تعاطاها بسواه كم تصور معنى في الذهن فابرزه في الخارج اغرب الاشياء اسلوبا وكم ركب جناسا اذا ذكر البستي عنده قال الادب دعنا من تركيبه للجناس مقلوبا ولقد كنت ارتجي بابا ادخل منه للتقريض ففتح لي المقر التقوى بابا مرتجا ونهج الطريق الى المدح فاقتفيت آثاره واهتديت حيث رأيت منهجا ابقاه الله لابهام يوضحه وفساد عاجز يصلحه والله تعالى يحفظ على منشئ هذه السيرة

قريحته

ما يفعل الله بالجود
ولا بعاد ولا ثمود
ولا بفرعون اذ عصاه
ما يفعل الشعر بالخدود

(وله أيضا الى الشيخ أبي جعفر الميكالي)

الامير الفاضل الرئيس رفيع مناط الهمة بعيد منال الخدمة فسيح مجال الفضل رحيب مخترق الجود طيب معجم العود

ولو نظمت الثريا
والشعر بين قريضا
وكامل الارض ضربا
وشعب رضوى عروضا
وصغت للدر ضدا
أو للهواء نقيضا
بل لو جلوت عليه
سود الذوائب بيضا
او ادعيت الثريا
لا خمصيه حضيضا
والبحر عبدا لهاه
عند العطاء مغيضا
لما كنت الا في ذمة القصور وجانب التقصير فكيف وانا قاعد الحالة في المدح قاصر الآلة عن الشرح ولكني اقول الثناء منجح انى سلك والسخي جوده بما ملك وان لم تكن غرة لائحة

قريحته التي هي لجانب الأدب حائزه ويجعله ممن يسرح في رياض الصدقات الشريفة بما يسوقه اليه من وفور الجائزه والح المصنف بعد ذلك على المقر الجدى فضل الله ابن مكانس فكتب بالطيف نظرت هذه السيرة التي يعرض عنها المعارض وينزه مؤلفها في رياض الأدب على بكر من سوام المعاني وفارض فوجدته قد نهض بعبء ثقيل من الكلام وقام وأوقف البلغاء في مقام العجز يبعد العاجز اذ شرفها بذكر مولانا السلطان في هذا المقام خلد الله ملكه الشريف وعم بعدله المبسوط مدائن فضل ذات ظل وريف وجعل أيامه الزاهرة تواريخ السعود ومغانم الوفود ومواسم الكرم والجود وثبت قواعد سلطانه على النجوم ورفع جنابه المعظم على الافلاك حتى تسير لخدمته منطقات بمناطق النجوم واعز دولته عزا يذل له الدبر والاملس وتلبس أثوابه في الارض ويخص محله الرفيع من تلك الافلاك بالاطلس هنالك ينحنى الهلال لتقبيل اقدامه ويمد كف الثريا لاستجداء صوب غمامه ويتضاءل كل منهما فيه بهذا نعل فرسه وهذا حلية لجامه وملكه رقاب العباد وامضى أحكام سيوفه في رقاب أهل العناد حتى يشهد الدين انه قام بحقوقه نافلة وفرضا وسعى في مراضي الله فزلزل ديار الكفار سماء وأرضا ضاعف الله ثواب عمله المقبول وانشد بشكره لسان العالم حتى ينطق ويقول

السيد المالك الملك المؤيد سيف الدين شيخ حوى العليا وارضاها
وشيد الدين والدنيا ببيض ظبا * ان لم تضاه به في الحرب أمضاها

ثم كررت النظر فيها واستنهضت القلم للكتابة عليها حسب سؤال منشيها فنكس القلم من الخجل راسه وصعد من صرير انفاسه وقال لست ممن يجيد في هذا التقريض عباره ولا ينهض في وصف ماجاء به هذا الرجل من متين كلمه الذي الجم الفحول فكأنما القمهم حجاره فلقد ترفع قلمه في أرض قرطاسه وسما وأتى من الرقيق بشئ يحسبه الظمآن ما وقذف الرعب في القلوب بذكر الوقائع فورمت خوفا وشكت مما قذف بها ورما فلو وازنه القيراطي لثقل في الحقيقة عليه او حام على حمى ابن ابى حجلة لقرطا ترا من بين يديه أو جلا على ابن نباتة سلاف نظمه لم يقل الى بكاسك الاشهى الى أو أورى زنده مع الشواء لاحرق قلبه ولم يحسن منه شئ أو عاصر ابن الساعاتي لم يلتذ بطيب المنام أو جارى النصير الحمامي لالقى شعره في سرب الحمام أو تقدم لزمان أبي تمام وناظره اعلم الناس أنه غير لبيب وقال له علماء البديع هذا ضدك ياحبيب أو ابن حجاج لاظهر فساد عقله السخيف ورمى بجميع ما قاله في الكنيف فهو أولى منهم بمآثره الفضل وجذب وأحق وان اشتهرت فضائلهم أن يشتهر بالادب فانه لو كلف الغريب من القول لاتى به على كنهه أو أقام الاعتذار عن قبيح لقام العذر عما جاء به وذهب على وجهه ولو تصدى لتحسين حسن لزان بما يملا الطروس من ذلك وشحن أو حاجج بالباطل من يعرب عن الحق انهض بحجته واستمر يلحن فسبحان من أقدره على ما تقصر عن ادراكه الافهام وتعجز عن تصوره عقول الانام ولقد استعفاه القلم عن الكتابة خشية من عرض فضائحه وسأله طي هذه الصحيفة

فلمعة دالة وان لم يكن
صدر فناه أو لم تكن خمز
نخل أو لم يصب وابل فطل
وبذل الموجود غاية الجود
وبعض الحمية آخر المجهود
وماش خير من لاش ووجود
ماقل خير من عدم ماجل
وقليل في الجيب خير من
كثير في الغيب وجهد المقل
أحسن من عذر المخل وحمار
هو خير من فرس ليس وكوخ
في العيان خير من قصر في
الوهم وزيت خير من ليت
وما كان أجود من لو كان
وقد قيل عصفور في الكف
خير من كركي في الهواء ولان
تقطف خير من ان تقف
ومن لم يجد الجميم رعى الهشيم
ومن لم يحسن صهيلا نهق
ومن لم يجد ماء تيمم والامير
لا تنظر من قوافي صفيه الى
ركة ألفاظها وبعد أغراضها
ولكن الى وفور جذرها
وثقل مهرها وقلة كفئها
فاني منذ فارقت قصبة جرجان
ووطئت عتبة خراسان
مازففتها الا الى أذى ولا
زوجتها سوى هذى على غرفي
في اعطان المحن وضرورتي
الى أبناء الزمن وان كان

خوفا من نشر قبائحه فابى الا اظهار المكتوم وفض المختوم فيا خجلتاه لما كتب ويا فضيحتاه اذ الام الفاضل على ما جابه وعتب ولكنه جرى خلف الجوادين السابقين واقتدى بامامتهما التى اعترف الآفاق انهما ملآت الخافقين ابقاهما الله مدى الازمان واسبغ عليهما غطاء الفضل وبلغهما غاية الامانى يوم الخوف والامان وامتع بجناب منشئها الاحباب وأقر به أعين الاخوان وبسط به أنفس الاصحاب والهمنا أجمعين تجنب ما خفى علينا من عوراتنا وكشف حجب قلوبنا بمنه وكرمه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

لبت المنية حالت دون نصحك لى * فيستريح كلانا من اذى التهم

هذا البيت ليس له نظير فى هذا الباب فانه اشتمل على الرقة والسهولة والانسجام وما زاده حسنا الا تقويته بالبيت التى استعان بها الشاعر فى ابهام بيته على زيد الخياط فان الشيخ صفى الدين لما قال لعاذله * ليت المنية حالت دون نصحك لى * حسن ابهامه بقوله * فيستريح كلانا من اذى التهم * وصار الامر مبهما بينه وبين العاذل وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته يخاطب فيها العاذل

ابهمت نصحى مشيرا بالاصابع لى * ليت الوجود رمى الابهام بالعدم

وهذا الابهام هنا يشار اليه بالاصابع وتعقد عليه الخناصر فان الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى اجاد فيه الى الغاية ولم يتفق له فى نظم بديعيته بيت نظيره ولا اتفق لغيره ممن نظم بديعية فانه جمع بين السهولة والانسجام والتصوير والتورية البارزة فى أحسن القوالب بتسمية نوع الابهام الذى هو المقصود ولعمرى انه بالغ فى عطف القلوب بهذا السحر الحلال ولم تنظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت بديعيتى

وزاد ابهام عذلى عاذلى ودجا * ليلى فهل من بهيم يشتفى المى

فان الابهام هنا بين بهيم الليل وبين العاذل فان اشتراك البهيم صالح لهما ولكن لم يحصل التمييز لاحدهما من الآخر كما وقع الشرط بين الامر بينهما مبهم ولا يعلم من هو المقصود منهما وهذا هو الفرق بين الابهام والتورية اذ المراد من التورية المعنى البعيد المورى عنه بالقريب

(ذكر ارسال المثل)

(وكم غفلت اذا رخوا شعورهم * وقلت بالله خلوا الرقص فى الظلم)

ارسال المثل نوع لطيف فى البديع ولم ينظمه فى بديعيته غير الشيخ صفى الدين وهو عبارة عن ان يأتى الشاعر فى بعض بيت بما يجرى مجرى المثل من حكمة او نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثل به كقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ وقوله تعالى صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة وقوله تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها ومما جاء من ذلك فى السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار وقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها وقوله صلى الله

الامير الرئيس يرفع لكل لفظ حجاب سمعه ويفسح لكل شعر فناطبعه فهاك من الشعر ما يقرى ومن النظم ما ترى

اذهب الكاس فعرف الـ
فجر قد كاد يلوح
وهو للناس صباح
ولذى الرأى صبوح
والذى يمرح بى فـ
حلبة اللهو جموح
واسقنيها والامانى
لها عرف يفوح
ان فى الايام اسرا
رابها سوف تبوح
لا يغرنك جسم
صادق الحس وروح
انما نحن الى الآ
جال نغدو ونروح
وبك هذا العمر تقريـ
ب وهذا الروح ريح
بينما أنت صحيح الـ
جسم اذ أنت طريح
فاسقنيها مثل ما يلـ
قطه الديك الذبيح
قبل ان يضرب فى العمـ
ـر الى القدح السفيح
ها كم الدنيا فسيحوا
ووقعنا الافسيح

ارسال المثل

عليه وسلم المرء مع من أحب وقوله صلى الله عليه وسلم المستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالمنطق وقد احتوى كتاب أبي أحمد العسكري على كثير من هذا الباب ومن أمثلته في الشعر قول زهير

وهل ينبت الخطي الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

ومثله قول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

ومثله قول بشار

فعش واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

ومما أحلى ما قال بعده

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقول أبي تمام

فلو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع

وكقوله

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

وذكر ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير انه استخرج أمثال أبي تمام من شعره فوجدها تسعين نصفا وثلثمائة بيت وأربعة وخمسين بيتا واستوعب أمثال أبي الطيب المتنبي فوجدها مائة نصف وثلاثة وسبعين نصفا وأربعمائة بيت ولكنه أخرج من أمثال أبي الطيب ما ولده من أمثال أبي تمام وصدر الجميع بما وقع في الكتاب العزيز من الامثال بزيادات على ذلك وهي أمثال الاشعار السنية والحماسة وأمثال أبي نواس بعد أن ألحق أمثال القرآن بأمثال دواوين الاسلام السنية وختم الجميع بأمثال العامة في كتاب الامثال له ومما سار من أمثال الطغرائي في لامية العجم قوله

حب السلامة يثني عزم صاحبه * عن المعالي ويغري المرء بالكسل
لو أن في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل
أعلل النفس بالآمال أرقبها * ما أضيق العيش لولا فسحة الامل
وعادة النصل ان يزهى بجوهره * وليس يعمل الا في يدي بطل
ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني * حتى أرى دولة الاوغاد والسفل
هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا * من قبله فتمنى فسحة الاجل
وان علاني من دوني فلا عجب * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
أعدى عدوك أدنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل
يا واردا سؤر عيش كله كدر * أنفقت صفوك في أيامك الاول

انما الدهر عدو
ولمن اصغى فصيح
ولسان الدهر بالوعـ
ـظ لواعيه فصيح
ستميح الدهر والايام منا تستميح
نحن لاهون وآجا
ل المنى لا تستريح
ضاع ما نحميه من أنـ
ـفسنا وهو يبيح
يا غلام الكاس فاليأ
س من الناس مريح
وقنوعا فمقام الذل بالحر قبيح
أنا يا دهر بأبنا
ئك شق وسطيح
وبأبكار القوافي
لا على كف شحيح
يا بني ميكال والجو
د لعلاني مريح
شرفا ان مجال الـ
ـفضل فيكم لفسيح
وعلى قدر سنا الممـ
ـدوح يأتيك المديح
فهناك الشرف الار
فع والطرف الطموح
والندى والخلق الطا
هر والوجه الصبيح
مرتقى مجد يصار الطر
ف فيه ويطيح
ما لكم فيه مغيض الـ
ـماء والعرض صحيح

فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وانت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لايخشى عليه ولا * يحتاج فيه الى الانصار والخول
ترجو البقاء بدار لابقاء لها * فهل سمعت بظل غير منتقل
ويا أمينا على الأسرار مطلعا * اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

ومن سار في مجرى هذه القصيدة ووزنها أبو الطيب المتنبي في قصيدته التي اولها

اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل * دعا فلباه قبل الركب والابل
وما صبابة مشتاق على أمل * من اللقاء كمشتاق بلا أمل
والهجر اقتل لي مما أراقبه * انا الغريق فما خوفي من البلل
قد ذقت شدة أيامي ولذتها * فما حصلت على صاب ولا عسل
خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

انظر الى محاسن هذين الفحلين الى الغاية التي تمثلا بها في الشمس وزحل وتاخر سوابق الاوهام عن معرفة السابق منهما الى الغاية ومنها قوله

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * وان وجدت لسانا قائلا فقل
لعل عتبك محمود عواقبه * فربما صحت الاجسام بالعلل
لان حلمك حلم لاتكلفه * ليس التكحل في العينين كالكحل
وما ثناك كلام الناس عن كرم * ومن يسد طريق العارض الهطل

وقد عن لي أن أجمع هنا ما لابد وقيمن أمثال أبي الطيب المتنبي وان كان فيها ما ولده من شعر ابي تمام كما ذكره ابن ابي الاصبع فان القصد ان نصيرها عمدة لاهل الانشاء اذا أوردوها في الوقائع التي تليق بها على اختلاف أنواعها فمن ذلك قوله

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعيني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب * وفي بلاد من اختها بدل

وقوله من قصيدة

اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا
ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

وقوله من قصيدة

ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام
خير اعضائنا الرؤس ولكن * فضلتها بقصدك الاقدام

وقوله

ما كل من طلب المعالي نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا

وقوله

ايهذا الكريم المائل والخلق السجيح كان هذا الجد مينا عاده منك المسيح هذه اطال الله بقاء الامير الشهم هدية الوقت وعفو الساعة وفيض البديهة ومسارقة القلم ومسابقة اليد للفم وجرات الحدة وثمرات المدة ومجاراة الخاطر للناظر ومباراة الطبع للسمع ومجاوبة الجنان للبنان والشعر اذا لم تتقدمه نية ولم تنضجه روية لم يفتح له السمع حجابه واذا بس الامير هذه على علاتها رجوت ان يكون ما بعدها امتن واحسن وارصن ورأيه في الوقوف عليه موفق ان شاء الله

(وله اليه أيضا)

لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني أني خطرت ببالك

ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى

ويعجبني قوله في الهجو وهو مما اغض فيه

فلو كنت امرأ يهجى هجونا * ولكن ضاق فتر عن مسير

وقوله

فقر الجهول بلا لب الى أدب * فقر الحمار بلا رأس الى رسن

قد هوّن الصبر عندي كل نازلة * ولين العزم خد المركب الخشن

لا يعجبن مضيما حسن بزته * وهل تروق دفينا جودة الكفن

وقال من ابيات قوله

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا * فلما دهتني لم تزدني بها علما

وكنت قبيل الموت استعظم النوى * فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني * ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

وقوله ايضا

وانا الذي اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

انعم ولذ فللامور أواخر * أبدا كما كانت لهن أوائل

للهو آونة تمر كأنها * قبل تزودها حبيب راحل

جمع الزمان فلا لذيذ خالص * مما يشوب ولا سرور كامل

واذا اتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني فاضل

وقال من قصيدة وهي أبلغ ما يكون في المدح

اعيا زوالك من محل نلته * لا تخرج الاقمار من هالاتها

وقال من قصيدة

واشجع مني كل يوم سلامتي * وما ثبتت الا وفي نفسها أمر

ذر النفس تاخذ وسعها قبل بينها * فمفترق جاران دارهما عمر

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وأستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر

واني رأيت الضر أحسن منظرا * واهون من مرأى صغير به كبر

ويعجبني من المديح منها

وما انا وحدي قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

وقال من قصيدة

وما ليل بأطول من نهار * يظل بلحظ حسادي مشوبا

ولا موت بانقص من حياة * أرى لهم معي فيها نصيبا

عرفت نوائب الحدثان حتى * لو انتسبت لكنت لها نقيبا

وما أظرف ما قال منها

وشيخ في الشباب وليس شيخا * يسمى كل من بلغ المشيبا

الامير الجليل الله بقاءه الى آخر الدعاء في حالي بره وجفائه متفضل وفي يومي ادنائه وابعاده محسن وهنيأ له من جانانا ما يحمله ومن عرانا ما يحمله ومن اعراضنا ما يستحله بلغني انه ادام الله عزه استزاد صنيعه فكنت اطلق مجنيا عليه مساء اليه فاذا انا في قرارة الذنب ومثارة العتب وليت شعري اي محظور في العشرة حضرته او مفروض من الخدمة رفضته او واجب في الزيارة اهملته وهل كنت الا ضيفا اهداه نزع شاسع واداه امل واسع وحداه فضل وان قل وهداه رأى وان ضل ثم لم يلق الا في آل ميكال رحله ولم يصل الا بهم حبله ولم ينتظم الا فيهم شعره ولم يقف الا عليهم شكره ثم ما بعدت صحبة الا دنت مهانة ولا زادت

قسا فالاسد تفزع من يديه * ورق فنحن نفزع ان يذوبا

وقال من قصيدة وهي التي ذكروا انه ادعى فيها النبوة

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له مامن صداقته بد

وقال من قصيدة

قد كنت اشفق من دمعي على بصري * فاليوم كل عزيز بعدكم هانا
اذا قدمت على الأهوال شيعني * قلب اذا شئت أن يسلا كم خانا
أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني * ولا اعاتبه صفحا واهوانا
وهكذا كنت في أهلي وفي وطني * ان النفيس غريب حيثما كانا
لا اشرئب الى مالم يفت طمعا * ولا ابيت على مافات حسرانا
ولا اسر بما غيري الحميد به * ولو حملت الى الدهر ملآنا

وقوله من قصيدة

فمالي وللدنيا طلابي نجومها * ومسعاي منها في شدوق الاراقم
من الحلم ان يستعمل الجهل دونه * اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
ومن عرف الايام معرفتي بها * وبالناس روى سيفه غير راحم
ولولا احتقاري الاسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم
وكاد سروري لا يفي بندامتي * على تركه في عمري المتقادم

وقال من قصيدة

وأحسب انى لو هويت فراقكم * لفارقته والدهر أخبث صاحب
فياليت مابيني وبين احبتي * من البعد مابيني وبين المصائب
يهون على مثلي اذا رام حاجة * وقوع العوالي دونها والقواضب
كثير حياة المرء مثل قليلها * يزول وباقي عيشه مثل ذاهب
* بأي بلاد لم أجرر ذوائبي * واي مكان لم تطأه ركائبي *

وتخلص الى مديح طاهر ولكنه اتى في تخلصه بالعجائب فقال

كأن رحيلي كان من كف طاهر * فأثبت كوري في ظهور المواهب

مايقول اثبت كوري في ظهور المواهب الا المتنبي ومن أبياته التي سارت امثالا قوله

اذا غامرت في شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير * كطعم الموت في امر عظيم
وكل شجاعة في المرء تغني * ولا مثل الشجاعة في الحليم
وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الاسماع منه * على قدر القرائح والفهوم

وقال من قصيدة

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

حرمة الا انقصت صيانة ولا تضاعفت منة الا تراجعت منزلة ولم تزل الصفقة بها حتى صاروا بل الاعظام قطرة وعاد قبض القيام صدرة ودخلت مجلسه وحوله من الاعداء كتيبة فصار ذلك التقريب ازورارا وذلك السلام اختصارا والاهتزاز ايماء والعبارة اشارة وحين عاتبته آمل اعتابه وكاتبته انتظر جوابه وسألته ارجو ايجابه اجاب بالسكوت فما ازددت الا له ولاء وعليه ثناء لاجرم انى اليوم ابيض وجه العهد واضح محجة الود طويل لسان القول رفيع حكم العذر وقد حملت فلانا من الرسالة ما تجافى القلم عنه والامير الرئيس اطال الله بقاءه ينعم بالاصغاء لا يورده موفقا ان شاء الله عز وجل

(وله اليه أيضا)

لا تخدعنك من عدو دمعة * وارحم شبابك من عدو ترحم

وما اعظم ما قال بعده

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم
ومن البلية عذل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم
والذل يظهر فى الذليل مودة * واود منه لمن يود الارقم
ومن العداوة ما ينالك نفعه * ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
افعال من تلد الكرام كريمة * وفعال من تلد الاعاجم اعجم

وقوله

كريشة بمهب الريح ساقطة * لا تستقر على حال من القلق

ويعجبنى قوله من ابيات يتمثل بها فى كثرة الاحسان المفرط

ولم تغلل تفقدك الموالى * ولم تذم اياديك الجساما
ولكن الغيوث اذا توالت * بارض مسافر كره المقاما
وصار أحب ما يهدى اليه * لغير قلى وداعك والسلاما

وقال

والغنى فى يد اللئيم قبيح * قدر قبح الكريم فى الاملاق

وقال من قصيدة

وقد يتزيا بالهوى غير أهله * ويستصحب الانسان من لا يلائمه
بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه
وما استغربت عينى فراقا رأيته * ولا علمتنى غير ما القلب عالمه

وقوله

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

وقال من قصيدة

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فاهون ما يمر به الوحول

وقوله

رمانى الدهر بالارزاء حتى * فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتنى سهام * تكسرت النصال على النصال

وقوله

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
ولو زلتم ثم لم ابككم * بكيت على حبى الزائل

وقوله

هل الولد المحبوب الا تعلة * وهل خلوة الحسناء الا اذى البعل
وقد ذقت حلواء البنين على الصبا * فلا تحسبنى قلت ما قلت عن جهل

أنا فى خدمة الامير مرجح بين ان اشربها رنقة لا اسيغها والجلم مضغة لا اجيزها وبين ان اطويها على غرها ولا ارتضع اخلاف درها

فلا نفسى تطاوعنى لرفض
ولا همى توطننى لخفض
وبقى أن أقرصه بانامل العتب
وأجشمه بالحاظ العذل
واعرفه انى ما اطوى
مسافة فرارا الا محتشما
ولا اطأ عتبة دارا الا متبرما
ولست كمن يبسط يده
مستجديا او ينقل قدمه
مستغذيا فان كان الامير الرئيس اطال الله بقاءه يسرح طرفه فى طامح او طامع فليعد للفراسة نظرا فما الفقر من ارض العشيرة ساقنا

اليك ولكنا بقربك نبجح

واجدنى كلما استفزنى الشوق الى تلك المحاسن اطير اليها بجناحين عجلا وارجع بعرجاوين خجلا

وما الدهر اهل أن تؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقال

اذا ما الناس جربهم لبيب * فانى قد اكلتهم وذاقا

وقوله

فما ترجى النفوس من زمن * أحمد حاليه غير محمود

وقوله

ووجه البحر يعرف من بعيد * اذا يسجو فكيف اذا يموج

وقال

ليس الجمال لأنف صح مارنه * انف العزيز بقطع العز يجتدع

من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شئ ولا يضع

ان السلاح جميع الناس تحمله * وليس كل ذوات المخلب السبع

وقوله مفتخرا

وانا اذا ما الموت صرح في الوغى * لبسنا الى حاجاتنا الضرب والطعنا

وقوله

اهم بشئ والليالى كأنها * تطاردنى عن كونه وأطارد

وحيد من الخلان فى كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد

ولكن اذا لم يحمل القلب كفه * على حالة لم يحمل الكف ساعد

منها

بذا قضت الايام ما بين اهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

وكل يرى طرق الشجاعة والندى * ولكن طبع النفس للنفس قائد

فان قليل الحب بالعقل صالح * وان كثير الحب بالجهل فاسد

وقوله

وما كل وجه ابيض بمبارك * ولا كل جفن ضيق بنجيب

كان الردى عاد على كل ماجد * اذا لم يعوذ مجده بعيوب

ولولا أيادى الدهر فى الجمع بيننا * غفلنا فلم نشعر له بذنوب

فرب كئيب ليس تندى جفونه * ورب كثير الدمع غير كئيب

وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها * ويجهد ان يأتى لها بضريب

وقوله

ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت * على عينه حتى يرى صدقها كذبا

ومن تكن الاسد الضوارى جدوده * يكن ليله صبحا ومطعمه غصبا

ولست ابالى بعد ادراكى العلا * أكان تراثا ما تناولت ام كسبا

ويعجبنى من هذه القصيدة قوله فى مدح سيف الدولة وقد كسر الدمستق على مرعش

بأنى مرعشا يستقرب البعد مقبلا * وأدبر اذ أقبلت يستبعد القربا

ولولا ان الرضا بذلك ضرب من سقوط الهمة وان العتب نوع من انواع الخدمة اصنت بمجلسه عن قلبى كما اصونه عن قدمى وملت الى ارض الدعاء فهو انفع والى جانب الثناء فهو اوقع وما أفعل ذلك لتخفف مؤنتى ولا تثقل وطأتى

اذا ما عتبت فلم تعتب
وهنت عليك فلم تعن بى
سلوت فلو كان ماء الحياة
يعفت الورود ولم اشرب

وكتب الى القاسم الكرجى انا اطال الله بقاء الشيخ سيدى ومولاى وابن لم التى تطاول الاخوان الا بالتطول وتعامل الاحرار الا بالتجمل أحسب الشيخ ايده الله على اخلاقه ضننا بما عقدت يدى عليه من الظن به والتقدير فى مذهبه ولولا ذلك اقلت فى الارض مجالا ان ضاقت ظلالك وفى الناس واصلا ان رثت

كذا يترك الاعداء من يكره القنا * ويقفل من كانت غنيمته رعبا
مضى بعدما التف الرماحان ساعة * كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة * اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
يخف الجبان النفس اورده البقا * ويحب الشجاع الحرب اوردها الحربا

وما احلى ما قال بعده

ويختلف الرزقان والفعل واحد * الى ان ترى احسان هذا لذا ذنبا

ومن أنصاف مطالعه التي يتمثل بها الناس

* واحر قلباه ممن قلبه شبم *

ونصفه الثاني لا يحل تمام شخص المطلع

* ومن بجسمي وحالي عنده سقم *

ويعجبني من هذه القصيدة قوله يخاطب سيف الدولة ويشير اليه انه سمع فيه كلام الاعداء وقد احضرهم لمواجهته ولم يخرج عن ارسال المثل

يا أعدل الناس الا في معاملتي * فيك الخصام وانت الخصم والحكم
اعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع اخي الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

وعلى الا من امثاله قوله

اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن أن الليث مبتسم
يا من يعز علينا ان نفارقهم * وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ان كان سركم ما قال حاسدنا * فما لجرح اذا أرضاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة * ان المعارف في اهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم * ويكره الله ما تأتون والكرم

منها وليس لمثله مثيل

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وما أحلى ما قال بعده

شر البلاد مكان لا صديق به * وشر ما يكسب الانسان ما يصم

وقال من ابيات

وان كان ذنبي كل ذنب فانه * محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

وقال من قصيدة

وما كمد الحساد شيأ قصدته * ولكنه من يزحم البحر يغرق
واطراق طرف العين ليس بنافع * اذا كان طرف القلب ليس بمطرق

وقوله لولا مفارقة الاحباب ما وجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا
وقوله لا بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي فخرت لا بجدودي

حيالك وأوآخذه بافعاله فان أطلق أذنا واعية ونفسا مراعية وقلبا متعظا ورجوعا عن ذهابه ونزوعا عن هذا الباب الذى يقرعه ونزولا عن الصعود الذى يفرعه فرشت لمودته خوان صدري وعقدت عليه جوامع خصري ومجامع عمري وان ركب من التعالي غير مركبه وذهب من التغالي في غير مذهبه أقطعته خطة اخلاقه ووليته جانب اعراضه و
لم أرد الطير عن شجر
قد بلوت المر من ثمره
فاني وان كنت في مقتبل السن والعمر قد حلبت شطري الدهر وركبت ظهري البر والبحر ولقيت وفدي الخير والشر وصافحت يدي النفع والضر وضربت ابطي العسر واليسر وبلوت طعمي الحلو والمر ورضعت ضرعي العرف

وما أحلى ما قال من غزلها

أي يوم سررتني بوصال * لم ترعني ثلاثة بصدود

منها

أين فضلي اذا قنعت من الدهـ * ـر بعيش معجل التنكيد

عش عزيزاً أومت وانت كريم * بين طعن القنا وخفق البنود

وقال من قصيدة

وعذلت أهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقوله من قصيدة

تحقر عندي همتي كل مطلب * ويقصر في عيني المدى المتطاول

وما أحلى ما قال بعده

ومازلت طوداً لا تزول مناكبي * الى ان بدت للضيم في زلازل

وله من قصيدة

ليس التعلل بالآمال من أربي * ولا القناعة بالاقلال من شيمي

ولا اظن بنات الدهر تتركني * حتى تسد عليها طرقها هممي

وما الطف ما قال منها

ارى أناساً ومحصولي على غنم * وذكر جود ومحصولي على الكلم

لقد تصبرت حتى لات مصطبر * فالآن أقحم حتى لات مقتحم

وقال

وكاتم الحب يوم البين منهتك * وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

وقوله

اذا قيل رفقاً قال للحلم موضع * وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وقال من قصيدة

غَرَّني في الوغى عيشي لأني * رأيت العيش من ارب النفوس

وقال من أخرى

ان ترمني نكبات الدهر عن كثب * ترمي امرأً غير رعديد ولا نكس

وقال

خير الطيور على القصور وشرها * يأوي الخراب ويسكن الناووسا

وقال أيضاً

يخفي العداوة وهي غير خفية * نظر العدو بما أسر يبوح

وقال ايضاً

وهبني قلت هذا الصبح ليل * ايعمى العالمون عن الضياء

وقال أيضاً

وشغل النفس عن طلب المعالي * ببيع الشعر في سوق الكساد

والنكر فما تكاد الايام تريني من افعالها غريبا وتسمعني من احوالها عجيبا ولقيت الافراد وطرحت الآحاد فما رأيت احداً الاملأت حافتي سمعه وبصره وشغلت حيزي فكره ونظره واثقلت كتفه في الحزن وكفته في الوزن وودلو بادر القرن صفقتي اولقي صفيقتي فالى صغرت هذا الصغر في عينه وما الذي ازرى بي عنده حتى اخصب وقد قصدته ولزم ارضه وقد حضرته انا احاشيه ان يجهل قدر الفضل أو يجحد فضل العلم او يمتطي ظهر التيه على اهليه واسأله ان يحتمي من يدمم بفضل اعظام ان زلت بي مرة قدم في قصده وكاني به وقد غضب لهذه المخاطبة المجحفة والرتبة المحيفة وهو في جنب جفائه يسير فان اقلع عن عادته

ومنها

ومنها

وماماضى الشباب بمسترد * ولا يوم يمر بمستعاد *
متى لحظت بياض الشيب عينى * فقد وبدته منها فى السواد
وما العضب الطريف وان تقوى * بمنتصف من الكرم التلاد
فان الجرح يدمى بعد حين * اذا كان البناء على فساد
وكيف يبيت مضطجعا جبان * فرشت لجنبه شوك القتاد

وما أحلى قوله من قصيدة

انى وان لمت حاسدى فما * انكر انى عقوبة لهم
كفانى الذم اننى رجل * اكرم مالى ملكته الكرم

وما أحلى ما قال بعده

يجنى الغنى للئام لو عقلوا * ما ليس يجنى عليهم العدم

وقال ايضا

خليلك انت لا من قلت خلى * وان كثر التجمل والكلام
ولو لم يعل الا ذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

وما أحلى قوله منها

تلذ له المروءة وهى تؤذى * ومن يعشق يلذ له الغرام

ومما سار من امثالها

لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدنيا ابتسام
تروع ركانة وتذوب ظرفا * فما تدرى أشيخ ام غلام

وقال من قصيدة

اظمتنى الدنيا فلما جئتها * مستسقيا مطرت على مصائبا

وقال منها

خذ من ثناى عليك ما اسطيعه * لا تلزمنى فى الثناء الواجبا

وقال من غيرها

ومن لبه مع غيره كيف حاله * ومن سره فى جفنه كيف يكتم

وقوله

انا صخرة الوادى اذا ما زوحمت * واذا نطقت فاننى الجوزاء
واذا خفيت على الغبى فعاذر * ان لا ترانى مقلة عمياء
ان الكريم اذا أقام ببلدة * سال النضار بها وقام الماء

وقال من قصيدة

لا تعذل المشتاق فى أشواقه * حتى يكون حشاك فى أحشائه

وما أحلى ما قال بعده

ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه

ونزع عن شيمته فى البقاء فاطال الله بقاء الاستاذ الفاضل وادام عزه وتأييده

(وله أيضا اليه)

يعز على اطال الله بقاء الشيخ الرئيس ان ينوب فى خدمته قلمى عن قدمى ويسعد برؤيته رسولى دون وصولى ويرد مشرعة الانس به كتابى قبل ركابى ولكن ما الحيلة والعوائق جمة وعلى ان اسعى وليس على ادراك النجاح وقد حضرت داره وقبلت جداره وما بى حب الحيطان ولكن شغفا بالقطان ولا عشق الجدران ولكن شوقا الى السكان وحين عدت العوادى عنه املت ضمير الشوق على لسان القلم معتذرا الى الشيخ على الحقيقة عن تقصير وقع وفتور فى الخدمة عرض ولكنى اقول

ان يكن تركى لقصدك ذنبا
فكفى ان لا اراك عقابا

وما احلى ما قال من قصيدة

اذا ما قدرت على نطقة * فانى على تركها اقدر
أصرف نفسى كما اشتهى * واملكها والقنا احمر

ويطربنى من مديحها قوله منها ايضا

كفتك المروءة ما تتقى * وآمنك الود ما تحذر

وقال

فلا تطمعن من حاسد فى مودة * وان كنت تبديها اليه وتنيل
يهون علينا ان تصاب جسومنا * وتسلم اعراض لنا وعقول

وقوله

وما الخصك فى برء بتهنئة * اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا
وما قتل الاحرار كالعفو عنهم * ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

وما أحلى ما قال بعده

* اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا *
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ويعجبنى منها فى افتخاره

وما الدهر الا من رواة قصائدى * اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا * وغنى به من لا يغنى مغردا *

ومن أمثالها

فدع كل صوت بعد صوتى فاننى * انا الصائح المحكى والآخر الصدى
وقيدت نفسى فى ذراك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

ولقد أجاد فى مديحها بقوله

اذا سأل الانسان ايامه الغنى * وكنت على بعد جعلنك موعدا

ومن الامثال السائرة مطلع هذه القصيدة

* لكل امرئ من دهره ما تعودا *

وقال من قصيدة

وما التيه طبى فيهم غير اننى * بغيض الى الجاهل المتغافل

وقوله

وكيف يتم باسك فى اناس * تصيبهم فيؤلمك المصاب

وما ألطف ما قال بعده

ترفق أيها المولى عليهم * فان الرفق بالجانى عتاب
وما تركوك معصية ولكن * يعاف الورد والموت الشراب

وله أيضا رسالة كتبها بيكند وقد قطع عليه العرب الى سعيد الاسمعيلى

كتابى اطال الله بقاء الشيخ الفاضل بل رفعق وقد بكرت على مغيرة الاعراب ككهمس وربيعة بن مكدم وعتبة بن الحرث بن شهاب وانا احمد الله الى الشيخ واذم الدهر فما تركى لى فضة الا فضها ولا ذهبا الا ذهب به ولا علقا الا علقه ولا عقارا الا عقره ولا ضيعة الا اضاعها ولا مالا الا مال اليه ولا حالا الا حال عليه ولا فرسا الا افترسه ولا سبدا الا استبد به ولا لبدا الا لبد فيه ولا بزة الا ابتزها ولا عارية الا ارتجعها ولا وديعة الا انتزعها ولا خلعة الا اختلعها وانا داخل نيسابور ولا حلية الا الجلدة ولا برقة الا القشرة

وما جهلت أياديك البوادى * ولكن ربما خفى الصواب
وكم ذنب يولده دلال * وكم بعد يولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جارمه العذاب

ومن مطالعه التى سارت أمثالا

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

ويعجبنى من مديحها

اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم
وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم

وقال من قصيدة

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا * اذا لم يكن فوق الكرام كرائم

وقال من غيرها

وما الحسن فى وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقال من قصيدة

وما فى سطوتها الارباب عيب * ولا فى زلة العبدان عار

وقال من قصيدة

واذا لم تجد من الناس كفؤا * ذات خدر ارادت الموت بعلا
واذا الشيخ قال اف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولى

وما احلى ما قال بعده

ابدا تسترد ما تهب الدنـ * ـيا فياليت جودها كان بخلا

وقال من قصيد

رب امر أتاك لا تحمد الفعال فيـ * ـه وتحمد الافعالا
واذا ما خلا الجبان بارض * طلب الطعن وحده والنزالا

ومن انصافها

هكذا هكذا والا فلالا

وقال من قصيدة مطلعها

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى
ولربما طعن الفتى اقرانه * بالرأى قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت * أيدى الكماة عوالى المران
واذا الرماح شغلن مهجة ثائر * شغلته مهجته عن الاخوان

وقال أيضا

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

قوله جارمه فى نسخة جانيه

والله تعالى ولى الخلف بجمله والفرج بيسره وهو حسبى ونعم الوكيل

(وله الى الشيخ الامام أبى الطيب)

أنا أطال الله بقاء الشيخ الامام بصير بابناء الذنوب وأولاد الدروب أعرفهم بشامة وأثبتهم بعلامة والعلامة فيهم ان يفسدوا الصنيع على صانعه ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويرموا فى الحكاية سهم الشكاية ويجيلوا فى الشكاية قدح النكاية ثم لا يرون النكاية الا السعاية وان أعوزهم الصدق مالوا الى الكذب وان حل لهم الجد عوضوا باللعب ومن علاماتهم قبح مقاماتهم وايراد ظلاماتهم موارد النصيحة لكبرائهم

وكثير من السؤال اشتياق * وكثير من رده تعليل
ما الذى عنده تدار المنايا * كالذى عنده تدار الشمول

وقال من قصيدة

ومن تفكر فى الدنيا ومهجته * اقامه الفكر بين العجز والتعب

ومن مطالعه التى سارت أمثالا

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن امانيا

وقوله منها

اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة * فلا تستعدن الحسام اليمانيا
وللنفس أخلاق تدل على الفتى * أ كان سخاء ما أتى أم تساخيا
اذا الجود لم يرزق خلاصا من الاذى * فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
خلقت ألوفا لو رددت الى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ومن انصافها السائرة

ومن قصد البحر استقل السواقيا

وقال أيضا

فارم بى ما اردت منى فانى * أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وان كا * ن لسانى يرى من الشعراء

وقال من قصيد

فما الحداثة عن حلم بمانعة * قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب

ويعجبنى من مديحها

كأن كل سؤال فى مسامعه * قميص يوسف فى اجفان يعقوب
اذا اعترته أعاديه بمسئلة * فقد عرته بجيش غير مغلوب

وقال أيضا

وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهى النفس وجده
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

وما أحلى ما قال بعده

وفى الناس من يرضى بميسور عيشة * ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبى ماله * مدى ينتهى بى فى مراد أحده

وقال

اذا حللت مكانا بعد صاحبه * جعلت فيه على ماقبله تيها

وقوله

وما منزل اللذات عندى بمنزل * اذا لم ابجل عنده واكرم

منها

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق مايعتاده من توهم

ومن آياتهم كثرة جناياتهم على الفضلاء وشدة حنقهم على من لم يخطرهم بباله ولا يسطهم فى حباله فانا انضاف الى ضيق اكنافهم سعة آنافهم والى قبح مقاماتهم قصر قاماتهم والى خبث محضرهم خبث منظرهم والى خدودهم غلظ جلودهم والى سوء بالهم خشونة سبالهم والى مرض فؤادهم صفرة أجسادهم والى لين قفاحهم غلظ الواحهم فذلك من أعلى القوم طبقة فى السفال وابعدهم غاية فى النكال والذى فاوضنى القاضى فى معناه جلى فى بابه ماحكاه يجمع هذه الخصال وقيادة وينتظم هذه الاوصاف وزيادة فلم يبعد الشيخ عن مثله ان يكذب ألطهارة أصله ام نجابة نسله أم

وعادى محبيه بقول عداته * واصبح فى ليل من الشك مظلم
أصاد فنفس المرء من قبل جسمه * واعرفها من فعله والتكلم
وأحلم عن خلى واعلم انه * متى أجزه حلما من الجهل يندم
وما كل هاو للجميل بفاعل * ولا كل فعال له بمتمم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

منها

رضيت بما ترضى به لى محبة * وقدت اليك النفس قود المسلم

وقوله

واذا الحلم لم يكن فى طباع * لم يحلم تقدم الميلاد
واذا كان فى الانابيب خلف * وقع الطيش فى صدور الصعاد

وقوله

وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت فى عين من لا يجرب
وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

منها وأجاد الى الغاية

واظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب

وقال من قصيدة

لا تلق دهرك الا غير مكترث * ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرورا ما سررت به * ولا يرد عليك الفائت الحزن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن
رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدر على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل * وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم * حتى يعاقبه التنغيص والمنن

وقال من قصيدة

ومراد النفوس أهون من ان * نتعادى فيه وان نتفانى
غير ان الفتى يلاقى المنايا * كالحات ولا يلاقى الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحى * لعددنا أضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز أن تكون جبانا

وله من قصيدة

وقسر فى علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

وقال

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

وقال

ومن يبغ الطريق الى المعالى * فلا يذر المطى بلا سنام

حصانة أهله أم رجاحة عقله أم ملاحة شكله أم غزارة فضله ولم يجوز على ما حكاه المرء يؤوى طريدا ويلى حصيدا ويؤنس وحيدا ويصطنع مبديا ومعيدا وكان يقدر انه اذا رآنى افعل شنيعا أو سمع انى الفظ بمكروه يأل فى تحسين أمرى فعل الوالد بولده من جهته ونظر المولى لصنيعه أقرب والآن اذ عاد الامر الى العتاب فهلم الى الحساب ان كنت أخللت بطرف من طاعتى من جهة فقد نقصنى ما عودنى من وجوه وذلك انه كان لا يتجاسر أحد على ان يغريني عنده فقد صار يغرى عنده ويبرى جلده وكان يقوم قناتى فقد صار يحبط حسناتى وكان يثمر مالى فقد صار يطل آمالى

وما أحلى ما قال بعده

ولم أر في عيوب الناس نقصا • كنقص القادرين على التمام

وملني الفراش وكان جنبي • يمل لقاءه في كل عام

ومن اختراعاته المخترعة قوله منها ويشير الى حمى أصابته وكانت تغشاه اذا أتى الليل

وزائرتي كأن بها حياء • فليس تزور الا في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا • فعافتها وباتت في عظامي

يضيق الجلد عن نفسي وعنها • فتوسعه بأنواع السقام

اذا ما فارقتني غسلتني • كأنا عاكفان على حرام

كأن الصبح يطردها فتجري • مدامعها بأربعة سجام

اراقب وقتها من غير شوق • مراقبة المشوق المستهام

وتصدق وعدها والصدق شر • اذا ألقاك في الكرب العظام

فان أمرض فما مرض اصطباري • وان احمم فما حم اعتزامي

وان اسلم فما ابقي ولكن • سلمت من الحمام الى الحمام

وقوله

وللسر مني موضع لا يناله • نديم ولا يفضي اليه شراب

وما العشق الا غرة وطماعة • يعرض قلب نفسه فيصاب

اعز مكان في الدنا ظهر سابح • وخير جليس في الزمان كتاب

منها في المديح قوله في كافور

تجاوز قدر المدح حتى كأنه • بأحسن ما يثنى عليه يعاب

اذا نلت منك الود فالكل هين • وكل الذي فوق التراب تراب

وما احلى ما قال بعده

وما كنت لولا انت الا مهاجرا • له كل يوم بلدة وصحاب

وقوله

من اقتضى بسوى الهندي حاجته • اجاب كل سؤال عن هل بلم

منها

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة • بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

لا تشكون الى خلق فتشمتهم • شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وكن على حذر للناس تستره • ولا يغرك منهم ثغر مبتسم

منها

اتى الزمان بنوه في شبيبته • فسرهم واتيناه على الهرم

سبحان خالق نفسي كيف لذتها • فيما النفوس تراه غاية الألم

ومن امثاله التي سارت في هجو كافور قوله

العبد ليس لحر صالح باخ • لو انه في ثياب الحر مولود

وكان يسند لامرى احتشاده لامره فقد نبذت وراء ظهره . وقد كان يحمل فقد صار يتحامل وكان لا يضايق في الالوف من الدراهم والدنانير فقد ضايعني في الشعير في حمل بعير والعبودية تذل اليهودية وذل المرودية والادلال مع الاذلال والطاعة مع الافضال فليستأنف الشيخ حال المولى ليستأنف حال العبد واقتصر وراء التسديد ونعم الوكيل

(وله ايضا اليه)

كتبتها أطال الله بقاء الشيخ الامام شمس الاسلام والحمد لله الذي أعاد اليها الاشواق وآنس بها الآفاق بعد ما كادت الظلمة وأمكنت راميها الثلمة واسلمت ساحبها العقدة ووهت بثوبها البدعة

لا تشتري العبد الا والعصى معه • ان العبيد لأنجاس مناكيد
ما كنت أحسبني ابقى الى زمن • يسيء بي فيه كلب وهو محمود
من علم الاسود المخصي مكرمة • اقومه البيض أم آباؤه السود

ومن امثاله

ومن جهلت نفسه قدره • رأى غيره منه مالا يرى

ومن انصافه التي سارت أمثالا

ولابد دون الشهد من ابر النحل

وقال من قصيد

قد كنت احذر بينهم من قبل ذا • لو كان ينفع خائفا ان يحذرا
اعطى الزمان فما قبلت عطاءه • واراد بي فأردت ان اتخيرا

وقال من قصيدة

وقد يتقارب الوصفان جدا • وموصوفاهما متباعدان

وقوله

نحن بنو الموتى فما بالنا • نعاف مالا بد من شربه
تبخل ايدينا بأرواحنا • على زمان هي من كسبه
لو فكر العاشق في منتهى • حسن الذي يسبيه لم يسبه
يموت راعي الضأن في جهله • موتة جالينوس في طبه
وغاية المفرط في سلمه • كغاية المفرط في حربه
فلا قضى حاجته طالب • فؤاده يخفق من رعبه

وقال من قصيد

اذا اشتبكت دموع في خدود • تبين من بكى ممن تباكى

ولقد رأيت هنا في هذا القدر الذي اوردته من شعر ابي الطيب من ارسال المثل ما تطيب به الاذواق وتجول به فرسان الانشاء بالجرمن جياد الاقلام في ميادين الاوراق وعلى كل تقدير فلابي الطيب في حكمه وأمثاله تطير • وهنا نكتة لطيفة وهي ان صلاح الدين الصفدي كان مذهبه تقديم ابي الطيب المتنبي على ابي تمام وهو مذهب ابي العلاء المعري فانه سمى ديوانه بعد ما شرحه معجز احمد فاتفق ان صلاح الدين اجتمع بابن نباتة بالديار المصرية وذاكره في ابي الطيب وابي تمام فوجده على مذهبه واجتمعا بعد ذلك بالشيخ اثير الدين ابي حيان وذاكراه في ذلك فقدم أبا تمام فلاماه على ذلك فقال انا لا اسمع لوما في حبيب انتهى ومذهبي في ذلك مذهب الشيخ صلاح الدين ومذهب الشيخ جمال الدين وان كان الشيخ اثير الدين ما سمع في حبيبه لوما وخالف من لامه فيه وفند فمن المستحيل رجوع ابي بكر عن حب احمد وقد عن لي أن اورد هنا ما سار في الخافقين من حكمه وامثاله وانقاد اهل الذوق السليم لطاعته لما ورد عليهم مثاله وهو تأليفي الذي وسمته بتغريد الصادح ومالكه الان سيدنا ومولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي نور الله ضريحه وجعل من

وهنت الجماعة والجمعة ومرض الاسلام والسنة وبعد ما أطلع الشيطان قرنه واملج وفغر فيه وأولج ومد يديه الى الدين ليقلع وشحا فاه الى العلم ليبلع وكبر بالاسلام العصرة حيث ملك البصرة ثم ابدل الله الهدى على الضلال واهل السليط بالنبال وتصدق بالشيخ الامام على الانام وابقى جماله للاسلام والله يقرن هذه النعمة بالتمام ثم يربط تمامها بالدوام من هراة عن سلامة بسلامة امام تجيب وبشارة أيامه تطيب والله عليهما محمود وصلى الله على النبي محمد وآله ونفتح للامام من الصدور ما ليس في الفؤاد ومن القلوب ما ليس للاولاد

الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه كان يقول اودّ ان انتزع من الصادح والباغم أرجوزة مشتملة على أمثلة مرقصة وحكم بديعة بشرط ان يكون البيت منسجما مع الذى قبله والذى بعده ولم يتيسر لى ذلك لصعوبة المسلك انتهى ولما قدّر الله تعالى ما قدّر من الاختفا بدمشق سنة ثلاث عشرة وثمانمائة عند حلول الملك الناصر بها وانا فى خدمة المقر الاشرف القاضوى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان الصادح والباغم بين كتبه فنظرت فيه وما اوذكر قول قاضى القضاة صدر الدين ورسم لى بذلك فانتزعت منه هذه الارجوزة التى سارت غرر أمثالها ولم يسمح الزمان لمؤلف بمثالها ومن سافر فيها نظره وكان الذوق السليم رفيقه علم انها تضرب بها الامثال على الحقيقة وسميتها بتغريد الصادح وصدرتها من نظمى بابيات تقوم مقام الديباجة والخطبة هى

الحمـــدلله الذى هذبنا * واختارنا للعلم اذ أدّبنا
فان للآداب فضلا يذكر * فلا تخاطب كل من لا يشعر
يا مدّعى الحكمة فى كلامه * ومن يروم السحر فى نظامه
خذ حكما وكلها امثال * ليس لها فى عصرنا امثال
ألفها ابن حجـــة للنجبا * لأن فيها رأس مال الادبا
واختارها من مفردات الصادح * فكان ذا من أكبر المصالح
من كل بيت ان تمثلت به * سكنت من سامعه فى قلبه
وقد تهجمت على الشريف * لكننى خاطبت بالمعروف
وجئت من كلامه بنبذه * يجلب للسامع كل لذه
وترفع الاديب ان تمثلا * بها اذا خاطب أرباب العلا
من حكم تتبعها وصايا * مقبولة من أحسن السجايا
من أول وأوســـط وآخر * جمعتها جمع أديب شاعر
حتى دنا البعيد للقريب * وانتظم البديع بالغريب
وانسجمت فى جمعها ارجوزه * بديعة غريبة وجيزه
وكل من انكر ما أحكمت فى * ترتيبها يكون غير منصف
فلينظر الاصل ليعرف السبب * ويعترف ان كان من أهل الادب
أوّل ما رغب فى استهلاله * من نظمه المحكم فى مقاله

وهذا أول الصادح والباغم

العيش بالرزق وبالتقدير * وليس بالرأى ولا التدبير
فى الناس من تسعده الاقدار * وفعله جميعه ادبار

ومن هنا يأتى هذا التأليف جميعه على هذا النمط وما أردت بهذا التنبيه الا يقظة المتأمل

من عرف الله ازال التهمه * وقال كل فعله للحكمه

فكانما اشتق من جميع الاكباد وكانما ولد بجميع البلاد سواء العاكف فيه والباد فلقد رأيتها كلها لشكاته متقسمة ثم رأيت الوجوه كلها لجنابه متبسمة ولا اعتمد عليه فانى منه واليه على أنى نذرت بسلامته النذور وسألت الله ان يصرف عنه المحذور وان يأخذ أحدنا مكانه وليكن من كانه وان أشفق الناس من فدائه فبى وحدى وولدى بعدى والحظ له بعدى هذا ماله عندى تاالمبدى ويلقه جهدى هذا هو الولاء الذى الباطن والظاهر فيه سواء كيف يرى الشيخ الامام سماحة الضمير لما يلى وودائع الصدر فيما يغلى

من انكر القضا فهو مشرك * ان القضاء بالعباد أملك
ونحن لا نشرك بالله ولا * نقنط من رحمته اذ نبتلى
عار علينا وقبيح ذكر * أن نجعل الكفر مكان الشكر
وليس فى العالم ظلم جارى * اذ كان ما يجرى بامر البارى
وأسعد العالم عند الله * من ساعد الناس بفضل الجاه
ومن أغاث البائس الملهوفا * أغاثه الله اذا أخيفا
ان العظيم يدفع العظيما * كما الجسيم يحمل الجسيما
فان من خلائق الكرام * رحمة ذى البلاء والاسقام
وان من شرائط العلو * العطف فى البؤس على العدو
قد قضت العقول ان الشفقه * على الصديق والعدو صدقه
وقد علت والبيب يعلم * بالطبع لا يرحم من لا يرحم
فالمرء لا يدرى متى يمتحن * فانه فى دهره مرتهن
وان نجا اليوم فما ينجو غدا * لا يأمن الآفات الا ذو الردى
لا تغتر بالحفظ والسلامه * فانما الحياة كالمدامه
والعمر مثل الكاس والدهر القذر * والصفو لا بد له من الكدر

انظر أيها المتأمل كيف ابتعث قوله فانما الحياة كالمدامة بقوله فالعمر مثل الكاس واذا نظرت الى آخر البيت رأيت الاتفاق العجيب منها

وكل انسان فلا بد له * من صاحب يحمل ما أثقله
جهد البلاء صحبة الاضداد * فانها كى على الفؤاد
أعظم ما يلق الفتى من جهد * ان يبتلى فى جنسه بالضد
فانما الرجال بالاخوان * واليد بالساعد والبنان
لا يحقر الصحبة الا جاهل * أو مارق عن الرشاد غافل
صحبة يوم نسب قريب * وذمة يحفظها اللبيب
وموجب الصداقة المساعده * ومقتضى المودة المعاضده
لا سيما فى النوب الشدائد * والمحن العظيمة الاوابد
فالمرء يحيى ابدا اخاه * وهو اذا ما عدّ من أعداه
وان من عاشر قوما يوما * ينصرهم ولا يخاف لوما
وان من حارب من لا يقوى * لحربه جر اليه البلوى
فحارب الاكفاء والاقرانا * فالمرء لا يحارب السلطانا
واقنع اذا حاربت بالسلامه * واحذر فما الا توجب الندامه
فالتاجر الكيس فى التجاره * من خاف فى متجره الخساره
يجهد فى تحصيل رأس ماله * ثم يروم الربح باحتياله
وان رأيت النصر قد لاح لكا * فلا تقصر واحترز أن تهلكا

وما اشبه فى ذلك صدرى الابنهر منع طريقه فابتلع ريقه ولم يثق بالسكر فنهر النهر وغمر النهر وغرق الجر وقلع الشجر كذلك مولاى الشيخ الامام سكرت عنه زمانا ثم عند الشدائد تذهب الاحقاد وترق الاكباد فرفعت سكره فخرف اليمطرينى ومنادى وروحى وجسدى ووالدى وولدى ولم أخل فى خلال الوحشة من شكر لاياديه وصفح من يعاديه وتجهيز السلام الى ناديه والغمام لواديه وكل افعال الشيخ الامام غرة فى ناصية الايام وزهرة فى جنح الظلام ولا ان ما أوجب لفلان روض انا نسيمه وشجر انا ثمرته وعود جمره لسانى وجود شكره ضمانى وستسفر الايام والليالى عن وجوه تلك

واسبق الى الاجود سبق الناقد * فسبقك الخصم من المكايد
وانتهز الفرصة ان الفرصه * تصير ان لم تنتهزها غصه
كم تظفر الغالب يوما فترك * عنه التوقى واستهان فهلك
ومن أضاع جنده فى السلم * لم يحفظوه فى لقاء الخصم
وان من لا يحفظ القلوبا * يخذل حين يشهد الحروبا
والجند لا يرعون من أضاعهم * كلا ولا يحمون من أجاعهم
واضعف الملوك طرا عقدا * من غره السلم فاقصى الجندا
والحزم والتدبير روح العزم * لا خير فى عزم بغير حزم
والحزم كل الحزم فى المطاوله * والصبر لا فى سرعة المزاوله
وفى الخطوب تظهر الجواهر * ما غلب الايام الا الصابر
لا تيأسن من فرج ولطف * وقوة تظهر بعد ضعف
فربما جاءك بعد الياس * روح بلا كد ولا التماس
فى لحظة الطرف بكاء وضحك * وما جنباد ودمع نسفك
تنال بالرفق وبالتأنى * مالم تنل بالحرص والتعنى
ما أحسن الثبات والتجلدا * واقبح الحيرة والتبلدا
ليس الفتى الا الذى ان طرقه * خطب تلقاه بصبر وثقه
اذا الرزايا اقبلت ولم تقف * فثم أحوال الرجال تختلف
وكم لقيت لذة فى زمنى * فاصبر الآن لهذى المحن
فالموت لا يكون الا مره * والموت أحلى من حياة مره
انى من الموت على يقين * فاجهد الآن لما يقينى
صبرا على أهوالها ولا ضجر * وربما فاز الفتى اذا صبر
لا يجزع الحر من المصائب * كلا ولا يخضع للنوائب
فالحر للعبء الثقيل يحمل * والصبر عند النائبات يجمل
لكل شئ مدة وتنقضى * ما غلب الايام الا من رضى
قد صدق القائل فى الكلام * ليس النهى بعظم العظام
لا خير فى جسامة الاجسام * بل هو فى العقول والافهام
فالخيل للضرب وللجمال * والابل للحمل وللترحال
لا تحتقر شيأ صغيرا محتقر * فربما اسالت الدم الابر
لا تخرج الخصم فتى احراجه * جميع ما تكره من لجاجه
لا تطلب الفائت باللجاج * وكن اذا كويت ذا انضاج
فعاجز من ترك الموجودا * طماعة وطلب المفقودا
وفتش الامور عن اسرارها * كم نكتة جاءتك مع اظهارها
لزمت الجهل قبيح الظاهر * وما تطرت حسن السرائر

الا لى فيعلم انه لم يزرع فى سبخة والله على ذلك معين وددت لو يسمع الشيخ فى مجلسى والفقيه أبو سعيد حاضرى فيرى تساقب الثناء بينى وبينه وتناهب الدعاء منى ومنه ولو كان ذلك لسمعت أذناه ما تقربه عيناه وللشيخ الامام فى الوقوف على ما كتب به الرأى الموفق ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ قليل فى الولاء ان احتذى من العين واحتنطلن أن يسوقنى هذا المساق الا الشوق الهائج والوجد اللاعج وانا فى هذه الحرقة كثير الشوق ولكنى وردت لغير ما أردت انما ضربت فى جنب ما نسبوا الى من الذنب وطعنت فى عين ما قذفت به من المين وفرجت

ليس يضر البدر في سناه * ان الضرير قط لا يراه
كم حكمة أضحت بها الحافل * نافقة وأنت عنها غافل
ويغفلون عن خفى الحكمه * ولو رأوها لازالوا التهمه
كم حسن ظاهره قبيح * وسمج عنوانه مليح
والحق قد تعلمه ثقيل * يأباه الا النفر قليل
فالعاقل الكامل في الرجال * لا ينثنى لزخرف المقال
ان العدو قوله مردود * وقلما يصدق الحسود
لا تقبل الدعوى بغير شاهد * لاسيما ان كان من معاند
ايؤخذ البرىء بالسقيم * والرجل المحسن باللئيم
كذا لمن يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد
انا كل من ترى أذهانا * من حسب الاساءة الاحسانا
فادفع اساءة العدا بالحسنى * ولا تخل يسرا الشمال اليمنى
وللرجال فاعلن مكايد * وخدع منكرة شدائد
فالندب لا يخضع للشدائد * قط ولا يغتاظ بالمكايد
فرقع الخرق بلطف واجتهد * وامكر اذا لم ينفع الصدق وكد
فهكذا الحازم اذ يكيد * يبلغ في الاعداء ما يريد
وهو يرى منهم في الظاهر * وغيره مختضب الاظافر
والشهم من يصلح أمر نفسه * ولو بقتل ولده وعرسه
فان من يقصد قلع ضرسه * لم يعتقد الاصلاح نفسه
وان من خص اللئيم بالندا * وجدته كمن يربى أسدا
وليس في طبع اللئيم شكر * وليس في أصل الدنىء نصر
وان من الزمه وكلفه * ضد الذى في طبعه ما أنصفه
كذاك من يصطنع الجهالا * ويؤثر الارذال والانذالا
لو أنكم افاضل أحرار * ما ظهرت بينكم الاسرار
ان الاصول تجذب الفروعا * والعرق دساس اذا أطيعا
ما طاب فرع أصله خبيث * ولا زكا من مجده حديث
قد يدركون رتبا في الدنيا * ويبلغون وطرا من بغيا
لكنهم لا يبلغون في الكرم * مبلغ من كان له فيها قدم
وكل من تمايلت أطرافه * في طيبها وكرمت اسلافه
كان خليقا بالعلا وبالكرم * وبرعت في أصله حسن الشيم
لولا بنو آدم بين العالم * ما بان للعقول فضل العالم
فواحد يعطيك فضلا وكرم * فذاك من يكفره فقد ظلم
وواحد به طيك للمصانعه * أو حاجة له اليك واقعه

على مقام يومين وسارد فارحض المهمه وأمحض الخدمه ان شاء الله واجدد عهدا بين ذلك وآخذ موثقا من أولئك لئلا ينتهى كل ما كذب كاذب أو اشتمل كاتب أو شرع حاسد بكفران نعمته قل لى أيستحل ان يسمع فى الحال ولم يكشف فيه الحال وما هذا التصديق لرجل ليس في المروءة راسا ولا فى الدين ذنبا والله يكفى شاهدا وان كان واحدا فاما غير الله فلا أقل من شاهدين ولا كل شاهدين حتى يكونا عدلين وما أرى الشيخ فى دخوله بينى وبين أبى الحسين بن مهران الا داخلا بين العصا ولحائها انه جلدة بين العين والانف وخدة بين الذفرى والشنف

لاتشرها الى حطام عاجل * كم أكلة اودت بنقص الآكل

واحذر أخي يافتى من الشره * وقس بما رأيته مالم تره

فليس من عقل الفتى أوكرمه * افساد شخص كامل لقرمه

فالبغي داء ماله دواء * ليس لملك معه بقاء

والبغي فاحذره وخيم المرتع * والعجب فاتركه شديد المصرع

والغدر بالعهد قبيح جدا * شر الورى من ليس يرعى العهدا

عند تمام الامر يبدو نقصه * وربما ضر المريض حرصه

وربما ضرك بعض مالكا * وساعة الحسن من رجالكا

فالمرء يفدى نفسه بوفره * عساه ان ينجو به من أسره

تمت وختمها شيخنا رحمه الله بقوله

لا اعطيا شيأ بغير فائده * فانها من السجايا الفاسده

هذا الذى ألفته واخترته * من رجز الشريف وانتقيته

وحرمة الآداب يا أهل الادب * ان الشريف قد أتانا بالعجب

قلنا جميعا اذ سمعنا رجزه * كم قد أتى محمد بمعجزه

من كل بيت شطره قصيد * وكلنا لبيته عبيد

فرحمة الله فى الآخرة * خاتمة مع الهبات الوافره

ثم الصلاة والسلام دائما * على الذى للرسل جا خاتما

انتهى ماأوردته من امثال أبى الطيب المتنبى وامثال الصادح والباغم ولم أقصد بذلك الا أخذ ما يحتاج المتأدب اليه فى ارسال المثل على أنواعه خصوصا أهل الانشاء فانه حلبة جولانهم وعمدة فرسانهم وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

رجوتكم نصحاء فى الشدائد لى * لضعف رشدى واستسمنت ذا ورم

فقوله استسمنت ذا ورم من الامثال السائرة ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

أنوار بهجته ارسالها مثلا * يلوح اشهر من نار على علم

فقوله أشهر من نار على علم من الامثال السائرة وبيتى

وكم تمثلت اذ أرخوا شعورهم * وقلت بالله خلوا الرقص فى الظلم

فالرقص فى الظلم من الامثال السائرة ولكن قولى لهم بعد ارخاء الشعور خلوا الرقص فى الظلم لايخفى على الحذاق من أهل الادب

(ذكر التهكم)

*(ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم)*

التهكم نوع عزيز فى أنواع البديع اعلو مناره وصعوبة مسلكه وكثرة التباسه بالهجاء فى معرض المدح وبالهزل الذى يراد به الجد ويأتى الفرق بينهما بعد ايضاح حده والتهكم فى الاصل التهدم يقال تهكمت البئر اذا تهدمت وتهكم عليه اذا اشتد غضبه

على ان أبا الحسين لو أوحشنى ما استوحشت ولو استوحشت لاوحشت ولو اوحشت لاخشت فمن وطئ العقرب اوجعته ومن قرص الحية لسعته واذا قالت الحية دعنى فلا تلسعنى فقد نصحتك وما سألتك شططا كيف القاه بخرطوم فيل ولم يلقنى بانف طويل ولم ابتاعه بثمن نزر ولم يلحظنى بنظر شزر وهل كان يعزونى ان كانت له حرمة الخلافة فلى حرمة الضيافة وان توسل بما مضى فلى الوسيلة بما بقى وهذا خطب لا يرفعه قلم رطب ولكن هذا عنوانه حتى يأتيك عيانه وكنت أردمن الشيخ على شرعة من البئر تروى الظماء العشر وأخاف ان تكون هذه التساعين

(التهكم)

والمتهكم المحتقر قال أبو زيد تهكمت غضبت وتهكمت تحقرت وعلى هذا يكون المتهكم لشدة الغضب قد أوعد بالبشارة أو لشدة الكبر أو لتهاونه بالمخاطب قد فعل ذلك فهذا أصله في الاستعمال وفي المصطلح هو عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة في موضع الانذار والوعد في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء فشاهد البشارة في موضع الانذار قوله تعالى بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما وشاهد المدح في معرض الاستهزاء بلفظ المدح قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم قال الزمخشري ان في تأويل قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله تهكما فان المعقبات هم الحرس من حول السلطان يحفظونه على زعمه من أمر الله على سبيل التهكم فانهم لا يحفظونه من امره في الحقيقة اذا جاء والله أعلم ومنه قوله تعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين فقوله ايمانكم تهكم ومن التهكم في السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم بشر مال البخيل بحادث أو وارث وشاهد المدح في موضع الاستهزاء من النظم قول ابن الذروي في ابن أبي حصينة من أبيات

لا تظنن حدبة الظهر عيبا * فهي في الحسن من صفات الهلال
وكذاك القسي محدودبات * وهي أنكى من الظبا والعوالي
واذا ماعلا السنام ففيه * لقروم الجمال أي جمال
وارى الانحناء في مخلب البا * زي ولم يعد مخلب الريبال
كون الله حدبة فيك ان شئـ * ـت من الفضل أو من الافضال
فأتت ربوة على طود علم * وأتت موجة ببحر نوال
ما رأتها النساء الا تمنت * أن غدت حلية لكل الرجال

وما أحلى ما ختمها بقوله

واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى ان تزورني في الخيال

وقول ابن الرومي

فياله من عمل صالح * يرفعه الله الى أسفل

وقيل ان اظرف ما نظم في التهكم قول حماد عجرد

فيا ابن طرح يا أخا الخلس ويا ابن القتب
ومن نشا والده * بين الربا والكتب
يا عربي يا عربي * يا عربي يا عربي

وهذا النوع اعني التهكم ذكر ابن أبي الاصبع في كتابه تحرير التحبير أنه من مخترعاته ولم يره في كتب من تقدمه من ائمة البديع والعميان لم ينظموه في بديعيتهم وقنع الشهاب محمود في كتابه المسمى بحسن التوسل من اشجار معاليه بالشميم فانه ذكر بعض شواهده ولم يأت له بحد تمشي الافهام فيه على صراط مستقيم ولكن ابن أبي الاصبع ازال بكارة اشكاله وكلف لما عذريته وأرضع الاذواق لبان فهمه وكان فارس حلبته وقال الفرق بينه وبين الهزل الذي يراد به الجد أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهو ضد الاول لان الهزله

بنعيم لا بل بكذب بهيم لا بل ببهتان عظيم لا بل بكشحان عقيم قد كدر على تلك الشرعة وانا أنشده الله فيها وسأردفان وجدت الحال كما زلت فدار الشمل جامعة وان تغيرت عما عهدت فارض الله واسعة

ان لم تمن بامسالك بمعروف * فامنن على بتسريح باحسان

وفي الجملة ان ابن الهمذاني اذا رضي بان يخدم ولا يخدم فان العبودية لا تعدم

(وله اليه أيضا)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ والناس تذاكروا البشرى يصفون قدرها وفي الوزارة يعظمون صدرها وتحت الرغوة صريح لو علموه والشيخ أولى بان يعظموه فوالله لقد زف منه اليها أعظم مما زف منها اليه وسيديرها على القطب ويضع الهناء مواضع النقب

الذى يراد به الجد يكون ظاهره هزلا وباطنه جدا وذكر بعضهم الفرق بين التهكم والهجاء فى معرض المدح فقال الفرق بينهما التصريح بلفظة فى الآخر يخالف معناها معنى الالتزام فى الكلام الاول وهو فى هذا دون الاول والشيخ صفى الدين نظم التهكم فى بديعيته ولكن ما أسكن بيته قرينة صالحة لبيانه ولا غردت حمائم الايضاح على أفنانه وبيته

محضتنى النصح احسانا على بلا * غش وقلدتنى الانعام فاحتكم

لم يظهر لى من هذا البيت غير صريح المدح والشكر ولم أجد فيه لفظة تدل على الحقارة والاستهزاء ولا على البشارة فى موضع الانذار ولا على الوعد فى موضع الوعيد ولم يشر فى بيته الى نوع من هذه الانواع وقد تقدم ان العميان لم ينظموه فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

لقد تهكمت هيا اذ مضت من * قولى بأنك ذو عز وذو كرم

فالشيخ عز الدين ذكر فى بيته انه تهكم على العذول لما خاطبه بلفظ العز والكرم ولكنه لم يأت بصيغة التهكم وبيتى

ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم

فخطاب العذول هنا بلفظ العز والشمم بعد وقوف العاذل فى موقف الذل هو التهكم بعينه

(ذكر المراجعة)

*(قال اصطبر قلت صبرى ما يراجعنى * قال احتمل قلت من يقوى لصدهم)*

المراجعة ليس تحتها كبير أمر ولو فوض الى حكم فى البديع ما نظمتها فى اسلاك أنواعه وذكر ابن أبى الاصبع انها من اختراعاته وعجبت من مثله كيف قربها الى الذى استنبطه من الانواع البديعة الغريبة كالتهكم والافتنان والتدبيج والهجاء فى معرض المدح والاشتراك والالغاز والنزاهة ومنهم من سمى هذا النوع أعنى المراجعة السؤال والجواب وهو ان يحكى المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة فى الحديث بينه وبين غيره باوجز عبارة وارشق سبك وألطف معنى وأسهل لفظ اما فى بيت واحد أو فى أبيات كقول عمر بن أبى ربيعة

بينما ينعتننى أبصرننى * مثل قيد الرمح يعدو بى الاغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى * قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال ابن أبى الاصبع لما أورد هذه الابيات واستشهد بها على هذا النوع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير ان هذا الشاعر عالم بمعرفة وضع الكلام فى مواضعه وما ذاك الا أن قوافى الابيات لو اطلقت لكانت مرفوعة وأما بلاغته فى الابيات فانه جعل التى عرفته وعرفت به وشبهته تشبيها يدل على شغفها به هى الصغرى ليظهر بدليل الالتزام انه فتى السن اذ الفتية من النساء لا تميل الا الى الفتى من الرجال غالبا وختم قولها بما أخرجه مخرج المثل السائر موزونا ولا يقال انما مالت الصغرى اليه دون اختيها لضعف عقلها وقلة تجربتها فانى أقول

(المراجعة)

ومن صحب كفاية الشيخ احتاج اليه الملك طوعا والامن الفرط ورضا والامن السخط ومن وجد الرشاد استغنى متى شاء ومن ساد لم يعدم الرشاد وأقسم لو نطق ذلك الدست لقال بابى أنت ما خلعت حدادى منذ فارقت مسندى ووسادى فالآن ردت الدولة الى نصابها وجرت الامور على أذلالها وأتى الامر من وجهه واستنزل النصر من بابه وطلب المراد من مطلبه وأعطى القوس باريها وعلى الآن ضمان الدرك ثم عونك اللهم تأخرت كتبى عن الشيخ وما أخرتها اخلالا بالخدمة ولا كفرانا للنعمة ولكن لتلك الحضرة رسوم وابتناء معلوم ولاسيما فى المخاطبات

انه تخلص من هذا المدخل بكونه أخبران الكبرى التي هي أعقلهن ما كانت رأته قبل ذلك وانما كانت تهواه على السماع فلما رأته وعلمت أنه ذلك الموصوف لها أظهرت من وجدها به على مقدار عقلها ما أظهرت من سؤالها عنه ولم تتجاوز ذلك وقنعت بالسؤال عنه وقد علمته بلذة السؤال وبسماع اسمه واظهرت تجاهل العارف الذي موجبه شدة الوله والعقل يمنعها من التصريح واما الوسطى فسارعت الى تعريفه باسمه العلم فكانت دون الكبرى في الثبات واما الصغرى فنزلتها في الثبات دون الاختين لانها أظهرت في معرفته ووصفه ما دل على شدة شغفها به فكل ذلك وان لم يكن كذلك فالفاظ الشاعر تدل عليه انتهى كلام ابن ابي الاصبع ومن جيد أمثلة هذا النوع قول أبي نواس

قال لي يوما سليما * ن وبعض القول أشنع
قال صفني وعليا * أينا أبقى وانفع
قلت اني ان أقل ما * فيكما بالحق تجزع
قال كلا قلت مهلا * قال قل لي قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطي * قال صفني قلت تمنع

ومثله قول البحتري

بت اسقيه صفوة الراح حتى * وضع الرأس مائلا يتكفا
قلت عبد العزيز تفديك نفسي * قال لبيك قلت لبيك ألفا
ها كها قال هاتها قلت خذها * قال لا استطيعها ثم أغفى

وعلماء البديع اجمعوا على استحسان قول وضاح اليمن من أبيات

قالت ألا لا تلجن دارنا * ان أبانا رجل غائر
قلت فاني طالب غرة * منه وسيفي صارم باتر
قالت فان البحر ما بيننا * قلت فاني سابح ماهر
قالت فان القصر عالي البنا * قلت فاني فوقه طائر
قالت أليس الله من فوقنا * قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فقد أعييتنا حجة * فأت اذا ما هجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا آمر

وظريف هنا قول بعضهم

قالت لقد اشمت بي حسدي * مذ بحت بالسر لهم معلنا
قلت انا قالت والآن * قلت أنا قالت والا أنا

وهي أبيات طويلة جميعها على هذا المنوال منسوج ولكن اكتفيت بالتقبيل منها على هذا القدر وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

قالوا اصطبر قلت صبري غير متسع * قالوا اسلهم قلت ودي غير منصرم

ولم ينظم العميان في بديعيتهم هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

راجعت في القول اذ أطلقت سلوتهم * قال اسلهم قلت سمعي عنك في صمم

وضيقها والجواد لا يجزع من الاكاف جزعي من مخاطبة الكاف فان جاز ان امتاز عن جملة الناس بهذا المزيد ومن الشيخ المكانة فان لم يره الصواب فالجواب ان لا جواب والسلام

(وله اليه أيضا)

كتبت وليست التجربة خمسة أجربة ولا سبعين ذراعا انما التجربة دفعة والتقدمة لفظة ثم العاقل بفطنته يكيس ويقيس والجاهل بغفلته يغص ويخيس يا أبا الفضل ليس هذا بزمانك وليست هذه بدارك ولا السوق سوق متاعك بئست الكتب وما وسقت والاقلام وما نسقت والمحابر وما سقت والاصباع اذا اتسقت واللوم ولا هذه العلوم

والمراجعة ان لم تتكرر لم يبق لها فى القلوب حلاوة ولا يطابق اسمها مسماه وقد تقدم قول الشاعر وتكراره فى قوله

قلت انا قالت والانى * قلت أنا قالت والا أنا

وعز الدين لم يكرر مراجعته ولم يأت بها الا فى مكان واحد والذى أقوله انه ماصده عن ذلك الا اشتغاله بتسمية النوع ولكن ليته لو دخل الى سوق الرقيق وبيت بديعيتى

قال اصطبر قلت صبرى ما يراجعنى * قال احتمل قلت من يقوى لصدهم

وهذا البيت متعلق ببيت التهكم الذى قبله وهو البيت المبنى على خطاب العاذل وهو

ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم

(ذكر التوشيح)

*(توشيحهم بعلا تلك الشعور اذا * لفوه طيا تعرفنا بنشرهم)*

اتفق علماء البديع على أن التوشيح أن يكون معنى أول الكلام دالا على لفظ آخره ولهذا سموه التوشيح فانه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح وينزل أول الكلام وآخره منزلة محل الوشاح من العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح وهذا النوع فرعه قدامة من ائتلاف القافية مع مايدل عليه سائر البيت وقال فيه التوشيح هو ان يكون فى أول البيت معنى اذا فهم فهمت منه قافية البيت بشرط ان يكون المعنى المقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه وأورد ابن أبى الاصبع فى تحرير التحبير من اعظم الشواهد على هذا قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فان فى معنى اصطفاء المذكورين مايعلم منه الفاصلة لان المذكورين نوع من جنس العالمين ومن الامثلة الشعرية قول الراعى النميرى

فان وزن الحصى فوزنت قومى * وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فان السامع اذا فهم ان الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى وتحقق أن القافية مجردة مطلقة رويها النون وحرف اطلاقها الالف ورأى فى صدر البيت ذكر الزنة تحقق ان تكون القافية رزينا ليس الا ومن عجائب أمثلة هذا النوع ما حكى عن عمر بن أبى ربيعة انه أنشد عبد الله بن العباس رضى الله عنهما

* تشط غدا دار جيراننا *

فقال له عبد الله

* وللدار بعد غد أبعد *

فقال عمر هكذا والله قلت فقال عبد الله بن العباس وهكذا يكون ويقرب من هذه القصة قصة عدى بن الرقاع حين أنشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق قصيدته التى مطلعها

* عرف الديار توهما فاعتادها *

حتى انتهى الى قوله

* تزجى اغن كأن ابرة روقه *

ثم شغل الوليد عن الاستماع فقطع عدى الانشاد فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول فقال

(التوشيح)

وليت لنا مكان الملك عمرو
رغوثا حول قبتنا تدور
ولو استقبلت من أمرى ما
استدبرت لو اجرت وقامرت
لكنى اصبت وجه الرأى
والعود يابس واللحية بيضاء
ولقد صدق الشاعر اذ قال
لا يبصر الغلام جلدا ذكيا *
ناقدا فى الامور حتى وحتى
وعلى الشاعر ان يقول وعلى
السامع القبول ولعمرى
لقد سمعت هذا البيت كما
سمعه فلان ولكنه وفق
لاعتقاده ملة واتخاذه
قبلة واعتماده حرفة
لاجرم انه اجتنى ثمراتها
وولانى حسراتها فهو
يصل اذا حييت ويعطى
اذا حرمت وعند الله
احتسبت عمرا اضعناه فى
الادب واتلفناه فى العلوم

جريرا داء يستلب بها مثلا فقال الفرزدق انه سيقول

* قلم أصاب من الدواة مدادها *

فلما عاد الوليد الى الاستماع وعاد عدى الى الانشاد قال البيت فقال الفرزدق والله لما سمعت صدر بيته رحمته فلما أنشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا قال زكى الدين بن أبى الاصبع الذى أقوله ان بين ابن العباس وبين الفرزدق فى استخراجهما العجزين كما بينهما فى مطلق الفضل وفضل ابن عباس رضى الله عنهما معلوم وانا اذكر الفرق فان بيت عدى بن الرقاع من جملة قصيدة تقدم سماع مطلعها مع معظمها وعلم انها دالية مردفة بالف وهى من وزن قد عرف ثم تقدم فى صدر البيت ذكر ظبية تسوق خشفا لها قد أخذ الشاعر فى تشبيه طرف قرنه بالقلم فى سواده وهذه القرائن لا يخفى على أهل الذوق الصحيح ان فيها ما يدل على عجز البيت بحيث يسبق اليه من هو دون الفرزدق من حذاق الشعراء وبيت عمر بيت مفرد لم تعلم قافيته من اى ضرب هى من القوافى ولا رويه من اى الحروف ولا حركة رويه من أى الحركات فاستخراج عجزه ارتجالا فى غاية العسر ونهاية الصعوبة لولا امداد الله تعالى به هؤلاء الاقوام من المواد التى فضلوا بها عن غيرهم انتهى كلام ابن ابى الاصبع وبين التوشيح والتصدير فرق ظاهر مثل الصبح ولم يحصل الالتباس الا لكون كل منهما مايدل صدره على عجزه والفرق ان دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية والفرق بين التوشيح والتمكين ايضا ان التوشيح قد تقدم انه لابد ان يتقدم قافيته معنى يدل عليها والتمكين بخلاف ذلك والعميان لم ينظموا نوع التوشيح فى بديعيتهم وبيت صفى الدين

هم ارضعونى ثدى الوصل حافلة * فكيف يحسن منها حال منفطمى

فقصيدة صفى الدين قد علم انها ميمية وقد مر على السامع منها عدة ابيات وقد صدر بيت التوشيح بذكر الرضاع والثدى فلا يخفى ان تكون القافية منفطما الا على كل اجنبى من هذا العلم ولقد برز فى حسن هذا التركيب باستجلاب الرقة على من تقدمه وبيت الشيخ عز الدين

نومى وعقلى بتوشيح الهوى سلبا * فبت صبا بلا حلم ولا حلم

قال فى شرحه الهوى وشحنى برداء عطائى فسلب نومى وعقلى فصرت بلا حلم ولا حلم وهذه عبارته بنصها وبيتى

توشيحهم علا نالك الشعور اذا * لفوه طيا يعرفنا بنشرهم

هذا النوع اعنى التوشيح يفتقر الناظم الى قدح زناد الفكر فى سبك معانيه مع الملكة والبسطة فى علم الادب وحسن التصرف لاسيما اذا التزم بتسمية النوع وابرز التسمية منتظمة فى سلك التورية من جنس الغزل فتسمية النوع هنا قد عرفت والاتيان فى هذا البيت بلفظة الملا هو الذى رشح جانب التوشيح الحائل على العاتق والكشح واما توشيح الهوى فى بيت الشيخ عز الدين فلم ينسج على منوال مقبول لان استعارة الوشاح للهوى المقصور والذى هو الغرام لم يشهم منها شئ يقرب من التشبيه فان علماء البديع قالوا الاستعارة هى ذكر الشئ باسم غيره واثبات ما لغيره له لاجل المبالغة فى التشبيه وعلى هذا التقدير تكون استعارة الملا للشعور فى حالة توشيح الاحباب بها هى الاستعارة التى يستعار منها المحاسن الادبية فان

ونسأل الخاتمة بخير

(وله اليه أيضا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ عن سلامة لا اهم الامرة سوداء حببت الى الوحدة وزينت لى العزلة فوليت الناس جانب الوحشى فلا عشرة ولا انبساط ولا انقة ولا ابتسام واظن الشيخ لو رآنى لقال ان وقال تحرك ايها الثقلان وما انس لا انس الحديث أسمعنيه وما اقص لا اقض العجب منه وفيه وجع البيت بعض الحمائث فسئل عما رأى فقال رأيت الصفا والحجون وقوما يمرحون وكعبة تزف عليها الستور وترفرف حولها الطيور وبينا كيتى ولكن سل عن البيت لا عن البيت وابتاع بعض الهنود هذا الشلم المشوى

حسن التشبيه قد غازل بعيون كما له غزلها والتصريح فى البيت بلفظ اللف والنشر والطى يعرفه من له أدنى ذوق مع انى ما اكتفيت بذلك حتى قلت بعد اللف والطى تعرفنا وتعرفنا فيها الاشتراك بين المعرفة والعرف فاذا تقرر أن القافية مميتة ما يتصور فى ذوق ان تكون القافية غير نشرهم وقد اجتمع فى هذا البيت من أنواع البديع التورية وحسن الاستعارة والترشيح والمطابقة والبسط والانسجام والتمكين والسهولة والتوشيح الذى هو العمدة والله أعلم بالصواب

(ذكر تشابه الاطراف)

*(شابهت اطراف أقوالى فان أهم * أهم الى كل واد فى صفاتهم)*

هذا النوع الذى سموه تشابه الاطراف هو أيضا مثل المراجعة التى تقدمت ليس فى كل منهما كبير أمر وتالله ما خطر لى يوما ولا حسن فى الفكر ان الحق طرفا من تشابه الاطراف بذيل من أبيات شعرى ولكن شروع المعارضة ملتزم وتشابه الاطراف هو ان يعيد الناظم لفظة القافية فى أول البيت الذى يليها وهذا النوع كان اسمه التسبيغ بسين مهملة وغين معجمة وانما ابن أبى الاصبع قال هذه التسمية غير لائقة بهذا المسمى فسماه تشابه الاطراف فان الابيات فيه تتشابه اطرافها وأحسن ما وقع فى هذا النوع قول أبى نواس

خزيمة خير بنى حازم * وحازم خير بنى دارم
ودارم خير تميم وما * مثل تميم فى بنى آدم

ولما كان هذا النوع لا يأتى الا فى بيتين والشيخ عز الدين لما التزم ان يأتى به لاجل التورية بالتسمية فى بيت واحد شطر البيت شطرين وجعل كل شطر بمنزلة بيت كامل وأعاد لفظ القافية فى الشطر الثانى فجاء به فى غاية اللطف فان الشيخ صفى الدين أورد قبله بيتا لا كتفاء ويأتى الكلام عليه فى موضعه وانما المراد هنا معرفة تشابه الاطراف وهو

قالوا ألم تدر ان الحب غايته * سلب الخواطر والالباب قلت لم
لم ادر قبل هواهم والهوى حرم * ان الظباء تحل الصيد فى الحرم

تشابه الاطراف بين لم ولم فى آخر البيت الاول واول الثانى وبيت الشيخ عز الدين

اطرافك اشتبهت قولا متى تلم * تلم فتى زائد البلوى فلم يلم

اما قوله اطرافك اشتبهت يضيق الكلام فيه وبيت بديعيتى

شابهت اطراف أقوالى فان اهم * اهم الى كل واد من صفاتهم

والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم ويا ليتنى كنت معهم

(ذكر التغاير)

*(اغاير الناس فى حب الرقيب فذ * اراه ابسط آمالى بقربهم)*

التغاير سماه قوم التلطف وهو ان يتلطف الشاعر بتوصله الى مدح ما كان قد ذمه هو وغيره فامامدح الانسان ما ذمه غيره فان الامام امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه اتى فيه بما يترح صافى مشربه بالارواح وينقلنا بديع بلاغته من الابهام الى الايضاح فمن ذلك خطبته التى مدح فيها الدنيا مغاير الامثاله فى ذمها حيث قال أيها الذام للدنيا المغتر

(تشابه الاطراف)

قال ابن بدانق ارطالا ثم وجد الكمثرى تباع فقال ما أغلاها وأرخصه مشويا ثوبت ان اعتزل الناس حتى يعرفوا الكمثرى من الشلغم ان لم يعرفوا الدينار من الدرهم وآوى اليوم حتى ينصف المظلوم والعاقل أيد الله الشيخ يسكن المكان النظيف ولا يأتى الكنيف ما أرى ذلك الا لما يعاف من خبث الخمر ويشم من كريه الريح فللطرف من اللحظ ما للانف وللسمع من الغم ما للشم وما أظن معترض العيف لهذه الوجوه

(التغاير)

بغـرورها بم تذمها أأنت المجترئ عليها ام هي المجترئة عليك متى استهوتك أم متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كـــم عللت بيديك وكم مرضت والديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء لم ينفع أحدهم اشفاقك ولم تشف لهم بطبك ولم تدفع عنهم بقوتك قد مثلت لك بهم الدنيا نفسك وخيلت لك بمصرعهم مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباب الله ومصلى ملائكته ومهبط وحي الله ومتجر اوليائه اكتسبوا منها الرحمة وربحوا منها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلى وشوقتهم بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون ذكرتهم الدنيا فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا ونظم ابن أبي الاصبع معاني هذه الخطبة فقال

من يذم الدنيا بظلم فاني * بطريق الانصاف اثني عليها
وعظتنا بكل شيء وانا * حين جدت بالوعظ من مصطفيها
نصحتنا فلم نر النصح نصحا * حين أبدت لأهلها ما لديها
أعلمتنا ان المآل يقينا * للبلى حين جددت عصريها
كم ارتنا مصارع الاهل والاحباب لو نستفيق يوما اليها
يوم بؤس لها ويوم رخاء * فتزود ما شئت من يوميها
وتيقن زوال ذا وهذا * تسل عما تراه من حادثيها
دار زاد لمن تزود منها * وغرور لمن يميل اليها
مهبط الوحي والمصلى الذي كم * عفرت صورة بها خديها
متجر الاولياء قد ربحوا الجنة منها وأوردوا عينيها
رغبت ثم رهبت ليرى كل لبيب عقباه في حالتيها
واذا انصفت تعين ان يثنى عليها ذو البر من والديها

فاما من ذم ما مدحه الناس قاطبة فابن الرومي فانه ذم الورد وهو مشهور ووصف البحتري يوم الفراق بالقصر وقد أجمع الناس على طوله فقال

ولقد تأملت الفراق فلم أجد * يوم الفراق على امرئ بطويل
قصرت مسافته على متزود * منه لوهن صبابة وغليل

وهذا النوع أعني المغايرة اورده الحريري في المقامة الدينارية وبالغ في مدح الدينار وذمه فقال في مدحه

أكرم به أصفر راقت صفرته * جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته * قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته * وحببت الى الانام غرته
كأنما من القلوب نقرته * به يصول من حوته صرته

الا معرضها المكروه ولا صان الاذن عن هذه الانفاس الاصانتها عن الوسواس سكن أبو موسى الاشعري المقابر فقال أجاور قوما لا يغدرون كلا أبا موسى لا يغدرون لانهم لا يقدرون ولكنها الاطلال الخالية والرسوم البالية والانهار الصافية والاشجار الوافية والظلال الضافية والغاشية الماشية والزاوية وفيها العافية وسترى ان لا استنزل عن عزى شفاعة ولا اتلبث عن الشيخ سمعا ولا طاعة والسلام

(وله اليه يعزيه)

وتالله ما يضرب الكلب كما يضرب هذا القلب ولا يقطر السمع كما يقطر هذا الدمع والنار ارفق بالزناد من هذه المصيبة بالاكباد وما السم سلطان هذا الغم ولا النمر طغيان هذا الامر ونفسي الى القبر

وان تفانت أو توانت عثرته * ياحبذا نضاره ونضرته
وحبذا امغناته ونصرته * كم آمر به استتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته * وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أنزلته بدرته * ومستشيط تتلظى جمرته
أسعر بجواه فلانت شرته * وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته * وحق مولى أبدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته

وقال في ذمه

تباله من خادع مماذق * أصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق * زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقائق * يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق * ولابدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق * ولا شكا الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق * وشر مافيه من الخلائق
أن ليس يغني عنك في المضائق * الا اذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق * ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق * لارأي في وصلك لي ففارق

ومن المغايرة تفضيل القلم على السيف اذ المعتاد عكس ذلك كقول ابن الرومي

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لاشئ يعادله * مازال يتبع مايجري به القلم
كذا قضى الله في الاقلام اذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وغاير المتنبي ذلك وقال

حتى رجعت واقلامي قوائل لي * المجد للسيف ليس المجد للقلم

والمغايرة هنا ملحة لكن المعنى مأخوذ من قول أبي تمام * السيف أصدق انباء من الكتب
والمعنى في قول أبي تمام أبلغ فان ابن أبي الاصبع قال لم يرض أبو تمام أن يقول السيف أصدق انباء من القلم حتى قال من الكتب التي لاتكتب الا بالاقلام والدواة والقرطاس والكاتب المطلق اليد واللسان والجنان فالحظ الفرق بينه وبين كلام المتنبي انتهى كلام ابن أبي الاصبع وقد عن لي هنا ان أرفع للمتأخرين في التقديم رايه ليعلم المنكر الفرق بين البداية والنهاية فان الشيخ جمال الدين أظهر في المغايرة بين السيف والقلم ماصدق به قول القائل

واني وان كنت الاخير زمانه * لآت بمالم تستطعه الاوائل

من ذلك قوله في رسالة المفاخرة بينهما والمغايرة في مدح كل واحد منهما وذمه فبرز القلم بافصاحه ونشط لارتياحه ورقي من الانامل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه في حلة مداده والتفت الى السيف فقال بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم ومايسطرون ما

اعجل منها الى الصبر واذناى بالموت آنس منها بهذا الصوت أولم يكفنا الجرح حتى ذر عليه الملح ألم أكن من أبي القاسم مثل الظهر فما هذه العلاوة على الحمل ولم هذه الزيادة على الثقل من هراة وانا ابن القول والعمل اعمل في السفا واقول وا اسفا والحمد لله الذي كثر وصفا وصلواته على نبيه المصطفى وآله المجتبى ولولا ان يتطير الشيخ عن مقدمي فيقول لا يأتيني الا عند مصيبة لسقيت تربة هذا النجم الآفل من دموعي وذممت احداثه بضلوعي ولكنه ألقي في روعي ان خدمتي هذه طيرة وان تأخري عنها خيرة فكلما استخفني اليه الجزع أقعدني عنه الفزع ولو كان أحد من البرية فوق ان يذكر بالله لكانه الشيخ ادام الله عزه لما أوتي من تمام

انت

أنت بنعمة ربك بمجنون الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ماقدر وقسم وصلى الله على سيدنا محمد الذى قال جف القلم بما هو كائن وعلى آله وصحبه ذوى المجد المبين وكل مجد ماتن صلاة واضحة السطور فائحة من أدراج الصدور ماتقلت صحف البحار غواديها وكتبت أقلام النور على مهارق الدياجى حكم باريها اما بعد فان القلم منار الدين والدنيا ونظام الشرف والعليا ومجاديح سحب الخير اذا احتاجت الهمم الى السقيا ومفتاح باب اليمن المجرب اذا أعيا وسفير الملك المحجب وعذيق الملك المرجب وزمام اموره السائره وقادمة أجنحته الطائره ومطلق ارزاق عفاته المتواتره وأنملة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخره به رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنه وحسبه ما جرى على يده الكريمة من منه وفى مراضى الدول عونة للشائدين وبعين الله فى ليالى النقس تقلب وجهه فى الساجدين ان نظمت فرائد العلوم فانما هو سلكها وان علت اسرة الكتب فانما هو ملكها وان رقت برود البيان فانما هو جلالها وان تشعبت فنون الحكم فانما هو أمانها ومآلها واذا انقسمت أمور الممالك فانما هو عصمتها وثمالها وان اجتمعت رعايا الصنائع فانما هو امامها المتلفع بسواده وان زخرت بحار الافكار فانما هو المستخرج دررها من ظلمات مداده وان وعدا وفى بجلب النفع وان أوعد أخاف كانما يستمد من النقع هذا وهو لسان الملوك المخاطب ورسيلها الابكار الفتوح والخاطب والمنفق فى تعمير دولها محصول انفاسه والمتحمل امورها الشاقة على عينه وراسه والمتيقظ لجهاد أعدائها والسيف فى جفنه نائم والمجهز لبأسها وكرمها جيشى الحروب والمكارم والجارى بما أمر الله من العدل والاحسان والمسود الناصر فكانما هو لعين الدهر انسان طالما ذب عن حرمها فشد الله ازره ورفع ذكره وقام فى المحاماة عن دينها أشعث أغبر لو اقسم على الله لابره وقاتل على البعد والصوارم فى القرب فاوقى من معجزات النبوة نوعا من النصر بالرعب وبعث جحافل السطور فالقسى دالات والرماح الفات واللامات لامات والهمزات كواسر الطير التى تتبع الجحافل والاتربة عجاجها المحمر من دم الكلى والمفاصل فهو صاحب فضيلتى العلم والعلم وساحب ذيلى الفخار فى الحرب والسلم لا يعاديه الامن سفه نفسه ولبس لبسه وطبع على قلبه وفل الجدال من غربه وخرج فى وزن المعارضة عن ضربه وكيف يعادى من اذا كرع فى نقسه قيل انا أعطيناك الكوثر واذا ذكر شانئه السيف قيل ان شانئك هو الابتر أقول قولى هذا واستغفر الله من الشرف وخيلائه والفخار وكبريائه وأتوكل على الله فيما حكم وأسأله التدبير فيما جرى به القلم ثم اكتفى بما ذكره من أدواته وجلس على كرسى دواته متمثلا بقول القائل

قلم يفل الجيش وهو عرمرم * والبيض ماسلت من الاغماد
وهبت له الآجام حين نشا بها * كرم السيول وصولة الآساد

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا وتلفظ لسانه للقول مرتجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم

النفس وكمال الفضل والمعرفة باحوال الدهر والعض على ناجذ الحلم ولكن لفقد الكريم لوعة ولفجاءة المصيبة روعة ليس لها الا التدبر والتذكر والتذكر فانا أذكر الله عز وجل الذى أنفذ فى مشارق الارض أمره وأجرى بين اللحوم والجلود حكمه وجعل اكثر هذا العالم دونه وصان مع ذلك من الشوائب دينه وأبقى له من صالح الاولاد من يقر عينه ومن طيب النسل ما يقوى ظهره ويغيظ عدوه ولن يفى الكثير من آلائه القليل من بلائه والله يجعل هذه المصيبة خاتمة المصائب ولا يريه فى الاعزة سوأ أبدا

(وله اليه ايضا)

وفيما يقول الناس فى حكاياتهم ان اعرابيا نام ليلا من جمله ففقده فلما طلع

وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها فى ذوى العصيان فاقتضتهم بعماء الحتوف وشيد مراتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وعقد مرصوف وأجناهم من ورق حديدها الاخضر ثمار نعيمها الدانية القطوف وصلى الله على سيدنا محمد هازم الالوف وعلى آله وصحبه الذين طالما محوا ببريق بريق الصوارم سطور الصفوف صلاة عاطرة فى الانوف حالية بها الاسماع كالشنوف وسلم اما بعد فان السيف زند الحق الورى وزنده القوى وحده الفارق بين الرشيد والغوى والنجم الهادى الى العز وسبيله والثغر الباسم عن تباشير فلوله به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاه وجلى شخص الدين الحنيفى وقد جمح جفاه واجرى سيوفه بالاباطح فاما الحق فمكث والباطل فذهب جفاه وحلته اليد الشريفة النبويه وخصته على الاقلام بهذه المزيه وأوضحت به الحق منهاجا وأطلعته فى ليالى النقع والشك سراجا وهاجا وفتحت باب الدين بمصباحه حتى دخل فيه الناس أفواجا فهو ذو الرأى الصائب وشهاب العزم الثاقب وسماء العز التى زينت من آثاره بزينة الكواكب والحد الذى كانه ماء دافق يخرج عند قطع الاجساد من بين الصلب والترائب لا تجحد آثاره ولا ينكر قراره اذا اشتبك الدجى والنقع ناره يجمع بين الحالتين البأس والكرم ويصاغ فى طوق الحليتين فهو اما طوق فى نحور الاعداء واما خلخال فى عراقيب أهل النقم ويحسم به أهواء الفتن المضله ويحذف بهمته الجازمة حروف العلة واذا انحنى فى سماء القتام بالضرب فقل يسألونك عن الاهلة فهو القوى الاستطاعة الطويل المعمر اذا قصف سواه فى ساعة فأولا ببطول الاحسان وما أجل ذكره فى أخبار المعمرين ومقاتل الفرسان كأن الغيث فى غمده للطالب المنتجع وكأنه زناد يستضاء به الا ان دفع الدماء شرره الملتمع كم قد مد فادرك الطلاب ودعا النصر بلسانه المحمر من اثر الدماء فاجاب وتشعبت الدول لقائم نصره المنتظر وحازت ابكار الفتوح بحده الذكر وغدت ايامها به ذات حجول معلومة وغرر وشدت به الظهور وحدت صلاته فى الامور واتخذته الملوك حرزا لسلطانها وحصنا على أوطانها وقطانها وجردته على صروف الاقدار فى شانها وندب فما أعيت عليه المصالح وباشر الملم فهو على الحقيقة بين الهدى والضلال فرق واضح واغاث فى كل فصل فهو اما الغمد فسعد الاخبية واما الحامل فسعد السعود وأما الضد فسعد الذابح يجلس على رؤس الاعداء قهرا ويشرح أنباء الشجاعة فاذا القلم ذلك تاويل مالم تستطع عليه صبرا وهل يفاخر من وقف الموت على بابه وعض الحرب الضروس بنابه وقذفت شياطين القراع بشهبه ومنع آيات شر بقمعها طلوع الشمس من غربه ومنها ان الله أنشا برقه فكان للمارد مصرعا وللرائد مرتعا ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا كم اتخذ من جسد طرسا وكتب عليه حرفا لا ينسى فيه للالباب عبره وللاذهان السابحة غمرة بعد غمره أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم من لفظ يجمح ورأى الى الخصام يجنح ولسان يعوجه اللدد الى أن يخرج فيجرح وأتوكل عليه فى صد الباطل وصرفه واساله الاعانة على كل باحث عن حتفه بظلفه ثم اختتى فى بعض الخمائل

القمر وجله فرفع الى الله يده فقال اشهد لقد أعليته وجعلت السماء بيته ثم نظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء قدرك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا أسأله لك ولئن أهديت الى قلبى سروره لقد أهدى الله اليك نوره فالشيخ ذلك القمر المضىء وانا ذلك الاعرابى لقد أعلى الله قدره وأنفذ بين الجلود واللحم أمره ونظر اليه والى الذين يحسدونه فجعله فوقهم وجعلهم دونه فلا اعلم مزيدا الا الدوام فالله يديم لظلال النعمة ومجال القدرة ومساق الدولة ومراد البغية انه على ما يشاء قدير والمرء ادام الله عز الشيخ جزوع ولكنه حمول والانسان فى النوائب شموس ثم ذلول وقد عشت بعد فراق الشيخ ولكن

وتمثل بقول القائل

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه * فانى رأيت السيف أفصح مقولا

فلما وعى القلم خطبته الطويلة الطائلة ونشطته الجليلة الجائلة وفهم كنايته وتلويحه وتعريضه بالذم وتصريحه وتعديله فى الحديث وتجريحه استخف بالفظ النصير واحتد وما أدراك ما حدة القصير وقام فى دواته وقعد واضطرب على وجه القرطاس وارتعد وعدل الى السب الصراح ورأى انه ان سكت تكلم ولكن بأفواه الجراح فانحرف الى السيف وقال أيها المغتر بطبعه المفتر بلمعه الناقض حبل الانس يقطعه الناسخ بهجيره من ظلال العيش فيأ السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ الخبيس الذى طالما عادت عليه عوائد شره الكمين الابليس الذى لو أمرلى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين أتعرض بسوء وتتعرض لمكايد حربى ألست ذا الخدع البالغة والحرب خدعة والمنن النافعة ولا خير فيمن لا تبقى الانام نفعه ألست المسوّد الاحق بقول القائل

نفس عصام سوّدت عصاما * وعلمته الجود والاقداما

اتفاخرنى وانا الوصل وأنت للقطع وأنا للعطاء وأنت للمنع وانا للصلح وأنت للضراب وأنا للعمارة وأنت للخراب وأنا المعمر وأنت المدمر وأنت المقلد وأنا صاحب التقليد وأنت العابث وأنا المجوّد ومن أولى من القلم بالتجويد فما أقبح شبهك وما أشنع ومارى فيه العيون وجهك أعلى مثلى ينشق القول ويرفع الصوت والصول وأنا ذو اللفظ المكين وأنت ممن دخل تحت قوله تعالى أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقد تعديت حدك وطلبت مالم تبلغه جهدك هيهات أنا المنتصب لمصالح الدول وانت فى الغمد طريح والمتعب فى تمهيدها وأنت غافل مستريح والساهر وقد مهد لك فى الغمد مضجع والجالس عن يمين الملك وأنت عن يساره فاى الحالتين أرفع والساعى فى تدبير حال القوم والمغنى لنفعهم العمر اذا كان نفعك يوما أو بعض يوم فاقطع عنك أسباب المفاخرة واستر أنيابك عند المكاشرة فما يحسن بالصامت محاورة المفصح والله يعلم المفسد من المصلح على انه لا يشكر لمثلك التصدى ولا يستغرب منه على مثلى التعدى ما أنا أول من اطاع البارى وتجرأت عليه ومددت يد العدوان اليه أو لست الذى قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

قد سلبت الرحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء وجلبت القسوة فكم هيجت سية حمراء وأثرت دهماء وخمشت الوجوه وكيف لا وأنت كالظفر كونا وقطعت اللذات ولم لا وأنت كالصبح لونا أين بطشك من حلمى وجهلك من علمى وجسمك من جسمى

شتان ما بين جسم صيغ من ذهب * وذاك جسمى وجسم صيغ من بهق

أين عينك الزرقاء من عينى الكحيلة ومؤنثك الشنعاء من رؤيتى الجميلة أين لون الشيب من لون الشباب وأين نذير الاعداء من وصول الاحباب هذا ولو سكت لكنت الا كاد غيظا وحييت الاضغان قيظا وشكوت الصدأ فسقيت ولكن بشواظ من نار واخنث عليك

عيشة الحوت فى البر بقيت ولكن بقاء الثلج فى الحر (وأخبرنى الخطيب) انه سعد بلقائك ولى النعمة فلم تره يتوجع بشكاية العارضة فسجدت لله شكرا وقدمت صدقة ونذرا وكانت فى نفسى حاجات اعتقدت بها أيام التشييع فلما تلقانى الامر العالى بالرجوع بقيت حاجاتى فى نفسى ولم يطلع بها أمى وهو يعلم مآل الراس فى احتباس العطاس خاتما صدرى على سرى ولو كنت كلى صدرا ما وسعت الاوزرا فلا اسأله حاجة ولكنى اصف له حال عبده وابن عبده والمتوسل بعبيده فلان فرع ابيه دمن ولى النعمة بكريم نظر فان حظ تلك الديار وغلاء الاسعار والتردد فى الاسفار استنطف ماله واستنزف ماءه فورد هرا تقمش من ههنا مقدارا واعطاه فلان

الايام حتى اتصل بأبعاضك الحار ولولا تعرضك الى لما وقعت فى المقت ولولا اساءتك لما كنت تصقل فى كل وقت فدع عنك هذا الفخر المديد وتامل وصفى اذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد وافهم قول ابن الرومى

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لا شئ يعادله * مازال يتبع مايجرى به القلم
بذا قضى الله فى الاقلام اذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

فعند ذلك وثب السيف على قده وكاد الغضب يخرجه عن حده . وقال أيها المتطاول على قصره والماشى على طريق غروره والمتعرض منى الى الدمار والمتحرش بى فهو كما تقول العامة ذنبه قش ويحترس بالنار لقد شمرت عن ساقك حتى أغرقتك الغمرات واتعبت نفسك فيما لاتدركه الى أن أذهبها التعب حسرات لولست الذى طالما أرعش السيف للهيبة عطفك ونكس للخدمة رأسك وطرفك وأمر بعض رعيته وهو السكين فقطع قفالك وشق أنفك ورفعك فى مهمات خاملة وحطك وجذبك للاستعمال وقطك فليت شعرى كيف جسرت وعبست على مثلى وبسرت وأنت السوقة وانا الملك وأنا الصادق وأنت المؤتفك وأنت لصون الحطام وأنا لصون الممالك وأنت لحفظ المزارع وأنا لحفظ المسالك وأنت للفلاحة وأنا للفلاح وأنت حاطب الليل من نفسه وأنا سارى الصباح وأنا الباصر وأنت الارمد وأنا المخدوم الابيض وأنت الخادم الاسود واقسم بمن صير فى قبضتى أنواع اليمن المسفرة وجعل شخصك وشخصى كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة انك عن بلوغ قدرى لاذل رتبة وعن برى كفى لاخيب طلبة فانى لاانكر قول بعض أربابك حيث قالوا

اف لرزق الكتبه * أف له ماأصعبه
يرتشف الرزق به * من شق تلك القصبه
ياقلما يرفع فى الطرس لوجهى ذنبه
ماأعرف المسكين الا كاتبا ذا متربه

ان عانيت الدوان وقعت فى الحساب والعذاب أو البلاغة محرت وبالغت فانت ساحر كذاب أو تفخرت بتقييد العلوم فمالك منها سوى لمحة الطرف أو برقم المصاحف فانك تعبد الله على حرف أو جمعت جملا فانما جعلك للتكسير أو رفعت الى طرفك رجع البصر خاسئا وهو حسير وهل أنت فى الدول الاخيال تكتنى الهم بطيفه أو اصبع يلعق بها الرزق اذا أكل الضارب بقائم سيفه وساع على رأسه قل ما أجدى وسار ربما أعطى قليلا وأكدى ثم وقف وأكدى أين أنت من حظى الاسنى وكنى الاغنى وما خصصت به من الجوهر الفرد اذا عجزت أنت عن العرض الادنى كم برزت فما أغنيت فى مهمه وكم خرجت من دواتك لتسطير سيئة فخرجت كما قيل من ظلمة الى ظلمة وهب أنك كما قلت مفتوق اللسان جرئ الجنان مداحل بجلبك بين ذوى الاقتناص معدود من شياطين الدول وانت فى الطرس والنقس بين بناء وغواص فلو جريت خلفى الى ان تحفى وصحت بصريرك الى ان تخفت

خمسين دينارا معونة للطريق ولتبلغ الى الماء بالريق فاذا عرف ولى النعمة هذه الحال عنى به فيما يراه هذه واحدة والاخرى حاجتى التى عرضتها مرارا وكررتها ليلا ونهارا واوردتها سرا وجهارا ثم شغل الرحيل الميمون والنهوض المسعود عن استنجازها فبقيت فى اكمامها وحال القدر دون تمامها وفضل الله به زعيم وكرم الشيخ فيها كفيل وهى الحكومة التى طلبتها للقصبة الذى كان يخلف القاضى اباعمرو على عمله بنيسابور ثم اللهم اياك اسأل ومنك اطلب وعليك اتوكل ان ناصية الشيخ بيدك وان التوفيق من عندك وللشيخ فى تشريف العبد بالجواب وما يقتضيه من الايجاب العين العالية والرأى السديد ان شاء الله تعالى

وتفتى فما كنت منى الا بمنزلة المدرتمن السماك الرامح والبعرة على تيار الخضم الطافح فلا تعدن نفسك بعجزى فانك من يمين ولا تعلقن لها ان تبلغ مداى فليس لمخضوب البنان يمين ومن صلاح نجمك ان تعترف بفضلى الاكبر وتؤمن بمعجزتى التى بعثت منك الى الاسود والاحمر لتستوجب حقا وتسلم من نار حر تلظى لا يصلاها الا الاشقى وان لم يتضح لرأيك الا الاصرار وأبت حماقة لسانك الا ان توقعك فى النار فلا رعى الله عزائمك القاصره ولا جمع عقارب ليل نفسك التى ان عادت فان نعال السيوف لها حاضره ثم قطع الكلام وتمثل بقول ابى تمام السيف اصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

فلما تحقق تحريف القلم وجهه وفهم مقدار الغيظ الذى اخرجه وسمع هذه المقالة التى يقطر من جوانبها الدم ورأى انه هو البادى بهذه المناقشة والبادى اظلم رجع الى خداعه وتنحى عن طريق قراعه وعلم ان الدهر دهره والقدر على حكم الوقت قدره وانه احق بقول القائل

لمنها معرب واعجب من ذا * ان اعراب غيرها ملحون

فالتفت اليه وقال ايها المتلهب فى قدحه والخارج عما نسب اليه من صفحه ماهذه الزيادة فى السباب والتطفيف فى كيل الجواب وابن علم الشيوخ عند جهل الشباب اما كان الاحسن بك ان تترك هذا الرفث وتلم اخاك على الشعث وتحلم كما زعمت انك السيد وتركو على الغيظ كما تركو على النار الجيد اما تعلم انى معينك فى تشييد الممالك ورفيقك فيما تسلكه لنفعهما من المسالك اما انا وانت للملك كاليدين وفى تشييده كالركنين الاشدين ومالى التعبير فى الا كثر الا بنحول جسدى الذى ليس خلقه على وضعفه الذى ليس امره الى على ان اشهى الخصور الحفها واقوى الجفون اضعفها وازكى النسمات اعلها وادقها وهذه سادات العرب تعدذلك من فضلها الاظهر وحسنها الاشهر ولو انك تقول بالفصاحة وتقف فى هذه الساحة لاسمعتك فى ذلك من اشعارهم واتحفتك بما يفتخرون به من آثارهم وكذلك عيبك سواد خلقتى التى

اكتسبها الحب حلة صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

فبالله ويا للعجب الاسود من هذه الجبة البائره والكرة الخاسره وعلى هذه النسبة ما عبتنى به من فقر الانبياء وذل الحكماء على ان اطلاقات معروفى معروفة وسطوات امرى فى وجوه الاعداء المكسوفة مكشوفة فاستغفر الله عما فرط فى مقالك والتفويض من عواقب احتمالك فلا تشمت بنا الاضداد ولا تسلط بفرقتنا المفسدين فى الارض ان الله لا يحب الفساد واغضض الآن من خيلائك بعض هذا الغض ولا تنس انى قسيمك ولو قيل لك يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض وان ابيت الا ان تهدد وتجرد الشغب وتحدد فاذكر محلنا من اليد الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية ايد الله نعمها وجازى بالاحسان شيمها وايقظ فى الآجال والآمال سيفها وقلمها ولا عطل مشاهد المدح من انسها ولا اخلى فرائض الباس والكرم من قيام خمسها فاقسم من باسه

(وله اليه مع الوفد طلبا للنظر لاهل هراة)

كتب اطال الله بقاء الشيخ والجميل عنوان نعم الله والشيمة فى الاسلام ضمان من امان الله فاذا احسن معها الخلق أضاء بنورهما الافق وما يكاد مثلى يفعل وان حسنت اخلاقه انما الخطر العظيم ان تحسن اخلاق من بيده الآفاق وعن امره الارزاق وباذنه الحبس والاطلاق وبرأيه الغنى والاملاق واليه تتقطع الاعناق ولملوا خراسان والعراق وترعد الشاش والايلاق فاذا كانت هذه حاله حسنت اخلاقه وعظم عند الله خلاقه والمرء لا تكرم خصاله حتى يكرم حمله وفصاله ولا يسعد به جاره حتى يسعد بالطهارة نجاره ولا ينفس عن مؤمن كربه الامن طاب ماؤه وتربه

باليل وماوسق ومن بشر طلعته بالقمر اذا اتسق لو تجاورا الاسد والظباء بتلك الدلوردا بالامن في منهل ورتعا في روض لايجهل ولو لجأ اليها النهار لما راعه بمشيئة الله الليل بزجر أو الليل لما غلب على خيطه الاسود الخيط الابيض من الفجر وعلى ذلك فما ينبغي لنا بين تلك الانامل غير سلوك الأدب والمعاضدة على محو الازمات والنوب والاستقامة على الحق ولاعوج والحديث من تلك الراحة عن البحر ولا حرج فهذه نصيحتي اليك والدين النصيحة والله تعالى يطلعك على معاني الرشد الصريحة ويجعل بينك وبين الغي حجابا مستورا وفيك ما تقدم من القول وكان ذلك في الكتاب مسطورا فعند ذلك نكس السيف طرفه وقبل خديعة القلم قال الامر ما جدع قصير انفه وامسك عن المشاغبة خيفة الزلل فان السيوف معروفة بالخلل ثم قال أيها الضعيف الجبار البازغ في ليل المداد نجما وكم في النجوم غرار لقد تغلت من أمر أنت البادي بظلمه وتسورت الى فتح باب أنت السابق الى فتح خفه وقد فهمت الآن ما ذكرت من أمر اليد الشريفة ونم ماذكرت وأحسن بما أشرت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وقد تغافلت عن قولك الاحسن ووردتك الى أمك الدواة كي تقر عينها ولا تحزن وسالت الله تعالى ان يزيد محاسن تلك اليد العالية تماما على الذي أحسن فانها اليد التي

لو أثر التقبيل في يد منعم * لمحا براجم كفها التقبيل

والراحة التي تسعى القلوب لغوثها ولغيثها * فحبيبه التأمين والتأميل

والانامل التي علمها الله بالسيف والقلم ومكنهما من رتبتي العلم والعلم ودارك بكرمها آمال العفاة بعدان ولاولم ولولا ان هذا المضمار يضيق عن وصفه السابق الى غاية الخصل ومجده الذي اذا احتوذيله وذا الفضل لو تمسك منه بالفضل لاطلت الآن في ذكر مجدها الاوضح وأفصحت في مدحها ولا يشكر لمثلها ان انطقت الصامت فافصح ثم انك بعدما تقدم من القول المزيد والمجادلة التي عز أمرها على الحديد اقررت أنت انا للملك كاليدين ولم تقرأ بنا اليمين وفي آفاقه كالقمرين ولم تذكر ابنا الواضحة الجبين وما يشفي ضناى ويروى صداى الان يحكم بيننا من لا يرد حكمه ولا يتهم فهمه فيظهر لنا المفضول من الفاضل والمخذول من الخاذل ويقصر عن القول المناظر ويستريح المناضل وقد رأيت ان يحكم بيننا المقام الاعظم الذي أشرت الى يده الشريفة وتوسلت بمحاسنها اللطيفة فانه مالك زمامنا ومنشئ غمامنا ومصرف كلامنا وحامل اعبائنا الذي ما هوى للهوى وصاحب أمرنا ونهينا وتالله ما ضل صاحبكم وما غوى ليفصل الامر بحكمه ويقدمنا الى مجلسه الشريف فيحكم بيننا بعلمه فقدم خيرة الله على ذلك الاشتراط وقبل بعد تقبيلنا الارض له في ذلك البساط خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط فنشط القلم فرحا ومشى في ارض الطرس مرحا وطرب لهذا الجواب وخر راكعا واناب وقال سمعا وطاعة وشكرا لله على هذه الساعة

* يا برد ذاك الذي قالت على كبدي *

الآن ظهر ما تبغيان وقضي الامر الذي فيه تستفتيان وحكم بيننا الرأي المنير ونبأنا

ولو علم الناس ما بين ايديهم لتركوا ما خلفهم ولو ذكروا ما اعد الله امامهم لنسوا ما وراءهم انما الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار ولا ازيد الشيخ علما بهرائه واهلها انه قد شاهد احوالهم ونفض اموالهم وابرز ادخالهم وعرف ما عليهم ومالهم وما يغيب عن ثاقب فطنته الا القليل ولكن اخبره بما عرض لها ولهم بعد فصول أصلها عنها فيهم فشت الامراض الحادة تخبطت عشواء وانتشت وبالا ثم جد الغلاء وفقد الطعام ووقع الموت العام فمن الناس من لم يطعم اسبوعا حتى هلك جوعا ومنهم من تبلغ بالميتة الى يومنا هذا وهو

بحقيقة

بحقيقة الامر ولا ينبئك مثل خبير ثم تفاصلا على ذلك وتراضيا على ما يحكم به المالك وكانوا أحق بها وأهلها واتبعه المملوك من سنة فكره وطالع بما اختلج سواد هذه الليلة في سره والله تعالى يديم ايام مولانا السلطان التي هي نظام المفاخر ومقام المآثر وغوث الشاكي وغيث الشاكر ويمتع بظلال مقامه الذي لا تكسر الايام مقدار ما هو جابر ولا تجبر ما هو كاسر ان شاء الله تعالى تمت رسالة الشيخ جمال الدين التي كشف بها عن قناع المغايرة واتى فيها بكل مثال ليس له مثيل ووجهها بصاحب حماة فاطاعه عاصي الادب ووهب الله له على الكبر اسمعيل * نرجع الى أبيات البديعيات فبيت الشيخ صفي الدين

فالله يكلؤ عذالي ويلهمهم * عذلي فقد فرجوا كربي بذكرهم

الشيخ صفي الدين غاير الناس في الدعاء لعذاله وماذاك الا أن العذول ما برح ممتزجا بذكر الاحباب فكلما كرروا عذله وذكروا أحبابه فرجوا كربه بذلك الذكر والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته

تغاير الحال حتى للنوى فئة * اصبحت منتظرا ايام وصلهم

أما الشرح في نوع المغايرة فقد طال * والكلام في بيت عز الدين يضيق عنه المجال * فانه نظم المغايرة ولكن غاير بها الافهام * وما أراه امن عقادة بيته غير الابهام * وبيت بديعيتي

اغاير الناس في حب الرقيب فذ * أراه أبسط آمالي بقربهم

الناس قد اجمعوا على ذم الرقيب وغايرتهم في مدحه لمعنى وماذاك الا أني لما أراه أتحقق أنه ما تجرد للمراقبة الا وقد علم بزيارة الحبيب فانظر الى حسن المغايرة وغرابة المعنى وحسن التركيب

(ذكر التذييل)

(والله ما طال تذييل القا بهم * يا عاذلي وكفى بالله في القسم)

التذييل هو ان يذيل الناظم أو الناثر كلاما بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيدا وتجري مجرى المثل بزيادة التحقيق والفرق بينه وبين التكميل أن التكميل يرد على معنى يحتاج الى الكمال والتذييل لم يفد غير تحقيق الكلام الاول وتوكيده ومن أعظم الشواهد عليه قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالجملة الاخيرة هي التذييل الذي خرج كلامه مخرج المثل السائر ومثله قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور فالجملة الاخيرة هي تذييل خرج في الكلام مخرج الامثال التي ليس لها مثيل وقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران ومن أوفى بعهده من الله ففي هذه الاية الشريفة تذييلان احدهما قوله تعالى وعدا عليه حقا فان الكلام كان قد تم قبل ذلك وحسن السكوت عليه والاخر قوله تعالى ومن أوفى بعهده من الله فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر ووقع ذلك في السنة الشريفة وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت

ينتظر نحبه ليلحق بصحبه ومنهم من لا يجد القوت والدرهم على كفه حتى يموت والباقون احياء كانهم اموات ترعد فرائصهم من هذه البوائق وان هول السلطان أعظم واطم وأمر المطالبات اكبر وأهم فنظر الله لعبد من عباده صفوا لهم نظرا واحسن من امورهم محضرا وجعل الشيخ ذلك العبد ووفقه لمصالح القول والعمل ولما اهم الناس ما اهمهم من هذا الامر خلصوا نجيا ثم افكروا مليا ثم اتفق رأيهم على ان يبعثوا وفدا ثم عملوا الخطيب اباعلى لذلك المجلس فوجدوه الى اجابتهم سريعا ليدرك حظا من سعادة نفسه بحضرة موسم الخيرات ومقسم الموت والحياة ومطلع البركات حضرة الشيخ أدام

(التذييل)

عليه سيئة واحدة ولا يهلك على الله الاهالك فقوله صلى الله عليه وسلم لا يهلك على الله الاهالك هو التذييل الذي تتعلق البلاغة بأذياله وخرج الكلام فيه مخرج الامثال وهذا التذييل انفرد باخراجه مسلم ومن هذا الباب قول النابغة

ولست بمستبق اخالا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

اتفق اهل البديع على أن قوله أي الرجال المهذب من أحسن تذييل وقع في شعر لانه خرج مخرج المثل ومثله قول بعض العرب

ودعوا نزال فكنت أول نازل * وعلام أركبه اذا لم أنزل

فعجز هذا البيت كله تذييل وهو في غاية الكمال ولقد أحسن بعضهم في هذا الباب حيث قال

صدقتكم الود ابغي الوصال * وليس المكاذب كالصادق
فجازيتموني بطول البعاد * وكم اخجل الحب من واثق

فكل من عجزي البيتين تذييل وخرج الكلام فيهما مخرج المثل وأحسن منه قول الحطيئة

تزور فتى يعطي على الحمد ماله * ومن يعط اثمان المحامد يحمد

فان عجز البيت كله تذييل خرج مخرج المثل وصدر البيت استقل بالمعنى المراد على انفراده وفيه أيضا مع اتصاله بالعجز تعطف حسن في قوله يعطي ويعط وبالتعطف صار بين العجز والصدر ملاحمة وملاءمة شديدة ورابطة وثيقة قال ابن أبي الاصبع عجز هذا البيت اذا انفرد استقل مثلا وتذييلا كما ان الصدر اذا انفرد استقل بالمعنى المقصود من جملة البيت والغرض المطلوب من التمثيل أيضا وقل ان يوجد بيت بين صدره وعجزه مثل هذا التلاحم على استقلال كل قسم بنفسه وتمام معناه ولفظه ومن التذييل الحسن قول ابي الشيص

وأهنتني فاهنت نفسي عامدا * ما من يهون عليك ممن يكرم

فعجز البيت كله تذييل في ضمنه مطابقة اذ ذكر الهوان والكرامة ومن بديع التمثيل قول ابن نباتة السعدي

لم يبق جودك لي شيأ أؤمله * تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

فانه استوفى ما أراده من المدح في الشطر الاول ثم احتاج الى تتميم البيت وأراد اتمامه بتكرار المعنى المتقدم فيه استحسانا وتوكيدا فأخرجه مخرج المثل السائر حيث قال تركتني أصحب الدنيا بلا أمل ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى لان المدح اذا خرج مخرج المثل كان أسير في الارض قال ابن ابي الاصبع هذا البيت ان تطرق فيه الى قول أبي الطيب المتنبي

تمسي الاماني صرعى دون مبلغه * فما يقول لشئ ليت ذلك لي

فبيت ابن نباتة افضل من بيت المتنبي لانه أحسن الادب مع ممدوحه اذ لم يجعله في حيز من يتمنى شيأ أو جعل في قدرته وجوده ما يبلغ مادحه كل أمنية فلم يبق له أمل وان كان في بيت

المتنبي

الله نضارتها مهاجرا اليها متوكلا على الله مستعينا بالله متوجها الى الله وخالصا لله متحيزا من الشيخ جميل وعده في التماس النظر وسابق قوله في تصوير هذه الحال والخطيب يستظهر بصلاح ابويه ويرجو ان يعطف الله بقلب الشيخ عليه وعلا بهذا النظر يديه وان والعياذ بالله لم يوافق مراده قدرا ولم يصادف هؤلاء الوفد نظرا فبطن الارض للخطيب خير من ظهرها والله ولي الاعمال والكفيل بصلاح الحال

(وكتب الى أبي بكر الخوارزمي)

انا لقرب دار الاستاذ اطال الله بقاءه (كما طرب النشوان مالت به الخمر) ومن الارتياح الى لقائه (كما انتفض العصفور بلله القطر) ومن الامتزاج بولائه (كما التقت الصهباء والبارد العذب) ومن الابتهاج

المتنبي زيادة من جهة المبالغة في قوله دون مبلغه واستعارة في اللفظ بقوله تمسي الاماني صرعى في بيت ابن نباتة أن كل ماجعله المتنبي لممدوحه جعله ابن نباتة لمادحه مع زيادة المبالغة في المدح بكونه اخرجه مخرج المثل السائر كما بينا فهو أشهر واسير وأبقى واذا تامل الناظر في البيتين وجد معنى بيت المتنبي بكماله في صدر بيت ابن نباتة لان حاصل بيت المتنبي أن الممدوح قدر على كل الامانى وهذا قد استقل به صدر بيت ابن نباتة والعجز ملزوم صدره لان من نال كل أمل صحب الدنيا بلا أمل غير ان ابن نباتة لكونه أخرج العجز مخرج المثل صار كانه استأنف معنى آخر مستقلا بجميع معنى بيت المتنبي مع كونه زاد بان جعل للمادح ماجعله المتنبي للممدوح وهذا غاية في حسن الادب وقد ترجح بيت ابن نباتة على بيت المتنبي من وجوه انتهى كلام ابن أبي الاصبع في النقد الحسن الذي قرره على بيت ابي الطيب وبيت ابن نباتة وقد يختلط على بعض الناس هذه الابواب الاربعة وهي باب الايغال والتذييل والتمكين والتكميل والفرق ظاهر فان الايغال لا يكون الا في الكلمة التي فيها الروى ومايتعلق به وهو أيضا ممايأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل وأما التمكين فليس له مدخل في هذه الابواب لانه عبارة عن استقرار القافية في مكانها الا انها لا تزيد معنى البيت بل اذا حذفت نقص معنى البيت لانها متمكنة في قواعده وأما التكميل فانه وان أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الايغال والتذييل من وجهين أحدهما كونه ياتي في الحشو والمقاطع والايغال والتذييل لا يكونان الا في المقاطع دون الحشو والايغال والتذييل لا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم والتكميل لابد أن يأتي بمعنى يكمل الغرض على التكملة المتقدمة أما تكميلا بديعيا أو تكميلا عروضيا والتذييل يفارق الايغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى ايغالا ويستوعب غالبا عجز البيت وبيت صفي الدين في التذييل

لله لذة عيش بالحبيب مضت * فلم تدم لى وغير الله لم يدم

والعميان ماتظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عز الدين الموصلي

تذييل عيشى ورزقى قسمة حصلت * في اول الخلق والارزاق بالقسم

وبيت بديعيتي

والله ماطال تذييل اللقا بهم * ياعاذلي وكفى بالله في القسم

فقولي وكفى بالله في القسم هي الجملة التي جاءت بعد تمام الكلام وحسن السكوت عليه واشتملت على معناه وزادته في القسم تحقيقا وتوكيدا وجرت مجرى المثل الذي مايجارى في شرفه وكماله وأما لفظة التذييل التي هي تسمية لهذا النوع المقصود فقد فات الشيخ عز الدين فيها لفظة طال فاني لولم أذكر الطول ماترشحت تورية التذييل ولا وقع لها في القلوب مواقع فان الطول من لوازم الاذيال وطول ذيل اللقاء في البيت من ألطف الاستعارات وقولي ياعاذلي هو التكميل الذي ياتي في الحشو وقد تقدم الكلام عليه وتقرر

(ذكر التفويف)

بعزائم (كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب) فكيف نشاط الاستاذ لصديق طوى اليه مابين قصبتي العراق وخراسان بل مابين عقبتي نيسابور وروبجان وكيف اهتزازه لضيف في بردة جمال وجلدة جمال رث الشمائل منهج الاثواب * بكرت عليه مغيرة الاعراب

وهو ايده الله ولي انعامه بانفاذ غلامه الى مستقري لافضي اليه بسري ان شاء الله تعالى

(وله الى شمس المعالي)

لم تزل الآمال تعدني هذا اليوم والايام تمطلني بالسنة صروفها على اختلاف صنوفها بين حلو استرقني ومر استخفني وشر صار الي وخير ما صرت اليه وانا في خلال هذه الاحوال اتتبع الآفاق فاكون طورا مغربا للمغرب

(التفويف)

خشن ألن احزن افرح امنع اعط أنل * فوف أجدوش رقق شد حب لم

التفويف تأملته فوجدته نوعا لم يفد غير ارشاد ناظمه الى طرق العقادة والشاعر اذا كان معنويا وتجشم مشاقه تقصر يده عن التطاول الى اختراع معنى من المعانى الغريبة ويجفوه حسان الالفاظ ولم يعطف عليه برقة وتأنف كل قرينة صالحة ان تسكن له بيتا ولكن شروع المعارضة ملزم به ولم يسعنى غير تشريع الطباق فى بيته وهو فى اللغة مشتق من الثوب المفوف الذى فيه خطوط بيض والمراد تلوينه ونقشه ومن ظريف قول ابن قاضى ميلة

بعيشى الم اخبر كانه فتق * على لفظه برد الكلام المفوف

والتفويف فى الصناعة عبارة عن اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والغزل وغير ذلك من الفنون والاغراض كل فن فى جملة من الكلام منفصلة عن اختها مع تساوى الجمل فى الوزنية ويكون بالجملة الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة واحسنها وابلغها واصعبها مسلكا القصار فمثال ما جاء منه بالجملة الطويلة قول النابغة

وأعظم أحلاما وا كبر سيدا * وأفضل مشفوعا واكرم شافع

وبالجملة المتوسطة قول ابى الوليد بن زيدون

ته أحتمل واحتكم أصبر وعز أهن * وذل أخضع وقل أسمع ومر أطع

ومثال ما جاء بالجملة القصيرة قول أبى الطيب المتنبى

أقل أنل أقطع احمل عل أسل أعد * زد هش بش تفضل أدن سر صل

أقل من الاقالة فى العثرة أنل من الانالة والاعطاء أقطع من الاقطاع احمل من قولهم حمله على فرسه عل من الاستعلاء والعلو اسل من السلو أعد اى اعدنى الى موضعى من الجو أو زد اى زدنى مما كنت أعهده منك هش من الهشاشة وهى التهلل والبشر من بش البشاشة وهى البشر وطلاقة الوجه تفضل من الافضال ادن أى قربنى اليك وقوله سر من التسرى وهو ان يعطيه جارية يتسرى بها صل من الصلة ولم اقصد بحل هذه الالفاظ الا بيانا ما تزول به وحشة العقادة عن المتأمل فان هذه الجملة ما استوت عليها عقادة التركيب الا لكون كل كلمة منها فعل امر ولهيات فى الجملة القصيرة على هذه الصفة شئ من فصيح الكلام وعلى هذا المنوال نسج أصحاب البديعيات وبالله المستعان وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله

أقصر أطل اعذل اعذر سل خل اعن * خن هن عن ترفق كف لج لم

وهذا النوع ما نظمه العميان وبيت الشيخ عز الدين

فوف أزف انظم انثر خص عم أفد * اعتب أدر أبرق ارعد اضحك ابك لم

هذا البيت بيت ما نحت من الجبال ولكن الجبال نحتت منه وبيت بديعيتى

خشن ألن احزن افرح امنع اعط انل * فوف اجدوش رقق شد حب لم

قد تقدم قولى للعاذل (والله ما طال تذييل اللقاء بهم * ياعاذلى وكفى بالله فى القسم) ولما قررت له ذلك قلت له فى بيت التفويف ان شئت تخشن فى عذلك وان شئت تلين وان شئت تحزن وان شئت تفرح وان شئت تمنع وان شئت تعطى وان شئت تفوف العذل وتجيد

نقشه

الاقصى وطورا مشرقا للمشرق ولا مطمح الا حضرته الرفيعة وسدته المريعة ولا وسيلة الا المنزع الشاسع والامل الواسع وقد صرت اطال الله بقاء الاصبر بين انياب النوائب وتجشمت هول الموارد وركبت اكتاف المكاره ورضعت اخلاف العوائق ومسحت اطراف المراحل حتى حضرت الحضرة البهية أوكدت وبلغت الامنية أوزدت وللامير فى الاصغاء الى الجد والبسط من عنان الفضل بتمكين خادمه من المجلس يتلقاه بيده والبساط ينقشه بفمه الراى العالى ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

لو كان للمكرم عن جناب الشيخ الامام منصرف لانصرفت أو للامل منحرف

ذ قشه وتوشيته وترقق فيه اوتشد معناه ان الكل بالنسبة الى صدق المحب فسهل ولكن النكتة
فى قولى له اعنى للعاذل حب لم يعنى اذا حب لم بعد ذلك كانى اقول له

من لم يبت والحب يقرع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وما احلى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض مخاطبا العاذله

دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

(ذكر المواربة)

(ياعاذلى أنت محبوب لدى فلا * توارب العقل منى واستفد حكمى)

المواربة براء مهملة وباء موحدة وهى مشتقة من الارب وهى الحاجة لكن ذكر ابن أبى الاصبع أنها مشتقة من ورب العرق بفتح الواو والراء اذا فسد فهو ورب بكسر الراء كأن المتكلم افسد مفهوم ظاهر الكلام بما أبداه من تأويل باطنه وحقيقة المواربة ان يقول المتكلم قولا يتضمن ما ينكر عليه فيه بسببه ويتوجه عليه المؤاخذة فاذا حصل الانكار عليه استحضر بحذقه وجها من الوجوه التى يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة اما بتحريف كلمة او تصحيفها أو بزيادة أو نقص أو غير ذلك فاما شاهد ما وقع من المواربة بالتحريف فقول عتبان الحروز

وان يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا حصين والبطين وقعنب * ومنا امير المؤمنين شبيب

فلما بلغ الشعر هشاما وظفر به قال أنت القائل ومنا أمير المؤمنين شبيب فقال يا أمير المؤمنين ماقلت الا ومنا أمير المؤمنين شبيب فتخلص بفتح الراء بعد ضمها وهذا ألطف مواربة وقعت فى هذا الباب وشاهد الحذف قول أبى نواس فى خالصة جارية أمير المؤمنين الرشيد هاجيا لها

لقد ضاع شعرى على بابكم * كما ضاع حلى على خالصه

فلما بلغ الرشيد ذلك انكر عليه وتهدده بسببه فقال لم اقل الا

لقد ضاء شعرى على بابكم * كما ضاء حلى على خالصه

فاستحسن الرشيد مواربته وقال بعض من حضره هذا بيت قلعت عيناه فأبصر وشاهد التصحيف فى المواربة يأتى فى ابيات البديعيات ويعجبنى قول الشيخ عز الدين الموصلى فى المواربة من غير البديعية لما بلغه وفاة القاضى فتح الدين بن الشهيد وكان القاضى فتح الدين يرجح جانب الشيخ شمس الدين المزين على الشيخ عز الدين لبغض كان فى خاطره لا لاستحقاق

دمشق قالت لنا مقالا * معناه فى ذا الزمان بين
اندمل الجرح واستراحت * ذاتى من الفتح والمزين

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

لأنت عندى أخص الناس منزلة * اذ كنت أقدرهم عندى على السلم

المواربة فى أخص يريد بها أخس بالسين المهملة وأقدرهم يريد بها اقذرهم بالذال المعجمة

(المواربة)
المستواه لانحرفت او لفتح باب غيره لولجت أو للفضل خاطب لزوجت ولكن أبى الله ولا يزال كذا يسم المجد بسمته ويجذب العلا بهمته ويسعد الحر بنظره والدنيا بجماله وغلامه انا لو استعار الدهر لسانا واتخذ الريح ترجمانا ليشيع انعامه حق الاشاعة لقصرت به يد الاستطاعة فليس الا أن يلبس مكارمه ضافية بالغة ويرد مشارعه صافية سائغه ويجعل الجزاء على يد قصور والشكر على لسان قصير ثم ان حاجاتى اذا لم يعر من قلائد المجد نحرها ولم يعطل من حلى المجد صدرها كثر مهرها وثقل صدرها وعز كفوها ولم ارض لها الا واحدا أخضر الجلدة فى بيت العرب أو ماجدا يعلا العلو الى عقد الكرب وهذه حاجة انا ازفها الى الشيخ

(قوله والراء) صوابه وكسر الراء
(قوله الحروز) فى نسخة الحرورى
(قوله ذاتى) فى نسخة نفسى

والموارية في اقدرهم بالتصحيف وهذا النوع لم ينظمه العميان في بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلي

لأنت أفتح ذهنا في موارية * وبالتعقل منسوب الى النعم

مراد الشيخ بأفتح أقبح وبالتعقل التغفل وقال في شرحه انه اراد بالنعم النعم وهو اسم جامع للابل وغيرها وأراد بذلك الموارية بالتحريف أيضا سلمنا له ذلك ولكن لم أر في بيته قبل الموارية معنى يستأنس به الذوق وبيت بديعيتي انا مستقر فيه على ما تقدم من خطاب العاذل

ياعاذلي أنت محبوب لدي فلا * توارب العقل مني واستفد حكمي

قولي للعاذل أنت محبوب لدي من له أدنى ذوق يفهم منه أن مرادي الموارية بمجنون والمراد بلفظة توارب توازن والمعنى قبل الموارية مستقيم وهو في غاية الكمال واذا حصلت الموارية صار البيت

ياعاذلي أنت مجنون لدي فلا * توازن العقل مني واستفد حكمي

وانتقل من صيغة المدح المقبول الى صيغة الهجو الصريح

(ذكر الكلام الجامع)

(جمع الكلام اذا لم تغن حكمته * وجوده عند أهل الذوق كالعدم)

الكلام الجامع هو أن يأتي الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أو وعظ أو غير ذلك من الحقائق التي تجري مجرى الامثال ويتمثل الناظم بحكمها او وعظها أو بحالة تقتضي اجراء المثل كقول زهير بن أبي سلمى

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

وقول ابي نواس

اذا كان غير الله في عدة الفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

وقول المتنبي

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته

من كان يعلم أن الشهد مطلبه * فلا يخاف للدغ النحل من ألم

فانه حصر فيه الكلام الجامع بشروطه واجراه مجرى المثل مع ما أودع فيه من الحكمة وزاد على ذلك بما كساه من ديباجة الرقة ولطف السهولة وحسن الانسجام وأما العميان فما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلي

كلامه جامع وصف الكمال كما * يهيج الشوق أنواعا من الرزم

قد تقرر ان الكلام الجامع هو أن يأتي الناظم ببيت جملته حكمة أو موعظة أو غير ذلك من الحقائق التي تجري مجرى الامثال وليس بين الشطر الاول من البيت وبين الشطر الثاني مناسبة ولا بناس ملاءمة ولم أر لجريان المثل دخولا في باب هذا البيت وبيت بديعيتي

جمع الكلام اذا لم تغن حكمته * وجوده عند اهل الذوق كالعدم

حكمة هذا البيت ما جرت مثلها على هذا النمط الا بعلم المتيقظ أن فيه اشارة لطيفة الى بيت عزالدين فانه قررت انه ليس في كلامه الجامع ما يشعر بحكمة تجري مجرى الامثال

فوجوده

الامام فأسوقها منظومة الصدر الى العجز كما يساق الماء الى الارض الجرز وانا من مفتتح اليوم الى مختتمه ومن قرن النهار الى قدمه قاعد كالكركي أو الديك الهندي في هذا الادحي يعرني اولو الحلي والحلل ويجتازونه اولو الخيل والخول وارباب النعم والدول وما انا والنظر الى ما يليني والسؤال عما لا يعنيني واليوم لما اقتضضنا غدوة الصباح ملأت اجفاني من منظر ما احوجه الى عيب يصرف عين كماله عن جماله فقلت لمن حضر من هذا فأخذوا يحركون الرؤس استطرافا لحالي ويتغامزون تعجبا من سؤالي وقالوا هو الشيخ الفاضل ابو ابراهيم اسمعيل بن احمد فقلت حرس الله مهجته وادام غبطته فكيف الوصول

(الكلام الجامع)

قوله مطلبه في نسخة راحته

فوجوده عند أهل الذوق كالعدم والله الموفق

(ذكر المناقضة)

(الى ناقضهم ان ازمعوا ونأوا * وجرّ نمل ثبيرا اثر عيسهم)

المناقضة تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط فكأن المتكلم ناقض نفسه فى الظاهر اذ شرط وقوع امر بوقوع نقيضين ومثاله قول النابغة

وانك سوف تحكم أو تناهى * اذا ماشبت أو شاب الغراب

فان تعليقه وقوع حكم المخاطب على شيبه ممكن وعلى شيب الغراب مستحيل ومراده الثانى لا الاوّل لان مقصوده أن يقول انك لاتحكم أبدا والفرق بين المناقضة وبين نفى الشئ بايجابه أن هذا الباب ليس فيه نفى ولا ايجاب ونفى الشئ بايجابه ليس فيه شرط وبيت الشيخ صفى الدين فى المناقضة

وانى سوف اسلوهم اذا عدمت * روحى وأحييت بعد الموت والعدم

فتعليق الشرط بين النقيضين الممكن والمستحيل ظاهر والبيت فى غاية الحسن والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت عز الدين

انى أناقض عهد النازحين اذا * ماشاب عزمى وشبت شهوة الهرم

الشيخ عز الدين قرر فى بيته وشرحه ان شيب العزم ممكن وشباب شهوة الهرم مستحيل فرأيت تصوير شيب العزم وامكانه وسبك استعارته فى قالب التشبيه كما تقرر فى باب الاستعارة فيه اشكال فانهم قالوا الاستعارة هى ادّعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه ولم ار فى شيب العزم وجها للمبالغة فى التشبيه وعلى كل تقدير فالممكن والمستحيل فى بيت عز الدين فيهما نظر وبيت بديعيتى

الى اناقضهم ان أزمعوا ونأوا * وجرّ نمل ثبيرا اثر عيسهم

تعليق الشرط على الممكن والمستحيل فى هذا البيت أوضح من الكلام عليه والله اعلم بالصواب

(ذكر التصدير وهورد العجز على الصدر)

(ألم اصرح بتصدير المديح لهم * ألم أهدّد ألم أصبر ألم ألم)

هذا النوع الذى هو ردّ الاعجاز على الصدور سماه المتأخرون التصدير والتصدير هو أخف على المستمع وأليق بالمقام وقد قسمه ابن المعتز على ثلاثة اقسام الاوّل ماوافق آخر كلمة فى البيت آخر كلمة فى صدره أو كانت مجانسة لها كقول الشاعر

يلفى اذا ما كان يوم عرمرم * فى جيش رأى لايفل عرمرم

والثانى ماوافق آخر كلمة فى البيت اوّل كلمة منه وهو الاحسن كقول الآخر

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع

ومثله

تمنت سليمى أن أموت صبابة * وأهون شئ عندنا ما تمنت

(المناقضة)

الى خدمته وابن مأتى معرفته فقالوا ان الشيخ الامام يضرب فى مودّته بالمعلى ويأخذ بالحظ الاوفى فان رأى الشيخ الامام اطال الله بقاءه ان يجعل عنايته حرف الصلة وتفضله لام المعرفة فعل ان شاء الله تعالى

(وله الى ابى نصر المرزبان) الشيخ الفاضل اطال الله بقاءه وادام تأييده يجل قدمه أن يقصد خدمه ويذهب بنفسه عن مباسطة الاوساط فكيف عن مخالطة السقاط وقد رضينا منه ان يألف صدريته ويعمر بطن دسته ونحن على قدم الصغر نأتيه فلم يرب بل كم يحجب وقد ترددت الى زيارته حتى استحييت من جيرانه وما كنت لاحرص على من يشره الى لولا مااسمع من شريف أخلاقه وبلغنى

(التصدير)

قوله تعليق الشرط المناسب المشروط وكذا يقال فيما بعد

قوله فتعليق الشرط المناسب المشروط على الخ

قوله يلطم وجهه فى نسخة يشتم عرضه

ومثله   سكران سكر هوى وسكر مدامة * أنى يفيق فتى به سكران

وشاهد الجناس في هذا الباب للسري الرفاء

يسار من سجيتها المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار

والاكثر أن تكون الكلمة التي في العجز عين الكلمة التي في الصدر لفظا وان قبل اللفظ اشتراكا زاد النوع حسنا مثاله

ذوائب سود كالعناقيد أرسلت * فمن أجلها منا النفوس ذوائب

والقسم الثالث ما وافق آخر كلمة في البيت بعض كلام في أي موضع كان كقول الشاعر

سقى الرمل صوب مستهل غمامه * وما ذاك الا حب من حل بالرمل

هكذا عرف ابن المعتز هذا القسم الثالث من التصدير لكن قال ابن أبي الاصبع ان هذا التعريف مدخول وصدق فان ابن المعتز قال في أي موضع كان والكلمة اذا كانت في العجز لم تسم تصديرا الا ان اشتقاق التصدير من صدر البيت فلابد من زيادة قيد في التعريف يسلم به من المدخل بحيث يقول بعض كلمات البيت في أي موضع كانت من صدره قال ابن ابي الاصبع أيضا الذي يحسن أن يسمى به القسم الاول تصدير التقفية الثاني تصدير الطرفين الثالث تصدير الحشو وقد وقع من القسم الاول في الكتاب العزيز قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ومن القسم الثاني قوله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين ومن القسم الثالث قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قال ابن أبي الاصبع وفي التصدير قسم رابع ذهب عنه ابن المعتز وهو أن يأتي فيما الكلام فيه متنى واعتراض فيه اضراب عن أوله كقول الشاعر

فان تك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

وقد جاء قدامة من التصدير بنوع آخر كما ذكرناه وسماه التبديل وهو ان يصير المتكلم الاخير من كلامه أولا أو بالعكس كقولهم اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك قال ابن أبي الاصبع لم أقف لهذا النوع على شاهد شعري فقلت

اصبر على خلق من تصاحبه * واصحب صبورا على أذى خلقك

أصحاب البديعيات نظموا القسم الثاني الذي قرره ابن المعتز وهو ما وافق آخر كلمة من البيت أول كلمة فيه وهو الذي وقع الاتفاق على انه الاحسن وبيت الشيخ صفي الدين رحمه الله

في تحدث عن سرى فما ظهرت * سرائر القلب الا من حديث في

هذا النوع أعني التصدير ما برحت السهولة نازلة بأكناف أذياله فانه سهل المأخذ ويتعين على الاديب المعنوي ان لا يتركه ساذجا من نكتة أدبية يزداد بها بهجة فان الشيخ صفي الدين مع عدم تكلفه بتسمية النوع وسبكه في قالب التورية من جنس الغزل لم يأت به الا ساذجا وبيت العميان في بديعيتهم

وحقهم ما نسينا عهد حبهم * ولا طلبنا سواهم لا وحقهم

لعمري ان بيت الشيخ عز الدين في هذا النوع اعمر من بيت الصفي ومن بيت العميان فانه مع التصريح بتورية التسمية حلى نوع التصدير بمكررها في طرفي بيته وهو

فهم

ان خزانته تشتمل من كتب الادب على ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فان كان في جملتها ما يستغنى عنه سحابة اسبوع عقد به منة لدي واعارنيه وله في الفضل رأيه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

لا ازال اطال الله بقاء مولاي الشيخ لسوء الانتقاد وحسن الاعتقاد ابسط يمين العمل وامسح جبين الخجل ولضعف الحاسة في الفراسة احسب الورم شحما والسراب شرابا حتى اذا تجشمت موارده لاشرب بارده لم اجده شيأ وما حسبت الشيخ ممن تحبه هذه الجملة وتشمله هذه الجملة حتى عرضت على النار عوده وسبرت بالسؤال جوده وكانت استعير حلية كمال سحابة يوم أو شطوة بل مسافة ميل أو قدره

(قوله بأكناف اذياله) في نسخة بأكناف ابياته

فهم بصدر جمال عجز عاشقه * عن وصله ظاهر عن باهت فهم

وبيت بديعيتي

ألم اصرح بتصدير المديح لهم * ألم اهتد ألم أصبر ألم ألم

ديباجة التورية في عجز هذا البيت وصدره لا تخفى على صاحب الذوق السليم ولو استقل هذا البيت بنظم نوع التصدير بمجرده لم يكن تحته كبير أمر كبيت الحلي وبيت العميان

(ذكر القول بالموجب)

قولي له موجب اذ قال انفقهم * تسل قلت بناري يوم فقدهم

القول بالموجب ويقال له اسلوب الحكيم والناس فيه عبارات مختلفة منهم من قال هو أن يخصص الصفة بعد أن كان ظاهرها العموم أو يقول بالصفة الموجبة للحكم ولكن يثبتها الغير من أثبتها المتكلم وقال ابن ابي الاصبع هو ان يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام فيعمد المخاطب الى كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم وذلك عين القول بالموجب لان حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه قال صاحب التلخيص في تلخيصه وايضاحه القول بالموجب ضربان أحدهما ان تقع صفة من كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم وانتفائه كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن فريق المؤمنين وأثبتوا للاعز الاخراج فاثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم انتهى كلام صاحب التلخيص ومنه قول القبعثري للحجاج لما توعده فقال لاحملنك على الادهم والمراد به القيد فرأى القبعثري ان الادهم يصلح للقيد والفرس فحمل كلامه على الفرس وقال مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فصرف الوعيد بالهوان الى الوعد بالاحسان وفي هذا ما لا يخفى على المتأدب من حسن التلطف وشدة الباعث على فعل الخير اذ لا يليق عن له همة عالية ان يقال له مثلك من يفعل الخير فيقول لا بل أفعل الشر والقسم الثاني من كلام صاحب التلخيص ان القول بالموجب هو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه وهذا القسم الذي تداول بين الناس ونظمه أصحاب البديعيات كقول ابن حجاج

قال ثقلت اذ أتيت مرارا * قلت ثقلت كاهلي بالايادي

قال طولت قلت أوليت طولا * قال أبرمت قلت حبل ودادي

وحذاق البديع اخلوا هذا الباب من لفظة لكن فانهم خصوا بها نوع الاستدراك بحيث يفرق بينهما فرق دقيق وهذا هو الفرق ومن احسن ما وقع في هذا النوع قول محاسن الشواء

ولما أتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للعمى قارض

وقد بهتوا لما رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

القول بالموجب

فغاص في الفطنة غوصا عميقا وتطرف في الكيس نظرا ادقيقا وقال هذا مشحوذ المديه في أبوابه الكديه قد جعل الاستعارة طريق افتراسها وسببا الى احتباسها وقدمني ضرسه وحدث بالمحال نفسه ولا أضيفه في هذا الباب أحسن من التغافل عن الجواب فضلا عن الصواب وكلا فاني أبواب الردائع مما شرع وفي شرائع الفضل اظهر مما شرع ثم العذر من جهتي مبسوط ان بسطه الفضل ومقبول ان قبله المجد وانما كانت لاعبد المال القديمة وأشترط له على نفسي ان اريحه من سوم الحاجات من بعد فمن لا يستحي من أعطى لم يستح له من اغضى وعلى حسب

وأورد الشهاب محمود فى كتابه المسمى بحسن التوسل الى صناعة الترسل بيت الارجانى فى الاستدراك شاهدا على هذا النوع وهو

غالطتنى اذ كست جسمى ضنى * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

فقد تقرر ان لفظة لكن خصص بها اهل البديع نوع الاستدراك لاجل الفرق بينه وبين القول بالموجب ولم يستشهدوا على نوع الاستدراك بغير بيتى الارجانى قال الشهاب محمود فى البيتين انه اعجبه معناهما ونظم فيه قوله وهو شاهد على القول بالموجب

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

وبيت الحلى

قالوا سلوت لبعد الالف قلت لهم * سلوت عن صحتى والبر من سقمى

فقوله سلوت عن صحتى هو جعل لفظ وقع من كلام الغير على خلاف مراده وبيت العميان اوردوه بحرف الاستدراك وهو

كانوا غيوثا ولكن للعفاة كما * كانوا ليوثا ولكن فى عداتهم

رأيت ترك الكلام على هذا البيت اليق بالمقام وبيت عز الدين الموصلى

قالوا أمدام الهوى قول بموجبه * تسل قلت شبابى من يد الهرم

لما قال الشيخ عز الدين بعد تسل شبابى من يد الهرم علمنا انها الكلمة التى أشار اليها ابن أبى الاصبع وقال ان المخاطب يعكس بها معنى كلام المتكلم وهو عين القول بالموجب وتسل هنا احسن من سلوت فى بيت الحلى فان تسل يقبل الاشتراك ومراد المتكلم هنا داء السل فعاكسه المخاطب بسل الشباب من يد الهرم ونقلها باشتراك التورية الى الوجه الذى أراده ولم يخرج عن موضوعها فى معنى السل الذى لم يخرج عن الوجهين غيران قول الموصلى مدام الهوى قول بموجبه لم يخل من شدة العقادة وبيت بديعيتى

قولى له موجب اذ قال اشفقهم * تسل قلت بنارى يوم فقدهم

فلفظة تسل هى الكلمة المعتمد عليها فى عكس معنى كلام المتكلم من المخاطب فان المتكلم أراد السلو فى لفظة تسل وهى فعل امر فعاكسه المخاطب بالاشتراك ونقلها بالتورية الى صفة التسلى بالنيران فانه لما قال له تسل قال بنارى يوم فقدهم ورقة البيت وانسجامه لا تخفى على اهل الذوق السليم والله أعلم

(ذكر الهجو فى معرض المدح)

(وكم بمعرض مدح قد هجوتهم * وقلت سدتم بحمل الضيم والتهم)

هذا النوع من مستخرجات ابن ابى الاصبع وهو ان يقصد المتكلم هجاء انسان فيأتى بالفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه كقول الحماسى

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا

جوابه أجرى المودة من بعد فان رأى ان يجيب فعل ان شاء الله

(وله كتبها الى سهل بن محمد ابن سليمان)

انا اذا طويت اليوم عن خدمة الشيخ والآن لم ارفع له بصرى ولم اعده من عمرى فكأنى بالشيخ اذا اخللت بفروض خدمته من قصد حضرته والمثول فى جملة حاشيته وجملة غاشيته يقول ان هذا الجائع لما شبع وتضلع واكتسى وتشقع وتجلل وتبرقع وتربع وترفع فما يطوف بهذا الجناب ولا يطير بهذا الباب وانا الرجل الذى آواه من قفر واغناه من فقر وآمنه من خوف اذا لاح بوادى عوف حتى اذا وردت عليه رقعتى هذه وأعارها طرف كرمه وظرف

الهجو فى معرض المدح

كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا

فظاهر هذا الكلام المدح بالحلم والعفة والخشية والتقوى وباطنه المقصود أنهم في غاية الذل وعدم المنعة وظريف قول بعضهم في الشريف ابن الشجري

ياسيدي والذي يعيذك من * نظم قريض يصدى به الفكر
مافيك من جدك النبي سوى * انك لا ينبغي لك الشعر

ومن ملح هذا الباب قول ابن سنا الملك في قواد

لي صاحب افديه من صاحب * حلو التأني حسن الاحتيال
لوشاء من رقة الفاظه * ألف مابين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما * قاد الى المهجور طيف الخيال

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع لقد تشبثت بأذيال القاضي السعيد بن سنا الملك في هذا النوع بقولي فيمن ادعى الفقه والكرم

ان فلانا أكرم الناس لا * يمنع ذا الحاجة من فلسه
وهو فقيه ذو اجتهاد وقد * نص على التقليد في درسه
فيحسن البحث على وجهه * ويوجب الدخل على نفسه

والفرق بين الهجاء في معرض المدح وبين التهكم ان التهكم لاتخلو ألفاظه من اللفظ الدال على نوع من انواع الذم أو لفظة توهم من فحواها الهجو والفاظ المدح في معرض الذم لايقع فيها شيء من ذلك ولاتزال تدل على ظاهر المدح حتى يقترن بها مايصرفها عنه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

من معشر يرخص الاعراض جوهرهم * ويحملون الاذى من كل مهتضم

فقوله ويحملون الاذى من كل مهتضم ينظر الى قول الحماسي (يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة) والمراد بما أبطنه الذل وعدم المنعة والعميان لم ينظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

في معرض المدح تهجى من قبيلته * أعراضهم بين معمور ومنهدم

الذي أقوله ان الشيخ عز الدين قفل مصراعي بيته ومنع الافهام من الدخول اليه فاني لم أجد فيه مايدل على مجرد المدح ولا اقترن به مايصرفه الى صيغة الهجو بل اقول وأنا استغفر الله ان هذا البيت اجساد الفاظه مادب فيها من المعاني روح وليس له بهذا النوع المام وبيت بديعيتي

وكم بمعرض مدح قد هجوتهم * وقلت سد تم بحمل الضيم والتهم

فحمل الضيم ينظر الى قول الحماسي اذ ظاهره الحلم والحسن وباطنه الذل وعدم المنعة ولكن حمل التهم هو الغاية القصوى في ظاهره وباطنه والله اعلم

وشبهه وتطرمن عنوانه فى اسمى قال بعد وصفها وتباوحتنا وتحتا وطعنا ولعنا فما اكذب سراب اخلاقه واكثر اسراب نفاقه فالآن انحل عن عقدته وانتبه من رقدته وكاتبني يستعيدني كلا لاأزوجه الرضا ولا قلامة ولاامضه ولا كرامة وادعه يركب راسه فستأتيني به الليالى والكيس الخالي ثم أريه ميزان قدره وأذيقه وبال أمره واذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال مأربة لاحفاوة وطرساقه لانزاع شاقه فهذا بذا ولا ابعد من تلك الهمم العاليه والاخلاق الساميه أن يقول مرحبا بالرقعة وكاتبها واهلا بالخاطبة وصاحبها وقضاء الحاجة بالخاتها وابرازها وهى الرقعة التى سالت الى من القسنه كما اقترحته بما طالبته فرأيه فيه موفق ان شاء الله تعالى

الاستثناء

(ذكر الاستثناء)

(عفت القدود فلم استثن بعدهم * الامعاطف أغصان بذي سلم)

الاستثناء استثنا آن لغوي وصناعي فاللغوي اخراج القليل من الكثير وقد فرع النحاة من ذلك في كتبهم فروعا كثيرة والصناعي هو الذي يفيد بعد اخراج القليل من الكثير

معنى يزيد على معنى الاستثناء ويكسوه بهجة وطلاوة ويميزه بما يستحق به الاثبات فى ابواب البديع كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس فان فى هذا الكلام معنى زائدا على مقدار الاستثناء وذلك اعظام الكبيرة التى أتى بها ابليس من كونه خرق اجماع الملائكة وفارق جميع الملا الاعلى بخروجه مما دخلوا فيه من السجود لآدم وذلك مثل قولك أمر الملك بكذا وكذا فأطاع أمره جميع الناس من أمير ووزير الا فلانا فان الاخبار عن معصية هذا العاصى بهذه الصيغة مما يعظم أمر معصيته ويفخم مقدار كبريائه بخلاف قولك أمر الملك بكذا فعصاه فلان ومثاله قوله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فان فى الاخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة تهويلا على السامع لتمهيد عذر نوح عليه السلام فى الدعاء على قومه وان فى حكمة الاخبار عن المدة بهذه الصيغة العظيمة تعظيمها لكون اول ما يباشر السمع ذكر الالف والايجاز فى اختصار هذا اللفظ بهذه البلاغة العظيمة ظاهر فان لفظ القرآن اخصر واوجز من قولنا تسعمائة سنة وخمسين عاما ولفظ القرآن بتقييد حصر العدد المذكور لا يحتمل الزيادة عليه ومثله قوله تعالى فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فالله تعالى لما علم ان وصف الشقاء يعم المؤمن العاصى والكافر استثنى من خلودهم فى النار بلفظ مطمع حيث اثبت الاستثناء المطلق واكده بقوله ان ربك فعال لما يريد أى أنه لا اعتراض عليه فى اخراج أهل الشقاء من النار ولما علم ان أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة استثنى من خلودهم ماينفى الاستثناء حيث قال عطاء غير مجذوذ أى مقطوع وهذه المعانى فى هذه الآيات الشريفة زائدة على الاستثناء اللغوى ومن امثال الاستثناء اللغوى فى الشعر قول النميرى

فلو كنت بالعنقاء أو بأطومها * لخلتك الا أن تصد ترانى

هذا الاستثناء فى غاية الحسن فانه تضمن المبالغة فى زيادة مدح الممدوح وذلك ان هذا الشاعر يقول انى لو كنت فى حيز العدم لان العرب تضرب المثل بالعنقاء لكل شئ متعذر الوجود لخلتك متمكنا من رؤيتى ليس لك مانع يمنعك عنى فالزيادة هنا فى غاية اللطف وهى قوله الا أن تصد فانت فى القدرة على غير ممنوع وهذا غاية المبالغة فى المدح ومن الاستثناء نوع سماه ابن أبى الاصبع استثناء الحصر وهو غير الاستثناء الذى يخرج القليل من الكثير ونظم فيه قوله

البك والا ما تحث الركائب * وعنك والا فالمحدث كاذب

فان خلاصة هذا البيت قول الناثر للممدوح * لا تحث الركائب الا اليك ولا يصدق المحدث الا عنك وهذا الحصر لا يحسن فى الاستثناء الاول فانه لو قال سبحانه وتعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وعاما صح لولا توخى الصدق فى الخبر وقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس لا يمنع ان يقال ورهطه لولا مراعاة الصدق فى الخبر وعلى منوال

(وله أيضا)
الشيخ السيد اطال الله بقاءه اذاوصل فى بيدى يدملم المس الجوزاء الا قاعدا وقد ناطها منة فى عنق الدهر وصاغها اكليلا لجبين الشكر وماقصر يدى عن المقابلة ولسانى عن الثناء وهذا الجاهل قد عرف نفسه وقلع ضرسه ورأى ميزان قدره وذاق وبال أمره وجهز الى كتيبة من زاجرات فاطلقن العويل والاليل وبعثنى شفيعا الى واستعن بى على وتوسلن بكلمة الاستسلام ولحمة الاسلام فى معنى هذا الغلام فان احب الشيخ ان يجمع فى الطول رأه الحوض الى العفو ويتطلم فى الفصل بين الروض والمطر شفع فى اطلاقه مكارمه وشرف بذلك خادمه وانجز نا بالافراج عنه موفقا ان شاء الله تعالى

الاستثناء الاول الذى هو العمدة فى هذا الباب نظم أصحاب البديعيات وهو اخراج القليل من الكثير بزيادة معنى بديع يزيد على معنى الاستثناء فبيت الشيخ صفى الدين الحلى

فكل ماسر قلبى واستراح به * الا الدموع عصانى بعد بعدهم

فبيت صفى الدين هنا غير خال من العقادة ومراده فيه أن كل شئ كان يسره قبل الفراق ويطيعه عصاه الا الدموع فانها اطاعته ومعنى هذه الزيادة اللطيفة لايخفى على اهل الذوق والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

الناس كل ولا استثنا لى عذروا * الا العذول عصانى فى ولائهم

مراد عز الدين فى زيادة معناه على معنى الاستثناء ان عذوله خالف الاجماع وبيت بديعيتى

عفت القدود فلم استثن بعدهم * الا معاطف اغصان بذى سلم

قال الله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون * هذا البيت ما أعلم انى اذا اطنبت فى وصفه يكون الاطناب لشدة فرحى به لكونه نظمى أولان الامر على حقيقته فان زيادة معناه على معنى الاستثناء وغرابة اسلوبه وشرف نسيبه وحسن انسجامه وسهولة الفاظه ومراعاة نظيره لاتخفى على المنصف من اهل الادب وأما ترشيح تورية الاستثناء بذكر القدود والمعاطف فانه من النسمات التى حركت القدود والمعاطف والتكميل بذى سلم لكون القصيدة نبوية فى غاية الكمال والذى أقوله انه مايدخل نظر المتأمل الى بيقاعمر منه فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

(ذكر التشريع)

(طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا فى ظلالهم)

هذا النوع اعنى التشريع سماه ابن أبى الاصبع التوأم وأراد بذلك مطابقة التسمية للمسمى فان هذا النوع شرطه أن يبنى الشاعر بيته على وزنين من أوزان القريض وقافيتين فاذا أسقط من اجزاء البيت جزأ أو جزأين صار ذلك البيت من وزن آخر غير الاول كقول الحريرى

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دار متى ماأضحكت فى يومها * ابكت غدا تبالها من دار

وهى قصيدة كاملة معروفة فى مقاماته من ثانى الكامل وتنتقل بالاسقاط الى ثامنه فتصير

ياخاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى

دار متى ماأضحكت * فى يومها ابكت غدا

وزيادة القافيتين ظاهرة وقع قبل كلام الحريرى من كلام العرب فى هذا الباب

واذا الرياح مع العشى تناوحت * هوج الرمال بكثبهن شمالا

الفيتنا نقرى الغبيط لضيفنا * قبل القتال ونقتل الابطالا

فان هذا الشاعر لو اقتصر على الرمال والقتال لكان الشعر من الضرب المجزو المرفل من الكامل وهو

واذا الرياح مع العشى تناوحت هوج الرمال

التشريع

(وله ايضا)

خلقت أطال الله بقاء السيد مروح عنان الصبر جموح جنان الحلم فسيح رقعة الصبر حولا لوتمد فى الردى لصرت اليه مشرق الوجه راضيا

خلقت ألوفا لورددت الى الصبا لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

وولله لاحيلن استمالة السيد على الايام وليصلنه ولا كلن احالة رأيه فى الى الليالى وليكلنه ولادعنه يرى القدح فوالله لم يشنه ولا ازال اصفيه الولاء واسنيه الثناء وأفرش له من صدرى الدهناء واعيره أذنا صماء حتى يعلم أى علق باع وأى فتى اضاع وليقفن السيد منى موقف اعتذار وليطلن بنصح انى الواشون أم بحبول

الفيتنا نفري الغبيط لضيفنا قبل القتال

فاذا أتممت البيتين صارا من الضرب التام المقطوع منه وصار لكل بيت من هذين البيتين قافيتان ولاشك أن هذا النوع لا يأتي الا بتكلف زائد وتعسف فانه راجع الى الصناعة لا الى البلاغة والبراعة اذ وقوع مثل هذا النوع في الشعر من غير قصد له نادر ولا يحسن أن يكون في النثر فانه ما يقع فيه الا ترصيعا ولا يظهر حسنه الا في النظم لان فيه الانتقال من وزن الى وزن آخر فيحصل بذلك من الاستحسان ما لا يحسن في النثر لان النثر على كل حال كلام مسجوع ليس فيه انتقال من وزن الى وزن وأوسع البحور في هذا النوع الرجز فانه قد وقع مستعملا تاما ومجزوا ومشطورا ومنهوكا فيمكن أن يعمل للبيت منه أربع قواف فاذا أسقطت ما بعد القافية الاولى بقي البيت منهوكا فاذا أسقطت ما بعد الثانية بقي البيت مشطورا فاذا أسقطت ما بعد الثالثة بقي مجزوا واذا لم تسقط شيأ كان تاما ولابي عبد الله محمد بن جابر الضرير الاندلسي ناظم البديعية في غير بديعيته المذكورة هنا

يرنو بطرف فاتر مهما رنا * فهو المنى لا أنتهي عن حبه
يهفو بغصن ناضر حلو الجنى * يشفي الضنا لاصبر لى عن قربه
لو كان يوما زائرى زال العنا * يحلو لنا في الحب أن نسمى به
انزلته في ناظرى لما دنا * قد سرنا اذ لم يحل عن صبه

فهذه الابيات من الرجز التام وهو الضرب الاول منه فاذا تركتها على حالها فهي من التام واذا أسقطت من البيت الاول لا أنتهي عن حبه ومن الثاني لاصبر لى عن قربه ومن الثالث في الحب أن نسمى به ومن الرابع اذ لم يحل عن صبه صارت من الرجز المجزو وان أسقطت من البيت الاول قوله فهو المنى الى آخره ومن الثاني يشفي الضنا الى آخره ومن الثالث يحلو لنا الى آخره ومن الرابع قد سرنا الى آخره صارت من الرجز المشطور وان اسقطت من الاول قوله مهما رنا ومن الثاني حلو الجنى ومن الثالث زال العنا ومن الرابع لما دنا صار من الرجز المنهوك ولكن القوة في ذلك والمكنة في ملكة الاديب أن يأتي بالتشريع في بيت واحد وهذا هو المطلوب من نظام البديعيات لاجل الاستشهاد بابياتهم على كل نوع لاسيما الملتزم بتسميته على الصيغة فانه لو جاء بالتسمية والنوع في بيتين بطل حكم التورية وخرج عن شروط البديعيات وبيت الشيخ صفي الدين

فلو رأيت مصابي عندما رحلوا * رثيت لي من عذابي يوم بينهم

يخرج له من هذا البيت * فلو رأيت مصابي * رثيت لي من عذابي
وهو مجزو المجتث وبيته عند العروضيين

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

وقد تعين ايراد ما نظمه ابو عبد الله الضرير في البيتين لاجل المعارضة وهما

واف كريم رحيم قد وفى ووقى * فعم نفعا فكم ضرا شفى فكم
فقم بنا فلكم نقرا كفي كرما * وجود تلك الايادي قد صفا فقم

اقول لو اختصر العميان هذين البيتين واضافوهما الى ما اختصروه من البديع لكان أجمل

ولست أقول يا حالف حلا ولكن يا عاقد اذ كرحلا ولست ممن يشكو الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذى رهطه لو يستاق الى الكفر من يدي سبطه ولكني اقول

هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

وانا أعلم ان السيد لا يخرج عن تلك الحلبة بهذه الرقبة وان جوابه يكون اخشن من لقائه فان نشط للاجابة فليكن المخاطبة قرأت رقعتك فهو أخف مؤنة واقل تبعة والسلام

(وله أيضا)

مرحبا بسلام الشيخ ولا كالسرور بطلعته قد وصلت قصيته لشكرتها وعدته الجميلة بالحضور غدا فانتظرتها ودعوت الله ان يطوى ساعات النهار ويزج الشمس في المغار ويقرب مسافة الفلك ويرفع البركة عن سيره ويجهز الحركة الى دوره وييسر لي بوفد الظلام وقد نزل ثم لا يلبث الا ريثما يرحل

بهم فانهم اسقطوا من انواع البديع نحو السبعين وقصد الناظم فيهما عن البيتين أنك اذا اسقطت من البيت الكامنة الموازنة لفعلن من آخر كل نصف وهما قوله وورق وقوله فكم صار الوزن من الضرب الاول من البسيط وهو التام الى الضرب الثالث منه وهو المجزو لانه قد حذف منه جزء من آخر كل نصف فصار

وافٍ كريم رحيم قد وفى * وعم نفعا فكم ضر اشفى
فقم بنا فلكم فقرا كفى * وجود تلك الايادي قد صفا

وهذا مع ركته وثقالة نظمه غير المشهور من البسيط فانه لم يشتهر منه سوى العروض الاولى المخبونة ووزنها فعلن ولها ضربان المشهور منها الاول وهو مخبون مثلها وبيت الشيخ عز الدين

وفي الهوى ضل تشريع العذول لنا * وكم هوى في مقال ذل من حكم

اخبر ان تشريع العذول في حكم الهوى ضلال حتى يرشح بتورية التشريع في تسمية النوع ويخرج من بيت الشيخ عز الدين بيت من قافية أخرى من منهوك الرجز فنصفه في الشطر الاول وفي الهوى وفي الشطر الثاني وكم هوى وهذه عبارته في شرحه بنصها فصار باقي البيت بدون الجزأين الاولين

ضل تشريع العذول لنا * في مقال ذل من حكم

وهذا البيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد ووزنها فعلن وشاهدها

للفتى عقل يعيش به * حيث تهدى ساقه قدمه

ولقد برز الشيخ عز الدين في ذلك على متقدميه فان الشيخ صفي الدين لم يحصل له بيتان من بيت ولا للشيخ ابي عبد الله الضرير ولكن قال الشيخ عز الدين في شرحه ان هذا النمط ما وقع للمتقدمين وهو معجز ليس لاديب عليه قدرة وبسط العبارة في الدعوى بسببه فاردت ان لا انسج في الشرح على غير منواله فقلت

طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا في ظلالهم

فيخرج من بيتي

* طاب اللقا * على النقا *

وهو بيت بقافية أخرى من منهوك الرجز كبيت الشيخ عز الدين ولكن شتان بين قولي * طاب اللقا * على النقا * وبين قوله * وفي الهوى * وكم هوى * فان بيته لا تتم به فائدة ولا يحسن السكوت عليه وصار باقي بيتي بدون الجزأين الاولين

لذ تشريع الشعور لنا * فنعمنا في ظلالهم

وهو بيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد وهي التي رتب عز الدين عليها ما بقي من بيته

ضل تشريع العذول لنا * في مقال ذل من حكم

ولكن الفرق في تشريع الشعور ظاهر والتورية في قوله فنعمنا في ظلالهم عند ذكر الشعور كلاهما سائغ عند أهل الادب وهذا البيت مع صعوبة مسلك هذا النوع اجتمع فيه من انواع البديع السهولة والانسجام والتورية في موضعين والتمكين في القافية والجناس المطلق

وبعثت بما طاب سمعا وطاعة والنسخة اسقم من اجفان الغضبان والشيخ سيدي اعزه الله يركض قلمه في اصلاحها ثم معروفه وحبذا في غدهو وقد طلع كالصبح اذا سطع والبرق اذا لمع

يا مرحبا بغد ويا أهلا به ان كان المام الاحبة في غد

حاجتي أطال الله بقاء الشيخ الى امثال افعل شديدة وحسرتي على رد هذا الكتاب أشد لكن مولاي أدام الله لا يعبر حتى يرد فان رأى أن يردهما جميعا جمع في الطول بين الروض والمطر والا فرأيه اولى

(وله الى أبي سعيد بن نور حين دخل عليه فقام له فلما خرج من عنده ترك القيام ولم يقم فكتب)

كان يعجبني من الشيخ اطال الله بقاءه بعد ان عرف حق خدمتي له وهجرتي اليه ومدحتي فيه ان لا يسير مع المطلوب خطبا ولجمع الخصوم حزبا ومع الزمان البا وما كنت لاعتب

بين تشريع وشعور والتذييل البديعي فانى اتيت بجملة بعد تمام الكلام الاول زادت معناه تحقيقا وتوكيدا وجرت مجرى المثل وفيه نوع التشريع الذى هو المقصود هنا والله أعلم

(ذكر التتميم)

(بكل بدر بليل الشعر تحسده * بدر السماء على التتميم فى الظلم)

التتميم كان اسمه التمام وانما سماه الحاتمي التتميم وسماه ابن المعتز اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه والتتميم عبارة عن الاتيان فى النظم والنثر بكلمة اذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه وهو على ضربين ضرب فى المعانى وضرب فى الالفاظ فالذى فى المعانى هو تتميم المعنى والذى فى الالفاظ هو تتميم الوزن والمراد هنا تتميم المعنى ويجيء للمبالغة والاحتياط كقول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام وديمة تهمى

فقوله غير مفسدها احتراس واحتياط ويجيء فى المقاطع والحشو واكثر مجيئه فى الحشو ومثاله قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فقوله من ذكر أو أنثى تتميم وقوله وهو مؤمن تتميم ثان فى غاية البلاغة التى بذكرها تم معنى الكلام وجرى على الصحة ولو حذفت الجملتان نقص معناه واختل حسن البناء ومن هذا القسم قول النبى صلى الله عليه وسلم مما انفرد به مسلم ما من عبد مسلم يصلى لله كل يوم ثنتى عشرة ركعة من غير الفرائض الا بنى الله له بيتا فى الجنة فوقع التتميم فى هذا الحديث فى أربعة مواضع منها قوله مسلم ومنها قوله لله ومنها كل يوم ومنها قوله من غير الفرائض ومن اناشيد قدامة على هذا القسم

اناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضب

فقوله ويعطوه تتميم فانه فى غاية الحسن فانه شاهد على ما جاء منه للاحتياط ومثال ما جاء منه للمبالغة قول زهير

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

فقوله على علاته تتميم للمبالغة وغاية الغايات فى التتميم للمبالغة قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا فقوله على حبه هو تتميم للمبالغة التى تعجز عنها قدرة المخلوقين وأما التتميم الذى جاء فى الالفاظ فهو الذى يؤتى به لاقامة الوزن بحيث انه لو طرحت الكلمة استقل معنى البيت بدونها وهو على ضربين أيضا كلمة لا يفيد مجيئها الا اقامة الوزن وأخرى تفيد مع اقامة الوزن ضربا من المحاسن فالاولى من العيوب والثانية من النعوت والمراد هنا الثانية لا الاولى ومثالها قول المتنبى

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتى لظننت فيه جهنما

فانه جاء بقوله ياجنتى لاقامة الوزن فافاد تتميم المطابقة وهو ضرب من المحاسن المشار اليها ولقد وهم جماعة من المؤلفين وخلطوا التكميل بالتتميم وساقوا فى باب التتميم شواهد التكميل وبالعكس وتأتى شواهد التكميل فى مواضعها والفرق بين التكميل والتتميم ان التتميم يرد على الناقص فيتمه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله اذ الكمال أمر زائد على التمام وأيضا ان التمام يكون متمما للمعانى النقص لا لاغراض الشعر ومقاصده والتكميل يكملها وبيت

التتميم

عليه لولا ثقة كانت به منوطة وآمال كانت اليه مبسوطة ثم اختلفت بكل الاختلاف واخلفت كل الاخلاف وكانى بالشيخ يسألنى من جرم هذا اليوم وأنا وهو يجب هذا اللوم واكفيه مؤنة هذا السؤال وانقض اليه جملة الحال ولم لا أحاسبه على الصغائر واناقشه من دقاق الجرائر ولم اشربه غير سائغ الاصل لا يباهى الفرع وامر قديم لا يضاهى الحديث فاقل ما عتب عليه قعوده فى المجلس عما بذله فى أوله وتثاقله فى تجز الامر عما حرص عليه فى صدره من توفير سلام وايفاء قيام على انى دخلت عليه وانا أحمد الهمدانى وخرجت من عنده وأنا أحمد الهمدانى فان كان قيامه قد سعر قعوده ماضر وبلغنى ان كاتبه اباالفضل بن نصرويه حكم الشوارزمى

الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

وكم بذلت طريفى والتليد لكم * طوعا وأرضيت عنكم كل محتصم

فالتتميم فى قوله طوعا فانه أراد به انه لم يبذل ذلك كرها فتم بهذا المعنى والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

والبدر مذلاح فى التتميم دان له * والشمس مذعنة طوعا لمحتكم

قوله فى التتميم هو التتميم بعينه مع زيادة التورية فى التشبيه وقوله طوعا تتميم ثان لكن تقدمه الشيخ صفى الدين بقوله طوعا وأرضيت عنكم كل محتصم وبيت بديعيتى متعلق ببيت النشر بعد الذى قبله وهو

طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا فى ظلالهم

بكل بدر بليل الشعر يحسده * بدر السماء على التتميم فى الظلم

فقولى بليل الشعر هو التتميم الذى يستعار من استعارته المحاسن فانى لو قلت بكل بدر يحسده بدر السماء لصح المعنى ولكن زدت البدر الارضى بقولى بليل الشعر تتميما وحسنا وقولى على التتميم تتميم ثان مع زيادة التورية التى فيها تسمية النوع الملتزم بها وقولى فى الظلم تتميم ثالث ليس له نظير فان به تم المعنى وتمت رتبة اللف والنشر

(ذكر تجاهل العارف)

(وافتر عجبا تجاهلنا بمعرفة * قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم)

تجاهل العارف تسميته لابن المعتز وسماه السكاكى بسوق المعلوم مساق غيره لنكتة المبالغة فى التشبيه وهو عبارة عن سؤال المتكلم عما يعلم سؤال من لا يعلم ليوهم ان شدة التشبيه الواقع بين المتناسبين احدثت عنده التباس المشبه بالمشبه به وفائدته المبالغة فى المعنى نحو قولك أوجهك هذا أم بدر فان المتكلم يعلم ان الوجه غير البدر الا انه لما أراد المبالغة فى وصف الوجه بالحسن استفهم أهذا وجه ام بدر فيفهم من ذلك شدة الشبه بين الوجه والبدر فان كان السؤال عن الشئ الذى يعرفه المتكلم خاليا من الشبه لم يكن من هذا الباب بل يكون من باب آخر كقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى فان السؤال هنا ما وقع لاجل المبالغة فى التشبيه المشار اليه فى تجاهل العارف بل هو لفائدة أخرى اما الايناس لموسى عليه السلام لان المقام مقام هيبة واحترام واما اظهار المعجز الذى لم يكن موسى يعلمه ومنه قوله لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله فان السؤال هنا لم يكن للتشبيه وانما هو توبيخ لمن ادعى فيه ذلك ومن الناس من جعل تجاهل العارف مطلقا سواء كان على طريق التشبيه أو على غيره اذا تقرر هذا فاعلم ان تجاهل العارف من حيث هو انما يأتى لنكتة من نحو مبالغة فى مدح أو ذم أو تعظيم أو تحقير أو توبيخ أو تقرير أو من تدله فى الحب وأنا أذكر أمثلة الجميع هنا فمنه للمبالغة فى الغزل قول الشاعر

اجفون كحيلة ام صفاح * وقدود مهزوزة ام رماح

ومنه للمبالغة فى الشوق وطول الليل

(تجاهل العارف)

على يا القصل فقلت ولم أملك سوابق عبرتى متى كان حكم الله فى كرب النخل واما ذلك الوقح الوقح ولا أعرف اسمه وأحسب ان كنيته أبو الغضنفر وأبو المظفر وما كان فهو اسم مفخم ومعنى مرخم فما أحوجه الى شونيز عقل وسعتر فطانة حتى تعدل مكالمته وما كان أحسن حال السادة عند القاضى حتى يكون حاله نعم استثنت الفصال حتى القرعى وفى غد ان شاء الله نجتمع عند الشيخ القاسم فان رأى ان ياسو ما جرح بان يغشى ذلك المطرح وينفو حاشية النية وطرف الحمية عن العصبية فالحق أولى ما يغضب له والعدل خير ما حكم به فعل ان شاء الله

(وله أيضا الى أبى نصر ابن المرزبان)

كتبت أطال الله بقاء سيدى ومولاى ف

وشوق ما أقاسي أم حريق * وليل ما أكابد أم زمان

وللمبالغة فى الطول

وقفت وقد فقدت الصبر حتى * تبين موقفى أنى المقيد

وشكك فى عذالى فقالوا * لرسم الدار أيكما العميد

ومنه للمبالغة فى الغزل

فى الخيف من ظبيانه سمراء * اقوامها ام صعدة سمراء

ومثله

اثغرك يا هند أبدى ابتساما * ام البرق سل عليه حساما

ومثله قول شرف الدين راجح الحلى

من أطلع البدر فى ديجور طرته * وأودع السحر فى تكسير مقلته

ومن ادار يواقيت الشفاه على * كاس من الدر يحمى خمر ريقته

ويعجبنى من هذا القصيد قوله وان كان من غير ما نحن فيه

يحنو النسيم عليه من لطافته * والدهر ألين منه عند قسوته

ومثله فى اللفظ والمعنى قول ابن نباتة

فى مرشفيه سلاف الراح من عصره * ومعطفيه قوام البان من هصره

وفى ابتسام ثناياه ومنطقه * من نظم الدر أسلاكا ومن نثره

ومن تجاهل العارف للمبالغة فى تعظيم الممدوح قول ابن هانئ المغربى

أبنى العوالى السمهرية والموا * ضى المشرفية والعديد الاكبر

من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع فى حمير

قيل انه لما تجاهل فى هذا البيت عن معرفة الممدوح ترجل الجيش بكماله تعظيما للممدوح اذ هو ملكهم وهذه القصيدة سارت بها الركبان والحداة تشدو ببلاغتها * وهى أحب من قفا نبك فى الشهرة لفصاحتها * ومطلعها

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر

وما أحلى ما قال بعده

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

أقول ان هذه الاستعارات المرشحة يرشح ندى البلاغة من بين اوراقها * وتتعثر فحول الشعراء فى حلبة سباقها * ومنها

فى فتية صدأ الدروع عبيرهم * وخلوقهم علق النجيع الاحمر

لا يأكل السرحان شلو طعينهم * مما عليه من القنا المتكسر

قوم يبيت على الحشايا غيرهم * ومبيتهم فوق الجياد الضمر

وتظل تسبح فى الدماء قبابهم * فكأنهن سفائن فى أبحر

حى من الاعراب الا انهم * يردون ماء الامن غير مكدر

لى منهم سيف اذا جردته * يوما ضربت به رقاب الاعصر

قديم الزمان أعنى الخير
وأسأل الله أن يدر عليهم
أخلاف الرزق ويمدهم
أكناف العيش ويوطئهم
اعراف المجد ويؤتيهم
أصناف الفضل ويركبهم
اكتاف العز وقصارى ان
أرغب الى الله تعالى فى أن
لا ينيلهم فوق الكفاية ولا
يدلهم فى حبل الرعاية فشد
ما يطغون للنعمة ينالونها
والدرجة يعلونها وسرع
ما ينظرون من عال بما
ينظمون من حال ويجمعون
من مال وتنسيهم أيام
الدولة أوقات الخشونة
وأزمان العذوبة ساعات
الصعوبة وللكتاب مزية
فى هذا الباب فبيناهم فى
العطالة اخوان كما انتظم
السمط وفى العزلة اعوان
كما انفرج المشط حتى
تلفظهم الجدالة حفاة
بمنشور عمالة أوصلك

صعب

صعب اذا نوب الزمان استصعبت * متنمر للحادثات المتنمر
واذا عفا لم تلق غير مهلل * واذا سطا لم تلق غير معفر
فعمامه من رحمة وعراصه * من جنة ويمينه من كوثر

ولم استطرد الى هذا القدر من نظم ابن هانئ الا على انه عزيز الوجود وغريب فى هذه البلاد * ومن تجاهل العارف للمبالغة فى المدح قول امام هذه الصناعة * ومالك ازمة البلاغة والبراعة القاضى الفاضل * من مديح العادل

اهذى كفه ام غيث غوث * ولا بلغ السحاب ولا كرامه
وهذا بشره ام لمع برق * ومن للبرق فينا بالاقامه
وهذا الجيش ام صرف الليالى * ولا سبقت حوادثها زحامه
وهذا الدهر ام عبد لديه * يصرّف عن عزيمته زمامه
وهذا نعل محمد ام هلال * اذا أمسى كنون ام قلامه
وهذا الترب ام خد لثمنا * فآثار الشفاه عليه شامه

سبحان المانح هذا الاديب الذى لم ينسج الاوائل على منواله * ولا تتعلق الافاضل من المتأخرين بغبار أذياله * ومنها وليس من تجاهل العارف ولكنه من المرقص والمطرب

وهذا الدر منثور ولكن * ارونى غير اقلامى نظامه
وهذى روضة تندى وسطرى * بها غصن وقافيتى حمامه
وهذا الكاس روّق من بنانى * وذكرك كان من مسك ختامه

وقوله أيضا من تجاهل العارف للمبالغة فى المدح

أهذه سير فى المجد ام سور * وهذه أنجم فى السعد ام غرر
وأنمل أم بحار والسيوف لها * موج وافرندها فى لجها درر
وانت فى الارض ام فوق السماء وفى * يمينك البحر ام فى وجهك القمر

(ومما جاء فى تجاهل العارف) للمبالغة فى التعظيم قول سيدنا القطب الفرد الجامع عبد القادر الكيلانى قدس الله ضريحه وأعاد علينا من بركاته فى الدنيا والآخرة بمحمد وآله

أأظما وأنت العذب فى كل منهل * وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى
وعار على حامى الحمى وهو قادر * اذا ضاع فى البيدا عقال بعير

ومثله

بدا فراع فؤادى حسن صورته * فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك

ومما جاء فى تجاهل العارف للمبالغة فى الذم قول زهير

وما أدرى وسوف اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

ومما جاء للتحقير قول الشاعر وتجاهل العارف الى الغاية

لما ادّعى غصن الرياض بأنه * فى لينه مع قدها موصوف
قلنا له هل أنت تشبه قدها * ما أنت هذا القد يا مقصوف

ومما جاء منه للتوبيخ قول ليلى بنت طريف الخارجية فى أخيها الوليد

جمالة فيعود عامرها خرابا وينقلب شرابهم سرابا فما غلت أمورهم حتى أسبلت ستورهم ولا علت قدورهم الا خلت بدورهم ولا اتسعت دورهم الا ضاقت صدورهم ولا أوقدت نارهم الا انطفأ نورهم ولا زاد مالهم الا نقص معروفهم ولا ورمت اكياسهم الا ورمت انوفهم ولا تحلت عناقهم الا قطعت أخلاقهم ولا صلحت أحوالهم الا فسدت أعمالهم ولا حسنت حالهم الا قبحت خلالهم ولا فاض جاههم الا غاضت مياههم ولا لانت برودهم الا صلبت خدودهم ولا علت جدودهم الا سفل جودهم ولا طالت أيديهم الا قصرت أياديهم وقصارى أحدهم من الجدان تنصب تحته تخته ويوطئ استه دسته ويقف غلامه

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وهذا البيت من قصيدة غريبة أثبتها بكمالها ابن خلكان فى تاريخه والخابور نهر أصله من رأس عين بديار بكر يصب الى الفرات (ومن أظرف ماوقع فى تجاهل العارف) على سبيل التوبيخ قول سراج الدين الوراق فانه صرح بذكر التوبيخ فى بيتيه وهما

واخجلتى وصحائفى مسودة * وصحائف الابرار فى اشراق

وموبخ فى الحشر وهو يقول لى * أكذا تكون صحائف الوراق

ومما وقع للتقرير قول مهيار

سلا ظبية الوادى وما الظبى مثلها * وان كان مصقول الترائب أكحلا

أأنت أمرت الصبح أن يصدع الدجا * وعلمت غصن البان أن يتميلا

ومما وقع منه قول العرجى للتدله فى الحب

بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر

قد قررت هنا اختلاف أقسام هذا النوع أعنى تجاهل العارف من مدح وذم وتعظيم وتحقير وتوبيخ وتقرير وغير ذلك اذا عرفت ذلك فانى أوردت هنا ما استظرفته فى هذا الباب ولم أحتج فيه الى التنبيه وأظرف ما سمعته فى هذا الباب قول عبد المحسن الصورى

بالذى ألهم تعذيـ * ـبى ثناياك العذابا

والذى صير حظى * منك هجرا واجتنابا

والذى ألبس خديـ * ـك من الورد نقابا

ما الذى قالته عينا * ك لقلبى فأجابا

ومثله

دعوه وتجدا انهاشان نفسه * ولو أن نجدا تلعة ماتعداها

وهبكم منعتم أن يراها بعينه * فهل تمنعون القلب أن يتمناها

وقول المتنبى

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى

وقول الفاضل

فاذا قلت أين دارى وقالوا * هى هذى أقول أين زمانى

وقال ابن الفارض

أوميض برق بالابيرق لاحا * أم فى ربا نجد أرى مصباحا

أم تلك ليلى العامرية أسفرت * ليلا فصيرت المساء صباحا

ويعجبنى قول الشيخ علاء الدين الوداعى

ترى ياجيرة الرمل * يعود بقربكم شملى

وهل نقتص أيدينا * من الهجران للوصل

وهل ينسخ اقباكم * حديث الكتب والرسل

ومن لطائف هذه القصيدة ولم أبعد فى الاستطراد عما نحن فيه قوله

امامه ونائبه من الكرم داريهم سرج ارضها ويزبرج بعضها ويزوق سقوفها ويعلق شقوفها وكفاه من الفضل ان تحمل الغاشية قدامه وتعدو الحاشية أمامه وناهيه من الشرف ألفاظ قفاعية وثياب مشقاعية يلبسها ملوما ويحشوها لوما ولوما وهذه صفة فاضلهم ومنهم من يعقل الود أيام خشكاره حتى اذا أيسر جعل ميزانه وكيله واسنانه اكيله والفه رغيفه وأنيسه كيسه وأمينه عينه ودنانيره سميره ومفاتحه ضجيعه وصناديقه صديقه ثم جمع الذرة الى الذرة ووضع البدرة على البدرة فلم يمنع النظر من طرفه ولا الصرة من كفه ولا يخرج ماله من عهدة خاتمه الا يوم ماتمه فهو يجمع

بروحي ليـلة مرت * لنا معكم بذي الاثل
وساقينا وما يمـلا * وشاديناو ما يمـلى
وظبي من بني الاتـرا * ك حلوالتيه والدل
له قـد كغصـن البا * ن مبال الى العدل
وطرف ضيق ويلا * ممن طعناته النجل
أقول لعاذلي فيـه * رويدك يا أبا جهل
فقلبي من بني تـيم * وعقلي من بني ذهل
ومايبرى هوى المشتا * ق الا ذلك المغـلي

لقد زاحمه الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله هنا بقوله

حلفت بما علا النـديم وما يمـلي * لقد صان ذا الحسن سمعي عن العذل
من المغـل أشكو نحوه ألم الهوى * وطب الهوى عنـدي كما قيل بالمغـلي

ومن الذي أعجبني في هذا النوع أعني تجاهل العارف قول بعضهم

أقول له علام تميل عجبا * على ضعفي وقدك مستقيم
فقال تقول عني في تميل * فقلت له كذا نقـل النسيم

ومليح هنا قول ابن نباتة السعدي

فوالله ما أدري أكانت مدامة * من الكرم تجنى أم من الشمس تعصر

وأورد صاحب الصناعتين في هذا الباب ما كتبه اليـه بعض أهل الادب وهو * سمعت بورود كتابك فاستفزني الفرح قبل رؤيته * وهز عطفي المرح امام مشاهدته * فما أدري أسمعت بورود كتاب * أم رجوع شباب * ولم أدر أرأيت خطا مسطورا * أم روضا ممطورا * أو كلاما منثورا * أم وشيا منشورا * وبيت الشيخ صفي الدين غاية في هذا الباب

ياليت شعري اسحرا كان حبكم * أزال عقلي أم ضرب من اللمم

وبيت العميان في بديعيتهم

اذا بدا البدر تحت الليل قلت له * أأنت يا بدر أم مرأى وجوههم

هذا البيت لم يعمر بشيء من محاسن الادب لما فيه من الركة وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

وعارف مذ بدا بدري تجاهل لي * وقال حبك أم ذا البدر في الظلم

الشيخ عز الدين مع التزامه بالتورية في تسمية النوع الذي استوعب كلمتين من البيت بيته أرق من بيت العميان وأعمر بالمحاسن وبيت بديعيتي

وافتر عجبا تجاهلنا بعرفة * قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم

هـذا البيت شاهد في تجاهل العارف على المبالغـة في التشبيه وهو القسم الذي تقرر في أول الكلام على النوع وقلنا انه المقـدم على بقية الاقسام من تجاهـل العارف فان فيـه سوق المعلوم في مقام غـيره لنكتة المبالغة في التشبيه كما قرره السكاكي وقولي تجاهلنا بعرفة لا يخفى ما فيه من الحسن على أهل الذوق السليم والله أعلم

(ذكر الاكتفاء)

لحادث حياته أو وارث مماته يسلك في الغدر كل طريق ويبيع بالدرهـم ألف صـديق وقـد كان الظن بصـديقنا أبي سعيد أيده الله انه اذا أخصب آوانا كنفا من ظـله وحبانا من فضله نحن لنا الآن بعد له انه أطال الله بقاء الشيخ حين طارت على رأسـه عقاب الخاطبـة بالرئيس وجلس من الديوان في صدر الايوان اقتضى عـذرة السياسة ببعض المختلفة الي وجعل يعرضه للهلاك ويسبب عليه بمال الاتراك ويشحـن داره بالرجالة ويكده بالفرسان والرجالة وجعلت أكاتبه مرة وأقصده أخرى فاذكرله ان الراكب ربما استنزل والوالي ربما عزل ثم يصف ربق الخجل على لسان العذر وتبقى الحزازة

(الاكتفاء)

(لما اكتفى خده القانى بحمرته * قال العواذل بغضا انه ادمى

الاكتفاء هو ان يأتى الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقى لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم فى الذهن فيما يقتضى تمام المعنى وهو نوع ظريف ينقسم الى قسمين قسم يكون بجميع الكلمة وقسم يكون ببعضها والاكتفاء بالبعض أصعب مسلكا لكنه أحلى موقعا ولم أره فى كتب البديع ولا فى شعر المتقدمين فشاهد الاكتفاء بجميع الكلمة كقول ابن مطروح

لا أنتهى لا أنثنى لا ارعوى * مادمت فى قيد الحياة ولا اذا

فمن المعلوم ان باقى الكلام ولا اذا مت لما تقدم من قوله الحياة ومتى ذكر تمامه فى البيت الثانى كان عيبا من عيوب الشعر مع ما يفوته من حلاوة الاكتفاء ولطفه وحسن موقعه فى الاذهان

ومنه قول شيخ شيوخ حماة

أهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا

لكنه وافى وقد * حلف السهاد على أن لا

ومنها قوله فيما نحن فيه

راموا انطاعى عن هوى * غذيته طفلا وكهلا

فوضعت فى طوق يدى * وقلت خلونى والا

وما أظرف قول الصاحب بهاء الدين زهير

يا من لبعض الناس مهلا * صيرت كل الناس قتلى

لم تبق غير حشاشة * فى مهجتى وأخاف أن لا

وما أظرف ما قال بعده ولم يخرج عن المراد

وكشفت فضل قناعه * يبدى عن قمر تجلى

ولثمته فى خده * تسعين أو تسعين الا

وجمع الشيخ سراج الدين الوراق بين تضمينين واكتفاءين فى بيت واحد وأجاد الى الغاية

يا لائمى فى هواها * أفرطت فى اللوم جهلا

ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وجمع ابن نباتة بين الاكتفاء وتضمين المثل السائر

اسقنى صرفا من الرا * ح تخت الهم حتا

ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

ومن لطائف شيخ شيوخ حماة فى هذا النوع

صلى ودعى نفارك عن محب * بذكرك آنس والليل ساكن

ولا تستقبحى شيبا برأسى * فما ان شبت من كبر ولكن

وقول ابن سنا الملك من قصيد

رأيت طرفك يوم البين حين همى * والدمع ثغر وتكحيل الجفون لما

فاكفف ملامك فى حين ألثمه * فاشككت بأنى قد لثمت فما

فى الصدر فلا وما يجمعنى والشيخ ان زاده قولى الا غلوا فى تهكمه وعلوا فى تحكمه وجعل يسعى الجر فى ظلمه ويبرأ الى من علمه وأقول اذ رأيت ذلة السؤال وعزمة الرد منه

قل لى متى قررت سر * عنه ما أرى يا سيدى

وما أضيع وقتا بذكره قطعته هلم الى الشوق وشرحه فقد نكأ القلب بقرحه وكيف أكاد أصف شوقا لا يفرع الدهر فروة حاله ولا يقض عروة الحلاله فيا أولانى الله أذكره مجملا واتركه مفصلا

(وله أيضا)

كانى أطال الله بقاء الشيخ وأنا سالم والحمد لله رب العالمين كيف تقلب الشيخ فى درعه العافية وأحواله تلك الناحية فانى لفراقه منغص ثمر يمنة العيش مقصوص أجنحة الانس

لو كان يعلم مع علمي بقسوته * تألم القلب من وخز الملام لما

وله من قصيدة

يا عاذلين جهلتم فضل الهوى * فعذلتموني فيه ولكني أنا

ويعجبني قول القائل هنا من قصيدة مطلعها

هزوا القدود فأخجلوا سمر القنا * وتقلدوا عوض السيوف الاعينا

وتقدموا للعاشقين فكلهم * طلب الامان لقلبه الا أنا

وتلطف ابن سنا الملك في مطلع قصيدة بقوله

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى * وقبلته في الثغر تسعين أو احدى

ومثله في اللطف قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

والله كملت فما يقال لقد * حزت الجمال جميعه الا

ولبعضهم وأجاد

فان المنية من يخشها * فسوف تصادفه أينما

ومما رشف الذوق حلاوته في هذا النوع قول الشيخ شرف الدين ابن الفارض من قصيدة

ما للنوى ذنب ومن أهوى معي * ان غاب عن انسان عيني فهو في

ومثله في اللطف مع الترشيح بالاكتفاء ثان قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

أفدي التي تاجها وقامتها * كأنه همزة على ألف

أذكر ثغرها فأسكر من * وورد خدها فأرتشف

ومثله قول الشيخ شمس الدين بن العفيف

وأي رضا بي عن تسليه أولو العشق سلوا

ماذا قه وشاقه * هذا وما كيف ولو

ومن لطائف الصاحب بهاء الدين زهير في هذا النوع قوله من أبيات

فما كان أحسن من مجلسي * فحدث بما شئت عن ليلتي

بشمس الضحى وببدر الدجى * على عنقي وعلى مرفقي

وبت وعن خبري لا تسل * بذاك الذي وبتلك التي

ومن لطائفه أيضا انه كتب الى بعض أصحابه وكان اسمه يحيى وقد بلغه انه شرب دواء أبياتا أولها

سلمت من كل ألم * ودمت موفور النعم

في صحة لا ينتهي * شبابها الى الهرم

يحيى بك الجود كما * يموت يا يحيى العدم

وبعد ذا قل لي ما * كان من الامر وكم

وأظرف منه ولم يخرج عما نحن فيه من بديع الاكتفاء وزيادة التورية ما وقع لشهاب الدين التلعفري مع شمس الدين الشيرجي بين يدي الملك الناصر وما ذاك الا انهما حضرا بين يديه في ليلة انس فاتفق ان شمس الدين الشيرجي ذهب الى ضرورة وعاد فأشار اليه الملك الناصر أن

ورد كتابه المشتمل من خبر سلامته على ما رغبت الى الله في ادامته وسكنت اليه بعد انزعاجي لتأخره وقد كان رسم ان أعرفه سبب خروجي من جرجان ووقوعي الى خراسان وقد كانت القصة الي لما وردت من ذلك السلطان حضرته التي هي كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج ومشعر الكرام لا مشعر الحرام ومنى الضيف لا منى الخيف وقبلة الصلات لا قبلة الصلاة وجدت فيها ندماءه من نبات العالم اجتمعوا قبضة كلب على تلقي خطب أزعجني من ذلك الفناء واشرف بي على شرف الفناء لولا ما تداركه الله بجميل صنعه وحسن وقعه ولا أعلم كيف احتالوا وما الذي قالوا لكن الجملة ان غيروا

يصفع التلعفري وكان شمس الدين رجلا ألحى فلما صفع التلعفري نهض على الفور وقبض على لحية الشيرجي وأنشد ارتجالا ويده فيها

قد صفعنا في ذا المحل الشريف * وهو ان كنت ترتضي تشريفي
فارث للعبد من مصيف صفاع * يا ربيع الندى والاخريفي

وما أحلى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في هذا النوع مع زيادة اللف والنشر والاكتفاء في البيتين

قالت اذا غمضت جفونك فارتقب * طيفي فقلت لها نعم لكن اذا
وسمعت عن سيف ورمح قبلها * حتى انثنت ورنت فقلت هما اللذا

ومن مقول الشيخ صدر الدين بن عبد الحق ولم أكثر من هذا النوع الا لانه قليل في أيدي الناس

جهنم جمامكم نارها * تقطع أكبادنا بالظما
وفيها عصاة لهم ضجة * وان يستغيثوا يغاثوا بما

ومنه قول المقر الفخري بن مكانس مع زيادة التورية

من شرطنا ان أسكرتنا الطلا * صرفا تداوينا برشف اللمى
نعاف مزج الماء من كأسها * لا آخذ الله السكارى بما

ومنه قول المقر المرحومي الاميني صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة رحمه الله وهو مما أنشدنيه مرارا وكان عند عوده من اذربيجان صحبة المقر المرحومي سيفي تنم كافل المملكة الشريفة بتاريخ كذا وقد ضل غالب العسكر في بعض الليالي عن الماء وفيه الزيادة على الاكتفاء بالاقتباس والتورية وهو

ضلوا عن الماء لما أن سروا سحرا * قومي فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله أسكرني بالماء دونهم * فقلت ياليت قومي يعلمون بما

ومثله قولي وفيه أيضا زيادة الاقتباس والتورية على الاكتفاء

قالوا وقد فرطت في تصبري * وماشني بقربه سقاما
اصبر عسى تشفي بماء ريقه * قلت لهم ياحسرتي على ما

وأنشدني من لفظه لنفسه القاضي عماد الدين بن القضامي أخو شيخي قاضي القضاة صلاح الدين الحنفي سقى الله من غيث الرحمة ثراه موشحا امتدح به المقر المرحومي الاوحدي صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان تغمده الله برحمته ورضوانه والموشح مانسج ابن سنا الملك في دار الطراز على منواله منه في نوع الاكتفاء بالكل مع زيادة التضمين

أرخت ذوائبها الى الارجل * لنضل فاستغنت بها عن برقع
وغدوت أسهر في ليالي شعرها * ويقول فجر الفرق هذا مطلعي
وتبسمت فعلاها * نور فزاد سناها
فلثمت فاها آخذا مستغفيا * ورشفته رشف النزيف لبردما

السلطان وأشار على اخواني بمفارقة مكاني وبقيت لا أعلم أعنة أضرب أم شآمة ونجدا أقصد أم تهامة
ولو كنت من سلمى اجاوشعابها
لكان لحجاج علي دليل
قد علم الشيخ ان ذلك السلطان سماء اذا تغيم لم يرج صحوه وبحر اذا تغير لم يشرب صفوه وملك اذا سخط لم ينتظر عفوه فليس بين رضاه والسخط عرجه كما ليس بين غضبه والسيف فرجه وليس من وراء سخطه مجاز كما ليس بين الحياة والموت معه مجاز فهو سيد يغضبه الجرم الخفي ولا يرضيه العذر الجلي وتكفيه الجناية وهي ارجاف ثم لا تشفيه العقوبة

ومنه

ومنه وفيه حسن التخلص مع الاكتفاء

حكم الزمان بينهم وتشتتي * وشماتة الاعداء أكبر محنتي
ولسيد الرؤساء رمت تخلصا * من محنتي فشددت رحل مطيتي
فغدت تمد خطاها * وأقول عند عياها
الأوحدي الاوحدي لتغنما * يا ناقتي فزمامك بيدي وما

وظريف هنا قول الشيخ زين الدين بن الوردي

ماذا تقولون في محب * عن غير أبوابكم تخلى
وجاءكم زائرا عفيفا * عن مالكم هل يجوز أم لا

ومنه قوله مع زيادة التضمين

مولاي انك محسن * قسما وانك ثم انك
فلاشكرنك ما حييـــت وان أمت فلتشكرنك

ويعجبني قول الشيخ برهان الدين القيراطي هنا مع زيادة التورية والاقتباس

حسنات الخدمنه * قد أطالت حسراتي
كلما ساء فعالا * قلت ان الحسنات

ومر سيدنا ومولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي الحنفي نور الله ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه على حماة المحروسة سنة سبع وثمانمائة وهو اذ ذاك صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة ومولانا السلطان الملك المؤيد خلد الله ملكه كافلها في تلك الايام وركابه الشريف متوجه الى حلب المحروسة والامير حكم في خدمته بحيث يوصله الى محل كفالته بها وكنت في تلك الايام بحلب المحروسة امام كافلها علان تغمده الله برحمته ورضوانه فهرب علان واختفيت بعده فلما حل ركاب قاضي القضاة صدر الدين المشار اليه بحلب المحروسة توصل بحنوه وصدق محبته وخبره الى أن عرف اين كنت مختفيا فكتب الي

قصدنا حماة فلم نلق من * أردنا فلم نرعهدا والا
وجئنا الى حلب خلفه * فان كان فيها اجتمعنا والا

فكتبت اليه الجواب

أمولاي والله حال الجريـض دون القريض الذي قد ولي
وارجو وقد عفت هذي البلاد * خلاصي بالصدر منها والا

فقدر الله بالسلامة وتوجهت في خدمته متنكرا الى دمشق المحروسة ومن نظمي في هذا النوع مع زيادة ايهام التورية

تطلبت منه قبلة وهو نافر * فقال وقتلي جبنا لن تقبلا
فقلت له بالوصل عدني الى غد * فبدلا مات الصبر قال نعم الى

وقولي أيضا مع زيادة التضمين

صهباء ريقته رشفت سلافها * فتغلبت فعجزت ان أتكلما

وهي اجحاف حتى انه لبرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ويعمى عن العذر وهو أبين من عمود الصبح وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ويحجب بهذه العذر وهو برهان وذو يدين يبسط احداهما الى السفك والسفح ويقبض الاخرى عن العفو والصفح وذو عينين يفتح احداهما الى الجرم ويغمض الاخرى عن الحلم مزجه بين القد والقطع وجده بين السيف والنطع ومراده بين الظهور والكمون وأمره بين الكاف والنون ثم لا يعرف من العقاب غير ضرب الرقاب ولا يهتدي من التأديب الا لازالة النعم ولا يعلم من التأديب غير اراقة الدم لا يحتمل الهنة على حجم الذرة ودقة الشعرة ولا يغضي عن الهفوة كوزن

واذا سئلت أقل لمن هو سائل * انى لأعلم ماتقول وانما

القسم الثانى الاكتفاء بالبعض وقد تقدم انه عزيز الوقوع جدا ولم يوجد فى كتب البديع فمن ذلك قول ابن سناء الملك من قصيد

اهوى الغزالة والغزال وانما * نهنهت نفسى عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عينى جاهدا * حتى اذا أعييت أطلقت العنا

ومنه قول شيخ شيوخ حماة

اليكم هجرتى وقصدى * وانتم الموت والحياة
أمنت ان توحشوا فؤادى * فآنسوا مقلتى ولاتو

وقول ابن مكانس مع زيادة التورية

لله ظبى زارنى فى الدجى * مستوطنا ممتطيا بالخفر
فلم يقم الابقدار أن * قلت له أهلا وسهلا ومر

ومنه قول العلامة بدر الدين بن الدمامينى

الدمع قاض بافتضاحى فى هوى * ظبى يغار الغصن منه اذا مشى
وغدا بوجدى شاهدا ووشى بما * أخشى فياالله من قاض وشا

ومثله قوله

يقول مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر
هلم بنا كر الروض المفدى * وقم نسعى الى ورد ونسر

ومثله قوله

ورب نهار فيه نادمت أغيدا * فما كان أحلاه حديثا وأحسنا
منادمتى فيها مناى فحبذا * نهار تقضى بالحديث وبالمنا

ومنه قول شهاب الدين ابن حجر

أطيل الملام لمن لامنى * واملأ فى الروض كاس الطلا
وأهوى الملاهى وطيب الالذ * فها أنا منهمك فى الملا

وانشدنى المقر الجدى بن مكانس لنفسه

نزل الطل بكرة * وسرورى تجددا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندا

ومنه قول ابن حجر

دع ياعذول رقى الملام فقد سرى * عن الحبيب فتبت دام لك البقا
والطرف من فقد الرقاد بكى بما * يحكى الغمام فليس يهدى بالرقا

وانشدنى من لفظه لنفسه قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى وانا بين يديه بدمشق المحروسة ورياحين الشبيبة غضة بيتين فيهما الاكتفاء بالبعض والتورية فى القافيتين مع عدم الخروج عن الوزن فى البيتين اذا قصد شق التورية الثانى وهذا الباب عزيز الوقوع جدا وسبكه فى هذا القالب من غير تمويه يشطلى على الحاذق فى صناعة الكلام هذا مع الاتفاق

الهبوة ولا يغضى عن السقطة بجرم النقطة ثم ان النعم بين لفظه وقلمه والارض تحت يده وقدمه لا يلقاه الولى الا بفمه ولا العدو الا بدمه والارواح بين حبسه واطلاقه كما الاجسام بين حله ووثاقه وتطرت فاذا أنا بين جودين اما ان أجود بيانى واما أن أجود براسى وبين ركوبين اما المفازة واما الجنازة وبين طريقين اما الغربة واما التربة وبين فراقين اما ان فارق أرضى أو أفارق عرضى وبين راحلتين اما ظهور الجمال أو أعناق الرجال فاخترت السماح بالوطن على السماح بالبدن وأنشدت

اذا لم يكن الا الاسنة مركب * فلا رأى للمضطر الا ركوبها

ورسم الشيخ ان أعلمه موجب قضيته ليتلافى الامر بموجبه وهذا داء

البديعى وحسن المطابقة ولم اذكر الاتفاق الا ان الذى كتب اليه القاضى صدر الدين البيتين مشهور بالحسن والادب وصحبته المشار اليه وهو غرس الدين خليل بن بشارة وهما

يا متهمى بالسقم كن مسعدى * ولا تطل رفضى فانى على

أنت خليلى فبحق الهوى * كن لشجونى راحما يا خلى

وقال لى عند الانشاد أن أنظم لاشيأ على هذا الطريق فانشدته فى المجلس قولى

يقولون صف انفاسه وجبينه * عسى للقايستبو فقلت اهم صبا

وغالطت اذ قالوا أباح وصاله * والا أبى قسرا فقلت لهم أبا

ونظم الشيخ جمال الدين بن نباتة هذا النوع وكساه ديباج التورية ولم يسلم له الوزن اذا جمع بين طرفى الاكتفاء كما نبهنا حيث قال

أقول وقد جاء الغلام بصحفة * عقيب طعام الفطر يا غاية المنا

جعلت على لى جاء صحن قطايف * وبح باسم من أهوى ودعنى من الكنا

وكتب الشيخ برهان الدين القيراطى لنور الدين ابن حجر والد قاضى القضاة شهاب الدين

مولاى نور الدين ضيفك لم يزل * يروى مكارمك الصحيحة عن عطا

صدقت قطايفك الكبار حلاوة * بفمى وليس بمنكر صدق القطا

انتهى ما أوردته من هذا النوع الغريب * وبيت صفى الدين

قالوا ألم تدر أن الحب غايته * سلب الخواطر والالباب قلت لم

بيت صفى الدين هنا شاهد على الاكتفاء بجميع الكلمة ولكن لم ترض التورية ان تكون له سكنا لشدة تبرده * وعجبت للشيخ صفى الدين كيف استحسن هذا البيت ونظمه فى سلك ابيات بديعيته مع ما فيه من الركة والنظم السافل وقرر موضع الاكتفاء بلفظة لم هذا مع انه غير مكلف بتسمية النوع ولا ملتفت الى تورية لو العميان لم ينظموا هذا النوع * وبيت الشيخ عز الدين شاهد على النوعين مع التزامه بالتورية فى تسمية النوع البديعى واستجلاب الرقة ولطف المعنى وهو

وما كتفى الحب كسف الشمس منه اذا * حتى انثنى يخجل الاغصان حين تمى

فشاهد الكل قوله اذا المعروف ان بعده بد الماء قدم من ذكر كسف الشمس وشاهد البعض قوله حين تمى فدل حرف الكلمة انها تميل او تميس * وبيت بديعيتى شاهد على الاكتفاء بالبعض بزيادة التورية التى تتوارى من حسنها بهجة الشموس مع سلامة الوزن فى طرق الاكتفا على مذهب الجماعة كما تقدم * واما التورية بتسمية النوع فهى محصول الحاصل اذلا بتمنها وبيتى

لما اكتفى خده القانى بحمرته * قال العواذل بغضا انه لدمى

المعنى هنا ان الخد لما تزايدت حمرته قال العواذل بغضا فى الظاهر انه لدمى وورّوا بالاكتفاء وقصدوا فى الباطن انه دميم حسدا وهو هذا الاكتفاء ينظر الى قول القائل

تكسو أثر الحسن اعلى وجهها * حسدا وبغضا انه لدميم

وهو بالدال المهملة المستقر وس من تأمل هذا البيت تأمل أهل الادب المنصفين علم أن الحيلة فى تركيب توريته حيلة دقيقة مع ما فيه من المعنى وجزالة الاسلوب * وهذا النوع على هذا

لا أعرف نتاجه فكيف أطلب علاجه وأمر لم الابس باطنه فكيف أمارس ظاهره وخطب لم أنسد أوله فكيف أصلح آخره وشئ لا أعرف سببه فكيف أتلافى ذنبه وسال لم أضع صدرها فكيف أتدارك عجزها اللهم لا كفران ولعن الله الشيطان كان ذنبى الى ذلك السلطان موالاة ادمتها وخدمة أقمتها وشيبة أرقتها وحياة أنفقتها وحرم أسلفتها وأموال أتلفتها وقصائد نظمتها وموائد خدمتها وآلة رضتها وخمسة نقضتها فهل أتيت الامن حيث أتيت وهل أخطأت الامن حيث حسبت أنى أصبت وهل بعدت الامن حيث قربت وهل خبثت الامن حيث طبت وهل قبلنى هذا السلطان الا بما تفانى ذلك وهل رفعنى ههنا الا ما وضعنى

الخط الغريب لايجرى فى مضماره من فحول الادب الا كل ضامر مهزول

(ذكر مراعاة النظير)

(ذكرت نظم اللآلى والحبابه * وراعى النظير بثغر منه منتظم)

هذا النوع أعنى مراعاة النظير يسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والمواخاة وهو فى الاصطلاح ان يجمع الناظم أو الناثر أمرا وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى أو لفظا للفظ أو معنى لمعنى اذ القصد جمع شئ الى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من احدى الوجوه كقول البحترى فى ابل أنحلها السير

كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار

فانه لما شبه الابل بالقسى وأراد ان يكرر التشبيه كان يمكنه ان يشبهها بالعراجين أو بنون الخط لان المعنى واحد فى الانحناء والرقة ولكنه قصد المناسبة بين الاسهم والاوتار لما تقدم ذكر القسى * ولعمرى لقد أصاب الغرض فى هذا المرمى وظريف هنا قول بعضهم فى وصف فرس

من جلنار ناضر خده * وأذنه من ورق الآس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة ومثله قول بعضهم فى آل النبى صلى الله عليه وسلم

أنتم بنو طه ونون والضحى * وبنو تبارك فى الكتاب المحكم

وبنو الاباطح والمشاعر والصفا * والركن والبيت العتيق وزمزم

هذا الناظم أحسن فى مراعاة النظير وأتى فى البيت الاول بحسن المناسبة بين أسماء السور وفى الثانى بحسن المناسبة بين الجهات الحجازية انتهى ويعجبنى قول السلامى فى هذا الباب

والنقع ثوب بالسيوف مطرز * والارض فرش بالجياد مخمل

وسطور خيلك انما ألفاتها * سمر تنقط بالدما وتشكل

فانه ناسب بين الثوب والتطريز وبين الفرش والخمل وبين السطور والالفات والنقط والشكل ومثله قول ابى العلاء المعرى

دع اليراع لقوم يفخرون بها * وبالطوال الردينيات فافتخر

فهن اقلامك اللاتى اذا كتبت * مجدا أتت بمداد من دم هدر

فابو العلاء أيضا ناسب بين الاقلام والكتابة والمداد وغاية الغايات فى هذا الباب قول بديع الزمان الهمدانى من قصيدة يصف فيها طول السرى

لك الله من ليل اجوب جيوبه * كانى فى عين الردى أبدا كحل

كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأنا الشرب كأن المنى نقل

كأنا جياع والمطى لنا فم * كأن الفلا زاد كأن السرى اكل

كأن ينابيع الثرى ثدى مرضع * وفى حجرها منى ومن ناقتى طفل

كأنا على أرجوحة فى مسيرنا * لغور بنا تهوى ونجد بنا تعلو

ومنها فى المديح ولم يخرج عما نحن فيه من حسن المناسبة

كانى

(مراعاة النظير)

هنالك لئلا يشغل الشيخ قلبه بهذا الامر فانها حضرة يرجح فيهما ابن الجبان ويكون أشيل فى الميزان بحر تعلو جيفه ويسفل صدفه وهذا امر قد غطى أوله الجفاء فليغط آخره العفاء لا نزال نحمد الى الشيخ أبى عبد الله فيما وليه من رفق بأسبابه واعتناء باكرته وأصحابه وما يفعل ذلك الا ما بو خيه فضله ويأتيه مثله ويدعو اليه أصله وما يأتى من الخير الا ما هو اهله وحقا أقول قد عاشرت هذا الفاضل فطابت عشرته ولانت قشرته وواصلته فاحسنت وصاله وأحمدت خصاله وسألته فاغزرت جوده وجمته فاصلبت عوده وما بقيت فى الامتحان عرقا الا حسبته ولا نظرا الا تفرسته فما أتتنى خصلة من خصاله الا وهى أكرم من اختها حتى حالت الغربة بينى وبينه

كأني في قوس لساني له يد * مديحي له فرع به أملي نبل

كأن دواتي مطفل حبشية * بنانى لها بعل ونقشي لها نسل

كأن يدي في الطرس غواص لجة * له كلي در به قيمتي تغلو

انظر ايها المتأمل الى ملكة هذا الشاعر المفلق الذي مادخل الى بيت الا وأسكن فيه مايلائمه من المناسبات البديعية نعم هذه الغايات التي تقف عندها فحول الشعراء وهذا الامام المتقدم الذي صلى الحريري خلفه وأشار اليه بقوله في مقاماته

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

فان البديع هو الذي سبق الحريري الى نظم المقامات وسلك العلوم في تلك القوالب الغريبة وعلى منواله نسج الحريري واستعمل بعض أسماء مقاماته وقفى اثر عيسى بن هشام بالحرث بن همام وعارض طرح الاسكندري بما سجعه أبو زيد السروجي وعلى كل تقدير فالبديع عرابة هذه الراية وعباس هذه السقاية نرجع الى ما كنا فيه من حسن المناسبة في مراعاة النظير فمن المستحسن في هذا النوع قول بعضهم في مليح معه خادم يحرسه

ومن عجب أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر

عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك ياقوت وخالك عنبر

هذا الاديب المتمكن ناسب بين العذار والثغر والخد والخال اذا الوجه لمصابيح هذه المحاسن جامع وبين ريحان وجوهر وياقوت وعنبر لانه لاعمة في أسماء الخدام فلوذكر شيأ من غير تناسب كان نقصا وعيبا وان كان جائزا فانهم عابوا على أبي نواس قوله

وقد حلفت يمينا * مبرورة لا تكذب

برب زمزم والحو * ض والصفا والمحصب

فالحوض هنا أجنبي من المناسبة لانه ما يلائم المحصب والصفا وزمزم وانما يناسب الصراط والميزان وما هو منوط بيوم القيامة ومثله في عدم المناسبة قول الكميت

وقد رأينا بها حورا منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فانهم قالوا الدلال لا يناسب الشنب وهو صحيح فان الشنب من لوازم الثغر فلو ذكر معه اللعس وما ناسب ذلك لتمشى على سنن المناسبة وخلص من النقد * ويعجبني من ملاءمة التناسب في مراعاة النظير قول العلامة أبي بكر بن اللبانة في موشح

بعضي يخاصم في بعض * جسمي مقيم وقلبي يمضي

وكيف أسلو وبدري الارضي * بدير في الاقحوان الغض

ورديشرقت أنفاسه بالالتماس * رقت فكانت مثل دمعة في جفن كاس

انظر الى ما ناسب بين الاقحوان والورد وجذب القلوب وانشأ الاذواق في المناسبة بين الدمعة وجفن الكاس مع الاستعارة التي تستعار منها المحاسن * ومن أحلى ما يستحلى في الذوق من هذا النوع قول ابن مطروح

فكان في الغربة اكثر في الجد جهدا وأطيب في الغيب عهدا وأتم على البعد ودا ولعمري ان ود الحضرة اخاء واخوة وود الغيبة وفاء ومروة وقد جمع هذا الفاضل حبليهما وراش نبليهما وما خسر على الكرم كريم كما لم يربح على اللؤم لئيم وان يبطل العرف في الناس ولا يذهب الخير بين الله والناس أعانني الله على تادية حقه وفرضه وقضاء الواجب او بعضه وقد أطلنا ولا احسبني أطلت وفي النفس أضعاف ما كتبت والشيخ أيده الله لا يعرض كلامي على من يعرف عوار كلامه واختلال نظامه فان ما يكتب عن صوب البديهة بفيض القلم من دون روية تعمل لا يكاد يطيب وأنا أخدمه والجماعة بالسلام

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

ومن شدة اعجابي بهذا البيت ضمنته تضمينا لو سمعه ابن مطروح لاطرح نفسه خاضعا وسلم الى مفاتيح بيته طائعا وهو

ولما خلعنا العذار * فككنا طريق الخجل
لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

ولولا خوف الاطالة لتكلمت على بيت ابن مطروح وعلى التضمين وما فيهما من حسن التناسب والاستعارات بما يليق بمقامهما وغاية الغايات قول القاضي الفاضل في هذا الباب

في خده فخ لعطفة صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر

ويعجبني في هذا الباب قول مجير الدين بن تميم

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغى * في موقف ما الموت فيه بمعزل
لترى الأنابيب القناة على يدي * تجري دما من تحت ظل القسطل

انظر أيها المتأمل الى حسن ما ناسب بين الانابيب والقناة والجريان والقسطل مع انقياد التورية الى طاعته وحسن تصرفه فاني أنا محقق ان الامير مجير الدين بن تميم من فرسان هذا الميدان وممن أجاد في هذا الباب وبالغ في الاحسان الى غريب المناسبة وراعى جانب مراعاة النظير حسن الرعاري بقوله

كأن السحاب الغر لما تجمعت * وقد فرقت عنا الهموم بجمعها
نياق ووجه الارض قعب وثلجها * حليب وكف الريح حالب ضرعها

فانه أتى بالمعنى الغريب والتشبيه البديع وحسن المناسبة في مراعاة النظير مع حلاوة الانسجام ولطف الاستعارة وانشدني لنفسه الشيخ عز الدين في هذا النوع قوله

بخد الحب ريحان نضير * لاحرفه سطور ليس تقرا
فراعيت النظير وقلت بدري * عذارك أخضر والنفس خضرا

الذي يظهر لي أن خضرة النفس هنا من ايهام المناسبة ومما نظمته في هذا النوع قولي

أبرزت معصمها رودا عي * شف بالوره فزاد حريقي
وأخو دمعي يرى النظير ويدي * عند لثمي سلاسلا من عقيق

فحسن المناسبة هنا بين المعصم والسلاسل والعقيق والبلور مع ابراز تسمية النوع البديعي والنسيب المطرب الغزلي في معنى توريته وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

تجار لفظ الى سوق القبول بها * من لفظة الفكر تهدى جوهر الكلم

المناسبة في بيت الشيخ صفي الدين بين التجار والسوق واللجة والجوهر وهو بيت تام بمحاسن هذا النوع وبيت العميان في بديعيتهم

يروي حديث الندى والبشر عن يده * ووجهه بين منهل ومبتسم

هذا البيت ما رأيت له ويسهل نظمه سوى مراعاة النظير ولا يشعر بين المناسبة البديعية نسب ثابت ولكن رأيت الشيخ أبا جعفر شارح هذه البديعية أعني بديعية العميان قال ان

(وله الى أبي علي بن مشكويه)

ويا عواذل والتي وشى بي عندكم
فلا تمهلنه ان تقول له مهلا
كما لو شى واش بعزة عندنا
لقلنا تزحزح لا قريبا ولا أهلا

بلغني أطال الله بقاء الشيخ ان قبضة كلب والتماما حاديث لم يعرها الحق نوره ولا أدام الصدق ظهوره وانه أدام الله عزه أذن لها على جماله اذنه وفسح لها فناء ظنه ومعاذ الله ان أقولها واستجيز معقولها بل الله كان بيني وبين الشيخ الفاضل عتاب لا ينزل كنفه ولا يعدو وحديث لا يتعدى النفس وضميرها ولا يعرف الشفة وسعيرها وعربدة كعربدة أهل الفضل

العنعنة فى البيت بعن تناسب الرواية فى الحديث والندا والبشر فيهما مناسبة للكرم ولعمرى ان الشيخ رحمه الله ابقى من وجه هذا البيت ذا ورم ونفخ من نفسه فى غير ضرم وهذا العمري جهد من لا جهد له وبيت عز الدين الموصلي

وارع النظير من القوم الاولى سلفوا * من الشباب ومن طفل ومن هرم

المناسبة فى بيت الشيخ عز الدين بين الشباب والطفل والهرم اظن انه قصد بها النسبة الى آدم عليه السلام وبيت بديعيتى

ذكرت نظم اللآلى والحباب له * راعى النظير بثغر منه منتظم

المناسبة هنا ما بين اللآلى ونظم الحباب ونظم الثغر بديعة عند أهل النظم هذا مع حسن التشبيه بالمناسبة البديعة وفى نور هذا المثال ما يمحو ظلمة الاشكال عند مراعاة النظير هذا مع رقة الانسجام ومغازلة عيون الغزل فى تسمية النوع البديعى وحلاوة توريته وقد حبست عنان القلم وان كانت المهجة فى هذا المعرك الضيق قد ذابت لئلا يقال كثر فارتابت

(ذكر التمثيل)

(وقلت ردف موج كى أمثله * بالموج قال قد استسمنت ذا ورم)

التمثيل مما فرعه قدامة من ايتلاف اللفظ مع المعنى وقال هو ان يريد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب من لفظه وانما يأتى بلفظ هو أبعد من لفظ الارداف يصلح ان يكون مثالا للفظ المعنى المذكور كقوله تعالى وقضى الامر وهذا التمثيل العظيم فى غاية الايجاز والحقيقة أى هلك من قضى هلاكه ونجا من قدرت نجاته وما عدل عن اللفظ الخاص الى لفظ التمثيل الا لامرين احدهما الاختصار لبلاغة الايجاز والثانى كون الهلاك والنجاة كانا بامر مطاع ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص ومن شواهد ذلك فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن بعض النسوة فى حديث أم زرع زوجى كليل تهامة لا حر ولا برد ولا مخافة ولا سآمة فانها أرادت وصفه بحسن العشرة مع نسائه فعدلت عن اللفظ الموضوع له الى لفظ التمثيل لما فيه من الزيادة وذلك تمثيلها الممدوح بليل تهامة المجمع على وصفه بانه معتدل فتضمن ذلك وصف الممدوح باعتدال المزاج المستلزم حسن العشرة وكمال العقل اللذين يتضمنان لين الجانب وطيب المعاشرة وخصت الليل بالذكر لما فى الليل من راحة الحيوان وخصوصا الانسان لانه يستريح فيه من الكد والفكر ولكون الليل جعل سكنا لاسيما ان حصل الاجتماع بالحبيب لاسيما وقد جعلته معتدلا بين الحر والبرد والطول والقصر وهذه صفة ليل تهامة لان الليل يبرد فيه الجو مطلقا بالنسبة الى النهار لغيبة الشمس وخلوص الهواء من اكتساب الحر فيكون فى البلاد الباردة شديد البرد وفى البلاد الحارة معتدل البرد مستطابا فلهذا قالت زوجى كليل تهامة وحذفت اداة التشبيه لقرب المشبه من المشبه به وهذا مما يعينه لفظ التمثيل لكونه لا يجيء الا مقيدا بمثل غالبا وقال ابن رشيق فى العمدة التمثيل والاستعارة ضرب من التشبيه ولكنها بغير اداة والتمثيل هو المماثل عند بعضهم وذلك ان تمثل شيأ بشئ فيه اشارة منه كقول امرئ القيس

(التمثيل)

لا تجاوز الدلال والادلال ووحشة لا يكشفها عتاب خلة كعتاب جحلة فسبحان من ربى هذا الامر حتى صار امرا وتأبط شرا وأوجب عذرا وأوحش حرا سبحان من جعلنى فى جنب العدو أشيم بارقته واستجلى صاعقته وأنا المساء اليه والجنى عليه لكن من بلى من الاعداء بمثل ما بليت ورمى من الحسد بما رميت ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت واجتمع عليه من المكارم ما وصفت اعتذر مظلوما وضحك مشتوما ولو علم الشيخ عددا ولادا لجدد وابناء العدد بهذا البلد ممن ليس لهم الا فى سعاية أو شكاية او حكاية أو نكاية لضن بعشرة غريب اذا بعد وبعيد اذا حضر ولصان مجلسه عن لا يصونه عما رقى اليه فهبنى قد قلت

وماذرفت عيناك الالتضربى * بسهميك فى اعشار قلب مقتل

فمثل عينيها بالسهمين ومثل قلبه باعشار الجزور ومعناه مابكيت الالتقدحى فى قلبى كما يقدح القادح فى الاعشار فقت له جهات التمثيل والاستعارة وقد تقدم ان التمثيل ضرب من الاستعارة والتشبيه وهو قريب التذييل ولكن بينهما فرق دقيق وهو خلو التذييل من التشبيه والحقوا بهذا الباب أعنى التمثيل ماتخرجه المتكلم مخرج المثل السائر وأبلغ ماسمعته من الشواهد البليغة المستوعبة لشروط هذا الباب قول أبى تمام

اخوجفوه بكرزه عن محبته * والنار قد تلتظى من ناضر السلم

أوطأتموه على جمر العقوق ولو * لم يحرج الليث لم يخرج من الاجم

ففى عجز كل من البيتين تمثيل حسن فانه مثل فيهما حالته عند اخواجه كرها عن محبته يخاطب أحبابه وقد أثروا به تلك الحالة والنار قد تلتظى من ناضر السلم * قد هنا للتقليل ومراده ان وقوع هذا منكم وأنتم أحباب عجيب ومثل الحال بقوله * والنار قد تلتظى من ناضر السلم وقال فى عجز البيت الثانى عندما وطؤه على جمر العقوق ان الليث لولم يحرج ماخرج من الاجم * وهذا التمثيل والذى قبله فى البيت الاول غايتان فى هذا الباب وقد أخرج كلا منهما مخرج المثل السائر على مذهب من يرى ذلك وبيت الشيخ صفى الدين

ياغائبين لقد أضنى الهوى جسدى * والغصن يذوى لفقد الوابل الرذم

الشيخ صفى الدين أجاد فى نظم هذا النوع وأتى بشروطه كاملة فانه مثل حاله لما اضنى الهوى جسده لغيبة أحبابه بالغصن لما يذوى لفقد المطر وأخرج كلامه مخرج المثل السائر كما تقرر ولكن لوحط موضع الهوى الجفا لكان اقرب الى المراد ولو كانت القافية غير الرذم لكانت أخف على القلوب والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

من التعاظم تمثيل الزمان به * وقد يكون اتضاع القدر بالشمم

هذا البيت غير صالح للتجريد وقد كل الفكر وعجزت ان أتوصل فيه الى حد يتوصل به الى فهم معناه أو الى صورة التمثيل فى تركيبه فلم أجد بدا من مطالعة الشرح فلما نظرت فى شرحه وجدته قد قال فيه ان العذول يتعاظم فى كلامه وأفعاله فلذلك مثل الزمان به من استهتار السامع به والتهكم وعدم الاصغاء اليه وفى ذلك تهجين له وربما استحب فيه الدعاء ثم قال فى آخر الشرح وقد أرسلت النصف الثانى من البيت مثلا فما ازدادت مرآة ذوقى بذلك الاصدأ والله أعلم وبيت بديعيتى

وقلت ردفك موج كى امثله * بالموج قال قد استسمنت ذاورم

انظر أيها المتأمل الى التمثيل الذى مثلت فيه شيأ بشئ فيه اشارة منه كما قرره ابن رشيق فى العمدة وحذفت اداة التشبيه لتقريب المشبه من المشبه به كما تقدم وتقرر أن لفظ التمثيل لايكون الامقدرا بمثل غالبا وأخرجت آخر كلامى مخرج المثل السائر على مذهب من يرى ذلك وأتيت بتسمية النوع البديعى مورى بمصبوكا فى أحسن القوالب والله أعلم بالصواب

ثم احكى النص الشامل من أسمع والجانى من بلغ فلقد بلغ من كيد هؤلاء القوم أنهم حين صادفوا من الاستاذ نفسا لا تستفز وجبلا لا يهز وشوا الى خدمه بما أرسوا نارهم ورد على ماقالوه فالبث ان قلت وان تك حرب بين قومى وقومها * فانى لها فى كل نائبة سلم * وليعلم الاستاذان فى كبد الاعدامنى جمرة وان فى اولاد الزنا عندنا كثرة وقصاراهم نار يشبونها وعقرب يدبونها ومكيدة يطلبونها ولولا ان العذر القرار بما قيل وأكره ان استقبل لبسطت فى الاعتذار شاذروانا ودخلت فى الاستقالة ميدانا لكنه أمر لم أضع أوله فلم اتدارك آخره وقد أبى الشيخ أبو محمد أيده الله الان يوصل هذا الثغر الفاتر

(ذكر التوجيه)

(وأسود الخال في نعمان وجنته * لي منذر منه بالتوجيه للعدم)

التوجيه مصدر توجه الى ناحية كذا اذا استقبلها وسعى نحوها وفي الاصطلاح أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أو غيره والتوجيه هو ابهام المتقدمين لان الاصطلاح فيهما واحد غير ان الشواهد التي استشهدوا بها على التوجيه الابهام أحق بها لطلوع أهلتها زهراء في افقه ولمطابقة التسمية فانهم يستشهدون على التوجيه بقول الشاعر في الحسن بن سهل عند ما زوج ابنته بوران بالخليفة

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن

يا امام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يعلم ما اراد بقوله ببنت من في الرفعة أو في الحقارة وقد تقدم قولي في شرح نوع الابهام لما استشهدت بهذين البيتين على ما نقل ابن ابي الاصبع أن الحسن بن سهل قال له أسمعت هذا المعنى ام ابتكرته فقال لا والله نقلته من شعر شاعر مطبوع كان كثير الولوع بهذا النوع واتفق أنه فصل قباء عند خياط اعور اسمه زيد كذا نقله ابن أبي الاصبع فقال له الخياط على سبيل العبث سآتيك به لا تدري اقباء هو ام دواج فقال له الشاعر ان فعلت ذلك نظمت فيك بيتا لا يعلم من سمعه ادعوت لك أم دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لي زيد قباء * ليت عينيه سواء

فان قيل انه قصد التساوي في عينيه بالعمى صح وان قيل انه قصد التساوي في الابصار صح * فتسمية النوع هنا بالابهام أليق من تسميته بالتوجيه * ومطابقة التسمية فيه لا تخفى على أهل الذوق الصحيح وهذا مذهب ابن ابي الاصبع فانه هو الذي تخير الابهام * ونزل عليه هذه الشواهد واختصر التوجيه من كتابه وقال في ديباجته وربما بقيت اسم الباب وغيرت مسماه اذا رأيت اسمه لا يدل على معناه * وقد اجمع الناس على ان كتابه المسمى بتحبير التحرير أصح كتاب الف في هذا الفن لانه لم يتكل فيه على النقل دون النقد وغالب الجماعة غيروا بعض القواعد * وبدلوا أكثر الاسماء والشواهد * ووضعوها في غير محلها واذا وصلت الى بديع ابن منقذ وصلت الى الخبط والفساد والجمع بين اسباب الخطاء وانواعه من التداخل والتبديل * والسكاكي ومن تبعه سموا هذا النوع التوجيه ونسج الناس على منوالهم الى ان تخير ابن أبي الاصبع نوع الابهام وقرر له الشواهد التي هي أليق به من التوجيه ولم أسمع من شواهد الابهام غير البيت المنظوم في الخياط والبيتين المنظومين في الحسن بن سهل وهذا النوع صعب المسلك في نظمه لان المراد من الناظم ان يبهم المعنيين بحيث لا يكاد أحدهما يترجح على الآخر ومن أظرف ما وقع لي في هذا الباب وقد أوردته في باب الابهام ان القاضي زين الدين بن القرناص الحلبي غفر الله له ألف تاريخا قريبا من قباء الخياط * وهاجر الى حماة المحروسة بسبب الكتابة عليه ورسم لي بعد وقوفي عليه بالكتابة عليه فكتبت على التاريخ المذكور هذين البيتين

تاريخ زين الدين فيه عجائب * وبدائع وغرائب وفنون

التوجيه

الصواب أن يقول التوجيه مصدر وجهته الى ناحية كذا أرسلته اليها اه

بنظم مثله فيها كما يلعن بعضه بعضا

مولاي ان عدت ولم ترض بي ان أشرب البارد لم أشرب

امتطختني واشتمل ناظري وصد بكفي حمة العقرب

بالله ما أنطق عن كاذب فيك ولا أبرق عن خلب

فالصفو بعد الكدر المفترى كالصحو عقب المطر الصيب

ان اجتني الغلظة من سيد فالشوك عند الثمر الطيب

أو يغمد الزور على ناقد فالمرء قد يعصب بالثيب

وامل الشيخ أبا محمد أيده الله بقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم والبيان فنعم رائد الفضل هو والسلام

(وله الى الشيخ العميد)

أنا أطال الله بقاء الشيخ العميد مع أحرار نيسابور في صنعة لا فيها أعان ولا عنها أصان وشيمة ليست بي تناط ولا عني تماط وحرفة

فاذا أنا ممناظر فى جمعه * خبره عنى انه مجنون

ومن اغرب ما نقل من شواهد الابهام التى ماتليق بغيره أن ابا مسلم الخراسانى قال يوما لسليمان بن كثير بلغنى أنك كنت فى مجلس وقد جرى ذكرى فقلت اللهم سوّد وجهه واقطع رأسه واسقنى من دمه * فقال نعم قلت ذلك ونحن جلوس بكرم حصرم فاستحسن ابومسلم ابهامه وعفا عنه لسداد جوابه * رجع الى ما كنا فيه من تقرير نوع التوجيه * قد تقدم ان المتقدمين نزلوه منزلة الابهام وسموه توجيها واستشهدوا عليه بالشواهد التى تقدم ذكرها * وأما التوجيه عند المتأخرين فقد قرروا أن يوجه المتكلم بعض كلامه أو جملته الى اسماء متلائمة اصطلاحا من اسماء الاعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك مما يتشعب له من الفنون توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثانى من غير اشتراك حقيقى بخلاف التورية * وهذا هو مذهب الشيخ صفى الدين وعلى هذا المنوال نسج بديعيته * وقد تقدم أن بديعيته نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن * وعلى منواله نسجت بديعيتى لاجل المعارضة وقد أدخل جماعة نوع التوجيه فى التورية وليس منها * والفرق بينهما من وجهين احدهما ان التورية تكون باللفظة المشتركة والتوجيه باللفظ المصطلح عليه والثانى أن التورية تكون باللفظة الواحدة والتوجيه لا يصح الا بعدة الفاظ متلائمة * كقول علاء الدين الوداعى

من ام بابك لم تبرح جوارحه * تروى احاديث ما أوليت من منن

فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

أقول لو بلغت ما عسى أن أبلغه لما وجدت للمتقدمين شاهدا أحسن من هذين البيتين على هذا النوع ولذلك قدمتهما سبحان المانح لقد أظهر الشيخ علاء الدين الوداعى من محاسن الأدب فى التوجيه وجوها تخجل الاقمار * وتمسك الناس بعده بطيب هذه الآثار * أما قرة فهو قرة ابن خالد السدوسى وهو ثقة يروى عن الحسن وابن سيرين وليس بتابعى وأما صلة فهو صلة بن أشيم العدوى كان من كبار التابعين وهو زوج معاذة العدوية وهى تروى عن عائشة وأما جابر فهو جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بجابر الجعفى لان جابرا الجعفى ضعيف وهو تابعى وانما ضعفوه لانه كان يؤمن بالرجعة وأما الحسن فهو الحسن البصرى كان تابعيا كبيرا رأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلثمائة رجل فقد در الوداعى لقد أودع فى بيته نفائس الذخائر * وقال فلم يترك مقالا لشاعر * وكان من المتقدمين عصرا وعلما فى اقتناص شوارد النكت الادبية * والانواع البديعية * وابراز التورية فى القوالب التى لم يسبق اليها وعلى موائد معانيه ونكته تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة فى مواضع كثيرة وقد عن لى وان طال الشرح أن اذكر نبذة من ذلك لتتأيد قولى ويعرف رتبة الشيخ علاء الدين من كان بها جاهلا قال الشيخ علاء الدين من قصيدة مطولة

اثخنت عينها الجراح ولا اثم عليها لأنها نعساء

زاد فى عشقها جنونى فقالوا * ما بهذا فقلت بى سوداء

لانها أدال ولا عفى تزال وهى الكدية التى على تبعتها وليست لى منفعتها فهل للشيخ ان يلطف بصنيعته لطفا يحط عنه درن العار وسمة التكسب والافتقار اخف على القلوب ظله ويرتفع عن الاحرار كله ولا يثقل على الاجفان شخصه باتمام ما كان عرضه عليه من اشغاله ليعلق باذياله وليستفيد من خلاله فيكون قد صان الفضل عن ابتذاله والادب عن اذلاله واشترى حسن الثناء بجاهه كما يشتريه بماله وللشيخ العميد فيما يجيب به صنيعته من وعد يعقده ووفاء يتلو ما يعده على رأيه ان شاء الله تعالى

(وله الى القاضى أبى القاسم على بن أحمد يشكو ابا بكر الحيرى)

الظلامة أطال الله بقاء القاضى اذا أتت

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة

قام يرنو بمقلة كحلاء • علمتني الجنون بالسوداء

قال الشيخ علاء الدين الوداعي

اذا رأيت عارضا مسلسلا • في وجنة كجنة يا عاذلي
فاعلم يقينا أنني من امة • تقاد للجنة بالسلاسل

قال الشيخ جمال الدين ولم يخرج عن الوزن والقافية

أفدي الذي ساق اليها مهجتي • فرع طويل تحت حسن طائل
فلي بصدغيها الى طلعتها • يقاد للجنة بالسلاسل

قال الشيخ علاء الدين وقد اجتمع بجماعة من أصحابه لم يخرج اسم واحد منهم عن علي

لقد سمح الزمان لنا بيوم • غدا فيه السمي مع السمي
تجمعنا كأنا ضرب خيط • علي في علي في علي

قال الشيخ جمال الدين

علوت اسما ومقدارا ومعنى • فيا لله من حسن جلي
كأنكم الثلاثة ضرب خيط • علي في علي في علي

قال الشيخ علاء الدين

من آخذ من خده • بدم الشهيد المغرم
فالريح ريح المسك منه ولونه لون الدم

قال الشيخ جمال الدين

لا ينكرن الكاس من جفنه • دم الشهيد الصابر المغرم
فالريح ريح المسك من خده • كما يرى واللون لون الدم

قال الشيخ علاء الدين من قصيد

يفتن بالفاتر من طرفه • وريقه البارد يا حار

قال الشيخ جمال الدين

لو ذقت برد رضاب من مقبله • يا حار ملت اعضائي التي غلت

مع ان الشيخ جمال الدين فتر عن الفاتر

قال الشيخ علاء الدين

قيل ان شئت أن تكون غنيا • فتزوج تكن من المحسنينا
قلت ما يقطع الاله بحر • لم يضع بين اظهر المسلمينا

قال ابن نباتة

قال لي خلي تزوج تسترح • من أذى الفقر وتستغني يقينا
قلت دع نصحك واعلم انني • لم اضع بين ظهور المسلمينا

قال الوداعي

يا عاذلي في النكاريش اطرح عذلي • واعذر فعذري فيهم واضح حسن

من مجالس القضاء لم ترق الا الى سيد القضاة وما كنت لاقصر سيادته على الحكام دون جميع الانام لولا اتصالهم بسببه واتسامهم بلقبه وهم القضاة اتسموا بسمته متطفلين على قسمته اليهم أديم في الصحة كأديمه أو قديم في الشرف كقديمه أو حديث في الكرم كطر يقه فهنيأ لهم الاسماء وله المعاني ولا زالت لهم الظواهر وله الجواهر ولا غرو أن سموا قضاة فما كل مانع ماء ولا كل سقف سماء ولا كل سيرة عدل العمرين ولا كل قاض قاضي الحرمين وبالثارات القضاء ما أرخص ما بيع وأسرع ما أضيع وألبسه الانذال قبل خلق الديار وموت الخيار الا يغارون لحلي الحسناء على السوداء وص كب

فالمردان حاولوا حربي بجرمهم • اذا القام بنصرى معشر خشن

قال ابن نباتة

لو آذتني عـذالى بحربهم • اذا لشكاربش قد أصبحت حيرانا
اذا القام بنصرى معشر خشن • عند الحفيظة ان ذولوثة لانا

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيدة

عذب مقبله وحلو لحظه • أوما تراه بالنعاس معسلا

قال الشيخ جمال الدين

معسل بنعاس فى لواحظه • اما تراها الى كل القلوب حلت

قال الوداعى من القصيدة المذكورة

الحاظه وهى السيوف كليلة • و يكون تعذيب الكليلة أطولا

قال ابن نباتة

بليت به ساجى اللحاظ كليلها • ومازال تعذيب الكليلة أطولا

قال الوداعى من قصيد

والنهر كالمبرد يجلوا الصدا • يبرده عن قلب ظمآن

قال ابن نباتة

والنهر فيه كمبرد • فلأجل ذا يجلوا الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده عن نكتة برده فى بيت الوداعى فان الشيخ جمال الدين حط مكانها فى بيته فلاجل ذا وشتان قال الوداعى

ما كنت اول مغرم محروم • من باخل بادى النفار كريم

قال ابن نباتة

مخجل يشبه ريم الفلا • يا طول شجوى من بخيل كريم

قال الوداعى فى مليح أعمى

بروحى غزال راح فى الحسن جنة • تعشقته أعمى فهمت من الوجد
اذا ما تبدى قائدا بيمينه • تيقنت حقا انه جنة الخلد

قال ابن نباتة

أفديه أعمى مفرد اللحظه • ليرتقى فى خده الوردى
فكنت عيناى من وجهه • فقلت هذى جنة الخلد

قال الشيخ علاء الدين

جلت على بدر مبسمها • فغدت مطوقة بما جلت

قال ابن نباتة

جلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم • فغدت مطوقة بما جلت به

قال الوداعى

ومايرى هوى المشتا • ق الاذلك المقلى

أولى السياسة تحت السياسة ومنزل الانبياء من تصدر الاغبياء وحمى البزاة من صيد البغاث وهربح الذكور من تسلط الاناث وباللرجال وأين الرجال ولى القضاء من لايملك من الآية غير السبال ولا يعرف من أدواته غير الاختزال ولا يتوجه من أحكامه الا فى الاستحلال ولا يرى التفرقة الا فى العيال ولا يحسن من الفقه غير جمع المال ولم يتقن من الفرائض الا قلة الاحتفال وكثرة الافتعال ولم يدرس من أبواب الجدل الاقبح الفعال وزور المقال ذاك أبو فلان القلانى أضاعه الله كما أضاع أمانته وخان خزانته ولا حاط من فاض فى صولة جندى وسبلة كردى فما أشبهه فى قضاياه وتعيره بين خطاياه الا بالصبى

قال ابن نباتة

من المقل أشكو فتوره الم الجوى * وطب الهوى عندى كما قيل فى المقل

قال الوداعى

يانديمى والذى عاهدنى * أنه من شربها لن يقصرا

اسقنى صرفا ودع عذالنا * يضربون الماء حتى يخثرا

قال ابن نباتة

اسقنى صرفا من الرا * ح تحث الهم حثا * ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

قال الوداعى

باللوى صعدة عليها لواء * كل طعنات نصلها نجلاء

وقال بعد المطلع

لا تجد عندها اسماعا لشكوى * فلهذا قالوا لها صماء

قال ابن نباتة

وعدت بطيف خيالها اسماء * ان كان يمكن ناظرى اغفاء

وقال بعد المطلع

يامن يطيل من الجوى لقوامها * شكواه وهى الصعدة الصماء

وقد آن أن اختصر لئلا يطول الشرح وأكف لسان القلم فقد طال واستطال على عرض الشيخ جمال الدين ونعود الى ما كنا فيه من الاستشهاد ببيتى الشيخ علاء الدين الوداعى على نوع التوجيه فقد فهمت رتبته فى هذا الفن وتوجيهيته يصدق على اسماء الاعلام من رواة الحديث فى هذا الفن حيث قال

فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

والمعنى الآخر فى حسن مناسبته بين القرة والعين والصلة والكف والجبر والقلب والكسر والسمع والحسن ظاهر ومثله قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر الحلبى يصف فيها نهرا صافيا فى روض نزيه

اذا فاخرته الريح ولت عليلة * بأذيال كثبان الربا تتعثر

به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيى وهو لاشك جعفر

ومثله قول ابن الوردى

هويت أعرابية ريقها * عذب ولى فيها عذاب مذاب

رأسى بنو شيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

واما التوجيه فى قواعد العلوم كما تقرر فأحسن ما رايت فيه قول امين الدين على السليمانى فى بعض قواعد النحو

أضيف الدجى معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر

وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قولى

يسلم الى عديله ويلف وجهه فى منديله ويجمع عليه اترابه فيصبى قذاله كل رفعة بصفعة ويسئل عن ضاربها فان غلط فى صاحبها أعيد على وجهه اللف وعلى قذاله الكف وكذا من شغل أيام صباه بما شغل وفعل أيام الشباب ما فعل ثم جلس للقضاء كهلا وسع كل شئ جهلا وبعد فان القضاء من القضية والحبة لا تلد غير الحبة فمن اعتزى الى أب كأبيه واقترن بأخ كأخيه لم يلم على جهله فهو الشئ من أهله والفرع فى أصله والعلم أطال الله بقاء القاضى شئ كما تعرفه بعيد المرام لا يصاد بالسهام ولا يقسم بالازلام ولا يرى فى المنام ولا يضبط باللجام ولا يورث عن الاعمام ولا يكتب اللئام وزدع لا يزكو

اغراء لحظك مالى منه تحـذير * ولا لتعريف وجدى فيك تنكير
يا نصب عينى غرامى كيف أجزمه * والقـد مرتفع والشعر مجرور

ومن أظرف ما وقع فى هـذا الباب أنه كان بالعراق عاملان احدهما اسمه عمر والآخر اسمه أحمد فعزل عمر عن عمله واستقر احمد بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء فى ذلك

اياعمر استعد لغير هذا * فأحمد بالولاية مطمئن
فانك فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

وقول ابن عنين فيمن عزل وكانت سيرته غير مشكورة

فلا تغضبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفة

وقول ابن الساعاتى وقيل لابن أبى الاصبع

اياقرا من حسن وجنتـه لنا * وظل عـذاريه الضحى والاصائل
جعلتك للتمييز نصبا لناظرى * فهـلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وظريف هنا قول بعضهم

عرج بنا نحت طلول الحمى * فـلم تزل آهلة الاربع
حتى نظل اليوم وقفا على الـسـا كن أو عطفا على الموضع

وقول محمد بن العفيف

ياساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى
لاى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

ومن لطائف البهاء زهير

يقولون لى أنت الذى سار ذكره * فمن صادر يثنى عليه ووارد
هبونى كما قد تزعمون أنا الذى * فأين صلاتى منكم وعوايدى

ونظير هذا ما اتفق لشرف الدين محمد بن عنين وذلك انه مرض فكتب الى الملك المعظم صاحب دمشق

أنظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
انا كالذى أحتاج ما تحتاجه * فاغـنم دعاءى والثناء الوافى

فعاده الملك المعظم ومعه خمسمائة دينار وقال له أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة * وظريف هنا قول بعض المواليا

رأيتها وهى داخل دارها فى الصحن * تنشد ومل صحنت قلبى المعنى صحن
باليتها مع تغنيها وطيب اللحـن * ترفع أبرودع يدخل على اللحن

وقول بعضهم من التوجيه فى قواعد الفقه

اجنح الى الزهد تحظى به * وارم بجارا لهم مستنفرا
من لم يطف بالزهد فى وقفة * من قبل أن يحلق قد قصرا

وقول شمس الدين بن العفيف من التوجيه فى قواعد الجدل

ومابال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

فى كل أرض حتى يصادف من المرض ثرى طيبا ومن التوفيق مطرا صيبا ومن الطبع جوا صافيا ومن الجهد روحا دائما ومن الصبر سعيا نافعا والعلم علق لا يباع ممن زاد وصيد لا يألف الا وغاد وشئ لا يدرك الا بنزع الروح وغرض لا يصاب الا بافتراش المدر واستناد الحجر ورد الضجر وركوب الخطر وادمان السهر واصطحاب السفر وكثرة النظر واعمال الفكر ثم هو معتاص على من زكا روعه وخلا ذرعه وكرم اصله وفرعه ووعى بصره وسمعه وصفا ذهنه وطبعه فكيف يناله من أنفق صباه على الفحشاء وشبابه على الاحشاء ونهاره على الجمع وليله على الجماع وشغل سلوته بالغنى وخلوته بالغنا وأفرغ جدة على الكيس

وقول شمس الدين بن جابر الاندلسي ناظم البديعية من التوجيه في الحديث

قالت أعندك من أهل الهوى خبر * فقلت اني بذاك العلم معروف
مسلسل الدمع من عيني ومرسله * على مديح ذاك الخد موقوف

ومن التوجيه في علم العروض قول ابن نصر الله المصري

وبقلبي من الهموم مديد * وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذاك الى ان * قطع القلب بالفراق الخليل

ومثله قولي وهو مطلع قصيد

في عروض الجفا بحور دموعي * ما افادت قلبي سوى التقطيع

ومن التوجيه في الكتابة قول ابن الساعاتي

لله يوم في دمشق قطعته * حلف الزمان بمثله لا يغلط
الطير تقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والسحاب ينقط

ولبعضهم واجاد وهو ابن القيسراني

بوجه معذبي آيات حسن * فقل ما شئت عنه ولا تحاشي
فنسخة حسنه قرئت وصحت * وها خط الكمال على الحواشي

وقول ابن الوردي

رايت فقيرا في المرقعة التي * على حسنه دلت وحسن طباعه
بخديه ريحان الحواشي محقق * الى الثلث والفضاح تحت رقاعه

ومثله قول القرشي الكاتب وقد طلبه السلطان بسبب خط نقل عنه أنه زور فاختفى في بيته ثلاث سنة وكتب الى ابن فضل الله يسأله النظر في حاله في رقعة أولها * يقبل الارض وينهي انه ثلاث سنة محقق مختف في حواشي البيت يخشى توقيعات الرقاع من صاحب الطومار وسؤال المملوك نسخ هذا الامر الفضاح بحيث لا يبقى عليه غبار فان المملوك وحق المصحف ما يحمل عود ريحان ومن التوجيه في علم الرمل قول الصاحب بهاء الدين زهير

تعلمت علم الرمل لما هجرتني * لعلي أرى شكلا يدل على الوصل
فقالوا طريق قلت يارب للقا * وقالوا اجتماع قلت يارب للشمل

ومن التوجيه في علم النجوم قول بعضهم في كان وكان

لو سنبله خلف ظهره * ناظر اليها المشترى
ولو ذنب ما يقارن * حتى يرى الميزان

ومن التوجيه في علم الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهه * كأن بها اقليدسا يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والشكل شكل مثلث

وقول يوسف الذهبي بن لؤلؤ في توجيه علم الموسيقى

وبمهجتي المتملون عشية * والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم أخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب في عشاق

وهزله على الكأس والعلم غر لا يصلح الا للغرس ولا يغرس الا في النفس وصيد لا يقع الا في البذر ثم لا ينشب الا في الصدر وطائر لا يخدعه الا قفص اللفظ ثم لا يعقله الا شرك الحفظ وبحر لا يخوضه الملاح ولا تطيقه الالواح ولا تهيجه الرياح وجبل لا يتسنم الا بخطى الفكر وسماء لا يصعد الا بمعراج الفهم ونجم لا يلمس الا بيد الجد أيكفي أن يصبح المرء بين الزق والعود ويمسي بين موجبات الحدود حتى يتم شبابه وتشيب أترابه ثم يلبس ذنبه ليخلع دينه ويسوى طيلسانه ليصرف يده ولسانه ويقصر سباله ليطيل حباله ويبدى شقاشقه ليغطي مخارقه ويبيض لحيته ليسود صحيفته ويظهر ورعه ليخفي طمعه ويغشى

ومثله قول شمس الدين بن جابر الاندلسى ناظم البديعية

يا أيها الحادى اسقنى كاس السرى * نحو الحبيب ومهيجى للساقى
جئ العراق على النوى واحل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق

ومن التواجيه اللطيفة قول ابن نباتة فى اسماء منتزهات دمشق

ياحبذا يوما بوادى جلق * وتنزهى مع ذا الغزال الحالى
من أول الجبهة قد قبلته * مرتشفا لآخر الخلخال

ومن التوجيه الغريب اللطيف قول ابن الوردى * وقد كتب الى بعض المخاديم بسبب وظيفة القضاء وأظنه لشيخ الاسلام شرف الدين بن البارزى

جنبتنى وأخى تكاليف القضا * وكفيتنا مرضين مختلفين
ياحىّ عالم عصرنا احييتنا * فلك التصرف فى دم الاخوين

وقول بعض الموالبا

للخد ياحى عالم يا كميت الطرد * عليه لونفس صبارة وحر وبرد
ناداه والعارض النمام حولو فرد * مافاتك الحسن ساعة ياشقيق الورد

وقد تقدم قولى ان الشيخ شمس الدين بن الصايغ استشهد فى شرحه المسمى برقم البردة بشئ من أزجال أهل عصره على بعض انواع البديع وتقدمت ترجمة الشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموى عند ما أوردت له ما اوردت فى أنواع الجناس وقد ذكرت له هنا فى باب التوجيه زجلا موجها فى خياط أخبرنى من أدرك الحاج علاء المذكور من أعيان أهل حماة أن هذا الزجل دخل الى بلاد المغرب وعاد مخلقا بالزعفران ورتبة الشيخ علاء الدين ابن مقاتل فى هذا الفن مشهورة شرقا وغربا لم نحتج فيها الى الاطناب فى وضعه الزجل ومطلعه

نهوى خياط سبحان تبارك من * بالجمال جملوا
بالمفصل وآية الكرسى * نرقى شكلو الحلو
خاط لى ثوب سقام قصر نسجو * طال بحكم القدر
حتى أن البدن لضعفى ضاع * فى عيون الابر
راح عذولى يشكلو شكلو * ويقص الخبر
وجا مذبوح القلب متمزق * ونسى ايش قلت لو
ولافرج لو كرب عن قلبو * ولامن مرسلو
ذا الحسين بفيقة العشاق * كم قد أخلا جيوب
وبزرومن العيون كم لو * تخرجه فى القلوب
قلت بصه غلالك الجيب زور * ولا فرج كروب
خلا سرى المكنوم مشهر فيه * والذى يسالو
جيبو مقلوب وراب على غيرو * الاستوا فصلو
بعد طيب الوصال قطع وصلى * واوصل الانقطاع

محرابه ليلا بجرابه ويكثر دعاءه ليشهدوا وعاءه ثم يخدم بالنهار أمعاءه ويبالغ بالليل وجماءه ويرجوان يخرج من بين هذه الاحوال عالما ويقعد حاكما هذا اذا الجد كالوه بقرزان كلا حتى ينسى الشهوات ويجوب الفلوات ويعتضد المحابر ويحتضن الدفاتر وينتج الخواطر ويحالف الاسفار ويعتاد القفار ويصل الليلة باليوم ويعتاض السهر من النوم ويحمل على الروح ويجنى على العين وينفق من العيش ويخزن فى القلب ولا يستريح من النظر الا الى التصديق ولامن التحقيق الا الى التعليق وحامل هذه الكلف ان اخطاه رائد التوفيق فقد ضل

حتى خـلى بينى وبين الموت * اما باع اوذراع
وترى ظاهـرى صحيح لكن * باطـنى فى النزاع
وان هو طوّل شـــقة بعادى والانقطاع اوصــــلو
جهزوا القطن والكفن والما * واغسـلوا وفصـلوا
جا الفقيه فى حبيى يعـذلنى * ويرقع كـــلام
قلت دعـنى فقيه فى تمزيق * بس تلفيق مـلام
قال حبـك لو ظلم ســلارى * تترى والسـلام
وسلب اسـلامى لما ـذرنى * عنــد باب مـنزلو
وقطــع عاتقى وضربنى * وايش معو يعــملو
ذا الخليع الجديد نهار قد قال لى * لفظ وعقـــلى قمر
صف جبينى وشعرى من تفصيل * نظمك المبتـــكر
قلت خيط الصباح يستفتح * ذيل الدجى فى السحر
قال لى قصرت بل هو ستر الله * خين على اســبلو
حابك الزرقا فاتـق الخضرا * بالهـلال كـــللو
قال فصفنى فى خدى والعارض * فى أحســن صفات
قلت حـله وردى من اطلس * فيها جمع الشتات
وعليها دار الطـراز تنبيت * رقم ما احلاه نبات
قال ماهو الاشرب والحمره * دم من تقتــــلو
فيه خيالات خيوط زرق لاحت * من جفون تغـزلو
قلت كف العتاب فى ذى الصفه * ما انا فى ذا القياس
وانظــــر فى دايره تمنطقها * بدر من غير قيـاس
وا كسنى ثوب وقار ولبسنى * بالقسـوه لبـاس
وان جا تخلصى غرض من يديك * بالوصـال طـوّلو
وان قصر باعى عن صفات مدحك * بالوفا ذيــــلو
جاز فى بستان مشهر القمصان * من بكر صـاجو
مثل كف المنثور فى مكنونه * حين وقف صـاخو
وقميص الشقيق من اكمامو * بالخجـــل فاتحو
وقضيب الخـلاف وقف عـراه * فرق حـين فصـلو
واوثق ازراره الورد فى كـمو * وعليــــه فضـــلو
دى الكلام بتخلع وتتفـرد * ويفصـــل مليح
ويفرج ويندرج اصـلو * ويفتــح صحيح
ويبطـن من بعـد تضريبو * بالسجاف يستريح
ويعسرى من حبكه التخريم * ويزرروا ـــــــو

سواء الطريق وهذا الحبرى رجل سفله طلب الرياسة بغير تحصيل آلاتها واجهله حصول الامنية عن تعمل أدواتها
والكلاب أحسن حالة
وهو النهاية فى الخساسه
ممن تصدر للريا
سة قبل ابان الرياسه
فولى المظالم وهو لا يعـلم امرارها وحمـل الامانة وهو لا يعرف مقـدارها والامانة عنـد الفاسق خفيفة الحمل على العاتق تشفق منهـما الجبال وتحـملها الجهال وقعد مقعد رسول الله صـلى الله عليه وسلم بين كتاب الله يتلى وحديث رسوله يروى وبين البينـة والدعوى فقبحه الله من حاكم لا شاهد أعدل عنـده من الـلهٰ والجام يدلى بهما الى الحـكام ولاهو كى اصـدق لديه من الصفر ترقص على الظفر ولا وثيقـة احب اليه من

انو بطوى والنشر فيه موزون * آخر وفى اولو

ومنه يعرض بذكر اضداده بدمشق

ذا الزجل فاسيون على الاعدا * جبد ما فيه خفف
وعلى ارباب المعرفة من ريش * النعامات اخف
للصغير والكبير فقل عنى * واحذرا حذر تخف
كم زيادة على على وان كان * يشتهوا يعملوا
هذا الابلق والشقرا والميدان * اركبوا وادخلوا

كأنى بمتأمل نظر فى رسم كتابة هذا الزجل فانكره لبعده عن رسم الالفاظ المعربة الخالية من اللحن ويعذر فى ذلك لانه ليس له المام بمصطلح رسمه ومن رسمه على غير هذا الطريق لم يتخذه مرسوم فانه يؤديه الى خطا وزنه واعراب لحنه * ومصنفه ابو بكر بن يحيى بن قزمان الوزير قال فى خطبته * وقد جردته من الاعراب * تجريد السيف من القراب * ولم يطلب من الزجل غير عذوبة الفاظه وغرابة معانيه انتهى ومن التواجيه اللطيفة فى الطب ما اتفق ان بعض الملوك خرج لقتال اعدائه * فايده الله بنصره فطلب كاتب انشائه ليكتب على الفور حكاية الحال فتعذر وجوده فى ذلك الوقت فطلب طبيبه وامره بالكتابة بسرعة وكان الطبيب حاذقا فكتب موجها فى صناعته * امابعد فانا كنا مع العدو فى حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا لم يقع الا على قيفال * ولم يكن الا كجس نبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم * فهلك بسعادتك يا معتدل المزاج وكان ابو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامى وسراج الدين الوراق لم يخرجوا عن هذا النوع فى غالب نظمهم ويأتى الكلام على ذلك فى مواضعه من باب التورية وأما توجيه اسماء انواع البديع فهو نسيج وحده * وواسطة عقده * وما ذاك الا أنه رسم لى بانشاء توقيع المقر الاخوى الزينى عبد الرحمن ابن الخراط الشافعى احد أعيان العصر فى الادب بكتابة السر بثغر طرابلس وانا منشئ ديوان الانشاء الشريف المؤيدى بالديار المصرية فقصدت التوجيه بالانواع المذكورة لتحصل الملاءمة ومراعاة النظير بذلك فان صاحب التوقيع من المتميزين على كلا الحالين بحسن الادب فمن ذلك قولى فى فصل التعدية وبعد فلما انعامنا الشريف قد حلينا لاهل الادب مورده * لتصير عقود انشائنا بجواهر منثوره منضده * وتطلع كل براعة باستهلالها فى أشرف المطالع * وتسكن النزاهة طباق البديع للمقابلة فيتنزه الناظر والسامع * ويقوم الاستخدام بما يجب عليه من واجب الخدمة * ويزيل الاقتباس بنوره عن أهلته كل ظلمة * وتجول خيول الاستطراد فى رد العجز على صدره * ويحصل لاهل الادب فى زماننا تمكين فيظهر الافتنان فى نظمه ونثره * ويصير لفقه المذهب الكلامى فى ايامنا الشريفة ترشيح ومماثلة ومناسبة * ويبرز فى توشيح التسليم من غير اعتراض مناقضة ومواربة * ويجنح العصيان الى الدخول تحت الطاعة * ويسمع القول بموجبه من غير مراجعة فى كل براعة * ويزول التجاهل بالعارف * ويصير التسجيع والموارية عند ايجازه بالمواقف * وكان المجلس العالى القضائى عبد الرحمن بن الخراط الشافعى ممن حسن بيانه ايضاح وللسر عنده

غمزات الخصوم على الكيس المختوم ولا وكيل أوقع بوفاقه من خيبة الذيل وحمال الميل ولا كفيل أعز عليه من المنديل والطبق فى وقتى الغسق والفلق ولا حكومة أبغض اليه من حكومة المجلس ولا خصومة أوحش لديه من خصومة المفلس ثم الويل للفقير اذا ظلم فما يغنيه موقف الحكم الا بالقتل من الظلم ولا يجيره مجلس القضاء الا بالنار من الرمضاء واقسم لو ان اليتيم وقع فى انياب الاسود بل الحيات السود لكانت سلامته منهما أحسن من سلامته اذا وقع بين غيابات هذا القاضى واقاربه وما ظنك بقوم يحملون الامانة على متونهم ويأكلون النار فى بطونهم حتى تغالظ قصراتهم من مال اليتامى وتسمن اكفالهم من مال

حسن ابداع * وللأدب الية التفات لانه بجواهر ترصيعه يشنف الاسماع * وهو الفاضل الذى اذا نظم ازال بسهولة نظمه الابهام والتوهيم * واذا نثر عقود الانشا فلافرق بين عبد الرحمن وعبد الرحيم * يحسن فى المطالعة والامثلة الشريفة طيه ونشره * وهو من الشعراء فيما يعد من القصص اذا علا فى تفسيرها امره * فلذلك رسم بالامر الشريف لازالت براعة المطلب منظومة فى بديع زمانه بانعامه * ولابرحت أبوابه الشريفة فى تصريع وتشريع لوفود اهل الادب فى ايامه * أن يستقر لانه ممن يحسن به التعبير ويحصل به الا كتفاء والتتميم * ويجمع من نظمه ونثره بين التجنيس والترسل فيحسن الجمع بهذا التقسيم * فليباشر ذلك ويجمل الاستعانة بالله ليأمن التنكيت والتعليل * ويصير لشقة الانشا بعد النقص تسهيم وتكميل * ويظهر ابرد الكلام بحسن تفصيله تفويف وتوشيع * ولاصول التهذيب والتأديب مبالغة وتفريع * والوصايا كثيرة لاتخفى على الاديب الفاضل الاحتراس والفرق بين المستوى والمقلوب * وبه يحصل النسق فى جمع الفرائد وتظهر براعة التخلص فى عنوان كل مطلوب * لانه الفاضل الذى ان سكن ثغر الميفة شنب التورية بحسن نظامه * أو جاور بحرا فهو اديب والصور فى تصريف أوامره فى نقضه وابرامه * والله تعالى يجعل نظم هذا الثغر بحسن ادبه فى بلاغة وانسجام * وكما حسن له الابتداء يعضده بديع السموات والارض بحسن الختام * وقد طال الشرح فى نوع التوجيه ولم يبق للاطالة وجه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى هذا النوع

خلت الفضائل بين الناس ترفعنى * بالابتداء فكانت أحرف القسم

الشيخ صفى الدين قصد فى توجيه بيته بعض قواعد النحو وهو بيت عامر بالمحاسن * وقد تقدم ماأوردنامن هذا القسم وبيت بديعيتى

وأسودا لخال فى نعمان وجنته * لى منذر منه بالتوجيه للعدم

التوجيه فى هذا البيت من القسم المقدم على التوجيه فى قواعد العلوم وقد تقدم فيه ان يوجه المتكلم كلامه الى اسماء متلائمة اصطلاحا من اسماء الاعلام توجيها مطابقا للمعنى اللفظ الثانى من غير اشتراك حقيقة بخلاف التورية وقد تقدم ذلك وتقرر الكلام عليه وعلى التوجيه فى قواعد العلوم وبقية الفنون وعلى كل تقدير فالكل راجع الى طريق واحد * والاشتراك هنا فى النعمان والمنذر ظاهر ولكن النكتة اللطيفة فى الاسود فان المتامل مايتخيل فى أول وهلة غير سواد الخال وجل القصد فى المعنى الآخر هو الملك الاسود اخو النعمان بن المنذر وهو احد ملوك العرب والتورية ههنا فى التوجيه الذى هو اسم النوع البديعى لم يفتها من المحاسن وجه وهذا هو الافق الذى أقمر فيه الشيخ علاء الدين الوداعى والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وغيرهما ممن اوردنا على هذا النوع نظمه * وأوصلنا الى الغرض لما اطلق فيه سهمه * وماأخرت بيت العميان وبيت الشيخ عز الدين ونثرت نظم الترتيب هنا الالانهم نسجوا على غير هذا المنوال وتعوضوا عن مسارح الماء الحلو بالآل وبيت العميان

ترى الغنى لديهم والفقير وقد * عادا سواء فلازم باب قصدهم

الايامى وماظنك بدار عمارتها خراب الدور وعطلة القدور وخلاء البيوت من الكسوة والقوت وما قولك فى رجل يعادى الله فى الفلس ويبيع الدين بالثمن البخس وفى حاكم يبرز فى ظاهر أهل السمت وباطن أصحاب السبت فعله الظلم البحت وأكله الحرام السحت وما رأيك فى سوس لايقع الافى صوف الايتام وجراد لايسقط الاعلى الزرع الحرام ولص لاينقب الاخزانة الاوقاف وكردى لايغير الاعلى الضعاف وذئب لايفترس عباد الله الابين الركوع والسجود ومحارب لاينهب مال الله الابين العهود والشهود ومازلت أبغض حال القضاة طبعا وجبلة حتى ابغضهم ديانة وملة والعنهم دربة حتى لعنتهم قربة بما شاهدت من هذا الحيرى

(هنا بحث لطيف) وهو ان العميان نظموا التوجيه بين التسمية التي تحتمل وجهين من المعنى على مذهب المتقدمين وهو الابهام وقد تقرر ان المتكلم فيه يبهم المعنيين بحيث لا يترشح احدهما على الآخر بقرينة واستشهدوا عليه بشاهد الابهام الذي نزلوه على التوجيه وهو قول الشاعر في الخياط وقد تقدم ليت عينيه سواء فالشاعر ابهم المعنيين بحيث يحير السامع والمتأمل ويعجز عن ترجيح احدهما ولم أر في بيت العميان غير التورية بين الغنى والفقير فان هؤلاء الممدوحين يعطون الفقير الى أن يصير مساويا للغني وهذا هو المعنى الواحد وهو أوضح من ضوء الشمس اذا توقدت جمرة المصيف وأما المعنى الآخر فما وجدت في بيتهم له قرينة صالحة تدل عليه وصاحب البيت أدرى بالذي فيه وقد تقدم أن نوع التوجيه قسمه البديعيون قسمين وذهب الى كل منهما فريق * وبيت الشيخ عز الدين مذبذب بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهو

نزهت طرفي وسمعي في محاسنه * وعنك ان تقصد التوجيه في الكلم

أصحاب الطريق الذي مشى عليها الشيخ عز الدين في نظم هذا النوع قالوا التوجيه الاصطلاحي أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى وهذا هو الفرق بين التورية والتوجيه فان التورية باللفظة الواحدة والتوجيه لا يصح الا بعدة الفاظ والشيخ عز الدين أتى بكلمة مفردة تحتمل معنيين فما نظم غير التورية والتوجيه بخلاف ذلك والكلمة التي اقتضت اشتراك المعنيين قوله نزهت فانه قال انه نزه طرفه في محاسن محبوبه وكأنه التفت الى العذول وقال له وعنك وهو وبيت العميان سافلان خاليان ليس فيهما من المحاسن ساكن والله أعلم

(ذكر عتاب المرء نفسه)

(يا نفس ذوقي عتابي قد دنا أجلي * متى ولم تقطعي آمال وصلهم)

هذا النوع اعني عتاب المرء نفسه لم اجد العتب مرتبا الاعلى من أدخله في البديع وعده من انواعه وليس بينهما نسبة والذوق السليم اعدل شاهد على ذلك ولولا أن الشروع في المعارضة ملزم ما نظمت حصاه مع جواهر هذه العقود ونهاية امره أنه صفة لحال واقعة ليس تحتها كبير أمر وهو من افراد ابن المعتز ولم يورد فيه غير بيتين ذكر ان الاسدي انشدهما عن الجاحظ وهما

عصاني قومي في الرشاد الذي به * امرت ومن يعص المجرب يندم
فصبرا بني بكر على الموت انني * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

قال زكي الدين بن أبي الاصبع وقوله صحيح لم أر في هذين البيتين ما يدل على عتاب المرء نفسه الا ان هذا الشاعر لما أمر بالرشاد وبذل النصح ولم يطع ندم على بذل النصيحة لغير اهلها ويلزم من ذلك عتابه لنفسه فتكون دلالة البيتين على عتابه لنفسه دلالة التزامية لا دلالة المطابقة ولا يصلح ان يكون شاهدا على هذا النوع الا قول شاعر الحماسة

أقول لنفسي في الخلاء ألومها * لك الويل ما هذا التجلد والصبر

انتهى كلام ابن ابي الاصبع فانظر ما أحلى ما صرح هذا الشاعر بذكر النفس

واللوم

وقاسيت وعاينت من خبطه وخطبه ما عاينت وساسوق حديثي معه انه اصلحه الله قد فتش اعطاف نيسابور فما وجد الا رأسي دية والا الحيق مذبة لجني لي على خمسة آلاف درهم ارقت في كسبها ماء العمر واخرجتها من انياب المطلوب الحر وخمسة أشهر من عمري كل يوم منها خير من عمر شريح القاضي في أمر البائع المعروف بباغ اسعد عقد لي اجارة ثلاث سنين واحتاجت دخله اياما قلائل ثم لم يكن مثلي معه الا مثل الحمار الذي ضاع حماره وخرج في طلبه حتى عبر جيحون بسببه يطلبه في كل منهلة وينشده في كل مرحلة وهو لا يجده حتى جاوز خراسان وانتهى الى طبرستان وأتى

عتاب المرء نفسه

والوم لها وخاطبها بكاف الخطاب ليتمكن عتبه وتقريعه المؤلم لها وبيت الشيخ صفي الدين الحلي فيه

انا المفرط أطلعت العدو على * سري وأودعت نفسي كف مجترم

الشيخ صفي الدين حكى أنه فرط في اطلاع عدوه على سره وايداع نفسه كف مجترم لا غير وابن هو من قول شاعر الحماسة وقد قال لنفسه على سبيل العتب والتوبيخ

* لك الويل ماهذا التجلد والصبر * والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

عتبت نفسي اذ أتعبتها بهوى * مجهول سبيل بلا هاد ولا علم

الشيخ عز الدين حكى أيضا انه عاتب نفسه وذكر أنه هو الذي اتعبها وكلفها حل الهوى فالعتاب هنا من كل وجه لم يترتب على غير موما مقدار هذا النوع حتى ان الشاعر لم يات به على صيغته لا سيما ونظام البديعيات قد التزموا أن يأتوا به شاهدا على نوعه وبيت بديعيتي

يا نفس ذوقي عتابي قد دنا أجلي * مني ولم تقطعي آمال وصلهم

أقول ان هذا البيت ينظر الى بيت شاعر الحماسة في علو طباقه وان كان من الفحول التي لها فضيلة السبق فقد زاحمه في حلبة سباقه مع ان عروس التسمية يضوع عطرها من أطواق الطروس ويقول من كرم الذوق وقد عادله الشم لا عطر بعد عروس وابن هذا النشر الواضح والرقة التي ود النسيم لو انتظم معها وانسجم من عقادة بيت الشيخ عز الدين وقد امسى بها مجهولا بلا هاد ولا علم

(ذكر القسم)

برئت من أدبي والعزم من شيمي * ان لم أبر بنأي عنهم قسمي

القسم أيضا حكاية حال واقعة وليس تحته كبير أمر ولكن نقرر أن الشروع في المعارضة ملزم وهو ان يقصد الشاعر الحلف على شيء فيحلف بما يكون له مدحا وما يكسبه فخرا وما يكون هجاء لغيره فالمثال الاول قول مالك بن الاشتر النخعي في معاوية بن هند

بقيت وفري وانحرفت عن العلا * ولقيت اضيافي بوجه عبوس

ان لم أشن على ابن هند غارة * لم تخل يوما من ذهاب نفوس

فقول ابن الاشتر تضمن المدح لنفسه والفخر الزائد والوعيد للغير ومثله قول أبي علي البصير يعرض بعلي بن الجهم

أكذبت أحسن ما يظن مؤملي * وهدمت ما شادته لي أسلافي

وعذمت عاداتي التي عودتها * قدما من الاسلاف والاخلاف

وغضضت من ناري ليخفى ضوءها * وقريت عذرا كاذبا أضيافي

ان لم اشن على علي خلة * تمسي قذى في أعين الاشراف

وقد يقسم الشاعر بما يريده الممدوح ويختاره كقول الشاعر

ان كان لي امل سواك اعده * فكفرت نعمتك التي لا تكفر

واحسن ما سمع في القسم على المدح قول الشاعر

العراق وطاف الاسواق فلم لم يجده وايس عاد وقد طالت اسفاره ولم يحصل حماره حتى اذا حصل في بلده بين اهله وولده أحب الله ان يلطف له لطفا ليعتبر به فنظر ذات يوم الى اصطبله فاذا الحمار بسرجه ولجامه وبقره وحزامه قائما على المعلف ينتش وانا أيضا مازال يردني في هذا الباغ بامل يرخيه ويشده وطمع يرسله ويمده حتى صار الباغ بارضه ومائه وزرعه وبنائه في يد الهمذاني ايس اطال الله بقاء القاضي يعامل مثلي بمثلها الا سخي أو ضعيف اما السخي فالذي يجعل حرمه طعمة ويصيره في فمي لقمة واما الضعيف فالذي لا يبالي بما يؤول اليه عقباه ولا يوجعه الصفع

القسم

حلفت بمن سوّى السماء وشادها * ومن مرج البحرين يلتقيان
ومن قام فى المعقول من غير رؤية * فاثبت فى ادراك كل عيان
ما خلقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تعقل لهن ثوانى
لتقبيل افواه واعطاء نائل * وتقليب هندى وحبس عنان

والمقدم فى هذا الباب وهو الذى انتهت اليه نهاية البلاغة قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون فانه قسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح باعظم قدرة واكمل عظمة حاصلة من ربوبية السماء والارض وبتحقيق الوعد بالرزق وحيث اخبر سبحانه وتعالى ان الرزق فى السماء وأنه رب السماء يلزم من ذلك قدرته على الرزق الموعود به دون غيره انتهى الكلام على القسم الذى يراد به الفخر والمدح والتعظيم وأما ما جاء من القسم فى النسيب فكقول الشاعر

جنى وتجنى والفؤاد يطيعه * فلا ذاق من يجنى عليه كما يجنى
فان لم يكن عندى كعينى ومسمعى * فلا نظرت عينى ولا سمعت اذنى

ومما جاء من القسم فى الغزل قول ابن المعتز

لا والذى سل من جفنيه سيف ردى * قدت له من عذاريه حمائله
ما صارمت مقلتى دمعا ولا وصلت * غمضا ولا سالمت قلبى بلابله

الذى وقع عليه الاتفاق ان هذا أحسن ما وقع من القسم فى الغزل اذ القسم والمقسم عليه كل منهما داخل فى باب الغزل ولكن قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع ان الذى وقع لجميل بن معمر العذرى فى هذا الباب ما تحسن العبارة تفصح عن لفظه ووصفه وهو قوله على لسان محبوبته

قالت وعيش أبى وأكبر اخوتى * لانبهن الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة أهلها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تلجج

ثم قال اعنى ابن أبى الاصبع رحمه الله جميل لقد تظرف فى هذين البيتين ما شاء لانه أتى بهما من باب الهزل الذى يراد به الجد وأغرب فى القسم فيهما وادمج فى القسم حسن ائتلاف اللفظ مع المعنى وأتى بالا يوفيه واصف حقه انتهى كلام ابن أبى الاصبع قلت واذا وصلنا فى القسم الى باب الهزل الذى يراد به الجد فمهذب الدين احمد بن منير الطرابلسى قائد هذا العنان * وفارس هذا الميدان * وما ذاك الا أنه هاجر الى مدينة السلام بغداد والشريف الموسوى نقيب الاشراف بها وبابه حرم الوافدين * وبه ينابيع الفضل التى هى مناهل الواردين * وكان يقال ان الشريف المشار اليه من كبار الشيعة يغدا دوعلى هذا أجمع غالب الناس فجهز اليه ابن منير عند قدومه بغداد هدية مع مملوكه تتر بل معشوقه الذى اشتهر به فى الخافقين غرامه * وأبدع فى أوصافه الجميلة نظامه * فقبل الشريف هديته واستحسن المملوك فادخله فى الهدية وقصد ان يعوضه عن ذلك باضعافه فلما شعر ابن منير بذلك النهبت احشاؤه على مملوكه بل معشوقه تتر وكتب الى الشريف على الفور قصيدة أولها

قوله قالت البيتين بعدهما فلمت فاها آخذا بقرونها شرب النزيف لبرد ماء الحشرج

على قفاه والله المستعان والقاضى الفاضل المستجار والمن الله المبرى ووقتا قطعته بذكره وقرطاسا دنسته باسمه والحمد لله

(وله الى بعض أهل همذان)

كتابى اطال الله بقاءك غرة شهر رمضان عرفنا الله بركة مقدمه ويمن تجشمه وخصك بتقصير ايامه واتمام صيامه وقيامه فهو وان عظمت بركته ثقيل حركته وان جل قدره بعيد قعره وان عمت رأفته طويل مسافته وان حسنت قربته شديد صحبته وان كبرت حرمته كبير حشمته وان سرنا مبتداه فلن يسوءنا منتهاه وان حسن وجهه فلن يقبح قفاه وما احسنه فى القذال واشبه ادباره

عذبت قلبي بالتتر * وأطرت نومي بالفكر

ومنها

بالمشعرين وبالصفا * والبيت اقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا * ف به ولبى واعتمر
ان الشريف الموسوي ابن الشريف أبي مضر
ابدى الجحود ولم يرد الى مملوكي تتر
والبت آل امية الطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر * ورجعت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا * بة بين جمع واشتهر
قلت المقدم شيخ تيم ثم صاحبه عمر
ماسل قط ظبا على * آل النبي ولا شهر
كلا ولا صد البتو * ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى وما * شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيـ * ـد بكاه نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصـ * ـحفه براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبيـ * ـر بكل شعر مبتكر
وازور قبرهما وأز * جر من لحاني أو زجر
وأقول ام المؤمنيـ * ـن عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصـ * ـلح من بنيها في زمر
وأتت لتصلح بين جيـ * ـش المسلمين على غرر
فاتى أبو حسن وسل * حسامه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى * وبعير أمهم عقر
ماضره لو كان كف وعف عنهم اذ قدر
واقول ان امامكم * ولى بصفين وفر
واقول ان أخطا معا * وية فما اخطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو مكر
بطل بسوأته يقا * تل لا بصارمه الذكر
وجنيت من ثمر النوا * صب ماتمر واختمر
واقول ذنب الخارجيـ * ـن على علي يغتفر
لا ثار لقتالهم * في النهروان ولا أشر
والاشعري بما يؤ * ل اليه امرهما شعر
قال انصبوا لي منبرا * فانا البرئ من الخطر

بالاقبال جعل الله قدومه
سبب ترحاله وبدوه فداء
هلاله وامر فلكه تحريكا
لتنقضي مدته وشكا
واظهر هلاله ضعيفا ليزف
الى اللذات زفيفا وعفا
الله عن مزح يكرهه ومجون
يسخطه ورد كتابك
فاي سرور ولم يرد بوروده
وأي حبور ولم أجد بوجوده
وسرني تزايد بيانك كما ساءني
البعد عن عيانك وابهجني
كتابك كما ازعجني عتابك
ولست املك مقابلتك على
ما توليه من جميل في حفظ
تلك المعايش وصيانتها
أكثر من تقلد المنة
واحسن من اذاعة الشكر
والسلام

(وله جواب كتاب رئيس
هراة عدنان بن محمد)

كتابي اطال الله بقاء الشيخ
من نيسابور وقد تمت
على نعمة سلبها وضاقت على
برحبها شوقا اليه عن
سلامة ووردتم بحضرته

فعلاوقال خلعت صا * حبكم وأوجز واختصر
واقول ان يزيد ما * شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن * ابناء فاطمة أمر
وحلقت فى عشر المحرم مااستطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام ايام أخر
ولبست فيه اجل ثو * ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا اصا * فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريـ * ـق أقص شارب من عبر
وغسلت رجلى ضلة * ومسحت خفى فى السفر
وآمين اجهر فى الصلا * ة كمن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو * ر لكل قبر محتفر
واذا جرى ذكر الغديـ * ـر أقول ماصح الخبر
ولبست فيه من الملا * بس ما اضمحل ومادثر
وسكنت جلق واقتديـ * ـت بهم وان كانوا بقر
واقول مثل مقالهم * بالقاشر يا قد فشر
مصطيحى مكسورة * وفطيرتى فيها قصر
تقريرى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل * وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم * طبعت وقدت من حجر
مايدرك التشبيب تغـ * ـريد البلابل فى السحر
وأقول فى يوم تحا * ر له البصيرة والبصر
والصحف ينشر طيها * والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف اضلنى * بعد الهداية والنظر
فيقال خذ بيد الشريـ * ـف فمستقر كاسقر
لواحة تسطو فما * تبقى عليه ولا تذر
والله يغفر للمسى * ء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعـ * ـلك واحتذر كل الحذر
والبكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لوشامها * قس الفصاحة لافتخر
ودرى وايقن اننى * بحر والفاظى درر
وبديعة كبديعة * عذراء ترفل فى الحبر
حبرتها فغدت كزهـ * ـر الروض باكره المطر

لسبع بقين من شهر رمضان اراني الله قضاه فما احسنه واسمنه والحمد لله وقد ورد كتاب الرئيس فاتت ورود النعم تترى الى ومثلت لدى وبين يدى ووجدت الشيخ قد اخذ مكارم نفسه فجعلها قلادة غرسه وتتبع المحاسن من عنده فحلى بها فخر عبده وما اشبه رائع حليه فى فضوليه بالغرة اللائحة على الدهمة الكالحة لا وآخذ الله الشيخ بوصف نزعه عن عرضه وزرعه فى غير أرضه ونعت سلخه من خلقه وخلقه فاهداه الى غير مستحقه وفضل استفاده من فرعه واصله واوصله الى غير اهله ذكر حديث الشوق ولو كان الامر بالزيارة حتما أو الاذن أطلق جزما لكان آخر تطرى فى الكتاب أول تطرى الى الركاب ولاستعنت على كلف السير باجنحة الطير لكنه ادام الله عزه صرفنى بتنبيه بمريعة النبذ ورجل وشيكة للاخذ وارانى

والى الشريف بعثتها * لما قراها فانبهر
رد الغلام وما استمر على الجحود ولا اصر
واثابنى وبجزيته * شكرا وقال لقد صبر

أقول انه يغتفر لى طول الشرح لغرابة اسلوب هذه القصيدة فانى لم أخرج بها عن القصد لانها مبنية على القسم وجوابه من البراعة الى الختام وأماهزلها الذى يراد به الجد فانه غاية لاتدرك وطريق ماأبنا الغيره فيها سالك وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع أعنى القسم نسجه على المنوال الاول الذى هو مبنى على المدح والفخر والتعاظم وعلو الهمة وهو قوله

لاالقبتنى المعالى بابن بجدتها * يوم الفخار ولابر التقى قسمى

هذا البيت منسوج على المنوال المذكور ولكن فيه نقص لانه غير صالح للتجريد ولم يأت ناظمه بجواب القسم الافى بيت الاستعارة التى ترتب بعده وهو

ان لم احث مطايا العزم مثقلة * من القوافى تؤم المجد عن أمم

وأصحاب البديعيات شرطوا أن يكون كل بيت شاهدا على نوعه بمجرده واذا كان البيت له تعلق بما بعده أو بما قبله لايصلح ان يكون شاهدا على ذلك النوع * ولقد عجبت للشيخ صفى الدين كيف فتر عزمه وقصرت همته عن هذا القدر الذى يتطاول الى ادراكه كل قاصر واين هو من قول القائل فى طريقته الغرامية التى حركت السواكن حيث قال

حرمت الرضا ان كنت خنتك فى الهوى * وعوقبت بالهجران ان كنت كاذبا

انظر ما أحلى ما اتى بالقسمين وجوابيهما فى بيت واحد مع عدم التعسف والرقة التى كادت أن تسيل لطفا والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

برئت من سلفى والشيم من هممى * ان لم أدن بتقى مبرورة القسم

بيت الشيخ عز الدين مبنى على الفخر والتعاظم وعلو الهمم وهو صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صفى الدين هذا مع التزام الشيخ عز الدين بتسمية النوع وبيت بديعيتى

برئت من أدبى والعزم من شيمى * ان لم ابر بناى عنهم قسمى

وهذا البيت مبنى على الفخر والتعاظم وعلو الهمة * وفى قولى والعزم من شيمى غاية الفخر ولكن اللطف الزائد قول الاديب فى القسم برئت من ادبى مع التورية التى ترفل فى حلل الحشمة وتسمية النوع والتقفية به لاتخفى على أهل الذوق من اهل الادب والله أعلم

(ذكر حسن التخلص)

ومن غدا قسمه التشبيب فى غزل * حسن التخلص بالمختار من قسمى

حسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى الى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لايشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع فى الثانى لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كانهما أفرغا فى قالب واحد ولايشترط أن يتعين المتخلص منه بل يجرى ذلك فى أى معنى كان فان الشاعر قد يتخلص من نسيب أو غزل أو فخر أو وصف روض أو وصف طلل بال أو ربع خال أو معنى

زهدا فى ابتغاء كسوفى ارتفاء ونزاعا فى نزوع كذهاب فى رجوع ورغبة فى كرغبة عنى وكلاما فى الغلاف كالضرب تحت العاف فلم أصرح بالاجابة وقد عرض بالدعاء ولم أعلن بالزيارة وقد أسر بالنداء ولم يدعنى بلسان المحاجاة ولم يجاهرنى بفم المناجاة ولو فعل لكنت اليه أسرع من الكرم الى طرفيه وفكرت فى مراد الرئيس فوجدته لايتعدى الكرم بسبب تارة والفضل تارة فاذا كان الامر كذلك فما أولاه بترفيه مولاه عن زفرة صاعدة بسفرة باعدة ونكاية جاهدة فى شتوة باردة فليستفتح كل منا الى صاحبه بما عنده فابعث بما عندى وهو المدحة ليبعث بما عنده وهو المنحة وها هو قد أوردت سلعق فليصدر خلعته وقد أنفذت

(حسن التخلص)

من المعاني يؤدي الى مدح أو هجو أو وصف في حرب أو غير ذلك ولكن الاحسن أن يتخلص الشاعر من الغزل الى المدح والفرق بين التخلص والاستطراد أن الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول أو قطع الكلام فيكون المستطرد به آخر كلامه والامران معدومان في التخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر على ما يتخلص اليه وهذا النوع أعني حسن التخلص اعتنى به المتأخرون دون العرب ومن جرى مجراهم من المخضرمين ولكنه لم يفتهم فانهم أوردوا الزهير في هذا الباب قوله

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ * ـكن الكريم على علاته هرم

انظر الى هذا العربي القديم كيف أحسن التخلص من غير اعتناء في بيت واحد وهذا هو الغاية القصوى عند المتأخرين الذين اعتنوا به وعلى كل تقدير فمن كلام العرب استنبط كل فن فانهم ولاة هذا الشأن لكنهم كانوا يؤثرون عدم التكلف ولا يرتكبون من فنون البديع الا ما خلا من التعسف فمن ذلك قول الفرزدق وأجاد الى الغاية

وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم * الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت ايديهم نار غالب

ومثله قول أبي نواس

تقول التي من بيتها خف محملي * يعز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى في اثرهن عبير
دعيني اكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير

ومثله في الحسن قوله

واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله في الكاس
واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس
واذا أردت مديح قوم لم تمن * في مدحهم فامدح بني العباس

أقول ان هذه الطريق التي مشى عليها أبو نواس ومن تقدمه من المتقدمين ممن أوردت نظمه في هذا الباب وهي حسن التخلص ببيت واحد باستطراد رشيق ينتقل الشاعر به من الشطر الاول الى الشطر الثاني فاتت فحولا من الشعراء كالبحتري وأبي تمام في غالب القصائد على أنهما المقدمان في هذا الشأن وقد تقرر أن حسن التخلص ما كان في بيت واحد يثب الشاعر من شطره الاول الى الثاني وثبة تدل على رشاقته وقوته وتمكنه في هذا الفن واذا لم يكن التخلص كذلك سمي اقتضابا وهو ان ينتقل الشاعر من معنى الى معنى آخر من غير تعلق بينهما كأنه استأنف كلاما آخر وعلى هذه الطريقة مشى غالب العرب وغالب المخضرمين وكثير من شعراء المولدين فمن ذلك قول البحتري في قصيد وقد جرى في ميادين غزلها الى أن قال من غير ارتباط

وردنا الى الفتح بن خاقان انه * اعم ندى فيكم وأيسر مطلبا

واذا أنفذا أخذت ويا سبحان الله ما أكثر الكذابة في هذا الفصل وقد صدر مصدر الهزل فلا يشغل الشيخ قلبه بشيء منه فاني صنيعته وصل أم قطع وغلا منه أعطى او منع وأبو فلان قد أجيبت عن كتبه فلم يقذعنا بعتبه وازيلت العلة في جوابه فلم يحرقنا بنابه أنا استعفيه من سخطه كما استجيره من شططه واسأله الدوام على معهود وصاله كما أمنعه الخروج عن محمود خصاله واشكره على ما آتى كما اشكره على ما بقي وقد زاد في امر المخاطبة وما أحسن الاعتدال وقد كفانا نية الاستاذ واسأله أن لا يزيد وقد بدأ ويجب ان لا يعيد فلا تنفع كثرة العدد مع قلة المعدود والزيادة في الحد نقصان من المحدود ورب ربح أدى الى خسران وزيادة أفضت

وهذه

وهذه النبذة التي ابرزتها هنا من نظام المتقدمين في حسن التخلص عزيزة الوجود فانها ماتيسرت الابعد بذل الجهد في جمعها وهذا النوع البديع مااعتنى به غير حذاق المتأخرين وماسبجوه جميعه الاعلى المنوال المذكور ولعمري انها طريقة بديعة ونوع من السحر يدل على رسوخ القدم في البلاغة وتمكن الذهن من البراعة وان لم يكن كذلك لم يعد من أنواع البديع والقرائح تختلف فيه وتتفاوت وقد عن لي أن انبه على قبح التخالص التي لاتعد من انواع البديع لينفتح ذهن المبتدئ في هذا الفن فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي وان كانت له المخالص الفائقة

غدا بك كل خلو مستهاما * واصبح كل مستور خليعا
احبك أو يقولوا جر نمل * ثبيرا وابن ابراهيم ريعا

انظر ماأبرد هذا التخلص وأشد تعسفه ومعناه أنه علق انقضاء حبها على غير ممكن وهو أن يجر النمل الجبل المسمى ثبيرا وأن يخاف ممدوحه فجعل خوف الممدوح نظير جر النمل لثبير ليقرر أن كلامنهما من المستحيلات ومن مخالصه القبيحة ايضا قوله

على الامير يرى ذلي فيشفع لي * الى التي تركتني في الهوى مثلا

وسبب قبح هذا التخلص كونه جعل ممدوحه ساعيا بينه وبين محبوبته في الوصال ولاخفاء في دنو هذه المرتبة وقد سبقه ابو نواس الى ذلك ولكنه اقل شناعة مع أن الكل قبيح حيث قال

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواك لعل الفضل يجمع بيننا

وقد سبقهما الى ذلك قيس بن ذريح حين طلق لبنى وتزوجت غيره فندم على ذلك وشبب بها في كل معنى فرحمه ابن أبي عتيق فسعى في طلاقها من زوجها واعادها الى قيس فقال يمدحه

جزى الرحمن افضل مايجازي * على الاحسان خيرا من صديق
فقد جربت اخواني جميعا * فما ألفيت كابن ابي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع * ورأى حدت فيه عن الطريق
واطفأ لوعة كانت بقلبي * أغصتني حرارتها بريقي

فلما سمعها ابن أبي عتيق قال لقيس ياحبيبي امسك عن هذا المدح فما يسمعه احد الاظنني قوادا ومن المخالص التي استحسنوها للبحتري قوله

ربا ترددت بالرياض مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد
اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * عليها بتلك البارقات الرواعد

ومن المخالص المستحسنة لابي تمام قوله من قصيد

مازلت عن سنن الوداد ولاغدت * نفسي على الف سواك تحوم
لاوالذي هو عالم أن النوى * مر وأن اباالحسين كريم

هذا التخلص مقدم على مخالص البحتري من وجوه احدها التخلص من النسيب الى المدح

الى نقصان ورأى الشيخ في نشر بغيه بجوابه موفق ان شاء الله

(وله ايضا)

ورد يا سيدي فلان وهو عين بلدتنا وانسانها وقلبها ولسانها فاظهر آيات فضله لاجرم انه وصل الى الصميم من الايجاب الكريم وهو الآن مقيم بين روح وريحان وجنة نعيم تحيته فيها سلام وآخر دعواه ذكرك ياسيدي وشكرك وأحسن الثناء عليك بما أنت اهله وانا اصدقه دعواه وافتخر بجميلك افتخار المدعي بمتاع مولاه وقد عرفت فلانا وسنه وكيف يجري في الخطابة رسنه فما ظنك به وقد ملكته المحاسن ولحظته العيون وسال صارما من فيه بعيد شكرك ويبديه ويعيده ذكرك ويطويه والجماعة تمدح بمدحه وتجرح بجرحه

والثانى حسن الانسجام والثالث وهو حل القصد الوثبة فى بيت التخلص من الشطر الاول الى الشطر الثانى باسرع اختلاس وهذا الذى عقد المتأخرون الخناصر عليه وصار لهم فيه اليد الطولى ومثله قوله من قصيد

فالارض معروف السما قرى لها * وبنو الرجاء لهم بنو العباس

ومن مخالص أبى الطيب الفائقة قوله من قصيد يمدح بها أبا ايوب احمد بن عمران بن ماهويه مطلعها

سرب محاسنه حرمت ذواتها * دانى الصفات بعيد موصوفاتها

معنى هذا المطلع فى غاية الحسن والغرابه فانه يقول هذا سرب حيل بينى وبين كل حسناء منه وهذه الحسناء صفاتها دانية عند ذكرها بالقول ولكن ذاتها الموصوفة بعيدة ولم يزل فى غرابة هذا الاسلوب الى أن قال مخلصا

ومطالب فيها الهلاك أتيتها * ثبت الجنان كاننى لم آتها

أقبلتها غرر الجياد كانما * أيدى بنى عمران فى جبهاتها

أقول سبحان المانح هذا هو السحر الحلال والشرب الذى أمست المشارب الصافية عنده كالآل ومثله فى الغرابة التى هى من معجزات المتنبى قوله من قصيد يمدح بها على بن عامر ويعرض بذكر أبيه عامر ومدحه بعد وفاته مطلعها

اطاعن خيلا من فوارسها الدهر * وحيدا وما قولى كذا ومعى الصبر

وما احلى ما قال بعده

واعجب من ذا كل يوم سلامتى * وما ثبتت الا وفى نفسها أمر

ولم يزل ينفث بصدق عزائمه فى هذا السحر الذى سحر به العقول وخلب القلوب الى أن قال

ويوم وصلناه بليل كأنما * على أفقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كأنما * على متنه من دجنه حلل خضر

وغيث ظننا تحته أن عامرا * علا لم يمت أو فى السحاب له قبر

ومثله قوله من قصيدته البديعة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان مطلعها

عواذل ذات الخال فى حواسد * وان ضجيع الخود منى لماجد

وما ألطف ما قال بعده

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

ولما انتظم له هذا الدر فى هذه الاسلاك البديعة قال

خليلى انى لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومنى القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

ومن مخالص ابى العلاء أحمد بن سليمان على طريق المديح فانه لم يكن من طلاب الرفد قوله من قصيد

ولوان المطى لها عقول * وحقك لم نشد لها عقالا

فرأيت فى حفظ اخلافك التى اغررت هذا الشكر وانتجت هذه المآثر الغر موفقا ان شاء الله

(وله ايضا كتبها الى الرئيس ابى جعفر الميكالى)

الشيخ عمدنى من قلبى مكانا فارغا فنزله غير منزل قلعه ومن مودتى ثوبا سابغا فلبسه غير لابسه خلعه ومن نصب تلك الشمائل شبكا وارسل تلك الاخلاق شركا قنص الاحرار واستعبدهم وصاد الاخوان واسترقهم وبالله ما يغبن الامن اشترى عبدا وهو يجد حرا بارخص من العبد ثمنا واقل من البيع غبنا ثم لا ينتهز فرصة امتلاكه ولا يهتبل جدة حوزه وانا أنم للشيخ على مكرمة يتيمة وسعى ذى شامة وشيمة فليعتزل من الرأى ما كان بهيا وليطلق من النشاط ما كان عقيما وليصلل جبوة التقصير وليجتنب جانب

مواصلة بها رحلى كأنى * من الدنيا أريد بها انتقالا
سألن فقلن مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لهن فالا

هذا المخلص أيضا من العجائب فان الشيخ ابا العلاء سبكه فى قالب التورية والاتفاق البديع وكان اسم الامير فى خالهم سعيدا والعرب ما برحوا يتفاءلون بالاسم الحسن و يتطيرون من ضده ومما استحسن لابن حجاج من المخالص قوله

الا يا ماء دجلة لست تدرى * بانى حاسد لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سكرا * عليك فلم تكن يا ماء تجرى
فقال الماء قل لى كل هذا * بم استوجبته ياليت شعرى
فقلت له لانك كل يوم * تمر على أبى الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شئ * يضيق عن احتمالك فيه صبرى

قال صاحب المثل السائر حين أورد هذه الابيات ما علمت معنى فى هذا المقصد أبدع ولا أعذب ولا أرق ولا أحلى من معنى هذا اللفظ و يكفى ابن حجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الابيات قلت ولعمرى ان المخلص والابيات بكمالها دون اطناب ابن الاثير فى الوصف ولكن قال زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير لما انتهى الى هذا النوع اعنى حسن التخلص اذا وصلت الى ابن حجاج فى هذا الباب فانك تصل الى ما لا تدركه الالباب فمن ذلك قوله على طريقته المعهودة منه

وقد بادلتها فبالها لى * بعشورة استها ولها قذالى
كما لابن العميد جميع مدحى * ودنيا ابن العميد جميعها لى

ومن المخالص الفائقة قول الاستاذ أبى الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب من قصيدة بائية يمدح بها الامير سيف الدولة بن مزيد مطلعها

هب من زمانك بعض الجد للعب * واهجر الى راحة شيأ من التعب

ولم يزل ماشيا على هذا السنن الى أن قال

تسعى السقاة علينا بين منتظر * بلوغ كأس ووثاب بمستلب
كأنما قولنا البابلى ادر * سلافة قولنا المزيدى هب

ومثله قوله من قصيدة حائية يمدح بها الاستاذ ابا طالب بن ايوب

يا من ثناياه السقى * غولطت عنها بالاقاحى
غلط المقايس بابن أيوب السحابة فى السماح

و يعجبنى من مخالصه قوله من قصيدة رائية يمدح بها فخر الملك ولم يزل يرفل فى حلل غزلها ونسيبها الى أن قال

أرى كبدى وقد بردت قليلا * أمات الهم أم عاش السرور
أم الايام خائفة لانى * بفخر الملك منها استجير

ومما يعجبنى ايضا الى الغاية قوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها

لو كان يرفق ظاعن بمشيع * ردوا فؤادى يوم كاظمة معى

التاخير وليفتض عذرتها وليفض ختمها او عمرتها برأى يجنب الجد باعه ويعمر النشاط رباعه وتلك حاجة سيدى ابى فلان فقد ورد من الشيخ بحرا وعقد منه جسرا وما عسير وعد وهو منتجزه ولا بعد أمر وهو منتهزه ولا ضاعت نعمة أنا بريد ذكرها وضامن شكرها وغريم نشرها وولى أمرها وهذا الفاضل قرارة بنائها ومثابة أدائها فقد شاهدت من ظرفه ما أعجز عن وصفه وعرفت من باطنه ما لم يزر بظاهره ورايت من أوله ما نم على آخره ثم له البيت المرموق والنسب الملحوق والاولية القديمة والشيم الكريمة وقد جمعنا فى الود خلقه وتلمنا فى السفر رفقه وعرفنى ما نهض له وفيه فضمنت عن الشيخ كرما لا يغلق بابه وغيثا لا يخلف

ولم يزل يطلق العنان فى هذه الحلبة الى أن سبق الى غاية قال فيها

ان شاء بعدهم الحيا فلينسكب * أوشاء ظل غمامه فليقلع

فقبل جسمى فى ذبول ربوعهم * كاف وشربى من فواضل ادمعى

كرمت جفونى فى الديار فاخصبت * ففنيت أن أرد المياه وارتعى

فكأن دمعى مد من أيدى بنى * عبد الرحيم ومائها المتنبع

وما أحلى ما قال بعده وهو مخلص آخر

وكأن لى من تفاوت طوله * أسيافهم موصولة بالادرع

ولم أكثر من محاسن مهيارهنا الا لعلى بغرابة شعره وعزة وجود ديوانه ومن المخالص التى تصلح أن تكون واسطة فى هذا العقد قول أفقه الشعراء وأشعر الفقهاء كما قال وهو القاضى أبو بكر أحمد الارجانى من قصيدة يمدح بها ولى الدين الكاتب مطلعها

وعدت باستراقة للقاء * وباهداء زورة فى خفاء

وما أحلى ما قال بعده

ثم غارت من أن يماشيها الظل فسارت فى ليلة ظلماء

ثم خافت لما رأت أنجم الليل شبيهات أعين الرقباء

فاستنابت طيفا يلم ومن يشك علينا اتهمت بالاغفاء

هكذا نيلها اذا نولتنا * وعناء تسمح البخلاء

يهدم الانتهاء باليأس منها * ما بناه الرجاء بالابتداء

ولم يزل راتعا فى هذه الحدائق الغضة الى أن قال

تركتنى معانيا لمغان * واعادت أعاديا أصدقائى

رنقت مشربى وقد كان عين الشمس والماء دونه فى الصفاء

بعد عهدى بعيشتى وهى خضرا * تتثنى كالبانة الغناء

واموري كأنها ألفات * خطهن الولى فى الاستواء

ومن جواهر مخالصه المنتظمة فى هذا السلك قوله من قصيدة رائية يمدح بها سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الانبارى مترسل الخلافة وكاتب انشائها مطلعها

سلا رسوما أقامت بعدما ساروا * أعندها من اهيل الحى اخبار

وروحا عاتق من حملها مننا * للسحب فيها وللاجفان استار

ولم يزل مبدرا فى هذا الافق النير الى أن قال

أقسمت ما كل هذا الضيم محتمل * ولا فؤادى على ما شمت صبار

الا لانك منى اليوم نازلة * فى القلب حيث سديد الدولة الجار

ومن مخالصه الصافية التى مازجها بسلاف التورية قوله من قصيدة بائية يمدح بها شهاب الدين احمد بن أسعد الطغرائى مطلعها

اذا لم يضن صب فقيم عتاب * وان لم يكن ذنب فمم متاب

وما الطف ما قال بعده

ما به وبقى ان يخرجنى الشيخ عن عهدة الثقة زادها فقه تاكدا فان راى ان اسال الشيخ فى معناه عرفنى كيف المالى له وانما اطلب ليعلم صدق اهتمامى وفرط تقلدى اليه
(وله الى الشيخ ابى اسحق ابراهيم بن حمزة)
لو كانت الدنيا اطال الله بقاء الشيخ على مرادى لاخترت ان اضرب على هذه الحضرة اطناب عمرى وانفق على هذه الخدمة ايام دهرى لكن فى اولاد الزنا كثرة ولعين الزمان نظرة وقد كنت خطبت من خدمة الشيخ شرعة قد نغصها على بعض الوشاة وذكر انى أقف بطوس بعد استئذانى الى مرو وفى هذا ما يعلمه الشيخ فان رأى أن يحسن

أجل مالنا الاهواهم جناية * فهل عندهم غير الصدود عقاب

ولم يزل سائرا فى سهولة هذه الجادة الى أن قال

فلا تكثرن شكوى الزمان فانما * اسكل ملم جيئة وذهاب

وقد كان ليل الفضل فى الدهر داجيا * الى أن بدا للناظرين شهاب

والارجانى أيضا نظمه غريب فى هذه البلاد فلذلك أوردت منه هنا هذه النبذة اللطيفة والله اعلم * وقد آن لى أن أقدم مقدمات النتائج من اشعار المتأخرين فى هذا النوع فانهم رياحين حدائقه * واقمار بشارقه * فالمقدم هنا قاضيهم الفاضل الذى ارتفع الخلاف بقضائه ونفذ حكمه بالموجب على ملوك هذه الصناعة * وتقدم باستيفاء شرائط التقديم فصلى خلف امامته الجماعة * فمن محاسنه القاضلية قوله من قصيد يمدح بها خليفة الفاطميين فى ذلك العصر مطلعها

ترى لحنينى أو حنين الحمائم * جرت فحكت دمعى دموع الغمائم

(ومما احلى ما قال بعده)

وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم

دعوا نفس المقروح تحمله الصبا * وان كان يهفو بالغصون النواعم

تاخرت فى حمل السلام عليكم * لديها لما قد حملت من سمائم

فلا تسمعوا الا حديثا لناظرى * يعاد بالفاظ الدموع السواجم

فان فؤادى بعد كم قد فطمته * عن الشعرا لامدحه لابن فاطم

ومثله قول العلامة الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة من قصيدة دالية يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم مطلعها

ويلاه من نومى المشرد * وآه من شملى المبدد

ولم يزل يدير على خصور هذه الالفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعية الى أن قال

اكسبنى نشوة بطرف * سكرت من خمره فعربد

غصن نقاحل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد

فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

ومثله قوله من قصيد يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين يوسف مطلعها

اياما من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملنى بما يحلى سلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

ولم تزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازله الى ان قال

وقالوا قد خسرت الروح فيها * فقلت الربح فى تلك الخساره

بأيسر نظرة أسرت فؤادى * كما نشأ اللهيب من الشراره

ويفتك طرفها فيقول قلبى * أشن ترى صلاح الدين غاره

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك الامجد

ظبية حكم ظبا مقلتها * عزة الظبى وذل الاسد

تجهيزى فى هذه الرقعة بكتاب بمارزبه مقدمى فعل ان شاء الله

(وله اليه ايضا)

خادم الشيخ قد اتبع فى الخدمة قلمه وأتلى لسانه فى الحاجة بنانه وقد كان استأذنه فى توفيره هذا اليوم على مجلس البسيط فاذن على عادته الكريمة وشيمته اليتيمة ومن وجد كلأ رتع ومن صادف غيثا انتجع ومن اجيب الى الحاجات سأل وبقى ان يشفع الشيخ بازاء الحوض عذره وينظم الى روض الاحسان مطره ويطرز أنسنا بالشيخ ابى فلان فقد وصفنى حتى حببت شوقا اليه ووجدا به وشغفا لو تخلو تأنيه ورأيه فى الاصغاء الى الكرم عال ان شاء الله تعالى (وله جواب عما كتب اليه تهنئة عن مرض ابى بكر الخوارزمى

كنت فى ترك الهوى مجتهدا * وهى كانت زلة المجتهد

كملت حسنا فلولا بخلها * خلتها بعض خلال الامجد

ومن المخالص التى نقلتها من ناصح بن قلاقس قوله من قصيد يمدح بها ابا المنصور نور الدين محمودا عين الامراء بالديار المصرية

ماذا على العيس لو عادت بربتها * بقدر ما انتقاضاها المواعيدا

رد الركاب لامر عن فى خلدى * ومعه فى بديع الحب ترديدا

وقف ابنك مالان الحديد له * فان صدقت فقل هل أبت داودا

حلت عرا النوم عن أجفان ساهرة * ردّ الهوى هدبها بالنجم معقودا

تحيرت وعصا الجوزاء تضرب بها * فاذكرتنى موسى والجلاميدا

وما احلى ما قال بعده كناية عن طول الليل

يا ثعاب الصبح يا سرحان اوله * كل الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر هذه العقود الثمينة مع تفخيم هذا النظم الى ان قال

مالى وما للقوافى لا أسيرها * الا وأقعد محروما ومحسودا

أسكرتهم بكؤس الراح مترعة * ولم أنل منهم الا العرابيدا

سمعت بالجود مفقودا فهل أحد * يقول انى وجدت الجود موجودا

الحمد لله لا والله ما نظرت * عيناى بعد ابى المنصور محمودا

هذا المخلص حلاه نصر الله بن قلاقس مع زيادة حسنة بشعار التورية ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالحصرى مطلعها

اروه الجلنار من الخدود * واخفوا عنه رمان النهود

وقال بعده

وحلوا مقلتيه بدر دمع * تبسم فى المخانق والبرود

وما غرسوا نخيل العيس الا * وهم فيها من الطلع النضيد

سقى مصر اوسا كنها ملث * طليل البرق صخاب الرعود

مواردى لها ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

هل الرأى السديد البعد عنها * نعم ان كان للشيخ السديد

ويعجبنى من مخالص القاضى السعيد هبة الله بن سنا الملك قوله من قصيدة يمدح بها القاضى الفاضل اتى فيها بحسن التخلص ولم يخلص من اشراك عيون الغزل لغرابة اسلوبها

ضنت بطرف ظل يعدى سقمه * أرأيتم من ضن حتى بالضنى

يا عاذلين جهلتم فضل الهوى * وعذلتم فيه ولكنى انا

انى رأيت الشمس ثم رأيتها * ماذا على اذا هويت الاحسنا

وسالت من اى المعادن ثغرها * فوجدته من عبد الرحيم المعدنا

وما احلى ما قال بعد المخلص

ابصرت جوهر ثغرها وكلامه * فعلمت حقا ان هذا من هنا

ومثله

المسترا طال الله بقاءك لا سيما اذا عرف الدهر معرفتى ووصف احواله صفتى اذا نظر علم ان نعم الدهر ما دامت معدومة فهى أمانى فان وجدت فهى عوارى وان محن الزمان وان مطلت فستنفد وان لم تصب فكان قد فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها فى نفسه ولا يعدمها فى جنسه والشامت ان افلت فليس يفوت وان لم يمت فسيموت وما اقبح الشماتة بمن أمن الاماتة فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة وعقب كل لفظة والدهر غرثان طعمه الخيار وظمآن شربه الاحرار فهل يشمت المرء بأنياب آكله ام يسر العاقل بسلاح قاتله وهذا الفاضل شفاه الله وان ظاهر بالعداوة قليلا فقد باطناه ودا جميلا والحر عند الحمية لا يصطاد ولكنه عند الكرم ينقاد وعند الشدائد تذهب الاحقاد

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم مطلعها

تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم

وما أحلى ما قال بعده

وباتت يدى فى طاعة الحب والهوى * وشاحا لخصر أو وسادا لمعصم

وما أبدع ما قال منها

سعدت ببدر خده برج عقرب * فكذب عندى قول كل منجم

وأقسم ما وجه الصباح اذا بدا * بأوضح من جبهة عند تلوى

ولا سيما لما مررت بمنزل * كفضلة صبر فى فؤاد متيم

وما بان لى الا بعود أراكة * تعلق فى أطرافه ضوء مبسم

سبحان المانح والله لقد أحرز القاضى السعيد قصبات السبق برقة هذه الالفاظ وغرابة هذه المعانى ولقد خلب القلوب وجلا ظلمة الافهام بقوله

وما بان لى الا بعود أراكة * تعلق فى أطرافه ضوء مبسم

وأظنه من المخترعات والله أعلم * وما أحلى ما قال بعده

وقفت به اعتاض عن لثم مبسم * شهى لقلبى لثم آثار منسم

ولم يرطرفى قط شملا مبددا * يقابله الا بدمع منظم

ولم يسل قلبى أو فنى عن غزالة * وعن غزل الا بمدح المعظم

ومن المخالص البديعة قول الصاحب بهاء الدين زهير من قصيدة يمدح بها الامير نصير الدين اللمطى * مطلعها

لها خفر يوم اللقاء خفيرها * فما بالها ضنت بما لا يضيرها

وما ألطف ما قال بعده

اعادتها أن لا يعاد مريضها * وسيرتها أن لا يفك اسيرها

ولم يزل هائما فى طريقه الغرامية الى ان قال

وها أنا ذا كالطيف فيها صبابة * لعلى اذا نامت بليل أزورها

هذا المعنى قلبه الصاحب بهاء الدين زهير على من تقدمه فيه وسبكه فى أغرب القوالب البديعية وأظنه من مخترعاته * ثم قال بعده

من الغيد لم تو قد مع الليل نارها * ولكنها بين الضلوع تثيرها

تقاضى غريم الشوق منى حشاشة * مروعة لم يبق الا يسيرها

وان الذى ابقته منها يد الهوى * فداء بشير يوم وافى نصيرها

هذا المخلص استعبد الصاحب بهاء الدين زهيرا رقيق ألفاظه بحشمة توريته ومثله فى الحسن قوله من قصيد يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز مطلعها

عرف الحبيب مكانه فتدللا * وقنعت منه بموعد فتعللا

وما أظرف ما قال بعده

وأرى الرسول ولم أجد فى وجهه * بشرا كما قد كنت أعهد أولا

فلا تتصور حالى الا بصورتها من التوجع لعلته والتحزن لمرضته وقاه الله المكروه ووقانى سماع السوء فيه بحوله ولطفه

(وله رقعة كتبها الى الشيخ ابى على)

سوء الادب من سكر الذنب وسكر الغضب من الكبائر التى تنالها المغفرة وتسعها المعذرة وقد جرى بحضرة الشيخ ماجرى وقد أفنيت بدى عضا واسانى رضا وان لم أوف ما جرى فالعذر امتد حظا فان كان بساطا وطوى وحديثا لا يروى فاولى من عذر اللاعب وأحرى من غفر الصاحب وان كان مبثا بنشر وسيباذكر فليكن العقاب ما كان اذا لم يكن الهجران على انى قد أخذت قسطى من العقاب واستفدت من رد الجواب ما كفى واوجع القفا

ولم يزل يدير كاسات صباباته الغرامية الى أن قال

آها لقلب ما خلا من لوعة * ابدا يحن الى زمان قد خلا

ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى * لولم تبادره الدموع لأشعلا

والقد كتمت حديثه وحفظته * فوجدت دمعي قد رواه مسلسلا

أهوى التذلل في الغرام وانما * يأبى صلاح الدين ان اتذللا

وما أحلى ما قال بعد المخلص

مهدت بالغزل الرقيق لمدحه * واردت قبل الفرض ان اتنفلا

ويعجبني ايضا من مخالص القاضي كمال الدين بن نبيه قوله من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها

باكر صبوحك اهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره

ثم قال بعده

والليل تجري الدراري في مجرته * كالروض تطفو على نهر ازاهره

وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

ولم يزل يتلاعب بهذه المعاني المخترعة الى ان قال

خذ من زمانك ما اعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره

فالعمر كالكاس تستحلي اوائله * لكنه ربما مجت اواخره

واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

فليس يخذل في يوم الحساب فتى * والناصر ابن رسول الله ناصره

ويعجبني من مخالصه الموسويات قوله من قصيدة مطلعها

يانار اشواقي لا تخمدي * لعل ضيف الطيف ان يهتدي

ولم يزل راتعا في رياض غزلها الى ان قال

غازلنا من نرجس ذابل * وافتر عن نور اقاح ندي

وقام يلوي صدغه قائلا * لا تغتر بي فكذا موعدي

فقلت بالله مات الوفا * فقال موسى لم يمت خذ بيدي

وقوله من المخالص الاشرفيات الموسويات في بيت المخلص الذي يستغني بتمكنه وقوته عن ذكر ماقبله

ياطالب الرزق ان سدت مذاهبه * قل يا ابا الفتح يا موسى وقد فتحت

ومن مخالصه الاشرفيات ايضا قوله من قصيد

بتنا وقد لف العناق جسومنا * في بردتين تكرم وتعفف

حتى بدا فلق الصباح بجحفل * راياته رنك المليك الاشرف

ويعجبني من مخالصه الاشرفيات ايضا قوله من قصيد

يذود شبا القناء عن وجنتيها * كمنع الشوك للورد الجني

اذا مارمت اقطفه بعيني * يقول حذار من مرعى وبي

فكان من موجب ادب الخدمة ابقاء الحشمة لولي النعمة باحتمال الشتم والاغضاء عن الخصم لكني احتفت بي ثلاثة أحوال لايصلح صاحبها منها اللعب وسكره والخصم وهجره والادلال والثقة وهن اللواتي حلتني على ماء الوجه أهرقته وحجاب الحشمة خرقته وقد منعني الآن فرط الحياء من وشك اللقاء وعهدي بوجهي وهو أصفق من العدم الذي حلني على جهله واوقح من الدهر الذي احوجني الى اهله لكن النعم اذا توالت على وجه رققت قشرته والانت بشرته وانا منتظر من الجواب ماريش جناحي الى خدمته فان رأى ان يكتب فعل ان شاء الله

(وله أخرى)

ما أحوجني من الشيخ الى تفضل يطلق عن وثاقي وان

لسان

لسان السيف من ادنى وشاقى * ومن رقبائى طرف السمهرى

كأن لحظها فى كل قلب * فعال المشـــــرفى الاشرفى

ويعجبنى من مخالص الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله من قصيد يمدح بها القاضى فتح الدين بن عبد الله الظاهر تحمس فى غزلها وتغزل فى تحمسها الى المخلص مطلعها

ارح يمينك مما انت معتقل * امضى الاسنة ما فولاذه الكحل

وما احلى ما قال بعده

يامن يربى المنايا واسمها تلـر * من السيوف المواضى وأسمها مقل

مابال ألحاظك المرضى تحاربنى * كأنما كل لحظ فارس بطل

من دونها كثب من دونها حرس * من دونها قضب من دونها اسل

ومعشر لم تزل فى الحرب تبصرهم * حمر الخدود وماهن شأنها الخجل

ينثنى حديث الوغى اعطافهم طربا * كأن ذكر المنايا بينهم غزل

من كل ذى طرة سوداء يلبسها * وشيها من غبار النقع متصل

ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما * ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدول

وطالعت تقطيف الجزار فاعجبنى منه مخلص قصيد يمدح بها الامير جمال الدين موسى بن يغمور *مطلعها

نقلت اقلبى ما بجفنيك من كسر * وعلت جسمى بالضنى رقة الخصر

ولم يزل الجزار يتقطف ما تشتهيه النفس من هذا النوع الى أن قال

وهيفاء تحكى الظبى جيدا ومقلة * رنت وانثنت فارتعت بالبيض والسمر

جسرت على لثم الشقيق بخدها * ورشف رضاب لم أزل منه فى سكر

ولست أخاف السحر من لحظاتها * لانى بموسى قد أمنت من السحر

وما أحلى ما قال بعد تخلصه بموسى

فتى ان سطا فرعون فقر وجدته * يغرقه من جود كفيه فى بحر

له باليد البيضاء أعظم آية * اذا اسودت الايام من نوب الدهر

ومن مخالص الشيخ جمال الدين بن نباته التى هى أوقع فى القلوب من خالص الوداد * وتوريتها أنفس من خلاصة العقود فى الاجياد * قوله من قصيد يمدح بها قاضى القضاة تاج الدين السبكى مطلعها

واحرقى بظلام الطرة الداجى * وشقوتى بنعيم الملمس العاجى

ولم يزل يكرر حلاوة هذا النبات الى أن قال

قد أسرج الحسن خديه فدونك ذا * سراج خد على الا كباد وهاج

وألجم العـزل فاركض فى محبته * طرف الهوى بعد الجام واسراج

وقسم الشعر فاجعل فى محاسنه * شذر القلائد واهد الدر للتاج

ومثله قوله من قصيد يمدح بها القاضى جمال الدين بن الشهاب محمود مطلعها

آذنته بفراقى وماذاك رضا منى ولكن استزادة من نسيم اورقه أطارت نومى وأطالت يومى فليتفضل الشيخ بكتاب الى الامير ان لم يتسع وقته لغيره وليجعله نقدا لا يضرب له وعدا فقد انتهت نوبة المقام فقد احال الشيخ الامر عليه ومتى أخره احتجت الى الخروج من غير استصحابه ثم أرى ذلك من كتبت له واما الرشأ الذى ذكره فقد شغل هذا المهم عنه وانا انتظر تفضله فى هذه الساعة فليس يحتمل الوقت المطل

(وله الى الشيخ العميد)

اين تكرم الشيخ العميد على مولاه وكيف معدلة الى سواه ايقصر فى النعمة لانى قصرت فى الخدمة اذا قدمت المماهلة ولم تحسن المقابلة وعثرت فى اذيال السهو ولم تنعش يد العفو ام تقول ان الدهر

بأبي نافر كثير الدلال * ان هذا النفار شأن الغزال

ثم قال بعده

حبذا منه مقلة لست أدرى * أبهدب تصول ام بنبال

صنفت شجونا بغزال جفن * فقرأنا مصنف الغزالى

وهوينا حلو القوام فنادت * لا عجيب حلاوة العسال

من معيني على هوى زاد حتى * أهملته نصائح العذال

لو رأى عاذلى حقيقة أمرى * لرثانى ولا اقول رثى لى

فى جمال الحبيب مت شجونا * وبروحى افدى تراب الجمال

ومثله قول الشيخ برهان الدين القيراطى من قصيد يمدح بها الامير سيف الدين الكركى مطلعها

غرامى فيك يا قمرى غريمى * وذكرك فى دجى ليلى نديمى

وقال بعده

وملئ الجسم وصد عنى * ومالى غير دمعى من حميم

وكم سأل العواذل عن حديثى * فقلت لهم على العهد القديم

وعم تساءلون ولى دموع * تخبرهم عن النبا العظيم

ولم يزل القيراطى يحرر ابريز هذه المعانى الى أن قال

فوعده وناظره وجسمى * سقيم من سقيم فى سقيم

كريم مال بالاعن ودادى * فلت لنحو مخدوم كريم

الخالص بالتورية على هذا النمط طريقها مخوف وباب مسالكها مقفل لاسيما على من كفه من هذا الفن صفر ورجله حافية وليس له محمل ومن مخالصى التى ما برحت التورية فى ابواب بيوتها خادمة وكم سلكت هذا الطريق المخوف وعادت الى بيوتها سالمة قولى من قصيد امتدح بها شرف الدين صدقة بن الشماع الشهير فى دمشق بابن مسعود وكان من اعز الاصحاب وممن رشف معنا فى ذلك العصر سلافة الآداب مطلعها

سهام جفنيك فى الحشا رشقه * رفقا فما مهجة الشجى درقه

وبكر هذه القافية انا ابو عذرتها واول من حصل له الفتح فى تحريك نكتتها وقلت بعد المطلع منها

انفقت عمرى وصحتى شغفا * عليك والصبر آخر النفقه

غصن خلاف يميس من خفر * قلوبنا فى هواه متفقه

قوامه فى اعتداله الف * شجان من مده ومن مشقه

عيناى بالثغر مع ذوائبه * فى اول الاصطباح مغتبقة

امير حسن بقرطه ظهرت * له جنود لكن من الحلقه

عامر بيت الوصال خربه * وقال ما أنت هذه الطبقه

بدر منير قساوة قلبه * لكن نرى عند خده شفقه

بيننا خدع وفيما بعد متسع فقد أزف رحيلى ولا ماء بعد الشط ولا سطح وراء النمط ام ينتظر سؤالى وانما سألته يوم أملته واستمنحته حين مدحته واقتضيته وقت أتيته وانتجعت سحابه لما أتيت بابه وليس كل السؤال أعطى ولا كل الرداء عفى أم يظن انى أرد صلته ولا ألبس خلعته وهذه فراسة المؤمن الا أنها باطلة ومخيلة العارف الا انها فاسدة ام ليس يجدنى مكانا للنعمة يضعها وأرضا للمنة يزرعها فلا أقل من تجربة دفعة والمخاطرة بانفاذ خلعة ليخرج من ظلمة التخمين الى نور اليقين ولينظر أأشكر أم أكفر ام يتوقع صاعقة تملكنى او داهية تهلكنى فهذا امل موفر لان شيخ السوء باق معمر ام يقدر انى اشكره اذا اصطنع واعذره اذا امنع وبالله لو كنت ينبوع المعاذير ما حظى منى بجرعة

قالوا البدر التمام منه ضيا * قلت وعيش الهوى لقد محقه
وحل الصبح من محاسنه * أنفال نور لكنه فلقه
وماس في الروض كل غصن نقا * غدا الى الله رافعا ورقه
وانظر الى الظبي كيف يرمقه * ويأخذ الغنج منه بالسرقه
فقيل والظبي ما يقابله * فقلت والله ماله حدقه
قلت له ان جفن مقلته * يشبه سهما بجبه رشقه
خفت من القتل زحت أملقه * سابقني مدمعي جرى ملقه

ولم أزل ناشرا علم التورية الى أن وصلت الى المخلص بها فقلت

طرقت باب الحبيب والرقبا * على من خيفة اللقا حنقه
قالوا فما تبتغي فقلت لهم * حتى تخلصت أبتغي صدقه

قولي حتى تخلصت لا يخفى ما فيه من زيادة الحسن على أهل النظر من أهل الادب ومثله قولي من قصيدة مصغرة مدحت بها قاضي القضاة شمس الدين النويري مطلعها

طريفي من ليبلات الهجير * مقيرح الجفين من السهير

وقلت بعد المطلع

بعيد غزيلي وجويرقلبي * دميعي في وجيناتي جويري
بديوي تريكي الحيا * غويب عن عويشقه المضيري
عبيسي المبيظ له وجيه * ضوي نويره لبني بديري
حياه مقيلتيه سباعقيلي * ولكن الحديد غدا جبيري
رويض وجينتيه له عنيدي * نسيب في النظيم الى زهير
سبيل الشعير على كفيل * يذكرنا مويجات البحير
بدير في الظهير له نوير * مثيل شكيله ما في العصير
حويجبه القويس له سهيم * مويض في القليب بلا وتير
شفيفته قفيل من عقيق * مقيفيل على دري الثغير
عذيره النويزل دارحتي * تشوق للنزيل وللدوير
لثمت خديده فجرى دميعي * فما أحلى الزهير على النهير
دنيبر الوجيه له بقلبي * نقيد ليس يصرف عن صديري
اتاه سويئلا يوما دميعي * فقال انا جعيدي الشعير
شهير وصيله عندي يويم * ويوم هجيره مثل الشهير
تبسم لي معبرا عن رويض * فقلت ولي دميع كالمطير
نثرت دميعتي بنظيم ثغر * فما أحلى النظيم مع النثير
افيظك والمقيلة مع نظيمي * سحير في سحير في سحير
شعيرك مذ أضل عويشقيه * هدينا في الظليمة بالنوير

ولم استطرد الى غالب ابيات هذه القصيدة الالغرابة أسلوبها فاني لم أزل اجذب القلوب

فليرجني بشرعة أم يرجواني امهله حتى اعود من هراة والشيطان أعقل من ان يوسوس اليه بهذا أو يسول لدى ذلك وأنا الى الشيخ العميد وردت وعن هؤلاء القوم صددت وقد فعلوا فوق مقدارهم ودون ماقدرت فليصبني من الفعل تذكرة أو من القول معذرة وليصرف على أمره ونهيه بهراه يشرفني بها ان شاء الله

(وله في رجل ولي الاشراف)

فهمت رقعتك وسررت بسلامتك وفهمت ماذكرته من امر فلان اعني الاشراف وانه وان يصدق الظن يكن اشرافا على الهلاك يبدا الاتراك فلايعزنك فالحبل لايبرم الا للفتل ولاتعجبنك خلعته فالثور لايزين الا للقتل ولايرعك نفاقه فارخص مايكون النفط اذا غلى واسفل مايكون الارنب اذا علا

الى تحبيب ثغرها * ومغازلة عيون أغزالها * الى ان ابدر بدر مخلصها فى أفق توريته *
ومثله قولى من قصيد كتبت بها من حماة المحروسة الى المقر المرحومى الامينى صاحب ديوان
الانشاء الشريف بدمشق المحروسة

يانزولا حى الفراديس بالشا * م واعلامهم على قاسيونا
يانسيم العليل منكم اذاهب * على الغور و الربا عللونا
وارحموا سائل الدموع وبالله * عليكم لاتنهروا السائلينا
واذا ما انهر تم الدمع نهرا * لاتخوضوا فيه مع الخائضينا
حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا فى بعادنا مسنونا
والحشا لم تضن عهود وفاكم * وسلوا من غدا عليها أمينا

ومثله قولى من قصيدة كتبت بها من طرابلس المحروسة الى سيدنا قاضى القضاة تقى الدين
ابن الحيشى الحنفى بحماة المحروسة نور الله ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه
وصبوحه

فماسا كنى مغنى حماة نعمتم * صباحا ولو ألغيتم فى الورى ذكرى
فودى ودى مثل ماتعهدونه * ولكن صبرى عنكم عاد كالصبر
وقد كنت أخشى هجركم قبل بعدكم * فلما بعدتم قلت آها على الهجر
وان جلت فى ميدان نظمى تشوقا * تسابقنى حمر المدامع بالنثر
وشيمى همى كلما رام بعدكم * يحاربنى ناديت يالابى بكر

قد تقدم وتقرر أن مخالص التورية صعب مسلكها على كثير من الناس ولم أبرز بدورها هنا
كاملة الا ليزول عن الطالب ظلمة الالتباس وانشدنى من لفظه لنفسه الكريمة أحد
أعيان العصر المقر الجدى فضل الله بن مكانس فسح الله فى اجله مخلصا من غزل الى مديح
نبوى وهو

كم حمد السامعون وصفى * لغادة قينة وأغيد
فملت عنه تقى وعودى * لمدح خير الانام احمد

هذا المخلص حلاه المقر الجدى بشعار التورية وخفر المديح النبوى ومخلص الشيخ صفى الدين
الحلى فى بديعيته

من كل معربة الالفاظ معجمة * يزينها مدح خير العرب والعجم

الشيخ صفى الدين تخلص فى بيت واحد ووثب من شطره الاول الى شطره الثانى على الشرط
المعروف وهذا المنوال قد تقرر أنه عليه عقدت خناصر المتأخرين ولكن الشيخ صفى
الدين وثب وثبة ضعيفة دلت على ضعف تخلصه فان بيته بمفرده غير صالح للتجريد وقد تقدم
القول على بيت القسم من قصيدته انه غير صالح للتجريد أيضا فانه لم يأت بجواب قسمه الا فى
بيت الاستعارة وعلى كل تقدير ان لم يؤت ببيت القسم وبيت الاستعارة قبل بيت
التخلص لم يحصل به فائدة ولا يصير على مخلصه طلاوة الادب ويصير بينه وبين الاذواق
السليمة مباينة وقد تعين ان أورد بيت القسم وبيت الاستعارة هنا ليصيرا لمخلصه الضعيف

وكأنك به وقد شن عليه
جران العود شن المطر
العود وقيدله مركب
الغبار من مربط النجار
وانما جرله الحبل ليصفع
كما صفع من قبل وستعود
تلك الحالة الحالة وتنقلب
تلك الحبل حبالة فلا تحسد
الذئب على الالية يعطاها
طعمة ولا تحسب الحب
ينثر للعصفور نعمة وهبه
ولى امارة مابين البحرين
اليس مرجعه ذلك العقل
ومصيره ذلك الفضل ومنصبه
ذلك الاصل وعصارته
ذلك النسل وقعيدته تلك
الاهل وقوله ذلك القول
وفعله ذلك الفعل وكان
ماذا أليس ماسلب أكثر
مما أعطى وماحرم افضل
مما أولى وماعدم اوفر مما
غنم مالك تنظر الى ظاهره
وتعمى عن باطنه اكان
يعجبك ان تكون قعيدته
فى بيتك وبعلته من تحتك

تكأتين وهما

لاالقبتنى المعالى يابن بجدتها * يوم الفخار ولابر التقى قسمى
ان لم أحث مطايا العزم مثقلة * من القوافى تؤم المجد عن أمم
من كل معربة الالفاظ معجمة * يزينها مدح خير العرب والعجم

وابن الشيخ صفى الدين الحلى من قول كمال الدين بن نبيه وقد تقدم

ياطالب الرزق ان سدت مذاهبه * قل ياأبا الفتح ياموسى وقد فتحت

هذا التخلص لحسن تجريده يستغنى به عن قصيده وقد تقرر ان نظام البديعيات التزموا أن يكون كل بيت منها شاهدا على نوعه بمجرده ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده ومخلص العميان مثل مخلص الشيخ صفى الدين الحلى أيضا فانه غير صالح للتجريد وما تتم به الفائدة ان لم يأت ناظمه بما قبله وعلى مذهب أصحاب البديعيات مايصلح أن يكون شاهدا وهو

يمم بنا البحر ان الركب فى ظما * فقلت سيروا فهذا البحر عن أمم

وقد تقدم قولى ان العميان أتوا فى براعة الاستهلال بصريح المدح وهو قولهم فيها

بطيبة انزل ويمم سيد الامم * وانشر له المدح وانثر طيب الكلم

فاذا حصل التصريح بالمدح فى المطلع الذى هو براعة الاستهلال لم يبق لحسن التخلص موقع فان حسن التخلص من شرطه ان يخلص الشاعر من الغزل الى المديح لامن المديح الى المديح وأيضا فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له فى المخلص ذكر ولكنه استغنى بذكر البحر فانه جعله كناية عن كرم النبى صلى الله عليه وسلم ومخلص الشيخ عز الدين فى بديعيته

حسن التخلص من ذنبى العظيم غدا * بمدح أكرم خلق الله كلهم

الشيخ عز الدين صرح بذكر حسن التخلص فى أول البيت هنا وجل القصد ان يكون التصريح به فى الشطر الثانى مع انه لم يأت بحسن التخلص على الشروط المقررة فانه انتقل من معنى الى معنى أخر من غير تعلق بينهما كأنه استبدأ كلاما آخر وقد تقدم القول فى أول الباب ان هذا النوع اذا نسج على هذا المنوال سمى اقتضابا ولم يكن له حظ فى حسن التخلص فان الشيخ عز الدين قال قبل مخلصه

وارع النظير من القوم الاولى سلفوا * من الشباب ومن طفل ومن هرم

ثم قال بعده

حسن التخلص من ذنبى العظيم غدا * بمدح اكرم خلق الله كلهم

الشيخ عز الدين استبدأ هنا كلاما آخر وليس بين بيت التخلص و بين ماقبله علاقة ولا أدنى مناسبة * وبيت بديعيتى

ومن غدا قسمه التشبيب فى غزل * حسن التخلص بالمختار من قسمى

هذا البيت مايشك متادب انه اعمر بيوت البديعيات وهو فى غنية عن الاطناب فى وصفه

(ذكر الاطراد)

(محمد بن الذبيحين الأمين ابو البتول خير نبى فى اطرادهم)

الاطراد فى اللغة مصدر اطرد الماء وغيره اذا جرى من غير توقف وفى الاصطلاح أن يذكر

ام كان يسرك أن تكون اخلاقه فى اهابك و بوابه على بابك ام كنت تود أن تكون وجماؤه فى ازارك وغلمانه فى دارك ام كنت ترضى ان تكون فى مربطك افراسه وعليك لباسه وراسك راسه جعلت فداك ماعند لك خير مما عنده فاشكر الله وحده على ما آتاك
ان الغنى هو الراضى بقسمته لامن يظل على مافات مكتئبا
(وله الى الشيخ الامام ابى الطيب سهل بن محمد من سرخس)
كتابى اطال الله بقاء الشيخ من سرخس وانا سالم والحمد لله رب العالمين وقد كان الشيخ يعدنى عن هذه الحضرة عدات اشم لها الانف لاذهابا بتلك الفواضل عنها لكن استصالة من هذا الزمان ان يجود بها لحين اشرفت على الحضرة ماجت على امواج الشرف منها وخلص الى نسيم

الاطراد

الشاعر اسم الممدوح واسم من أمكنه من آبائه في بيت واحد على الترتيب ولا يخرج من طرق السهولة ومتى تكلف أو تعسف في بناء بيته لم يعد اطرادا فان المقصود من هذا النوع أن يكون كلام الناظم في سهولة جريانه واطراده كجريان الماء في اطراده فمتى جاء كذلك دل على قوة الشاعر وتمكنه وحسن تصرفه وقد تقدم القول ان الشيخ صفي الدين ما نظم بديعيته حتى جمع عنده سبعين كتابا في هذا الفن يجتني من أوراقها كل ثمرة شهية ورأيته في شرح بديعيته قد أورد لهذا المعنى حدا فيه زيادة على الجماعة فانهم لم يزيدوا على اسم الممدوح واسم من أمكن من آبائه شيأ والشيخ صفي الدين نقل في شرح بديعيته أن الاطراد عبارة عن اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به واسم من أمكن من أبيه وجده وقبيلته ليزداد الممدوح تعريفا وشرط ان يكون ذلك في بيت واحد من غير تعسف ولا تكلف ولا انقطاع بالفاظ أجنبية وأورد على ذلك قول بعضهم

مؤيد الدين أبو جعفر * محمد بن العلقمي الوزير

هذا البيت جمع ناظمه فيه بين اللقب والكنية واسم الممدوح واسم أبيه والصفة اللائقة به وهو القدر الذي قرره الشيخ صفي الدين في الحد الذي أورده في شرحه وعلى هذا المنوال نسجت بيت بديعيتي لاجل المعارضة * ومثله قول بعض المتأخرين في زكي الدين بن ابي الاصبع

عبد العظيم الزكي ابن أبي الاصبع رب القريض والخطب

هذا البيت اشتمل أيضا على اسم الممدوح واسم أبيه والصفة اللائقة به وهو صالح لمجرد المدح ولكن عقبه الناظم بابيات مشتملة على صريح الهجو كان الاوجب عدم ايرادها هنا حفظا لمقام الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع ولكن جراءة نظر فها ركبت صهوة القلم واطلقت عنانه فانه قال بعده

يزعم اني بالهجو أذكره * تعصبا منه ساعة الغضب
أكذبني والطلاق يلزمني * ما ملت فيه يوما الى الكذب
نكت ابنه واخته وخالته * ونكت قدما أخاه وهو صبي
ولست فيما أتيت مبتدعا * قد كان هذا في سالف الحقب
نالك أني امه وجدته * وعمته لله ذر أبي
ونحن في بيته على دعة * النيك ما بيننا الى الركب

واما شواهد هذا النوع المشتمل على اسم الممدوح واسم أبيه وجده من غير كنية ولقب وصفة فمنها قول الشاعر

من يكن رام حاجة بعدت عنـ * ـه وأعيت عليه كل العياء
فلها احمد المرجى بن يحيى بـ * ـن معاذ بن مسلم بن رجاء

قال الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع لقد أربى هذا الشاعر في هذا النوع على من تقدمه ولو سلم بيته من الفصل بلفظة المرجى لكان غاية لا تدرك وعقيلة لا تملك انتهى كلام

الكرم عنها وتلقيت على رسم الاجلال بمركوب عز شامخ وموكب ذهب سابغ وجنيبي شرف رائد وسرت على اسم الله محفوفا باعيان الكتاب وعيون الرجال حتى شافهت بساط العز مستقبلا بملك الشرق فجذب بضبعي عن ارض الخدمة الى جوار ولي النعمة فاهتززت لفات نسمة الكرام وتجاوز اسم الاعظام الى القيام فقبلت من يمناه مفتاح الارزاق وفتاح الآفاق ولثمته بقاب العقاب فخاطبني بمخاطبات نشدت بها ضالة الآمال وهلم جرا الى ما نبهه بها من جميل الانزال وسني الانزال تطرات من الشيخ العمد على شخص يسعه الخاتم ولا يسعه العالم ونفس تهتز عند المكارم كالغصن وتثبت عند الشدائد

الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع * و بيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

محمد المصطفى الهادي النبي أجـل المرسلين ابن عبد الله ذي الكرم

الشيخ صفي الدين أتى في هذا البيت باسم الممدوح صلى الله عليه وسلم والصفات اللائقة به واسم أبيه وبيت العميان في بديعيتهم

قد أورث الجد عبد الله شيبة عن * عمرو بن عبد مناف عز قصيهم

الذي أقوله أن بيت العميان في غاية التكلف والتعسف * ولعمري ان ناظمه خالف أمر مشايخ البديع في المشي على طريق السهولة والانسجام وأيضا فان النبي صلى الله عليه وسلم هو الممدوح في هذه القصيدة بكمالها وليس له ذكر في هذا البيت فعلى هذا التقدير هو غير صالح للتجريد مع ما فيه من العقادة * وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته

محمد ابن عبد الله شيبة جـده ابن عمرو كرام في اطرادهم

أقول ان بيت العميان في غاية السهولة عند هذا البيت وهذا القدر التي من اطلاق لسان القلم في الكلام عليه * و بيت بديعيتي

محمد بن الذبيحين الامين أبو الـبتول خير نبي في اطرادهم

هذا البيت أيضا فيه اسم الممدوح صلى الله عليه وسلم وذكر ابيه وهو أحد الذبيحين لان أباه عبد المطلب كان قد نذر ذبح أحد اولاده اذا صار واعشرة فلما كملت له العشرة أقرع بينهم فوقعت على عبد الله فوداه بمائة من الابل وهو أول من ودى بذلك وكانت الدية قبل ذلك عشرا وفي البيت اشارة الى جده اسمعيل عليه السلام وتفسير هذا الاسم مطيع الله الذبيح وقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين وفيه الصفة المعدودة من أسمائه الشريفة والصفة اللائقة بمقامه العالي واسم النوع البديعي في القافية ،ورى به من جنس المديح * والذي يظهر لي أنه أرق من بيت العميان و بيت الشيخ عز الدين وأكثر معاني من بيت الشيخ صفي الدين والله أعلم

(ذكر العكس)

(عين الكمال كمال العين رؤيته * يا عكس طرف من الكفار عنه عمي)

العكس في اللغة رد آخر الشيء على أوله ويقال له التبديل وفي الاصطلاح تقديم لفظ من الكلام ثم تأخيره ويقع على وجوه كثيرة ولكن المراد هنا ما استعمل منها وكثر استعماله فالمقدم في هذا الباب قوله تعالى تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي العكس هنا مميز بعلو طباقه وبشرف القدرة الالهية التي لا تصدر الا عن عظمة الخالق جلت قدرته وبلاغة القرآن وايجازه وفصاحته وعلى كل تقدير فالعكس نوع رخيص بالنسبة الى ما فوقه من أنواع البديع الغالية وان لم يصوب البليغ عكسه بنكتة بديعية تنظمه في سلك أنواع البديع فهو مسفر على عكسه * كقول القائل

زعموا أني خؤن في الهوى * في الهوى أني خؤن زعموا

هذا البيت ليس فيه نكتة تزيل عنه العكس وتحليه بشعار البديع ولو اراد الشاعر ان يرتجل مثله ماشاء في مجلس واحد لكان ذلك قدرا يسيرا وأين هذا الناظم من أبي تمام وقد قال

كالنكر وسلطان يعلم حلم السيف مغمدا ويغضب غضبه مجردا فهو عند الكرم لين كصفحته وعند السياسة خشن كقشرته وملك يأتي الكرم نشيئة والطبر سجية ويفعل الشر كلفة أو خطية فهو ضرورد بالآنه نفوع بذاته عطارد قلم ودواته مريخ سيفه وقناته حسب لا عيب فيه فيصرف عين الكمال عن معاليه وصادفت من الشيخ الموفق ملكا يشاهد عيانا وجبلا قد سمي انسانا وحسنا قد ملئ احسانا واسدا قد لقب سلطانا وبحرا أمسك عنانا وحطت رحلي بفناء الامير الفاضل أبي جعفر فوجدت حكمي في ماله أنفذ من حكمه وقسمي من غناه أكبر من قسمه واسمي في ذات يده مقدما على اسمه ويدي الى خزانته أسرع من يده وان

العكس

له بعض حساده لم لا يقول ما يفهم فقال له على الفور لم لا تفهم ما يقال * واين هو من قول الحكيم الذى قيل له لم تمنع من يسألك فقال لئلا أسأل من يمنعنى * وأين هو من كلام الحكيم الذى قال اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون وقيل انه ورد فى الحديث جار الدار أحق بدار الجار * وما أبلغ قول الحسن بن سهل هنا وقد قيل له * لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير * ويروى لأمير المؤمنين هرون الرشيد من النظم فى هذا الباب

لسانى كتوم لاسرارهم * ودمعى بسرى نموم مذيع
فلولا دموعى كتمت الهوى * ولولا الهوى لم يكن لى دموع

وبديع هنا قول الصاحب ابن عباد وقد بالغ فى وصف الزجاج والشراب وهو

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

ومثله

الست ترى اطباق ورد وحولها * من النرجس الغض الطرى قدود
فتلك خدود ما عليهن أعين * وتلك عيون مالهن خدود

ويعجبنى الى الغاية فى هذا الباب قول الاضبط الشاعر

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه

ومثله فى الحكمة قول ابن نباتة السعدى

الا فاخش ما يرجى وجدك هابط * ولا ترج ما يخشى وجدك رافع
فلا نافع الامع النحس ضائر * ولا ضائر الامع السعد نافع

ومن حكم أبى الطيب المتنبى قوله فى هذا الباب

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

ومثله فى الحسن والبلاغة قوله

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

واستشهدوا على نوع الطباق بقول الشاعر

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

والعكس هنا أحق من المطابقة وأولى لما فيه من عكس مطابقة عجزه لصدره وتبديل الطباق فى العجز والصدر ومن الذى يستظرف هنا الى الغاية قول الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة *

أفنيت عمرى فى دهر مكاسبه * نطيع أهواءنا فيها ونعصينا
تسعا وعشرين مذ الهم شقتها * حتى توهمتها عشرا وتسعينا

وتلطف الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله هنا

قصدت ان اقرر ذلك مدحا
وأعبر الجملة شرحا أطلت
فهلم الى ما افتتحت الكتاب
لاجله ورد للخوارزمى كتاب
يتقلب فيه على جنب المتز
وينقلى على جمر الضجر ويتأوه
عن عثار الخجل ويتعثر فى
أذيال الكلال ويذكر ان
الخاصة قد علمت الفلج لاينا كان
فقلت است الباش اعلم
والخوارزمى أعرف
والاخبار المتظاهرة أعدل
والآثار الظاهرة أصدق
وحلبة السباق أحكم وما
مضى بيننا أشهد والعودان
انشط أحمد ومتى استزاد
زدنا وان عادت العقرب
عدنا وله عندى اذا شاء
كل ما ساءه وناءه ولن يعدم
اذا أراد نقدا يطير فراخه
ونفقا يصم صماخه وما
كنت أظنه يرتقى بنفسه الى
طلب مساماتى بعد ما سقيته
كاس الحنظل واطعمته

مسئلة الدور رغدت * بيني وبين من أحب

لولا مشيبي ما جفت * لولا جفاها لم أشب

انظر ما أليق ما حصر الشيخ جمال الدين مسئلة الدور في هذا النوع مع قصر البحر * ويعجبني أيضا قول الشيخ علاء الدين علي بن مقاتل الحموي في مطلع من مطالع أزجاله وهو

حبي عودني الوصال * وعوايد وقطع

وامتنع لما حلا * وحلا لما امتنع

وانشدني من لفظه لنفسه الكريمة قاضي القضاة عماد الدين أخو شيخي قاضي القضاة علاء الدين ابن القضامي تغمدهما الله برحمته ورضوانه مطلعا يناظر مطلع ابن مقاتل بحسنه في هذا الباب وهو

قلت يوما لمن هويت * فيم اعدل عملك

قال بجوري ترتضي * والا اعمل عدلك

وزاد الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع هذا النوع أعني عكس الالفاظ صنفا معنويا وهو أن يأتي الشاعر الى معنى لنفسه أو لغيره فيعكسه فمثال ما عكس الشاعر من المعاني لغيره

قال الاول

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال الثاني الذي عكس الاول

وربما فات بعض الناس أمرهم * مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

وقد تقدم قول الناس في المثل السائر * ما في السويدا رجال فعكست هذا المعنى على أصحابه وقلت

في سويدا مقلة الحب نادى * جفنه وهو يقنص الاسد صيدا

لا تقولوا ما في السويدا رجال * فأنا اليوم من رجال السويدا

ومن القسم الثاني وهو عكس الشاعر معنى نفسه قول بعضهم

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

ومثله قول الشاعر وتلطف ما شاء

ها قد غدا من ثياب الشعر في كفن * وقد تعفت معاني وجهه الحسن

وكان يعرض عني حين أبصره * فصرت أعرض عنه حين يبصرني

وأظرف منه قول الشيخ جمال الدين ابن نباته

وصديق قوى يدي بنوال * وأراه من بعد حاول وهني

كان مثل البستان آخذ منه * صار مثل الحمام يأخذ مني

انتهى ما اوردته في هذا الباب من عكس الالفاظ والمعاني وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته شاهد في هذا الباب على عكس الالفاظ وهو قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم

أبدى العجائب فالاعمى بنفثته * غدا بصيرا وفي الحرب البصير عمي

الشيخ صفي الدين أتى في هذا الباب بالغرض من نظم النوع المذكور ولكن لم يخل بيته من بعض عقادة هذا مع عدم تكلفه بتسمية النوع على الشرط المقرر وبيت العميان

الخرا بالخردل فان كان الشقاء قد استغواه والحين قد استغواه فالنفس منتظرة والعين ناظرة والنعل حاضرة وهو منى على ميعاد وانا له بمرصاد وكانما حرر ذلك الكتاب من نسخة مخازيه واستملا من صحيفة خوازيه فاترك لنفسه عرضا لئيما ولا عارا بهيما الا فعله كريما واستباح منه حريما ولا تصفح كتابه الاعن حريم مباح وهو حريمه واديم مجتاح وهو أديمه وكذا من أغمد فيه سيف الريبة انسل منه لسان الغيبة ومن طعن بجنانه طعن لسانه ومن وارى سوأة أخيه صغيرا اشتغل بعرض الكرام كبيرا ومن لم تملكه في لسانه الغيرة لم يحاب بذكر الحرمة غيره والبغي والبغاء يتنزلان في رتبة والفم والفقحة يركضان في حلبة فالبغاء باسته لا يصبر عن المقياس والبغي بفمه

فاتبع رجال السرى في البيد واسر له * سرى الرجال ذوى الالباب والهمم

بيت العميان لم يخلص من العكس هنا اذ ليس فيه نكتة تلم له مع البديع شملا وليس فيه مغير رجال السرى وسرى الرجال وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

خير المقال مقال الخير فاصغ ودع * عكس الصواب مع التبديل تستقم

الشيخ عز الدين أتى في هذا النوع بالمقصود من نظم النوع البديعي وتسميته على الشرط المقرر ولكنه أجنبي من مديح النبي صلى الله عليه وسلم وايس له أدنى تعلق ببيت المديح الذى قبله وهو

تمت محاسنه والله كمله * فقدره في الورى في غاية العظم

وأعجب من هذا أنه قال بعد هذا البيت عن النبي صلى الله عليه وسلم

له الجميل من الرب الجميل على الـ * ـوجه الجميل بترديد من النعم

وغالب مديحه النبوى في هذه القصيدة على هذا النمط فانها ما انسجمت معه الا في مواضع قليلة والظاهر ان ثقل تسمية النوع على الشرط المعلوم كلما أثقل كاهله فر الى جهة يستند الى ركنها وبيت العميان كاد أن يكون أجنبيا من المديح واكن اتكلوا على عود الضمير على الممدوح وهو النبي صلى الله عليه وسلم وبيت بديعيتى وهو قولى عن النبي صلى الله عليه وسلم

عين الكمال كمال العين رؤيته * ياعكس طرف من الكفار عنه عمى

أقول انه في سهولته وانسجامه وحسن تركيبه وبديع تسميته وتمكين قافيته بيت عامر بالمحاسن والله أعلم

(ذكر الترديد)

(أبدى البديع له الوصف البديع وفى * نظم البديع حلا ترديده بفمى)

الترديد هو ان يعلق الشاعر لفظة في بيت واحد ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون واستشهدوا على هذا النوع من النظم بقول أبى نواس

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

والذى أقوله ان الترديد والتكرار ليس تحتهما كبير أمر ولا بينهما وبين أنواع البديع قرب ولا نسبة لانحطاط قدرهما عن ذلك ولولا المعارضة ما تعرضت لهما في بديعيتى ولكن ذكر زكى الدين بن أبى الاصبع بينهما فرقا فيه بعض اشراق وهو أن اللفظة التى تكرر في البيت ولا تفيد معنى زائدا بل الثانية عين الاولى هى التكرار واللفظة التى يرددها الناظم في بيته تفيد معنى غير معنى الاولى هى الترديد وعلى هذا التقدير صار للترديد بعض مزية تميزها على التكرار ويحلى بشعارها وعلى هذا الطريق نظم أصحاب البديعيات هذا النوع اعنى الترديد فبيت الشيخ صفى الدين الحلى في بديعيته

له السلام من الله السلام وفى * دار السلام تراه شافع الأمم

لفظة السلام متعلقة في كل موضع بغير الآخر لاشتراكها والعميان لم ينظموا هذا النوع

وبيت

لا يصبر عن غيبة الناس ومن سقى اسفله ماء الرجال أثمر اعلاه ثمر الجمال والناس عند الاعمى عميان والمكرم عند أهل اللؤم كالماء في فم المحموم وسم البرسم في السهر والشمس تقبح للعيون الرمد والبغاء يرمى الناس بدائه وكيف يبقى على اعدائه من يتنفل باودائه وكيف يصن عرض اصدقائه من لا يغار على نسائه وكيف ينطح عن نسائه من يسمح بوجهائه وكيف يبقى على حرمة جاره من يبيح لعبده داره ثم يتحامى ذكر الفروج من صبر على الزنوج وعالج رهز العلوج وان يستطيع اللسان رياضة من جعل بطنه للايور مخاضة ولن يطيق في القول اصابة من جعل دبره للجذوع مثابة ولن يحسن القول لجنسه من أساء الفعل لنفسه ومن خرب مأواه لم يعمر بيت

الترديد

وبيت الشيخ عز الدين

له الجميل من الرب الجميل على الـ ... ـو جمه الجميل بترديد من النعم

وبيت بديعيتي

أبدى البديع له الوصف البديع وفى * نظم البديع حلا ترديده بفمي

أقول ان حلاوة الترديد بالفم أحلى من قول الشيخ عز الدين بترديد من النعم واحسن موقعا لكونها في القافية والله أعلم

(ذكر التكرار)

(كررت مدحي حلا في الزائد الكرم ابن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم)

المديح للكريم مليح هنا وقد تقدم قولي ان التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الانكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو الغرض من الاغراض * فأما ما جاء منه للذم فكقول مهلهل بن ربيعة أخي كليب

يالبكر أنشروا لي كليبا * يالبكر أين أين الفرار

وأما ما جاء منه للمدح فكقول كثير في عمر بن عبد العزيز

فأربح بها من صفقة لمبايع * وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

وكقول أبي تمام

بالصريح الصريح والاروع الار * وع منهم وباللباب اللباب

وأما ما جاء منه للتهويل فكقوله تعالى القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة * وكقوله الحاقة ما الحاقة * وأما ما جاء منه للانكار والتوبيخ فهو تكرار قوله تعالى في سورة الرحمن فبأي آلاء ربكما تكذبان * فان الرحمن جل جلاله ما عدد آلاء هنا الا ليبكت بها من أنكرها على سبيل التقريع والتوبيخ كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها له * وأما ما جاء منه للاستبعاد فكقوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون * وأما ما جاء منه في النسيب وهو في غاية اللطف فقول بعضهم

يقلن وقد قيل اني هجعت * عسى أن يلم بروحي الخيال

حقيق حقيق وجدت السلو * فقلت لهن محال محال

وألطف منه قول القاضي

ماذا تقول الواشي ضل سعيهم * وما تقول الاعادي زاد معناه

هل غير أني أهواه وقد صدقوا * نعم نعم انا اهواه وأهواه

وما أحلى ما قال بعده

حسب البرية ايراً افضل رؤيته * فما رؤي قط الا سبح الله

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم ابـ ... ـن الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

التكرار

سواه وبعد فالهذا المسفيه بهم امام خراسان وقد أتى من همذان لولا بغي مشتق من البغاء ووجع منه في الوجعاء ثم ما أغرى هذه المسفيه بي وانساني له فما أتصوره في وقتي الحديث والمغزل ولا أصحبه في طريق الجد والهزل ولا أذكره في حال اليقظة والنوم ولا فصلي النهار والليل ونحن في كل حال على طرفي محال هو خوارزمي ولست من خوارزم وهو شاعر ولعن الله النظم وسفيه ولا انازعه الشتم وسخيف ولست معه ثم وموشوم وعدمت ذلك الوشم وشماذ ولا أنزع هذا السهم وصفعان ولا أرجم هذا الرجم وخزي ولا أشرب الخمر وناي ولا أسمع الزمر وعودي ولا أحسن النقر ونردي ولا ألعب القمر وكشخان ولا آخذ الجذر

تكرار مدحي هدى في الشامل النعم ابن الشامل النعم ابن الشامل النعم

وبيت بديعيتي

كررت مدحي حلا في الرائد الكرم ابن الرائد الكرم ابن الرائد الكرم

كاد بيت الشيخ صفي الدين وبيت الشيخ عز الدين وبيت بديعيتي ان تكون بيتا واحدا المناسبة التركيب وان كان بيت الشيخ صفي الدين تميز بزيادة واحدة في التكرار فقد جاء موضعها التورية في تسمية النوع كما قيل

وأين الثريا من يد المتناول

والذي يظهر أن مكرر بيتي حلاوته ظاهرة على بيت الشيخ عز الدين فان مكرره ناقص الحلاوة والله تعالى أعلم

(ذكر المذهب الكلامي)

(ومذهبي في كلامي أن بعثته * لولم تكن ماتميز ناعلى الامم

المذهب الكلامي نوع كبير نسبت تسميته الى الجاحظ وهو في الاصطلاح أن يأتي البليغ على صحة دعواه وابطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها الى علم الكلام اذ علم الكلام عبارة عن اثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة * وقيل ان ابن المعتز قال لا اعلم ذلك في القرآن اعني المذهب الكلامي وليس عدم علمه مانعا علم غيره ولم يستشهد على المذهب الكلامي باعظم من شواهد القرآن واوضح الادلة في شواهد هذا النوع وابلغها قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * هذا دليل قاطع على وحدانيته جل جلاله وتمام الدليل ان تقول لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غير الله * ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وتمام الدليل ان يقال لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم فهذان قياسان شرطيان من كلام الله وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام ومثله قول مالك بن المرحل الاندلسي

لو يكون الحب وصلا كله * لم تكن غايته الا الملل

أو يكون الحب هجرا كله * لم تكن غايته الا الاجل

انما الوصل كمثل الماء لا * يستطاب الماء الا بالعلل

فالبيتان الاولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فانه قاس الوصل على الماء فكما أن الماء لا يستطاب الا بعد العطش فالوصل مثله لا يستطاب الا بعد حرارة الهجر وأما الاقيسة الجلية فقد استنبطوها على صور منها ما يروى ان ابا دلف قصده شاعر تميمي فقال له ممن انت فقال من تميم فقال ابو دلف

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا * ولو سلكت سبل الهداية ضلت

فقال له التميمي نعم بتلك الهداية جئت اليك فافحمه بدليل جلي الزمه فيه ان المجيء اليه ضلال ولعمري ان القياس الشرطي اوضح دلالة في هذا الباب من غيره واعذب في الذوق واسهل في التركيب فانه جملة واقعة بعد لو وجوابها وهذه الجملة على اصطلاحهم مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ما تقدم من الحكم وعلى هذه الطريقة نظمت بيت

المذهب الكلامي

ودهري ولا اعبد الدهر ومركوب ولا اعبر الظهر هذه فضائل لا نفضل في قطيعها ومناقب لا واحد لي من جمعها ثم هو بزعمه طالبي وأنا بدعواه ناصبي ولعن الله اقلنا لاهل البيت موالاة وأكثرنا للحق مناواة فما يجمعني واياه الا كلمة الجود لكني أجود بالمال وهو يجود بالعيال وحسبة الحماية لكني أحمي الحريم وهو يحمي الرغيف ولا ينظمنا الا قرابة الشرب لكني اشرب البزر وهو يشرب الخمر ولا نصطحب الا في طريق الاصطباح لكنه يرغب في المتاع ويردد كلمة المتاع فتارة يقول هو أشرف المتاع وتارة يقول ما ألين المتاع بالمبتاع وتارة يقول كسد المتاع وقل المبتاع وتارة يقول جلب المتاع ونشط المبتاع ومرة يقول المتاع سق والمبتاع

البديعية وكذلك العميان ويأتى ذلك فى موضعه فبيت بديعية الشيخ صفى الدين الحلى

كم بين من أقسم الله العلىّ به * وبين من جاء باسم الله فى القسم

بيت الشيخ صفى الدين الحلى ليس لنوبا المذهب الكلامى فيه اشراق ولكنه ملحق بالاقيسة الجلية * وبيت العميان قد تقدم انه من الاقيسة الشرطية وهو قولهم فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم

لولم يحط كفه بالبحر ماشملت * كل الانام وار وت قلب كل ظمى

جملة هذا البيت هى الجملة الواقعة بعد لو وجوابها فانهم استدلوا بها على ما تقدم من الحكم * وهو ان كفه صلى الله عليه وسلم محيط بالبحر وبيان صحة ذلك انها بلغت ان تشمل كل الانام وتعمهم بالرى وهذا دليل واضح على انها محيطة بالبحر وقد تعين ان أقدم بيت بديعيتى هنا على بيت الشيخ عز الدين وافرط سجعة الترتيب لوجهين احدهما ان بيت العميان اقرب بهجة هذا النوع فى مطلع واحد وهو القياس الشرطى والثانى ان الشيخ عز الدين لم يتمسك فى المذهب الكلامى الابالقول الضعيف وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ومذهبى فى كلامى ان بعثته * لولم تكن ماتميزنا على الامم

دليل هذا القياس الشرطى فى بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وان هذه الامة تميزت بها على سائر الامم أوضح من النهار الذى لم يحتج عند ظهوره الى اقامة دليل وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

بمذهب من كلام الله ينسخ شر * ع الاولين ببشرى عن كلامهم

كأن الشيخ عز الدين غفر الله له يقول عن النبى صلى الله عليه وسلم انه بمذهب من كلام الله أى القرآن ينسخ شرع الاولين وكأنه جعل حجته القاطعة فى المذهب الكلامى والله اعلم قوله ببشرى من كلامهم اى من كلام الاولين ولم ارفى هذا البيت للمذهب كلاما ولا للكلام مذهبا غير ماذكرته وفوق كل ذى علم عليم

(ذكر المناسبة)

(فعلمه وافر والزهد ناسبه * وحلمه ظاهر عن كل مجترم)

المناسبة على ضربين مناسبة فى المعانى ومناسبة فى الالفاظ فالمعنوية هى ان يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ وهذا النوع اعنى المناسبة المعنوية كثير فى الكتاب العزيز فمنه قوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون فانظر الى قوله سبحانه وتعالى فى صدر الآية التى هى الموعظة اولم يهد لهم ولم يقل اولم ير والان الموعظة سمعية وقد قال بعدها افلا يسمعون وانظر كيف قال فى صدر الآية التى موعظتها مرئية اولم يروا * وقال بعد الموعظة البصرية افلا يبصرون ومن اظرف ما انقله هنا من النقد اللطيف فى هذا الباب ان قاضى القضاة عماد الدين ابن القضامى أخا شيخنا قاضى القضاة علاء الدين الحنفى نور الله

غنى وكثيرا يقول لكل متاع متاع احسن الله بالمتاع امتاعه فما أفسح فيه رباعه ولا تقترن الا فى حبل الادب ولكنه اديب مادام وحده مفوه مالم احضر عنده فاذا التقينا نال شعرى شعره ونزا على شيطانه شيطانى ولا نلتقى الا فى طرفى الصنعة ولكنه يدعى فلا يحسن ولا أدعى ما عذيرى من هذا السخيف من تفاوت ما بين الثلج والنار وتضاد ما بين الليل والنهار ومسافة ما بين الفرس والحمار هو احمر وانا أسمر وهو أزرق وانا احور وهو أشقر وانا احمر وهو اقرن وانا اجم وهو قصير يتطاول وناقص يتفاضل وسفيه يتحامل وانا على الضد أتطول وعلى النقيض اتفضل وعلى الخلاف اتحمل فما بعد ما وجدنا خلفها ووقعنا خلفها وسلكنا طرقها وضربنا عرقا وبعد فان كان

المناسبة

ضريعه * وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه * نظم قصيدة امتدح بها المقر المرحوى السيفى أرغون الاسعردى كافل المملكة الشريفة الحموية وعرضها قبل انشادها للمدح على اخيه المشار اليه فانتهى منها فى المديح الى بيت يقول فيه

خبير بتدبير الامور رأى برى * سوى ماير اه فهو فى هذه أعمى

فقال له شيخنا قاضى القضاة علاء الدين يجب أن تقول لاجل المناسبة المعنوية موضع خبير بصير وقد عدوا من محاسن الامثلة المعنوية قول ابى الطيب المتنبى

على سابح موج المنايا بنحره * غداة كأن النبل فى صدره وبل

فان بين لفظة السباحة ولفظتى الموج والوبل تناسبا معنويا صار البيت به متلاحما * والذى عقد الناس عليه الخناصر فى هذا الباب قول ابن رشيق القيروانى

اصح وأقوى مارويناه فى الندا * من الخبر المأثور منذ قديم

احاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن جود الامير تميم

قال زكى الدين بن ابى الاصبع هذا أحسن شعر سمعته فى المناسبة المعنوية * فانه وفى المناسبة حقها وناسب فى البيت الاول بين الصحة والقوة والرواية والخبر المأثور * وناسب فى البيت الثانى بين الاحاديث والرواية والعنعنة * هذا مع صحة ترتيب العنعنة من حيث انه جاءت صاغرا عن كابر وآخرا عن أول كما يقع فى سند الاحاديث لان السيول فرع الحيا اصله وكذلك الحيا فرع البحر اصله ثم نزل البحر منزلة الفرع وجود الممدوح منزلة الاصل للمبالغة فى المدح وهذا غاية الغايات فى هذا الباب * أقول انى زاحمت ابن رشيق القيروانى هنا بالمناكب وابطلت موانع التعصب المداخلة معه الى هذه المطالب ولذلك الا انى امتدحت شيخى المشار اليه اولا سرلانا قاضى القضاة ابن القضاة الحنفى بموشح بيت مخلصه تحفة فى هذا الباب * لان مناسباته المعنوية رفعت عن محاسنها الحجاب * وهو

وقديم السوالف يروى لى بسنده * عن رقتى حسه يا طيب مورده

وثغرها قد روى لى قبل ما احتجبت * عن برق ذاك النقا ايام معهده

* والريق أسنى عن المبرد * يروى حديث العذيب مسند

عن الصفاعن مذاق الشهد والعسل * عن ذوق سيدنا قاضى القضاة على

وقد حبست عنان القلم عن الاستطراد الى وصف محاسن هذا البيت ومناسباته المعنوية فان برهانه غير محتاج الى اقامة دليل وهذا الموشح نظمته بحماة المحروسة فى مبادى العمر ورياحين الشبيبة غضة ولما طلبت الى الابواب الشريفة المؤيدية سنة خمس عشرة وثمانمائة ووصلت الى الديار المصرية فى التاريخ المذكور وجدته طلع اوأهل مصر يلهجون به ويلحنونه كثيرا فتعين على ان أثبت ههنا منه شيأ ليصلوه بكرة بمصر وتعرف رتبة قوافيه لاجل بيت المخلص الذى اوردته مثالا على نوع المناسبة المعنوية فمن غزل الموشح المذكور

ماست بقامتها يوما بذى سلم * والشعر كالعلم المنشور باللام

زحم كما زعم ووهم كما اوهم وكبر كما ذكر وقال كما قال فأ هذا الدود والحرد ولم هذا الغبط والكمد وكم ننساه ويذكرنا ونطويه وينشرنا وقد رأت الاعين ونقلت الالسن فهلا ترك الحديث لعزه اوطواه على غره وما رايت كهذا السخيف اذا شهدت صلق بالضراط حرانه واذا غيبت استنسر بغاثه ان اللسان الذى اخرس لسانه والبنان الذى انبس بيانه لم تكسبهما مهرو مجاجة ولا كسم مامرخص بلادة ولا بثت الغربة لهما غربا ولا امتهنت هذه الحضرة منهما عضبا وهما معى لم يفارقانى وذلك الخطام وبعد بعد بحره نزرا وتلك البديهة لم يصر بها جزرا وتلك الكتابة صارواحدها عشرا وما زادتنا الايام الاشبرا ولا الليالى

فقلت ياقلب أعلام الهنا نصبت * هاأنت تخطر بين البان والعلم
واسود الخال مذ تبدى * فى خدها همت فيه وجدا
قالت وطلعتها كالشمس فى الحمل * فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل
سألتها بردما عندى من الكمد * وقلت نار الجوى قد أضعفت جلدى
قالت بريق أطفئها اذا التهبت * يابردذاك الذى قالت على كبدى
وغرقتنى بدمع طرفى * وقالت اسمع كفيت خلفى
الم تخف بللا ناديت يا أملى * أنا الغريق فما خوفى من البلل

منه

بالله يابرق ان اومضت فى الثغر * وحارس اللحظ فى شك من الخبر
قف بالثنيات واذكرنى اذا عذبت * تلك النهيلات للوراد فى السحر
وارسل عليل النسيم خلفى * فانه قوة اضعفى
عسى تصح جسما بالفراق بلى * وربما صحت الاجسام بالعلل

منه

انسان مقلتها لما رأى كلفى * بسيفه قد اقام الحد فى تلفى
فت بالسيف قهرا والحشا نهبت * لكننى عندموتى مذقوى شغفى
ناديته والدموع طوفان * وقلت هذا فعال انسان
الام تعجل فى قتلى بلا زلل * فقال لى خلق الانسان من عجل

وقد طال الشرح وخرجنا عما كنا فيه من المناسبة المعنوية وحسن ختامها بما أوردناه من كلام ابن رشيق القيروانى والبيت الذى أوردته من هذا الموشح وأما المناسبة اللفظية وهى دون رتبة المعنوية فهى الاتيان بكلمات متزنات وهى على ضربين تامة وغير تامة فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة والناقصة موزونة غير مقفاة فن شواهد التامة قوله سبحانه وتعالى ن والقلم ومايسطرون ماانت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون ومن شواهد التامة فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم مما كان يرقى به الحسنين عليهما السلام اعيذ كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه ولم يقل عليه السلام ملة وهى القياس لمكان المناسبة اللفظية ومن أمثلة المناسبتين الناقصة والتامة قول ابى تمام حبيب بن اوس

مهاالوحش الا أن هاتا أوانس * قنا الخط الا ان تلك ذوابل

فناسب بين مها وقنا مناسبة تامة وبين الوحش والخط وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة قال زكى الدين بن أبى الاصبع هذا البيت من أفضل بيوت المناسبة لما انضم اليه فيها من المحاسن فان فيه مع المناسبتين التشبيه بغير أداة والمساواة والاستثناء والطباق اللفظى وائتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين فأما المناسبة فيه فقد عرفت وأما التشبيه ففى قوله مها وقنا فان التقدير كها وكقنا وحذف الاداة ليدل على قرب المشبه من المشبه به وأما

الابشرا وورد له عن الامير كتاب فابكى زيدا وأضحك عمرا حلف انه لاتطير له واستشهد على ذلك بسيف الدولة وعضدها وفخر الدولة ومؤيدها ويسئل الامير أن لايوطئنى بساط خدمته ولا يمطرنى سحاب نعمته متوسلا بانه ناصرى وان غيره تالشئ والتركى اذا آل الى الاستجارة بالله امره فقد انتهى عمره والذى ارزى اذا كانت هذه وسيلته فقد ضاقت حيلته وليت شعرى عنه اذا لم يوال الامير مايصنع وهو ان عاداه يصفع وان لم يطعه فما يفعل وهو ان عصاه يقتل وان لم يرض أيامه فما يؤثر وهو ان سخطها لايغير ويك هذا السخيف قد تعدى باب السخف والمجون الى حديث الحاقة والجنون وتجاوز حد الخلاعة الى الرقاعة وجاوز قول اصحاب المحابر الى لفظة ار باب

الاستثناء البديعي في قوله الان هاتا أوانس وقوله الان تلك ذوابل ليثبت الموصوفات التأنيس وينفي عنهن النفار والتوحش وكذلك فعل في الاستثناء الثاني فانه اثبت لهن اللين ونفى عنهن اليبس والصلابة واما المطابقة ففي قوله الوحش وأوانس وهاتا وتلك فان هاتا للقريب وتلك للبعيد واما المساواة فلفظ البيت لا يفضل عن معناه ولا يقصر عنه واما الائتلاف فلكون الفاظه من واد واحد متوسطة بين الغرابة والاستعمال وكل لفظة منها لائقة بمعناها لا يكاد يصلح موضعها غيرها واما التمكين فاستقرار قافية البيت في موضعها وعدم نفارها عن محلها انتهى الكلام على المناسبة اللفظية والمعنوية وتقرير التامة والناقصة من اللفظية فبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

مؤيد العزم والابطال في قلق * مؤمل الصفح والهيجاء في ضرم

الشيخ صفي الدين لم يحتج في بيته الى المناسبة المعنوية بل اتى باللفظية وعجبت منه كيف رضي لنفسه بقول القائل

اذا كنت ما تدري سوى الوزن وحده * فقل انا وزان وما انا شاعر

وليته اتى بالمناسبة اللفظية تامة فانه في عالم الاطلاق غير مقيد بتسمية ومناسبته اللفظية الناقصة ظاهرة فقوله مؤيد العزم في وزن مؤمل الصفح وقوله والابطال في قلق موازن والهيجاء في ضرم ولم ينتظم العميان هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلي يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

الم تر الجود يجري في يديه الم * تسمع مناسبة في قوله نعم

الشيخ عز الدين غفر الله لم يثبت له مع المناسبة المعنوية واللفظية نسبة ولكنه قال لمن يخاطبه ألم تر الجود يجري من ايادي النبي صلى الله عليه وسلم ألم تسمع مناسبة من لفظ نعم ولفظ الشيخ عز الدين الموضوع في بيته ليس فيه مناسبة لفظية اتى فيها بوزن وقافية ولا مناسبة معنوية ابتدا فيها بمعنى وتمم كلامه بما يناسبه وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فعلمه وافر والزهد ناسبه * وحلمه ظاهر عن كل مجترم

هذا البيت جمعت فيه ببركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم بين المناسبة المعنوية واللفظية التامة المشتملة على الوزن والتقفية فقولي علمه يناسبه حلمه وزنا وقافية ووافر مثله ظاهر وزنا وقافية والمناسبة المعنوية ابتدأت بها في أول الشطر الثاني من البيت بذكر الحلم ثم تممت كلامي بقولي عن كل مجترم فحصلت المناسبة المعنوية بين الحلم وذكر الاجترام الذي هو الذنب مع تمكين القافية فانه قيل عن المأمون انه كان يقول لو علم الناس محبتي للعفو لتقربوا الي بالجرائم وهذه هي المناسبة المعنوية بعينها ولكن النبي صلى الله عليه وسلم احق بهذا المدح وأولى بهذه الصفات

(ذكر التوشيع)

*(ووشع الدل منه الارض فانشعت * بحلة الامجدين العهد والذمم)*

المنابر وارتفع عن مقالات الشعراء الى مقالاة الامراء وبالله لو قال هذه الكلمة فخر الدولة لكانت كبيرة ولو لا كها شمس المعالي لما عدت صغيرة أمثل الخوارزمي يخادع كتخداي الخلق وملك الشرق بهذا الزرق وحق جاز للموالي ان تتلقب بالموالي فالعبد وان أحب مولاه فليس بصديقه والابن وان صاحب أباه فليس برفيقه وليس السوقي اذا أمر أميرا ولا الجمال اذا انهض قديرا ولا العبد اذا ارسل نبيا ولا الخوارزمي اذا والى وليا ولكل رتبة محرزة وحلية مقررة وأما مسئلته الامير أن لا ينخرط في سلكه ولا يكنفني من بساط ملكه فقد شغلتني على رغمه أطراف النعم وبلتني سحائب الهمم والمراغم

(التوشيع)

التوشيع مأخوذ من الوشيع وهي الطريقة الواحدة في البرد المطلق فكأن الشاعر اهمل البيت الا آخره فانه أتى فيه بطريقة تعد من المحاسن وهو عند أهل هذه الصناعة عبارة عن أن يتكلم المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى يكون الآخر منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كأنما فسرته وقد جاء من ذلك في السنة الشريفة ما لا يلحق بلاغته وهو قوله صلى الله عليه وسلم يشيب المرء ويشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن أمثلة هذا الباب في النظم قول الشاعر

أمسي وأصبح من تذكاركم وصبا * يرثي لي المشفقان الاهل والولد
قد خدد الدمع خدي من تذكركم * واعتادني المضنيان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم * وخانني المسعدان الصبر والجلد
لا غرو للدمع أن تجري غواربه * وتحته المظلمان القلب والكبد
كأنما مهجتي شلو بمسبعة * ينتابها الضاريان الذئب والاسد
لم يبق غير خفي الروح في جسدي * فدى لك الباقيان الروح والجسد

هذه الابيات عامرة بالمحاسن في هذا الباب غير أن أهل النقد الصحيح ما سكتوا عن تقصيره في البيت الاول حيث قال فيه يرثي لي المشفقان الاهل والولد فان شفقة الاهل والولد مرققة والمشفق اذا رثى لشكوى أهله أو الولد اذا رثى لشكوى والده كان ذلك تحصيل الحاصل والمراد هنا أن يقول رثى لي العدو ورق لي الصخر واشباه ذلك قال ابن أبي الاصبع وما بشعر قلته هنا من بأس

بي محنتان ملام في هوى بهما * يرثي لي القاسيان الحب والحجر
لولا الشفيقان من امنية وامي * اودى بي المرديان الشوق والفكر

رايت في حاشية على هذين البيتين بخط رفيع رحمه الله الشيخ لو قال الشوق والسهر كان اتم واحسن وبيت الشيخ صفي الدين في هذا الباب غاية فانه يقول في وصف النبي صلى الله عليه وسلم

أي خط أبان الله معجزه * بطاعة الماضيين السيف والقلم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

ومن عطاياه روض وشعته يد * تغني عن الاجودين البحر والديم

الشيخ عز الدين اتى بالتوشيع على الوضع ولكنه شن الغارة على ابن الرومي وفك قواعد بيته وهو

ابو سليمان ان جادت لنا يده * لم يحمد الاجودان البحر والمطر

اخذ الاجودين والبحر وارادف المطر بالديم وهذا ما يليق باهل الادب وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ووشع العدل منه الارض فانتشت * بحلة الاحمدين العهد والذمم

وانا على مذهب زكي الدين بن أبي الاصبع في قوله وما بشعر قلته هنا من بأس انتهى

التراب والحاسد الحائط والباب والمكان البعد والشاب والشيخ الامام مخدوم من الاسلام بما يعين الى أدبه والسلام

(وله الى الشيخ ابي عبد الله الحسين بن يحيى)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وللشيخ لذة في السب والعتب وطبيعة في العنف والعسف فاذا أعوزه من يغضب عليه فانا بين يديه واذا لم يجد من يدونه فانا زبونه والولد عبد ليست له قيمة والظافر به غنيمة والوالد مولى أحسن ام أساء فليفعل ما شاء لا يعدمه الله مني جسدا لا يتألم بالضرب وقلبا لا يتظلم من العتب هنيئا ما استحل من عرضي واكل من لحمي فما يأكل الا لحمه ولا يضيم الا بعضه واما البزاز وما حكاه فبالله ما أعرفه أولا حتى ابرأ مما جناه ثانيا وسبحان من جرعني مرارة ذلك

(ذكر التكميل)

*(آدابه تمت لا نقص يدخلها * والوجه تكميله فى غاية العظم)*

التكميل هو أن يأتى المتكلم او الشاعر بمعنى تام من مدح اوذم اووصف اوغيره من الاغراض الشعرية وفنونها ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك المعنى فقط غير كامل فيأتى بمعنى آخر يزيده تكميلا كمن اراد مدح انسان بالشجاعة ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم غير كامل فيكمله بذكر الكرم أو بالبأس دون الحلم وما أشبه ذلك من الاغراض وقد جاء منه فى الكتاب العزيز قوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فانظر الى هذه البلاغة فانه سبحانه وتعالى علم وهو اعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة للمؤمنين لكان مدحا تاما مشتملا على الرياضة والانقياد لاخوانهم ولكن زاده تكميلا ووصفهم بعد ذلتهم لاخوانهم المؤمنين بالعزة على الكافرين وهذا هو التكميل الذى يتطفل البدور على كماله ومثاله فى الشعر قول كعب بن سعيد الغنوى

حليم اذا ما الحلم زين اهله * مع الحلم فى عين العدو مهيب

قوله اذا ما الحلم زين اهله احتراس لولاه لكان المعنى فى المدح مدخولا اذ بعض التغاضى قد يكون عن عجز يوهم انه حلم فان التجاوز لا يكون حلما محققا الا عن قدرة وهو الذى قصده الشاعر بقوله * اذا ما الحلم زين اهله * فان الحلم ما زين اهله الا اذا كان عن قدرة وهذا القدر غاية فى باب التكميل ثم راى ان مدحه بالحلم وحده غير كامل فانه اذا لم يعرف منه الا الحلم طمع فيه عدوه فقال مع الحلم فى عين العدو مهيب قلت ومما يؤيد هذا التقرير قول الشاعر

وحلم ذى العجز ذل أنت عارفه * والحلم عن قدرة ضرب من الكرم

ومن التكميل الحسن قول كثير عزة

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

فقوله عند موفق تكميل حسن فانه لو قال عند محكم لتم المعنى لكن فى قوله عند موفق زيادة تكميل بها حسن البيت والسامع يجد لهذه اللفظة من الموقع الحلو فى النفس ما ليس للاولى اذ ليس كل محكم موفقا فان الموفق من الحكام من قضى بالحق لاهله وقد غلط غالب المؤلفين فى هذا الباب وخلطوا التكميل بالتتميم وساقوا فى باب التتميم شواهد التكميل فمن ذلك قول عوف السعدى

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

هذا البيت ساقوه من شواهد التتميم وهو أبلغ شواهد التكميل فان معنى البيت تام بدون لفظة وبلغتها واذا لم يكن المعنى ناقصا فكيف يسمى هذا تتميما وانما هو تكميل حسن قال ابن أبى الاصبع وما غلطهم الا أنهم لم يفرقوا بين تتميم الالفاظ وتتميم المعانى فلو سمى مثل هذا تتميما للوزن لكان قريبا وانما ساقوه على أنه من تتميم المعانى وهذا غلط والفرق بين التتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله اذ الكمال امر زائد على التمام وقد تقدم هذا الكلام على التتميم فى موضعه ولكن أردت

(التذميل)

العذل لحديث ذلك التذلل ولست أدرى فى اى صحائف الحسن اثبت ما حكاه وفى أى جرائد الحكم أجزت ما رواه واما المنتظر وتأخره فالمودع ثقة وهو محتاج لستر اخبار امره ولا اعرف عذره والى آيابه وعلى حسابه وعندى أن الولد أصغر قدرا من أن يعاتب والوالد أعظم منزلة من أن يجاوب ولو شئت لأعلمته براءة ساحتى مما قرفنى ونسبنى اليه لكنى أجد للمناظرة صفة المنافرة وللمنافرة شكل المناكرة فلا اطأ عتبة بينها وبين العقوق منزلة ولا ارد شرعة بينها وبين الفسوق مرحلة فلا القاه بأبر من التوبة ان كنت فعلت والعفو ان كنت قلت وهذا اشبه بالبنوة واجرى مع الابوة واما

هنا تفصيل التكميل عن التتميم لتنجلي عن الطالب ظلمة الاشكال بصبح هذا الفرق الدقيق ومن أحسن التكميل قول شاعر الحماسة

لو قيل للمجد حد عنهم وخلّهم * بما احتكمت من الدنيا لما حادا

فقوله بما احتكمت من الدنيا تكميل في غاية الكمال ويعجبني من هذا الباب قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في بعض مطالعه المقمرة

نفس عن الحب ما حادت ولا غفلت * بأي ذنب وقاك الله قد قتلت

معنى بيت الشيخ جمال الدين أيضا تام بدون قوله وقاك الله ولكن التكميل بوقاك الله قبل قتلت لا يصدر الا من مثل الشيخ جمال الدين وما أحقه هنا بقول القائل

قالوا فهل يسمح الدهر الكريم لنا * بمثله قلت لا والله قد حلفا

ومثله قولي في مطلع قصيد

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * يا ليته بنسيم العتب لو عطفا

معنى البيت تام بدون نسيم العتب ولكن استعارة نسيم العتب هنا بعد ميل الغصن وذكر انعطافه غاية في باب التكميل وفيه مع التكميل المناسبة المعنوية والاستعارة اللطيفة وناهيك بلطف نسيم العتب وفيه التمكين والانسجام ومثله قولي في مطلع قصيد

جردت سيف اللحظ عند تهددي * يا قاتلي فسلبتني بمجرد

معنى البيت تام بدون قولي يا قاتلي وقولي يا قاتلي بعد تجريد سيف اللحظ أكمل من بدور الكمال وقلت بعد المطلع ولم أخرج عن التكميل

وأردت أن تسقى بماء حشاشتي * حاشاك ما يسقى الصقيل من الصدى

معنى البيت أيضا تام بدون قولي حاشاك ولكنها زادت البيت تكميلا رفعت به قواعده ومثله قولي من قصيد

وأفردتموني للغرام لانكم * أخذتم كما شاء الهوى بمجامعي

معنى البيت تام بدون قولي كما شاء الهوى ولكن التكميل بها تكملت به محاسن البيت ومثله قولي من قصيد

أذابت القلب في نار الهوى عبثا * ومذ سلته وقالت انه قالي
قالت سلوت لحاك الله قلت لها * الله أعلم يا أسما من السالي

فلفظة عبثا في البيت الاول تكميلها ظاهر ولكن لحى الله من لا ينظر الى محاسن لحاك الله في البيت الثاني ومثله قولي من قصيد

ورب غصن لاطيار القلوب على * قوامه في رياض الوجد تغريد

والمعنى أيضا تام في هذا البيت بدون قولي في رياض الوجد ولكن مناسبة التكميل برياض الوجد بين الغصن والاطيار والتغريد غاية في هذا الباب وقد طال الشرح ولكن مثل التكميل ما ينقص من قدره ويختصر من أمثلته وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

نفس مؤيدة بالحق تعضدها * عناية صدرت عن بارئ النسم

ابو فلان فلا اشك ان كتابي يرد منه على صدر محا اسمي من صحيفته ونسي اجتماعنا على الحديث والغزل وتصرفنا في الجد والهزل وتقلبنا في أعطاف العيش بين الوقار والطيش وارتضاعنا ثدي العشرة اذ الزمان رقيق القشرة وتواعدنا ان يلحق احدنا بصاحبه اذا آنس الرشد من جانبه وتصافحنا من قبل أن لا يصرم الحبل وتعاهدنا من بعد أن لا ينقض الوعد

وهل ذاكر من كان اقرب عهده * ثلاثين شهرا او ثلاثة احوال

وكاني به وقد استجد اخوانا ولا بأس فان كانت للجديد لذة فللقديم حرمة والاخوة بردة لا تضيق عن اثنين ولو شاء لعاشرنا في البين وكان سألني ان أورده منزلا ماؤه روي ومرعاه غذي وأكاتبه لينهض اليه

بيت الشيخ صفى الدين لم يظهر لبدور التكميل فى أفقه اشراق ومعنى البيت تام ولكن لم يأت فيه الناظم بنكتة تزيده تكميلا والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

تمت محاسنه والله كمله * فقدره فى الورى فى غاية العظم

بيت الشيخ عز الدين أمثل من بيت الشيخ صفى الدين وتكميله ظاهر فان معنى بيته تام بدون قوله والله كمله ولكن قوله هنا والله كمله فى غاية الكمال فانها اشتملت على تورية التسمية ونكتة النوع وبيت بديعيتى

آدابه تمت لا نقص يدخلها * والوجه تكميله فى غاية العظم

معنى هذا البيت أيضا تام بدون قولى لا نقص يدخلها ولكن هذا النقص هو عين التكميل والله أعلم

(ذكر التفريق)

*(قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم)*

التفريق فى اللغة ضد الاجتماع وفى الاصطلاح أن يأتى المتكلم أو الناظم الى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تباينا وتفريقا بفرق يفيد زيادة وترجيحا فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غيره من الاغراض الادبية كقول الشاعر فى المدح

ما نوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء

فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

ومثله

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شكلين

أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

قال بدر الدين ابن الصوية فى غير المدح

حسبت جماله بدرا منيرا * وأين البدر من ذاك الجمال

قلت وأحسن منه قول القائل

قاسوك بالغصن فى التثنى * قياس جهل بلا انتصاف

هذاك غصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا خلاف

فالتفريق فى الجميع فرقه ظاهر مثل الصبح ولكن هذا النوع ما هو غاية فى البديع فما يحتمل اطلاق عنان القلم فى الكلام عليه أكثر من ذلك وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لجود كفيه لم تقلع سحائبه * عن العباد وجود السحب لم يدم

بيت الشيخ صفى الدين الحلى حسن فى هذا الباب والتفريق فيه جمع المحاسن فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وبيت العميان فى بديعيتهم

لا يستوى الغيث مع كفيه نائل ذا * ماء ونائله مال فلا تهم

العميان غفر الله لهم ضمنوا قول الشاعر

ما نوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء

(التفريق)

راحلته فهاك نيسابور ضالته التى نشدتها وقد وجدتها وخراسان منيته التى طلبها وقد أصبتها وهذه الدولة بغيته التى أردتها فقد وردتها فان صدقنى رائدا فليأت تفى قاصدا وان رضينى مشيرا فليجئنى سريعا وهيهات أن يترك ارونده ونصابها وترمذ وشعابها وماوسا ورياضها فيعتاض عنها كرم العهد ولو علم أن رياض الاخوة انضر وشعاب المروءة اطيب وانه لا يعدم من نيسابور ومثل تلك المتنزهات وخيرا من تلك المتوجهات لحث اليها ركابه واما انا واخبارى بهذه الناحية فتقلب فى ثوب العافية موفر بهذه الحضرة مرموق بعين القبول هذه جملة حالى وو راءها تفصيل منها عليه دليل واما الاخ ابو سعيد جعلنى الله فداءه

فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

والظاهر ان نوال الغمام وقت الربيع محجب عن العميان ولكن أين هم من موقع التفريق وعظم المباينة بين بدرة المال وقطرة الماء هذا مع ما تجشموه من مشاق التعقيد وثقل التركيب والجميع يخف على النفس بالنسبة الى قولهم في القافية فلاتهم نعم ما يحط هذا القافية هنا على هذه الصيغة من شم للادب رائحة وأين هم من تمكين قافية الشيخ صفي الدين في قوله

لجود كفيه لم تقلع سحائبه * عن العباد وجود السحب لم يدم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

قالوا هو البحر والتفريق بينهما * اذ ذاك غم وهذا فارج الغم

بيت الشيخ عز الدين في هذا الباب عامر بالمحاسن وحشمة المديح النبوي مشرقة على أركانه ونوع التفريق فيه أحلى من ليالي الوصال فانه مشتمل على تورية التسمية ونكتة النوع البديعي والطف الانسجام والسهولة وليس في بديعيته بيت يناظره في علو طباقه وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لي * في ذاك نقص وهذا كامل الشيم

قد أطلقت لسان القلم في وصف بيت الشيخ عز الدين ولعمري انه يستحق فوق ذلك فان الله كلف بتسمية النوع موري به من جنس المديح يثقل كاهل كل فحل وقد حبست عنان القلم عن الاستطراد الى وصف هذا البيت فان في انصاف أهل الذوق ما يغني عن الاطناب في وصفه انتهى

(ذكر التشطير)

*(واشق من أدب له بلا كذب * شطرين في قسم تشطير ملتزم)*

التشطير هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرع كل شطر منهما لكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفا القافية الآخر ليتميز كل شطر عن أخيه فن ذلك قول مسلم بن الوليد

موف على مهج في يوم ذي رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

هذا البيت تصريعه صحيح ولكن تصريع الشطر الثاني قافيته الاولى مرفوعة والثانية مجرورة وهذا عيب في تصريع التشطير وقول أبي تمام في هذا الباب خالص من ذلك وهو

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب في الله مرتقب

وعلى جادته الواضحة مشى الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته وبيته

بكل منتصر للفتح منتظر * وكل معتزم بالحق ملتزم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وانا أقول باليتني كنت معهم فانه نوع مبني على قعاقع ليس تحتها طائل ولكن الشروع في معارضة البديعيات اوجب نظمه وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته

تشطير معتدل بالسيف مشتغل * في جحفل لهم كالاسد في الاجم

وبيت بديعيتي أشير فيه الى انشقاق القمر في مديح النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم قولي في نوع التفريق

(التشطير)

ورزقني لقاءه فقد شكرت بره ولولا اشفاقي من ضعف تركيبه ولطف ترتيبه وعلي بأنه لا يحتمل وعناء السفر أسألت الشيخ اهداءه الى لا نولي تعليمه وتفريعه لكنه رطب العظام لطيف الاركان لا اخاطر بانهاضه من ذلك المكان حتى ينعقد مخه في عظامه وأتي بقوة الواحه وبلغني أنه ابتدأ بمجمل اللغة فأين بلغ منه والشيخ لا يحمل عليه بعويص اللغة حتى يسلم سهلها ولا يأخذه بما خذلي به فالعمر لا يتسع للعلوم اجمع فلينفق على احسنها ويكفيه من اللغة علم مستحسنها دون مستهجنها ومن الاعراب معرفة اصوله وما الاغناء به عنه من فروعه ثم يأخذه علوم كتاب الله حتى يرد على قرة عيني الله وصلى الله على محمد وآله

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

وقلت بعده فى التشطير

وانشق من أدب له بلا كذب * شطرين فى قسم تشطير ملتزم

كان الشيخ صفى الدين الحلى يكثر من هذا النوع فى غالب قصائده ولعمرى انه استسمن ذا ورم وما خطر لى يوما أنى أدخله الى بيت من بيوت قصائدى انتهى

(ذكر التشبيه)

*(والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا تشبيه بدرهم)*

التشبيه ضروب متشعبة وهو والاستعارة يخرجان الاغمض الى الاوضح ويقربان البعيد وقال الجرجانى التشبيه والتكميل كل منهما بالصورة والصفة وتارة بالحالة وهذه صفة التمثيل والتشبيه ركن من اركان البلاغة واركانه أربعة كقولك زيد فى الحسن كالقمر فالاول المشبه وهو زيد والثانى المشبه به وهو القمر والثالث المشبه وهو المتكلم والرابع التشبيه وهو الالحاق المذكور فى الشبه وأدوات التشبيه خمسة الكاف وكأن وشبه ومثل والمصدر بتقدير الاداة كقوله تعالى وهى تمر مر السحاب ومن الشعر كقول حسان

بزجاجة رقصت بما فى قعرها * رقص القلوص براكب مستعجل

ومن الشروط اللازمة فى التشبيه ان يشبه البليغ الادون بالاعلى اذا أراد المدح اللهم الا اذا أراد الهجو فالبلاغة أن يشبه الاعلى بالادون كقول ابن الرومى سامحه الله فى هجو الورد

كأنه سرم بغل حين سكرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

الظاهر أنه كان جعليا والامثلة مايخالف الاجماع ويبالغ فى مثل هذه المغايرة ولعمرى انه فى بابه من التشابيه البليغة مع نفور الطباع عن صبغته ومثله قول أبى العلاء السروى فى هجو النرجس وتشبيه أعلاه بدونه

كراثة ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

وأصحاب المعانى والبيان أطلقوا أعنة الكلام فى ميادين حدود التشبيه وتقاربها وهو عندهم الدلالة على مشاركة أمر لامر فى معنى وقال الرمانى التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر فى حال وهذا هو التشبيه العام الذى يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره والتشبيه البليغ هو اخراج الاغمض الى الاوضح مع حسن التأليف ومنهم من قال التشبيه هو الدلالة على اشتراك شيئين فى وصف هو من أوصاف الشئ الواحد وقال ابن رشيق فى العمدة التشبيه صفة الشئ بما قاربه وشاكله من جهة واحدة لانه لو ناسبه مناسبة كلية كان اياه الا ترى الى قولهم خد كالورد انما ارادوا حمرة أوراقه وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه انتهى حد ابن رشيق وقيل التشبيه الحاق ادنى الشيئين باعلاهما فى صفة اشتركا فى أصلها واختلفا فى كيفيتها قوة وضعفا قلت وهذا حد مفيد وأورد ابن أبى الاصبع فى كتابه تحرير التحبير للرمانى حدا زاد فى حسنه على الحد وهو أن التشبيه تشبيهان الاول منهما تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر مثل قولك ماء النيل كماء الفرات وتشبيه العرض بالعرض كقولك حمرة الخد كحمرة الورد وتشبيه الجسم

بالجسم

(التشبيه)

(وله الى ابى عامر عدنان ابن عامر الضبى يعزيه ببعض اقاربه)

اذا ما الدهر جر على اناس
حوادثه اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

احسن ما فى الدهر عمومه بالنوائب وخصوصه بالرغائب فهو يدعو الجفلى اذا ساء ويختص بالنعمة اذا شاء فلينظر الشامت فان كان افلت فله ان يشمت ولينظر الانسان فى الدهر وصروفه والموت وصنوفه من فاتحة امره الى خاتمة عمره هل يجد لنفسه اثرا فى نفسه ام لتدبيره عونا على تصويره ام لعمله تقديما لامله ام لحيله تأخيرا لاجله كلا بل هو العبد لم يكن شيأ مذكورا خلق مقهورا ورزق مقدورا فهو يحيا جبرا ويهلك صبرا وليتأمل المرء كيف كان قبلا فان كان العدم

بالجسم كقولك الزبرجد مثل الزمرذ * والثانى تشبيه شيئين مختلفين بالذات لجمعهما معنى واحدا مشتركا كقولك حاتم كالغمام وعنترة كالضرغام وتشبيه الاتفاق وهو الاول تشبيه حقيق وتشبيه الاختلاف وهو الثانى تشبيه مجازى والمراد المبالغة انتهى ووقوع حسن البيان والمبالغة فى التشبيه على وجوه منها اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة وقد عن لى أن أوضح هذا المطالب ماوقع من النظم البديع من تشبيه المحسوس بالمحسوس وتشبيه المعقول بالمعقول وتشبيه المعقول بالمحسوس وتشبيه المحسوس بالمعقول * وهذا القسم الرابع عند اصحاب المعانى والبيان غير جائز وياتى الكلام عليه فى موضعه وقد تعين تقديم ماوعدت به أولا من تشبيه المحسوس بالمحسوس فان الذى تقع عليه الحاسة فى التشبيه أوضح عما لا تقع عليه الحاسة والشاهد أوضح من الغائب وقال قدامة أفضل التشبيه ماوقع بين شيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما حتى يدنى بهما الى الاتحاد انتهى ولم يخطر لى ان أورد هنا من التشبيهات البديعية التى اخترتها أمثلة لهذا النوع الا ما خف على السمع وعذب فى الذوق وارتاحت الانفس الى حسن صفاته فان التشابيه التى تقادم عهدها العرب رغب المولدون عنها فانها مع عقادة التركيب لم تسفر عن بديع معنى الا ماقل وندر فى ذلك قول امرئ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبى أو مساويك اسحل

فغاية امرئ القيس هنا أنه شبه أنامل محبوبته بأساريع وهى دواب تكون فى الرمل ظهورها ملس وبمساويك اسحل والاسحل شجر له أغصان ناعمة أين هذا من قول الراضى بالله فى هذا الباب

قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها * فى خدها وقد اعتلقن خضابا
فكأنها بأنامل من فضة * غرست بأرض بنفسج عنابا

ومثله قول القائل

قبلته فبكى وأعرض نافرا * يذرى المدامع من كحيل أدعج
فكأن سقط الدمع من أجفانه * لما بدا فى خده المتضرج
برد تساقط فوق ورد أحمر * من نرجس فسقى رياض بنفسج

انظر أيها المتأمل الى هذه التشابيه التى يرشفها السمع مداما * وتهيم الاذواق السليمة فى محاسنها غراما * ومن ذلك قول ابن حاجب النعمان

ثغر وخد ونهد واحمرار يد * كالطلع والورد والرمان والبلح

ومثله قول ابن رشيق

بفرع ووجه وقد وردف * كليل وبدر وغصن وحقف

المراد هنا من حسن التشبيه وبليغه غير كثرة العدد فى الصفات فان قاضى القضاة نجم الدين بن البارزى نور الله ضريحه وصل فيه من العدد الى سبعة واوردت ذلك فى باب اللف والنشر واوصله الناس الى اكثر من ذلك ولكن جل القصد هنا غير كثرة العدد فان المراد من التشبيه غرابة اسلوبه وسلامة اختراعه كقول القائل

أصلا والوجود فضلا فليعلم الموت عدلا والعاقل من رفع من حوائل الدهر ماساء ليذهب ماضر بما نفع وان أحب ان لا يحزن فلينظر بعينه هل يرى الا محنة ثم ليعطف بيسرة هل يرى الا حسرة ومثل الشيخ الرئيس من تفطن لهذه الاسرار وعرف هذه الدار فأعد لنعمتها صدرا لا يملؤه فرحا ولبؤسها قلبا لا يطيره جزعا وصحب الدهر برأى من يعلم ان للمنحة حدا وللعارية ردا ولقد نعى الى أبو قبيصة قدس الله روحه وبرد ضريحه فعرضت على آمالى قعودا وأمانى سودا وبكيت والسخى بما يملك وضحكت وشر الشدائد ما يضحك وعضضت الاصبع حتى أفنيته وذممت الموت حتى تمنيته والموت خطب قد عظم حتى هان وأمر قد

وتحدث الماء الزلال مع الحصى * فجرى النسيم عليه يسمع ما يجرى
فكأن فوق الماء وشيا ظاهرا * وكأن تحت الماء درا مضمرا

أقول ان تشبيه هذا الدر المضمر هنا أغلى قيمة من الدر الظاهر فى عقود الاجياد ومثله فى الغرابة وسلامة الاختراع قول ابن المعتز

كأنه وكأن الكاس فى فمه * هلال أول شهر غاب فى الشفق

ومن ذلك قوله

على عقار صفراء تحسبها * شيبت بمسك فى الدن مفتوت
للماء فيها كتابة عجب * كمثل نقش فى فص ياقوت

ومثله قول ابن حجاج وهو بديع

هذى المجرة والنجوم كأنها * نهر تدفق فى حديقة نرجس

ومن مخترعات ابن المعتز فى تشبيه الهلال قوله

انظر الى حسن هلال بدا * يهتك من أنواره الحندسا
كمنجل قد صيغ من عسجد * يحصد من زهر الدجى نرجسا

ومن مخترعاته أيضا فى الهلال

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لأكل عنقود

ومثله قوله فيه

وجاءنى فى قميص الليل مستترا * يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر

هذا التشبيه ذكروا أنه من مخترعات ابن المعتز ولكن زاده القاضى الفاضل بهجة ونقله من الاعلى الى الادنى فان رتبة الهلال وعلوها فى التشبيه على قلامة الظفر ما برحت مقررة فى النظر الى أن نقلها القاضى الفاضل بطريق بديعة اقتضتها الحال وهى قوله مبالغا فى وصف قلامة نجم بالهلوا وأما قلامة نجم فهى نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة فخضاب الاصيل لهذه الانملة حسن أن يكون الهلال لها قلامة وهذه غاية فاضلية لا تدرك وقد وصلوا فى تشبيه الهلال الى السبعين ولكن ما أوردت هنا الا أبلغ ما وقع فى تشبيهه ويعجبنى من التشابيه البليغة فى هذا الباب قول ابن طباطبا

أما والثريا والهلال جلتهما * لى الشمس اذ ودعت كرها نهارها
كأسماء اذ زارت عشاء وغادرت * دلالا لدينا قرطها وسوارها

ومثله فى الحسن والغرابة قول أبى نواس

وعين الجوزاء تبسط باعا * لعناق الدجى بغير بنان
وكأن النجوم أحداق روم * ركبت فى محاجر السودان

خشن حتى لآن ونكر قدعم حتى عاد عرفا والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها وجنت حتى صار اصغر ذنوبها وأضمرت حتى صار أيسر غيوبها وابهمت حتى صار أظهر عيوبها ولعل هذا السهم آخر ما فى كنانتها وأزكى ما فى خزائنها ونحن معاشر التبع نتعلم الادب من اخلاقه والجميل من افعاله فلا نحثه على الجميل وهو الصبر ولا نرغبه فى الجزيل وهو الاجر فليرفيهما رأيه ان شاء الله تعالى

(وله)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ وقد استخرت الله فى هذا الباب وشاورت ذوى الالباب فاما الله فخار وأما أولو الالباب فكل اشار وان يشا الله يقض بالامر الى حال يسعه مولى ويسع عبدا وشد ما بخلت بهذه الكلمة ونفرت عن هذه

ومثله قول القائل

كأن نجوم الليل مزهرة لنا * ثغور بنى حام بدت للتثاؤب

ويعجبنى من التشابيه الغريبة قول ابن نباتة السعدى فى جواد أدهم أغر محجل

فتخال منه على أغر محجل * ماء الدياجى قطرة من مائه

وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض فى أحشائه

ومن التشابيه اللطيفة البديعة قول القاضى التنوخى من قصيدة

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك فى قدح من نضار

كأن المدير لها باليمين * اذا مال للشرب أو باليسار

تدرع ثوبا من الياسمين * له فرد كم من الجلنار

ومثله فى اللطف والغرابة قول القائل

كم وردة تحكى بسبق الورد * طليعة تسرعت من جند

قد ضمها فى الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

ودخل مجير الدين بن تميم الى حديقة هذه الوردة فزاد بعدها تقريبا بقوله

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا

طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

وظرف من قال فى الوردة

كأنها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

ومثله فى الظرف قول أيدمر المحيوى فى النرجس

وكأن نرجسه المضاعف خائض * فى الماء لف ثيابه فى رأسه

ويعجبنى فى تشبيه النرجس قول شهاب الدين أحمد القماح راح رجاح الديار المصرية فى فن الزجل فى بعض أزجاله

وفى الازاهير قم ترى شى تذهب * وشى تصير قد زها وتفضض

النرجس احداقو الشهل نعسانه * الا انها من الندى ليس تغمض

وحين فتح عينو فى وجهى شبهت اصفر ولما بدا فى الابيض

مازعفران على نصافى مطبوع * والافصوص كهربى بلار يوجد

والانخل شمسات لجين مبرودات * قد سمروا فيها مسامير عسجد

وناطف ابن المعتز فى تشبيه حباب الراح بقوله

يجول حباب الماء فى جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورد

ومثله فى اللطف قول ديك الجن الحمصى

موردة من كف ظبى كأنما * تناولها من خده فأدارها

ومن المستغرب فى وصف البنفسج ما نسب الى ابن المعتز وهو

ولازوردية أوفت بزرقتها * بين الرياض على زرق اليواقيت

السمة هذا الشيخ الشهيد أبو نصر رحمه الله فتداولها الحظ فلم يحظ وهذا ابن عباد شد لها الرحل فلم يحل وما اعتد على الشيخ بمنة لكن ليمسكها علق مضنة فلم يبق فى الخدمة نوعا من أقربها طوعا والحمد لله رب العالمين لا والله ما تأخرت كتبى عن حضرة الشيخ لأكبر منه قدرا واعظم من الوزارة صدرا انه للفحل لا يقدع انفه وانها للمال لا مظهر فوقها لكن بلدان العراق شكت الى ألم الفراق فنويت ان اصبها واقمت على حالة لو قصرت فيها الصلاة لجاز يوما أعد الجهاز ويوما التمس الجواز والايام تدب خلال هذه الفرصة والليالى تدرج وأنا لا اخرج حتى ورد الدهقان أبو جعفر فرأى آلات السفر وانتظار النفر وأمرا قد قضى

كأنها فوق طاقات نهضن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

اوردوا على هذا التشبيه نقدا ولكن ما يحتمل البنفسج هنا نقله ومن التشابيه الغريبة قول بعضهم في تشبيه النار

انظر الى النار وهي مضرمة * وجمرها بالرماد مستور

شبه دم من فواخت ذبحت * وفوقه ريش من منشور

ومثله في الغرابة والحسن قول ابن الخلال في تشبيه الشمعة

وصحيحة بيضاء تطلع في الدجى * صبحا وتشفي الناظرين بدائها

شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها

كالعين في طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

أقول انها أنور من شمعة الارجاني وان مشى غالب الناس على ضوئها ومن التشابيه الغريبة المنسوبة الى ابن المعتز أو ابن الرومي تشبيه أرباع الجوز الاخضر وهو

جاءت بجوز أخضر * مكسر مقشر * كأنما أرباعه * مضغة علك كندر

ومن التشابيه العقم التي لم يسبق صاحبها اليها قول القائل في أحدب

قصرت أخادعه وغاب قذاله * فكأنه متربص أن يصفعا

وكأنه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها فتجمعا

ومما ينسب الى امام هذه الصناعة القاضي الفاضل قوله في نفسه وهو في غاية الظرف

ما كان يكمل حرز الايوان حتى ازداد قببه

فكأنني فيه خروف * شوي ومن فوقي مكبه

ويعجبني من التشابيه البليغة قول القائل

أأميم لو شاهدت يوم نزالنا * والخيل تحت النقع كالاشباح

تطفو وترسب في الدماء كأنها * صور الفوارس في كؤس الراح

ومثله في الحسن قول الناشئ

في كأسها صور تظن لحسنها * عربا برزن من الحجال وغيدا

واذا المزاج أثارها فتقسمت * ذهبا ودرا توأما وفريدا

فكأنهن لبسن ذاك مجاسدا * وجعلن ذا لنحورهن عقودا

هذا المعنى ولده الناشئ من قول أبي نواس في التصوير

بنينا على كسرى سماء مدامة * مكللة حافاتها بنجوم

فلو ردّ في كسرى بن ساسان روحه * اذا لاصطفاني دون كل نديم

وألم به ابن قلاقس فيما بعد وسبكه في قالب حسن بقوله

دارت زجاجتها وفي جنباتها * كسرى أنوشروان في ايوانه

خلعت عن عطفيه حلة قهوة * وشربتها فغدوت في سلطانه

وألم به الشيخ صلاح الدين الصفدي وأجاد الى الغاية مع حسن التضمين بقوله

او كاد وعزما قد بلغ وزاد ونفسا اجتوت هذه البلاد وذكرت الميلاد فقال الدالة ماهذه الغربة الضالة وقالت الشفقة ماهذه العزمة المشفقة وهل تخلف وراءك الا البحر وتقصد أمامك الا النحر الا ترى اختلاف السيوف واضطراب الامور وازدحام الخطوب واعتراض الحتوف والتقاء الجوع وأنت بهذه الامصار تمشي على الابصار ولو رأيت الشيخ لرأيت الجمال بجملته والكمال بكليته والعالم في بردته والمراد برمته فقلت اللهم غفرا اذن أقصده ظفرا وآخدمه ابتدارا ولا السيل وافق انحدارا فقدمت هذا الكتاب وبودي أن أكونه وأسعد دونه وأنا انتظر الجواب فان سامحت به نفسه الرفيعة كنت ان شاء الله نعم الصنيعة فان أبى رأيه

ومشمولة قدهام كسرى بكأسها * فاضحى ينادي وهو فيها مصوّر
وقفت لشوقي من وراء زجاجة * الى الدار من فرط الصبابة أنظر

وألم به بعده الصاحب فخر الدين بن مكانس رحمه الله تعالى بقوله

اذا ما أديرت في حشا عسجدية * بها كل ذي تاج وقيصر صوّرا
فحسبك نيلا في السيادة أن ترى * نديمك في الكاسات كسرى وقيصرا

لم أورد هذه الابيات التي ولدها المتأخرون في معنى التصوير خالية من التشبيه وأداته الا لفائدة عنّت لي ايرادها هنا وهي معرفة الموجب لنقش هذه الصورة على ظاهر الكاسات ذكر الفقيه أبو مروان الكاتب بن بدرون في شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون ان سابور بن هرمز الملقب بذي الاكتاف لما رجع من قتال بني تميم قصد الروم والدخول الى القسطنطينية متنكرا واستشار قومه قبل ذلك فحذروه فلم يقبل قولهم وصار اليها فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل في جملتهم وجلس على بعض موائدهم وكان قيصر قد أحكم تصوير سابور على آنية شرابه فانتهت الكأس في المجلس الى يد بعض ندماء الملك وكان ذكيا حاذقا ومن الاتفاق العجيب جلوس سابور في مقابلته فصار النديم ينظر الى الصورة والى سابور ويتعجب من تقارب الشبهين فلم يسعه غير القيام الى الملك والاسرار اليه بما شاهده فقبض في الحال على سابور ولما مثل بين يدي قيصر سأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور هربت منه لأمر خفته فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فاقر بنفسه وجعل في جلد بقرة وتمام امره الى أن خلص وعاد الى ملكه يطول شرحه هنا ومن أراد ذلك فلينظره من سلوان المطاع في السلوانة الثانية فانها مشتملة على انواع من الحكمة * رجع الى فتح باب ما كنا فيه من تشبيه المحسوس بالمحسوس فمن التشابيه الملوكية التي لا يقع مثلها للسوقة تشبيه سيف الدولة ابن حمدان في قوس قزح وهو

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفي اجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فمن بين منقض الينا ومنقض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا * على الجوّ دكنا والحواشي على الارض
يطرّزها قوس السحاب بأصفر * على أحمر في أخضر اثر مبيض
كاذيال خود أقبلت في غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

ومن تشابيه سيف الدولة الغريبة أيضا قوله

أقبله على جزع * كشرب الطائر الفزع

ومن التشابيه اللطيفة ما نسب الى ابليس فان القاضي شمس الدين بن خلكان ذكر في تاريخه عند ترجمة ابن دريد أنه قال سهرت ذات ليلة فلما كان آخر الليل غمضت عيني فرأيت رجلا طويلا أصفر اللون كوسجا دخل علي وأخذ بعضادتي الباب فقال انشدني أحسن ما قلت في الخمر فقلت ما ترك أبو نواس لاحد دخولا في هذا الباب فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت فقال أنا أبو ناجية من أهل الشام وانشدني

التشريف أن يقلده حتى يجتهد ويستوزن حتى يزن احتكمنا الى الحجارة والتعبير نصف التجارة وللشيخ فيما يراه فيه رأيه العالي ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ الامام ابي الطيب)

الشيخ الامام قد رجح الخاتمين بين عادة كرم وعارض ندم يقول الكرم تحملها غرامة ويقول الندم لا ولا كرامة والكرم أهدى الى المناقب وانظر في العواقب والندم اشد للبشرية وفاقا وعلى العاقل اشفاقا فان لم يكن في البين تخليط فلم لا يبعث بالحاضر ويحيل بالآخر والشيخ الامام يفعل في هذا الباب ما هو اهله فقد علم خوض الناس بين الطمع فيه ما والباس ويرجى من قائل ما فعل وسائل ما حصل عالي رأيه ان شاء الله تعالى

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

ومن بليغ التشبيهات وبديعها قول أبي محمد عبد الله بن قاضي ميلة في قصيدته القافية التي امتدح بها ثقة الدولة القضاعي صاحب صقلية الروم وسارت له بها الركبان وأثبتها القاضي شمس الدين بن خلكان بكمالها في تاريخه وقد تقدم ذكر مطلعها في حسن الابتداء والتشبيه الموعود بايراده هنا قوله من القصيدة المذكورة

وجو جوهر من الرعد يستل ودقه * ترى برقه كالحية الصل يطرف
ذكرتهم ادريا وما كنت ناسيا * فاذكر لكن لوعة تتضعف
كأني اذا ما لاح والرعد معول * وجفن السحاب الجون بالماء يذرف
سليم وصوت الرعد راق وودقه * كنفث الرقى من عظم ما أتلهف

ومن لطائف التشبيهات البليغة قول القاضي الفاضل من قصيد

كأن ضلوعي والزفير وأدمعي * طلول وريح عاصف وسيول

ومثله في اللطف قوله

لولم يعطل خاطري من سلوة * ما كان خدي بالمدامع حالي
أودعته قلبي نخان وديعتي * فسواده في خده كالخال

ومن التشابيه الغريبة البديعة قوله أيضا من قصيدة أخرى

وقد تهادت سيوف الهند اذ خضبت * كالشرب حين تهادى بالزجاجات

ويعجبني من لطائف التشبيه قول محيي الدين بن قرناص الحموي

من لقلبي من جور ظبي هواه * لي شغل عن حاجر والعقيق
خصره تحت أحمر البند يحكي * خنصرا فيه خاتم من عقيق

ومن التشابيه البديعة قول مجير الدين بن تميم

ونهر اذا ما الشمس حان غروبها * ولاحت عليه في غلائلها الصفر
رأينا الذي ابقت به من شعاعها * كأنا رقنا فيه كاسا من الخمر

ومثله قوله

وناعورة قد ألبست لحياتها * من الشمس ثوبا فوق أثوابها الخضر
كطاوس بستان تدور وتنجلي * وتنفض عن أرياشها بلل القطر

ومن التشابيه البليغة الرافلة في حلل التورية قوله أيضا

أبدى السنان جراحة في خده * تحت العذار وفعال قلب قاسي
وتطلبوا الآسي فما ظفروا به * معهم وعز وجوده في الناس
شبهت سوسنة أبانت وردة * تحت البنفسج مالها من آس

ومثله قوله

لو كنت حين علوت ظهر مطية * لم يعتلقها للمطي عيون
وتوسطت بحر السراب حسبتني * من فوقها ألفا وتحتي نون

(وله أيضا)

وصلت رقعتك أطال الله بقاءك ومثلك في تلك السفارة مثل الفارة طلبت تقرض الحديد فقيل لها ويحك ما تصنعين بالناب ورأسه والحديد وبأسه فقالت أشهد ولكني أجهد وان تنج من تلك الأسباب فتحي الذناب بقاذ يرك لا معاذ يرك وبلومك ليس بلومك ويل امك جنينا ما أنفذ كيدك على ضعفه واحد غربك على سخفه انت ولا ذمة والسلام

(وله الى الشيخ أبي نصر)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وفرجي في كريم بحضرة ذلك الجناب فيحسن المناب ولا اعدم ان شاء الله بتلك الساحة الكريمة من يتحلى بهذه الشيمة على ان الطباع الى الذم أميل والعقرب الى الشبر أقرب

ومثله قوله

شبهت خدك يا حبيبي عندما * أبدى الجمال به عذارا أشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها * خطا رقيقا بالنضار مشعرا

ويعجبني قوله مع التشبيه البليغ وحسن التضمين الذي ما تضمن مثله ديوان

غدير دار نرجسه عليه * ورق نسيمه وصفا ورقا
تراه اذا حللت به لورد * كأن عليه من حدق نطاقا

ويعجبني من لطائف التشبيه تخيل محيي الدين بن قرناص الحموي بقوله

لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم لغصنه خصرا نحيلا
ودب مع العشي عذار طل * على نهر حكى خدا أسيلا

تشبيه النهر هنا بالخد الاسيل ليس له في الحسن مثيل ومثله قوله

لما تبدى النهر عند عشية * والروض يخضع للصبا والشمال
عاينته مثل الحسام وظله * يحكي الصدا والريح مثل الصيقل

ومن التشابيه البليغة التي جمعت بحسن التورية بين الصورة والمعنى وشبب بمحاسنها الرواة في كل مغنى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في وصف قوس البندق بعد تغزله في الرامي

قد حمد القوم به عقبى السفر * عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القوس من يديه * لغنت الورق على عطفيه
في كفه محنية الأوصال * قاطعة الاعمار كالهلال

ثم قال منها وهي الطردية الموسومة بنظم السلوك في مصائد الملوك ولم يخرج عن تشبيه القوس مع اشتراك التورية

كأنها حول المياه نون * أو حاجب بما نشا مقرون

ويعجبني منها قوله في وصف الترس مع حسن التضمين

تخاله من تحت عنق قد محا * طرة صبح تحت أذيال الدجا

ومنها تشبيه الطيور الواقعة على قسي الرماة

كأنما وهي لدينا وقع * لدى محاريب القسي ركع

ومن التشابيه الغريبة التي لم يسبق الشيخ جمال الدين بن نباتة اليها قوله

اشكو السقام وتشكو مثله امرأتي * فنحن في الفرش والاعضاء ترتج
نقصان والعظم في نطع يجمعنا * كأنما نحن في التمثيل شطرنج

ومثله في الغرابة قوله من قصيدته اللامية التي عارض بها كعب بن زهير في مديح النبي صلى الله عليه وسلم مع التضمين الفائق

ما عسك الهدب دمعي حين أذكركم * الا كما عسك الماء الغرابيل

ومن لطائف التشبيهات قول بدر الدين حسن الزغاري في وصف زهر الزنبق

وزهرة من زنبق * أنوارها وهاجه

والقسان بالقدح اجرأ منه بالمدح والحاسد يعمى عن محاسن الصبح بعين تذرى دقائق القبح والهروي جسد كله حسد وعقد كله حقد فلا يجذب التخلق بضبعه عن طبعه ولا يأخذ التكلف بخلقه عن طرقه من اسفراين صادرا عن سدة الامير بسجستان الى حضرته بيوشنج منتهزا من لقاء الشيخ فرصة ان رزقتها فلله الحمد ولي الشكر من بعد وصلى الله على محمد وآله كتب أيد الله الشيخ أطارد الايام عن أملي فيه وتطاردني عن تلاقيه فكلما شاقني من الحرص شائق عاقني عنه من الدهر عائق وكثيرا ما سمعت بفضله فتنفست صعداء الظمى عن ورده المأخوذ به عن قصده وليس الا السكون والصبر أو الحر النوالقبر فلما فرج

صفراء في مبيضة * كالراح في الزجاجه

ويعجبني من التشبيه البديع قول الشيخ عز الدين الموصلي مع حسن التضمين

وساهري أعار البدر منه سنا * سموه نجما وهذا النجم غرار
تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم في رأسه نار

وأما التشبيه الذي ولده الشيخ برهان الدين القيراطي فانه من غايات هذا الباب وهو قوله من قصيد

والبدر يستر بالغيوم ويجتلي * كتنفس الحسناء في مرآتها

وقال أبو حفص برد

والبدر كالمرآة غير صقلها * عبث الغواني فيه بالانفاس

والمضمن الربع الاخير من البيت وهو من شعر أبي بكر محمد بن هاشم * ومن لطيف التشبيه قول الشيخ علاء الدين علي بن ايبك الدمشقي

مهم العارض غنى لنا * أشياء في السمع حلا ذوقها
كأنما في فيه قرية * تشدو ومن عارضه طوقها

ومن التشابيه البديعة التي لم تدرك في هذا الباب تشابيه الصاحب فخر الدين بن مكانس في قصيدته المشهورة المشتملة على وصف شجرة السرح

مالت على النهر اذ جاش الخرير به * كأنها أذن مالت لاصغاء
كأن صمغتها الحمرا بقشرتها الدكناء قرص على أعكان سمراء

ومنها في وصف سواد السفينة على بحر النيل

تسعى اليها على جرداء جارية * من آلة كهلال الافق حدباء
سودا تحكي على الماء المصندل شا * مة على شفة كالشهد لعساء

وتظرف الشيخ عز الدين الموصلي بقوله في هذا النوع وان لم يأت ببليغ التشبيه

قيل صف هذا الذي همت به * قلت في وصفي مع حسن المسالك
هو كالغصن وكالظبي وكالشمس وكالبدر وما أشبه ذلك

لطف التشبيه في قوله وما اشبه ذلك ومن التشابيه التي لم أسبق اليها قولي من قصيد

حين قابلت خده بدموع * أثرت خلت ثوب خز مخمّ

ومثله قولي من قصيد

والغصن يحكي النون في ميلانه * وخياله في الماء كالتنوين

ومثله قولي من المدائح المؤيدية

ياحامي الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله نحوك ناظر * هذا وما في العالمين مناظر
فرج على الملعون تلم عسكرا * وأطاعه في في النظم بحر وافر
فانبت منه زحافه في وقفه * يامن بأحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة بأسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر

الله بثاقب رأي الامير الجليل وتوثباعه الطويل وظهر وجه السبيل من ذلك القبيل آثرت التنحي عن سنن السيوف وربما يقلع مصابها ويكف أصحابها فقصدت من حضرة الامير مربع الوفود ومطلع الجود فلما عزم العزم الميمون واصلت حضرته بالكتب واستأذنته في الوقوع الى هراة مع الجوع ولم يكن لي بهراة مراد الا الشيخ ولقاؤه وأرجو ان يصادف هذا الشوق قبولا ويرزق هذا الكتاب وصولا

* (وله رقعة الى مستمنح عاوده مرارا) *

عافاك الله مثل الانسان في الاحسان مثل الاشجار في الاثمار سبيل من أتى بالحسنة ان يرفه الى السنة وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدي وهما فؤادي ويدي أما الفؤاد فيعلق بالوفود

وعلى ظهور الخيل ما تواخيفة * فكأن هاتيك السروج مقابر

تالله لقد وقع هذا التشبيه من مولانا السلطان خلد الله ملكه بموقع وأعجبه غاية الاعجاب واستعاده منه مرارا ومن التشابيه العقيم قولى فى وصف خاتم البطائق من الرسالة التى عارضت بها الفاضل كم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكف خضيب وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشفيق لامر مريب وكم لمع فى أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح انتهى ما أوردته نظما ونثرا من بليغ التشبيه فى باب المحسوس بالمحسوس وقد تعين أن أورد هنا ما وقع فى النظم من التشبيه الذى هو غير بليغ لينفع ذهن الطالب وتصفو مرآة ذوقه فقد عاب الاصمعى بين يدى الرشيد قول النابغة

نظرت اليك بحاجة لم تقضها * نظر المريض الى وجوه العوّد

فقال يكره تشبيه المحبوب بالمريض ومثله قول أبى محجن الثقفى فى وصف قينة

ترجع العود أحيانا وتخفضه * كما يطير ذباب الروضة الفرد

قد تقدم القول وتقرر أن المولدين ومن تبعهم رغبوا عن تشابيه العرب لانها مع عقادة التركيب لم تسفر عن كبير أمر وقال ابن رشيق فى العمدة ان طريق العرب خولفت فى كثير من الشعر الى ما هو أليق بالوقت وأمس بأهله فان القينة الجميلة لم ترض أن تشبه نفسها بالذباب كما قال ابو محجن ومثل ذلك قول ابن عون الكاتب

يلاعبها كف المزاج محبة * لها وليجرى الآن بينهما الانس

فتزبد من تيه عليه كأنها * عزيزة خدر قد تخبطها المس

بشاعة هذا التشبيه تمجها الاذواق الصحيحة وتنفر منها الطباع السليمة فان أهل الذوق ما يطيب لهم أن يشربوا شيأ يشبه زبد المصروع ومن التشابيه الغريبة التى جمعت بين عدم البلاغة وعقادة التركيب قول الشاعر

فأصبحت بعد خط بهجتها * كأن قفرا رسومها قلما

التقدير فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها وعدوا من التشابيه التى هى غير بليغة قول الشاعر فى وصف الروض

كأن شقائق النعمان فيه * ثياب قد روين من الدماء

فهذا وان كان تشبيها مصيبا فان فيه بشاعة كثرة الدماء التى تعاف الانفس اللطيفة رؤيتها وثبوت هذا النقد اتصل بالمتأخرين ونقدوه على الحاجرى فى قوله

وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

وقالوا ما زاد الحاجرى على أن جعل خد محبوبه مسلخا فالتشبيه أيضا وان كان مصيبا فان فيه بشاعة شق المرائر على خد المحبوب وبعضهم ما اكتفى بشق المرائر على خد محبوبه حتى سفك عليه الدماء بقوله

وما احمر ذاك الخد واخضر فوقه * عذارك الا من دم ومرائر

ومثل ذلك ما عابوه على ابن قلاقس فى قوله

واما البد فتولع بالجود ولكن هذا الخلق النفيس لا يساعده الكيس وهذا الطبع الكريم ليس يحتمله الغريم ولا قرابة بين الادب والذهب فلما جمعت بينهما والادب لا يمكن ثرده فى قصعة ولا صرفه فى ثمن سلعة ولى مع الادب نادرة جهلت فى هذه الايام بالطباخ أن يطبخ من جيبة الشماخ لونا فلم يفعل وبالقصاب ان يسمع ادب الكتاب فلم يقبل واحتيج فى البيت الحشى من الزيت فانشدت شيأ من شعر الكميت الفا ومائتى بيت فلم يغن ولو وقعت أرجوزة العجاج فى توابل السكباج ما عدمتها عندى ولكن ليست تنفع

أماترى الصبح يخفى فى دجنته * كانماهو سقط بين أحشائى

لاشك أن بهجة الصبح فى أواخر الليل أبهج من السقط بين الاحشاء والمشبه أعلى وأغلى من المشبه به وعلى كل تقدير فالسقط بين الاحشاء وسفك الدماء وشق المرائر على خدود الاحباب تنفر منها الامزجة اللطيفة اللهم الا ان يكون ذلك ليس له تعلق بشئ من أوصاف المحبوب بل يكون تعلقه بحكاية حال واقعة كقول الشاعر

نزلنا بنعمان الاراك وللندى * سقيط به ابتلت علينا المطارف

وقفت بها والدمع أكثره دم * كانى من جفنى بنعمان راعف

هذه الحالة لاينكر لها جريان الدمع دما فانها حالة لائقة بجريانه على هذه الصفة لان هذا الشاعر لما أن نزل بنعمان التى هى منازل احبابه و وجدها مقفرة منهم لاق بحاله ان يجرى الدمع لشدة الاسف دما ومثله قول ابن قاضى ميلة من قصيدته التى تقدم ذكرها

ولما التقينا محرمين وسيرنا * بلبيك رباوالركائب تعسف

نظرت اليها والمطى كانما * غواربها منها مواطس رعف

هذا التشبيه غاية فى هذا الباب و جريان الدماء من غوارب المطى لائق بحكاية حالها فان هذه الحالة فيها ألطف الكنايات عن التعسف فى شدة السرى قلت وان سبكت هذه الحالة فى قوالب الهجو ورصعها الشاعر فى صفات من هجاه كانت احسن موقعا وابلغ موضعا كقول مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية عظم الله تعالى شأنه فى هجو من لايمكن ذكره هنا من قصيدة

وقد علت اسنانه صفرة * تكدر العيش المرئ المريع

ولحمها من ورم فاسد * كالرئة المحبوس فيها نجيع

هذا التشبيه لم اجد له شبيها فى هذا الباب الا تشبيه ابن الرومى فى هجو الورد وقد تقدم ذكره فلو جمع المتأمل بين المشبه المهجو و بين المشبه به وشاهد هذا التخيل الغريب عيانا صدق صحة دعواى فى ذلك ومن التشابيه التى هى غير بليغة قول ابن وزير فى تشبيه الماء على الرخام

لله يوم بحمام نعمت به * والماء من حوضه ما بيننا جارى

كانه فوق شقات الرخام ضحى * ماء يسيل على أثواب قصار

وتلطف ابن الدورى فى هجاء هذا الشاعر حيث قال

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاء

اقام يجهد اياما قريحته * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

ذكرت هنا من التشابيه التى هى غير بليغة قول الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تشبيه القمر فى خلال الاغصان لما انثنت

كانما الاغصان لما انثنت * امام بدر التم فى غيهبه

بنت

فما اصنع فان كنت تحسب اختلافك الى افضالا على فراحتى أن لا تطرق ساحتى وفرجى ان لا تجى والسلام

(وكتب أبو القاسم الهمذانى اليه)

قد طمعت لسيدى حاجة ان قضاها و بلغ نضاها ذاق حلاوة العطاء وان اباها وقل شباها لقى مرارة الاستبطاء فأى الجودين اخف عليه جوده بالعلق أم جوده بالعرض ونزوله عن الطريف ام عن التلاد الشريف

(فاجابه)

جعلت فداك هذا طبيخ كله توبيخ وتريد كله وعيد ولقيم الا انها نقم ولم أر خدوا اكبر منها عظما

بنت مليك خلف شبا كها * تفرجت منه على موكبه

وقد أورد عليه علامة عصرنا القاضي بدر الدين الدماميني فسح الله تعالى في أجله في كتابه المسمى بنزول الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم نقدا كشف به القناع عن عدم بلاغة هذا التشبيه فان الشيخ بدر الدين المشار اليه قال وقوله صحيح ان ظاهر عبارة الشيخ صلاح الدين تشبيه الاغصان في حالة انثنائها أمام البدر في الدجى ببنت مليك تطل من شبا كها للنظر في موكب ابيها وذلك عن مظان التشبيه بمعزل ومقصوده أن البدر في حالة ظهوره من خلال الاغصان المتثنية على الصفة المذكورة يشبه بنت مليك على تلك الحالة تمثيلا للهيئة الاجتماعية لكن اللفظ لا يساعده على ذلك المطلوب فانه جعل الاغصان مبتدأ وأخبر عنه بقوله بنت مليك فلم يتم له المراد على أن مقطوع الشيخ صلاح الدين مع ما فيه من عدم بلاغة التشبيه مأخوذ من قول محيي الدين بن قرناص الحموي

وحديقة غناء ينتظم الندى * بفروعها كالدر في الاسلاك

والبدر يشرق من خلال غصونها * مثل المليح يطل من شباك

قلت ليس لاهل النقد مدخل في هذا الشباك انتهى ما أوردته هنا من التشبيه الذي هو غير بليغ في باب المحسوس بالمحسوس وقد تقدم القول على موجب تقديمه في باب التشبيه وتقرر أن مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللمس التي هي الحواس الخمس أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحواس انتهى (القسم الثاني وهو تشبيه المعقول بالمعقول) أقول ان هذا النوع في هذا الباب ليس له مواقع المحسوسات وقد تكرر قولي في ذلك واحسن ما وجدت فيه أعني تشبيه المعقول بالمعقول قول أبي الطيب المتنبي

كأن الهم مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

وظريف هنا قول القائل من أبيات مع بديع الاستطراد

لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل في عبد اللطيف الناظر

(القسم الثالث تشبيه المعقول بالمحسوس) وهو اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة كقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أبلغ التشابيه وأبدعها ومثله قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ومن النظم قول ابي على ابن سينا

انما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمة الله زيت

ويعجبني في هذا الباب اعني تشبيه المعقول بالمحسوس قول ابن منير الطرابلسي

زعم كمنبلج الصباح وراءه * عزم كحد السيف صادف مقتلا

(القسم الرابع تشبيه المحسوس بالمعقول) قد تقدم ان هذا القسم عند اهل المعاني والبيان غير جائز وماذاك الا ان العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حاسة فقد علما ووجه الصواب في تشبيه المحسوس بالمعقول ان يقدر

ولا آ كلا اكبر منه عظما
ولم أر شربه أمر منها طعما
ولا اشار بالتمني حلما ماهذه
الحاجة ولكن حاجاتك من
بعد ألين جوانب والطف
مطالب نوافق قضاها
ونراوفق ارتضاها

* (وله الى الشيخ أبي نصر) *

كتابي أطال الله بقاء الشيخ
وقد اغنت الحال بحمد الله
عن التعريف ووجدت
ضالتي من رأيه الشريف
واسترق الشيخ مولاه بالذي
اولاه واغنتني يد اللقاء
عن النظرة الجفاء وبالله
ما سلكت موضع لقياه
الاسأل الله سقياه والحر
سريع الطفرة الا انه
قصير السفرة ومثل الصفو
مثل العفو هذا بعد

البليغ المعقول محسوسا ويجعل اصل المحسوس على طريق المبالغة فرعا فيصح التشبيه حينئذ كقول الشاعر

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

فانه لما شاع وصف السنة بالبياض والاشراق لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها واشتهرت البدعة وكل ماليس بحق بالظلمة والسواد كقولهم ليل الشرك اقام هذا الشاعر السنن مقام الاجناس التي لها اشراق وبياض والبدع مقام اجناس السواد والظلمة فصار ذلك عنده كتشبيه محسوس بمحسوس فجاز له التشبيه على هذا التقدير كقول ابي طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فانه لما كانت الاوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد كقول من يغتاله مكروه واسودت الدنيا في عيني جعل هذا الشاعر يوم النوى اشهر بالسواد من الظلام فشبهه وعرفه به ثم عطف عليه بفؤاد من لم يعشق تظرفا لان ظريف العشاق يدعي قسوة قلب من لم يعشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فصار هذا القلب عنده اصلا في السواد على هذا التقدير فقس على ذلك ومثله قول القائل

أسفر ضوء الصبح من وجهه * فقام خال الخد فيه بلال

كأنما الخال على خده * ساعة هجر في ليالي الوصال

سواد ساعة الهجر وبياض زمان الوصل قد فهم على ما تقرر وتكرر ومن ذلك قول الشاعر

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه * نجاء من البأساء بعد وقوع

ومن البديع الغريب في هذا الباب قول القاضي التنوخي

اما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انساب منطلقا

فالارض بنار الى فحم كأنهما * في العين ظلم وانصاف قد اتفقا

جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * بردا فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

ويعجبني هنا قول الصاحب بن عباد وقد اهدى الى القاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني عطرا

اهديت عطرا مثل طيب ثنائه * فكأنما اهدى له اخلاقه

ومن التشابيه البليغة في هذا الباب قول الشهاب محمود في تشبيه بعض الحصون والمبالغة في علوه

كأنه وكأن الجو يكنفه * وهم تكنفه في طيها الفكر

وغاية الغايات في هذا الباب اعني تشبيه المحسوس بالمعقول قول ابي نواس رحمه الله

معتقة صاغ المزاج لراسها * اكاليل در ما لناظمها سلك

جرت حركات الدهر فوق سكونها * فذابت كذوب التبر أخلصه السبك

الكدر وهذا عقب المطر ولاخير في الخلتين دون القلتين يشوبهما كل خبث وينجسهما ادنى حدث وكذا الجد لاينفك عن الجد بجر الحديد ولا ينسد على المسود بالجبال السود والشيخ لو هرب من مكرمة لتبعته ولو طرحها لعلقته ولو لم يأتها مختارا لاتته اجبارا والحمد لله وحده ولم أر كالشيخ بعد سماع وقرب عيان وعنف بذاء ولطف لقاء ولا مثلي اسراف يده يطويه بلسانه وينشره باحسانه وعهدي بساول الارض قطارة اذا حضرت وبالسنة الفضل ساكتة اذا انطقت واكثر ما في الفضل ان الشيخ

وادرك

وأدرك منها الفائزون بقية * من الروح فى جسم أضر به النهك
وقد خفيت من لطفها فكأنها * بقايا يقين كاد يذهبه الشك

ومثله قوله وأجاد فيه الى الغاية

وندمان سقيت الراح صرفا * وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها * كمعنى دق فى ذهن لطيف

والذى سارت به الركبان فى هذا الباب قوله

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

انتهى ما أوردته من تشبيه المحسوس بالمعقول وتقرير صوابه وايراد بديعه وغريبه وقد تقرر وتكرر أن تشبيه المحسوس بالمحسوس هو المقدم فى باب التشبيه وعلى أسه شيد أصحاب البديعيات بيوتهم ولكن بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته غير صالح للتجريد فانه متعلق بالبيت المشتمل على ائتلاف اللفظ مع المعنى فتعين ايراد البيتين هنا لتظهر نتيجة التشبيه فبيت ائتلاف اللفظ مع المعنى فى بديعيته قوله

كأنما حلق السعدى منتثرا * على الثرى بين منقض ومنفصم

واتبعه بقوله فى التشبيه

حروف خط على طرس مقطعة * جاءت بها يد غمر غير منفهم

قلت الكمال لله كل من البيتين فيه نقص لافتقاره الى الآخر ولو تجرد أحدهما عن اخيه ما حسن السكوت عليه ولا تمت به فائدة وكيف يصح التشبيه فى بيت واحد وجل القصد به أن يكون بمجرده مثالا للنوع المذكور والمشبه فى البيت الاول والمشبه به فى البيت الثانى والذى أقوله انى لم أر فى البيت الاول المشتمل على ائتلاف اللفظ مع المعنى معنى ولا على بيت التشبيه الذى بعده للبلاغة بهجة لافتقاره الى الاول والله أعلم ومن غرائب ما ينقل هنا ان العميان ما نظموا نوع التشبيه فى بديعيتهم ونظموا رد العجز على الصدر وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم

وقيل للبدر تشبيه اليه فثم * نجم الثريا له كالنعل فى القدم

بيت الشيخ عز الدين هنا صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صفى الدين اذ المراد به أن يكون بمجرده شاهدا على نوع التشبيه ولكن معناه مأخوذ من بيت الفاضل فى قصيدته الطائية المشهورة والبيت المأخوذ منه هذا المعنى قوله منها

أما الثريا فنعل تحت أخمصه * وكل قافية قالت لذا لشطا

من أين لعقادة الشيخ عز الدين أو لغيره أن يقول فى الشطر الاول من بيت قافيته طائية

أما الثريا فنعل تحت اخمصه

ويقول فى الشطر الثانى

وكل قافية قالت لذا لشطا

انتهى وبيت بديعيتى جمعت فيه بين شرف المديح النبوى وشرف تشبيه القرآن اذ هو

لا تجمعه فى القياس مع الناس كالشمس لا تجريها فى العموم مجرى النجوم مالى أنسى ألعز صنته او لغير هذا اجدت القلم كيف رأى الشيخ صنع الله لحزبه وبأس الله فى حربه الم يجد الفريقان ما وعدهما ربهما حقا بلى والله أعلى كلمة والحق احسن خاتمة والدين أثبت قائمة والعدل أجدر ان يدوم وأولى ان لا يزال ولا يزول وجرح الجور قريب الغور ونار الخلفاء سريعة الانطفاء والشيطان أضعف جندا والسلطان أعلى يدا وعمل النصل بحسب الاصل وحق لسهم تورد ميد الشيخ وتصدره قوس النصرة ونزع القدرة أن يصيب

المقدم في هذا الباب على كل تشبيه فانى قلت في البيت المشتمل على نوع التفريق البديعى

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

ولم أزل أظهر فى افق البلاغة كماله صلى الله عليه وسلم الى ان قلت فى التشبيه

والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا التشبيه بدرهم

ثم انى قلت بعده فى التمليح الذى مايلمح فى صفات النبى صلى الله عليه وسلم أحسن منه

ورد شمس الضحى للقوم خاضعة * ومالبوشع تمليح بركبهم

التمليح هو فى الاصطلاح أن يشير ناظم هذا النوع فى بيت اوقرينة سجع الى قصة معلومة او نكتة مشهورة أو بيت شعر حفظ لتواتره أو الى مثل سائر يجريه فى كلامه على جهة التمثيل وأحسنه وابلغه ماحصل به زيادة فى المعنى المقصود وسماه قوم التمليح بتقديم الميم كان الناظم اتى فى بيته بنكتة زادته ملاحة كقول ابن المعتز

أترى الجيرة الذين تداعوا * عند سير الحبيب وقت الزوال

علموا اننى مقيم وقلبى * راحل فيهم امام الجمال

مثل صاع العزيز فى ارحل القو * م ولا يعلمون مافى الرحال

هذا التمليح فيه اشارة الى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع فى رحل اخيه واخوته لم يشعروا بذلك ومن لطائف التمليح قول ابى فراس

فلا خير فى رد الاذى بمذلة * كما رده يوما بسوأته عمرو

هذا التمليح فيه اشارة الى قصة عمرو بن العاص مع الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه فى يوم صفين حين حمل عليه الامام ورأى عمرو أن لا مخلص له منه فلم يسعه غير كشف العورة ومن الحديث على جهة التورية قول بعضهم فى مليح اسمه بدر

يابدر اهلك جاروا * وعلموك التجرى

وقبحوا لك وصلى * وحسنوا لك هجرى

فليفعلوا ماأرادوا * فانهم اهل بدر

هذا التمليح فيه اشارة الى قول النبى صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأل قتل حاطب لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ومن ذلك قول الشاعر

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى * ارق واحنى منك فى ساعة الهجر

هذا الشاعر اشار بتلميحه فى هذا البيت الى البيت المشهور الذى مابرح الناس يتمثلون به عند من هو موصوف بالقسوة وهو

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

ومن ذلك قول بعضهم

يقولون كافات الشتاء كثيرة * وماهى الا واحد غير مفترى

اذا كان كاف الكيس فالكل حاصل * لديك وكل الصيد يوجد فى الفرا

هذا الشاعر اشار فى تلميح بيته الى قول ابن سكرة

سواء الثغرة وكانوا كالسهام فان أصابت مراميها فراميها اصابا قرن الله هذا الملك بالدوام وهنا الفتح بالتمام وبعد فما أشوقنى الى خدمة تلك الحضرة بعد تلك النصرة وأخوفنى ان لا اصادف وسادا منها ومحلا سنيا واسرعنى اليها ان امنت هذه الواحدة وللشيخ فى الاجابة عالى رأيه ان شاء الله تعالى

* (وله اليه ايضا) *

كتابى اطال الله بقاء الشيخ من ساهنيان وانا مريج فى المروج مع العلوج بين العنان والجنر وليس العيان كالخبر عن سلامة فى كنف جمعة البوشنجى ويحيى الزرنجى ومبارك

جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا * بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ومن أظرف ما وقع هنا أن امرأة من أهل الحذق والظرافة قيل لها من انت وكانت ملتفة في كساء فقالت انا السادس في السابع أشارت في تلميحها اللطيف الى السادس والسابع من قول ابن سكرة فكأنها قالت انا الكس الناعم في الكساء ونظم بعضهم هذا المعنى في بيتين فقال

رأيتها ملفوفة في كسا * خوفا من الكاشح والطامع
قلت لها من أنت يا هذه * قالت أنا السادس في السابع

وهذا غاية لا تدرك في باب التلميح ومن هذا القبيل قول الحريري في المقامات واني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته وأعددت له أهبا قبل موافاته ومثله قوله في المقامات أيضا فبت بليلة نابغية يشير الى قول النابغة

فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع

والضئيلة هي الحية الدقيقة ومن لطائف التلميح قصة الهذلي مع منصور بني العباس فانه حكى أن المنصور وعد الهذلي بجائزة ونسي فجاءا معا ومرا في المدينة النبوية ببيت عاتكة فقال الهذلي يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة التي يقول فيها الاحوص

يا بيت عاتكة التي أتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

فانكر عليه أمير المؤمنين لانه تكلم من غير أن يسئل فلما رجع الخليفة نظر في القصيدة الى آخرها ليعلم ما اراد الهذلي بانشاد ذلك البيت من غير استدعاء فاذا فيها

واراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فعلم انه اشار الى هذا البيت بتلميحه الغريب فتذكر ما وعده به وأنجزه له واعتذر اليه من النسيان ومثله ما حكي أن أبا العلاء المعري كان يتعصب للمتنبي فحضر يوما بمجلس الشريف المرتضى فجرى ذكر أبي الطيب فهضم المرتضى من جانبه فقال ابو العلاء لو لم يكن له من الشعر الا قوله

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فغضب المرتضى وأمر به فسحب واخرج وبعد اخراجه قال المرتضى هل تدرون ما عنى بذكر البيت فقالوا لا فقال عنى به قول أبي الطيب في القصيد

واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني كامل

ومن هذا القبيل قصة السري الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبي أيضا فان السري الرفاء كان من مداح سيف الدولة وجرى يوما في مجلسه ذكر أبي الطيب فبالغ سيف الدولة في الثناء عليه فقال له السري أشتهي أن الامير ينتخب لي قصيدة من غرر قصائده لاعارضها له ويتحقق بذلك انه اركب المتنبي في غير سرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيدته القافية التي مطلعها

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي * وللحب ما لم يبق مني وما بقي

الزنجي ويحيى الخارجي وزيقا وليقا وحسن أولئك رفيقا مثلي أيد الله الشيخ مثل رجل صام حولا فلما أفطر شرب بولا تصونت عن اعمال السلطان وقد عرضت على أمهاتها واضطرتني الحال الى خلافة فلان وقد وردت منه على كريم لا يمكنني سعة أخلاقه من شدة خناقه ولا يحتمل حالي اغفال مالي فهل الحيلة الا معاونته على تدارك امره وقد كان وجاذبني وجوها فسبقني اليها صاحب التسبيب وطعمة الاسد قضمة الذيب لاجرم أني استفرغت ما استوفاه من عرض قفاه بعد أن اخذت الحجة عليه فقال لا اسمع لك من هؤلاء

قال السرى فكتبت القصيدة واعتبرتها فى تلك الليلة فلم أجدها من مختارات ابى الطيب لكن رأيته يقول فى آخرها عن ممدوحه

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غبارى ثم قال له الحق

فقلت والله ما أشار سيف الدولة الا الى هذا البيت وأحجمت عن معارضة القصيدة وألطف من هذا ما حكاه ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء فانه من غرائب التلميح قال قعد رجل على جسر بغداد فاقبلت امرأة بارعة فى الجمال من جهة الرصافة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله على بن الجهم فقالت له رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا بل سارا مغربا ومشرقا قال الرجل فتبعت المرأة فقلت لها والله ان لم تقولى لى ما أراد بابن الجهم فضحتك قالت اراد به

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ادرى ولا ادرى

واردت انا بأبى العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

ورسالة الوزير ابى الوليد بن زيدون المخزومى الاندلسى غالبها مبنى على نوع التلميح ولا بد ان اذكر الموجب لانشائها بحيث يتلمح المتأمل بهجة تلميحها وسبب انشاء هذه الرسالة البديعة انه كان بقرطبة امرأة ظريفة متأدبة من بنات خلفاء العرب المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل فى بنى عبد الملك بن مروان تسمى ولادة بنت المستكفى بالله ابتذل حجابها بعد نكبة ابيها وقتله فصارت تجلس للشعراء والكتاب وتحاضرهم وتطارحهم وكانت ذات جمال بارع وادب غض ودماثة أخلاق وكان لها ميل الى ابن زيدون بخلاف غيره من اهل العصر فمما كتبت اليه وهى راضية عنه

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل اكتم للسر

وبى منك مالو كان بالبدر لم ينر * وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وكتبت اليه وهى غضبى

ان ابن زيدون على فضله * يلهج بى شتما ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كانما جئت لاخصى على

تشير فى تلميحها اللطيف الى غلام كان متهما به ومن غض شعرها قولها

انا والله اصلح للمعالى * وامشى مشيتى واتيه تيها

وامكن عاشقى من صحن خدى * واعطى قبلتى من يشتهيها

ومما ينسب اليها

لحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذى اوجب جرح الصدود

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها والميل اليها وأكثر غزل شعره فيها وقد تقدم ذكر ميلها اليه بخلاف اهل عصره من اهل الادب لحسن ادبه ولطف شمائله وتقدمه على اهل زمانه

الاكرة وما يؤدونه بدرهم فما دونه وحقا أن المغبون من لم يعرف الزبون وأن المردود من لم يعرف المقصود واذا لم يكن صيرفة الرجال أحذق من صيرفة المال بات محذوف السبال وأصبح موجع القذال وقد خرج الى الشيخ متطلعا ولا اقنع حتى يكتب فى ظهره جواب كتابى بقلم اسمه السوط فان قصر أو أخر فعدد الرمل عريبة وعدد النمل موجدة وهذا الحر قد اراني وجها للمال ولكنه اشعث اغبر وعينا للدين ولكنه احول اعور قد كان وكيلى استوثق منه باحالة اكدها بقبالة على زعيم الناحية وسألت عنه فقيل متوار

وكان

وكان الوزير ابو عامر بن عبدوس كثير الهيمان بها واجتهد في التوصل اليها والاجتماع بها والاقتطاف من ثمار آدابها الغضة والتمتع بجمالها البارع فعجز عن ذلك لكثرة ميلها الى ابن زيدون وتوصل الى أن أرسل اليها امرأة من خواصه لتستميلها اليه وتعرفها اعظم مقامه وسمو رتبته على غيره وتبالغ في التوصل الى رغبتها فيه فبلغ ذلك ابن زيدون فانشأ هذه الرسالة على لسان ولادة تتضمن سب الوزير أبي عامر والتهكم به وبني غالبها على نوع التمليح وجعلها جوابا عنها فاشتهر ذكر الرسالة في الآفاق وأمسك الوزير ابن عبدوس عن التعرض الى ولادة فمن ممتعات الرسالة المبنية على التمليح قوله منها على لسان ولادة يخاطب الوزير ابن عبدوس (حتى قالت ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك) هذا التمليح فيه اشارة الى عمرو بن ثعلبة الايادي الذي يضرب به المثل في العي فيقال فلان أعيى من باقل قال ابو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا باحد عشر درهما فلقيه شخص والظبي معه فقال له بكم اشتريته ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير الى احد عشر فهرب الظبي (وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا اضيف اليك) هذا التمليح يشير فيه ابن زيدون الى يزيد ابن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة الملقب بهبنقة المكنى بابي الودعات لانه نظم ودعا في سلك وجعله في عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع وهو جاهلي يضرب به المثل في الحمق قيل انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل مختار المراعي للسمان ونحى المهازيل عنها وقال لا أصلح ما أفسد الله واختصم بنو راسب وبنو طفاوة في شخص يدعونه واطلعوا هبنقة على أمرهم فقال القوه في البحر فان رسب فهو من بني راسب وان طفا فهو من بني طفاوة واشترى اخوه بقرا بأربعة أعنز فركبها فاعجبه عدوها فالتفت الى اخيه وقال زدهم عنزا فضرب بها المثل للمعطي بعد امضاء البيع ثم سار فرأى ارنبا تحت شجرة ففزع منها وهمز البقرة وقال

الله نجاني ونجا البقره * من جاحظ العينين تحت الشجره

(وطويسا مأثور عنه يمن الطائر اذا قيس عليك) هذا التمليح يشير به الى عيسى بن عبد الله مولى بني مخزوم وكنيته ابو النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى على الدف بالعربية ولكن ضرب في شؤمه المثل فانه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات ابو بكر وختن يوم قتل عمر وزوج يوم قتل عثمان وكانت أمه تمشي بالنميمة بين نساء الانصار ومن تمليح هذه الرسالة التي هي غاية في هذا الباب قوله منها يشير الى ابن عبدوس (والله لو كساك محرق البردين * وحلتك مارية بالقرطين * وقلدك عمرو الصمصامة * وحملك الحرث على النعامة * ماشككت في اباك * ولا كنت الا ذاك) السجعة الاولى تشير في تلميحها الى عمرو بن المنذر بن ماء السماء كان يسمى من شدة بأسه محرقا وقصة هذه التسمية استوفى ابو الفرج صاحب الاغاني شرحها في كتابه وأما قصة البردين فحكى أن الوفود اجتمعت عند محرق فاخرج من لباسه بردين وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن احيمر فاخذهما فاتزر بواحدة وارتدى بالاخرى فقال له محرق أنت أعز العرب قبيلة فقال نعم لان العز كله في معد والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب فمن أنكر ذلك فليناظرني فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف

فاستنزلته بفضل خداع وسألته عن سبب تواريه فذكر ان الجراح بن محمد قصد أيام ولايته قصد نكايته وخاف الآن من سعايته فكثرت نفرته فان بذل له الشيخ كتاب امان وبذلت له عهد ضمان حضر البساط الرفيع ثم لم يسأل العفو عن جرم اذا صح ولا المسامحة بدرهم اذا وجب فان لم يفعل الشيخ ذلك ابتغى نفقا في الارض أو سلما في السماء فالسلطان يحذره السليم كما يحذره السقيم لاسيما الشيخ وبطشه العظيم ثم أيد الله الشيخ ظفرت برجل كان ضالتي منذ سنين ولي في جنبه مال عظيم لكنه

أنت فى نفسك وأهل بيتك فقال أنا ابو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها أنا فى نفسى وشاهد العز شاهدى ثم وضع قدمه على الارض وقال من ازالها من مكانها فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد فخرج بالبردين وضرب المثل بعزه وببرديه والسجعة الثانية تشير فى تلميحها الى مارية وقصتها المشهورة بالقرطين وهى مارية ابنة ظالم بن وهب الكندى زوج الحرث الاكبر الغسانى ملك العرب بالشام وهى أم الحرث الاصغر وأمها هند الهنود وكان فى قرطيها درتان كبيضتى الحمام لم ير مثلهما توارثتهما الملوك الى أن وصلتا الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها بعمر بن عبد العزيز فلما ولى عمر الخلافة قال لها ان أحببت المقام عندى فضعى القرطين والحلى فى بيت مال المسلمين فاجابته الى سؤاله فلما مات وولى يزيد بن عبد الملك أرسل اليها يقول لها خذى القرطين والحلى فقالت لا والله ما أوافقه فى حال حياته وأخالفه بعد وفاته والسجعة الثالثة تشير فى تلميحها الى عمرو بن معديكرب الزبيدى الفارس المشهور بكثرة الغارات والوقائع بين العرب فى الجاهلية قبل اسلامه وكان يكنى ابا ثور والصمصامة سيفه المشهور قال عبد الملك بن عمر أهدت بلقيس الى سليمان عليه السلام خمسة أسياف وهم ذو الفقار وذو النون ومخذم ورسوب والصمصامة فاما ذو الفقار فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر ومخذم ورسوب كانا للحرث بن جبلة الغسانى وذو النون والصمصامة لعمرو بن معديكرب وانتقلت الصمصامة الى سعيد بن العاص ولم تزل الى أن قصد المهدى البصرة فلما كان بواسط أرسل الى بنى العاص يطلب الصمصامة منهم فقالوا انه قد صار محتسبا فى السبيل فقال خمسون سيفا فى السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفا وأخذه ثم وصل الى المتوكل فدفعه الى بعض مماليكه الاتراك فقتله به والسجعة الرابعة تشير فى تلميحها الى فرس الحرث بن عباد التغلبى سيد بنى وائل سماها العرب لخفتها وسرعة جريها بالنعامة وضربت بها الامثال وكان الحرث يكرر قوله فى كل وقت بانشاده

* قربا مربط النعامة منى * انتهى

ولولا خوف الاطالة لاوردت من هذه الرسالة غالب تلميحها فانها نسيج وحدها على هذا المنوال أعنى التلميح وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على هذا النوع قوله

ان ألقها تلقف كل ما صنعوا * اذا أتيت بسحر من كلامهم

بيت الشيخ صفى الدين هنا أيضا متعلق بما قبله والضمير فى ألقها عائد على العصا فانه قال فى بيت الاقتباس

هذى عصاى التى فيها مآرب لى * وقد أهش بها طورا على غنمى

وقال بعده فى بيت التلميح أن ألقها البيت ورأيته يسلك هذا المسلك فى غالب بديعيته وهو غير لائق به اذا المراد من كل بيت أن يكون شاهدا على ذلك النوع بمجرده والتلميح فى بيته هو الاشارة الى قصة موسى عليه السلام مع السحرة لما ألقى العصا وبيت العميان فى بديعيتهم

ويقرع السمع عن حق زواجره * قرع الرماح يبدر ظهر منهزم

أرانى توقيعا للشيخ فى كتاب سلطانى بأن لا يتعرض له متعرض ووجدت الامر على العموم وردت النفس على مكروهها فلما عرض على الكتاب سجدت لبنانه ثم لعنوانه ثم لموضع بنانه من عالى توقيعه ثم لجميعه ورجعت من المطلوب بيد خالية واخرى كالية واحتسبت عند الله تلك السنين والله لا يضيع أجر المحسنين

(وله اليه ايضا)

وصلت رقعتك ياسيدى والمصاب لعمر الله كبير وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر اجدر والعزاء عن الاعزة رشد كانه الغى وقدمات الميت

العميان أشاروا فى تليحهم الى قصة يوم بدر ولكن ليس على شمائل بيتهم من رونق التليح لمحة وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

وبان فى كتب التاريخ من قدم * تليح قصة موسى مع معدهم

لم ألمح من خلال بيت الشيخ عز الدين غفر الله له لمحة تدلنى على نور التليح لكنه حكى حكاية مضمونها أن كتب التاريخ القديمة بان فيها تليح قصة موسى عليه السلام مع معد والله أعلم وبيت بديعيتى تقدمنى فى نظمه ابو تمام بقوله متغزلا فى بعض قصائده وقد سفرت محبوبته من جانب الخدر ليلا

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

فلما انتهيت فى نظم بديعيتى الى هذا النوع أعنى التليح رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أحق به وأنا أحق به من أبى تمام فانى نظمته فى سلك المعجزات النبوية فهامت عيون الأذواق الى بهجة نظمه وقد تقدم قولى فى بيت التشبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا التشبيه بدرهم

ثم قلت بعده فى التليح

وردّ شمس الضحى للقوم خاضعة * وما ليوشع تليح بركبهم

انظر أيها المتأمل الى انسجام هذا البيت مع الذى قبله والى ظهور النقص فى بيت أبى تمام باستقلاله والتليح الى شرف هذا البيت النبوى والله اعلم

(ذكر تشبيه شيئين بشيئين)

شبا آن قد اشبها شيئين فيه لنا * تبسم وعطا كالبرق فى الديم

هذا النوع أعنى تشبيه شيئين بشيئين من المحاسن العزيزة الوقوع بخلاف كثيرة العدد فى التشبيه فان ذلك نوع اللف والنشر أحق به وهو فى الاصطلاح أن يقابل الشاعر بين الاربعة ويلتزم أن كل واحد من المشبه بنسبة المشبه به (ومما حكى) عن بشار بن برد أنه قال مازلت منذ سمعت قول امرء القيس فى وصف العقاب

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

لا يأخذنى الهجوع حمدا له الى أن قلت فى وصف الحرب

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوت كواكبه

ومما يعجبنى فى هذا الباب الى الغاية قول ابراهيم بن سهل الاشبيلى

كأن القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

ومن الغايات التى لا تدرك فى هذا الباب وأنا أستغفر الله قولى من قصيد

وحمرة الخد أبدت خيط عارضه * نكهات كاس مدام وهو مشعور

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

تلاعبوا تحت ظل السمر من مرح * كما تلاعبت الاشبال فى الاجم

بيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع عامر بالمحاسن رافل فى حلل الانسجام والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

تشبيه شيئين بشيئين

فليصح الحى واشدد على حالك بالحس وأنت اليوم غيرك بالامس قد كان ذلك الشيخ وجهه اقه وكيلك يضحك ويبكى لك وقد مولك بما ألف بين سراه وسيره وخلفك فقيرا الى الله غنيا عن غيره وسيجيم الشيطان عودك فان استلانه رمالك بقوم يقولون خير المال متلفة بين الشراب والشبابه ومنفقة بين الاحباب والحباب والعيش بين الا قداح والقداح ولولا الاستعمال لما اريد المال فان أطعتهم فاليوم فى الشراب وغدا فى الخراب واليوم واطرب بالمكاسب

شبا آن تشبيه شيئين انتبه اهما * حلم وجهل هما كالبرء والسقم

نعوذ بالله من آفة الغفلة ممدوح هذا البيت هو النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدمه قوله في مديحه

هل من مقاربة في السير بعد نوى * يا طيب التمر بين العرب والعجم

وقال بعده هذا البيت الدائر وقد سلمنا أنه قابل فيه حلم النبي صلى الله عليه وسلم بالبرء وأما ذكر الجهل فيه هذا البيت فهو في غاية الجهل وليس له ما يقابله غير التأديب على قلة أدبه وقد قابل به السقم ولا أعلم ما مراده به وطالعت شرحه فوجدته قد قرر حد النوع وفر من الكلام على معنى البيت بخلاف أبيات القصيدة ويشبه بعيني القول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

شبا آن قد اشبها شيئين فيه لنا * تبسم وعطا كالبرق في الديم

هذا البيت البديع في لفظه ومعناه ما أشك أن أبا بكر مقدم فيه على الحلي والموصلي فانه وضعه في محله والنبي صلى الله عليه وسلم احق به من كل ممدوح وقد جمع فيه بين حسن اللف والنشر وبليغ التشبيه وأما مراعاة النظير في مديحه بين البرق والديم فليس لها نظير والله اعلم

(ذكر الانسجام)

له انسجام دموعي في مدائحه * بالله تشنف بها يا طيب النغم

المراد من الانسجام أن يأتي لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة ولعمري ان طيور القلوب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعه * وبحماسنها القضبة بين الاوراق ساجعه * وأهل الطريق الغراميه هم بدور مطالعه وسكان مرابعه فانهم ما أتقنوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع اللهم الا أن يأتي عفوا من غير قصد وعلى هذا أجمع علماء البديع في حد هذا النوع فانهم قرروا أن يكون بعيدا من التصنع خاليا من الانواع البديعية الا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد وغالب شعر الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماه * سقى الله من غيث الرحمة ثراه * ماش على هذا التقرير وبأتي التمثيل به في مكانه ان شاء الله تعالى وان كان الانسجام في النثر يكون غالب فقراته موزونة من غير قصد لقوة انسجامه وأعظم الشواهد على هذا ما جاء في القرآن العظيم من الموزون بغير قصد في بيوت واشطار بيوت فن الطويل الذي جاء على أصل الدائرة في القرآن العظيم فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتفعيله القياسي فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن كقول الشاعر

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد * فقد زادني مسراك وجدا على وجدي

وجاء في بحر المديد من العروض الثانية المحذوفة قوله تعالى واصنع الفلك بأعيننا كقول الشاعر

اعلموا أني لكم حافظ * شاهدا ما دمت أو غائبا

ومن مصرعه

الانسجام

وقدا واجريا من الافلاس يا مولاي فذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك المسموع من الناي هو في الآذان زمر وفي الابواب سمر وان لم يجد الشيطان مغمزا في عودك من هذا الوجه رماك بآخرين يتلاون الفقر هذا عينك فتجاهد قلبك وتحاسب بطنك وتناقش غيرك وتمنع نفسك وتبوء في ذلك بوزرك وتراه في الآخرة في ميزان غيرك لا ولكن قصدا بين الطريقين ومهلا عن الفريقين لا منع ولا اسراف والبخل فقر حاضر وضير عاجل وانما يبخل المرء خيفة ما هو فيه لله في

زعم النعمان ملك العرب * ليس يحمى من عصاه الهرب

وجاء فى بحر البسيط من العروض الاولى المخبونة قوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم كقول الشاعر

مابال عينك منها الماء ينسكب

وجاء فى الوافر من العروض الاولى المقطوفة والضرب المقطوف قوله تعالى ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين كقول الشاعر

ألا هبى بصحنك فاصبحينا * ولا تبقى خمور الاندرينا

وجاء فى الكامل من العروض الصحيحة المجزوءة والضرب المجزوء المذال قوله تعالى والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم كقول الشاعر

انى لا تظلم عكة لا الصغير ولا الكبير

وجاء فى الهزج من عروضه المجزوءة وضربها المحذوف قوله تعالى فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا كقول الشاعر

وماظهرى لباغى الضيم * بالظهر الذلول

وجاء فى الرجز قوله تعالى وذللت قطوفها تذليلا كقول الشاعر

شالوا على جمالهم جمالهم * وسار حادى عيسهم يغنى

وجاء فى الرمل من العروض الثانية المجزوءة والضرب الثانى المجزوء قوله تعالى وجفان كالجوابى وقدور راسيات كقول الشاعر

مقفرات دارسات * مثل آيات الزبور

ومن مصرعه

أى شخص كا بان * عند ضرب وطعان

وجاء فى السريع من العروض الاولى المطوية المكسوفة قوله تعالى قال فما خطبك يا سامرى ومنه أو كالذى مر على قرية كقول الشاعر

ياهند ياأخت بنى عامر * لست على هجرك بالصابر

وجاء من المنسرح من العروض الاولى الوافية قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة كقول الشاعر

زموا المطايا بالواد ماودعوا

وجاء من الخفيف من العروض التامة الصحيحة قوله تعالى أرأيت الذى يكذب بالدين كذا أورده صاحب المفتاح ومنه لا يكادون يفقهون حديثا وهذا من مستخرجات المصنف فسح الله فى أجله كقول الشاعر

ليت مافات من شبابى يعود * كيف والشيب كل يوم يزيد

وجاء من المضارع وهو بحر قليل الاستعمال جدا ومنهم من لم يعده بحرا ولا جاء فيه شعر معروف وقيل انه لم يسمع من العرب وقال أبو العباس العتابى فى كتابه المسمى بنزهة الابصار فى أوزان الاشعار ان الخليل جعله جنسا أو حسبه قاسه وما أدرى مار وى

مالك قسط وللمروأة قسم فصل الرحم ما استطعت وقدر اذا قطعت وان تكون الى جانب التقدير خير لك من ان تكون الى جانب التبذير

(وله الى القاضى أبى نصر بن سهل)

ما للقاضى أعزه الله يلقانى بوجه كأنه الزقوم ويرانى ولا يقوم أنا أسأله ان يقتدى بغيره لا بأبيه ألست لقيامه أهلا لعن الله أكثرنا جهلا وأقلنا فضلا واخسنا أصلا تلك القلنسوة ليست بأول قلانس الحكام وتلك الشيبة ليست بأول شيبة فى الاسلام نحن نخرأ فى خير من تلك القلنسوة ونصفع

فى كتب العروض امصنوع هو ام مسموع من العرب انتهى كلام العتابى وتفاعيله فى الاصل مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن ومثلها ولكنه ما استعمل الا مجزوا فبقى مربعا فمما وقع من مخرومه فى الكتاب العزيز قوله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين والخرم هنا حذف الاول من مفاعيلن فعاد فاعيلن فنقل الى مفعولن فتفاعيل هذه الآية الشريفة مفعول فاعلات مفاعيل فاعلات كقول الشاعر

قلنا لهم وقالوا * وكل له مقال

وجاء فى المقتضب من العروض المجزوءة المطوية قوله تعالى فى قلوبهم مرض وتفعيل ذلك فاعلات مستعلن وجاء فيه من الشعر

أقبلت فلاح لها * عارضان كالسبج

ومن مصرعه

غنناعلى الدرج * بالخفيف والهزج

وهذا البحر فى القلة كبحر المضارع الا انه سمع منه أبيات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منها

هل على ويحكما * ان عشقت من حرج

وجاء فى المجتث من العروض الصحيحة المجزوءة والضرب المجزوء قوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم كقول الشاعر

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

وجاء فى المتقارب من العروض الاولى الوافية قوله تعالى وأملى لهم ان كيدى متين فعولن فعولن فعولن فعولن كقول الشاعر

فاما تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

ولولا الاطالة لذكرت ما دخل فيما أوردته من الزحاف وقد اوردت هنا خمسة عشر بحرا ولم اذكر المتدارك اذ هو محدث اخترعه المتأخرون ولم تعرفه العرب فى الزمن المتقدم وهو خارج عن الخمسة عشر بحرا وقال ابن الحاجب فى عروضه

وخمسة عشر دون ما متدارك * وما عده منها الخليل فعدلا

انتهى ما أوردته من الانسجام المنثور وأما الانسجام فى النظم فقد تقدم وتقرر أن أصحاب المذهب الغرامى هم سكان بيوته العامرة * وكاس آرامه التى هى غير نافره * ولكن العرب على كل تقدير ملوك هذا الشان * وقلائد هذا العقيان * وقد عن لى أن أذكر هنا ما فتروا به من وعر التركيب وشرعوه فى أبياتهم على سهل الانسجام * وأركض فى أثر هذه الابيات بسوابق الفحول فانها أبيات لها حرمة وذمام * وأعرج بعد ذلك على البيوت الغرامية وانسيم أخبار الهوى العذرى من بين تلك الخيام * فمن الانسجام الذى وقع للعرب وكاد أن يسيل رقة لسهولته قول امرئ القيس فى معلقته

أغرك منى ان حبك قاتلى * وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

وقوله من غير المعلقة

خيرا من تلك القمحدوة فليحسن العشرة معى من بعد ولست من رعيته وليحمل العصبة من ظاهره ان لم يحملها من نيته أو فليفعل ما شاء فانها شقشقة هدرت والجميل أجل والسلام * (وله الى الدهجدانى) * المودة ايدك الله الدهجدانى غيب وهو آية فى مكان من الصدر لا ينفذه بصر ولا يدركه نظر ولكنها تعرف ضرورة وان لم تظهر صورة ويدركها الناس وان لم تدركها الحواس ويستملى المرء صحيفتها من صدره ويعرف حال غيره من نفسه ويعلم انها حب وراء القلب وقلب وراء الخلب وخلب وراء العظم

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

ومثله في الانسجام والرقة قول طرفة بن العبد في معلقته

فان كنت لاتستطيع دفع منيتي * فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ومثله قوله منها

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند

ومثله قوله منها

فان مت فانعيني بما انا اهله * وشقي علي الجيب يا ام معبد

ومثله قوله منها

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ويأتيك بالانباء من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي

ومثله في لطف الانسجام قول زهير بن أبي سلمى في معلقته

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام اسباب السماء بسلم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لايكرم نفسه لم يكرم

ومن لايذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لايظلم الناس يظلم

ومن لايصانع في أمور كثيرة * يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لايتق الشتم يشتم

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

وأحسن ختامها في الانسجام بقوله

وأعلم ما في اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عمي

ومثله قول لبيد بن ربيعة من معلقته

فاقنع بما قسم المليك فانما * قسم الخلائق بيننا علامها

واذا الامانة قسمت في معشر * أوفى باعظم حظنا قسامها

ومن الغايات في باب الانسجام قول عنترة في معلقته

فاذا شربت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم

واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمايلي وتكرمي

ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم في معلقته

لنا الدنيا ومن أضحى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا

اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا أن يقر الخسف فينا

اذا بلغ الفطام الطفل منا * تخر له الجبابر ساجدينا

ملأنا البر حتى ضاق عنا * وظهر البحر نملؤه سفينا

وعظم وراء العظم ولحم وراء الجلد وجلد وراء البرد وبرد وراء البعد ولو كانت هذه المحبة قوادير لم ينفذها نظر العين فيستدل عليها بغير هذه الحاسة والهمداني يعتب على اني نسيت الحال بدليل ان لا أنفذه والله لو التبست به التباسا يجعل رأسينا رأسا ما زدته ودا ولو حال بيني وبينه سور الاعراف ما نقصته حبا وقد والله اختلفت على مواضعه حتى ظننت القضاء يكايد وأردت زيارته بالامس ثم وقع من الاضطراب ما فتق العزم فان نشطا في هذه الليلة عرفني مستقره لاحضره ان شاء الله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومثله قول الحرث بن حلزة في معلقته وهي المعلقة السابعة

لا يقيم العزيز في البلد السهـ ـل ولا ينفع الذليل النجاء

ومن الانسجامات التي عدها صاحب المرقص والمطرب من المطرب قول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك معطيه الذي أنت سائله

ومن الانسجامات المعدودة من المرقص قول النابغة الذبياني

وانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

ومن الانسجام المعدود من المطرب قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

أصون عرضي بمالي لا أدنسه * لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتال للمال ان أودى فأكسبه * ولست للعرض ان أودى بمحتال

وعدوا من الانسجام المرقص قول كعب بن زهير

ولا تمسك بالعهد الذي وعدت * الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومن المطرب قول الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

ويعجبني من لامية العرب قول الشنفرى بن مالك

وفي الارض منأى للكريم عن الأذى * وفيها لمن خاف القلى متحول

ومثله من لامية العجم وان تأخر عصرها

انّ العلى حدثتني وهي صادقة * فيما تحدث أن العز في النقل

لوان في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وعدوا من الانسجام المطرب قول مجنون ليلى في قصيدته المشهورة

وقد خبروني ان تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا

فهذي شهور الصيف عنا قد انقضى * فما للنوى ترمي بليلى المراميا

أعدّ الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا

وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعني الهوى من شماليا

أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

خليليّ لا والله لا أملك الذي * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

ولو أن واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

وماذا لهم لا أحسن الله حالهم * من الحظ في تصريم ليلى حباليا

وددت على حبي الحياة لو انه * يزاد لها في عمرها من حياتيا

على أنني راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا عليّ ولا ليا

(وله اليه ايضا)

غضب العاشق أقصر عمرا
من ان ينتظر عذرا وان
كان في الظاهر مهابة سيف
انه في الباطن سحابة صيف
وقدرا في اعراضه صفحا
الخذ اقصد أم مزحا ولو
التبس القلبان حتى التباسهما
ما وجد الشيطان مساغا
بينهما ولا والله لا أرفك ودا
تجدمنه بدا ان كنت الجد
قصدت وان محبة تحتمل
شكا الاجدر محبة ان
لا تشترى بحبة وان كان
مزاحا ما قصد فما أغنانا
عن مزح يحل عقد الفؤاد
حتى يقف على المراد ولا
يسعنا الا العافية والسلام

اذا ماشكوت الحب قالت كذبتنى * لمالى أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتذهل حتى لاتجيب المناديا

ومن المرقص فى باب الانسجام قول كثير عزة

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

وعدوا من المطرب فى باب الانسجام قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

وعدوا من المطرب قول بشار بن برد

اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

ومن انسجامات نسيبه التى ليس لها مناسب قوله

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

ومثله قوله

انا والله اشتهى سحر عينيك واخشى مصارع العشاق

ومثله قوله

وانى امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

ويعجبنى من لطيف الانسجام قول العباس بن الاحنف

أقدى الذين أذاقونى مودتهم * حتى اذا أيقظونى للهوى رقدوا
واستنهضونى فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملونى منهم قعدوا

ومثله قوله

لولا محبتكم لما عاتبتكم * ولكنتم عندى كبعض الناس

ومثله قوله

طاف الهوى فى عباد الله كلهم * حتى اذا مر بى من بينهم وقفا

ومثله قوله

وسعى بها واش فقالوا انها * لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم * انى ليعجبنى المحب الجاحد

تقدم لهذين البيتين نكتة لطيفة تؤيد تأكيد انسجامهما وعذوبة الفاظهما وهى أنه رفع للرشيد موت العباس وابراهيم الموصلى المعروف بالنديم والكسائى وهشيمة الخمارة فى يوم واحد فامر المأمون أن يصلى عليهم فخرج فصفوا بين يديه فقال من الاول فقالوا ابراهيم الموصلى فقال اخروه وقدموا العباس بن الاحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعى فقال ياسيدى كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله وسعى بها واش البيتين ثم قال أتحفظهما فقلت نعم فقال اليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله ياسيدى انتهى وقد تقدم قولى وتكرر

قوله اركانا كذا فى النسخ التى بايدينا والمعروف المشهور انسانا

(وله أيضا)

كم لله من عبد اذا جاع حبر الاصباع واذا اشتهى القماع كتب الرقاع وهذا تشبيب بعده تسبيب قد عرف الشيخ برد هذا المورد وخروجه فى سوء العشرة عن الحد فان رأى أن يلبسنى من الحطب اليابس فروة ويكفينى من أمر الوقود شتوة وله التدبير فى ذلك ثم التصرف الشكر والسلام

(وله الى رئيس نسا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ الرئيس والكاتب مجهول والكتاب فضول وبحسب الرأى موقعه فان كان جميلا فهو تطول وان كان سيئا فهو تطفل فايهما سلك الظن قلده أيده الله المن من نيسابور عن سلامة نسأل الله تعالى أن

ان أصحاب الطريق الغرامية هم موالى رقيق الانسجام وتجاره وقد ولولا انسجامات أنفاسهم ما تنسمنا أخبار الحى وتغزلنا فى سفحه وعقيقه وقد ألجأتنى ضرورة الجنسية الى ضم المتقدمين مع المتأخرين لئلا ينفرط لعقودها انتظام واذا أخرت من تقدم وأوردت له غير الطريق الغرامى كان جل القصد من ذلك معرفة أنواع الانسجام فمن الانسجام الغرامى قول الشريف الرضى وهو الذى قال فى حقه الثعالبى فى كتاب اليتيمة هو أشعر الطالبيين قديما وحديثا على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق والقول الموعود بايراده قوله

نسرق الدمع فى الجيوب حياء * وبنا ما بنا من الاشواق
لا اذم السراء فى طلب العز ولكن فى فرقة العشاق
يوم لا غير زفرة من فؤاد * ذى قروح ورشقة من ماق
والثرى منتش بعاقره السير دما جاريا بأيدى النياق
أمعينى على بلوغ الامانى * وشفائى من علتى واشتياقى
ابعث بيننا المودة حتى * جالتنا والزهر بالاوراق
كم مقام خضنا حشاه الى اللهو جميعا والليل ملقى الرواق
ومزجنا خمر الرضا بين فى الرشف برغم المدام تحت العناق
قم نبادر رعى الظلام يبين * بسهام الخطوب فى الاتفاق
واغتنمها قبل الفراق فانعشلم يوما متى بكون التلاقى
فخن غصنان ضمنا عاطف الوجد جميعا فى الحب ضم النطاق
فى جبين الزمان منك ومنى * غرة كوكبية الائتلاق
كلما كدرت الليالى علينا * شق منا الوفا جيب الشقاق
أيها الرائح المغذ تحمل * حاجة للمتيم المشتاق
أقر منى السلام أهل المصلى * فبلاغ السلام بعض التلاقى
واذا ما مررت بالخيف فاشهد * أن قلبى اليه بالاشواق
واذا ما سئلت عنى فقل نضو هوى ما أظنه اليوم باق
وابك عنى فطالما كنت من قبل أعير الدموع للعشاق

ومثله قوله من أبيات

سهمك مدلول على مقتلى * فمن يرى سهمك يا قاتلى
ليس لقتلى ثائر يتقى * وليس فى سفك دمى طائل
قد رضى المقتول كل الرضا * واعجبا لم سخط القاتل

ومثله قوله من أبيات

نكست لحظ العين حين خطا * والبين يرمقنى ويرمقه
أذبت دمعى يوم ودعنى * فى صحن خد ذاب رونقه
والنجم يركض فى سوالفه * يكاد خيل الدمع يسبقه

لا يلهينا بسكرها عن شكرها والحمد لله رب العالمين يقول الشيخ أيده الله مص هذا الرجل وما هذا الكتاب أما الرجل فخاطب ودأ ولا وموصل شكر ثانيا وأما الكتاب فلمام أرحام الكرام كان يعن الله السلام تصل الارحام ويحسن غدور الى كل عثور هذا الشريف قد خانه زمان السوء فاخرجه من البيت الذى بلغ السماء مفتخرا ثم طلب فوقه مظهرا وله بعد جلالة النسب وطهارة الاخلاق وكرم العهد وحضرنى فأتته عما ورا٫ه فأشار الى ضالة الاحرار وهو الكريم مع اليسار ونبه على تعبد الكرام وهو البشر مع الانعام وحدث عن برد الاكباد وهو مساعدة الزمان للجواد ودل على نزهة الابصار وهو

ومثله

ومثله قوله

خذى نفسى يا ريح من جانب الحمى * فلاقى به ليلا نسيم ربا نجد
فان بذاك الحى حبا عهدته * وبالرغم منى أن يطول به عهدى
ولولا تداوى القلب من ألم الجوى * بذكر تلاقينا قضيت من الوجد

ومثله قوله من أبيات

عارضا بى ركب الحجاز أسائله * متى عهده بسكان سلع
واستملا حديث من سكن الجز * ع ولا تكتباه الا بدمعى
عزنى أن أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

ومن الانسجامات التى ينسجم الدمع لرقتها قول تلميذه مهيار الديلمى

ظن غداة البين أن قد سلما * لما رمى سهما وما أجرى دما
فعاد يستقرى حشاه فاذا * فؤاده من بينهم قد عدما
يا قاتل الله العيون خلقت * لو احظا فكيف صارت أسهما
اودعنى السقم وولى هازئا * يقول قم واستشف ماء زمزما
ولو أباح ماحمى من ريقه * لكان أشفى لى من الماء اللما
وا بأبى ومن يبيع بأبى * على الظماء ذاك الزلال الشبما
كأنما الصهباء فى كافورة * قد مزجت وحل عن كأنما

ومثله قوله

أستعبد الصبر فيكم وهو مغلوب * وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب
وأبتغى عندكم قلبا سمحت به * وكيف يرجع شئ وهو موهوب
ما كنت أعلم ما مقدار وصلكم * حتى هجرت وبعض الهجر تأديب

ومثله قوله وهو فى غاية اللطف

بطرفك والمسحور يقسم بالسحر * أعمدا رمانى أم أصاب ولا يدرى
رنا اللحظة الاولى فقلت مجرب * وكررها أخرى فأحسست بالشر

ومثله قوله فى اللطف

من عذيرى يوم شرقى الحمى * من هوى جد بقلبى مزحا
العبا ان كان لابد الصبا * انها كانت لقلبى أروحا
يا نداماى بسلع هل أرى * ذلك المغبق والمصطبحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم * رب ذكرى قربت من نزحا
وارحموا صبا اذا غنى بكم * شرب الدمع وعاف القدحا

منها

وعرفت الهم مذ فارقتكم * فكأنى ما عرفت الفرحا

ومثله قوله من قصيد

بكر العارض يحدوه النعامى * فسقاك الرى يا دار أماما

الثراء ومتعة الاسماع وهو الثناء فقلما اجتمعا وعزما وجدا معا وذكر ان الشيخ أيده الله جماع هذه الخيرات وسألنى الشهادة له وبذل الحظ به ففعلت وسألت الله اعانته على همته وللشيخ أيده الله فى الوقوف على ما طلب والاجابة ان نشط رأيه الموفق ان شاء الله

(وله الى أبى نصر الميكالى)

كتابى ابداه الله الامير وبودى ان أكونه فاسعد به دونه ولكن الحريص محروم ولو بلغ الرزق فاه لولى قفاه فرق الله بين الايام تفريقها بين الكرام والهمذانى يورد بعقل ويصدر بتمييز وما ذلك على الله بعزيز أنافى مفاتحة الامير بين ثقة تعد وبدر تعد ولم لا يكون ذلك والبحر وان لم أره فقد

وعمّت فيك أرواح الصبا * ينأرّجن بأنفاس الخزامى

قد قضى حفظ الهوى أن تصبحى * للمحبين مناخا ومقاما

وبجرعاء الحمى قلبى فعج * بالحمى واقر على قلبى السلاما

وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم أقاما

قل لجيران الغضى آهاً لى * طيب عيش بالغضى لو كان داما

حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا اوثماما

وابعثوا اشباحكم لى فى الكرى * ان أذنتم لجفونى ان تناما

ومن الغايات فى باب الانسجام قول الواوا الدمشقى

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه

وحدثاه وقولا فى حديثكما * مابال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا فى ملاطفة * ماضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما فى وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

ومثله فى اللطف ورقة الانسجام قول الارّجانى

حيتك غادية الهوى من مربع * رجعت عهودى فيك أم لم ترجع

ما أسأروا فى كاس دمعى فضلة * عنهم فأجعلها نصيب المربع

لم يكفنى الاحديث فراقهم * لما أسرّ به الىّ مودعى

هو ذلك الدرّ الذى ألقيتم * فى مسمعى ألقيته من أدمعى

ومثله قوله

عوجا عليها أيها الركب * لا عار أن يتساعد الصحب

قد كان لى قلب ولا ألم * واليوم لى ألم ولا قلب

ومثله قوله

أما الفؤاد فانهم ذهبوا به * يوم النوى فبقيت صفر الاضلع

فكأننا لما عقدنا للنوى * حلفا بغير رهائن لم يقنع

فرهينتى معهم فؤادى دائما * والطيف من سلمى رهينتهم معى

ومثله فى اللطف قول الطغرائى

خبروها أنى مرضت فقالت * أضنى طارفا شكا أم تليدا

وأشاروا بأن تعود وسادى * فأبت وهى تشتهى أن تعودا

وأتتنى فى خفية وهى تشكو * ألم البعد والمزار البعيدا

ورأتنى كذا فلم تتمالك * أن أمالت علىّ عطفا وجيدا

والطف منه بل من النسيم قوله

بالله يا ريح ان مكنت ثانية * من صدغه فأقيمى فيه واستترى

وراقبى غفلة منه لتنتهزى * لى فرصة وتعودى منه بالظفر

وباكرى ورد عذب من مقبله * مقابل الطعم بين الطيب والخصر

سمعت خبره ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره واذا لم القه فلا اجهل خلقه وما وراء ذلك من تالد اصل ونشب وطارف فضل وأدب وبعد همة وصيت معلوم تشهد بذلك الدفاتر والخبر المتواتر وتنطق به الاشعار كما تختلف عليه الآثار والعين أقل الحواس ادراكا والآذان أكثرها استمساكا وان بعدت الدار أيضا فلا ضير ان أيسر البعدين بعد الدارين وخير القربين قرب القلبين وان لم تكن معرفة فستكون ان شاء الله الرقاعة أيد الله الامير رقعة واسعة أناف أنواعها بانعة وههنا نادرة واقعة لم نرها فى نوادر ابن الاعرابى ولا فى املاآت الصولى ولا فى غريب المصنف ولا فى ثالى

ولا تمسى عذاريه فتفتضحى * بنفحة المسك بين الورد والصدر
وان قدرت على تشويش طرته * فشوشيها ولا تبقى ولا تذرى
ثم اسلكى بين برديه على مهل * واستبضعى واتثنى منه على قدر
وتبهيقى دون القوم واتفضى * على والليل فى شك من السحر
لعل نفحة طيب منك ثانية * تقضى لبانة قلب عاقر الوطر

ومن برع فى الطريق الغرامية وأينع زهر نظمه فى حدائق الانسجام بها الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله تعالى قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله كان الشيخ تقى الدين مع زهده وعفته مغرما بحب الجمال وكان يغنى بشعره الغرامى فى عصره لرقة انسجامه وعذوبة ألفاظه وقال الشهاب محمود كان الشيخ تقى الدين يكره مكانا يكون فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطى معروف وهو ان لا يحضر فى المجلس امرأة وكنا يوما فى دعوة فاحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء يقطعنه ويجعلنه فى الصحون فلما حضر بعد ذلك تقزز منه وقال كيف يؤكل وقد لمسنه بأيديهن وذكر أبو حيان أنه لما توفى بالقاهرة رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة قال أبو محبوبه والله ما أدفنه الا فى قبر ولدى فانه كان يهواه فى الحياة وما أفرق بينهما فى الممات هذا لما كان يعهده من دينه وعفافه فمن انسجاماته الغرامية

أنعم بوصلك لى فهذا وقته * يكفى من الهجران ما قد ذقته
أنفقت عمرى فى هواك وليتنى * أعطى وصولا بالذى أنفقته
يامن شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال فى ميدان حبك فارس * بالصدق فيك الى رضاك سبقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبرى فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى وملك يدى وما أعتقته
أوقيل مشتاق اليك فقل لهم * أدرى بذا وأنا الذى شوقته

وما ألطف ما قال منها

ياحسن طيف من خيالك زارنى * من عظم وجدى فيه ما حققته
فمضى وفى قلبى عليه حسرة * لو كان يمكننى الرقاد لحقته

قلت ما نفثات السحر اذا صدقت عزائمها بأوصل الى القلوب من هذه النفثات ولا السلاف ظلم الحباب مع حلاوة التقبيل عذوبة هذه الرشفات وعدوا من المرقص الغرامى فى باب الانسجام قول ابن الخياط الدمشقى

أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

ومثله قول ظافر الحداد وقد عدوه من المرقص

ونفر صبح الشيب ليل شبيبتى * كذا عادتى فى الصبح مع من احبه

ومثله قول خالد الكاتب وعدوه من المطرب

غيرها من كتب الادب وهى ان شيخنا ابا نصر بن دوسنام سألنى طول هذه المدة مكاتبة تلك السدة مستشفعا بكتابى الى الخلق العظيم والعلق الكريم والفضل الجسيم وكل شئ على الميم فى باب التفخيم وبى ان أعرف شغل شاغل وحتى أقبل وادخل دخولا معلوما لا يقتضى لوما ولا تظنن الا الجميل وعرفته ان الهمار نفسه ثم رفسه والمرء وجوده ثم جوده وشفيع لا يعرف غريب ولكنه من غريب الحديث لا من غريب الحديث فأبى الا ان افعل وقد فعلت على السخط من القرط فان قبلت الشفاعة فالجد يأبى الا ان يعمل عمله وان ردت فليست كلمة السوء مثله والسلام

(وله أيضا)

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

ومثله قول راجح الحلى وعدوه من المرقص

ياليل طلت ولم ترق لمغرم * لم يظلموا اذ لقبوك بكافر

ومثله قول ابن نبى وهو معدود من المرقص

باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق

ويعجبنى فى هذا الباب قول النجيب بن الدباغ وهو معدود من المرقص

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللسوالنا وللاكؤس
ولئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة فى المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * فى الحب فلتك من عيون النرجس

وعدوا من مرقصات الطريق الغرامية قول القائل

أستغفر الله الامن محبتكم * فانها حسناتى حين القاه
فان يقولوا بأن العشق معصية * فالعشق أحسن مايعصى به الله

ومن مطرب الانسجام الغرامى قول علية بنت المهدى

وأحسن أيام الهوى يومك الذى * تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

ومثله من المطرب قول الحسين بن الضحاك

له عبثات عند كل تحية * بعينيه تستدعى الحليم الى الوجد
رعى الله عصرا لم نبت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ومن الغايات فى هذا الباب اعنى الانسجام الغرامى ما كان يكثر من الترنم به أبو القاسم القشيرى وهو

لو كنت ساعة بيننا مابيننا * وشهدت حين نكرر التوديعا
أيقنت أن من الدموع محدثا * وعلمت أن من الحديث دموعا

ومثله قول خالد الكاتب

بكى عاذلى من رحمتى فرحمته * وكم مثله من مسعد ومعين
ورقت دموع العين حتى كأنها * دموع دموعى لادموع جفونى

ويعجبنى من هذا الباب قول اسحق بن ابراهيم الموصلى

على عصر أيام الصبابة والصبا * ووصل الغوانى والتذاذى بالشرب
سلام امرئ لم تبق منه بقية * سوى نظر العينين أو شهوة القلب

ومن غراميات القاضى الفاضل فى باب الانسجام قوله

ترى لحنينى أو حنين الحمائم * جرت فحكت دمعى دموع الغمائم
وهل من ضلوع او ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم
لقد ضعفت ريح الصبا فوصلتها * فنى لا منها هبوب السمائم
دعوا نفس المقروح يحمله الصبا * وان كان يهفو بالغصون النواعم

مثلى أيد الله القاضى مثل رجل من أصحاب الجراب والمحراب تقدم الى القصاب يسأله فلذة كبد فسدها باليسرى فاه وأوجع بالاخرى قفاه فلما رجع الى مسكنه كتب اليه توقيعا يطلب حلا رضيعا كذلك انا وردت فلا اكرام بالمام ولا صلة بسلام ولا تعهد بغلام فلما وجدته لايبالى بسبالى كاتبته اشفع لسواى وهو موصل رقعتى هذه وله خصم بينهما قصة لا أسأله فى البين الا الاصلاح الجانبين والسلام

(وله أيضا)

النادرة أطال الله بقاء القاضى تطى ولاتخطى وفى مضحكات الاحاديث ان عدة من المخانيث قدموا الى أمير فضرب أحدهم بالسياط وهو ينشده بالله العظيم وكتابه الكريم

تأخرت في حمل السلام عليكم * لدينا لما قد حملت من مغانم
فلا تسمعوا الاحاديث الناظري * يعاد بالفاظ الدموع السواجم

ومثله قوله

ياطرف مالك ساهد في راقد * ياقلب مالك راغب في زاهد
من يشتري عمري الرخيص جميعه * من وصلك الغالي بيوم واحد
عاتبته فتوردت وجناته * والقلب صخر لا يلين لقاصد
فنظرت من ذي في حرير ناعم * وضربت من ذا في حديد بارد

ويعجبني من غراميات البهاء زهير قوله

عتبتكم عتب المحب حبيبه * وقلت بادلال فقولوا باصغاه
لعلكم قد صدكم عن زيارتي * مخافة أمواه الدموع وأنواء
فلو صدق الحب الذي تدعونه * وأخلصتم فيه مشيتم على الماء
وان تك أنفاسي خشيتم لهيبها * وهالتكم نيران وجدي باحشائي
فكونوا رفاعيين في الحب مرة * وخوضوا لظى نار لشوقي حمراء

وألطف منه وأعجب قوله

نعيش أنت وتبقى * أنا الذي مت عشقا
حاشاك يا نور عيني * تلقى الذي أنا ألقى
ولم أجد بين موتي * وبين هجرك فرقا
يا أنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يارب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من أكرم الناس خلقا
لك الحياة فاني * أموت لا شك حقا
يا ألف مولاي مهلا * يا ألف مولاي رفقا
قد كان ما كان مني * والله خير وأبقى

ومثله قوله

أنت الحبيب الاول * ولك الهوى المستقبل
عندي لك الود الذي * هو ما عهدت وأكمل
القلب فيك مقيد * والدمع منك مسلسل
يا من يهدد بالصدو * د نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك في الهوى * لكنني أتعلل
نفدت معاذيري التي * ألقى بها من يسأل
حتام أكذب للورى * والى متى أتحمل
قل للعذول لقد أطلـ * ـت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوي * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول أخف من * غضب الحبيب وأسهل

ورسوله الامين ويذكره
الدين وحرمة المسلمين
والسباط توفيه نصيبه
والمخنث يجعل الله حسيبه
ثم قدم الباقون فعمل بهم
ما فعل بصاحبهم فقال
الاخير يا حسير كذا يحلف
الامير اصبروا حتى أتقدم
واسمعوا حتى أتكلم فلما
جرد للسباط قال أيها الامير
بحياة والدتك الا عفوت
عني فقد أخذ الخوف مني
فغضب الامير وقال علي
بالسباط حتى يلج الجمل في
سم الخياط مالك ولذكر
الحرم خلقه المخنث بطرتها
ثم بغرتها ثم صار الى
نغرتها ثم تدحرج الى سرتها
فلما انتهى الى السرة أشفق
الامير على الحرة فقال خلوه
قد والله بلغت السرة او زدت
وصرت الى الدرة او كدت
وماذا بعد الحق الا الضلال
وهل بعد الشر الا النكال

ومن انسجاماته التي تكاد ان لا تكون موزونة

ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
لو رأيتم محاكم * من فؤادي لسركم
لو أمرتم بما عسى * ما تعديت أمركم
قصروا مدة الجفا * طول الله عمركم
شرفوني بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بأنكم * شهركم لي ودهركم
قد نسيتم وانما * أنا لم أنس ذكركم
وصبرتم وابتلي * كنت أعطيت صبركم
ورأيتم تجلدي * في هواكم فسركم
لو وصلتم محبكم * ما الذي كان ضركم

ومن انسجاماته التي هي في غاية الظرف

ياقلب بعض الناس هل * للضيف عندك زاويه
اني ببابك قد وقفت عسى ترق جوانبه
ياملبسي ثوب الضنا * يهناك ثوب العافيه
لم يبق مني في القميص سوى رسوم باليه
وحشاشة ما أبقت الأ شواق منها باقيه
يامن اليه المشتكى * أنت العليم بحاليه
واليك عني ياغرا * م فقد عرفت مكانيه
فكأنما لك قد قعد * ت على طريق القافية
من لي بقلب اشتريـ * ـه من القلوب القاسيه
مولاي ياقلبي العزيـ * ـز وياحياتي الغاليه
اني لأطلب حاجة * ليست عليك بخافية
انعم على بقبلة * هبة والا عاريه
وأعيدها لك لاعدمـ * ـت بعينها وكما هيه
واذا أردت زيادة * خذها وزدني راضيه

ومثله قوله في هذا الروي

قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
وتفوح من عطفي أنفا * س الشباب كما هيه
ويميل بي نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديـ * ـم بقية في الزاويه

لا يفعل القاضي أيده الله آخر السرة أول الفترة ماله ولاصحاب الحديث والله لينتهين عن علمائهم وهو كريم أو لينتهين وهو لئيم وهذا الفقيه ميمون وان بعد عن داره فلم يبعد عن مقداره وان لم تحضر أقاربه فهذى عقاربه افظه أف فان لم تغن فلا ميدة الا الكف ثم الله أعلم بما في الخلف والشر قبيح أنواعه فليكف عنه سماعه ووراء هذه الجملة تفصيل وهم طويل وقال وقيل وخطب ثقيل فان أراح ارحت وان أحوج شرحت والسلام

(وله أيضا)

الاستاذ الزاهد يأمر غاشية مجلسه ان يفتشوا أعطاف المقابر وزواياها فان وجدوا قلبا فريحا يحمل وذا صحيحا وكبدا دامية تنقل محبة نامية فانا ضيعتهما بالامس

ومن غراميات الحاجري فى هذا الباب

لك أن تشوقنى الى الاوطان * وعلىّ أن أبكى بدمع قان
ان الذى رحلوا غداة المحنى * ملؤا القلوب لواعج الاشجان
فلا بعثن من النسيم اليهم * شكوى تميل لها غصون البان
نزلوا برامة فاطنين فلا تسل * ماحل بالاغصان والغزلان

وقد تقدم قولى ان الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة * سقى الله من غيث الرحمة ثراه * هو غيث هذا الانسجام * وغريم هذا الغرام * فى انسجاماته الغرامية الموعود بايرادها قوله

حديثى فى المحبة ليس يشرح * فدعنى من حديث اللوم واسرح
فما لك مطمع ببراح قلبى * عن الحب الذى أعيا وبرّح
فكم من لائم أنحى الى أن * تأمل من هويت فما تنحنح
فبالله ما أشهى وأبهى * وبالله ما أحلى وأملح
له طرف يقول الحرب أحرى * ولى قلب يقول الصلح أصلح
سألت سواره المثرى فنادى * فقير وشاحه الله يفتح
وماس من القوام بغصن بان * اذا أنشدت أغزالى ترنح
وحيانى بألحاظ مراض * صحيحات فأمرضنى وصحح
أعاتبه فلا يصغى لعتبى * ولا أسلو فأتركه وأربح

ومن غايات انسجامه قوله

كم شرحت من وجد * كم سفحت من دمعه
كم بعثت من رسل * دفعة على دفعه
بنتم واعرضتم * ما أمرّها جرعه
هل عليكم باس * فى المقال بالرجعه
قد ججبت مغنا كم * لاتحرموا المتعه
تركه سنتى فيكم * سادتى من البدعه
هذه صبابتى * والوصال فى منعه
كيف لو تعلمتم * غير هذه الصنعه
يامليك قلبى خذ * ما يليه بالشفعه
واس بيننا أولا * ردنا الى القرعه
لاتحل عن قلبى * ليس فيه من نجعه
قد ترك أردانى * من مدامعى نقعه
ما لناظرى كحل * غير هذه الطلعه

ومثله قوله

خبروه تفصيل حالى جمله * فعساه يرق لى ولعله

على ذلك الرمس رضى الله عن وديعته وعنا معاشر شيعته فيأمر بردهما الىّ فلاخير فى الاجساد خالية من الفؤاد عاطلة من الاكباد وأبو الحسن الهمذانى موصل رقعتى هذه له قصة يعرضها وحاجة انا أفرضها تلميذ قد تطرف بيوته وتحيف حانوته ولجأ من الاستاذ الى حصن منيع ولجأ الاستاذ منه الى أمر شنيع وهو أيده الله قد عرف ظاهر هذا الحروان لم يعلم باطنه وعلم سيرته وان لم يعلم سريرته وأيقن أنه لولم يدع الكذب ديانة لتركه امانة وصيانة فان حرفته لاتحتمل غير العصمة ثم يرضى بعد ألف مكاس راسا براس ويردفضل صفقتين ويحمد الله عليه ما بركعتين والله يوفق الاستاذ لما يأتيه ويذره فنعم الرفيق التوفيق والسلام

كم تعمضت اذ تبدى حذارا * من رقيبى وكم تكلفت سهله
ليس لى عن هدى هواه ضلال * أكثر اللوم عاذلى أو أقله
ركبت فى جبلتى نشوة العشق وصعب تغيير ما فى الجبله
سادتى عاودوا رضا كم وعودوا * عن جفا كم فباقى فى فضله
ذبت شوقا فعاملونى بقرب * مت عشقا فخطونى بقبله
واشغلونى عن لائم ما أتانى * برشاد أتته آفة عقله
قلت بالله خلنى فتمادى * وقليل من يترك الشرثله

ومثله قوله

صب أخذ الهوى زمامه * قد صار جمالكم امامه
فى حسنكم البديع شغل * عن علوة لى وعن امامه
من لى بمحجب أراه * بالفكر ولا أرى خيامه
اشدو بتغزلى لديه * فيه فيصدلى خصامه
يزهو ويقول كان ماذا * لو يترك جاهل كلامه
شبهت بالمحيى هلالا * ما كنت رضيته قلامه
والغصن حسبته شبيها * منى بتعطف وقامه
والظبى اذا رنت لحاظى * لا كيد له ولا كرامه
أفديه بمهجتى وانى * لاحسرة لى ولا ندامه
كم دعوة موعد لوصل * قامت لحضورها القيامه
اخبرت بها العذول لكن * ماقلت له كم الغرامه

ومثله قوله

لا تعاتبنى فلا عتب على * خرج الامر وعقلى من يدى
ليس للنصح قبول يرتجى * عند شيخ هام وجدا بصبى
وأرى لومك يغرينى به * لا تزدنى أو فزدنى يا أخى
انا فى الحب امام فاذا * صرت من اتباعه فاخضع لدى
لا تسل غيرى فى شرع الهوى * وخذ التنزيل فيه عن أبى
خلق أنى شحيح بهم * ويروى لهم حاتم طى
فاختصر فى شرح أشواقى فان * رمت اسهابا فخذ كل مقلتى
سادتى فارقتكم فاستلبت * بنوا كم راحتى من راحتى
فاجبروا قلبى بشئ منكم * فلقد أوتيتم من كل شئ
سادتى منكم غرير أغيد * فيه ما يشغل عن هند ومى
قلت قد أضنيت جسمى قال قد * قلت كى تذهب روحى قال كى
قلت أفديك بنفسى قال مه * ما اليك الامر فيها بل الى

ومثله قوله من أبيات يخاطب العذول

(وله أيضا الى أخيه)

كأنى أطال الله بقاءك ونحن وان بعدت الدار ذرعا نبعه فلا تحسبن بعدى على قربك ولا تمحون ذكرى من قلبك فالاخوان وان كان أحدهم بخراسان والآخر بالحجاز مجتمعان على الحقيقة مفترقان على المجاز والاثنان فى المعنى واحد وفى اللفظ اثنان وما بينى وبينك الاستر طوله فتر وان صاحبنى رفيق اسمه توفيق انلتقين سريعا ولنسعدن جميعا والله ولى المأمول جعلت فداك الشقيق سيئ الظن وما أحوجنى الى ان أراك ولا قرابة الا الاخوة وتلك والله يعيذك نازلة الدهر وقاصمة الظهر وان يشأ الله يمنحك سنا وينيلك تياتا حسنا والله أولى بك من أخيك وهو حسبى فيك فاستعن بالله وحده أليس الله بكاف عبده والسلام

أراك بخيلا بعونى فهبنى ... سكوتك عنى اذا لم تعنى
ذممت الهوى ورجوت السلو ... فأبكيت عينى واضحكت سنى
فان عفت شربى من خرقى ... فدعنى ما بين كأسى ودنى
واياك عربدتى فاخشها ... فانى قد أخذ السكر منى

ويعجبنى من انسجامات ابن سنا الملك قوله

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى ... فقبلته فى الثغر تسعين أو احدى
وأبصرت فى خده ماء وخضرة ... فما أملح المرعى وما أعذب الوردا
تلهب ماء الخد أوسال جمره ... فيا ماء ما أذكى ويا جمر ما أندى
أقول لنا قد أشار بطرفه ... لقد زدتنى فيما أشرت به زهدا
فلم لانهيت الثغر أن يفضح الدمى ... ولم لا أمرت الصبر أن يكتم النهدا
وأقسم ما عندى اليه صبابة ... وكيف وجور الشوق لم يبق لى عندا
وفى القلب نيران الخليل توقدت ... وما ذقت منها لا سلاما ولا بردا

ومنه قوله ويعجبنى الى الغاية

نعم المشوق وأنعم المعشوق ... فالعيش كالخصر الرقيق رقيق
خصر أدير عليه معصم قبلة ... فكأن تقبيلى له تعنيق
ونعم لقد طرق الحبيب وماله ... الا خدود العاشقين طريق
فرشوا الخدود طريقه فكأنما ... زفرا تهم لقدومه تطريق
وافى وصبح جبينه متنفس ... وأتى وجيد رقيبه مخنوق
فصنعت فيه صناعة شعرية ... فالصدر يرحب والعناق يضيق

ومنه قوله وهو فى غاية الظرف

لا أجازى حبيب قلبى بجرمه ... انا أحنى عليه من قلب أمه
ضن عنى بريقه فتحيلت الى ان سرقته عند لثمه
والى اليوم من ثلاثين يوما ... لم تزل من فمى حلاوة طعمه
ان قلبى لصدره وزغادى ... ملك أجفانه وروحى لجسمه
يكسر الجفن بالفتور ومالى ... عمل وقت كسره غير ضمه

ومن غراميات الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله فى باب الانسجام

عفا الله عن قوم عفا الصبر منهم ... فلو رمت ذكرى غيرهم خاننى الفم
تجنوا كأن لا ود بينى وبينهم ... قديما وحتى ما كأنهم هم
وبالجزع أحباب اذا ما ذكرتهم ... شرقت بدمع فى أواخره دم
ومشبوب نارى وجنة وجناية ... تعلمه ألحاظه كيف يظلم
ألم ومالى الركب منا متيم ... وعاد وما فى الركب الا متيم
وليس الهوى الا التفاتة طامع ... يروق لعينيه الجمال المنعم
خليلى ما للقلب هاجت شجونه ... وعاوده داء من الشوق مؤلم

(وله الى ابن أخته)

كتابى وقد ورد كتابك بما ضمنته من تظاهر نعم الله عليك وعلى أبويك فسكنت الى ذلك من حالك وسألت الله ابقاءك وان يرزقنى لقاءك وذكرت مصابك بأخيك فكان افتت عضدى وطعنت فى كبدى فقد كنت معتضدا بمكانه والقدر جار لشانه وكذا المرء يدبر والقضاء يدمر والآمال تنقسم والآجال تبتسم والله يجعله فرطا ولا يرينى فيك سوءا أبدا وأنت أبدك الله وارث عمره وسداد ثغره ونعم العوض بقاؤك ان الاشياء اذا أصاب مشذبا منه أعلى ذرى وأثأ أسافلا وأبوك سيدى أيده الله وألهمه الجميل وهو الصبر وآتاه الجزيل وهو الاجر وأمتعه بك طويلا فانوت بديلا أنت ولدى ما دمت والعلم شانك والمدرسة

أظن ديار الحى مناقرية * والا فنها نفحة تتنسم

ومثله قوله

لاتخف مافعلت بك الاشواق * واشرح هواك فكلنا عشاق
فعسى يعينك من شكوت له الهوى * فى حمله فالعاشقون رفاق
لاتجزعن فلست أول مغرم * فتكت به الوجنات والاحداق
واصبر على هجر الحبيب فربما * عاد الوصال وللهوى أخلاق
كم ليلة أسهرت أحداقى بها * وجدا وللافكار بى احداق
يارب قد بعد الذين أحبهم * عنى وقد ألف الفراق فراق
واسود حظى عندهم لما سرى * فيه بنار صبابتى احراق
عرب رأيت أصح ميثاقهم * أن لا يصح لديهم ميثاق

ومثله قوله

بثنى قوامك المشوق * وبأنوار وجهك المعشوق
وبعينى للحسن مبتكر فيك * وقلب كقلبى المحروق
جد بوصل أو زورة او بوعد * أو كلام أو وقفة فى الطريق
أو بارسالك السلام مع الريح * والا فبالخيال الطروق

ويعجبنى فى هذا المعنى على هذا الطريق قول بعض المواليا

زر شهر فى عام يامن قد غلا فى السوم * او يوم فى شهر احلى من صدودك دوم
وان عز هذا وهذا ياعزيز القوم * فى الدهر ساعه وان لم ترتضى فى النوم

ومن ألطف انسجامات ابن العفيف قوله أيضا

لى من هواك بعيده وقريبه * ولك الجمال بديعه وغريبه
يامن أعيذ جماله بجلاله * حذرا عليه من العيون تصيبه
ان لم تكن عينى فانك نورها * أو لم تكن قلبى فأنت حبيبه
هل حرمة أو رحمة لمتيم * قد قل فيك نصيره ونصيبه
ألف القصائد فى هواك تغزلا * حتى كأن بك النسيب نسيبه
لم يبق لى سر أقول تذيعه * عنى ولا قلب أقول تذيبه
دع لى فؤادا بالغرام تشبه * واستبق فودا بالصدود تشيبه
كم ليلة قضيتها متسهدا * والدمع يجرح مقلتى مسكوبه
والنجم أقرب من لقاك مناله * عندى وأبعد من رضاك مغيبه

ومثله قوله

رشيق القامة النضره * لقد أصميت بالنظره
وقد سودت حظى منك * يا أبهى الورى غزه
سواد الخال والمقله * مع العارض والطره
قديم الهجر هل اقتى * قديم فى الهوى هجره

مكانك والدفتر نديمك وان قصرت ولا خالك فغيرى خالك والسلام

(وكتب الى والده)

كتابى اطال الله بقاء الشيخ وتواترت الاخبار من قبل أنه وارد لامحالة وتلقيت هذه الحالة بمقتضاها شكرا وصدقة ثم ورد كتابه بان الامر فى ذلك فتر لعارض علة ذكر فقسمت قلبى جزءين وماحال الواحد بين اثنين أحدهما يبكيه والآخر يشكيه وقلت العافية والزم الناحية ولم يرد كتابه بعد بذكر السلامة وقد علم مابين الجوانح من قلق وتحت الترائب من حرق حتى اسمع بالسلامة افيضت عليه وقد خرج القاضى أبو ابراهيم حاجا فان رأى أو فعل نعمه اذا فعل وان ابى وقعد فقد أقلته عما وعد لا يزعجنى بعد بوعد والسلام

وكم تلقاه بالايعا * د والابعاد والنفره
وكم يشكو ولا نطر * ح فى قفته كسره
رأينا من جفا وجنى * ولكن زدت فى كثره
فهل تمنح أو تسمـ * ـح بالوصل ولو مره
فقد أصبحت لا املـ * ـك من صبرى ولا ذره
وقد صيرنى هجر * ك فى كس اخت من اكره

ومن انسجاماته الرقيقة قوله

حتام حظى لديك حرمان * وكم كذا لوعة وهجران
أين ليال مضت ونحن بها * أحبة فى الهوى وجيران
وأين ود عهدت صحته * وأين عهد وأين أيمان
قد رضى الدهر والعواذل والـ * ـحساد عنا وأنت غضبان
فاسلم ولا تلتفت الى مهج * بها جوى قاتل وأشجان
ونم خليا وقل كذا وكذا * من كل من أطلعت تلمسان

ومثله قوله

اعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلى ودينى
وأبقى دولة الاعطاف فينا * وان جارت على قلبى الطعين
وأسبغ ظل ذاك الشعر منه * على قد به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
حملت تسهدى والشيب هذا * على رأسى وذاك على عيونى

ومن غراميات ابن النبيه فى باب الانسجام

تعالى الله ما أحسن * شقيقا حف بالسوسن
خدود لثمها يبرى * من الاسقام لو أمكن
فما قلبى وحارسها * بقفل الصدغ قد زرفن
غزال ضيق العينيـ * ـن يسبى الرشا الاعين
له قلب وأعطاف * فما أقسى وما ألين
ولم أر قبل مبسمه * صغير الجوهر المثمن
أبث هواه من خوف * لنجم الليل لما جن
وما ينفع كتمانى * ودمع العين قد أعلن
وقد اسكنته قلبى * فسار وأحرق المسكن

ومما كتبه القاضى الفاضل بخطه وهو غاية فى باب الانسجام الغرامى وكان كثيرا ما يترنم به

(وله الى العم)

كتابى ورد كتاب العم والاسنة حشوه فرط عتاب اذلم أفرده بكتاب واصدق من الكتاب الحماسة والرحم الماسة افيظنى نسيته ان صدق هذا الظن فالماء نساه الظماء ولا رآنى الله أعود لما يكره واذا حنق وقطعت وامر واطعت رجوت لا يجد العتب مساغا سأل العم ان أبثه حالى بهذه البلاد انى فى بلاد وان لم يكن لاهلها تميز فانا بينهم عزيز يعظمونى تقليدا ويرونى فريدا والمال يجرى فيضا لكنى لا أبلعه ريقا ولا آلوه تفريقا فهو يأتى مدا ويذهب جزرا والسلطان مقبل غاية الاقبال بالجاه والمال هذه جريدة أحوالى وتفصيلها طويل واذا شئت من هذه الجراب أزن واكيل وحسبنا الله ونعم الوكيل

قصيدة القاضي المهذب بن الزبير ووجدت بخط الفاضل غير تامة وقد أثبت هنا منها ما وجد بخط الفاضل من غراميها واختصرت المديح وهو

بالله يا ريح الشما * ل اذا اشتملت الروح بردا
وحملت من نشر الخزا * مى ما اغتدى للند ندا
ونسجت ما بين الغصو * ن اذا اعتنقن هوى وودا
وهززت عند الصبح من * أعطافها قدا فقدا
ونثرت فوق الماء من * أجيادها للزهر عقدا
فلأنت صفحة وجهه * حتى اكتسى آسا وردا
فكأنما الفت فيه منهما صدغا وخدا
مرى على بردى عسا * ه يزيد فى مسراك بردا
نهر كنصل السيف تكسو متنه الازهار غمدا
صقلته أنفاس النسيم بحزهن فليس يصدا
أحبابنا ما بالكم * فينا من الاعداء أعدى
وحياة حبكم بتر * به وصلكم ما خنت عهدا

وغاية الغايات فى باب الانسجام الغرامى ما كتبه القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر الى والده القاضى محيي الدين وقد توجه صحبة الركاب الشريف الظاهرى فى مهم شريف فحصل له ضعف بدمشق المحروسة وهو

ان شئت تبصرنى وتبصر حالتى * قابل اذا هب النسيم قبولا
تلقاه مثلى رقة ونحافة * ولأجل قلبك لا أقول عليلا
فهو الرسول اليك منى ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

خطاب مثل هذا الولد لمثل هذا الوالد بقوله ولأجل قلبك لا أقول عليلا فيه ما يفتت الاكباد ويحرك الجماد سبحان المانح ان من البيان لسحرا ومن غراميات والده القاضى محيي الدين فى باب الانسجام

لا آخذ الله بذلك * فكم وشى بى عندك
وقال عنى بانى * شبهت بالغصن قدك
وأنت تعظم عندى * أن يحسى البدر عبدك
ولست والله أرضى * أن يحكي الورد خدك
فقاتل الله طرفى * فكم به نلت قصدك
ولا رعى الله قلبى * فكم رعى لك عهدك
فمن ترى أنا حتى * جعلت صدرى وكدك
وما عشقتك وحدى * بلى عشقتك وحدك
او كم أطعتك جهدى * وكم تجنيت جهدك
وبعد هذا وهذا * وذاك لا ذقت فقدك

(وله الى الشيخ ابى الطيب سهل بن محمد)

أنا أخاطب الشيخ الامام والكلام مجون والحديث شجون وقد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشئ وليس من فعله بد هذه العرب تقول لا أبا لك فى الامر اذا اهم وقاتله الله ولا يريدون الذم وويل امه للمرء اذا أهم ولأولى الالباب فى هذا الباب أن ينظروا من القول الى قائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن هذا الفقيه ميمون خبط اجواف الليل وضرب أكباد الخيل من العراق الى خراسان احبس بها ولا جرم كان لا يعدم هذا بالعراق لو اراد ولو سال القاضى بها فعل وزاد وقد شكا الى مرارا ما يستقبل به من قبيح الكلام ويعامل به من سوء اهتضام وهؤلاء

وبعجبني في هذا الباب وشاقة ناصر الدين بن النقيب بقوله

سلك الشوق بقلبي * بعدكم صعب المسالك
ورمى قلبي بنيرا * ن ولا نيران مالك
هذه بعض صفاتي * طالع العبد بذلك

وأظرف ما رأيت في باب الانسجام الغرامي المرتجل ما أورده صاحب روضة الجليس ونزهة الانيس ذكر أنه كان بافريقية رجل نبيه شاعر مفلق وكان يهوى غلاما من علمائها جميلا فاشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فانفرد بنفسه ليلة جمع فيها بين سلاف الراح وسلاف الذكر فتزايد به الوجد وقام على الفور وقد غلب عليه السكر ومشى الى أن انتهى الى باب محبوبه ومعه قبس نار فوضعه عند باب الغلام فلما دارت النار بالباب بادر الناس باطفائها واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به الى القاضي فاعلموه بفعله فقال له القاضي لأي شيء احرقت باب هذا الغلام فقال مرتجلا

لما تمادى على بعادي * وأضرم النار في فؤادي
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفي * ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي * أقل في الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذاك من مرادي

فرق القاضي لارتجاله الغرامي وتحمل عنه جناية الباب وقد انتهت الغاية بنا الى غراميات العارفين وابن الفارض هو قائد زمامها * وقتيل غرامها * فمن قوله في هذا الباب الذي ليس لغيره فيه مدخل ما ألفته من تائيته وجعلته قصيدا غراميا ينتظم بها شمل الانسجام * واذا هب نسيمها العذري تنسمت العشاق منه اخبار الغرام * وهو قوله

نعم بالصبا قلبي صبا لاحبتي * فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت
تذكرني العهد القديم لأنها * حديثة عهد من أهيل مودتي
فلي بين هاتيك الخيام ضنينة * علي بجمعي سمحة بتشتتي
محجبة بين الأسنة والظبا * اليها انثنت ألبابنا اذ تثنت
تبيح المنايا اذ تبيح لنا المنى * وذاك رخيص منيتي بمنيتي
متى أوعدت أولت وان وعدت لوت * وان أقسمت لا تبرئ السقم برت
وان عرضت أطرق حياء وهيبة * وان أعرضت اشفق فلم ألتفت
وقد سمحت عيني عليها كأنها * بها لم تكن يوما من الدهر قرت
فانسانها ميت ودمعي غسله * وأكفانه ما ابيض حزنا لفرقتي
خرجت بها عني اليها فلم أعد * الي ومثلي لا يقول برجعة
فوصلي قطعي واقترابي تباعدي * وودي صدي وابتدائي نهايتي
وفيها تلاف الجسم بالسقم صحة * له وتلاف النفس عين الفتوة
ولما تلاقينا عشاء وضمنا * سواء سبيلي ذي طوى والثنية

الصدور يرون الشمس من قبل تدور وقد رأى الشيخ احوالهم وجمع أقوالهم فلا أدرى من اكاتب في معناه وهذا القاضي أنا عنده في منزلة أقل من شيء المعتزلة ولا يسئل عما أبدى فانفصل بندى. والخلاف واقع في كل شيء الا في الحساب فلم لا يحاسب على الذرة كما يحاسب على البدرة فان أخرج الحساب عليه شيأ طولب حينئذ بمعلوم وان كان حبس للتهمة فسواد ليلة أو بياض يوم ولم أعهد الشيخ في الامور بهذا الفتور فما هذه الضراعة وأين الشفاعة وان لم تقبل فأين الشناعة الله أكبر أنا اولهم من ينعر وهذا الفقيه الزياري قد ضل فيه القياس من يستحي الله منه ولا يستحي من الناس الدبش في آداب القضاة

وضنت وما منت على بوقفة * تعادل عندى بالمعرّف وقفق
عنبت فلم تعتب كأن لم يكن لقا * وما كان الا أن أشرت وأومت
وبانت فاما حسن صبرى فخاننى * وأما جفونى بالبكاء فوفت
أغار عليها أن أهيم بحبها * وأعرف مقدارى فانكر غيرتى
وكنت بها صبا فلما تركتها * أريد أرادتنى لها وأحبت
بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة
بدت فرأيت الحزم فى نقض توبتى * وقام بها عند النهى عذر محنتى
فوقى بها وجدا حياة هنيئة * وان لم أمت فى الحب عشت بغصتى
تجمعت الاهواء فيها فلا ترى * بها غير صب لا يرى غير صبوتى
وعندى عيدى كل يوم أرى به * جمال محياها بعين قريرة
وكل الليالى ليلة القدر ان دنت * كما كل أيام اللقا يوم جمعة
واى بلاد الله حلت بها فما * اراها وفى عينى حلت غير مكة
وما سكنته فهو بيت مقدس * بقرة عينى فيه أحشاى قرت
ومسجدى الاقصى مساحب بردها * وطيبى ثرى أرض عليها تمشت
مواطن أفراحى ومربى مآربى * وأطوار أوطارى ومأمن خيفتى
مغان بها لم يدخل الدهر بيننا * ولا كادنا صرف الزمان بفرقة
ولا صحبتنا النائبات بنبوة * ولا حدثتنا الحادثات بنكبة
ولا اختص وقت دون وقت بطيبة * بها كل أوقاتى مواسم لذتى
فان رضيت عنى فعمرى كله * زمان الصبا طيبا وعصر الشبيبة
وان قربت دارى فعامى كله * ربيع اعتدال فى رياض أريضة
بها مثل ما أمسيت أصبحت مغرما * وما أصبحت فيه من الحسن أمست
فلو بسطت جسمى رأت كل جوهر * به كل قلب فيه كل محبة
وقد جمعت احشاى كل صبابة * بها وجوى ينبيك عن كل صبوة
وكنت أرى أن التعشق منحة * لقلبى فما ان كان الا لمحنتى
ألا فى سبيل الحب حالى وما عسى * بكم ان القى لو دريتم أحبتى
اخذتم فؤادى وهو بعضى عندكم * فما ضركم لو كان بعضى جملتى
وهى جسدى مما وهى جلدى لدى * تحمله يبلى وتبقى بليتى
ومنذ عفا رسمى وهمت وهمت فى * وجودى فلم تظفر بكونى فكرتى
وبالى أبلى من ثياب تجلدى * بل الذات فى الاعدام نيطت بلذتى
كأنى هلال الشك لولا تأوهى * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتى
وقالوا جرت حمرا دموعك قلت عن * أمور جرت فى كثرة الشوق قلت
نحرت لضيف السهد فى جفنى الكرى * قرى فجرى دمعى دما فوق وجنتى
فطوفان نوح عند نوحى كأدمعى * وايقاد نيران الخليل كلوعتى

وفى لمته البيضاء ما يصونه
عن الابتذال نسأل الله
رأيا يستمد وسترا يمتد
ووجها لا يسود والسلام

(وله اليه رقعة)

بالعباد الله القرض ولا
هذا الرحض والزاد
ولا هذا الكساد أمرض
ولا أعاد اذا شبع الزنجى
نال على القر وهذا بول على
الجمر ويوشك أن يكون له
دخان يقول الشيخ الجليل
الامام لو سمعت بمرضه
لا تنهيت الى غرضه اذا
لا أؤاخذه بالجرم ولا اسامحه
العذر وكانى به يقول اتدارك
الآن اذا يجدنى ملآن
عربدة لا حقيقة لها
وموجدة ما خلق الله
اصلها فما أجد منه مفرا
ولا عند غيره مستقرا

ولو لا زفيرى أغرقتنى أدمعى * ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى
وحزنى ما يعقوب بث اقله * وكل بلا أيوب بعض بليتى
وكل أذى فى الحب منك اذا بدا * جعلته شكرى مكان شكيتى
نعم وتباريح الصبابة ان عدت * على من النعماء فى الحب عدت
وعنوان ما بى ما أبثك بعضه * وما تحته اظهاره فوق قدرتى
واسكت عجزا عن أمور كثيرة * بنطقى لن تحصى ولو قلت قلت
وعن مذهبى فى الحب مالى مذهب * وان ملت يوما عنه فارقت ملتى
هو الحب ان لم تقض لم تقض مأربا * من الوصل فاختر ذاك أو خل خلتى
ودع عنك دعوى الحب واختر لغيره * فؤادك وادفع عنه غيك بالتى
وجانب جناب الوصل هيهات لم يكن * وها أنت حى ان تكن صادقا مت
وقالوا تلاف ما بقى منك قلت لا * اراني الا التلاف تلقتى
غرامى أقم صبرى انصرم دمعى انسجم * عدوى انتقم دهرى احتكم حاسدى اشمت
ويا نار أحشائى أقيمى من الجوى * حنايا ضلوعى فهى غير قويمة
ويا جسدى المضنى تسل عن الشفا * ويا كبدى من لى بان تتفتت
ويا كلما أبقى الضنى منى ارتحل * فمالك مأوى فى عظام رميمة
وماذا عسى عنى أناجى توهما * بياء النداء أونست منك بوحشتى
فنفسى لم تجزع باتلافها أسى * ولو جزعت كانت بغيرى تأست
فيا لقسمى لا تبق لى رمقا فقد * أبيت لبقيا العز ذل التقية

ومن غرامياته التى خلبت القلوب * وعرف العارفون بها طريق التوصل الى معرفة المحبوب * قوله من قصيدة

اهفو الى كل قلب بالغرام له * شغل وكل لسان بالهوى لهج
وكل سمع عن اللاحى به صمم * وكل جفن الى الاغفاء لم يعج
لا كان وجد به الآماق جامدة * ولا غرام به الاشواق لم تهج
عذب بما شئت غير البعد عنك تجد * أوفى محب بما يرضيك مبتهج
وخذ بقية ما أبقيت من رمق * لا خير فى الحب ان أبقى على المهج
من لى باتلاف روحى فى هوى رشا * حلو الشمائل بالارواح ممتزج
من مات فيه غراما عاش مرتقيا * ما بين أهل الهوى فى أرفع الدرج

وما احلى ما قال منها

قل للذى لامنى فيه وعنفنى * دعنى وشأنى وعد عن نصحك السمج
فاللوم لؤم ولم يمدح به أحد * فهل رأيت محبا بالغرام هجى

منها

لم أدر ما غربة الاوطان وهو معى * وخاطرى أين كنا غير منزعج
فالدار دارى وحبى حاضر ومتى * بدا فمنعرج الجرعاء منعرجى

ولكنه نغنة مصدور ونفثة مهموم والسلام

(وله الى الشيخ ابى النصر)

كالى اطال الله بقاء الشيخ والماء اذا اطال مكثه ظهر خبثه واذا سكن متنه تحرك نتنه كذلك الضيف يسمج لقاؤه اذا طال ثواؤه ويثقل ظله اذا انتهى محله وقد حلبت اشطر خمسة اشهر بحراه ولم تكن دار مثلى لولا مقامه وما كانت تسعنى لولا امامه ولى فى تنتين مثل صدق وان صدرا صدر عشق وادنيتنى حتى اذا ما ملكتنى بقول يحل العصم سهل الاباطح تجافيت عنى حيث لا لى حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح ثم قنصتنى نعم الشيخ فلما علق الجناح وقلق البراح طار مطار الريح بل مطار الروح وتركنى بين قوم

منها

ليهن ركب سروا ليلا وأنت بهم * فسيرهم فى صباح منك منبلج
فليصنع الركب ماشاؤا لأنفسهم * هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وما ألطف ما قال منها

اهلا بما لم اكن أهلا لموقعه * قول المبشر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ماعليك فقد * ذكرت ثم على مافيك من عوج

ومثله فى الرقة والانسجام قوله من قصيد

ابق لى مقلة لعلى يوما * قبل موتى أرى بها من رآكا
اين منى مارمت هيهات بل أيـ * ـن لعينى باللحظ لثم ثراكا
وبشيرى لوجاء منك بعطف * ووجودى فى قبضتى قلت هاكا
قد كفى ماجرى دما من جفون * لى قرحى فهل جرى ما كفاكا
فأجر من قلاك فيك معنى * قبل أن يعرف الهوى يهواكا
بانكسارى بذلتى بخضوعى * بافتقارى بفاقتى لغناكا
لاتكلنى الى قوى جلد خا * ن فانى أصبحت من ضعفاكا
كنت تجفو وكان لى بعض صبر * أحسن الله فى اصطبارى عزاكا
كم صدود عساك ترحم شكوا * ى ولو باستماع قولى عساكا
شنع المرجفون عنك بهجرى * وأشاعوا أنى سلوت هواكا
ماباحشائهم عشقت فاسلو * عنك يوما دع يهجروا حاشاكا
كيف أسلو ومقلتى كلما لا * ح بريق تلفتت للقاكا
كل من فى حماك يهواك لكن * انا وحدى بكل من فى حماكا

ومن كاساته الغرامية التى سكر العشاق بقديمها وحديثها قوله

ادر ذكر من أهوى ولو بملام * فان أحاديث الحبيب مدامى
فلى ذكرها يحلو على كل صيغة * ولو مزجوه عذلى بخصام
كأن عذولى بالوصال مبشرى * وان كنت لم أطمع برد سلام

وما ابدع وارق ما قال منها

يشف عن الاسرار جسمى من الضنا * فتغدو بها معنى نحول عظامى
طريح جوى حب جريح جوارح * قريح جفون بالدوام دوامى
صحيح عليل فاطلبونى من الضنى * ففيها كما شاء النحول مقامى

منها

فلى كل عضو فيه كل حشا بها * اذا نظرت أغراض كل سهام
ولو بسطت جسمى رأت كل جوهر * به كل قلب فيه كل غرام

ومن غرامياته التى يحرك الجماد رقتها قوله من قصيد

مالى سوى روحى وباذل نفسه * فى حب من يهواه ليس بمسرف

ينقض منهم الطهارة وتوهن اكفهم الحجارة حدثت عن هذا الخليفة لابن الجيفة انه قال قضيت لفلان خمسين حاجة منذ ورد هذا البلد وليس يقنع فما أصنع فقلت يا أحق ان استطعت ان تراني محتاجا فاستطع ان اراك محتاجا اليك اف لقولك وفعلك ولدهر احوج الى مثلك انا اسأل الشيخ ان يبيض وجهى بكتاب يسود وجهه ويعرفه قدره ويلا رعبا صدره الى ان يبين على صفحات جنبه آثار ذنبه وله فيما يفعل رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ ابى العباس)

رقعتى هذه عزيز على ان لا اسعد دون هذه الرقعة بتلك البقعة وكنت

فلئن

فلئن رضيت بهِ القدا اسعفتني * ياخيبة المسعى اذا لم تسعف

وما أعجب ما قال منها

يا أهل ودّي انتم أملي ومن * ناداكم يا أهل ودّي قد كفي
عودوا لما كنتم عليه من الوفا * كرما فاني ذلك الخلّ الوفي
وحياتكم وحياتكم قسما وفي * عمري بغير حياتكم لم أحلف
لو أن روحي في يدي ووهبتها * لمبشري بوصالكم لم أنصف
لاتحسبوني في الهوى متصنعا * كلفي بكم خلق بغير تكلف
أخفيت حبكم فاخفاني أسى * حتى لعمري كدت عني أختفي
وكتمته عني فلو أبديته * لوجدته أخفى من اللطف الخفي

وما أحلى ما خاطب العذول منها بقوله

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

وما أعذب ما قال منها

يا ما أميلح كل ما يرضى به * ورضابه يا ما أحيلاه بفي

ولقد أحسن الله خاتمته فيها بقوله

ما للنوى ذنب ومن أهوى معي * ان غاب عن انسان عيني فهو في

ولقد أقام القواعد الغرامية بقوله من قصيد

تعرض قوم للغرام وأعرضوا * بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا
رضوا بالاماني وابتلوا بحظوظهم * وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم * وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا
وعن مذهبي لما استحبوا العمى على الـ * ـهدى حسدا من عند أنفسهم ضلوا

وما أحلى ما قال بعده

احبة قلبي والمحبة شافعي * لديكم اذا شئتم بها اتصل الحبل
عسى عطفة منكم عليّ بنظرة * فقد تعبت بيني وبينكم الرسل
أحباي أنتم أحسن الدهر أم أسا * فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخلّ
اذا كان حظي الهجر منكم ولم يكن * بعاد فذاك الهجر عندي هو الوصل

وما ألطف ما قال منها

وماذا عسى عني يقال سوى غدا * بنعم له شغل نعم لي بها شغل
أخذتم فؤادي وهو بعضي وما الذي * يضرّكم لو كان عندكم الكل

وما أظرف ما قال منها

تساله قومي اذ رأوني متيما * وقالوا بمن هذا الفتى مسه الخبل
وقال نساء الحي عنا بذكر من * جفانا وبعد العز لذ له الذلّ
اذا أنعمت نعم عليّ بنظرة * فلا أسعدت سعدى ولا أجملت جمل

وما أرق ما قال منها

فاوضتك في الحديث ما التمسك القاه الى الشيخ وشهر الصيام ضعيف الحصر كريه العصر ولولا ان وقت رجوعه وقت رجوعه لقصدت حضرته لكني اخاف ضجرته وانت اعرف باحواله والطف في سؤاله فاعرض رقعتي هذه وتنجز الحاجة منه وان ارخصني في ذلك الحديث من صاحب المواريث فقد غرّاء لانسها الارض والسماء وان لم تتمكن من الكل فاقطعه بالعرض فبعض الشر اهون من بعض والسلام

(وله ايضا)

الشيخ اطال الله بقاءه اجده كالفاتر في انفاذ تلك الدفاتر وما اصنع بكاف التشبيه وهو الفاتر كله

خفيت ضنى حتى لقد ضل عائدى * وكيف يرى العوّاد من لا له ظل
وما عثرت عين على أثرى ولم * تدع لى رسما فى الهوى الاعين النجل
ولى همة تعلو اذا ما ذكرتها * وروح بذكراها اذا رخصت تغلو
فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك يا حبذا البذل
فمن لم يجد فى حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

ومن الغراميات التى تهيج الاشواق ولواعج الغرام * وتنتظم بها عقود الانسجام * قول أحد المشايخ العارفين الشيخ عفيف الدين التلمسانى

لذ بالغرام ولذة الاشواق * واخترقنا للذى الجمال الباقى
واخلع سلوّك فهو ثوب مخلق * والبس جديد مكارم الاخلاق
وتوق من نار الصدود بشربة * من ماء دمعك فهو نعم الواقى
واذا دعاك الى الصبا نفس الصبا * فأجب رسول نسيمه الخفاق
واذا شربت الصرف من خمر الهوى * اياك تغفل عن جمال الساقى
والق الاحبة ان أردت وصالهم * متلذذا بالذل والاملاق
اوليس من أحلى المطامع فى الهوى * عز الحبيب وذلة العشاق

ويطربنى من رقائق انسجاماته الغرامية قوله

تعلم فى مرافقة النديم * مطاوعة الاراكة للنسيم
وعاشره باخلاق فالى * وحقك عبد رق للنديم
أعاطيه أحاديثى وكاسى * فاسكر بالحديث وبالقديم
ولى عند الاحبة قلب صب * صحيح الود فى جسد سقيم
أقام وسافر السلوان عنه * فلا أجمع المسافر بالمقيم

وقد أوردت هنا ما أمكن من جهد الطاقة فى باب الانسجام الغرامى وبديع بيوته وقد تقدم قولى انى أخرت فيه المتقدم وقدمت المتأخر عصر الئلا ينفرط سلكه وتذهب لذته فان الانسجام يدخل فى الابواب الغرامية وفى غيرها ولكنه يوجد فيها أكثر لعذوبتها وارتياح الخواطر اليها لاسيما غراميات العارفين مثل الشيخ شرف الدين بن الفارض وغيره ومما يستظرف فى باب الانسجام من الطرائق الغرامية الغريبة قول عبد المحسن الصورى

وأخ مسه نزولى بقرح * مثل ما مسنى من الجوع قرح
بت ضيفا له كما حكم الدهـ * ـر وفى حكمه على الحر قبح
فابتدانى يقول وهو من السكـ * ـرة بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول الله * والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا * ل تمام الحديث صوموا تصحوا

ومن الانسجام المطرب قول مروان بن ابى حفصة

سبقت ربيعة وجه معن سابقا * لما جرى وجرى ذوو الاحساب

ومن الانسجام المرقص قول أبى نواس

وكأنه قد عرف عادتى فى حبس العارية فاخذ بانواع البسط حتى بعث على الصغر ما امر من البط وان احب أعطيته موثقا من لسانى ويدى فحلفت لمباقه العظيم وجعلت الى اليمين بالله يمينا بالطلاق ولم اقتصر على اقل من الثلاث ان دفاتره لا تمكث عندى الا اليوم والليلة وما احوجنى من صاحب فضول يستعير هذا القسم بفضول واما البط فليس الا اضافة فقط والاقابيات كاسمها شوارد وبعده الطبيخ بوارد ولتعلمن نبأه بعد حين (الابيات)

يا آبا الفضل قد تأخر بطى * فلماذا وفيم هذا التبطى
ما النزطى وخذ مقطى وان لم * تلف بى وانقافدونك خطى
(آخر)

فنمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

ومثله قوله

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر فى زى ذى ذكر * لها محبان لوطى وزناء *
قامت بابريقها والليل معتكر * فلاح من وجهها فى البيت لألاء
وارسلت من فم الابريق صافية * كأنما اخذها للعقل اغفاء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها * لطافة وخفى عن شكلها الماء

ومن الانسجام المطرب قول محمد بن صالح الحسنى

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء وصونه * صعب الذرا متمنع أردانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

وعدوا من الانسجام المطرب قول عبد الرحمن العطوى فى رثاء احمد بن ابى دؤاد

وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصف
وليس فتيق المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وعدوا من الانسجام المرقص قول العكوك فى ابى دلف

انما الدنيا ابو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

ومن الانسجام المرقص قول بكر بن النطاح

من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الأمانى لم يزل مهزولا

ومن الانسجام المطرب قول ابى تمام

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومثله قوله

ظبى تقنصته لما نصبت له * فى آخر الليل أشراكا من الحلم

ومن الانسجام المرقص قول ديك الجن

بها غير معذول فداو خمارها * وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
مورّدة من كف ظبى كأنما * تناولها من خده فادارها

ومن الانسجام المطرب قول دعبل

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى الموطن الخشن

ومن الانسجام المرقص قول أبى على البصير

لعمر أبيك ما نسب المعلى * الى كرم وفى الدنيا كريم

وعدوا من الانسجام المطرب قول يزيد بن خالد المهلبى

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

يا ابا الفضل ما وفيت بشرطى
لا ولا قمت فى الاخاء بضبطى
كنت اهديت لى بزعمك بطا
فلماذا حبست عنى بطى
وارى استغفرت ذا الفهلا
انما ينقض الوضوء بضرط

(آخر)

ابا الفضل لا تشدد يديك على بطى
ولا تك من اغطى وخطى فى خبط
ولا تستزدنى ان اتمنك ملامتى
تمنك عن ظما وانت على الشط

(وله الى ابى الحسن الحيرى)

ليس لك ان تغضب على ولى نعمتك وهو الاستاذ فان نشط حضرك وان اراد هجرك ورأيه فى الامر أفضل ثم لا يسئل عما يفعل وأيضا فانه يدعوك فيقول كنت وكان وهذه السمة قبيحة فاحضروا الآن

ومن الانسجام المرقص قول البحترى

تخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

ومثله قوله

متعتب فى غير ما متعتب * ان لم يجد جرما على تجرما

ألف الصدود فلو يمر خياله * بالصب فى سنة الكرى ما سلما

ومن الانسجام المرقص قول ابن الرومى

فالموت ان نظرت وان هى أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

ومثله قوله يخاطب بنى طاهر

علوتم علينا علو النجوم * فجودوا علينا بانوائها

وعدوا من المطرب قول ابى العتاهية

اتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومثله فى المطرب قول سلم الخاسر

لا تسأل المرء عن خلائقه * فى وجهه شاهد من الخبر

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الله بن المعتز

اهلا بفطر قد أنار هلاله * فالآن فاغد الى المدام وبكر

فانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وعدوا من مرقصات المتنبى قوله

واصبح شعرى منهما فى مكانه * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد

ومثله قوله

والهجر أقتل لى مما اراقبه * انا الغريق فما خوفى من البلل

ومثله قوله

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

ومن الانسجام المرقص قول أبى نصر بن نباتة

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

ومن الانسجام قول الواوا الدمشقى

وأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

ومثله قوله

متى أرعى رياض الحسن منه * وعينى قد تضمنها غديره

ومن الانسجام المرقص قول أبى العباس الضبى

زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

ومن الانسجام المرقص قول أبى الحسين الجام

ياسائلى عن خالد عهدى به * رطب العجان وكفه كالجلمد

(وله اليه يعزيه بغلام)

كأنى وانى اذا سألت الخاطر فأملا أو امرت القلم يجرى لنعيم العهد والاصل فقد عزمت ان اقطعها من حيث زكت والحمد لله على ما ساء وسر والصلاة على محمد وآله فيما اغوص الموت على حبات القلوب واعرفه بمودعات الصدور واخلصه الى مكامن الروح والقطه لا نامى العون فانا لله وانا اليه راجعون انا لا اسأل مولاى كيف حاله بعده فانى اعرف بها منه على ان الرشد ان ينساه حتى لا يذكره ويسلاه كى لا يكفره وكفاه تسلية عليه ان الدهر لا يقصد الا الكريم بجزائه وهذا على فورة الجوع وقطرات الدموع يصنع بالكاغد ما يصنع وسار اجع نفسى من بعد فما كتب بما يجب والسلام

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

وعدوا من الانسجام المطرب قول أبى نصر العتبى

الله يعلم أنى لست ذا بخل * ولست ملتمسا فى البخل لى عللا
لكن طاقة مثلى غير خافية * والذر يعذر فى القدر الذى حملا

وعدوا من الانسجام المرقص المطرب قول أبى الفرج بن هند

عابوه لما التحى فقلنا * عبتم وغبتم عن الجمال
هذا غزال ولا عجيب * تولد المسك فى الغزال

ومثله قول الامير شمس المعالى قابوس

وفى السماء نجوم مالها عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الحجاج

كان أيرى شمع فى رخاوته * فكلما مسته راحتى لانا

ومثله قوله

فاصبح الدهر به هيضة * فنحن غرقى فى خرا الدهر

وعدوا من المرقص قول ابى العلاء المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وعدوا من الانسجام المرقص قول المنازى الذى لا يوجد فى معناه مثله

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمأ زلالا * الذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الشحناء العسقلانى

وبمهفهف علق السقام بطرفه * وسرى فخيم فى معاقد خصره
مزقت اثواب الظلام بثغره * ثم انثنيت أحوكها من شعره

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الخياط الدمشقى وهو من شعراء المائة السادسة

ومحجب بين الاسنة معرض * وفى القلب من اعراضه مثل حجبه
أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وهذا الانسجام غرامى وعدوا من الانسجام المرقص قول القاضى الارجانى

وما ينزل الغيث الالان * يقبل بين يديك الثرى

ومثله قول ابن الهبارية

ولولا نداه خفت نارد كأنه * عليه ولكن الندى مانع الوقد

وعدوا من المرقص قول أبى عبد الله النقاش البغدادى

(وله اليه جوابا عن كتاب بعتاب)

عرض على من كتابه فصل يقول الدر اذا لم هلم والسحر اذا صح تخ بذبه وعمد تخدج الا رام منه وتكرمنية الغنم الذئاب * ذوقات وسواس المرض المدينة وازدياد من الغيبة زيادة فى الغيبة وذكر شوقه الى خطى واستراحته الى لفظى ولو صدق ولم يتخ بذلك الملق انزل الشمل جميعا أولا ب مريعا ولو علم ما فى الصدر فى هذه الايام من حر الكلام ونفذ فى هذه البقاع من طرف الرقاع ثم ملكته هزة الفضل لطوى السير عاجلا والارض راجلا ولا والله لا اسقيه أو يرجع ولا يسمع من ذلك النمط الا شفاها واما الملحى وقصيدته فاهلا به وبها على

اذا وجد الشيخ من نفسه * نشاطا فذلك موت خفي
ألست ترى أن ضوء السراج * له لهب عند ما ينطفي

ومن الانسجام المرقص قول ابن المفضل البغدادي

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على هام الربا * للطارقين ذوائب النيران

ومثله قول سبط التعاويذي

بين السيوف وعينيه مشاركة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

ومن الانسجام المرقص قول القاضي الفاضل في وكيله الشريف الكحال

رجل تو كل لي وكحلني * فاصبت في عيني وفي عيني

ومثله قوله فيه

عادى بني العباس حتى انه * خلع السواد من العيون بكحله

ومثله قول ابن الساعاتي

والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقط

ومثله قوله في النهر

صدأ الظلام يزيد رونق حسنه * ارأيت سيفا قط يصقل بالصدا

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الملك بن مازة البخاري وقد دخل عليه مملوك وفي يده قوس

نهاني لما بدا عقرب * على خده أن أروم السفر
فقلت وفي يده قوسه * أسير في القوس حل القمر

ومثله قول ابن اردخل التكريتي

أأني القوام عني أمالوا * ه فقلبي مكسور لتلك الامالة

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن عنين

دمشق بي شوق اليها مبرح * وان لج واش أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

ومن الانسجام المرقص قول الحاجري

اني لاعذر في الاراك حمامه الشادي كذلك تفعل العشاق
حكم الغرام الحاجري باسرها * فغدت وفي أعناقها الاطواق

وعدوا من الانسجام المرقص قول الصاحب بهاء الدين زهير

فيا قلبي هلا كان منك التفاتة * ويا غصن هلا كان منك تعطف
ويا حرم الحسن الذي هو آمن * وألبابنا من حوله تتخطف
عسى عطفة بالوصل يا واو صدغه * علي فاني اعرف الواو تعطف

وعدوا من المرقص قول محيي الدين بن زيلاق

ماضمنت من سم وسلع واودعت من جبر وخلع فان كانت برة لم يعدم مهرها وهو رضاه وان كانت ضرة لم يعدم من يخرج حشاه من قعره فيقسم بشعره ثم شعره والسلام

(ولابيه اليه)

الابوة باطلها حق والبنوة حقها باطل ولو علمت ان مناظرة الوالد باالحجة عقوق ومجاهرته بالشبهة فسوق لم تلق في بابر من القبول واحسن من ترك الفضول

(وله أيضا)

ذلك عادة فضل في كل فصل ولنا ايضا سنة مقت في كل وقت ولعمري ان ذا الحاجة مقيت الطلعة ثقيل الوطأة ولكن ليسوا سواء أولو حاجة يحتاج اليهم المال واولو حاجة تحوجهم الآمال والاهر

ومن عجبي أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك اكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك كافور وخالك عنبر

ومثله قول ابن عربي الموصلي في المرقص

اناصب وماء عيني صب * واسير من الضنى في قيود
وشهودي على الهوى ادمع العيـ * ـن ولكنني قذفت شهودي

ومثله قول ابن الحلاوي الموصلي

كتبت فلولا أن هذا محلل * وذاك حرام قست لفظك بالسحر
فوالله ما أدري أزهر خميلة * بطرسك أم در يلوح على نحر
فان كان زهرا فهو صنع سحابة * وان كان درا فهو من لجة البحر

ومثله قول ابن ظهير الاربلي

طرفي وقلبي ذا يسيل دما وذا * دون الورى أنت العليم بقرحه
وهما بحبك شاهدان وانما * تعديل كل منهما في جرحه
والقلب منزلك القديم فان تجد * فيه سواك من الانام فنحه

انظر هذه القافية ما أحلاها وأمكنها ومثله قوله

غارت مناطقه وأنجد ردفه * يا بعد شقة غوره من نجده

ومن الانسجام المرقص قول تاج الدين بن الحواري

فوالله ما أخرت عنك مدائحي * لامر سوى اني عجزت عن الشكر
وقد رضت فكري مرة بعد مرة * فما ساغ ان أهدي الى مثلكم شعري
فان لم يكن درا فتلك نقيصة * وان كان درا كيف يهدى الى البحر

ويعجبني من الانسجام المرقص قول النجم القمراوي

وحاكت النسيم على مرور * بعطفيه فمال مع النسيم

ومثله قول عبد الكردي

اذا ما اشتقت يوما ان اراكم * وحال البعد بينكم وبيني
بعثت لكم سوادا في بياض * لابصركم بشيء مثل عيني

وعدوا من الانسجام المطرب قول المهذب بن الخيمي الحلي وقد كتب الى والده

جننت فعوذني بكتبك انني * شياطين شوق لا يفارقن مضجعي
اذا استرقت اسرار وجدي تمردا * بعثت اليها في الدجا شهب أدمعي

ومن الانسجام المرقص قول ابن عبد ربه

يا ذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى رأيت من العذار حمائلا

ومن أغرب ما رأيت من الانسجام المرقص قول جعفر بن عثمان المصحفي

خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا في اناء فارغ

أبو غانم عبد السلام بن جعفر
المطيع لله امير المؤمنين ان
أحوجه الزمان فطالما خدمه
وان ابتلاه الله فكثيرا
ما اكرمه ونعمه وقديما
اقله السرير وعرفه الخورنق
والسدير وان نقصه المال
فالعرض وافر وان جفاه
الملك فالقضاء ظاهر وان
ابتلاه الله فليبتليكم به
فينظر كيف تعملون وانت
تقابل مورده عليك من
الاعظام بما يستحق ولا تحكم
فيه عينيك فانها لا ترى من
الناس غير الراس وابدان
لا تخطر الا باردان واني
قاسمت هذا العم نعم مولانا
علي الا نعمة لا تحتمل
قسمة وصلة لا تحتمل
تنصلة من فرس لا يمكن
قطعه نصفين وعبد لا يجوز
توزيعه بين اثنين ولعل
هذا العم تقم على هذا الجرم
وان كان نسبني الى محظور

ومن الانسجام المرقص قول ادريس بن السمان

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

ومثله قول المعتمد بن عباد

سميدع يهب الآلاف مبتدئا * و بعد ذلك يلفى وهو معتذر
له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الحجر

و يعجبنى قول الفضل بن شرف فى المرقص

لم يبق للجور فى أيامكم أثر * الا الذى فى عيون الغيد من حور

ومثله قوله

تقلدتنى الليالى وهى مدبرة * كأننى صارم فى كف منهزم

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن رشيق صاحب العمدة فى المعز بن باديس سلطان افريقية وقد غاب يوم العيد وكان يوما ماطرا

تجهم العيد وانهلت بوادره * وكان يعهد منك البشر والضحكا
كأنه جاء يطوى الارض من بعد * شوقا اليك فلما لم يجدك بكى

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الله بن محمد العطار

وكاس ترينا آية الصبح والدجا * فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة مالم يزرها مزاجها * فان زارها باء التبسم والبشر
فواعجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ومثله قول القاضى الجليس بن الجناب المصرى

ومن عجب أن الصوارم فى الوغى * تحيض بأيدى القوم وهى ذكور
واعجب من ذا أنها فى أكفهم * تاجج نارا والاكف بحور

وظريف من الانسجام المرقص قول ابن مكنسة

والسكر فى وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

وعدوا من الانسجام المرقص قول ظافر الحداد

ونفر صبح الشيب ليل شبيبتى * كذا عادتى فى الصبح مع من أحبه

ومثله قول أبى اسحق بن خفاجة

ونمت باسرار الرياض خميلة * بها الزهر ثغر والنسيم لسان

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن اللبانة

بروحى وأهلى جيرة ما استعنتهم * على الدهر الا وانثنيت معانا
أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى * فلم استطع من ارضهم طيرانا

وعدوا أيضا من الانسجام المرقص قول ابن الزقاق

وأغيد طاف بالكؤس ضحى * وحثها والصباح قد وضحا
والروض أهدى لنا شقائقه * وآسه العنبرى قد نفحا

وكبته من سكر شربته اومنكر قربته اوغار لعبته أوعود ضربته اوبرد نصبته اوبيت نقبته أوشئ سلبته فقد صبر على هذه الهناة عشر سنين فما هذا الضجر اليوم وان لم اتعاطها فلا لوم ولم يبق أيد الله الامير من انقلاب الزمان الا طلوع الشمس من مغربها والله المستعان وللخادم بهذه الحضرة رتبة يحسدها القاصر عنها ويخافها القارع لها ويزاحمه النازل بها ويمقته الطامع فيها فهو من جهاتها مقصود ومن أطرافها محسود والمرء لا يخلو من ذنب صغير فيورى عن جهته فيرى كبيرا وخطب يسير يوصل به ذنب صغير فيصير عظيما ورب ماشيع الى باب جهنم من لا يدخلها وانى لاظهر فى جميع النفاق الا فى النفاق فان لم اخف

قلنا وأين الاقاح قال لنا * أودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقى المدام يجحدها * قال فلما تبسم افتضحا

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن سنا الملك

لا تخش مني قالى كالنسيم ضنى * وما النسيم بخشى على الغصن

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الدباغ وقد تقدم

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللمسواك أو للاكؤس
ولئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فلتك شمعة فى المجلس
واذا قضيت لنا بعين مراقب * يارب فلتك من عيون النرجس

ومثله قوله

واشكو الى ليل الغدائر غدرها * وأملى عليه وهو فى الارض يكتب

هذه الابيات تقدمت فى باب الانسجام الغرامى ولكن لم يظهر من مكر رها غير الحلاوة وعدوا من الانسجام المرقص قول كمال الدين بن النبيه

وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وعدوا من الانسجام المرقص قول الصاحب جمال الدين بن مطروح

اذا ما اشتهى الخلخال أخبار قرطها * فياطيب ما تملى عليه الضفائر

وعدوا من الانسجام المرقص قول البرهان بن الفقيه نصر الله

أقطف السوداء من لحق * أخذا مع البيضاء اذ تسرف
فتخلف البيضاء أمثالها * وتغضب السودا فما تخلف
حماقة السودان من ههنا * يعرفها من لم يكن يعرف

وعدوا من الانسجام المرقص قول أمين الدين التلسانى

ساروا فيا وحشة الوادى لبعدهم * منهم ولا سيما الاغصان والكثب

ومن الانسجامات المرجزة التى لو أدركها الشريف تطفل على نسيم أبياتها * واعترف ان ما للصادح والباغم تغريد صادحاتها * أرجوزة الشيخ جمال الدين بن نباتة الموسومة بنظم السلوك فى مصايد الملوك التى امتدح بها الملك الافضل بن الملك المؤيد صاحب حماة وكان قد لقب قبل الافضل بالمنصور وهى

اثنى شذا الروض على فضل السحب * واشتملت بالوشى أرداف الكثب
ما بين نور مسفر اللثام * وزهر يضحك فى الاكمام
ان كانت الارض لها ذخائر * فهى لعمرى هذه الازاهر
قد بسطتها راحة الغمائم * بسط الدنانير على الدراهم
أحسن بوجه الزمن الوسيم * تعرف فيه نضرة النعيم
وحبذا وادى حماة الرحب * حيث زها العيش به والعشب
أرض الهنا والسنا والمرح * والامن والين ورايات الفرح
ذات النواعير سقاة الترب * وأمهات عصفه والاب

الله الكبير لم أخف الامير والسلام

(وله يعاتب بعض أصدقائه)

الوحشة أطال الله بقاء الشيخ تقتدح فى الصدر اقتداح النار فى الزند فان أطفئت باوت وتلاشت وان عاشت طارت وطاشت والقطر اذا تدارك على الاناء امتلأ وفاض والعتاب اذا ترك فرخ وباض وفض أولو هذه الصنعة لا يطرد ناموط كالجفا ولا يعقلنا شرك كالنفا ثم على كل حال تنظر من حال على الكريم تطرادلال وعلى اللئيم تطرادلال فمن لقينا بأنف طويل لقيناه بخرطوم فيل ومن لحظنا بنظر شزر بعناه بثمن نزر وعندى ان الشيخ الرئيس لم يغرسنى ليقطعنى قناه ولا اشترانى ليبيعنى سواه وصل سلمت عليه الغداة فرد جوابا بردمثله على الوكلاء بشطر الاعياء واقتصر من

تعلمت نوح الحمام الهتف * أيام كانت ذات فرع أهيف
فكلها من الحنين قلب * فكيف لا والماء عليها صب
تنفذ السقي والوادي الفرد * والماء معسول الرضاب مطرد
يصبو بها الرائي فكيف السامع * ويحمد العاصي فكيف الطائع
اذا نظرت للربا والنهر * فاروعن الربيع او عن جعفر
محاسنا تلهي العيون والفكر * ربيع روضات وشعر وصفر
أمام كل منزل بستان * وبين كل قرية ميدان
امارأيت الورق في الاوراق * جاذبة القلوب بالاطواق
فبادر اللذة يا فلان * واغنم متى أمكنك الزمان
ولا تقل مشتى ولا مصيف * فكل اوقات الهنا خريف
كل زمان يقتضي بالجدل * زمان عيش كلما دار اعتدل
أحسن ما اذكر من أوقاته * وخير ما أنعت من لذاته
بروزنا للصيد فيه والقنص * وحوزنا من مره أحلى الفرص
واخذنا الوحش من المسارب * وفعلنا في الطير فوق الواجب
لما دنا زمان رمي البندق * سرنا على وجه السرور المشرق
في عصبة عادلة في الحكم * وغلمة مثل بدور التم
من كل مبعوث الى الاطيار * تظله غمامة الغبار *
قد جد القوم به عقبى السفر * عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القوس من يديه * لغنت الورق على عطفيه
في كفه محنية الاوصال * قاطعة الاعمار كالهلال
زهراء خضراء الاهاب معجبه * تموت بين الرياض المعشبه
فاغرة الافواه للاطيار * طالبة لهن بالاوتار *
كانها بين المياه نون * أو حاجب بما تشا مقرون
امهات بالمنى معذوقه * من طينة واحدة مخلوقه
سامعة لما تشير الام * مع انها مثل الجمار صم
كأنها والطير منها هارب * خلف الشياطين شهاب ثاقب
واهالها شيبة كرات تخطف * شاهقة بالعزم وهي تقذف
حتى نزلنا بمكان مونق * اخوان صدق احدقوا بالملق
فماله في الحسن من محل * مراد جد ومراد هزل
للطير في مياهه مواقع * كأنها من حولها فواقع
فلم نزل في منزل كريم * نروي حديث الرمي عن قديم
حتى طوى الافق رداء الورس * والتهم المغرب قرص الشمس
وابتدر القوم الى المراصد * من ساهر ليل التمام ساهد

البشاشة على تحريك البشاشة
ومن الاقبال على تعويج
السؤال وعهدي بذلك
الرئيس يعرق الى بساطه
عدوا ويماطله حبوا
فهذا الفاضل أجل من والده
الفقيه ايده الله يوصيه بحسن
العشرة معي من بعد فلتيه
يوم وللجبروت قوم وما
أريد بعد هذا الاعتاب اعتابا
ولا عن هذه الرقعة جوابا
فاني لا أمكنه بعدها من ان
يستهين ولا أسلم عليه حتى
يهين والحمد لله رب العالمين

(وله الى الامير أبي احمد
خلف بن احمد)

كتابي أطال الله بقاءك وقد
كنت نذرت ان لا اخاطب
حضرته ثم روى لي القاضي
حديثا طرقني الى نقض ما نذرت
طريقا وسمعت منشدا ينشد
لحى الله صعلوكا مناه وهمه
من العيش ان يلقى لبوسا
ومطعما

كالليث بسطو كفه بأرقم * والبدر يرمى فى الدجا بأسهم
بينا الطيور فى مداها ساهره * اذاهم من عينه بالساهره
واقبلت مواكب الطيور * على ظروس الجو كالسطور
فهذا السطور فى المهارق * منظومة الاحرف بالبنادق
من كل تم حق أن نسمى * ضياء المشرق بدر التم
تخاله من تحت عنق قد سجا * طرة صبح تحت أذيال الدجا
وكل ذى حسن من الوسامه * تخاله فى أفقه غمامه
تتبعه أوزة دكناء * من دونها لقلقة غراء
تقدمها أنيسة ملونه * تابعة من كل وصف أحسنه
يجنى بها الآكل خير ما جنى * وأحسن المأكول ما تلونا
وربما مر لديها حبرج * كأنه على انضار يدرج
وانقض من بعض الجبال نسر * له بأبراج النجوم وكر
مغير الخلق شديد الايدى * يبنى على الكسر حروف الصيد
تحت مسرا معقاب كاسبه * خافضة لحظ الطيور ناصبه
اذا مضت جملتها المعترضه * تواصلت خيوطها المنقرضه
بكل كركى عجيب السير * كأنه طيف خيال الطير
يحث غرنوقا شهى المجتلى * مقدما على الغرانيق العلا
وأبيض كالغيم يسمى مرزما * كم بات مثل نورة مبتسما
يعشه سيطر قوى * معجزة فى الطير موسوى
كم حاش ثعبانا وكم حواه * كأنه فى يده عصاه *
هذا وكم ذى تطر ممتاز * ينعت فى الواجب بالعناز
اسود الالمعة فى الصدر * كأنها نور الهدى فى الكفر
فلم تزل قسينا الضوارى * تصيبها باعين الاوتار *
حتى غدت دامية النحور * ساقطة منها على النحور
كأنها وهى لدينا وقع * لدى محاريب القسى ركع
وأصبحت أطيارنا قد حصلت * ولم تسل باى ذنب قتلت
مستتبعا وجه العشا وجه السحر * وكل وجه منهما وجه أغر
يالك من صيد مقر العين * مرضى الصحاب وهو ذو الوجهين
لم نرض ما وفى من الامانى * حتى شفعناه بصيد ثانى
صيد الملوك الصيد بالكواسر * والخيل فى وجه الصباح السافر
ذلك الذى تصبو له الجوارح * فهى الى طلابه طوامح
واثقة بالرزق حيث كانا * تغدو خماصا وتجى بطانا
سرنا على اسم الله والمناجح * نعوم فى الاقطار بالسوابح

فقلت انا معنى هذا البيت لانى قاعد فى البيت آكل طيب الطعام والبس لين الثياب ويفاض على نزل ولا يفوض الى شغل ويعلا لى وطب ولا يدفع بى خطب وهذا والله عيش العجائز والزمن العاجز وكنت أيام مقام الامير أرى المسافة بين الرتب قريبه واجدنى أولا كالثانى وثانيا كالاول وأرى الآن ترتيبا جديدا وتفاوتا بعيدا وكنت احسبنى متأخرا اذا شاء تقدم ومتواضعا لو أراد تعظم ومسودا لو زاحم من ساد لملك الوساد وأرانى الآن محوجا الى التأخر ملجأ الى التصغر ولعل جرما تصور أو رأيا تغير او اعتقادا اخلف أو ظنا اختلف فان لم يكن شئ مما سردت واوردت فالغلط فى صدر القصة كان ولى عجزها بان وان كان

خيل تحاذى الصيد حيث مالا * كأنها أضحت له ظلالا
تسعى بها قوائم لا تتبع * وكيف لا وهى الرياح الاربع
تحفنا من فوقها غلمان * كأنهم قد وحنا أغصان
ترك تريك فى سماء الملبس * كواكبا طالعة فى الاطلس
منظومة الاوساط بالسلاح * من كل سهم زجل الجناح
وكل عضب ذرب المقاطع * يخترف الهام عن المواضع
على يد السائر منهم زاده * من كل باز قرم فؤاده
قد كتبت فى صدره حروف * تقرأ بها تقرى به الضيوف
وكل شاهين شهى المرتمى * كبارق طار وصوب قد همى
بينا تراه ذاهبا لصيده * معتصما بأيده وكيده
حتى تراه عائدا من أفقه * ملتزما طائره فى عنقه
أفلح من كان على يسراه * حتى غدت حاسدة يمناه
تلك يد لا تعرف الاعسارا * لاجل هذا سميت يسارا
وكل صقر مسبل الجناح * مواصل الغدو والرواح
ذى مقلة لها اضطرام واقد * يكاد يشوى ما يصيد الصائد
كأنما المخلب منه منصل * لحصد أعمار الطيور مرسل
ياحبذا الطيور جد والعب * تهوى الى الارض وللافق تشب
من سنقر عالى المدى والشان * معظم الاخبار والعيان
يصعد خلف الرزق ليس يمهله * كأنه من السما يستعجله
ومن عقاب بأسها مروع * كأنها للطير حين يصرع
كم جلبت لطائر من وهن * وكم وكم قد أهلكت من قرن
وحبذا كواسر الكواهى * عديمة الانظار والاشباه
مخصوصة بالطرد القويم * حدباء ظهر الذنب الرقيم
ذاك لعمرى حدب الراقى * يعدل ملك القاعة الحدباء
هذا وقد تجهزت أعداد * يجمعها الكلاب والفهاد
من كل فهد عنترى الحمله * اذا رأى شخص مهاة عبله
مبارك الاقبال والاعراض * مستقبل الحال بشاب ماضى
كأنه من حدة اكتسابه * قد أحرق الانجم فى اهابه
له على مسايل المتون * خط كخط الالفات الجون
ما أبصر المبصر خطا مثله * وكيف لا والخط لابن مقله
وكل منسوب الى سلوق * أهوت وثاب الخطا ممشوق
طاوى الفؤاد ناشر الاظافر * يا عجبا منه لطاو ناشر *
يحضر بالبيض ويخطو بالقنا * ويسبق الوهم لادراك المنى

كذا فبالله ما أرضى ولو صارت السماء أرضا ولا أريد ولو انقطع الوريد وانى لاستحيى من اقدان ارى لى المثل الادنى وفى القوس منزع أما وان لم أكن بالعراق أمير البصرة وبجار ازعيم المضرة فما ازعجنى عن همذان فقر الى جوع وعرى ولا ساقنى الى سجستان طمع فى شبع ورى وانما الهموم حول المراد ولو ان ما اسعى لادنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال لا يكثر الامير على من خلعه وصلاته فوالله لو علمت ان قصارى امرى سجستان اليها وضياعها اقتنيها وعملها اشتريها واموالها انتسع فيها ولا مطمع فى زيادة بعدلا آثرت الزهد على الطلب الرأس ابدا لله الامير كثير الهبوط والضيف كثير

كالقوس الا انه كالسهم * والفيم يجلوعن شهاب الرجم
اذا تراءى بقر الوحش اندفع * كأنه المريخ في الثور طلع
قاصرة عن يده عينله * مشروطة برجله أذناه
بشفعه كل عزيز عارى * مغالب الصيد على الاوكار
واهالها من أكلب طوارد * معربة عن مضمر المصايد
تعد بالغث من طمع فى كسبها * ففتشت عن أنفس لم تحبها
حتى اذا تمت بها الامور * حفت بنا اصيدها الطيور
ما بين روضات مدد ناغدوها * وحول آفاق ملكنا جوها
واستقبلت أطيارها البزاة * معلمة كأنها الغزاة
فلم تزل تسطو سطا الحجاج * على الكراكى الى الدراج
حتى غدت تلك البزاة صرعى * مجموعة على التراب جمعا
على الربا من دمها خلوق * كأن كل نبتها شقيق
ثم عطفنا للوحوش السانحه * واستبقت تلك الضوارى الطامحه
كلاب صيد بينها سناقر * تفعل فى الوحش بها الفواقر
تمشى بها الصقر على نفوسها * فالطير لاشك على رؤسها
وللكلاب حولها مغار * يكاد أن تقدح منه النار
من غمر لسانه يلوب * تقول هذا كوسج مخضوب
يعانق الظبى عناق الوامق * ما كان أغنى الظبى عن معانق
والفهد يشتد على الآجال * شد وصى السوء فى الاموال
لايهمل القصد ولا يخون * كأن كل جسمه عيون
وللزغاريات خلف الارنب * حقائق تبطل كيد الثعلب
كم برحت بالهارب المكدود * وطوحت بصاحب الاخدود
وربما هرت ظباء ومها * للنبل فى أكل حشاها مشتهى
قد نسجت ملاءة من عشير * تخاط من قرونها بالابر
فابتدرت اجنحة السهام * صائبة الاغراض والمرامى
تجرح كل سانح نفور * كأنه بعض شهود الزور
كأن اقطار الفلاة مجزره * أو روضة من الدما مزهره
كان صرعى وحشها كفار * الموت عقبى أمرها والنار
للمرء فيها منظر أحبه * يملأ من لحم وشحم قلبه
فهذلك المنظر المهنا * أى معاد عن ذراه عدنا
قد ملئت من ظفر ايدينا * وقد شكرنا فضل ماحبينا
نسير حول الملك المنصور * كالشهب حول القمر المنير
محمد ناصر دين أحمد * الملك ابن الملك المؤيد

التخليط وصب هذا الماء خير من شربه وبعد هذا الضيف أولى من قربه وكان بالاميز يقول اذا قرئت هذه الفصول الهمذانى رأى بهذه الحضرة من الانعام مالم يره فى المنام فكيف من الانام ولعله انشأ هذا الكتاب سكران فعدل به عادل السكر عن طريق الشكر وكانه نسى مورده الذى أشبه مولده. وانما رفع لحنه حين أشبع بطنه واللئيم اذا جاع ابتغى واذا شبع طغى والهمذانى لو ترك بجلدته يرقص تحت رعدته ماتربع فى قعدته ولا تجشأ من معدته ولكنه حين لبس الحلة وركب البغلة وملك الخيل والخول تمنى الدول ورأس اللئيم يحتمل الوهن ولا يحتمل الدهن وظهر الشقى يحمل عدلين من الفحم ولا يحمل رطلين من الشحم ولولا الشعر

يا حبذا من والد ومن ولد * وحبذا من شبل ملك وأسد
فرع زها بأصله أيوب * فاغرت بحبه القلوب
قال الانام حظه جلي * قلت نعم وجده على
ذاك الذي سام العلا صبيا * وجاءها من مهده مهديا
محكم السطوة سماح الديم * يأخذ بالسيف ويعطي بالقلم
لولمس الصخر لفاض نهرا * أو صحب النجم لعاد بدرا
لا ظلم يلفى في حماه العالى * الا على العداة والاموال
اما ترى الدينار منه خائفا * أصفر من كف الهبات ناشفا
كالبدر في سنائه وعمه * والطود في وقاره وحلمه
مرأى يشف عن نجار أصل * ونعمة قد قوبلت بالاصل
ماضر من خيم في جنابه * ان لا تكون الشهب من أطنابه
جناب عز جاره لا ينكب * وباب نجح للغنى مجرب
غنيت في ظلاله عن الورى * غنى نزيل المدن عن قصد القرى
وزحت من نعماه بالتواتر * أروى أحاديث عطا عن جابر
يزداد لفظي بهجة ورونقا * كأنه الخمر اذا تعتقا
ان لم أرم ذا الحمى العالى فمن * ينصرني على تصاريف الزمن
يا ناصر الدين دعاء مادح * ما بين روضات السطور صادح
حسبك مثلي في الانام شاعرا * وحسب شعري قوة وناصرا

ومن الاراجيز المرتجلة التي سارت الركبان ببلاغة ارتجالها ولطف انسجامها أرجوزة الشيخ زين الدين عمر بن المظفر الوردي سقى الله ثراه التي ارتجلها بدمشق المحروسة عند الامتحان المفحم ذكر الشيخ الامام العلامة امام المحدثين أبو الفداء اسمعيل بن كثير أن الشيخ زين الدين المشار اليه قدم دمشق المحروسة في أيام القاضي نجم الدين بن صصرى تغمده الله برحمته ورضوانه فاجلسه في الصفة المعروفة بالشباك في جملة الشهود وكان يومئذ زرى الحال فاستخف به الشهود فحضر يوما كتابة مشترى ملك فقال بعضهم أعطوا المعرى يكتبه على سبيل الاستهزاء فقال الشيخ أو معوالى أكتبه نظما أو نثرا فازداد استهزاؤهم به فقالوا بل نظما فأخذ الطرس وكتب ارتجالا ما صورته

باسم اله الخلق هذا ما اشترى * محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الازرق * كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه * بكورة الغوطة وهي جامعه
لشجر مختلف الاجناس * والارض في البيع مع الغراس
وذرع هذي الارض بالذراع * عشرون في الطول بلا نزاع
وذرعها في العرض أيضا عشره * وهو ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقي * وحائز الروبي حد المشرق

فانبهت الحبر ولولم يتسع حاله لم يتسع مجاله وكذا الكلب يزمن حين يسمن ولا يتبع حين يشبع وعند الجوع يهم بالرجوع وهذا المقترح من دعاه ولو لم يكن عقباما تدحرج ذكرت هذه الكلمات لبعلم الامير انى لم انسها ومع تصور هذه الجملة اغار على لحظاته وأواخذ الامير بحركاته وسكناته وارى انه سعد مني باكثر مما سعدت منه وانف ان يقال سما الهمذاني حيث ما ساواه ويقاس على هذا ما عداه اللهم الا ان اكون ضيفا كالاضياف يقيم اليوم ويرحل غدا فلا أنافس احدا والامير ايده الله ياخذ هذا المعنى فيكسوه لفظا لين المأخذ سهل المقطع ويرقيه الى سمعه ويجيب عبده في الحال بما عنده والسلام

ومن

ومن شمال ملك أولاد علي ٭ والغرب ملك عامر بن جهبل
وهذه تعرف من قديم ٭ بأنها قطعة بنت الرومي
يبعا صيما لازما شرعيا ٭ ثم شراء قاطعا مرعيا ٭
بثمن مبلغه من فضه ٭ وازنة جيدة مبيضه ٭
جارية في الناس في المعامله ٭ ألفان منها النصف ألف كامله
قبضها البائع منه وافيه ٭ فبادت الذمة منها خاليه
وسلم الارض الى من اشترى ٭ فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق ٭ طوعا فلا احد تعلق ٭
ثم ضمان الدرك المشهور ٭ فيه على بائعه المذكور
واشهدا عليهما بذا في ٭ رابع عشر رمضان الاشرف
من عام سبعمائة وعشره ٭ من بعد خمسة تليها الهجره
والحمد لله وصلى ربي ٭ على النبي وآله والصحب
يشهد بالمضمون من هذا عمر ٭ ابن المظفر المعرى اذ حضر

فلما فرغ الشيخ من نظمه وتأمل الجماعة ارتجاله وسرعة بديهته اتفق انه لم يكن فيهم من يحسن النظم فقالوا وقد اعترفوا بفضل الشيخ وعجزوا عن رسم الشهادة لعل الشيخ يسد عن احد منا برسم شهادته فكتب عن شخص منهم الى جانبه يدعى ابن رسول

قد حضر العقد الصحيح أحمد ٭ ابن رسول وبذلك يشهد

ومما استعذب من انسجامات الشيخ برهان الدين القيراطي قوله من قصيدة تائية

اخذت بابل عنه ٭ بعض تلك النفثات
فهو غصن في انعطاف ٭ وغزال في التفات
حسنات الخد منه ٭ قد أطالت حسراتي
كلما ساء فعالا ٭ قلت ان الحسنات
ولو الحظ صارت ٭ حسناتي سيآتي
اعشق الشامات منه ٭ وهي أسباب مماتي

ويعجبني قوله منها

٭ بابي لحظ غزال ٭ قاتل في الخلوات
ان للموت باقداح جفوني سكرات
قلت قدمت غراما ٭ قال لي مت بحياتي

ومنها

قلت اذ حرك عودا ٭ عارفا بالنغمات
انت مفتاح سروري ٭ يا سعيد الحركات

ومن انسجامات القيراطية المرجحة التي تقدمني فيها الشيخ جمال الدين بن نباته والشيخ زين الدين بن الوردي قصيدتي الدالية التي كتبت بها قديما من حماة المحروسة الى القاضي فخر الدين

(وله الى الشيخ الوزير أبي العباس الاسعردي في جواب كتابه)
كتابي أطال الله بقاء الشيخ السيد من هراة غرة شهر ربيع الاول عن سلامة والشيخ الجليل يسحب اذيالها ويلبس ظلالها والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين نمت الحكماء أيد الله الشيخ السيد عن صحبة الملوك وقالوا ان الملوك ان خدمتهم ملوك وان لم تخدمهم اذلوك فانهم يستعظمون في الثواب رد الجواب ويستقلون في العقاب ضرب الرقاب وانهم ليعثرون على العثرة اليسيرة من خدمهم فيبنون لها منارا ثم يوقدون لها نارا ويعتقدونها ثارا وانهم ليراوحون بجهد الخدمة ويغادون بلطيفة الصحة ولا يقيمون لهم وزنا وقالوا كن مع الملوك

ابن مكانس ووالده القاضى مجد الدين تغمدهما الله برحمته وهى

مالمعت بارقة من نجد * الاوهزتنى رعود وجدى
ولا سرت سحابة مغدقة * الاوكان مثلها فى خدى
فيا رعى الله زمانا بالحمى * فان لى فيه بقايا عهد
ويا ربى مصر مراضع الحيا * برضعك الغيث بذاك المهد
كم ليلة قضيتها والنجم * للجوزاء فوق صدرها كالعقد
والارض قد حاكت برود وشيها * يحار فى صفاتها ابن برد
وكوثر النيل يروق منظرا * حتى كأنى فى جنان الخلد
وهند ما تخطر فى برودها * الا أمالت عذبات الرند
مصرية لكن يمانى لحظها * منتسب فى فتكه للهند
آها له من سيف لحظ باتر * زاد على عشاقه فى الحد
عبد مناف جدها وانما * قلبى لها قد صار عبد ود
بالامير النحل قرص وجهها * يشهد أن ريقها من شهد
* وثغرها يقول فى نظامه * يا ينم أبكار اللآلى بعدى
وشعرها الطائل قد قلت له * أنت لنا نابغة يا جعدى
* وريقها قال النباتى أنا * وخدها قال انا ابن الوردى
والغصن حاكى قدها قالت له * ما أنت يا غصن الرياض قدى
يا قدها وردفها لولا كما * ما اشتقت بانات الكثيب الفرد
سألتها لم صرفت من ناظرى * وكلفت قلبى بطول النقد
قالت تركت الفخر من بين الورى * وقد قعدت عن طلاب المجد

لعمرى ان الشرح قد طال فى نوع الانسجام ولكن ما استطردت بضوله الا الى كل مهيع بديع وغريب فبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على نوع الانسجام يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فذكره قد أتى فى هل أتى وسبا * وفضله ظاهر فى نون والقلم

انسجام الشيخ صفى الدين فى بيته ظاهر والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

بان انسجام كلام منزل عجب * يهدى ويخبرنا عن سالف الامم

بيت الشيخ عز الدين لم يكن له تعلق بما قبله من المديح النبوى والذى يظهر لى منه أنه أشار به الى القرآن بانه كلام منزل وانسجامه عجب يهدى ويخبرنا عن سالف الامم وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

له انسجام دموعى فى مدائحه * بالله شنف بها يا طيب الكلم

ولقد عجبت من الشيخ عز الدين كيف عقد بيت انسجامه مع سهولة هذا النوع وقرب مأخذه ولطف تسميته وقبولها للاشتراك انتهى

مكانك من الشمس انها لتوذيك والسماء لها مدار والارض لها دار فكيف لو أسفت قليلا ودنت يسيرا وان العاقل ليطلب منها مزيد بعد فيتضنسر بالواذا منها وهربا ويبتغى نفقا فرارا منها وفرقا وكا ضربوا الشمس للملوك مثلا كذلك جعلوا البحر عنهم بدلا فقالوا جاور ملكا أو بحرا وأجرواكب البحران لا يسلم ولم يرض الشيخ السيد أن يكون ملك الانام حتى يكون ملك الكلام فالرأى أن نريم والصواب أن لا نقيم وورد له أيد الله عزه كتاب يضرط الاتن ويعرق الآباط كالقنفذ من أى النواحى أتيته وكالمسك على أى جنب طرحته فرحم الله أبا النصر قلت له يوما انك لسيئ الرغبة سريع الملالة فقال عافاك الله هذه غيبة وهى فى الوجه غريبة وانما يغتاب المر

(ذكر

(ذكر التفصيل)

(وان ذكرت زمانا ضاع من عمري * في غير تفصيل مدح صحت ياندمي)

التفصيل بصاد مهملة نوع رخيص بالنسبة الى فن البديع والمغالاة في نظمه وقد نبهت قبله على عدة انواع سافلة ولكن المعارضة اوجبت الشروع في نظمه كالتصدير وعتاب المرء نفسه وتشابه الاطراف وما أشبه ذلك والتفصيل هو أن يأتي الشاعر بشطر بيت له متقدم صدرا كان او عجزا ليفصل به كلامه بعد حسن التصريف في التوطئة الملايمة والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وغالب علماء البديع لم تذكره في مصنفاتهم غير أن الشيخ صفي الدين الحلي اورده في بديعيته فدعت المعارضة الى نظمه وبيته في بديعيته

صلى عليه اله العرش ما طلعت * شمس النهار ولاحت أنجم الظلم

فصدر هذا البيت ذكر أنه تقدم له في قصيدة قافية امتدح بها النبي صلى الله عليه وسلم مطلعها

فيروزج الصبح أم ياقوته الشفق * بدت فهيجت الورقاء في الورق

والبيت الذي أتى بصدر منها واثبته في بديعيته على حاله لاجل نوع التفصيل

صلى عليه اله العرش ما طلعت * شمس النهار ولاحت أنجم الغسق

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

تفصيل مدحك تجميل لذي أدب * اوصاله كفت البلوى من الرقم

فصدر بيت الشيخ عز الدين كان عجزا في قصيدة تقدمت له بائية مطلعها

لوان وجه رضائي غير منتقب * ماسر قلبي بلوغي غاية الارب

الذي جعل صدره عجزا وابقاه على حاله في بديعيته لاجل نوع التفصيل

كسوتي حلل الابين الانام بها * تفصيل مدحك تجميل لذي أدب

هذا البيت كان تفصيل حلة كاملا في موضعه ولما نقل الشيخ عز الدين عجزه وجعله صدرا في بديعيته ظهر في تفصيله نقص بقوله مع المعاقدة في العجز كفت البلوى من الرقم فان الرقم بفتح الراء وكسر القاف الداهية قلت والداهية اذا دخلت بيتا تركته خرابا وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

وان ذكرت زمانا ضاع من عمري * في غير تفصيل مدح صحت ياندمي

فصدر هذا البيت تقدم لي في قصيدة فائية مطلعها

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * يا ليته بنسيم العتب لو عطفا

والبيت الذي نقلت صدره منها واثبته في بديعيتي وأبقيته على حاله لاجل نوع التفصيل

وان ذكرت زمانا ضاع من عمري * ولم أهاجر اليه صحت يا أسفا

وهذه القصيدة من غرر قصائدي بل من غرر القصائد منها

مزاج خمرته فيه جا معتدلا * فراح منه مزاج الراح منحرفا

ومذ غدا جسمه ماء برقته * علمت والله ان القلب منه صفا

منه الغزالة غارت عينها حسدا * والبدر قد لازم التسهيد والكلفا

والظبي قال انا احكي لواحظه * فصح عندي أن الظبي قد خرفا

من وراء ظهره لاقف سوء وجهه وكان التيم لا يعري من خلة خير كذلك الكريم لا يخلو من فضله سوء فما هذه الشناعة ولا الناقة عفرت ولا ناقة كفرت وما به أيده الله كفتني ان ترد ورسلي ان تصل ولكنه أراد امتحان طبعه في الكتابة واختبار تصرفه في البلاغة وانما يتعلم الحلق على رؤس الحاكة ويجرب السيف على الكتاب لا على القلب وقد لعمري طبق العظام وهتك الحجاب ولم يكن سيف أبي زغوان ولم ينب بيدي ورقاء والجميل أجمل وأنا الى الجميل أحوج وهو أيده الله بالجميل أخلق والجميل به أليق أما الكتاب فلفظه فصيح ومعناه صحيح وأوله بآخره رهين وآخره لاوله قرين وبينهما ماء معين وحور عين وما شاء الله ويعين

ومنها

مذصارلى قبلة محراب حاجبه * صيرت عابطرفى فيه معتكفا

ولام فيه عذول قلت من كلفى * قلبى رأى منه قدا فى الهوى الفا

ماضره لوعفا عنى وأظهرلى * عطفا وعاين ربع الصبر كيف عفا

ارادمنى وكف الدمع قلت له * حسبك الله يابدر الدجى وكفى

ثم استطردالى ذكرهذه الابيات هنا الالان نوع التفصيل لم يحتمل اطلاق عنان القلم فى الكلام عليه الى أكثر من ذلك

(ذكر النوادر)

(نوادر المدح فى أوصافه نشقت * منها الصبا فأتتنا وهى فى شمم)

هذا النوع أعنى النوادر سماه قوم الاغراب والطرفة وهو ان يأتى الشاعر بمعنى يستغرب لقلة استعماله لالانه لم يسمع بمثله وهذا انما اختاره قدامة دون غيره ولكن غالب علماء البديع اختاروا غير رأى قدامة فى هذا النوع فانهم قالوا لايكون المعنى غريبا الا اذا لم يسمع بمثله وأورد زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير لنوع النوادر حدا اقرب اليه من اختيار قدامة وأبلغ واوقع فى النفوس وهو ان يعمد الشاعر الى معنى مشهور وليس بغريب فى بابه فيغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره ليصير بها ذلك المعنى المشهور غريبا وينفرد به دون كل من نطق به وبيان ذلك ان تشبيه الحسان بالشمس والبدر مبذول معروف قد ذهبت طلاوته لكثرة ابتذاله وكان سابق المتقدمين وقبلة المتأخرين القاضى الفاضل أنفت نفسه من المتابعة على هذا الابتذال وكثرة تشبيه الحسان بالبدور فقال

تراءى ومرآة السماء صقيلة * فأثرفيها وجهه صورة البدر

سبحان المانح حاصل كلامه تشبيه محبوبه بالبدر ولكن زيادة هذه النادرة اللطيفة لاتخفى الا على أكمه لايعرف القمر وعلى هذا المنوال نسجت بيت بديعيتى ويعجبنى فى باب النوادر قول القائل

عرض المشيب بعارضيه فاعرضوا * وتقوضت خيم الشباب فقوضوا

ولقد سمعت وما سمعت بمثله * بين غراب البين فيه أبيض

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

كانما قلب معن ملء فيه فلم * يقل لسائله يوما سوى نعم

هذا البيت ذكر الشيخ صفى الدين فى شرحه أن النادرة فيه قلب معن بنعم قلت قلب معن بنعم لم يعد من نوع النوادر بل من انواع الجناس المسمى بالقلب والعكس وجناس القلب وغيره من انواع الجناس ليس فيه غير خدمة الالفاظ فانه نوع لفظى والذى قرره قدامة وغيره فى هذا النوع أن الغرابة تكون فى المعنى بحيث يعد ذلك المعنى من النوادر والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

نوادر من جنانى كالجنان زهت * أم هل بدت واضحلت الحسن من ارم

قلت ان بيت الشيخ صفى الدين الحلى مع ما فيه من النقد والمؤاخذة معدود من النوادر بالنسبة الى هذا البيت وما أشبهه بالبيت الذى أخبر عنه الحريرى فى مقاماته وقال انه أخرج

من

السوء مصروفة وبيض مابفرخن وفراخ ماينهضن ونواهض مايطرن وطير مابيضن وقرت عين الوزارة وزهرت نار الدولة ورويت زناد الملة وانى على اعجابى بتلك الفصول وتعجبى منها الشديد الحنق عليها والقلق فيها وخلة أخرى وهى أنى مفتون بكلامى معجب بمعيوب أقلامى وذوب أفكارى فلا أزفه الا لمن يعتقد فيه اعتقادى ويميل اليه كفؤادى وينظر اليه بعين رأيى واذا بلغ الشيخ ايده الله من الفضل مبلغه خرج على ان لا أصله به وأواصله والسلام

(وله الى وزير الرى)

كتابى وأنا أدام الله عز الوزير المكين على بينة من أمرى وبصيرة من دينى لا أقول بعلوم أصحاب النجوم فكما أعلم ان اكثرها زورق وريح ارى ان بعضها حق وصحيح وكان انا أنبس

من التابوت * واوهى من بيت العنكبوت * وماذ لك الا انى كررت النظر فى اركان هذا البيت فلم أجد فيه مقرا لنادرة من النوادر التى تقدم تقريرها فلم يسعنى غير النظر فى شرحه فوجدته قال ان جنانى ظهر منه محاسن مدهشة أمدت محاسن ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ويحكى أنها جنة بناها عاد قلت وما أحق اختراع الخراع بهذه العبارة وهى بشهادة الله عبارة بنصها والذى أعدمه من النوادر ابراز الشيخ عز الدين مثل هذا البيت فى بديعيته ورضابه وتنزيل مثل هذه العبارة عليه انتهى وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

نوادر المدح فى أوصافه نشقت * منها الصبا فأتتنا وهى فى شمم

النادرة فى معنى هذا البيت عرفها ضائع لمن شمه من أهل الادب وماذاك الا أن النسيم أكثر الشعراء من استعماله فى تحمل الرسائل وغاية ما أغربوا فيه انه يفتق منه عرف الاحبة اذا هب من نحوهم والنادرة التى أغربت بها هذا المعنى ان نسيم الصبا لما نشقت عرف مديح النبى صلى الله عليه وسلم وتعرفت به تزايد شممها والشمم للنسيم نادرة بلا نكتة لم أسبق اليها فان النسيم أحق باشتراك هذه النورية من غيره لان الشمم لائق به وهذا الذى أشار اليه ابن أبى الاصبع فى أن الشاعر يعمد الى معنى مبذول معروف ليس بغريب فى بابه فيغرب به بزيادة لم تقع لغيره ويصير بها ذلك المعنى المعروف غريبا ومثل ذلك حتى يزداد نوع النوادر ايضاحا قول أبى نواس

هبت لنا ريح شمالية * متت الى القلب باسباب
أدت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين أصحابى

قوله عرفتها من بين أصحابى نادرة لم نسبق اليها وقد جاراه مجير الدين الخياط فى بديع هذا النوع ونادرة هذا المعنى لولا لطافته لقلت انه أحرز قصبات السبق عليه بقوله

يانسيم الصبا الولوع بوجدى * حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابنى شذاك فبالله * متى عهده باطلال نجد

بين ولقد رابنى شذاك فى بيت مجير الدين و بين عرفتها من بين أصحابى معرك ذوقى مايدركه الامن صفت مرآة ذوقه فى علم الادب واعمرى ان النادرتين يتجمل بهما هذا النوع ومثله قول القائل ويعجبنى الى الغاية

وبدا الشمال عشية مذ أرعشت * دلت على ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيما فى صحيفة جدول * فبدا الغمامة صحته بنقطها

النوادر فى هذين البيتين لم يحتج برهانها الى اقامة دليل وقد فهمت الزيادات فى غرابة المعانى المبتذلة ومثله ولم يخرج عما نحن فيه من لطف النسيم ونوادر النوع قول القائل

هبت صبا من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالى
خاضت مياه النيربين عشية * وأتتك وهى بليلة الاذيال

ويعجبنى فى هذا الباب قول ناصر الدين بن المشد

مسكية الانفاس تلى الصبا * عنها حديثا ناقط لم يزل

لا يؤمن بالصبح ايمانه بالنجوم فرق عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان فقال ان رضى الضمان والا فأكل الفضل حرس الله نعمتهم وأدامها رحاط دولتهم واياما كيف خفى عليهم مكانى وخبرهم أنبت اسنانى ومالهم اثبت املاكى فكيف لم يطلبونى طلب الرفيق الآبق ويربطونى ربط الجواد السابق وانما يحبس البازى ولو ترك والاقطار لطار ولم اومثلى علق مضنة يرمى به من حالق ولكن رب حسناء طالق وقيل للحسن فلان لا يأكل الرطب ولا يشتهى الفالوزج فقال رب ملوم لاذنب له ولعلها المعرفة التى يكفر بها قوم ونحن بها مؤمنون ان سليمان ابن داود عليهما السلام على ما أوتى من بسطة ملك وباع وبد فى الفتوح صناع وخطب

جننت بها ان سرى عرفها * وماترى من جن بالمندل

وألطف منه وأكثر نوادر قول بدر الدين حسن الغزى الشهير بالزغارى

سرت من بعيد الدار لى نسمة الصبا * وقد أصبحت حسرى من السير ضائعه

ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب أنفاسها متتابعه

ومن العجائب فى هذا النوع

حبذا ليلة رأيت دجاها * زاهيا عطفه بحلة فجر

بشرت باللقاء وهى غراب * ونفى الفجر حسنها وهى قمرى

ومن النوادر اللطيفة فى هذا الباب قول علاء الدين الجوينى صاحب الديوان ببغداد من دوبيت

مذ صار مبيتنا بضوء القمر * والحب نديمنا وصوت الوتر

نادى بفراقنا نسيم سحرا * ما أبرد ما جاء نسيم السحر

ومن نادر ما اتفق لى قولى من قصيدة رائية

ومذ سرت نسمات الثغر باردة * بدا باضعاف ذاك الجفن تكسير

قد تقدم تقرير حد ابن أبى الاصبع فى نوع النوادر وتكرر وهو أن يعمد الشاعر الى معنى مشهور كثير الاستعمال فيغرب فيه بزيادة نكتة لم تقع لغيره ليصير المعنى المستعمل بها غريبا وقد فهم ما أوردته هنا من تلاعب الشعراء بالنسيم وما أظهروا فيه من النوادر التى تركت رخيصه غاليا وتكسير الجفن أيضا ونسبة التكسير اليه أكثر أهل الادب استعماله فى غزلهم ونسيبهم ولكن استعارة النسمات البادرة للثغر وهبوبها على أضعاف ذلك الجفن السقيم حتى ظهر فيه التكسير نادرة النوادر فى هذا النوع والله أعلم

(ذكر المبالغة)

(بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى * والشهب قد رمدت من عثير الدهم)

المبالغة نوع معدود من محاسن هذا الفن عند الجمهور واستدلوا على ذلك بقول من قال أحسن الشعر أكذبه وبقول النابغة الذبيانى أشعر الناس من استجيد كذبه وضحك من رديئه واستدلوا أيضا برد النابغة المذكور على مثل حسان بن ثابت فى قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

والرد الذى رده النابغة على هذا البيت فى ثلاثة مواضع الاول منها انه قال له قلت لنا الجفنات والجفنات تدل على قليل فلا تفخر ولا مبالغة اذا كان فى ساحتك ثلاث جفان أو أربع والثانى أنك قلت يلمعن واللمعة بياض قليل ليس فيه كبير شان والثالث أنك قلت فى السيوف يقطرن والقطرة تكون للقليل فلا تدل على فرط نجدة ولا مبالغة وترشيح جانب المبالغة مذهب ابن رشيق فى العمدة ومنهم من لم يعد المبالغة من حسنات الكلام ومشى فى ذلك على مذهب حسان بن ثابت رضى الله عنه فانه قال

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على الانام فان كيسا وان حمقا

وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

(المبالغة)

فى المطلوب وساع وامر فى الثقلين مطاع وريح غدوها شهر ورواحها شهر وادراك كلام النملة وليس لها جهر صرف عن بلقيس وملكها سنين وهى مجاورته فى سبا اليمن حتى هداه الهدهد ولا عجب ان يصرف الشيخ الوزير ايده الله عنى واظاحمه واليه وغرس اياديه ولو شاء لسمى أبى زيدا وسمانى اسامة ولو شاء غيره لقلنا لاولا كرامة وما تأخرت كتبى عن حضرته كفرانا لنعمته لكن اعظاما لحشمته ولولا امر من خادمه والذى اقام الله عزه وتعيين فرض اضطرنى اليه لرأيت الجرى على عادتى باباً من ابواب ادب الخدمة لكنه لا رخصة فى العقوق من الخالق والمخلوق فكاتبت الحضرة العالية متنجزا ما سأل من الكتب والوزير

وعند أهل هذا المذهب أن المبالغة لم تسفر عن غير التهويل على السامع ولم يفز الناظم الى التضييم عليها الا العجز وقصور همته عن اختراع المعاني المبتكرة لانها في صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر اذا أعياه ايراد المعاني الغريبة فيشغل الاسماع بما هو محال وتهويل وقالوا بما أنها أحالت المعاني فاخرجتها عن حد الكلام الممكن الى حد الامتناع والمبالغة تعاب في بابها اذا اخرجت عن حد الامكان الى الاستحالة وأتى الكلام على حدها في موضعه

والذي اقوله ان المبالغة من محاسن انواع البديع ولم يستطرد في حليات سبقها الاخول هذه الصناعة ولولا سمو رتبتها ما وردت في القرآن العظيم والسنة النبوية ولو سألنا الى من يم ضم جانبها ولم يعدها من حسنات الكلام بطلت بلاغة الاستعارة وانحطت رتبة التشبيه

وتسمية المبالغة منسوبة الى قدامة ومنهم من سمى هذا النوع التبليغ وسماه ابن المعتز الافراط في الصفة وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن اكثر الناس رغبوا في تسمية قدامة لخفتها

وهذا النوع اعني المبالغة شركه قوم مع الاغراق والغلو لعدم معرفة الفرق وهو مثل الصبح ظاهر والمبالغة في الاصطلاح هي افراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة والاغراق وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة والغلو وصفه بما يستحيل وقوعه ويأتي الكلام على كل واحد من الثلاثة في موضعه وقد تقرر اولا أن المبالغة نوعها مبني على وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه وحد قدامة المبالغة فقال هي أن يذكر المتكلم حالا من الاحوال لو وقف عندها لاجزأت فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون ابلغ من معنى قصده كقول عمير بن كريم التغلبي

ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا

وقال ان هذا البيت من أحسن المبالغة عند الحذاق فان الشاعر يبلغ فيه الى أقصى ما يمكن من وصف الشيء ويوصل الى أكثر ما يقدر عليه فتعاطاه ونقص بعضهم عبارة الحد الذي حده قدامة وقال المعنى اذا زاد على التمام سمي مبالغة وقال ابن رشيق في العمدة المبالغة بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن في وصف الشيء قلت وعلى هذا التقرير يدخل القصد في المبالغة الامكان والخروج عن المستحيل والمذهب الصحيح فيها انها ضرب من المحاسن اذا بعدت عن الاغراق والغلو وان كان الاغراق والغلو ضربين من المحاسن ونوعين من أنواع البديع فقد شرط علماؤه أن النوع لا يتجاوز حده بحيث يزول الالتباس ويعجبني من أمثلة المبالغة في المديح قول القائل

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

فالمعنى تم للناظم لما انتهى في بيته الى قوله دجى الليل ولكن زاد بما هو أبلغ وأبدع وأغرب في قوله حتى نظم الجزع ثاقبه ومثله قول أبي الطيب المتنبي في وصف جواد

وأصرع أي الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب

قال زكي الدين بن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير أبلغ شعر سمعته في باب المبالغة قول شاعر الحماسة اذ بالغ في مدح ممدوحه بقوله

رهنت يدي بالعجز عن شكر بره * وما فوق شكري للشكور مزيد

السيد جدير بالفضل قدير عليه وانا موضع لفضله اليه وورائي وأمامي من خوالي واعمامي من مواقف خدمته مشهورة ومقاماته مشكورة وبي وبهم حاجة الى فضل عونه ومعونه فان سمو وابحاثه من يجيل رأيه فاكل بمقدار عشيرة الادنون وبعدهم ناس صلاحهم بصلاح هؤلاء مربوط وتم الشيخ السلطان الاعظم حرس الله ملكه والشيخ الجليل اعزه الله نصره والعلم الذي رفع الله قدره والعمر الذي انفقناه على خدمته والشيب الذي لبسناه في جملته ورأى الوزير في ذلك موفق ان شاء الله

(وله الى الشيخ الرئيس ابي عامر في معنى السدق)

نحن اطال الله بقاء الشيخ اذا تكلمنا في فضل العرب على العجم وعلى سائر الامم

السدق بالسين ليلة الوقود وبالصاد لحن اه مجد

ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكن ما لا يستطاع شديد

فانظر ما أحلى احتراسه عن ذلك بقوله وما فوق شكري للشكور مزيد وانظر كيف أظهر عذره في عجزه مع قدرته بأن قال في البيت الثاني ولو كان مما يستطاع استطعته ثم أخرج بقية البيت للمبالغة مخرج المثل السائر حيث قال ولكن ما لا يستطاع شديد ومن هنا قال أبو نواس

لا تسدين الي عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

ومن معجز المبالغة في القرآن العظيم قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فجعل كل واحد منهم أشد مبالغة في معناه وأتم صفة وجاء من المبالغة في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وقوله في بقية هذا الحديث والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ففي الحديث الشريف مبالغتان احداهما كون الحق سبحانه وتعالى أضاف الصيام الى نفسه دون سائر الاعمال اقصد المبالغة في تعظيمه وشرفه واخبر أنه عز وجل يتولى مجازاة الصائم بنفسه مبالغة في تعظيم الجزاء وشرفه ونحن نعلم ان الاعمال كلها لله سبحانه وتعالى ولعبده باعتبارين اما كونها للعبد فلانه يثاب عليها وأما كونها لله فلانها عملت لوجهه الكريم ومن اجله فتخصيص الصائم بالاضافة للرب سبحانه وتخصيص ثوابه بما خصص به انما كان للمبالغة في تعظيمه والمبالغة الثانية اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بعد تقديم القسم لتأكيد الخبر بأن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ففضل تغير فم الصائم بالامساك عن الطعام والشراب على ريح المسك الذي هو أعطر الطيب على مقتضى ما يفهم من ريح المسك وأتى بصيغة أفعل للمبالغة فجمع هذا الكلام بين قسمي المبالغة المجازي والحقيقي ولذلك ورد أن دم الشهيد كريح المسك لا مبالغة وهذا النوع اعني المبالغة ممكن الناظم منه في المدائح النبوية والصفات المحمدية فان المادح اذا بالغ في وصفه صلى الله عليه وسلم كانت تلك المبالغة ممكنة قريبة من معجزاته وعظمه عند ربه فمن ذلك قولي من قصيدة نبوية أقول فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم

اذا ما سرى فرد الفرط جلاله * يقول الورى قد سار جيش عرمرم

فالمبالغة تمت لما انتهيت الى قولي سار جيش وزدت بعد ذلك بما هو أبلغ منه واعظم لقولي عرمرم وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته * والشهب أحلك ألوانا من الدهم

المبالغة تمت للشيخ صفي الدين في الشطر الاول بقوله كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته ولكن زاد بما هو ابلغ منها حيث قال والشهب أحلك ألوانا من الدهم وبيت العميان في بديعيتهم

يم نبا تبارى الريح أنمله * والمزن من كل هامي الودق مرتكم

المجمع عليه أن المبالغة في الاوصاف المحمدية ممكنة عقلا وعادة ولكن الابلغ في مبالغة العميان ان الريح والمزن كان يجب كل منهما ان يتطفل على أنامل النبي صلى الله عليه وسلم في المباراة لعلو رتبته وعظم مقامه وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

امدح وجز كل حد في مبالغة * حقا ولا تطر تقبل غير متهم

اردنا بالفضل ما حاطت به الجلود ولم تتكرر تكون امة أحسن من العرب ملابس وانعم منها مطاعم واكثر ذخائر وأبسط ممالك واعمر مساكن ولكنا نقول العرب اوفى واوفر واوقى واوقر واتقى وانكر واعلى واعلم واحلى واحلم واقوى واقوم وابلى وابلغ وانجى واشجع واسمح واعطى واعطف والطى والطف واحصى واحصف

هذا

هذا البيت لم ينتظم فى سلك ماقبله من ابيات المديح النبوى ولا بينه وبين المبالغة أدنى وصلة ولم يظهر لى فى بيته غفر الله له الا وصيته للمادح أنه اذا مدح يتجاوز كل حد وأنه لا يطرى فيقبل وما احقه هنا بقول القائل

تمنيتم بالرقمتين ودارهم * بوادى الغضى يابعد ما أتمناه

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى * والشهب قد رمدت من عثير الدهم

فالمبالغة تمت فى شطر البيت الاول بقولى بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى والزيادة بما هو ابلغ منها قولى والشهب قد رمدت من عثير الدهم وتسمية النوع هنا هى ديباجة المبالغتين على هذه الصيغة والله اعلم

(ذكر الاغراق)

(لوشاء اغراق من ناواه مدّ له * فى البر بحرا بموج فيه ملتطم)

قد تقرر فى نوع المبالغة أنها افراط وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه عادة وهذا النوع أعنى الاغراق فوق المبالغة ولكنه دون الغلوّ وهو فى الاصطلاح افراط وصف الشئ بالممكن البعيد وقوعه عادة وقلّ من فرق بينهما وغالب الناس عندهم المبالغة والاغراق والغلوّ نوع واحد وهنا لم يعمل بقول الحريرى

* سامح أخاك اذا خلط *

وكل من الاغراق والغلوّ لا يعد من المحاسن الا اذا اقترن بما يقربه الى القبول كقد للاحتمال ولولا للامتناع وكاد للمقاربة وما أشبه ذلك من أنواع التقريب وما وقع شئ من الاغراق والغلوّ فى الكتاب العزيز ولا فى الكلام الفصيح الا مقرونا بما يخرجه من باب الاستحالة ويدخله فى باب الامكان مثل كاد ولو وما يجرى مجراهما كقوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار اذ لا يستحيل فى العقل أن البرق يخطف الابصار لكنه يمتنع عادة وما زاد وجه الاغراق هنا جمالا الا تقريبه بكاد واقتران هذه الجملة بما هو الذى صرفها الى الحقيقة فقلبت من الامتناع الى الامكان ومن شواهد تقريب نوع الاغراق بلو قول زهير

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم او مجدهم قعدوا

فاقتران هذه الجملة ايضا بامتناع قعود القوم فوق الشمس المستفاد بلو هو الذى اظهر بهجة شمسها فى باب الاغراق ومما استشهدوا به على هذا النوع بغير اداة التقريب قول امرئ القيس

تنورتها من أذرعات واهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

وبين المكانين بعد تام فان أذرعات من الشام والنار التى تنورها من اذرعات كانت بيثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وقد أثبتوا هذا الشاهد فى باب الاغراق لانهم قالوا لا يمتنع عقلا أن ترى النار من بعد هذه المسافة وأن لا يكون ثم حائل من جبل أو غيره من عظم جرم النار ولكن ذلك ممتنع عادة هذا ان جعلنا تنورتها نظرت الى نارها حقيقة وأما ان جعلناه بمعنى توهمت نارها وتخيلتها فى فكرى فلا يكون فى البيت اغراق ومثله قول أبى الطيب المتنبى فى صباه

وأنى وآنى ولا ينكر ذلك الا وقح وقح ولا يجحده الا نغل نغر وانما قدم الله تعالى ملك العجم ليحتج عليها وانما آخر ملك العرب ليحتج بها وما ملكت العجم حتى تواصلت وما ملكت العرب الا حين تصاولت وما تواصلت العجم الا يأسا من نفوسها ولا تصاولت العرب الا لمنافى رؤسها ولا تكاد السباع تأتلف كما لا تكاد البهائم تختلف وان قبله أقرت هذه العرب لها أنها جرت بها لجماع اخلاق شريفة ونظام أحلام رزينة ومصاب ايام مذكورة ومصبحاع مشكورة وان امرأ ساد هذه الجمرة اطلاع المجد وغنى بما اولى من خيره عن التزين بحلى غيره وحقيق أن ينير شعار حبائه ويميت شعار اعدائه ان عبد الوقود لعبد افك وان شعار النار لشعار

(الاغراق)

روح تردد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمى نحولا أننى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وقالوا هذا لا يمتنع عقلا ان ينحل الشخص حتى يصير مثل الخلال ولا يستدل عليه الا بالكلام اذ الشئ الدقيق اذا كان بعيد الا يرى بخلاف الصوت ولكن صيرورة الشخص فى النحول الى مثل هذه الحال ممتنع عادة ولعمرى ان الشيخ شرف الدين بن الفارض ضم خصر هذا المعنى الرقيق ورشحه بنفائس العقود حيث قال

كانى هلال الشك لولا تأوهى * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتى

قلت اذا قابلنا نحول المتنبى بهلال الشك الذى ابرزه ابن الفارض لم تبعد المقارنة ولكن من قابل قول المتنبى أننى رجل لولا مخاطبتى بقول الشيخ شرف الدين بن الفارض فى بيته كانى هلال الشك لولا تأوهى لا بدأن يقابه الله على ذلك وأين لطف لولا تأوهى من ثقل لولا مخاطبتى فالفرق بين خطاب الرجل وتأوه هلال الشك لا يخفى على حذاق أهل الادب ومنه قول بعضهم

قد سمعتم أنينه من بعيد * فاطلبوا الشخص حيث كان الانين

قلت ما برح طائر فكرى يحوم على ورود هذا المعنى الذى حصلت فيه المواردة على أن الشخص لا يرى لشدة نحوله الا بأنين أو تأوه وأريد أن أرشحه بنكتة الى أن قلت من قصيدتى التى عارضت بها كعب بن زهير وامتدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم

وفوق طرس مشيبى أرخوا تلفى * وذلك الطرس فوق الرأس محمول
وقد تجاوز جسمى حد كل ضنى * وها أنا اليوم فى الاوهام تخييل

وقد تقدم وتقرر أن أداة المقاربة مما استعملت فى الاغراق لانتقاله من الامتناع الى الامكان وهذا الذى أوردته بغير أداة المقاربة هنا ان كان يبعد عادة لا يبعد عقلا ومما استشهدوا به على نوع الاغراق بلو التى يمكن الاغراق بها عقلا ويمتنع عادة قول القائل

ولو أن ما بى من جوى وصبابة * على جمل لم يبق فى النار كافر

يريد انه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل فى سم الخياط وذلك لا يستحيل عقلا اذ القدرة قابلة لذلك لكنه ممتنع عادة وهذا غاية فى الاغراق واورد الشيخ شهاب الدين ابن جعفر المغربى الاندلسى فى شرحه الذى كتبه على بديعية صاحبه شمس الدين محمد بن جابر الاندلسى على هذا البيت حكاية لطيفة وهى أن ابليس تعرض لبعض الاولياء فلم ينل منه غرضا فقال له الولى من أشد عليك العابد الجاهل أو العالم المسرف على نفسه فقال العالم المسرف واما العابد الجاهل فهو فى قبضتى أدخل عليه فى دينه من حيث شئت وأنا أريك ذلك فانطلق به الى أعبد الجهال فى ذلك الزمان فطرق عليه الباب فخرج اليهما فقال له ابليس جئت استفتيك هل الله قادر على أن يدخل الجمل فى سم الخياط أولا فتوقف وتحير وغلق الباب فقال ابليس للولى ها هو قد كفر بالشك فى قدرة الله تعالى ثم انطلق به الى عالم مسرف على نفسه وطرق عليه الباب وكان فى القائلة فقال الرجل العالم من هذا الشيطان الذى يضرب بابى فى القائلة وقد قال عليه الصلاة والسلام قيلوا فان الشياطين لا تقيل فقال ابليس ها هو قد

شرك وما أنزل الله بالصدق سلطانا ولا شرف نيروزا ولا مهرجانا ونحاصب الله بسيوف العرب على فروق العجم لما كره من أديانها وسخط من نيرانها وأورثكم ارضهم وديارهم واموالهم حين مقت فعالهم وان انصف الشيخ الرئيس أيام الله لديه وجدها كلها اعيادا ضاحكة المباسم ظاهرة المواسم فلو قدت نار المجوس والله ما أقول ذلك الاغيرة على نعمته وشفقة على خطته الى اجل الله تعالى بمقت من بحيرة البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى فالنار أولى بان يمقت شارعها وهى معبوده وانما جعل الله تعالى النار تذكرة ومتاعا ولم يجعلها ودا ولا سواعا ولم يضرب الله تعالى لها عيدا ولم يجعلنا لها عبيدا الله والنبى والعبد (الفاو)

عرفني قبل رؤيتي فلما خرج قال له ابليس هل في قدرة الله تعالى أن يدخل الجمل في سم الخياط فقال له اتشك في قدرة الله تعالى على أن يوسع سم الخياط حتى يدخل فيه الجمل أو يرقق الجمل حتى يصير كالخيط فيدخل في سم الخياط فانصرفا وقال ابليس لرفيقه معرفة هذا بالله تمحو ذنوبه وحاله خير من حال العابد الجاهل بالله انتهى وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على نوع الاغراق

في معرك لا تثير الخيل عثيره * مما تروى المواضي تربه بدم

بيت الشيخ صفي الدين الحلي على هذا النوع ابرزه بغير أداة التقريب وهو بيت عامر قريب من العقل بعيد من الوقوع عادة على شرط الاغراق لكنه غير صالح للتجريد وقد تقرر وتكرر أن بيوت البديعيات شواهد على الانواع فلا ينبغي أن يكون البيت متعلقا بما قبله ولا بما بعده وبيت بديعية العميان يقولون فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أتوا فيه بأداة التقريب حيث قالوا

لو قابل الشهب ليلا في مطالعها * خرت حياء وأبدت رد محترم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لو شاء اغراق وجه الارض أجمعه * ندى يديه لاحياها ولم يضم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لو شاء اغراق من ناواه مد له * في البر بحرا بموج فيه ملتطم

على كل تقدير مقام النبي صلى الله عليه وسلم صالح للمغالاة بالاغراق في مديحه والله اعلم

(ذكر الغلو)

(بلا غلو الى السبع الطباق سرى * وعاد والليل لم يحفل بصبحهم)

قد تقدم القول على المبالغة وتقرر أنها في الاصطلاح افراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة وتقرر أن الاغراق فوقها في الرتبة وهو في الاصطلاح افراط وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة والغلو فوقهما فانه الافراط في وصف الشيء بالمستحيل وقوعه عقلا وعادة وهو ينقسم الى قسمين مقبول وغير مقبول فالمقبول لابد أن يقربه الناظم الى القبول بأداة التقريب اللهم الا أن يكون الغلو في مديح النبي صلى الله عليه وسلم فلا غلو ويجب على ناظم الغلو أن يسبكه في قوالب التخيلات الحسنة التي يدعو العقل الى قبولها في أول وهلة كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فان اضاءة الزيت من غير مس نار مستحيلة عقلا ولكن لفظة يكاد قربته فصار مقبولا ومنه قول أبي العلاء المعري

تكاد قسيه من غير رام * تمكن في قلوبهم النبالا

تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم انسلالا

ويعجبني هنا قول ابن حمديس الصقلي في وصف فرس

ويكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب في فراق رفيق

ومنه قول الفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

العربي والتكبير الجهير وتلك الجماهير والملائكة بعد ذلك ظهير والرحمة صوبا وصبا والبركات فيضا وفضا والجنة وصراطها والنجاة واشراطها والموسم الطاهر من لغو الحديث ذلك لا ما شرع الشيطان لاوليائه نار الجحيم تشب ولعنة عليهم تصب وخمرة متاعها قليل وفي الآخرة خمارها طويل هذا هو العيد وذلك هو الضلال البعيد انهم ليشبون نارا هي موعدهم والنار في الدنيا عبيدهم والله الى النار يعيدهم ان اليهود لعلى اثرة من الكتاب وان حرفوه وان النصارى لعلى ارث من الصواب وان تصرفوه وان ابعد الامم ضلالا لهذه المجوس وان مقبل الشيطان لتلك الرؤس فمن لم يلبس مع

(الغلو)

ومن الغلوّ المقبول بغير أداة التقريب قول ابى الطيب المتنبي في ممدوحه

عقدت سنابكها عليه عثيرا ✽ فلو ابتغى عنقا عليه أمكنا

معنى هذا البيت ان سنابك الخيل وهي أطراف الحوافر عقدت على هذا الممدوح عثيرا وهو الغبار حتى لو أراد أنه يمشي عليه عنقا الامكن والعنق هو المشي السريع وانعقاد الغبار في الهواء حتى يمكن المشي عليه مستحيل عقلا وعادة الا انه تخييل حسن مقبول وقد وقع للقاضي الارجاني جمع فيه بين الشيئين الموجبين للقبول والتقريب وهما ماجرى به مجرى كاد والتخييل الحسن وذلك قوله

يخيل لى أن سمر الشهب في الدجا ✽ وشدّت باهدابى اليهن أجفانى

فقوله يخيل لى هو الجارى مجرى كاد فانه جعل الامر توهما لا حقيقة واما التخيل الحسن فهو ماذكر من تسمير الشهب وشدّ أجفانه اليها بأهدابه وجعل الاهداب بمنزلة الحبال ولا يخفى ما في هذا من التخييل الحسن واما الغلوّ الذى هو غير مقبول فكقول ابى نواس

فلما شربناها ودب دبيبها ✽ الى موضع الاسرار قلت لها قفى

مخافة ان يسطو على شعاعها ✽ فيطلع ندمانى على سرى الخفى

قالوا ان سطوة شعاع الخمر عليه بحيث يصير جسمه شفافا فيظهر لنديمه مافى باطنه لا يمكن عقلا ولا عادة ومنه قول بعضهم

أسكر بالامس ان عزمت على الشرب غدا ان ذا من العجب

فسكره بالامس بسبب عزمه على الشرب غدا مما لايمكن عقلا ولا عادة أيضا ومنه قول أبى نواس

واخفت اهل الشرك حتى انه ✽ لتخافك النطف التى لم تخلق

وهذا الذى قاله ابو نواس ايضا امر مستحيل فان قيام العرض الموجود وهو الخوف بالمعدوم وهى النطف التى لم تخلق لايمكن عقلا ولا عادة ومن الطف مايحكى هنا ان العتابى الشاعر لقى أبانواس فقال له اما تستحيى من الله بقولك واخفت اهل الشرك البيت فقال له ابو نواس وانت ايضا ما استحييت من الله بقولك

مازلت فى غمرات الموت مطرحا ✽ يضيق عنى وسيع الرأى من حيل

فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لى ✽ حتى اختلست حياتى من يدى اجلى

فقال العتابى قد علم الله وعلمت ان هذا ليس مثل قولك ولكنك اعددت لكل سؤال جوابا ومنه قول بعضهم

قد كان لى فيما مضى خاتم ✽ واليوم لوشئت تمنطقت به

وذبت حتى صرت لو زج بى ✽ فى مقلة النائم لم ينتبه

ومثل هذا ايضا لايقبله العقل ولا عليه رونق القبول قلت ومراتب الغلو تتفاوت الى ان تؤل بقائلها الى الكفر فمن ذلك قول ابن دريد

مارست من لو هوت الافلاك من ✽ جوانب الجو عليه ماشكا

قيل انه لاجل هذا البيت والادعاء العظيم الذى ادعى فيه ابتلى بمرض كان فيه يخاف من الذباب أن يقع عليه ومنه قوله

اليهود غيارهم ولم يعقد مع النصارى زنارهم ولم يشب مع المجوس نارهم هدى ولو شهد المسلمون السبت ما شهدوه الا مفسوخا محظورا وهجرا محجورا ولو علقوا الصليب لما علقوه الا كذبا وزورا ونكرا منكورا وليست النار بنكر ولا فسوق انما هو الكفر الصحيح والشرك الصريح والدين تحمله الريح ولا يستريح ان الجوسية حلاوة خضراء وأد البنات ونيك الامهات واشربوهات وملح الترهات وان هذا الدين لذو تبعات الصوم والفطام شديد والحج والمرام بعيد والصلاة والنوم لذيذ والزكاة والمال عزيز وصدق الجهاد والرأس لاينبت بعد الحصاد والصبر الحامض والعفاف اليابس والجلد الخشن والصدق المر والحق الثقيل

ولوجى المقدار عنه مهجة * لرامها او تستبيح ما حى
تغدو المنايا طائعات امره * ترضى الذى يرضى وتأبى ما ابى

ومثله قول ابى الطيب

كانى دحوت الارض من خبرتى بها * وكان بنا الاسكندر السد من عزمى

هذا أيضا من الغلو الذى يؤدى الى سخافة العقل مع ما فيه من قبح التركيب وبعده عن البلاغة وأقبح من هذا كله قول عضد الدولة

ليس شرب الراح الافى المطر * وغناء من جوار فى السحر
غانيات سالبات للنهى * ناغمات من تضاعيف الوتر
مبرزات الكاس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة بان ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

روى انه لم يفلح بعد هذا القول وكان لا ينطق الا بقوله تعالى ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ولولا الاطالة وهو نظم غير مقبول لاوردت كثيرا من نظم الذين كانوا يتساهلون فى هذا النوع كأبى نواس وابن هانئ الاندلسى والمتنبى وابى العلاء المعرى وغيرهم من المتأخرين كابن نبيه ومن جرى مجراه وكنت من المبادى استقبح قول الشيخ صفى الدين الحلى واستقل ادبه بقوله فى موشحه الذى أوله

دارت على الدوح سلاف القطر

وذلك قوله فى ممدوحه

لو قابل الاعمى غدا بصيرا * ولو رأى ميتا غدا منشورا
ولو يشا كان الظلام نورا * ولو أتاه الليل مستجيرا
آمنه من سطوات الفجر

وبيته فى بديعيته على هذا النوع اعنى الغلو قوله

عزيز جار لو الليل استجار به * من الصباح لعاش الناس فى الظلم

قلت هذا الغلو هنا مقبول فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم غير لائق بممدوحه الذى اشار اليه فى موشحه بقوله

ولو اتاه الليل مستجيرا * آمنه من سطوات الفجر

فقد تقرر ان الناظم اذا قصد الغلو فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم فلا غلو وبيت العميان فى بديعيتهم يقولون فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تكاد تشهد ان الله ارسله * الى الورى نطف الابناء فى الرحم

فنسبة الشهادة الى النطف وهى فى الارحام لا تمكن عقلا وما استحال عقلا استحال عادة وهذا الغلو هنا مقبول فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم وقد زاد الناظم تقريبه بكاد ولكن ذكر الارحام والنطف فى المدائح النبوية ما يخلو من قلة أدب وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فى مدحه نفحات لا غلو بها * يكاد يحيى شذاها بالى الرمم

والكظم وفى القمة العظم والناس رجلان موفق يوعظ فيقبل ويغنم ومخذول تأخذه العزة بالاثم فحسبه جهنم والسلام

(وله اليه أيضا)
قد بعث الى الشيخ اطال الله بقاءه باصل مال محجوبه وأصان ان شاء الله عن فروعه فاما القسمة الواقعة لفلان فلو كان حمارى لنفشت على بطنه التبن ونقلت على ظهره اللبن انأوى عنه الفراسة لولا كرامة انا والله لا أربط فى الاصطبل مثل ذلك الطبل انى لا نقس بالعذار على ذلك الحمار من ذلك الثور حتى يحتمل منه الجور الموت ولا هذا الصوت والمنية ولا هذه الدنيه والسلام

(وله اليه ايضا)
خالق الله الخيرات وجعل

نفحات هذا البيت عطرت الوجود بالمديح النبوى وغلوها فيه ملحوظ بعين القبول وتقريبها يكاد أحرز قصبات السبق ولا اقول كاد وهذا البيت عندى مقدم على بيت الشيخ صفى الدين و بيت العميان لالتزامه بتسمية النوع البديعى مورى به من جنس المديح مع انسجامه ورقته و بيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بلا غلو الى السبع الطباق سرى * وعاد والليل لم يحفل بصبحهم

هذا الغلو يرخص عنده باستطابه فى تلك المدائح النبوية كل غلو فانه لو كان فى غير النبى صلى الله عليه وسلم استحال عقلا وعادة ونعوذ بالله من نسبته الى غيره فانها تؤدى الى الكفر المحض وحصره فى النبى صلى الله عليه وسلم متفق عليه عقلا ونقلا وقولى عند نظم هذا النوع بلا غلو يعلم طالب هذا العلم طريق سلوك الادب وهذا البيت من خلاصات المدائح النبوية فنرجو الله أن تشملنا بركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم والله أعلم

(ذكر ائتلاف المعنى مع المعنى)

(سهل شديد له بالمعنيين بدا * تألف فى العطا والدين للعظم)

هذا النوع وهو ائتلاف المعنى مع المعنى ضربان فالاول فى الاصطلاح هو أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران احدهما ملائم والآخر بخلافه فيقرنه بالملائم واستشهدوا عليه بقول ابى الطيب المتنبى

فالعرب منه مع الكدرى طائرة * والروم طائرة منه مع الحجل

وقالوا ان تقوية المعنى الاول مناسبة القطا الكدرى مع العرب لانه يلائمهم بنزوله فى السهل من الارض وينفر من العمران ويستأنس بالمهامه ولا يقرب العمران الا اذا ادبه العطش وقل الماء فى البر ومناسبة الحجل مع الروم انها تسكن الجبال وتنزل فى المواضع المعروفة بالشجر والضرب الثانى هو ان يشتمل الكلام على معنى ومعنى لا تعلق له فيقرن بهما ما الاقترانه مزية واستشهدوا على هذا الضرب الثانى بقول أبى الطيب المتنبى ايضا

وقفت وما فى الموت شك لواقف * كانك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقالوا ان عجز كل من البيتين يلائم كلا من الصدرين وما اختار ذلك الترتيب الا لامرين احدهما ان قوله كانك فى جفن الردى وهو نائم تمثيل السلامة فى مقام العطب ولهذا قرن به الوقوف والبقاء فى موضع يقطع على صاحبه فيه بالهلاك أنسب من جعله مقرنا لثباته فى حال هزيمة الابطال والثانى ان فى تأخير التتميم بقوله ووجهك وضاح وثغرك باسم عن وصف الممدوح بوقوفه ذلك الموقف وعبور ابطاله كلمى بين يديه ما يفوت بالتقديم ولعمرى ان الضرب الثانى من ائتلاف المعنى مع المعنى ابدع من الضرب الاول واوقع فى القلوب واقرب الى مواقع الذوق وعليه نظمت بيت بديعيتى وياتى الكلام عليه فى موضعه ولكن هنا نكتة تزيد بديع الضرب الثانى ايضاحا وترشح قصد المتنبى فى ترتيبه الذى تقدم عليه الكلام حكى ان سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبى قال عند انشاده اياه هذين البيتين يا أبا الطيب قد انتقدنا عليك كما انتقد على امرئ القيس فى قوله

(ائتلاف المعنى مع المعنى)

الدين مناطها وجمع المخازى وجعل الالحاد رباطها وكل طائفة تفتر بالله بزعمها وتدينه بمبلغ علمها تقول اليهود نحن أبناء الله وخليله وورثة اسرائيله وتدعى النصارى انها صفوة جبيله وحملة انجيله والصابئة تفتخر بجبرئيله وتقول بميكائيله والمجوس على اثر من سبيله واثرة من قبيله ونحن بحمد الله حملة تنزيله والعلماء بتأويله وأبو منصور الكروجى لا يهودى يشهد سبته ولا نصرانى أعرف نفسه ولا مجوسى يعبد جبته ولا مسلم يحرس انه فيما بلغنى ينيك بنته ولا يغسل استه فالى أى دين أخاصمه والى أى مذهب أحاكمه وأنا الى رأى الشيخ الرئيس ومعونته فقير وهو بهما الى جدير والسلام

* (وله الى ابى محمد بن حاتم) *

كأنى لم أركب جوادا لغارة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروىّ ولم أقل * لخيلى كرى كرة بعد اجفال

فقال المتنبى أيها الامير ان صح ان البزاز أعلم بالثوب من حائكه فقد صح ما انتقد على امرئ القيس وعلىّ فان امرأ القيس أحب ان يقرن الشجاعة باللذة فى بيت واحد وهو الاول وقد وقع مثل هذا فى الكتاب العزيز وهو قوله تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه تعالى لم يراع فيه مناسبة الرى بالشبع والاستظلال باللبس فى تحصيل نوع المنفعة بل راعى مناسبة اللبس للشبع فى حاجة الانسان اليه وعدم استغنائه عنه ومناسبة الاستظلال للرى فى كونهما تابعين اللبس والشبع قلت واما جواب المتنبى عن قول امرئ القيس

كأنى لم أركب جوادا لغارة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

فهو الافتنان بعينه وهو نوع من أنواع البديع العالية وقد تقدم وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع قوله

من مفرد بغرار السيف منتثر * ومزوج بسنان الرمح منتظم

قد كثر تكرارا القول بان المراد من بيت البديعية أن يكون شاهدا على نوعه وان لم يكن صالحا للتجريد لم يصح الاستشهاد به على ذلك النوع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى هنا غير صالح للتجريد وعدم صلاحه للتجريد هو الذى عقده وحجب ايضاح معناه عن مواقع الذوق والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ذو معنيين بعضب والعدا التقفا * للخلف ما أشهب البازىّ كالرخم

قلت ان هذين المعنيين لشدة العقادة اتعبت الفكر فيهما على أن يتضح لى منهما معنى فعجزت عن ذلك والله اعلم وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

سهل شديد له بالمعنيين بدا * تألف فى العطا والدين للعظم

وقد تقدم قولى ان بيت بديعيتى منظوم فى سلك الضرب الثانى لكونه أبدع واوقع فى الذوق من الضرب الاول وهو أن يشتمل الكلام على معنى وملائمين فيقرن بهما ما يلائم ويظهر باقترانه مزية فسهولة النبى صلى الله عليه وسلم قرنتها بالعطاء وناهيك بهذه الملاءمة وشدته صلى الله عليه وسلم قرنتها بالدين لعظمه فاكرم بها ملاءمة وشرف قران وقد ورد نص الكتاب بذلك فى قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقولى فى القافية للعظم بعد ثبوت الشدة للدين فى غاية التمكين والله اعلم

(ذكر نفى الشئ بايجابه)

لا ينتفى الخير من ايجابه أبدا * ولا يشين العطايا المن والسأم

نفى الشئ بايجابه هو ان يثبت المتكلم شيأ فى ظاهر كلامه وينفى ما هو من سببه مجازا والمنفى فى باطن الكلام حقيقة هو الذى اثبته كقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فان ظاهر الكلام نفى الذى يطاع من الشفعاء والمراد نفى الشفيع مطلقا وكقوله تعالى لا يسألون

ابو الفضل رحم الله شبابه واحسن مآبه وأجزل ثوابه وابقى أباه وجبر مصابه فغير الى سفنجة من سفاتج الآخرة يجعلها بينه وبين النار جازا ويصطحبها جهازا وينفقها على الصراط ليجد جوازا ويقدمها ليعطيه مفازا واظن فلانا مكينا بايصالها ثقة فى احتمالها ولا شك ان الشيخ لا ينص على ذلك الصرط الصالح والولد الفالح بما يعلم حاجته اليه ولكانى به يقول وما معنى الفالح ومعناه ان رجلا كان يأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ولد عليه عقيصتان فجاء يوما وحده فقال النبى صلى الله عليه ما فعل ذو العقيصتين فبكى الرجل وقال ان الله استأثر به فقال عليه السلام ألا يسرك أن لا تأتى بابا من أبواب الجنة الا رأيت ابنك بفتحه

(نفى الشئ بايجابه)

الناس الحافا فان ظاهر الكلام نفي الالحاف في المسئلة والباطن نفي المسئلة بتة وعليه اجماع المفسرين وذكر ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير انه منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا هو الحد الذي قرره ابن رشيق في العمدة فانه قال نفي الشيء بايجابه اذا تأملته وجدت باطنه نفيا وظاهره ايجابا واستشهد عليه بقول زهير

بأرض خلاء لا يسد وصيدها * علي ومعروفي بها غير منكر

فاثبت لها في الظاهر وصيدا ومراده في الباطن أن ليس لها وصيد فيسد والطف ما رأيت من شواهد هذا النوع اعني نفي الشيء بايجابه قول مسلم بن الوليد

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

فان ظاهر الكلام نفي عبق الطيب ومسح الكحل والمراد نفي الطيب والكحل مطلقا ومثله قول ابي الطيب المتنبي

افدي ظباء فلاة ما عرفن بها * مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام مائلة * أوراكهن صقيلات العراقيب

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الهيئات والمراد في باطن الكلام عدم الحمام مطلقا فانهن عربيات كظباء الفلاة ولهذا قال ذو الرمة

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاي منكن أم ليلى من البشر

والقصد أن حسنهن لم يفتقر الى تصنع ولا الى تطرية بدخول الحمام وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع اعني نفي الشيء بايجابه يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لا يهدم المن منه عمر مكرمة * ولا يسوء اذاه نفس متهم

فظاهر الكلام في بيت الشيخ صفي الدين الحلي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتبع المكرمة بمن وحاشاه من ذلك ولا يصدر منه لنفس متهم اساءة والمراد في الباطن نفي المن والاساءة مطلقا فان مقام النبي صلى الله عليه وسلم في الكرم والحلم فوق ذلك والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين غفر الله له يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لم ينف ذما بايجاب المديح فتى * الا وعاقدت فيه الدهر بالسلم

هذا البيت ليس له تعلق بهذا النوع فان مشايخ البديع تواردوا في حده على عبارة واحدة لم تختلف بحرف بل الجميع قالوا نفي الشيء بايجابه هو أن يثبت المتكلم شيأ في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازا والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته وأوردوا على ذلك ما تقدم من شواهد القرآن العظيم والشواهد الشعرية التي زادت النوع ايضاحا ولم يتضح لي في بيت الشيخ عز الدين غفر الله لمعة استضيء بها في ظلمة هذه العقادة الى تقرير هذا النوع في البيت المذكور فلم يسعني غير النظر في شرحه فوجدته قد قال ما نفي الذم بايجاب المديح كريم الا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاقد الدهر بالسلم على ذلك المعنى قبل الذي فعل هذا الفعل المحمود فانه هو الاصل في الاسباب الخيرية جميعها انتهى ما علمت ما مراده في النظم ولا في الشرح ولا اين استقر نفي الشيء بايجابه والله أعلم وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي

لك وما قصدت بهذه الرقعة اعظم من قضائه حتى ذلك الفاضل رحمه الله وارجوها تقع من وفاق الشيخ موقعها ان شاء الله تعالى

(وله الى الفقيه اسمعيل ابن ابراهيم المقري)

هل اطال الله بقاء الفقيه تقضي حق بن عظيمين لم ارض لنفسي فيما سواه حمد بلاد وان نشطا لم أبغ به بدلا حرمتان أولاهما واولاهما حرمة الغصن المختضر والورق المختضر والكمال المختصر والشباب المبتصر والاخرى حرمة العلم العاطل بوا الحق في معرض الباطل

صلى الله عليه وسلم

لا يتقي الخير من إيجابه أبدا * ولا يشين العطايا بالمن والسأم

الذي أقوله ان محاسن هذا البيت ببركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم تغني عن التطويل في شرحه وسهولة مأخذ النوع منه لم تفتقر الى زيادة ايضاح وما أحقه هنا بقول القائل

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الا على اكمه لا يعرف القمرا

(ذكر الايغال)

(الجود في السير ايغال اليه وكم * حبا الانام بود غير منصرم)

هذا النوع مأخوذ من ايغال السير فانه يقال اوغل في السير اذا بلغ غاية قصده بسرعة ولهذا قلت الجود في السير ايغال اليه البيت ومعنى ذلك أن المتكلم أو الشاعر اذا انتهى الى آخر القرينة أو البيت استخرج سجعة أو قافية يريد معنى زائدا وكل منهما فكان المتكلم والشاعر قد تجاوز حد المعنى الذي هو آخذ فيه وبلغ مراده فيه الى زيادة عن الحد وهذا النوع مما فرعه قدامة وفسره بان قال هو ان يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن يأتي بقافيته فاذا اراد الاتيان بها ليكون الكلام شعرا أفاد بها معنى زائدا على معنى البيت كقول ذي الرمة

قف العيس في آثار مية واسأل * رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه قبل القافية فلما احتاج اليها أفاد بها معنى زائدا وكذلك صنع في البيت الذي بعده حيث قال

اظن التي يجدي عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان المفصل

فانه تم كلامه بقوله كتبديد الجمان واحتاج الى القافية فأتى بما يفيد معنى زائدا ولو لم يأت بها لم يحصل انتهى والفرق بين الايغال والتتميم ان التتميم يأتي الى المحتاج فيتممه كقول الشاعر وقد تقدم

أناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضب

فان المعنى بدون قوله ويعطوه ناقص والايغال لا يرد الا على المعنى التام فيزيده كمالا ويفيد فيه معنى زائدا غير أن بين الايغال والتكميل تجاذبا يكاد أن ينتظم كل منهما في سلك الآخر ولكن رأيت الناس قد سلموا الى قدامة ما اختاره وفرعه هنا فمشيت مع الناس واستشهدوا على الايغال بقوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون فان الكلام تم بقوله تعالى ومن أحسن من الله حكما ثم احتاج الكلام الى فاصلة تناسب القرينة الاولى فلما أتى بها أفاد معنى زائدا قلت ولعمري لو طلب التكميل حقه من هذا الشاهد لم يمنعه الذوق السليم ومثله قوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان المعنى تم بقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء ثم اراد وهو أعلم اتمام الكلام بالفاصلة فقال اذا ولوا مدبرين وقد حكي عن الاصمعي انه سئل من اشعر الناس فقال الذي يأتي الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا وينقضي كلامه قبل القافية فان احتاج اليها أفاد معنى زائدا فقيل له نحو من فقال نحو الفاتح لابواب المعاني وهو امرؤ القيس حيث قال

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وارحلنا الجزع الذي لم يثقب

الايغال

والدين في امر الفقر والنعمة في يد الدهر اعل الله يسهل سعيه للاول فوزا أو نجاه وللآخر بضاعة مزجاه ويصون وجهه عن الابتذال ان اجرهما العظيم وقد طويت هذه الرقعة عليهما فليوصلها وليتجشم وليتكلم عليهما بما يعلم

(وله الى الشيخ الامام أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ الفاضل الامام اتباعا لرضاه ونزولا حيث يراه والاصل في هذه المخاطبات ان الله تعالى جعل تعظيم النبوة فرضا فقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فلما خفت الرسالة وجاءت الامامة يدت اليها الكرامة فقيل لابي بكر يا خليفة رسول الله لجعل الله الخلافة شعار

ومثله قول زهير كأن فتات العهن في كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

فكلام امرئ القيس انتهى الى قوله الجزع وزيادة المعنى في قوله الذي لم يثقب ولا يخفى على حذاق الادب ما فيها من المحاسن ومعنى قول زهير انتهى في كلامه الى قوله حب الفنا وزيادة المعنى في قوله لم يحطم فيها نكتة بديعية غريبة وانا اذكرها هنا تنبيها على ما قرره الاصمعي وما ذاك الا ان زهيرا شبه ما تفتت من العهن بحب الفنا والفنا شجر ثمره حب احمر وفيه نقط سود وقال الفراء هو عنب الثعلب فلما قال زهير بعد تمام معنى بيته لم يحطم أراد أن يكون حب الفنا صحيحا لانه اذا كسر ظهر له لون غير الحمرة وقال ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير ولقد أحسن ابن المعتز في ايغاله بقوله لابن طباطبا العلوي

فانتم بنو بنته دوننا * ونحن بنو عمه المسلم

فانه تحيل على المساواة بأن قال ونحن بنو عمه المسلم والكلام تم قبل الاتيان بالقافية فلما أتى بها افادت معنى اذ لا طريق له الى التفضيل بزيادة في حسن الجد والذي وقع اتفاق البديعيين عليه أن اعظم ما وقع في هذا الباب وابلغ قول الخنساء اخت صخر

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

فان معنى جملة البيت كامل دون القافية فوجودها زيادة لم تكن له قبلها وهذه المرأة لم ترض لاخيها أن يأتم به جهال الناس حتى جعلته يأتم به أئمة الناس وهذا تتميم ولم ترض تشبيهه بالعلم وهو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه نارا و يعجبني من أمثلة هذا النوع في شعر المتأخرين قول الباخرزي من قصيدة

انلني فؤادك فارم طرفك نحوه * ترني فقلت لها وأين فؤادي

ومثله قول الآخر

تعجبت من ضنى جسمي فقلت لها * على هواك فقالت عندي الخبر

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كأن مرآه بدر غير مستتر * وطيب رياه مسك غير مكتتم

الايغال مع الشيخ صفي الدين في غير مستتر وغير مكتتم والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

اضحت اعاديه في الاقطار طائرة * واوغلت في الهوى خوف امع العصم

قال الشيخ عز الدين غفر الله له في شرحه ان الايغال الذي افاد في بيته معنى زائدا بعد تمامه قوله خوف امع العصم وذكر ان العصم هي الجوارح من الطيور التي تفرخ في العوالي والله أعلم وبيت بديعيتي اشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم بقولي

للجود في السير ايغال اليه وكم * حب الانام بود غير منصرم

فمعنى بيتي انتهى الى قولي عنه صلى الله عليه وسلم حب الانام بود ولما قلت بعد ذلك غير منصرم اشارة الى ود النبي صلى الله عليه وسلم ظهر لي من زيادة المعنى ما اقام قواعد بيتي وملأ الدنيا بهجة بمحاسن الصفات النبوية والله أعلم

(ذكر التهذيب والتأديب)

آل أبي قحافة لم يدع بها غير صاحبهم ثم استخلف أبو بكر عمر فقال رجل يا خليفة الله قال خالف الله بك ذاك نبي الله داود ثم قال يا خليفة رسول الله قال ذاك صاحبكم المفقود ثم قال يا خليفة خليفة رسول الله فقال اني لكما تقول ولكن هذا الامر يطول قال فنسميك قال لا تبخس مقامي شرفه أنتم المؤمنون وانا اميركم فقيل الامام وامير المؤمنين ولعمري العالم أولى بكرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خليفة زماننا هذا ان العالم ليجدد رسومه ويدرس علومه

قوله العصم هي جمع اعصم وفي القاموس الاعصم من الظباء والوعول ما في ذراعيه أو في احدهما بياض وسائرها أسود أو احمر انتهى المراد منه فما ذكره الشيخ عز الدين في تفسيره لغير صواب اه

التهذيب والتأديب

(تهذيب تاديبه قد زاده عظما * فى مهده وهو طفل غير منفطم)

نوع التهذيب والتأديب ماقرر واله شاهدا يخصه لانه وصف يعم كل كلام منقح محرر وهو عبارة عن ترداد النظر فى الكلام بعد عمله والشروع فى تهذيبه وتنقيحه نظما كان أونثرا وتغيير مايجب تغييره وحذف ماينبغى حذفه واصلاح مايتعين اصلاحه وكشف مايشكل من غريبه واغرابه وتحرير مايدق من معانيه واطراح مايتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ الفاظه لتشرق شموس التهذيب فى سماء بلاغته وترشف الاسماع على الطرب رقيق سلافته فان الكلام اذا كان موصوفا بالمهذب منه وتابا المنقح علت رتبته وان كانت معانيه غير مبتكرة وكل كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها اولو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم اولو تم هذا النقص بكذا أولو تكمل هذا الوصف بكذا أولو حذفت هذه اللفظة اولو اتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلب لكان الكلام احسن والمعنى أبين كان ذلك الكلام غير منتظم فى سلك نوع التهذيب والتأديب وكان زهير بن ابى سلمى معروفا بالتنقيح والتهذيب وله قصائد تعرف بالحوليات قيل انه كان ينظم القصيدة فى أربعة اشهر ويهذبها وينقحها فى اربعة اشهر ويعرضها على علماء قبيلته اربعة اشهر ويروى انه كان يعمل القصيدة فى شهر وينقحها ويهذبها فى احد عشر شهرا ولاجرم انه قلما يسقط منه شئ ولهذا كان الامام عمر ابن الخطاب رضى الله عنه مع جلالته فى العلم وتقدمه فى النقد يقدمه على سائر الفحول من طبقته وما احسن ما اشار ابو تمام الى التهذيب بقوله

خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى * والليل اسود رقعة الجلباب

فانه خص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهدأ فيه الاصوات وتسكن الحركات فيكون الفكر فيه مجتمعا ومرآة التهذيب فيه صقيلة لخلو الخاطر وصفاء القريحة لاسيما وسط الليل والنفس قد أخذت حظها من الراحة بعد نيل قسطها من النوم وخف عليها ثقل الغذاء وصح ذهنها وصار صدرها منشرحا وقلبها بالتأليف منبسطا وما قدموا وسط الليل فى التأليف على السحر مع مافيه من رقة الهواء وخفة الغذاء واخذ النفس سهمها من الراحة الالما يكون فيه من انتباه اكثر الحيوان الناطق وارتفاع معظم الاصوات وجرس الحركات وتقشع الظلماء بطلائع الاضواء وبدون ذلك ينقسم الفكر ويشتغل القلب ووسط الليل خال مما ذكرناه ولهذا خص ابو تمام تهذيب الفكر بالدجى عادلا عن الطرفين لما فيهما من الشواغل المذكورة وحكت الثقات عن ابى عبادة البحترى الشاعر قال كنت فى حداثتى اروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبع سليم ولم اكن وقفت له على تسهيل مأخذ ووجوه اقتضاب حتى قصدت ابا تمام وانقطعت اليه واتكلت فى تعريفه عليه فكان اول ما قال لى يا أبا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة فى الاوقات اذا قصد الانسان تأليف شئ أوحفظه ان يختار وقت السحر وذلك ان النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء * وصفا من اكثر الابخرة والادخنة جسم الهواء * وسكنت الغماغم * ورقت النسائم * وتغنت الحمائم واذا شرعت فى التأليف تغن بالشعر فان الغناء مضماره الذى يجرى فيه * واجتهد فى ايضاح معانيه *

ويفتش حديثه ويضبط أصوله ويخرج فروعه وان الخليفة لا يألوه خلافا ولا يألونا جزافا جاءنا رجل يصحب السرير ويسحب الحرير ويفرش الحصير ويخوض العبير يخلف بزعمه رجلا كان يقتات الشعير ويمروى البعير ويركب الحمير ويكلم الصغير ويجالس الفقير ويؤاكل الاسير فرق بينهما بعيد هذا وان لم يحسن العشرة ولم يحمل الرأى والنية وفيم يملك الامامة وهذا الحسن البصرى يتعظ به البدرى ويستفيد منه العقبى وتقول عائشة كانه اذا تكلم النبى قال له رجل مايقول الفقيه فقال له فاها الفيك سفيها وهل رأت عيناك بعد الصحابة فقيها وما أجد للشيخ مثلا الا صاحب النسور والنشور والحديث على بعده مقول والخبر على ضعفه منقول وعلى الراوى عهدة الخبر وضمان درك الاثر وخفارة الحديث حتى يبلغ مأمنه من القلوب وينزل منزله من القبول ان النسور سمت

فان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا * واكثر فيه من بيان الصبابة * وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق * والتعلل باستنشاق النسائم * وغناء الحمائم * والبروق اللامعة * والنجوم الطالعة * والتبرم من العذال * والوقوف على الاطلال * واذا أخذت في مدح سيد فأشهر مناقبه * وأظهر مناسبه * وأرهب من عزائمه ورغب في مكارمه * واحذر المجهول من المعاني واياك أن تشين شعرك بالعبارة الرديه والالفاظ الوحشيه * وناسب بين الالفاظ والمعاني في تأليف الكلام * وكن كالخياط تقدر الثياب على مقادير الاجسام * واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت فارغ القلب ولا تنظم الا بشهوة فان الشهوة نعم المعين على حسن النظم وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من اشعار الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه انتهت وصية ابي تمام * واورد العلامة زكي الدين بن ابي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير وصية لنفسه اوردها ايضا على نوع التهذيب والتأديب فاخترت منها ما هو الائق بالحال وانما ينبغي لك ايها الراغب في العمل السائل عن اوضح السبل أن تحصل المعنى قبل الشروع في النظم والقوافي قبل الابيات قلت وهذا مذهبنا ثم قال ابن ابي الاصبع قال ولا تكره الخاطر على وزن مخصوص وروي مقصود وتوخ الكلام الجزل دون الرذل والسهل دون الصعب والعذب دون المستكره والمستحسن دون المستهجن ولا تعمل نظما ولا نثرا عند الملل فان الكثير معه قليل والنفيس معه خسيس والخواطر ينابيع اذا رفق بها جمت واذا كثر استعمالها نزحت واكتب كل معنى يسنح وقيد كل فائدة تعرض فان نتائج الافكار كلمعة البرق ولمحة الطرف ان لم تقيدها شردت وندت وان لم تستعطف بالتكرار عليها صدت والترنم بالشعر مما يعين عليه فقد قال الشاعر

تغن بالشعر اما كنت قائله * ان الغناء لقول الشعر مضمار

وقد يكل خاطر الشاعر ويعصى عليه الشعر زمانا كما روي عن الفرزدق انه قال لقد يمر على زمان وقلع ضرس من اضراسي اهون علي من أن أقول بيتا واحدا واذا كان كذلك فاتركه حتى يأتيك عفوا وينقاد اليك طوعا واياك وتعقيد المعاني وتقصير الالفاظ وتوخ حسن النسق عند التهذيب ليكون كلامك بعضه آخذا باعناق بعض وكرر التنقيح وعاود التهذيب ولا يخرج عنك ما تنظمه الا بعد تدقيق النقد وامعان النظر انتهى قلت وهذا لعمري هو المراد من النوع الذي نحن في شرحه اعني نوع التهذيب والتاديب لا كقول الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكا * ابو امه حي أبوه يقاربه

فان الممدوح ابراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك واما التقديم والتأخير ففي قوله وما مثله البيت فان تقديره وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا ابو امه ابوه وسلوك طريق التعقيد في قوله ابو امه ابوه وكان يجزيه قوله جده وهذا لعمري هو التعقيد الذي بينه وبين التهذيب والتأديب الذي قررناه بعد المشرقين وقد تقدم قولي ان البديعيين اجمعوا على ان هذا النوع ليس له شاهد يخصه لانه وصف يعم كل كلام منقح فاختصرت الشواهد ليظهر للمتأمل من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات في هذا النوع اعني التهذيب

بتاونه صعدا الى السماء حتى تطاول فانكر الجبال ثم تطاول فانكر الارض ثم تطاول فلم يرشيا كذلك الشيخ الامام قد سمت به الهمة الى حيث ينظر فلا يرى احدا فلينظامن الى الغمام ان لم يتواضع الى الانام ولم وهو بحمد الله ان ذكر الشرف كان بذروته أو الدين تمسك بعروته او العلم احتبى بعقوته او الجود تعلق بحبوته فليت شعري بمن هذى فضائله ماذا الذي يلوغ النجم ينتظر

(وله الى الفقيه الداوردي أبي القاسم)

الفضل اطال الله بقاء الفقيه قبيح وهو بالسرقين أقبح والحمى بدعة وحمى المشتر ابدع ومن الغرائب ان يضل البشر بما يسلح المشتر وكانوا بالفضل على الطبب يعذلون وأراهم في كل عام يرذلون ووردت رقعة وكيلي يزعم أن وكيله

والتأديب ولكن رأيت العلامة زكي الدين بن أبي الاصبع قد استحسن من الشواهد اللائقة بهذا النوع قول القاضي السعيد بن سنا الملك

تغنى عليها حليها طربا بها * وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

قال وقوله صحيح لو لم تقدم في صدر البيت لفظة مشتقة من الغنا حصل بها في البيت من الرونق ما لا يحسن بدونها وكان البيت خاليا من التهذيب فان بوجودها حصل في بيته تصدير وتجنيس وائتلاف وتهذيب وانتفى عنه من العيوب عدم الائتلاف وقلق القافية وبذلك تقدم التهذيب فانه لو قال

زهت بأزاهير الجمال وحسنها * وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

لظهر قلق القافية وتمكين تلك الاولى بسبب تصدير البيت بقوله تغنى انتهى كلام ابن أبي الاصبع وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

هو النبي الذي آياته ظهرت * من قبل مظهره للناس في القدم

قد تكرر قولي انني لم اكثر من شواهد هذا النوع الا ليظهر فيه من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

والله هذبه طفلا وأدبه * فلم يحل هديه الزاكي ولم يرم

وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تهذيب تاديبه قد زاده عظما * في مهده وهو طفل غير منفطم

هذا البيت يشتمل ببركة من أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو الممدوح صلى الله عليه وسلم على عشرة أنواع من انواع البديع اولها النوع الذي هو شاهد عليه وهو التهذيب والتأديب والانسجام والسهولة والتورية بتسمية النوع والتتميم والتكميل والتمكين والايغال والائتلاف والمبالغة ولولا الخوف من الاطالة ذكرت كل نوع في موضعه ولكن في نظر اصحاب الذوق السليم من علماء هذا الفن ما يغني عن ذلك والله اعلم

(ذكر ما لا يستحيل بالانعكاس)

(بحر وذو أدب بدا وذو رحب * لم يستحل بانعكاس ثابت القدم)

هذا النوع سماه قوم المقلوب والمستوي وسماه السكاكي مقلوب الكل وعرفه الحريري في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس وهو ان يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده وهذا النوع اعني ما لا يستحيل بالانعكاس غايته ان يكون رقيق الالفاظ سهل التركيب منسجما في حالتي النثر والنظم وجاء منه في الكتاب العزيز (كل في فلك) (وربك فكبر) ومن الكلام الذي رق لفظه (ارض خضرا) وأورد الحريري في مقاماته (ساكب كاس) وزاد في العدة (كبر رجاء أجر ربك) وزاد في العدة ايضا فقال (لذ بكل مؤمل اذا لم وملك بذل) قلت هذا الكلام الذي زاد الحريري في عدة كلماته صحيح التركيب في طرده وعكسه ولكن لم يخف على الحذاق واصحاب السجايا الرقيقة ان التكلف طوق جيده بطوق القيادة وذكروا أن العلامة

منعه روث الوادي فلا أدري أي الوكيلين الأم أصاحب الغوث أم صاحب الروث وأيهما انقى واتقى من السرقين منعه واخبث من منعه رفعه

فان يكن شجر الاترج طاب معا اصلا وفرعا وطاب العود والورق

فان قدر عيب الكلب خس معا قدرا وقد زاو خس اللحم والمرق

(وله الى أبي الحسين [illegible] الحميري)

انت ادام الله عزك طرفك جاف ولطفك خاف فاما عتابك بجفون محض وسباب صرف ولا عليك ان لا تعاتب احدا ولا تكاتبني ابدا واذا نبست لي شفة فلا نبس لك الصاقب وكيف ترى السهى عينك ولا ترى النجم

ذكر ما لا يستحيل بالانعكاس

القاضي فتح الدين بن الشهيد صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروس تغمده الله
برحمته ورضوانه وصل في تركيب هذا النوع الى أكثر من هذه العدة ولكن ما وقفت له على
شئ من ذلك وانما مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي
صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك المحروسة الاسلامية عظم الله تعالى شأنه أخبر
المملوك أنه وقف على ما نثره القاضي فتح الدين المشار اليه في هذا النوع قبل تيمورلنك وذكر أنه
في غاية العقادة وقد تقدم القول وتقرر أن المراد من تركيب هذا النوع نثرا كان او نظما غير
كثرة العدد والمبرز فيه هو الذي يأتي به رقيق الالفاظ سهل التركيب رافلا في حلل الانسجام
وممن استوعب هذه الشروط في كلام منثور مولانا قاضي القضاة شرف الدين شيخ
الاسلام ابن البارزي الجهني الشافعي نور الله ضريحه بقوله (سور حماه بربها محروس)
ومن الغايات ايضا في هذا النوع قول العماد الكاتب وقد مر عليه القاضي الفاضل راكبا
(سر فلا كبا بك الفرس) فاجابه القاضي الفاضل على الفور وقد علم القصد (دام علا العماد) وقال
الحريري في المقامات ان أحببت ان تنظم فقل الذي تعظم

اس أرملا اذا عرا * وارع اذا المرء أسا

قلت وهذا النظم ايضا لا يخفى انه يتجافى عن الرقة بتغليظ لفظه ومن الشواهد المقبولة على
هذا النوع في النظم قول الشاعر

عج تنم قربك دعد آمنا * انما دعد كبرق منتجع

ومنها

أراهن نادمنه ليل لهو * وهل ليلهن مدان نهارا

والذي وقع عليه الاجماع أن أبلغ الشواهد على هذا النوع الذي استوعب ناظمه فيه
الشروط التي تقدم ذكرها قول القاضي الارجاني

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

ومثال شطر البيت الذي نسجت أبيات البديعيات على منواله (أرانا الاله هلالا أنارا)
وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع

هل من يتم بحب من ينم له * بعار موه كن لم يدر كيف رمى

قلت الشيخ صفي الدين الحلي غفر الله له غير مشكور في نظم هذا البيت فان الطرد والعكس
لم يأت به الا في الشطر الاول وهو غير ملتزم تسمية النوع فان تسمية هذا النوع بما لا يستحيل
بالانعكاس تستوعب جزءا كبيرا من البيت ومع عدم التزامه بشئ من ذلك جاء بيته في غاية
العقادة ولظلمة عقادته لم يلح لي فيه لمعة أهتدي بها الى فهم معناه وأعجب من ذلك ان البيت
مبني على مديح النبي صلى الله عليه وسلم والبيت الذي قبله

من مثله وذراع الشاة كلمه * عن سمه بلسان صادق الزمم

والبيت الذي بعده

هو النبي الذي آياته ظهرت * من قبل مظهره للناس في القدم

فبيت ما لا يستحيل بالانعكاس بينهما أجنبي ونسبه بعيد من شرف هذين البيتين المنتسبين

الثاقب أخبرني عن رجل
من اخوانك بتمسكه آياتك
ومودته خير من حياتك
ان لم تزنك صحبته لم تشنك
وان لم يفدك لم يستفد منك
غبت عنه شهورا فلم تكاتبه
ولم يهاتك حتى اذا ابتدأك
عائدا بخلقه على خرقك
انشأت تشتم عرضه كيف
لم يسغ فضل كتابه اليك
فسخفت عقله وخبثت
اصله ونسبت الى اللؤم
عهده يا ابا الحسين للئيم عهد
من كتب فصلا وكرم عهد
من لم يكتب اصلا والله
لو بلغت المبالغ الذي انت
اليوم دونه وكنت الرجل
الذي تطمع أن تكونه
لكفاك من التيه بعض
ما انت فيه فاما الآن
والحال من الضعف بحال
والايام كانها البال والقفا
كالوجه بال والكيس

الى

الى النبي صلى الله عليه وسلم والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لم يستحل بانعكاس في سجيته * مدن أخاطم معط أخاندم

قلت الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى يعذر هنا اذا احتجبت عنه محاسن الرقة لالتزامه بتسمية النوع الذى استوعب جزأ كبيرا من بيته و يشبه بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

بحر وذو أدب بدا وذو رحب * لم يستحل بانعكاس ثابت القدم

وقد حبست عنان القلم هنا عن الاطناب في انسجام هذا البيت ورقة ألفاظه وتمكين قافيته علما أن في انصاف أصحاب الذوق السليم من أهل الادب ما يغني عن ذلك والله أعلم

(ذكر التورية)

(أوصافه الغر قد حلت بتورية * جيدي وعقد لساني بعد ذا وفى)

التورية يقال لها الايهام والتوجيه والتخيير والتورية اولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته واظهرت غيره كان المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر وهي في الاصطلاح أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك ولاجل هذا سمي هذا النوع ايهاما ومثل ذلك قول ابي العلاء المعري

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط

فمن سمع هذا البيت توهم انه يريد براء ودال حرف الهجاء لانه صدر بيته بذكر الحروف وأتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا هو المعنى القريب المتبادر أولا الى ذهن السامع والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب لان مراده بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيه الناقة به في تقويسها وضمورها وبراء اسم الفاعل من رأى اذا ضرب الرئة وبدال اسم الفاعل من دلا يدلو اذا رفق في السير وبالرسم أثر الدار وبالنقط المطر ومعنى هذا البيت ان هذه الناقة لضعفها وانحنائها مثل نون تحت رجل يضرب رئتها ولم يرفق بها في السير فهو غير دال وقد تقدم ان الدالي هو الرفيق ويؤم بها دارا غير المطر رسمها واجتماع هذه الاوصاف دليل على ضعف الناقة لانها لو كانت قوية لما احتاجت الى ضرب رئتها والى الرفق بها مع شدة شوقه الى ديار أحبابه وذلك باعث على شدة السير قال حذاق الادب تراكيب التورية في هذا البيت بالنسبة الى ديباجة المتأخرين وطلاوة الفاظهم وزخارف بيوتهم تستحق قول القائل

وما مثله الا كفارغ حمص * خلي من المعنى ولكن يفرقع

لان هذا النوع اعني التورية ما تنبه لمحاسنه الا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب ولعمري انهم بذلوا الطاقة في حسن سلوك الادب الى أن دخلوا اليه من بابه فان التورية من أعلى فنون الادب وأعلاها رتبة وسحرها ينفث في القلوب ويفتح بها ابواب عطف

التورية

مثل الرأى خال والجم في السوق عال والقدر طيف خيال فأغنى ما انت عنه ما انت فيه وأحوج ما انت اليه ما لست تحوم حواليه والسلام

(وله الى رجل سأل مسكرا وتقاضاه في يوم مطير)

عافاك الله العاقل ان وافا ابو علي بجل البريد من المضرب البعيد في الخطب الشديد يومنا هذا لم تستقبل جنازته وان مات لم تشهد جنازته وحل الى الركب ومطر كانوا اما القرب ورجل ظاهر النفاق يلتمس منه الشراب وهو لا يعرف قربه فكيف شربه على انك الى السكر احوج منك الى السكر الاترى كيف من الله تعالى على

وتحبيه وما برز شمسها من غيوم النقد الا كل ضامر مهزول * ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول * ومما يؤيد قولي هذا قول الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى في ديباجة كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ومن البديع ما هو نادر الوقوع * ملحق بالمستحيل الممنوع * وهو نوع التورية والاستخدام * فانه نوع تقف الافهام حسرى دون غايته عن مرامى المرام *

نوع يشق على الغبي وجوده * من أي باب جاء يغدو مقفلا

لا يفرع هضبته فارع * ولا يقرع بابه قارع * الا من تمهر في البلاغة نحوه في الخطاب * وتجري ريحها بأمره رخاء حيث أصاب * وقال الزمخشري وهو حجة في هذا العلم ولا نرى بابا في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات من كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين فمن ذلك قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين أحدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود لان الحق تعالى وتقدس منزه عن ذلك والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورى عنه بالقريب المذكور انتهى ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل في مجيئه عند خروجه الى بدر فقيل لهم ممن أنتم فلم يرد أن يعلم السائل فقال من ماء أراد أنا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزال المنام طائرا حتى يقص فاذا قص وقع ففي الكلام توريتان لفظة طائر ولفظة يقص ويحتمل ايضا ان يكون في لفظة وقع تورية ثالثة ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه في الهجرة وقد سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا فقال هاد يهديني أراد ابو بكر رضي الله عنه هاديا يهديني الى الاسلام فورى عنه بهادي الطريق وهو الدليل في السفر وكانت خواطر المتقدمين عن نظم التورية بمعزل * وافكارهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل * لكنها ربما وقعت لهم عفوا من غير قصد لانهم على كل حال ولاة هذا الشان وادلة هذا الركب وقيل ان اول من كشف غطاءها وجلا ظلمة اشكالها ابو الطيب المتنبي بقوله

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات مصطحبان
كان رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسي وانت يماني

يريد أن كف شبيب وسيفه متنافران فلا يجتمعان لان شبيبا كان قيسيا والسيف يقال له يماني فورى به عن الرجل المنسوب الى يمن ومعلوم ما بين قيس ويمن من التنافر قلت وكان من قال ان ابا الطيب أول من كشف غطاء التورية ما لمح قول عمرو بن كلثوم في معلقته عن الخمرة

مشعشعة كان الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا

الشاهد هنا في سخينا فان العرب كانوا يسخنون الماء في الشتاء لشدة برده ثم يمزجونها به فسخينا على هذا التقدير نعت لموصوف محذوف والمعنى فاضحى شرابا سخينا وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل السخاء الذي هو عبارة عن الكرم وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ومراد الناظم ومما يؤيد قولي انه المراد قول الجوهري في الصحاح قول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال ليس بشئ فان المراد لما خالطها الماء ومزجت به طبنا وسخينا

البيوت بالثبوت وعلى السقوف بالوقوف انتم والماء سلطانك والطين حيطانك السكن والطين جدرانك والانهار جيرانك ألا تنتظر هذا المطر أمطر عمارة أم مطر خراب وسقيا رحمة ام سقيا عذاب (وله في تهنئة فتح الجابية يا بلخ وهذا آخر كتاب أنشاه ومات يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة) * كتبت أطال الله بقاء الشيخ الجليل السيد من هراة عن سلامة وصنع الله جميل وسلطانه عزيز وكيده متين والحمد لله رب العالمين

بامواالنا كقول عنترة

واذا سكرت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم

والحص هو الزعفران على احد الاقوال وهو الذي شبه صفرتها به فان قيل سخا مضارعه يسخو وسخو من ذوات الواو فلا يجوز أن يكون سخينا فعلا على هذا التقدير فالاجماع عند اهل اللغة أنه يقال سخا يسخا وسخا يسخو وهذا مذهب الجوهري في الصحاح وعلى هذا التقدير فاشتراك التورية في سخينا صحيح ممكن من الوجهين انتهى وكشف ايضا عن قناع التورية في شعره النابغة الذبياني بقوله

خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

اراد بالصيام ههنا القيام وورى بقوله تعلك اللجما عن الصيام واورد السكاكي في المفتاح للعرب من هذا الباب

حملناهم طرا على الدهم بعدما * خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

أراد بالحمل على الدهم تقييدهم وأوهم بالركوب على دهم الخيل قلت وقبل المتنبي ايضا بزمن طويل قال ابونواس

فتنت قلبي محببة * وجهها بالحسن منتقب

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام امتحنت بيت ابي نواس جماعة ممن حاضرتهم وذاكرتهم وعاطيتهم كؤوس الادب وعاشرتهم فبعضهم استخرج منه النكتة وبعضهم لم أجد له اليها الفتة وقال البحتري

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح في القلوب وتعذب

الشاهد في قوله تملح فانه يحتمل ان يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة وهو المعنى القريب المورى به ويحتمل ان يكون من الملاحة وهو المعنى البعيد المورى عنه وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين قوله ملية بالحسن واما ابو العلاء فانه أتى في التورية بلمعة خفية الايماء شديدة العقادة والتكلف كما تقدم وكقوله

حروف سرى جاءت لمعنى اردته * برتني اسماء لهن وافعال

اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تخفى وان كذب الخال

الجد هنا مشترك بين ابي الاب والسعد ومراده السعد والعم مشترك بين أخي الاب والجماعة من الناس ومراده الجماعة والخال مشترك بين أخي الام والظن ومراده الظن قلت زخروف هذا البيت ايضا لا تخفى انه مكسوف بدخان العقادة اين هذا من قول الشيخ تقي الدين السروجي

في الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك اشتهي شمها

حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنه عمها

ومثله في اللطف والظرافة قول الشيخ عز الدين الموصلي

لحظت من وجنتها شامة * فابتسمت تعجب من حالي

قالت قفوا واستمعوا ما جرى * قد هام عمي الشيخ من خالي

والصلاة على محمد وآله اجمعين وهذا ورب الكعبة آخر ما في الجعبة لقد انصف القارئ ومحا السيف ما قال ابن دارة ثم لا نزوة بعدها الترك ولا تحكم بعدها بالملك لقد كاس السلطان اعزالله نصره اذ عفر قمشعره وعرض على الله قصره وفوض الى الله أمره ونذر لله نذره وناهض بالله خصمه وسأل الله حوله ولم يعبه كثرة الالا حوله ولم يشغل بقبوله وقبوله بذا الشد الله آزره وقوى أسره واعز نصره وأقطعه عصره واطعمه ملكه واورثه ارضه انما الظفر بأسبابه والموفق يأتي الامر من بابه والخالفون ادام الله تمكين الشيخ الجليل وان كلوا الحديد وهاضوه وسروا الى الموت وخاضوه وبلغوا العذر وجاوزوه

قلت والهذا وقع الاجماع على ان المتأخرين هم الذين سموا الى افق التورية واطلعوا شموسها * ومازجوا بها أهل الذوق السليم لما أداروا كؤوسها * وقيل ان الفاضل هو الذى عصر سلافة التورية لاهل عصره * وتقدم على المتقدمين بما اودع منها فى نظمه ونثره * فانه رحمه الله تعالى كشف بعد طول التحجب ستر حجابها * وانزل الناس بعد تمهيدها بساحاتها ورحابها * وممن شرب من سلافة عصره * وأخذ عنه وانتظم فى سلكه بفرائد دره * القاضى السعيد ابن سنا الملك ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دور كاسها * ومتمسكين بطيب أنفاسها * الى ان جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها * والواسطة فى عقد جمانها * كالسراج الوراق وابى الحسين الجزار والنصير الحمامى وناصر الدين حسن بن النقيب والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم * وتأزر نصرهم * ولان فى هذا النوع حصرهم * وبعد حصرهم * كل ناظم تود الشعرى * لو كانت له شعرا * ويتقى الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا * ما جلا من بنات فكره خودا الا شاب لحسنها الوليد * وسيرها فى الآفاق وبين يديها من النجوم جوار ومن الشعراء عبيد * كالشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيى الدين بن قرناص الحموى وشمس الدين محمد بن العفيف وسيف الدين بن المشد وقال الشيخ صلاح الدين فى اواخر ديباجة كتابه المذكور ومع هؤلاء جماعة يحضرنى ذكرهم عند شعرهم * ويعز على اذلالهم على تكاثرهم افوات عصرهم * وتلطف بقوله بعد ذلك ولا تقل ايها الواقف على هذا التأليف لقد أفرطت فى التعصب لاهل مصر والشام * على من دونهم من الانام * وهذا باطل ودعوى عدوان * وحمية لاوطانك ومن جاورها من البلدان * فالجواب ان الكلام فى التورية لا غير * ومن هنا تنقطع المادة فى السير * ومن ادعى انه يأتى بدليل وبرهان * فالمقياس بيننا والشقراء والميدان * انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدى قلت قد تقدم وتقرر أن التورية عند علماء هذا الفن بمنزلة الانسان من العين * وسموها فى البلاغة سمو الذهب على العين * وقد ثبت ان خواطر المتقدمين كانت بها شحيحة * وافكارهم لا تقصدها ظانا او ان كانت سليمة صحيحة * لكنها ربما وقعت لهم عفوا من غير مرام * فنقول انها رمية من غير رام * وقد علم أن المتأخرين من الفاضل الى من فضل بعدهم نور مشكاتها * والمتفكهون فى ادواح الادب بثمراتها * فاذا جليت عرائس افكارهم على اختلاف أنواع التورية لا يمل المتأمل * اللهم الا ان يكون سيف ذهنه كليلا فيقول انه من هذا الفن متنصل * فان هذه العرائس لم تبرز للمتأمل الا من خدور هذا الكتاب * واذا طلبها من غيره توارت عنه بالحجاب * فاذا سرح المتأمل طرفه وامسى فى كل واد من محاسنها يهيم * وتنوعت حلاوات انواعها لذوقه السليم * جردت سيف العزم واتفقت لكل نوع حدا * ونظمت له من انواع التورية واقسامها فى سلك هذا النوع عقدا * فان الشيخ صفى الدين الحلى لم يذكر فى شرح بديعيته نوعا من انواع التورية ولا قسما من اقسامها بل ذكر حد التورية الذى أجمع الناس عليه وقال هى أن يأتى

وجهدوا القتال وصدقوا المصاع واشبهوا السباع فقد حكم الله لهم بالفشولة بعد الهزيمة وطرق اليهم الذم والشتيمة فهؤلاء الاشقياء الذين هم فراش النار وقماش الدار وأوباش الفرار وخشاش الارض وعلق السيف وحشرات الصيف ولفيف السيل على سخيف الخيل لا يلزمون دارهم ولا يعرفون مقدارهم أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين لا صبر فى القتال ولا نوم فى الرحال رعدة فوقها اصلف وراعدة تحتها قصف يا ابناء الاماء ورعاء الشاء وسلب السقاء وغثاء الماء وجمع الغوغاء والقواعد من النساء الا يذهب احدكم لشانه الا يلزم رجل قطع لسانه الا يقف عند حده مالتاج

المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب وبعيد فيذكر لفظا يوهم القريب الى ان يجيء بقرينة يظهر منها ان مراده البعيد قلت ومن أين يعرف الطالب من هذا الحد التورية المجردة والتورية المرشحة وقبحها والمبينة وقسميها والمهيأة وأقسامها وكذلك العلامة زكي الدين ابن أبي الاصبع لم يذكر في كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا من أنواعها ولا قسما من أقسامها مع ان كتابه ما وضع في هذا الفن له نظير بل قال التورية وتسمى التوجيه وهي أن يكون الكلام يحتمل معنيين فيستعمل المتكلم احد احتماليها ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لا ما استعمله وأما صاحب التلخيص فانه قال مشيرا الى البديع ومنه التورية وتسمى الايهام أيضا وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد وهي ضربان مجردة ومرشحة ولم يزد على هذا القدر شيأ واذا أردت ما وعدت بايراده من طلاوة المتأخرين في التورية تسرعت في الكلام على أنواعها واقسامها ليسير ركب الادب في طرقها المتشعبة بدليل * ويصير لديباجة هذا النوع تفصيل * وقد قدمت ذكر الفاضل ومن فضل بعده في باب الاستخدام ولكن لم يمكن اختصارهم في باب التورية فانهم فرسان حلباتها * وأجل من سكن غريب نظمه بابياتها وكل ما أوردته لهم ولغيرهم من التورية في غيرابه * تعين نظم شمله هنا ليجتمع كل غريب باقاربه وانسابه * فمن مخترعات القاضي الفاضل في التورية قوله من مديح قصيدة طائية وهي نكتة لم تختلج في صدر غيره وهو

أما الثريا فنعل تحت أخمصه * وكل قافية قالت لذا لك طا

ومثله قوله

في خده فخ لعطفة صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر

ومثله قوله

وكنت وكانوا الزمان مساعد * فصرت وصرنا وهو غير مساعد

وناحي في ورد ريقك شارب * ونفسي تأبى شركها في الموارد

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلي وقال

لقد كنت لي وحدي ووجهك حضرتي * وكانوا كانت للزمان مواهب

فعارضني في ورد خدك عارض * وزاحني في ورد ثغرك شارب

ومن نظم الفاضل أيضا في بواب يلقب بالبحري

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها انا قد وليته دونكم ظهري

وهب انه البحر الذي يخرج الغنى * فكل خراي الشط في لحية البحر (ي)

ومثله قوله

عاتبته فتضرجت وجناته * والقلب صخر لا يلين لقاصد

فنظرت من ذا في حرير ناعم * وضربت من ذا في حديد بارد

ومن اختراعاته التي لم تجل في فكر غيره قوله من مديح قصيدة عادلية

وهذا التراب ام خد لثمنا * فآثار الشفاه عليه شامه

وهذا الدر منثور ولكن * أروني غير أقلامي نظامه

وهذي روضة تندى وسطري * بها غصن وقافيتي حمامه

وأهل النتاج ألى الموت يعبرون ام الرؤيا يعبرون انه الجلاد ثم البلاد مسا كنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده كتب الله ليغلبن السلطان ورائك ان السيف أمامك وخلفك ان الموت قدامك وارضك ارضك ان تأتنا تنم نومة ليس فيها حلم ان المغازي قد عادت مخازي الارب راكض نادم ورب سوط ظالم ورب عثور الى ثبور ورب طمع اهدى الى طبع وان هذا الفتح فتح حفظ على الشريعة ماءها وعلى النفوس دماءها وعلى السنة ذماءها وعلى الاموال نماءها وعلى الحرم غطاءها اعاد الله به البلاد خلقا جديدا وانشأ للناس نشأ جديدا وعقد الملك عقدا طريفا فالخلق يوم الفتح بان يتخذ عيدا

ومنه قوله أيضا

بالله قل للنيل عني انني * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لي شاهد * ان كان طرفي بالبكاء بخيلا
ياقلب كم خلفت ثم بثينة * وأعلن صبرك ان يكون جميلا

ومنه قوله وأجاد الى الغاية

وقائل وثب الاعداء قلت له * كالفراش على نعير انه يثب
فان ثوب الذى عادا كم كفن * كما بيوت الذى عاصا كم ترب
بالغفو هم مناهم فى ترفعهم * والقوم ما ارتفعوا الا وقد صلبوا
هل السيوف عيون فى الجفون لكم * فانها لقراب البغى ترتقب

ومن نثره فى هذا الباب قوله فى يوم شديد المطر والبرد * والخادم فى رأس جبل يتلقى الرحمة غضة قبل أن يبتذلها الناس * ويصافح الرياح عاصفة قبل أن تقسمها الانفاس * ويتلقى الرعد بالرعدة * واذا السماء انشقت استصحاها المملوك بالسجدة * وقد تقدم القول ان من أخذ عنه ونهل من موارده العذبة القاضى السعيد ابن سنا الملك فن نظمه فى هذا الباب قوله

أما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

ومنه قوله أيضا

وفى الحى من صيرته انصب خاطرى * فما آذنت فى نازل الشوق بالرفع
تتيه بفرع منه أصل بليتى * ولم أر أصلا قط يسعى الى فرع

ومنه قوله

ليس الادمعى الذى من رأى جفـ * ـنى رآه كان دمعى هدبى
أنجم الدمع لاتغيب شروقا * مع انى رأيتها فى الغرب

ومنه قوله

صفاتك فى كل الوجوه صحيحة * فلحظك نصبى وهو ان صحفوا يصبى
حرست الحشا من ناظريك بصارم * فكسرة ذا الجفن من ذلك الضرب

ومما سبق اليه الناس فى هذا الباب قوله

وفى القلب تصديع وفى الوصل جبره * وفى الخد دينار وفى الجفن كسره

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

فى خده وجفونه * للحسن دينار وكسر

وتلاعب الناس بعد ابن سنا الملك بهذا المعنى كثيرا حتى وصل الى المعمار فقال

كم حوى جفنى معنى * قلت ألفا وكسورا

ولم يزل ابن سنا الملك يتلاعب فى التورية باختراعاته ويسكنها فى عامر أبياته الى ان ظهر بعده السراج فجلا غياهبها بنور مشكاته وتعاصر هو وابو الحسين الجزار والنصير الحمامى وتطارحوا كثيرا وساعدتهم صنائعهم والقابهم فى نظم التورية حتى انه قيل للسراج الوراق لولا لقبك

ويجعل فى المسرات تاريخا وليس العقد مع الله بانشوطة فأوفوا الله عهده كما صدقكم وعده واما عهده عند السلطان اعز الله نصره أن يحسن النظر وعند الشيخ أن يحسن المحضر وهراة من البلاد شيعة هذه الدولة وعيناها فان حط عن جلتها القلادة وفك عن عشيرتها الزيادة فلله هذا النظر ما احلى ثماره واكرم آثاره وللشيخ الجليل فى تشريف العبد بالجواب الفضل والعلو ان شاء الله تعالى

(وله فى قتل ابى عثمان رحمه الله)

كتبت اطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام بهجته وبهجة الدنيا به ورفعته ورفعة الدين بمكانه وحرس مهجته وقدم المهج عنها وكبت اعداءه آمين وانا مما يعد

وصناعتك الذهب نصف شعر لشغف ذلك قوله

شعر يتي مذ رمدت قد حبست * طرفي عنكم فصرت محبوسا
الحمد لله زاد لي شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

وقال من أبيات فيمن تلقب بالضياء وأجاد

امولانا ضياء الدين دم لي * وعش فبقاء مولانا بقائي
فلولا أنت ما اغنيت شيأ * وما يغني السراج بلا ضياء

ومثله قوله فيه

وما انا سائر في ليل خطب * تساوى الصبح فيه والمساء
فلا انا مثل ما ادعى سراج * ولا هو مثل ما يدعى ضياء

ومنه قوله

وكنت حبيبا الى الغانيات * فألبسني الشيب هجر الشبيب
وكنت سراجا بليل الشباب * فاطفأنور نهار المشيب

وكتب الى بعض الرؤساء

بكتبك راج لي أملي وقصدي * وفي يدك النجاح لكل راج
ولولا انت لم ترفع مناري * ولا عرف الورى قدر السراج

ومنه قوله يتقاضى من بعض الرؤساء شمعا

ماعلينا ضوء وقد ابطأ الشمع * فقوض به خيام الدياجي
وتدارك بيتا عليه ظلام * لم يكد يجتلي بنور السراج

وقال وقد اجتمع شمس الدين بيلبك وبدر الدين آقسنقر

لما رأيت الشمس والبدر معا * قد انجلت دونهما الدياجي
حقرت نفسي ومضيت هاربا * وقلت ماذا موضع السراج

وظريف قوله في هذا الباب

بي اقتدى بالكتاب العزيز * وراح ليرى سعيا ولاجا
فما قال لي اف مذ كان لي * لكوني ابا ولكوني سراجا

ومنه قوله

أقول لي يوم شتاء له * من صبه ما خاف النيلا
خرجت من بيتي سراجا وقد * عدت بحمد الله قنديلا

وكتب الى أبي حسين الجزار في عيد الاضحى

اجبت بعيد النحر من كان سائلي * عن الحال في عيدي وقدمر ذكره
اذا بطل الجزار والعيد عيده * فلا تسأل الوراق فالعذر عذره

ومنه قوله

الهي لقد جاوزت سبعين حجة * فشكرا النعمائك التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة * ونورا اذا قالوا السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسي فسرني * وماساءني أن السراج منور

الله من نعمته وبثبته من دولته قوى الظهر مستظهر على الدهر والحمد لله حق حمده والصلاة على محمد النبي وآله والشهادة أدام الله عز الشيخ الجليل غنيمة لا يدركها كل غاز انا اريدها وآخر يستفيدها وزيد يعشقها وعمرو يرزقها ويتعرض لها ابو الفضل من همذان وتعرض على الحاكم ابي عثمان قتل والله كما تقتل الكلاب وشق بطنه كما يشق الجراب وهريق دمه كما يهراق الشراب وقطف رأسه كما تقطف الاعناب وقعد القصاب آمنا الايصاب باضيعة الدنيا وضيعة اهلها والمسلمين وضيعة الاسلام والله لئن سكن السلطان العظيم وتغافل وتسامح

ومن اظرف ما وقع له فى هذا الباب قوله

كم قطع الجود من لسان * قلد فى نظمه النحورا
فها انا شاعر سراج * فاقطع لسانى ازدك نورا

ومثله قوله

اثنى على الانام انى * لم اهج خلقا ولا هجانى
فقلت لا خير فى سراج * ان لم يكن دافئ اللسان

ومثله قوله

اذا بحت بالشكوى عنيت معاشرا * بلا راحة فى مدحهم اتعبوا ذهنى
يريدوننى رطب اللسان ومن رأى * سراجا غدا رطب اللسان بلا دهن

وكتب اليه الامير نصير الدين الحمامى وهو مقيم بالروضة

كم قد ترددت للباب الكريم لكى * ابل شوقى واحيى ميت اشعارى
وأنثنى خائبا عما أؤمله * وانت فى روضة والقلب فى نار

فكتب اليه السراج

الا تنزهت فى روضة عبقت * انفاسها بين ازهار واثمار
اسكرتنى بشذاها فانثنيت بها * وكل بيت أراه بيت خمار
فلا تغالطن فينا السراج ومن * اولى بأن قال ان القلب فى نار

وقال النصير يوما للسراج الوراق قد عملت قصيدة فى الصاحب تاج الدين واشتهى ان تثنى عليها بحضرته وسيرها الى الصاحب فلما انشدت بحضرة السراج قال السراج بعد ما فرغ منها

شاقنى للنصير شعر بديع * ولمثلى فى الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه * قلت نعم المولى ونعم النصير

ومنه قوله

طوت الزيارة اذ رأت * عصر الشباب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت اهرب وهى تسـ * ـأل جارة من بعد جاره
وتقول ياستى استر * حنا الاسراج ولا مناره

ومما ورى به عن صناعة الوراقة قوله

نصب الحشا غرضا فقرطس اذ رمى * وهى القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال تجنبى * ياليت شعرى من هو الوراق

ومثله قوله

يا خجلتى وصحائفى سود غدت * وصحائف الابرار فى اشراق
وموبخ لى فى القيامة قال لى * اكذا تكون صحائف الوراق

ومن لطائفه فى غير لقبه وصناعته قوله

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحى * لهموم نفس ليت لا حملتها

الشيخ الجليل وتساهل ان
اقتصا الانتصاف لى وان الله
على الانتقام لقوى والمحنة
أدام الله عز الشيخ الجليل
فى ذهاب مثل ذلك العالم المسلم
دون المحنة فى بقاء هذا
الظالم المظلم ولئن ساغ لهذا
الفاسق ما فعل ليرخص
بحجم المسلم وليراق دم العالم
وليصبرن كل سكين منشور
ولاية ثم ليتسعن الخرق على
الراقع وليس دم المسلم بيسير
عند ربه ولزوال الدنيا
على الله أهون من صبه
أليس الله تعالى يقول من
قتل نفسا بغير نفس أو
فساد فى الارض فكانما
قتل الناس جميعا
ومن أحياها فكانما أحيا
الناس جميعا وأنا أعيذ
بالله هذه الدولة من ان توصم
بتعطيل الحدود أو توسم
باهدار الدماء وعسى الله
ان يوفق الشيخ الجليل

قد

قد كان عندك يافلان صريعة * فاجبتهم بعث الحمار وبعتما

ومنه قوله

رفضوا الشعر جهدهم ورموه * بينهم بالهوان والازدراء

فلو أن الكتاب كان بايديهم محوا منه آية الشعراء

وله في المعنى وأجاد

يا بني الآمال قد خاب الرجا * وقد اشتدت وقد عز العزاء

سفن الآمال في بحر المنى * وحلت منا فأين الرؤساء

وقال في المعنى

أصون اديم وجهي عن أناس * لقاء الموت عندهم الأديب

ورب الشعر عندهم بغيض * ولو وافى به لهم حبيب *

ومن لطائفه قوله

وقائل لي لما أن رأى قلقي * من انتظاري لآمال تعنينا

عواقب الصبر فيما قال اكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخرينا

ومن لطائفه بعد تخرينا قوله

اتيت أرجيه في حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده

وقبل في ذقنه والنفوس * تعاف المقبلة الباردة

ومنه قوله

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه

وكن عن الراحة في عزلة * فالصفع موجود مع الراحه

وانشده الجزار وهو يسرح ذقنه مماجنا

لا تعجبن من ليامى * فكل أمرى لبس

والله ماثم مال * وانما ثم نفس

فاجابه على الفور

صدقت ماثم مال * وانما ثم نحس

وثم اخرى وأخرى * فيها وعندك حدس

ومنه قوله

ومغمومات روض باكرتنا * بطيب شذا ولا طيب العروس

قسمت بما يلين لها فقالت * يحق لك القيام على الرؤس

ومنه قوله

واحق اضافنا بقله * لنسبة بينهما ووصله

من أقل ادبا من سفله * قد مدت في وجه الضيوف رجله

ومنه قوله

وسائل يسأل مني وقد * انشدت شعرا دونه الشعرى

يقول لي اذ كنت في معشر * قد عبدوا البيضا والصفرا

تدارك هذا الامر ان ذلك على الله يسير وقد جعل الله هذه الدولة مثابة للناس وليس الاسلام بمجال لظفر من صاحب بدعة أو كفر ما أدام الله نضارتها وأدام الائمة طلب الكفار بعد الاسفار ورد على خادم الشيخ الجليل كتاب من أقصى خراسان والعراق بحديث تسار فلان وصاحبه فلان وذكروا معرفتهما باحوال الثغور وممارستهما لما يعرض بها من المطلوب وأن أعين المرابطين والغزاة طامحة الى نصرة من السلطان العظيم أعز الله نصره وقد بعثوا بهما وفدا وقدرا أنهما يجدانني بالحضرة فاكون لهما لسانا وتنجزا الى كتابا معلما لي ولو امكنني النهوض لاحتذيته لهما واذ لم ينهض قدمي فقد استناب قلمي والشيخ الجليل يرى عالي رأيه في تقريبهما النصرة لله

هل حصلت دائرة بينهم * قلت بلى بطيخة خضرا

ومنه قوله

مدحته جهدى فما اهتزمن * قولى ونادى الناس كم تتعب
فقلت أرجو زبدة قيل لى * فاتك أين اللبن الطيب

ومن لطائفه أيضا قوله

كان أيرا صار سيرا * يلطم الاكساس سخره
كيف لا ينفرن عنى * وهى شيب ودره

ومنه قوله

فسرلى عابر مناما * فصل فى قوله واجمل
وقال لا بد من طلوع * فكان ذاك الطلوع دمل

ومنه قوله وقد طلب شرابا فما وصل اليه

لا تطمعن براحة من معشر * سادوا بغير مآثر السادات
قطعت عن المعروف أيديهم وقد * سرقوا العلا فخلت من الراحات

ومن نكته البديعة فى مدائحه قوله

رأيت قطوف عفوك دانيات * فمن على المدى يجنى ويجنى
وكم بات المسىء قرير عين * وسيفك ان حلت قرير جفن

وكتب الى فتح الدين بن عبد الظاهر

انا فتحت وعدك واعد أملى بما * يرجوه من ظفر ومن نجح
اذ قال أين الجود قلت أجيبه * مع أين صبرى على الفتح

ومنه قوله

ومبخل بالمال قلت لعله * يندى وظنى فيه ظن مخلف
جمع الدراهم ليس جمع سلامة * فاجابنى لكنه لا يصرف

وكتبت فى هذا المعنى الى الخواجا شهاب الدين بن لؤلؤ الذهبى بدمشق المحروسة وقد مطلنى فى صرف دنانير احلت بها عليه

قد منعتم صرف الدنانير عنى * ولكم فى الورى هبات كثيره
وأنا شاعر وفى شرع نظمى * صرفها واجب لاجل الضروره

وكتب السراج الى بعض اصحابه يطلب كتابا

لك فى المكارم سنة مألوفة * معروفة الانساب والاسباب
فابعث لعبدك بالكتاب فلم تزل * تقوالك تشفع سنة بكتاب

ومن لطائفه فى شخص اسمه عرفات

أطنبوا فى عرفات وغدوا * يتعاطون له حسن الصفات
ثم قالوا لى هل وافقتنا * قلت عندى وقفة فى عرفات

ومن اغزاله قوله

وفاتك يجرح سيف لحظه * مجردا عن جفنه ومغمدا

والاصفاء المثوبة ان شاء الله تعالى
(وله اليه)
كتابى أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام علوه وتمكينه وحرس دنياه ودينه وبسط بالخيرات يمينه وجعل التوفيق قرينه والقضاء معينه من هراة ولا هراة فقد طحنتها هذه المحن كما يطحن الدقيق وقلبتها كما يقلب الرقيق وبلعتها كما يبلع الريق والحمد لله على المكروه والمحبوب وصلواته على نبيه وآله قد خدمت الشيخ الجليل سنين والله لا يضيع أجر المحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان وطاعمته والمواكلة نسب دان وسافرت معه والسفر والاخوة رضيعا لبان وقت بين

خاف على خديه من لحاظه * فبات فى عذاره مزردا

ومنه قوله وهو فى غاية الحسن

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فقلت من الم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

ومثله قوله

قلت للاهيف الذى فضح الغصن كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح * قلت أخشى يا غصن أن يستميلك

ومنه قوله

عذبت طرفى بالسهاد وانه * قدمات عنه تعيش أنت صباحه
والح سائل أدمعى لمحرمتى * ولكم أضر بسائل الحاحه

وقال فى مليح قلندرى

عشقت من ريقته قرقف * ومالها اذ ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد فى عدله * فاختار أن يبقى بلا حاجب

ومنه قوله

وانما ساق جواد كفه * وكفت بالراح صبا بعد صب
قال قوم فاق كعبا فى الندى * قلت لاغر والساق فوق كعب

ومنه قوله

يا ساكنا قلبى على انه * بوجده فى قلق ذائب
قلبى من خوف النوى واجب * وأنت لم تخرج عن الواجب

نكتة الواجب أخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب فى قوله فى رامى بندق

اسعد بها يا قرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فانه ذيت عن الواجب

ويعجبنى من تغزلات السراج الوراق قوله

أقول لهم شبهت بالغصن قدها * فقالوا رأينا قدها منه أرشقا
فقلت وبالرمان شبهت نهدها * فقالوا اذن شبهت شيأ محققا

ومنه قوله

وقفت باطلال الاحبة سائلا * ودمعى يسق ثم عهدا ومعهدا
ومن عجب أنى أروى ديارهم * وحظى منها حين أسالها الصدا

ومنه قوله

وبى من البدو كحلاء الجفون بدت * فى قومها كمهاة بين آساد
بنت عليها المعالى من ذوائبها * بيتا من الشعر لم يعمد بأوتاد

بديه والقيام والصلاة
شر بكاعنان وأثنيت عليه
والثناء من الله عز وجل بكل
لسان واخلصت له
والاخلاص محمود من كل
انسان وان كنت لا احبه
محبة والدى وولدى فانا ابن
زانية وزان ولى مع الله
الثان افبعد هذه الحرمات
انا طعمة فلان وفلان
يتناولانى سبعا فى ثمان

واوقدت وجنتاها النار لا لقرى * لكن لا فتدة مناوأ كباد
فاوبدت لحسان الحضر قرانها * على الرؤس وقلن الفضل للبادى

قلت ديوان الشيخ سراج الدين الوراق سبع مجلدات فى القطع الكامل ولكن الذى جنيته وفكهت المتأمل به هنا هو ثمرات تلك الاوراق وجمع الشيخ صلاح الدين الصفدى من ديوانه كتابا لطيفا وسماه لمع السراج ولكن رأيت نور السراج فيه قليلا ومن مقاطيف الجزار فى سمين النورية قوله مورياً فى صناعته

الاقل للذى يسأ * ل عن قومى وعن أهلى
لقد تسأل عن قوم * كرام الفرع والاصل
ترجيهم بنو كلاب * وتخشاهم بنو عجل

ومثله قوله

انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديق
تضىء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

ومثله قوله

أصبحت لحاما وفى البيت لا * أعرف ما رائحة اللحم
واعتضت من فقرى ومن فاقتى * عن التذاذ الطعم بالشم
جهلته فقرا فكنت الذى * أضله الله على علم

ومثله قوله

أعمل فى اللحم للعشاء ولا * انال منه العشا فاذنبى
خلا فؤادى وفى فمى وفمخ * كأننى فى جزارتى كلبى

ونظير قوله

كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ * ـت حفاظا وارفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجينى * وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وقبله أيضا وقال

لا تعبنى بصنعة القصاب * فهى أذكى من عنبر الآداب
كان فضلى على الكلاب فمذ صر * ت اديبا رجوت فضل الكلاب

ومثله قوله

معشر ما بهم مستوفد * راح الا وهو منهم معسر
انا جزار وهم من بقر * ماراونى قط الا نفروا

وقال متهكما على المتنبى

تعاظم قدرى على ابن الحسين * فذهنى كالعارض الصيب
وكم مرة قد تحكمت فيه * لان الحروف أبو الطيب

وكتب اليه الشيخ نصير الدين الحمامى موريا عن صناعته

ومذ لزمت الحمام صرت بها * خلا يدارى من لا يداريه

محن الزمان كثيرة لا تنقضى
وسرورها يأتيك فى الاحيان
والله ما كتبت هذا الكتاب
حتى رأيت جارى يرهب
وجاريتى توهب ومالى
يذهب وضياعى تنهب
وأكارى يضرب ووكيلى
يطلب وان الكلمة بهر اثم
المختلفة جدا كالضد لا بلائم
ضدا فاذا صير الى خدين
كان احدهما خدا امرد
والآخر صدغا اسود
زعموا ان الشيخ الجليل

أعرف حر الاشيا وباردها * وآخذ الماء من مجاريه

فاجابه أبو الحسين الجزار بقوله

حسن التأني مما يعين على * رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ صار في جزارته * يعرف من أين تؤكل الكتف

ومن لطائفه البديعة ما كتب به الى بعض الرؤساء وقد منع من الدخول الى بيته في يوم فرح

أمولاي ما من طباعي الخروج * ولكن تعلمته من خمول
أتيت لبابك ارجو الغنى * فأخرجني الضرب عند الدخول

وكتب الى بعض الرؤساء يستهدي منه قطرا

أيا علم الدين الذي جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة انني * لأرجو لها من سحب راحتك القطرا

هذا القطر تحلى به الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله

بجود قاضي القضاة أشكو * عجزي عن الحلو في صيامي
والقطر أرجو ولا عجيب * فالقطر يرجى من الغمام

وتلاعب الناس به بعده كثيرا ويعجبني من تغزلات أبي الحسين الجزار قوله

تكامل بدر السما اذ حكى * محياك لو لم يشنه الكلف
وقام بعذري فيك العذار * فاجرى دموعي لما وقف

ومنها قوله

حكت خدها والثغر عن حاتم شيخ * له أمل في مورد ومورّد
وكم هام قلبي لارتشاف رضابها * فأعرب عن تفصيل نحو المبرّد

ومن لطائف مجونه في التورية قوله

تزوج الشيخ أبي شيخة * ليس لها عقل ولا ذهن
لو برزت صورتها في الدجا * ما جسرت تبصرها الجن
كأنها في فرشها رمة * وشعرها من حولها قطن
وقائل قال ما سنها * فقلت ما في فمها سن

قال الشيخ اثير الدين أبو حيان رأيت ابا الحسين بالقاهرة عند الشيخ قطب الدين بن القسطلاني فقال لي الشيخ قطب الدين هذا هو الاديب أبو الحسين الجزار فانشدني لنفسه وكتبت عنه

من منصفي من معشر * كثروا عليّ وأكثروا
صادقتهم وأرى الخرو * ج من الصداقة يعسر
كالخط يسهل في الطرو * س ومحوه يتعذر
واذا أردت كشطته * لكن ذاك يؤثر

ومما شرح الصدور وروّ القلب من قول الحمامي

وكدرت حمامي بغيبتك التي * تكدر فيها العيش من كل مشرب

نظر لحيرانك فنحن نستدرك ذلك وقلت ما احتاط الشيخ الجليل في سكة احتياطه في سكتي ولا تعرف حال محله تعرفه حال محلق واقد بعث اليها من عدها حجرة حجرة وعلم من يسكنها ما كانوا اجرة واستكشف حرفة كل واحد فاثبت على داره شبابيك داره فان كان نظر لي كان تزعمون فلم تخالفونه ولي نعمتكم وانتم صنائعه

فما كان صدر الحوض منشرحا بها * ولا كان قلب الماء فيها بطيب

ومنه قوله

لي منزل معروفه * ينهل غيثا كالسحب
اقبل ذا العذر به * واكرم الجار الجنب

ومن لطائفه ما كتب به الى السراج الوراق على يد مليح واسانه

عبدك يا مولاى وافى بها * وفي بها معنى لمن يعقل
وهو على الباب ومقصوده * وفيك فهم أنه يدخل

ومن نكته اللطيفة قوله

أصبحت من اغنى الورى * وطائرا بالفرح
الخمر عندى ذهب * أكاله بالقدح

وقوله

أقول للكاس اذ تبدى * بكف احوى اغن احور
اخربت بيتى وبيت غيرى * واصل ذا كعبك المدور

ومن لطائفه فى تغزلاته قوله

مازال يسقينى زلال رضابه * لما خفيت ضنى وذبت توقدا
ويظننى حيا روبت بريقه * فاذا دعا قلبى يجاوبه الصدى

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباته وتقوى عليه بالسيف فقال

ادعو السيوف صقيلة من لحظه * واذا دعوت الماء جاوبني الصدى

ومن لطائفه فى مداعباته قوله

رأيت شخصا آكلا كرشة * وهو أخو ذوق وفيه فطن
وقال مازلت محبا لها * قلت من الايمان حب الوطن

ومن انتظم فى سلك الجماعة وانتصر للتورية وحسن مواقعها ناصر الدين حسن بن النقيب

وجودت مع فقرى وشيخوختى التى * بها اليوم نوى عن جفونى مشرد
فلا بد عى غيرى مقامى فاننى * انا ذلك الشيخ الفقير المجرد

ومن نكتها العربية فى التورية قوله

اقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعونى فانى آكل الخبز بالجبن

ومثل ذلك قوله

اقول لنوبة الحمى اتركينى * ولا يك منك لى ما عشت أوبه
فقالت كيف يمكن ترك هذا * وهل يبقى الامير بغير نوبه

ومن لطائفه قوله

قالوا رأينا العلق ينفق مسرفا * والعلق لاشئ لديه ولا معه
فاجبتهم انفاقه من بحره * قالوا صدقت لذاك ينفق من سعه

لولم تهدمون بناء هو رافعه
وتفرقون شملا هو جامعه
ولقد حدثت بهم ادرسوم
غيرت فى وجه ما تقدم
واستونف ظلم يقطر الدم
لااصبح الاعلى باب يردم
وما كن يعدم ولا امسى
الاعلى دار تهدم ومخدومة
تستخدم فى كل دار ديوان
وعلى كل باب أعوان وفى
كل يد ميزان وكل احد
سلطان واذا اطلق غو ره

ومن لطائف ما وقع فى تورية السمة قول ابى الحسين الجزار وقد وقف على باب ابن الزبير ومنع من الدخول دون غيره فكتب رقعة وأرسلها الى ابن الزبير فاذا فيها

الناس قد دخلوا كالاير اجمعهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

فلما وقف ابن الزبير على هذا البيت أمر بعض الخدم ان يقف على الباب و ينادى ادخل ياخصى فدخل وهو يقول هذا دليل على السمة ومنه قوله

ومكرش اضحى يحلق نغله * اعساه لايشكى اليه ويشكر
ويقص لحيته فان ناديته * لبالك وهو محلق ومقصر

ويعجبنى من لطائفه قوله فى داره

ودار خراب بها قد نزلت * ولكن نزلت الى السابعه
طريق من الطرق مسلوكة * محجتها للورى شاسعه
فلا فرق ما بين انى اكون * بها او اكون على القارعه
تساررها هفوات النسيم * فتصغى بلا اذن سامعه *
واخشى بها أن أقيم الصلاة * فتسجد حيطانها الراكعه
اذا ما قرأت اذا زلزلت * خشيت بان تقرأ الواقعه

ومنه قوله

جودوا لنسجع بالمديح على علا كم سرمدا
فالطير أحسن ما يغرد عندما يقع الندى

ومن بدائع اغزاله قوله

ومالى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين وتظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتى

ومن لطائف مجونه قوله

نفقت لى راس من الخيل كانت * تسبق البرق والرياح الزعازع
وابتلى الله فى المشاعر اخرى * بشقاق لها عن المشى مانع
واذا قيل كم بقى لك رأس * قلت رأس لكن بغير كوارع

ومن لطائفه ايضا فى تورية المطوق قوله

أنت طوقتنى صنيعا واهديـ * ـت لك شكرا كلاهما مايضيع
فاذا ما شجالك سجعى فانى * انا ذاك المطوق المسموع

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة سجع المطوق ووصل به عدة مقاطيع ومن غاية تغزلاته قوله

زميت بمهجتى بجمرات شوق * ولم تأخذك بالمشتاق رأفه
فهرولدمع عينى فوق خدى * وما حصلت لمعى ذاك وقفه

ومن لطائف مجونه قوله

قال لى الواسع صف لى * مثل ما اعرف وصفك

والامن الله اباه فلان لا اراه الا اصاب ذاك فى اليوم اليوم ومما ابث الشيخ الجليل ان مبلغ خراجى بجهاة ألفان وعلى المخف من الجرمان ثلاثة مدوره بيض مقشره وعلى المثقل تسعة وعشره ووددت لو امكن التبليغ باقل من هذا فأفعل ولكن افواها فاغره واضراسا طاحنه وعيالا واذيالا الله وكيلهم وانا

أين باب الطرق قل لى * قلت باب الطرق خلفك

ومن غرائب النكت قوله

أبيات شعرك كالقصو * ر ولا قصور بها يعوق
ومن العجائب لفظها * حر ومعناها رقيق

ومن بديع اختراعاته قوله

قالوا قد احترقت بالنار راحته * وهى الغمام ومنها الوابل الغدق
وقال قوم وما ضلوا وما وهموا * بانها النيل قلت النيل يحترق

ومن غريب نكته قوله

بخالد الاشواق يحيى الدجا * يعرف هذا العاشق الوامق
نخذ حديث الوجد عن جعفر * من دمع عينى انه الصادق

ومن بديع تغزله قوله

يا مالكى ولديك ذلى شافعى * مالى سألتك فما أجبت سؤالى
قو خدك النعمان ان بليتى * وشكايتى من جفنك الغزالى (ل)

ومن بديع غزله قوله

أقول لمن جفنه سيفه * ولكنه ليس يخشى نبوّه
تكلف جفنك حمل الفتور * وأخرج فيه من الضعف قوه

ومن نكته الغريبة قوله

قالت لسقم الجسم منى وقد * أفرط بى فرط ضنى واكتئاب
قمت بى يا سقم مالم يكن * تلبس والله عليه الثياب

ومن حصل الجلاء لعيون التورية بلاطفته الحكيم شمس الدين بن دانيال من لطائفه قوله

يا سائلى عن حرفتى فى الورى * واضيعتى فيهم وافلاسى
ما حال من درهم انفاقه * يأخذه من أعين الناس

ومنه قوله

كم قيل لى اذ دعيت شمسا * لا بدّ للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء * يرقى الى السطح من ضلوعى

ومن لطائفه أيضا قوله

ما عاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى معا * وصرت لا فوقى ولا تحتى

ومن لطائفه أيضا فى جارية تضرب بالدف واجاد قوله

ذات القوام الذى يهتز غصن نقا * لو مر يوما عليه طائر صدحا
تبدى على الدف كالجمار معصمها * لتقر بيتان يشبه البلحا
غناؤها برقيق الفنج تمزجه * فما ينقط الا كل من رشحا

ومن اختراعاته البديعة قوله

ويهم وأكلهم وان أمكن بحويله هذا المقدار من الدراج بيوشنج لتوفر حقوق بيت المال واصان عن مجازفات العمال وتمهات المحال فتلك غاية الآمال وان تعذر فكتاب الى كل واحد من الاعمال ينبض له على العروق السواكن ويسكن العروق النوابض ومن يحن هذا العام أن ابا البحترى وهو من عيون التجار

أيا سائلي عن قد محبوبي الذي * فتنت به وجداً وهمت غراما
أبي قصر الاغصان ثم رأى القنا * طوالا فاضحى بين ذلك قواما

ومن أحسن سوم التورية وأظهر خفيها القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ومن نظمه فيها

لقد قال كعب في النبي قصيدة * وقلنا عسى في فضلها نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

ومن لطائفه قوله

لا ينقل الروض أحاديثه * عن عين نمام غدت خافيه
فانه ينقل أخباره * الى أعين عنده صافيه

ومثله قوله

* يا قاتلي بلحاظ * قتيلها ليس يقبر
ان صبروا عنك قلبي * فهو القتيل المصبر

وقال

ان لوزي حلق * واهن الحبل والقوى
لم يكافئك كسره * فالق الحب والنوى

ومن نظمي في هذا المعنى في الشمس السلطاني بحماة

قال سلطاني حماة عندما * أجلسوه مذ أتاهم في الصدور
مشمش الشام يقوى قلبه * يوم نقع فهو قد أضحى وزيري

ومن لطائف القاضي محيي الدين قوله

شكر النسيمة أرضكم * كم بلغت عني تحيه
لا غرو ان حفظت أحا * ديث الهوى فهي الذكيه

وهذه النكتة أخذها الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

يا طيب نشر هب لي من نحوكم * فأثار كامن لوعتي وتهتكي
أهدى تحيتكم وأشبه لطفكم * وروى شذا كم ان ذا لنشر ذكي

وأشار الى هذه السرقة الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة بقوله ولم يخرج عما نحن فيه من التورية

ان ابن أيبك لم تزل سرقاته * تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه * جهلا فراح كلامه في الريح

من نكته البديعة الغريبة قوله

لا تسألي عن أول العشق اني * أنا فيه قديم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينك أرخت * غراما بمستهل وغره

وناقل الشيخ عز الدين الموصلي على هذا المعنى ولكن سبكه في قالب حسن بقوله من قصيد

فيا هاجري عاما لقد ضل عاذلي * وليس له وجه وتاريخه سلخ

ومن لطائفه قوله بمنزلة القطيفة بالقرب من دمشق

واعيان الاحرار عاملني معاملة الطرار طلبت منه مالا استحق بعضه الى بلخ فأبى أن يطلب حتى يحصل المال عند شريكه فاذا وصل الكتاب بوصوله اليه خرج حينئذ مما عليه وكتبت الى صاحبي ببلخ فوفر على صاحبه المال واستخار الله ابو البختري وابتلعه ابتلاع الحوت وايام سلامة صدري وتهاوني بامري تركت هذا

هذى القطيفة التى * لاتشتهى عقلا ونقلا
حشيت ببرديابس * فلاجل ذا الحشو تقلى

ومن لطائفه قوله

ضفر الشعر وألقى * خلفه كالقطن وفره
قلت ماذا قال شيب * قلت والله ودره

ومن لطائفه قوله فى معشوقه المعنى المسمى بالنسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم يا ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله قوله فيه

يامن غدا لى من عوا * صف هجره الريح العقيم
اترى يطيب لى الهوى * ويقال لى رق النسيم

ومن لطائفه قوله

سل سيفا من جفنه ثم أرخى * وفرة وفرت عليه الجميلة
ان شكا الخصر طولها غير بدع * انحيل يشكو الليالى الطويله

وألم به ابن العفيف فقال

حل ثلاثا وهم حمامه * ذوائبا تمبق منها الغوالى
فقلت والقصد ذوابانه * ياسهرى فى ذى الليالى الطوال

وهذا المعنى تلاعب به جماعة من المتأخرين ولولا الخيفة من طول الشرح لذكرت ذلك ولكن لابد أن يرد على المتأمل فى مواضعه ويعجبنى قوله

وبروحى هويته عجميا * لى لذت ألفاظه الغتميه
كم حلا عجمة فقلت لخلى * خلنى والحلاوة العجميه

ومن لطائف مجونه قوله

وأعور العين ظل يكشفها * بلاحياء منه ولاخيفه
وكيف يلقى الحياء عند فتى * عورته لاتزال مكشوفه

ومنه قوله

قال لى العلق وقد جئته * أريه ابرا فاق فى حسنه
ايرك هذا مات قلت انحنى * كرامة الميت فى دفنه

ويعجبنى من خمرياته قوله

خمرة للشقيق أمست شقيقه * بنت كرم بالمكرمات خليقه
قال قوم من لطفها هى فى الكا * س مجاز والكاس فيها حقيقه
اتحفت فرحة وجاءت بكاس * صبغت حمرة تنم الشقيقه

ومن بديع اقتباسه بالتورية قوله

بابى فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها انحصار الاعين

الحديث وراء ظهرى
مقدرا أن مالى عند صاحبى
حتى ورد الآن كتابه فذكر
أن هذه القصة فعلت قبح
الله اللائى نوا خزاه واضعف
له اذا جازاه عمرى لقد
شكوت العلة الى طبيب
وأنزلت الحاجة بكريم
وللشيخ الجليل الراى العالى
والسلام
(وله اليه أيضا)
الشيخ الجليل أدام الله عزه
يعلم حال هراة وأهلها

كم قد دفعت عواذلي عن وجهها * لما بدت بالتي هي أحسن

هذا الاقتباس بالتورية أخذه الشيخ جمال الدين بقافيته ولكن زاده ايضاحا بقوله

يا عاذلي شمس النهار جميلة * وجمال فاتني أذوازين *
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتي هي أحسن

والم به الشيخ عز الدين الموصلي وما خرج عن ايضاحه أيضا بقوله

قد ساوناعن المليح بجود * ذات وجه به الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

ومن لطائفه قوله

ذات طوق وذات زيق تغنى * فتنني بالوجه من ليس يدرى
زيقت ثم كاشفتنا فقلنا * لك زيق الغنى ولى زيق فقرى
ماترى ها قد حدثت خاطر النهر بما قد جرى وما منه يجرى

ومن لطيف كلامه قوله

وبطحاء في واد يروقك روضها * ولاسيما ان جادغيث مبكر *
تلاحظها عين تفيض بادمع * يرقرقها منه هنالك محجر *
اذا فاخرتها الريح وهي عليلة * باذيال كثبان الربا تتعثر *
بها الفضل يبدو والربيع وقد غدا * بها الروض يحيي وهو لاشك جعفر

وقال في مليحة اسمها وردة

بابي وردة مولدة الحسـ * ـن دعوها بوردة البستان
في التصاوير مثلها ليس يلفى * فيقولون وردة كالدهان

ومن نوادره الغريبة في المواليا في مليح مشطوب

لك طرف احور يحيي من حسنك السرحه * كم قد أغار على العشاق في صبحه
لما علمت بانو سابق النصحه * عليه خفت فشطبتو على صحه *

ومن نكته الغريبة في اغزاله قوله

ذباب السيف من لحظ اليه * لاخضر صدغه حسن انتسابي
ولا عجب اذا ما قيل هذا * لصدغ زمرذه ذبابي *

ومن اختراعاته الغريبة قوله

كتبت لكم من اعين القصب التي * لها من معانيكم ومن نفسها الطرب
فان أطرب التشبيب فيها بذكركم * فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

ومن هنا أخذ المعمار فقال

هويته مشببا * جماله برح بي *
تيم قلبي بالجا * ز من عيون القصب

ومن مخترعات القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قوله

ملأت الليالي من علاو ختمتها * فقد أصبحت محشوة بمكارمك

في استقصاء النقد وكثرة الرد وشيلة الاحتياط في المدح وجراءة الاقدام على الذم وان الجميل عندهم من وراء جدار والقبيح عندهم نار على منار ولهم في اللوذيج قولات فاذا مدحوا سيرة رجل وجدوا عشرته لم يبق فيه طمع للسبك ولا موضع للشك ووردت هراة فوجدت الالسن متفقة على تقريظ أبي فلان والنفوس بجملة بفراقه تسأل المقام بين اظهرهم وتجزع لخروجه من بلدهم ثم وجدته من بعد غالباً في العبودية للشيخ الجليل مستظهرا بايامه وسألني تقرير حاله واقامة الشهادة له فخرجت من عهدتها وللشيخ الجليل دمياً انماء عبده وخادمه العين العالية

خفت عليها بالثريا فقل لنا * اهذا الذي في كفها من خواتمك

ومنه قوله

ياسيدي ان جرى من مدمعي ودمي * للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لاتخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

ومنه قوله

ذو قوام يجور منه اعتدال * كم طعين به من العشاق
سلب القضب لينها فهي غيظا * والقنا ت تشكوه بالاوراق

ومنه قوله

يارب كاس صرت من شربها * من بعد رشفي ريق معشوقي
ملتهب الاحشاء نارا الآن * شربتها منه على الريق

ويعجبني منه قوله

انت من وجه ولحظ * لك دينار وكسر

هذا الدينار والكسر اقتصبه الشيخ جمال الدين بن نباتة ولم يشبكه في غير قالبه فقال

افدي حبيبا الى * مرآه طول الدهر فقر
في خده وجفونه * للحسن دينار وكسر

وهذه زاوية اخترتها من ديوان الشيخ الامام العلامة شيخ الشيوخ عبد العزيز الانصاري الحموي سقى الله ثراه أما بعد حمد الله الذي اطلعنا من زوايا الادب على خبايا * وارشدنا بمشايخ شيوخه الى سلوك مافيه من المزايا * والصلاة والسلام على نبيه الذي اختاره فكان نعم المختار * وعلى آله وصحبه المنتظمين في سلك هذا الاختيار * فقد انتهى ما اوردته منوعا في التورية من الحلاوات القاهرية * وقد تعين ان افكه المتأمل بعد ذلك بالفواكه الشامية * واقتطف له من فروع شيخ الشيوخ مايظهر به مزية الثمرات الحموية * وقدوة السلطنة في الادب وناهيك بالسلطنة الشيخية * فاخترت من ابيات قصائده ومواصيل مقاطيعه مايحلو بها التشبيب * وسميته زاوية شيخ الشيوخ علما بانها زاوية يتاهل بها الغريب * والله تعالى يجعلنا ممن تخير العمل الصالح فاحسن * وسمع القول فاتبع منه الاحسن * فمن ذلك قوله من قصيدة

ويلاه من نوى المشرد * وآه من شملي المبدد
ياكامل الحسن ليس يطفي * ناري سوى ريقك المبرد

منها وصل الى المخلص وهو في غاية الحسن قوله

غصن تقاحل عقد صبري * بلين خصر يكاد يعقد
فمن رأى ذلك الوشا * ح الصائم صلى على محمد

ومنه قوله من قصيد

اذا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره
تعاملني بما يحلي سلوى * ولكن ليس في حلو مراره

(وله ايضا)
وفي الحديث المرفوع اطال الله بقاء الشيخ الجليل ان شر القرون قرن يحلف فيه قبل ان يستحلف ويشهد فيه قبل ان يستشهد وقد قويت ان وفق الله تعالى ان لا ابتدئه ماذاكرا ولولا هذه الحالة لخفت ان الله تعالى وان صانني عن اليتم صغيرا وعن الثكل كبيرا فقد اذاقني من فراق الشيخ الجليل امر منهما كاسا وحكي ان رجلا قعد القاحشة مقعدها ثم افكر وقال ان من باع جنة عرضها السموات والارض بهذا الفتر تحت هذا الستر لواسع رقعة الرقاعة خليق البضاعة بالاضاعة قليل البصر بالمساحة مغبون الصفقة في التجارة جدير الحبس بالحجارة وذلك مثلي اذ بعت مكاني من

ومنه قوله وهو مطلع قصيد

بحروف غرامى كلها حرف اغراء * على أن سقمى بعض افعال اسماء

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين وقال

أودت فعال الظبا اسمها باحشائى * واحيرتى بين افعال وأسماء

ومن بديع نكته قوله

وبدر دجى لم ينتقل كسميه * ولكنه ما زال فى القلب والطرف

يلوح اعينى ماشقا نون صدغه * فاعبد خلاقى على ذلك الحرف

هذه النكتة اخذها ابن الوردى بقافيتها وغالب الفاظها ومعناها فقال

* يا بدر تم نوره باهر * منزله فى القلب والطرف

صدغك حرف النون فى مشقه * من يعبد الله على حرف

ولعمرى انها سرقة فاحشة ومنه قوله

أقام لخده النارى عذارا * ومد أقصى عذارى وهو ثلجى

جنى مرج العذار بقلبه * فامسى الناس فى هرج ومرج

ومنه قوله فى التورية مع بديع الاقتباس

يا نظرة ما جلت لى حسن طلعته * حتى انقضت وأدامتنى على وجل

عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وجعله مطلعا لقصيدة فقال

انسان عينى بتعجيل السهاد ملى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل

ومنه قول الشيخ عز الدين شيخ الشيوخ وتلطف ما شاء مع قصر الوزن

وغمام معربد * ببروق وزجره * غادر الروض ناضرا * بعيون مخضره

ومنه قوله

قلت وقد عقرب صدغاله * عن مشقه الحاجب لم يحجب

قد سدت يا رب الجمال الذى * الف بين النون والعقرب

وقال وتلطف ما شاء واظنه أول من ورى بهذه النكتة

افدى حبيبا رزقت منه * عطف محب على حبيب

بوجنة ما تم ريحى * وقد غدا وردها نصيبى

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره وقول الشيخ جمال الدين بن نباتة

فديتك غصنا ليس يبرح مثمرا * من الحسن فى الدنيا بكل غريب

تفتح فى وجناته الورد احمرا * فيا ليت ذاك الورد كان نصيبى

ومنه قوله

لا تنس وجدى بك يا شادنا * بحبه انسيت احبابى

مالى على هجرك من طاقة * فهل الى وصلك من باب

ومنه قوله

مجلسه المعمور واعتضت منه عرضا من الدنيا يسيرا ومتاعا قليلا
فان ترجع الايام بينى وبينكم بذى الاثل صيفا مثل صيفى ومربعى
اشدد باعناق النوى بعد هذه مرائر ان جاذبتها لم تقطع
على انى اصبت سدادا للخلة ومدادا للخدمة وصوانا للوجه وبعض الشر اهون من بعض ولله الحمد ثم الشيخ الجليل من بعد فلولا كتبه المتواترة ونعمه الظاهرة المتظاهرة لاقت طويلا ولم اصب قبيلا فالآن قد آذنت الحال ببعض النظام وستنتظم على الايام ان شاء الله تعالى ووردت من الشيخ الرئيس على كريم والعرب وان كانت اكبادها غلاظا اكثر الامم حفاظا وضبة وان كانت كانمها احقادا

مرضت ولى جيرة كلهم * عن الرشد فى صحتى حائد
فاصبحت فى النقص مثل الذى * ولا صلة لى ولا عائد

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلى وقال

اهل دمشق قد مرضت عندهم * وما قصدت نحوهم بمسئله
مع علمهم بانى انا الذى * ولا أتانى عائد ولا صله

ومنه قوله

قالوا أمانى جلق نزهة * تسيل من أنت به مغرى
ياعاذلى دونك من لاظه * سهما ومن عارضه سطرا

السهم وسطرى من منتزهات دمشق المشهورة ومن هنا أخذ الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا وقال

سألتكما ان جئتما الشام بكرة * وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرآ منى كتابا كتبته * بدمعى لكم مقرا ولا تنسيا سطرا

ومقرا أيضا من منتزهات دمشق وحسن بعد ما ذكر سطرا ومنه قوله واجاد

شهان مورثه من حسن يوسف ما * لم يبق فى الجرلى والصبر من حصص
اقام للشعراء العذر عارضه * فكم لهم فى دبيب النمل من قصص

ومنه قوله

ولقد عجبت لعاذلى فى حبه * لما تجلى للعذار المظلم
اوما درى من سنتى وطريقتى * انى اميل مع السواد الاعظم

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره فاما ابن نباتة فانه أخذه وزنا وقافية وقال

اهواه معسول الرضاب منعما * ولقد يعذبنى الهوى بمنعم
ياقلب هذا شعره وجفونه * صبرا على هذا السواد الاعظم

ومن لطائفه قوله

ا كلت ستا واربعين بها * اخلت هموى من راحتى ربى
وبرزت فى السبع خائفا وجلا * لاننى جائز على سبع

ومن نكته اللطيفة قوله

هزم الهم عن ندامای راح * حظيت من سماعهم بلحون
لم تكن فى الكؤس تظهر لطفا * فبدت من خدودهم فى الصحون

ومن لطائف مجونه قوله

سألته من ريقه شربة * اطفى بها من كبدى حره
فقال اخشى يا شديد الظما * أن تتبع الشربة بالجره

ومن هنا أخذ المتأخرون ومن نكته اللطيفة ما كتبه على برج حمام السلطان بحماة

كملت لطفا وفقارا على * ما حزت من اوصافى الحلوه
من أجل هذا صرت اهلا لان * اجالس السلطان فى الخلوه

واكبادا اوفر العرب
احلاما وا كثرها كراما
والشيخ الرئيس ماورع
لمخاطبات الشيخ الجليل
يتصرف معها تصرف
الظلال عن اليمين وعن
الشمال فالشهد اذا
اعرض عنه سم ما يذل
الجهد والسم اذا قطر اليه
شهد وقد وردت فلم ازل
مقتدى اكراما ومنزلى
انزالا وحديث ما حديث
حديث الشيخين السيد
ابن أبى القاسم وابى الحسين
وارانى الله طلعتهما
وامتعنى بهما وبقربهما فلا
عيش الا فى ذراهما وبحيث
اراهما وضالة الامل
كلاهما وبرد الفؤاد هما
هما ما انفلا واين بلغا فما
يقصر نفاذهما ان لم يقصر
استاذهما ولا يضيق
امكانهما ان لم يضيق
زمانهما ومما أخاف عليهما
الاعارض الكسل وحادث

ومن

ومن اخبار رفيق النور بمن غلط العقادة الامير مجير الدين بن تميم في ذلك قوله

لما لبثت لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
اجريت واقف أدمعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا *

ومن لطائف نكته قوله في كتاب

يا حسنها نسخة يلهو مطالعها * بها لما قد حوت من رائق الكلم
صحت وقد لطفت اجزاؤها فحكت * لطف النسيم وحاشاها من السقم

ومنه قوله

بتنا جميعا وبات لثمي * له حمى ثغره مباح
فغاب منى الظلام غيظا * وانشق من غيظه الصباح

ومنه قوله

وساقية تدور على الندامى * وتنهرهم لسرعة شرب خمر
سنشكر يوم لهو قد تقضى * بساقية تقابلنا بنهر

وهذه النكتة تلاعب الناس بها كثيرا ومن نكته الغريبة قوله في سجادة

ايا حسنها سجادة سندسية * يرى للتقى والزهد فيها توسم
اذا ما رآها الناسكون ذووا الحجا * أمامهم صلوا عليها وسلموا

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

ان سجادتي الحقيرة قدرا * لم يفتها اتى بابك التعظيم
شرفت اذ سعت اليك فامست * وعليها الصلاة والتسليم

وتطفل عليها الشيخ زين الدين بن الوردي أيضا فقال

سجادة اذكرتني * منك الذي كنت اعلم
اهديتها لحب * صلى عليها وسلم

ومن قوله وهو من ألطف اغزاله

يا حسن اهيف حظه من حبنا * طيب النعيم وحظنا منه الشقا
قدم العذار الى نقا وجناته * يا مرحبا بقدوم جيران النقا

ومن نكته الغريبة قوله في مليح بجرح جبينه

بكوا الجراحة شقت جبين الحبيب فقال ناضر الجراح
اليس جبينه صبحا منيرا * ولا عجب اذا انشق الصباح

ومن لطائفه قوله

وعيرني بالشيب قوم احبهم * فقلت وشأن العاشقين التحمل
بعثتم الى رأسي المشيب بهجركم * ومهما أتى منكم على الرأس يحمل

وهذه النكتة أيضا تلاعب بها المتأخرون بعد ابن تميم كثيرا * ومن لطائف نكته أيضا قوله

ونهر خالف الاهواء حتى * غدا طوعا لها في كل أمر
اذا سرقت حلى الازهار ألقت * اليه بما فأخذها ويجري

ان الطينة بحمد الله قابلة والقريحة حرة والهمة صاعدة وليت شعري من المختلف اليهما ووددت لو أقف عليهما فاخرج من عهدة بعض النعم والعود ان شاء الله احمد ابتداء وانتهاء لانه صفر وابتداء سفر وطيرة الهم وقوعها باذن الله وغاشية لمجلس العالي ادام الله بهجته اعتدهم امناء على نصيبي منه فان احسنوا فان الله يجزى المحسنين وان خانوا فان الله لا يحب الخائنين السيد الفاضل فلان وان كان له اليد واللسان فمنه الحسن والاحسان وان كان قد أخافه الغريم فلن يخافه الخلق الكريم وان حركته بالمال همة انفذت اليه سفتجة عن قريب وما قليل وماشغفى بالماء الا تذكرا لماء به اهل الحبيب نزول وما عشت من بعد الاحبة سلوة ولكنني للنائبات حمول

ومنه قوله

سرق النسيم على الغصون بسحرة * لما أتاها وهى فى اطرابها
ورمى بها خلف الغدير فضمها * فى صدره من خوفه وجرى بها

ومن بدائع نكته

وليلة بت اسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ومن لطائف نكته فى أغزاله قوله

خليلى قد صاد الفؤاد بحسنه * غزال به عذر المحبين واضح
ولا غرو ان صاد الفؤاد بلحظه * الم تعلما أن العيون جوارح

ومن لطائف نكته فى اغزاله أيضا قوله

وقالوا بدا خط العذار بخده * فاضحى سعيد الخد وهو معذر
فقلت خيال الشعر ماقد رأيتم * فان صح ذاك الخط فهو مزور

ومن هنا أخذ الشيخ صلاح الدين ولكن زاد نكتة اخرى بقوله

عيناه قد شهدت بأنى مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
ياحاكم الحب اتئد فى قتلتى * فالخط زور والشهود سكارى

ومن نكته الغريبة قوله

اياذا الذى قد كف كفيه عامدا * عن الجود خوف الفقر ماذاك سائغ
اتخشى سهام الفقر مادمت منفقا * نصيبك والنعما عليك سوابغ

ومن نكته الغريبة قوله

ونهر يصب الروض اصبح مغرما * تروح ويغدوها عيا وصالها
اذا ابعدت عنه شكا بخريره * جفاها وامسى فاتعا بخيالها

ومن لطائف مجونه

وقواد بعيد الهجر وصلا * وطول البعد قربا واتفاقا
يكاد لحكمة فيه ولطف * يقود بلا أزمتها النياقا

ومن نكته البديعة الغريبة فى باب التورية قوله

لما حسنتك بالمديح ولم أكن * ادرى بانك خامل فى الناس
ناديت لما ان حسنتك بالهجاء * اكليب خذها من يدى جساس

ومنه قوله

مذلاح ذا المنثور طرف النرجس المـزور قال وقوله لايدفع
فتح عيونك فى سواى فاننى * عندى قبالة كل عين اصبع

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها * فنادت عليه فى الرياض طيور
ودولا بها كادت تعد ضلوعه * لكثرة مايبكى لها ويدور

والشيخ الجليل ادام الله عزه
فى تشريف عبده وخادمه
بالجواب وتصريفه على
الامر والنهى رأيه العالى
ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

وصل للشيخ الجليل السيد
كتاب خشن البرد فاتانه
كالاسل يدق دق القصار
ويشق شق البيطار ويقرض
قرض الفار ويحك
بالاظفار ويشك بالشفار
فلو كنا على السواء ولكن
احدنا فى الارض والآخر
فى السماء
ولو كان ادركنا والكف بسطة
ولكن احاطت بالرقاب
السلاسل

آخر

ولو رأى
مساغا نابيه الشجاع لصمما
ولكن الرماح اجرت ولولا
ان يغبط دى القاضى فى
وخير مافى الباب قول
الاول
لئن ساءنى ان نلتنى بمساءة
فقد سرنى انى خطرت ببالك

السكتة فيه وورق في ضاع دارت بين ابن تميم وبين الجماعة وتسلسل دورها فنظمه بدر الدين يوسف ابن لؤلؤ الذهبي بقوله

وروضة دولابها • الى الغصون قد شكا
من حين ضاع نشرها • دار عليها وبكى

ومنهم الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله

وناعورة قسمت حسنها • على واصف وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت • تدور وتبكي على الضائع

ومنهم الشيخ صلاح الدين الصفدي ونقل المعنى الى الغزل بقوله

اضحى يقول عذاره • هل فيكم لي عاذر
الورد ضاع بخده • وانا عليه دائر

و بعضهم نقصه وقنع بالدور بقوله

أبدى لنا الدولاب قولا عجيبا • لما رآنا قادمين اليه
اني من العجب العجيب كما ترى • قلبي معي وانا ادور عليه

و زاد الشيخ جمال الدين بن نباتة الدور نكتة أخرى فقال

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها • واضلعها كادت تعد من السقم
ادور على قلبي لاني فقدته • وامادموعي فهي تجري على جسمي

وهذا المعنى سبق اليه ابن تميم أيضا بقوله

قامت لنا بالعذر ناعورة • ادمعها في غاية السكب
تقول لما ضاع قلبي وقد • ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمي كله اعينا • يدور في الماء على قلبي

ومثله قوله

ناعورة مذ ضاع منها قلبها • ناحت عليه بأنة وبكاء
وتعللت بلقائه فلاجل ذا • جعلت تدير عيونها في الماء

وقنع الشيخ زين الدين بن الوردي بالدور فقال

ناعورة مذعورة • والهانة وحائره
الماء فوق كتفها • وهي عليه دائره

وعلى ذكر تورية الدور يعجبني قول المقر المرحوم الفخري ابن مكانس وقد كتب الى الشيخ بدر الدين البشتكي يداعبه وقد دار الشيخ بدر الدين المذكور في ساقية الهمائل

دورة البدر في سواقي الهمائل • تركت ادمع العيون هوامل
آه من للرياض نور اديب • مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سعيا على بني جحل في الجو • د وأغنى عن الولي الهاطل
زاد علما على أبي نور لكن • قال بالدور تارة والسلاسل

ومنها ولم يخرج عن تورية الدور

وما ظننت أحدا يعبث هذا العبث بطوما ر الهمار ويستخف هذا الاستخفاف بلحى الاحرار زعم ادام الله تمكينه اني اخلف المواعيد وا رد العذر البعيد ومتى ادعيت ان قولي يكتب في المصاحف او يتلى في المحاريب ومتى تبرأت من الاحاديث والله اني لا كذب الكذبة اظنها لحسنها صدقا وليس الشان في اللسان الشان فيما يعرج كل ليلة الى سماء الدنيا ولو شئت عددت عليه كما عد علي ولكن لا نحرك الساكن وانما يلام المرء على موعد يخلفه اذا استفاد بخلفه جاها اومالا اوراحة فاما موا ترة الكتب ومواصلة الرسل فلا في الوفاء بها اقرب الى

يا سعيدا اثرى من النظم والنثـــر وأنسى الورى زمان الفاضل
قد سقيت الرياض يا شيخ بالدو * ر فها غصنها من السكر مائل

ومن تطفلي في تورية الدور أيضا قولي من قصيد

ومذ مد ذاك النهر ساقا مدمجا * وراح بنقش البيت يمشي على بسط
لوى ناخلا خيل النواعير فالتوت * وأبدت لنا دورا على ساقه السبط

وعلى ذكر تورية الدور وتسلسلها هنا نكتة لطيفة وهي انه اتفق ان الشيخ نجم الدين القحفيري سأل جماعة من الطلبة المشتغلين عليه عن قول الشاعر

يا أيها الحبر الذي * علم العروض به امتزج
أبن لنا دائرة * فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة ثم قال هذا في الدولاب لانه أراد بالبسيط الماء وبالهزج صوته حال دورانه فقال له الشيخ صدقت الا انك درت في الدولاب زمانا حتى ظهرت لك التورية وهذا الكلام في غاية الظرافة من الشيخ رحمه الله تعالى * رجع الى ما كان فيه من لطائف ابن تميم في ذلك قوله

لم لا اميل الى الرياض وحسنها * واعيش منها تحت ظل ضافي
والزهر يلقاني بثغر باسم * والماء يلقاني بقلب صافي

وهذان البيتان عزاهما الصلاح الكتبي في كتابه فوات الوفيات للبدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي ونسبا أيضا لمحيي الدين بن قرناص في مواضع كثيرة والله أعلم ومن نكته اللطيفة في التورية قوله

روحي الفدا لمن ادار بلحظه * صهباء في عقلي لها تأثير
فاعجب له أني يصون بلحظه * مشمولة واناؤها مكسور

ومنه قوله

اني لاشهد للحمى بفضيلة * من اجلها اصبحت من عشاقه
مازاره ايام نرجسه فتى * الا واجلسه على احداقه

وتلاعب المتأخرون بهذه النكتة كثيرا ومنه قوله

الارب يوم قد تقضى ببركة * اهيم بها فيما جرى متفكرا
بعيني رأيت الماء فيها وقد هوى * على رأسه من شاهق فتكسرا

ومثله قوله

يا حسنه من جدول متدفق * يلهي بروتق حسنه من ابصرا
مازلت انظره عيونا حوله * خوفا عليه أن يصاب فيعثرا
فابى وزاد تماديا في جريه * حتى هوى من شاهق فتكسرا

وتورية تكسر تلاعب بها الناس بعد ابن تميم كثيرا ومن نكته البديعة الغريبة قوله

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغى * في موقف ما الموت عنه بمعزل
لترى انابيب القناة على يدي * تجري دما من تحت ظل القسطل

ومن

الله تعالى ولا في الاخلال بحرج من الله ولو كنت وعدته فصوصا ثم لم أتبع الوعد وفاء لاستهدفت لسهام العتاب لكن الله يشهد اني على الاخلال بالمكاتبة احب له من لا يرى وعيني ويدي وكل نعمة انعمها الله على يد الاسلام ولو انصف ناظره لجبر ما افراطي في هذا الجانب تقصيري في ذلك الجانب فجعل بدل العتاب شكرا والسلام

(وله أيضا رقعة اليه)

قد بسط مولاي باع الفصاحة وملأ أسفار البلاغة وبرلي ببيانه كما غمرني بفضله وبره وكالاعذر

ومن لطائف نكته قوله

قالوا أ ينالك كل وقت * تهيم بالشرب والغناء
فقلت انى فتى قنوع * أعيش بالماء والهواء

ومنه قوله

حاذر اصابع من ظلمت فانه * يدعو بقلب فى الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه فى جمر الغضى * الا الدعا باصابع المنثور

ومن لطائف نكته وقد تقدم معناها ولكن حلا مكررها هنا بقوله

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غزير
كأن نسيم الروض قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

وقال الشيخ اثير الدين ابو حيان انشدنى ابو الخير الازدى لمجير الدين بن تميم

نزلنا الى الغور فى جحفل * نقاتل قوما من المسلمينا
قطعنا الشريعة فى حربهم * وخضنا اليهم مع الخائضينا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

انى لاعجب فى الوغى من فارس * حارت دقائق فكرتى فى كنهه
ادّى الشهادة لى بأنى فارس الـ * ـهيجاء حين جرحته فى وجهه

ومن لطائف مجونه قوله

هويت نطاعا اذا جئته * بادرنى بالسخط والصفع
اروم ان احظى بوصل وقد * قابلنى بالسيف والنطع

ويعجبنى من نكته فى الخمريات قوله

ومدامة كاساتها * تعطى الامان من الزمان
قد أحكمت علم النجو * م واتقنت سحر البيان
فاذا حساها الشاربو * ن أوقعتهم فى الامانى
بدأت باخراج الضمـ * ـير وبعده عقد اللسان

ومن لطائف مجونه قوله

غطت محاسن وجهها عن ناظرى * هيفاء لم أر فى البرية شبهها
وغدت تمانعنى فقمت مبادرا * وكشفت من بعد التمنع وجهها

ومن نكته الغريبة قوله

سأهجو أناسا يبغون تنقيصى * وقد رسخوا فى بحر جهلهم رسخا
واسلخهم لا فى اوان مغيبهم * ولكن أريهم فى وجوههم السلخا

ومن لطائفه قوله

بعث النسيم رسالة بقدومه * للروض فهو بقربه فرحان
وللطيب ما قرأ الهزار بشدوه * مضمونها مالت له الاغصان

ومن لطائفه التى سبقه السراج اليها واستعملها ابن تميم احسن منه

للسيف اذا لم يمض ولا للنجم اذا لم يض وهو بحمد الله يزداد زيادة الهلال ويتقدم كل يوم فى محاسن الآداب والاخلاق وارجو ان لا تنقص همته دون اعلاء منزلته ولا يرضى لنفسه الكريمة الا بأقصى غايته وما تفضل به من الاعتذار فقد اغناه الله تعالى عنه بفضله الظاهر فاضل عن كل حق وخلقه الظاهر بالغ به مدى كل بر ويبقى أن يوفق الله بمقابلته بما التزمه له وأوجبه فيه وقد علمت فى أمر الدواء ما أشرحه له شفاها وجملة الامر أنى أؤمل النفع فى تناوله وارجو حسن عاقبته وحالى الآن صالحة لولا ما ذكر من فتور الشيخ الجليل فقد شغل قلبى وأقلق نفسى وان كان لا ينكر الضعف عقب المسهل ولعل سبب هذا

أراق دمي بسيف لحظ لما * وها أثر الدماء بوجنتيه
فلما خاف من طلبي لثاري * ادار عذاره زردا عليه

وقال في غلام وقاد

لاموا على الوقاد في حبه * وحبه باللوم يزداد
لو لم يكن في حسنه كوكبا * ما كان أمسى وهو وقاد

وزاد شيخنا الشيخ شهاب الدين بن حجر فسح الله في أجله هذا المعنى نكتة حصل بها الاتفاق البديع بلقبه الكريم فقال في وقاد أيضا

أحبب بوقاد كنجم طالع * أنزلته برضا الغرام فؤادي
وأنا الشهاب فلا يعاند عاذلي * ان ملت نحو الكوكب الوقاد

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

بنده الازرق لما * شده من قد سباني
جدول فوق كثيب * دار في غصن بان

ومن نكته الغريبة قوله في وكيل بدار القاضي بدمشق المحروسة

لا تقرب الشرع اذا لم تكن * تخبره فهو دقيق جليل
ووكل العز الذي وجهه * على نجاح الامر أقوى دليل
ولا تمل عنه الى غيره * وحسبنا الله ونعم الوكيل

وعلى ذكر الوكيل رأيت

لاقى فلان اليوم ماساءه * وافرغ الصك عليه وكيل
وذاق من كف الوكيل العمى * وحسبنا الله ونعم الوكيل

ومن لطائفه قوله يصف روضة

ارض كساها القطر حلة سندس * ورقت لها طرز من الغدران
وغدا النسيم أضاع نشر رياضها * فالورق تنشده بكل مكان

وكتب الى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق المحروسة وهي من نكته المخترعة

كمال الدين يا مولاي يا من * يغير الصرف في بذل النوال
أتيت لحاجة فاغنم ثنائي * عليك بها وشكري وابتهالي
ولا تجعل سؤالي اهانا في * عليك بنجحها وقع اتكالي
ايجمل أن يقول الناس اني * أتيت لحاجة لم تقضها لي
واصبح بينهم مثلا لاني * اتاني النقص من جهة الكمال

ومن لطائف نكته قوله

لم أنس قول الورق وهي حبيسة * والعيش منها قد أقام مقفصا
قد كنت ألبس من غصوني اخضرا * فلبست منها بعد ذاك مقفصا

وقال فيمن تاب عن شرب الخمر

تركت شرب الحميا فهو منكر * فيها وفي شربها اللذات والطرب

العارض ما وقع من الحركة الى ان عاد الى الدار وتعرض للشمس في طريقه فالله تعالى يعافيه ويبقيه ولا يرينا مكروها فيه ان شاء الله تعالى

(وكتب الى الشيخ أبي القاسم أدام الله تأييده وسوده رحمه الله)

أنا أصون ذلك المجلس الكريم عن الزكام والسعال وجميع اخوات الفعال ولو استطعت أن انفي من جلقي انني لرضيت لخدمة المجلس اعلاه الله سائرى ولكن هو مني وان ذنب وكافي بالشيخ الجليل يقول الامثال لا تغير وفي الحدود المعطلة والثغور المهملة والرسوم المبدلة والسنن المحولة والبدع المستعملة هذا الغلط اخلال يسير وغلط قريب وما اسد استظهاري بخلافته وان لم يكن من ولد العباس

فارجع فقد اسبل الراووق ادمعه * شوقا اليك وقلب الكاس يلتهب

فأنشده بعد ذلك وقد وافقه

ان كان قد اسبل الراووق ادمعه * شوقا اليك وقلب الكاس يضطرم
فاليوم أعينه من فرط فرحته * تفيض دمعا وثغر الكاس يبتسم

ومن نكته الغريبة قوله فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته

كم قلت لما فاض غيظا وقد * ازيح عن منصبه المعجب
لا تعجبوا ان فار من غيظه * فالقلب مطبوخ على المنصب

وهذا المعنى ألم به شرف الدين النصيبي واستعمله ازرق واسهم بقوله

ولوك اذ علوا بجهلك منصبا * علموا بأنك عن قليل تبرخ
طبخوا بنار العزل قلبك بعد ذا * وكذا القلوب على المناصب تطبخ

وقال يعتذر عن مخدومه في كثرة تجريده له

لقد لام قوم صاحبي حيث لم يزل * يجردني دون الرفاق تعمدا
رأني حساما ماضيا فأقامني * مدى الدهر في وجه الاعادي مجردا

ومنه قوله

مذ قلت للمنثور ان الورد قد * وافى على الازهار وهو امير
بسمت ثغور الاقحوان مسرة * بقدومه وتلون المنثور

وأحسن منه قوله

ومذ قلت للمنثور انى مفضل * على حسنك الورد المنزه في الشبه
تلون من قولي وزاد اصفراره * وفتح كفيه وأوما الى وجهي

ومثله قوله

كيف السبيل للثم من أحببته * في روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور وناضر نرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو الى وثغر هذا يضحك

ومثله قوله

كيف السبيل لان أقبل خد من * اهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور تومي نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

ومنه قوله

روض الحمى يهوى لقاك وانه * من فرط شوق لا يزال قرينه
لم يمد نرجسه اليك وانما * لغرامه اهدى اليك عيونه

ومن لطائفه في أغزاله قوله

قالوا بدا نبت خده فخذ بدلا * عنه فقلت لهم حاشاه حاشاه
ان لاح في خده نبت فلا عجب * الله أنبته والعين ترعاه

وتورية النبت والرعي تلاعب بها جماعة من المتأخرين بعد ابن تميم ومن مخترعاته في هذا

والله يبقيه على الفضل وعالمافيه والسلام

(جواب الشيخ أبي القاسم وهذه الرسالة جواب انا أصون ذلك المجلس)

وصلت رقعة الاستاذ وشغل قلبي تثبيط تلك النفرة نسخ الله حكمها ومحا أثرها ولو قبل الفداء لكنت عنه ولما صانني أيده الله عما يسوءني ورفعني عما يرفعني وهل جمال اتم ملابس من كريم عادته في التخضم الى وماحق عرنين رب ردعر نينه الماء قبل الشفاه الا أن نشمه اذا عطس الكرام السبرة ولا عطس الاباشم من الطراز الاول ولولا التطير من سمة العبادة لخف ركابي اليه والشيخ أبو الحسن فوف شروط الخلافة فاذا كان المستخلف تغلبيا جاز ان يكون الخالف كسرويا

الباب قوله

لو كنت حين علوت كور مطيتى * لم تعتلقها للمطى عيون
وتوسطت بحر السراب حسبتنى * من فوقها ألفا وتحتى نون

ومن نكته المخترعة قوله

دعيت فكان أكلى خذطير * ولم أشرب من الصهباء نقطه
ومايومى كامس وذاك أنى * أكلت اوزة وشربت بطه

أخذ الشيخ صلاح الدين الكل مع القافية فقال

شوى الاوز فاضحت * فى حمرة الخد بسطه
فقلت تشوى أوزا * ام كنت تشرب بطه

ومن اختراعاته التى لعب الناس بها بعده

قد هجرت الراح حتى * ليس لى فيها نصيب
وعلى الراووق منى * طول ما عشت صليب

ومن نكته المخترعة الغريبة قوله يرثى الامير قطب الدين رحمه الله تعالى

نأيتم فلا قلبى من الحزن مقصر * عليكم ولا جفنى يجف له غرب
وافلاك لذاتى تعطل سيرها * وهل فلك يسرى اذا عدم القطب

ومن غريب نكته فى اغزاله قوله

شبهت خدك يا حبيبى عندما * أبدى الجمال به عذارا أشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها * خطا دقيقا بالنضار مشعرا

ومثله فى الغرابة قوله

ولما احتمت عنا الغزالة بالسما * وعز على قناصها ان ينالها
نصبنا شباك الماء فى الارض حيلة * عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

ومن لطائف غرامياته

لا تبعثوا غير الصبا بتحية * من أرضكم فلها على جميل
خاضت دموع العاشقين وعرجت * عنهم الى وثوبها مبلول

وهذا المعنى وقفت عليه لغيره والله أعلم من السابق ولعمرى ان الآخر اجاد بقوله

وصبا صبت من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالى
خاضت مياه النيرين عشية * وأتتك وهى بليلة الاذيال

ومن لطائفه قوله

لولم اعانق من أحب بروضة * احداق نرجسها الينا تنظر
ماشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقد لعب الناس بعد ابن تميم بهذا المعنى كثيرا وقال فى اهداء مهرة حمراء وهى من مخترعاته

أهديت لى يا مالكى مهرة * جميلة الخلق بوجه جميل
مؤخرها والعنق قد أوقعا * قلب الاعادى فى العريض الطويل

(وله الى الشيخ السيد أبى الحسن على بن الفضل الاسفرايني رحمه الله) كتابى اطال الله بقاء الشيخ السيد والخطيب ابو فلان قد توجه وفدا الى الحضرة ويريد أن يقرن بين الحج والعمرة ولا يقتصر على الشمس دون الزهرة ولا يقنع بالماء الامع الخضرة وقد قصد من الشيخ الجليل بحرا والشيخ السيد سفينة نجاته وذريعة حاجاته وسببه الى كل مراد يتعذر وجنته دون ما يخاف ويحذر ومفزعه فى كل ما يأتى ويذر وهو وديعتى حتى ترده سالما وقد جهزت معه من السلام ما يجلو دجى الظلام ويدر أخلاف الغمام ويهدى العافية الى السقام وينشر النعمة بالتمام ويربط عليها بالدوام وترفعت اليه باهبة شوق يؤديها وصفا

قد لبست من شفق حلة * تخبرنا ان أباها اصيل

ومنه قوله وهو من الاختراعات اللطيفة

حبيبي وعدت الكاس منك بقبلة * واعقب ذاك الوعد منك نفار
وما كان هذا الونه غير أنها * علاها لطول الانتظار صفار

ومن هنا أخذ الشيخ بدر الدين بن الصاحب فقال

يا حابس الكاس لا تزدها * من بعد حبس الدنان حسره
واغنم مزاجا بها لطيفا * أورثه الانتظار صفره

ومن نكته الغريبة البديعة قوله

لما رأت عيني مناطقك التي * اضحت بخصرك دائما تتعلق
لا تستقر وقد علتها صفرة * ونحول جسم بالصبابة ينطق
ايقنت ان الخصر ضاع مخافة * فلذا تدور جوى عليه وتقلق

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

وشاح من أحبته قال لي * وهو الذي في قوله قد صدق
قد ضاع مني الخصر لما انتقى * أما تراني دائرا في قلق

وقال في شخص اسمه عثمان يهدده بالهجو

توعدت يا عثمان بالهجو شاعرا * سيوليك هجوا عاره ليس ينجلي
فخذها قصيدا قد أتت من محمد * تجاوز صخر حطه السيل من عل

ومن ابدر في افق التورية ونظم عقود لآلئها بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي فمن لآلئ عقوده قوله

صدوا وقد دب العذار بخده * ماضرهم لو أنهم خبروه
هل ذاك غير نبات خد قد حلا * لكنهم لما حلا هجروه

ومنه قوله

عرج على الزهر يا نديمي * ومل الى ظله الظليل
فالروض يلقاك بابتسام * والريح تلقاك بالقبول

ومنه قوله واجاد

ورياض وقفت اشجارها * وتمشت نسمة الصبح اليها
طالعت أوراقها شمس الضحى * بعد ان وقعت الورق عليها

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام لما وقف على هذين البيتين نكتة التوقيع هنا اليق بابن عبد الظاهر لكن طلع واطلع عليه البدر وحفظ سره لما أضاءه ذلك الصدر ومنه قوله

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق أزهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا جرى بين الرياض تشعبا

ومن هنا اخذ الشيخ برهان الدين القيراطي فقال من قصيد

وشرحا ويصور رشدة وترجا ورسمت له أن يقبل عني يده العالية انما يقبل سبعة أبحر وسبعة انجم وأوصيته أن يتخذ وجهه قبلة ويعتقد طاعته ملة واوصى الشيخ السيدان لا يألوه بسطا وتقريبا ونشدا وتوجيها والسلام

(وله الى الشيخ السيد العالم أبي أحمد)

كتابي وقد أنعم الله تعالى على الشيخ السيد العالم نعما ان عدها لم يحصها وأمره أن يلبس شعارها ويحسن جوارها ليقر قرارها وليس بعد الايمان بالله خصلة خير هي اوفر من رضوان الله حظا ومن تقوية المسلم ومعونته وليس بعد الشرك بالله خلة سوء هي أقرب الى غضب الله من شد على عضد ظالم وتقويته وقد علم الشيخ ما مني به اهل هراة من محن

وكان ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
فاذا تكسر ماؤه ابصرته * فى الحال بين رياضه يتشعب

ويعجبنى قوله من قصيد كلها غرر ولولا خشية الاطالة لاوردتها بكمالها

وتنبهت ذات الجناح بسحرة * بالواديين فنبهت اشواقى
ورقاء قد اخذت فنون الحزن عن * يعقوب والالحان عن اسحق
قامت تطارحنى الغرام جهالة * من دون صحبى بالحمى ورفاقى
انى تباريني جوى وصبابة * وكآبة واسى وفيض مآقى
وانا الذى املى الجوى من خاطرى * وهى التى تملى من الاوراق

ومنه قوله

هلم ياصاح الى روضة * يجلو بها العانى صدا همه
نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

ومنه قوله

ادر كؤس الراح فى روضة * قد نمقت ازهارها السحب
الطير فيها شيق مغرم * وجدول الماء بها صب

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال فى نواعير حماة من طرديته

ذات النواعير سقاها الترب * وأمهات عصنه والأب
تعلمت نوح الحمام الهتف * ايام كانت ذات فرع اهيف
فكلها من الحنين قلب * وكيف لا والماء فيها صب

وقال ابن نباتة فى مطلع قصيد

دمعى عليك مجانس قلبى * فارث على الحالين للصب

ونكتة الصب تطفل عليها أيضا الشيخ صلاح الدين الصفدى ولكن ركبها تركيبا قلقا فقال

وحقكم ما حلت عن سنن الوفا * ولم ينقلب منى الى سلوة قلب
وما أنا غر بالصبابة والهوى * فانكر دمعى ان جرى وانا صب

ويعجبنى قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ من قصيدة

باكر الى الروضة تستجلها * فثغرها فى الصبح بسام
والنرجس الغض اعتراه الحيا * فغض طرفا فيه اسقام
وبلبل الدوح فصيح على الأيكة والشحرور تمتام
ونسمة الريح على ضعفها * لها بنا مر والمام
فعاطنى الصهباء مشمولة * عذراء فالواشون نوام
واكتم أحاديث الهوى بيننا * ففى خلال الروض نمام

ومن هنا اخذ الجميع حتى الشيخ صفى الدين الحلى مع ان التورية غير مذهبه فقال

اقول وطرف النرجس الغض شاخص * الى وللنمام حولى المام
ايارب حتى فى الحدائق اعين * على وحتى فى الرياحين نمام

الثانية ثم ما ارهقهم من الحقوق الديوانية ثم ما زيد عليهم من علاوة المصادرة الحادثة ثم ما كشف الاستار واظهر العوار وقبح النوار من غلاء هذه الاسعار حقا لقد أكلت الجيفة وهى خائسة وطحنت عظام الميتة وهى يابسة وعدم القوت وثمنه موجود وتركت العبادات وهجرت الناحات وافردت الجنائز وتخطى الموتى وهم بالشوارع مطروحون ولقد دخلت المسجد الجامع يوم امسى فرأيت تحت كل اسطوانة عليلا وكانت احدهم فلم يفقه الا قليلا فيا عباد الله تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان انكم تنشرون ثم اليه تحشرون ومن الواجب على السلطان اعز

ولكن ما أخل بها الشيخ جمال الدين بن نباتة لئلا يخرج عن مذهبه فقال

وأهيف يهب أرواحنا * ووجهه كالروض بسام
تم خداه بقتل الورى * فخده ورد ونمام

واخذها ابن الوردي ايضا ولكن زادها نكتة أخرى بقوله

ان قال صف لي عذاري وصف مبتكره * ووجنتي قلت خذيا صنعة البارى
هذا عذارك نمام ومسكنه * نار بخديك والنمام في النار

ومنه قوله

الروض احسن مارأيت اذا تكاثرت الهموم
يحنو على غصونه * ويرق لي فيه النسيم

ومنه قوله

البرد قد ولى فالك راقدا * يا أيها المدثر المزمل
أوما ترى وجه الربيع وحسنه * والروض يضحك والحيا يتهلل

ومن لطائف تغزلاته قوله

حلا نبات الشعر يا عاذلي * لما بدا في خده الاحمر
فشاقني ذاك العذار الذي * نباته احلى من السكر

ومثله في اللطف قوله

شوقي اليك على البعاد تقاصرت * عنه خطاي وقصرت اقلامي
واعنات النسمات فيما بيننا * مما أحملها اليك سلامي

ومنه قوله

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهي اللمى احوى المراشف اشنبا
وقالوا بدا حب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الي محببا

وقد تقدم القول ان ابا تمام أول من اخترع هذه النكتة ومن نكته الغريبة اللطيفة البديعة

قوله

وذي قوام اهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبي قط

وتطفل الناس بعده على هذه النكتة ومنه قوله

وبمهجتي المتصاون عشية * والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم اخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب في عشاق

ومن هنا اخذ الناس بعد الشيخ بدر الدين كقول بعضهم

قلت مذ غنى حجازا * ليتني في اصبهان

ومنه قول الشيخ بدر الدين بن لؤلؤ

لك مبسم عذب اللمى يفتر عن * بردوسلسال الرضاب مرادي
وفم يحاكي الميم الا انه * كم حوله عين تحوم كصاد

الله نصره في مثل هذا العام
ان يتعهد الناس بالطعام
ويتطول الرعية بالانعام
ويبذل فيهم الرغائب
ليؤمن الساكن وليتألف
الغائب والبلاء كل البلاء
ان طلب هذا المال الموظف
فتذهب الحاسة الباقية
فانشد الله الشيخ ليبذلن في
هذا الامر مجهوده ولينجزن
موعوده وكرهت أن اخلط
بهذا الكتاب غير القماس
هذا النظر وفي الرأس
فضول وفي الدماغ فضول
ورأى الشيخ السيد في
ملاحظة فلان بالعين التي
كان يلاحظني بها وتمكينه
من مجلسه وبساطه اوقات
نشاطه وتمديته الى ماعساه
يخطئ فيه وجه رشاده
او يضل عن سبيل مراده
عال ان شاء الله تعالى

وهذا المعنى أيضا تطفل عليه المتأخرون بعد الشيخ بدر الدين منهم الشيخ جمال الدين بن نباتة حيث قال

يا عين آمالى اذا استجمعت * انى الى مورد لقياك صاد

و يعجبنى قوله من قصيدة ورّى فى بيتها الاول باسمه فقال

قد اخلقنى الفؤادى غير راحة * ومحققتنى الليالى بعد ابدار

فكم اوارى غراما من جوى وأسى * زناده تحت اثناء الحشا وارى

جيراننا كنتم بالرقمتين فمذ * بعدتم صار دمعى بعد كم جارى

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

بروحى جيرة ابقوا ادموعى * وقد رحلوا بقلبى واصطبارى

كانا للمجاورة اقتسمنا * فقلبى جارهم والدمع جارى

وما أحلى قول بدر الدين من القصيدة المذكورة فى الخمرة ولم يخرج عما نحن فيه من التورية فقال

سارت لتقتص من قوم فما رجعت * فى حث كاس على الاوتار دوار

فالقوم من بعض قتلاها وما ظلمت * وانما أخذت منهم بأوتار

ومن هنا اخذ القاضى امين الدين الحمصى كاتب السر الشريف بالشام المحروس كان فقال

وقوس حاجبه يصمى كانه له * مطالبات على قلبى بأوتار

و يطربنى قوله من قصيد

فلما تفرقنا كانى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فاتبعته قلبا طيعا على الغضى * وخليت لى جفنا على السفح أطوعا

ومن لطائفه الغريبة

رفقا بصب مغرم * ابليته صدا وهجرا

وافاك سائل دمعه * فرددته فى الحال نهرا

هذا النهر ورد منه المتأخرون قاطبة ولولا طول الشرح لذكرت ذلك ومن لطائفه قوله

يا عاذلى فيه قل لى * اذا بدا كيف أسلو

يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

ومن لطائف اتفاقه ونكته الغريبة قوله فى نجم الدين بن اسرائيل وقد هوى مليحا يلقب بالجارح

قلبك اليوم طائر * عنك ام فى الجوانح

كيف يرجى خلاصه * وهو فى كف جارح

وكتب اليه وقد بلغه انه سلا عن معشوقه المذكور

خلصت طائر قلبك العانى ترى * من جارح يغدو به ويروح

ولقد يسر خلاصه ان كنت قد * خلصته منه وفيه روح

ومن مخترعاته الغريبة قوله فى الخمرة

ابدى الحباب لها خطا فاحسن ما * قد كان حرر من ميم ومن هاء

(وله اليه ايضا)
يا فرحا بيوم لا يجيء بوجهك
وبليلة تطوى بفقدك
وبضمير يخلو من ذكرك
وما يرى بجمالك و يا شوقى
الى أن لا القاك ولا يكفينى
الاكتحال بالقذى من
طلعتك حتى وتقى بقذاة
رقعتك نخافى من نصائحك
حتى ان رأيت السيل
يميل بى فلا تنذرنى وان
رأيته يغرقنى فلا تنقذنى
وان عاودتنى بعد ذلك
بشفقاتك الباردة ظهر شؤم
شفقتك على عنفقتك وقد
أعذر من أنذر

قديمة ذاتها فى روض جنتها * كانت وكان لها عرش على الماء

ومن هنا اخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس فقال من قصيدة السرحة

فاستهدت دوحها الخضل واقترشت * فجم الربا ورقت عرشا على الماء

ولكن لم يساعده فى لفظة العرش اشتراك تورية بالنسبة الى الشيخ بدر الدين فان نسبة العروش الى الكرم معروفة ومنه قوله فى مليح نجار

بروحى نجار حكى الغصن قده * رشيق التثنى احور الطرف وسنان

يميل على الاعواد قطعا بما جنت * وماسرقت من قده وهى اغصان

ومن هنا اخذ جميع الناس وقال من قال

قد لمت ذا الاهيف النجار وهو على الاشجار يقطع فى اغصان خلاف

فقال لى عندها ثار تحدّبه * لانها سرقت من لين اعطافى

ومن احيا مادرس من رسوم التورية القاضى محيي الدين بن قرناص الحموى تغمده الله برحمته فمن نكته اللطيفة قوله

سقيا له روضا قدود غصونه * تختال فى الابراد من اوراقها

جنت به ورق الحمام صبابة * اوماترى الاغلال فى اعناقها

ومن لطائف قوله

مال القضيب بروضة من سكره * لما سقاه عقاره ادرار

حتى اذا سرق النسيم دراهما * من كفه صاحت به الاطيار

ومثله قوله

مذ أتينا نبغى زيارة دوح * قد حبانا بالجود والاكرام

ناولتنا ايدى الغصون ثمارا * اخرجتها لنا من الاكمام

ومثله قوله وتلطف ماشاء فى جمعه بين الاستعارة البديعة والتورية

قد اتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان

ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

ومنه قوله

ورب نهر له عيون * تحار فى وصفه العيون

لما غدا الريق منه عذبا * مالت الى رشفه الغصون

ومنه قوله

ايا حسنها روضة قد غدا * جنونى فنونا بافنانها

اتى الماء فيها على رأسه * لتقبيل اقدام اغصانها

ومنه قوله

تنفى الغصن اعراضا وعجبا * على نهر يذوب اسى عليه

فرق له النسيم وجاء يسعى * ملاطفة وميله اليه

ومنه قوله وتلطف ماشاء

(وله رقعة اشخاص)

سيرا على اسم الله وعونه الى الكلب ابن الكلبة والبابس ابن الرطبه والضيق ابن الرحبه والفواد ابن القحبه وألزماه داره وعرفاه مقداره وامنعاه طيب الغذاء وريح الهواء وبارد الماء حتى يؤدى ماعليه او يجرّ برجليه ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

كانى وكنت اقعد بجالى عن مطالعة المجلس العالى واقتصر على خدمة الدار طرفى النهار وللنفس آمر من فرط الصبابة وناه من ظل المهابة وللعزم باعث من الانبساط ومانع من الاحتياط وللصدر ما يمسكه حرج وبما يثنيه فرج لكنى عرفت مكانى عنده فلم اتعده ومحلى وخطه فلم أتخطه فلما ورد كتاب

ويوم قد قطعناه بروض ٭ يضاحك زهره شمس النهار
فكان نهارنا طلق المحيا ٭ صبيح الوجه مخضر العذار

ومنه قوله

انم فان الدوح يا مالكي ٭ حمل من اجلك ما لا يطيق
يرقبك الطير على وكره ٭ واعين الازهار نحو الطريق

وهذا المعنى اخذه الصاحب فخر الدين بن مكانس وزاد قافية فقال

والنرجس الغض غدا شاخصا ٭ فلا يخلي عينه للطريق

ومنه قوله وتلطف ما شاء

لو كنت اذ نادمت من احببته ٭ في روضة اطيارها تترنم
لرايت نرجسها يغض جفونه ٭ عنا وثغر اقاحها يتبسم

ومنه قوله في معذر

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها ٭ واشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله اقبسها ٭ نارا وجر عليها ذيله الخضر

وهذا المعنى استعمله بعضهم في شجرة نارنج فقال ولكن لم اعلم المخترع من هو

نارنجة برزت في منظر عجب ٭ زبرجد ونضار صاغه المطر
كأن موسى كليم الله اقبسها ٭ نارا وجر عليها ذيله الخضر

ومنه قوله

وروض قد اتت فيه معان ٭ يطيب به الندامى والمدام
يسامره النسيم اذا تغنت ٭ حمائمه ويسقيه الغمام

ومنه قوله

روضة من قرقف انهارها ٭ وغناء الورق فيها بارتفاع
لا تلم اغصانها ان رقصت ٭ فهي ما بين شراب وسماع

ومن لطائفه في اغزاله قوله

هويت في مكتب غلاما ٭ قلبي بهجرانه جريح
اهيف اضحى قبيح خط ٭ وانما شكله مليح

ومنه قوله في مليح مؤذن

ومؤذن اضحى كريما وجهه ٭ لكنه بالوصل اي شحيح
ابدا اموت بهجره لكنني ٭ من بعد ذاك اعيش بالتسبيح

ومنه قوله

قبلت خط عذاره لما بدا ٭ وهصرت لين قوامه المياس
وطلبت لي من خده المحمر ما ٭ يشفي قوى جفاني بالآس (ى)

وهذه النكتة توارد هو وشمس الدين محمد بن العفيف عليها فقال

من يعطف نحوي قلب هذا القاسي ٭ كم اذكره وهو لعهدي ناسي
اشكو سقمي لعارضيه وكذا ٭ يشكو دنف سقامه للآسي (س)

الامير في معنى استزارة الم اتاي لم اجد بدا من المطالعة وبالله ما اعرف لاستزارته سببا يقتضي هربا وما اعلى حملت حالا اوجبت ارتحالا وما أبرئ نفسي انها العيبة عيب لكنها في غيب ولست بمعصوم عن كل لوم ولكني اصون ولا محجوب عن كل حوب ولكني اتجمل فليت شعري اي عيوبي ظهر وكيف اشتهر ولم اتطر وان كان خبر فهلا ستر وان كان عثر فهلا عذر واين رنق العمومة وستر الابوة وما هذه الشناعة والاشاعة وهلا تقدم الايقاع انذار وهلا سمع مني اعتذار وبالله اقسم وبنعمة الملك احلف ان كنت اتهم نفسي بجرم تطرقت اطرافه وامر قصدت خلافه او شئ لم يوافق مراده او حال

وتطفل عليهما بعدهما الشيخ صلاح الدين الصفدي فقال

كم جرح القلب منه جفن * كالسيف في صفحة القماس
وطاب آس العذار جرحي * فصح ان الطبيب آسي

وابتذل المتأخرون بعدهم جنابها ونظمتها انا ولكن زدتها نكتة اخرى من جنسها فترشحت وازدادت حسنا وهي قولي

مذ جفاني مرض القلب ولم * [illegible] الضعف ولا الكسر الجبارا
قلت للعارض يا آسي اذا * درت داري مرض القلب فداري

ومن لطائفه في اغزاله قوله

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ناظره
انزلتهم في مقلتي * فاذا هم بالساهره

وهذه النكتة ايضا ابتذل المتأخرون جنابها كثيرا ومن ظرافات شمس الدين محمد بن العفيف المشهور بالشاب الظريف قوله

اذا حاولت حل البندقات * معاطفه حماها الايطل
وان جليت بوجنته مدام * يرى لعذاره دور وزنل

وسبك ايضا تورية الدور في قالب آخر وجاء في غاية اللطف والغرابة بقوله

لحاظك اسياف ذكور فما لها * كما زعموا مثل الارامل تغزل
وما بال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

ومنه قوله فيما يكتب على كاس واجاد

ادور لتقبيل الثنايا ولم ازل * اجود بنفسي للندامى وانفاسي
واكسوا كف الشرب ثوبا مذهبا * فمن اجل هذا لقبوني بالكاس (ى)

ومن هنا اخذ الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة وقال مضمنا

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس (ى)

ويعجبني قوله وقد اهدى مجموعا

يا أيها الصدر الذي وجه العلا * منه يزان بمنظر مطبوع
لا تعتقد قلبي يحبك وحده * ها قد بعثت لسيدي مجموعي

ونكتة المجموع استعملها الشيخ جمال الدين وغيره ومن نكته البديعة التي لم يسبق اليها قوله

كانما كان وزالا * فاطرح قيلا وقالا
ايها المعرض عنا * حسبك الله تعالى

وهذه اخذها صاحبنا المرحوم مجد الدين بن مكانس بفصها فقال من قصيد

يا غصنا في الرياض مالا * حملني في هواك مالا
يا راحلا بعدما سباني * حسبك رب السما تعالى

ومن لطائفه في مليح رسام قوله

قلت لرسامكم * بك الفؤاد مغرم
قال متى اذيبه * فقلت حين ترسم

اقلقت فؤاده اكثر من ضجر بالمقام وكان يمكنه ان يضع لنفسه عذرا احسن مما وضع ويحمل وجهها اجمل مما حمل واريد ان اذكر قصة يلهي سامعها ويصدق ناقلها اذ كان لا يتجاوز لما يقوله مثلي بمثله وانا فرع من اصله وجزء من كله ولكن لابد من ان ارخي وامد واجذب واشد حتى يعلم المللك اني في استزارته مظلوم واني من ظلمه مرحوم وقد علم انا وردنا هذه الحضرة بجادة لا تتطامن ببردة وابدان لا تخطر باردان واني قاسمت هذا الهم نعم مولانا علي الا نعمة لا تحتمل قسمة وصله لم تحتمل تفصلة من فرس لم يمكن قطعه نصفين وعبد لم يجز توزيعه بين اثنين ولعل هذا الهم نقم على هذا الجرم وان كان نسبني الى

ومن لطائفه واختراعاته قوله

قامت حروب الزهر ما * بين الرياض السندسيه
واتت بأجمعها الى الـ * ـنسرين وروضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لان * الورد شوكته قويه

ومن لطائفه ايضا قوله

يا ساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثاني
لأي معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

ومن لطائفه ايضا قوله

اني لاشكو في الهوى * ما راح يفعل خده
ما كان يدري ما الجفا * لكن تفتح ورده

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدي فقال ولكن زاده نكتة

اقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجا
فمن اين هذا الحسن والظرف قال لي * تفتح وردي والعذار تخرجا

ومن نكته البديعة قوله

قد تعشقت خلافا * ساولي فيه معاني
كلما جادلني العا * ذل فيه ولحاني
جئته من عارضيه * بدليل الدوران

ومن اختراعاته اللطيفة قوله في مليح خيالي

خيالي اخاف الهجر منه * ولست اراه يرغب في وصالي
وكنت عهدتني قدما شجاعا * فمالي صرت افزع من خيالي

وقال في زهر اللوز

تبسم ثغر اللوز عن طيب نشره * واقبل في حسن يجل عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة * فان غصون الزهر تصلح للقصف

ومثله قوله

غنى بعض الجامع الشادن الذي * على قده اغصان بان النقا تثنى
فقلت وقد لاحت عليه حلاوة * الا فانظروا هذي الحلاوة في الصحن

وقال

ياذا الذي نام عن غرامي * ونبه الوجد والجوى لي
جفني جرى طيه دموع * شوقا الى وجهك الهلالي

ومن اختراعاته الغريبة قوله

عبتم على المحبوب حمرة شعره * واظنكم بدليله لم تشعروا
لا تنكروا ما احمر منه فانه * بدماء ارباب القلوب معصفر

وقال في مليح زجاج

محظور ركبته أو مسكر شربته او منكر قربته او قمار لعبته او عود ضربته او نرد نصبته او بيت نقبته او ثوب سلبته فقد صبرعلى هذه الهنات عشر سنين فما هذا الضجر اليوم وان لم اتعاطها فلا لوم ولم يبق ابد الله الامير من انقلاب الزمان الا ان تطلع الشمس من مغربها والله المستعان ونلمادمه بهذه الحضرة رتبة يحسده القاصي عنها ويخافه القارع لها ويزاحمه النازل بها ويمقته الطامع فيها فهو من جهاتهم محسود ومن اجلها بالتشنيع مقصود والمرء لا يخلو من ذنب صغير يورى عن جهته فيرى كبيرا وخطب يسير يتوصل به كذب صار عظيما وربما شيع الى باب جهنم من لا يدخلها واني لا ظهر

قولوالزجاجكم ذا الذى * له محيا بالسنا يسفر
ان كنت فى الصنعة ذاخبرة * وكان معروفك لا ينكر
فالاحداق اقداحها * فى صحة من حسنها تكسر

وقال ايضا

كلف الفؤاد بظبية مجانة * ما كنت يوما آمنا من هجرها
جنت فؤادى بالغرام فاوها * من ادمعى ودقيقها من خصرها

وهذا المعنى تلاعب به الجماعة بعد ابن العفيف ولكن مابرح دقيقه خاصا وقال فى ذم الحشيش واجاد

ما للحشيشة فضل عند آكلها * لكنه غير مصروف الى رشده
صفراء فى وجهه خضراء فى فمه * حمراء فى عينه سوداء فى جسده

وقال فى مليح اصيبت عينه

كان بعينين فلما طغى * بسحره ردّ الى عين
وذاك من لطف بعشاقه * مايضرب الله بسيفين

وتورية السيف تناولها الجماعة بعد ابن العفيف ولولا خشية الاطالة لذكرت غالبها وقال فى مليح بدوى

بدوى كم جدلت مقلتاه * عاشقا فى مقاتل الفرسان
ذو محيا يصيح بالهلال * ولحاظ تقول يا السنان

وقال فى مليح جرح بسكين

لم تجرح السكين كف معذبى * الا لمعنى فى الغرام محقق
هى مثل ماقد قيل جارحة له * ولكل جارحة اليه تشوق

وقال فى مليح مؤذن بالجامع الاموى

فديت مؤذنا تصبو اليه * بجامع جلق منا النفوس
يطير النسر من شوق اليه * وتهوى ان تعانقه العروس

هذان البيتان توارد على نكتتهما شمس الدين بن العفيف والشيخ جمال الدين بن نباتة ورأيتهما فى ديوانه والبيت الاول بنصه والبيت الثانى فيه بعض تغيير وهو

لقد زف الزمان لنا مليحا * تكاد بان تعانقه العروس

وقال فى مليح منير

منير وجدى به * اكتمه ويظهر
وكيف تخفى لوعتى * وقد غدا ينير

وقال ايضا يصف بساطا

بساط يملأ الاحداق حسنا * ويهدى للقلوب به سرورا
وينشرح حين يبسط كل صدر * وخير البسط ماير ضى الصدورا

وقال دوبيت

فى سائر الاخلاق الا النفاق فان لم اخف الله العلى الكبير لم ارهب الامير والسلام

(وله اليه ايضا)

كأنى ومن شرط العبودية الكذب الى ولى النعمة بامور سليمة واحوال مستقيمة ثم يبط عن فرحة الحال بصدق الاتصال لكن العبد يكره ان يقول امرى مستقيم وهو بالبعد منه مقيم بين نهار يسفه حماه وليل يفرقه حماه وبلد لا يوافقه ثراه وولى نعمة لا يراه فلو كان العبد حجرا لمات ضجرا بين هذه الاحوال او حديدا اسال صديدا تحت هذه الاثقال ويعز على العبد ان يزيد الحضرة العالية ثقلا ولكن لاطاقة للمحموم بحر السموم ولا قبل للمحرور بفيح الحرور ولاسيما اذا

الصب بجسكم عراه الوله * فى طوع هوا كم عصى عذله
ايضاح غرامه غدا تكملة * اذ كان مفصل الهوى مجمله

وقال ايضا

افدى عربا حلوا بوادى الجزع * ياوحشة ناظرى لهم فى الربع
لما بحثوا عندى فى فرقتنا * انشأت لهم مسائلا من دمعى

ومنه قوله

يقول وقد رنا عن لحظ ظبى * وهز الغصن فى ورق الغلائل
أأقتلكم بطرفى ام بعطفى * فقلت بما تشا فالكل ذابل

وهذه النكتة اخذها الشيخ جمال الدين بقافيتها وقال

له معطف لدن القوام ومرشف * رقيق على التقبيل فالكل ذابل

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه الذى جمعه من املاء الشيخ اثير الدين ابى حيان وسماه مجانى العصر من ادب اهل العصر انشدنى الشيخ اثير الدين قال انشدنى شمس الدين محمد بن العفيف فى مليح طباخ

رب طباخ مليح * فاتر الطرف غرير
مالكى أصبح لكن * شغله بالقدور (ى)

قال الشيخ صلاح الدين وانشدنى الشيخ اثير الدين قال انشدنى شمس الدين محمد بن العفيف لنفسه

ليس خليلا لى ولكنه * يضرم فى الاحشاء نار الخليل
ياردفه جرت على خصره * رفقا به ما انت الا ثقيل

وهذه النكتة تلاعب بها غالب المتأخرين بعد ابن العفيف ومن لطائفه قوله وقد احتجب بعض اصحابه عنه

ولقد اتيت الى جنابك قاضيا * باللثم للعتبات بعض الواجب
واتيت اقصد زورة احيابها * فرددت يا عينى هناك بحاجب

هذه النكتة اخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة غفر الله لهما بقافيتها فقال

حجبتنى فازددت عندى علا * برغم من اقبل كالعاتب
وقلت لا اعدم من سيدى * من كان عينى فغدا حاجبى

والم الشيخ زين الدين بن الوردى بهذه النكتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب بقوله

زرتكم صحبة وودا * الفيتكم مغلقين بابا
سعى الى بابكم جنون * عليه استأهل الحجابا

ومن لطائفه فى أغزاله قوله

وكم يدعى صونا وهذى جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد
وكم يتحافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد

ومن هنا اخذ الشيخ صفى الدين الحلى ولبسه ماقال

كان همذانى المولد جبلى المنبت نارى المزاج ضعيف البنية يابس العظام حاد الطبع حديث السن وعبده يجمع هذه الاوصاف وقد مال مزاجه الى الانحراف بأشر ما باشر من الحر بهذا المستقر ولم يهجم حزيران ولا القى بجرانه تموز ومولانا ادام الله سلطانه رأى العين على مسيرة يومين فكيف اذا سار المطى بنا عشرا ونشرت حزيران فيها نشرا ولوانعم على عبده واذن له فى قصده لجمع اسباب السعادة له فى سمط وارجوأن لا يرده عن هذا الامل ويسلمه الى العلل ولا يحرمه برد النظر الى الغرة الميمونة فلولا انه مرض وروح ماله عوض ولا فى خوجى ضرر

وما فيه شئ ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

ومنه قوله

أيسعدني يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخدك نازل
ولو ان قسا واصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

الذي يظهر لي ان النكتة في باقل من اختراعات ابن العفيف فاني لم اجد احدا ممن تقدمه ألم بها ولكن ما صبر الشيخ جمال الدين عنها احسنها فقال من قصيد مضمنا

تطاولت الاغصان تحكي قوامه * وعند التناهي يقصر المتطاول
واحيا فصيح الوقت نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل

وكذلك الشيخ زين الدين بن الوردي ما صبر عنها حتى قال

ولي اغيد من حسنه البدر خائف * على نقصه والنجم في الغرب مائل
فلو رام قس وصف باقل خده * لعير قسا بالفهاهة باقل

ومن لطائفه قوله

يا خاله خضرة بعارضه * حرستها عن متيم مغرى *
كف عن العاشقين مقتصرا * هل انت الاحويرس الخضرا

ومن نكته اللطيفة قوله

زار وجيب الظلام منسدل * فانشق ثوب الدجى عن الفجر
وبت من صدغه ومبسمه * اجمع بين الحشيش والخمر

هذه النكتة أخذها الشيخ زين الدين بعناها وقال

ومليح قال جهرا * يا نفوس الناس عيشي
من رضابي وعذاري * بين خمر وحشيش

ومن لطائف نكت ابن العفيف قوله

واني بوجه كالهلال مركب * من قامة غصنية هيفاء
وبعقله خفق الفؤاد وقد رنت * وكذا الجنون يكون عن سوداء

ومن لطائف اختراعاته قوله

بدا وجهه من فوق اسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب في جنح
فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح

ومنه قوله والنكتة غريبة وبديعة

اسكرني باللفظ والمقلة الـ * كحلاء والوجنة والكاس
ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس (ى)

ومن لطائفه ايضا قوله

يا باعثا شعره انتشارا * بقامة مالها نظير *
الموت من ناظريك لكن * من شعرك البعث والنشور

ومن لطائفه قوله في مليح اسمه مالك

ولا بالفاني غرض
وليس عقده بيدي
اذا ما غبت ينتقض
ولي في قصدتي شرف
وعين القصد معترض
اذا القبضت من املي
ولكن فيم انقبض
أيامر بالمقام وهل
يقوم بذاته عرض
ومولانا ادام الله سلطانه
أبسط رأفة على الخدم كافة
وعلى من بينهم خاصة
ألا يرحم لجسمي الضعيف
في هذا الهواء الكثيف
والامراض لاتعبث من
عبده بشحم ولحم انما تصل
الى العظم فتقضه والى
الروح فتستخلصه وله ادام
الله قدرته في الانعام رأيه
العالي ان شاء الله تعالى
(وله الى ابي الحسن البغوي)
كتابي وجزى الله الشيخ خيرا
عن بطن الساغب وكف
الراغب واعانه على همته

مالك قد احل قتلي بربع الشقة منه وراح قلبي طعينه
ايس يفتي سواه في قتل صب * كيف يفتي ومالك بالمدينه

ومنه قوله مع حسن التضمين

جلا ثغرا واطلع لي ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
وانشد ثغره يبغي افتخارا * انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن لطائفه قوله

بأبي شادن غدا الوجه منه * يخجل النيرين في الاشراق
سلب القضب لينها فهي غيظا * واقفات تشكو مع الاوراق

البيت الثاني بلفظه ومعناه تقدم لابن عبد الظاهر والله اعلم ايهما السابق وابتذل جماعة هذه النكتة بعد ذلك المتأخرون منهم الشيخ زين الدين بن الوردي بقوله

قده جار اعتدالا * فله فتك ونسك
سلب الاغصان لينا * فهي بالاوراق تشكو

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

ومستتر من سنا وجهه * بشعر لهاذلك الصدغ في
كوى القلب مني بلام العذار * فعرفني انها الام كي

ومن لطائفه قوله

كأنني واللواحي في محبته * في يوم صفين قد دقنا بصفين
وكيف يطلب صلحا او موافقة * ولحظه بيننا يسعى بسيفين

ومن نكته التي تطفل الناس بعده عليها قوله

بأبي افدي حبيبا * تيم القلب غراما
عذر العاذل فيه * مذ رأى العارض لاما

وقال

لولم تكن ابنة العنقود في فيه * ما كان في خده القاني ابولهب
تبت يدا عاذلي فيه فوجنته * حمالة الورد لاحمالة الحطب

اخذه ابن نباته وقال

حمالة الحلي والديباج قامته * تبت غصون النقا حمالة الحطب

قلت ورد ابن العفيف اغلى من ديباج ابن نباته من حيث المناسبة الادبية والله اعلم وهذه النكتة ايضا اغار عليها المعمار بقوله

تعرض البدر يحكي حسن صورته * فراح منكسفا وانشق بالغضب
وبانة الجزع ماست مثل قامته * تبت وقد اصبحت حمالة الحطب

(وممن احسن المباشرة في نظم التوريه) سيف الدين بن المشد فمن نكته البديعة الغريبة قوله

مسكية الانفاس تملي الصبا * عنها حديثا قط لم يملل

جنت

ووفقه واخلف عليه خيرا مما انفقه فليس لمثل هذا العام الامثل ذلك الانعام والبذل العام فلو انتقر لهلك من افتقر ولكنه اجمل وعم الاعلى والاسفل فكأنه كان ديما وكانما احيا الناس جميعا ومما يدل على شكر الله لسعيه في الحج ان جعله كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج وجعل داره مشعر الكرم كما ودع مشعر الحرم ولم يفصله عن منى الخيف حتى عقد بناصيته منى الضيف وكما جعل البيت قبلة للصلاة جعل بيته قبلة للصلات الشيخ اذا لم يختم بهذا الختام لم يكن بالحج التام فالحمد لله الذي مكنه ووفقه والله بتمام النعمة كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل رجع فلان فوصف ما صدقه الشيخ من اعتناء واهتمام

جفنت لسان سرى عرفها * وماترى من جن بالمندل

ومن لطائفه قوله

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقى وليس به * على الندامى سوى الريحان نمام

هذه النكتة تقدمت للبدر بن لؤلؤ الذهبى وذكرت من اغار عليها من الجماعة ولكن الامير سيف الدين زادها نكتة اخرى بديعة واستعملها أحسن من الجماعة ومن لطائفه قوله

وشادن اورد فى هجره * لهيب حر الشوق والفرقه
اصبحت حران الى ريقه * فليت لى من قلبه رقه

هذه النكتة نظمتها فى مبادى العمر ولم اقف على قول ابن المشد الا بالديار المصرية فى الايام المؤيدية فقلت

ارشفنى ريقه وعانقنى * وخصره يلتوى من الدقه
فبت من خصره وريقته * اهيم بين الفرات والرقه

ومن لطائفه قوله

فى يوم غيم من لذاذة جوه * غنى الحمام وطابت الانداء
والروض بين تكبر وتواضع * شمخ القضيب به وخر الماء

ومن لطائفه أيضا قوله

اذن القمرى فيها * عند تهويم النجوم
فانثنى الغصن يصلى * بتحيات النسيم

ومن لطائفه قوله

انى صرفت وحاشا * لذا فالدنانير تصرف
وما اعتقلت كريما * الا وأنت مثقف

ومن لطائفه قوله

الحمد لله فى حلى ومرتحلى * على الذى ذات من علمى ومن عملى
بالامس كنت الى الديوان منتسبا * واليوم اصبحت والديوان ينسب لى

ومن لطائفه قوله

لعبت بالشطرنج مع شادن * رشاقة الاغصان من قده
احل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

تورية الشامات رخصها المتأخرون بعد سيف الدين بن المشد وممن أخذها الشيخ جمال الدين ابن نباتة فقال

افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت * فى شكله من معانى الحسن اشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة * والخد فيه لقتل النفس شامات

انتهى ما اخترته ووعدت بايراده فى باب التورية من كلام هذه العصابة التى مشت تحت

وذلك لانى بفضله فليتبع الفرس الجمام ان الصنيعة بآخرها والسلام

(وله ايضا)

ياشيخ الافاضل فضلة والسبعة ولو رأى كل حده لم يتعده وابصر خطه لم يتخطه واذا لم تسخف اقوام ولم تسفه احلام ولست والله لرتبة الشيخ اهلا وان كان الشيخ كهلا فما الذى دعاك الى الزيادة وانتصال السيادة امر بالك ام خشونة سبالك ام مرض فؤادك ام صحة سوادك ام طهارة اصلك ام صرامة فصلك ام حصانة اهلك ام رجاحة عقلك ام ملاحة شكلك ام غزارة فضلك ام تقلم كلامك وسلامك ام خير قعودك وقيامك ام كنف جنابك وخيامك ام حسن ورائك وامامك ياشيخ حقيق ان لا اغرك بنفسك

العصائب الفاضلية * وصار لها من بعده فى نظم التورية اعظم روية * وقدمت امامهم الذى صلت الجماعة خلفه وهو القاضى الفاضل وبعده القاضى السعيد بن سنا الملك والشيخ سراج الدين الوراق وأبو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامى وناصر الدين حسن بن النقيب والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وهذه الفرقة التى تقدمت بعد الفاضل بالديار المصرية وأما الفرقة الشامية فامام جماعتها الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة وبعده مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيى الدين بن قرناص الحموى وشمس الدين بن العفيف وسيف الدين بن المشد ولكن عجبت من الشيخ صلاح الدين الصفدى كيف اخل فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام بذكر الشيخ علاء الدين على بن المظفر الكندى الشهير بالوداعى وهو اشهر من قفا نبك فى نظم التورية بل هو امرؤ قيسها وكنديها * واذا ذكر شرف نسبها فانه علويها * وانتقل من حلب الى دمشق المحروسة وعاصر الجماعة المذكورين ومولده سنة أربعين وستمائة ووفاته سنة ست عشرة وسبعمائة فكانت مدة حياته ستا وسبعين سنة ومولد السراج الوراق سنة خمس عشرة وستمائة ووفاته سنة خمس وتسعين وستمائة فكانت مدة حياته ثمانين سنة ومولد أبى الحسين الجزار سنة احدى وستمائة ووفاته سنة اثنتين وسبعين وستمائة فمدة حياته احدى وسبعون سنة ووفاة نصير الدين الحمامى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ووفاة ناصر الدين بن النقيب سنة سبع وثمانين وستمائة ووفاة الحكيم ابن دانيال سنة عشرة وسبعمائة ومولد محيى الدين بن عبد الظاهر سنة عشرين وستمائة ووفاته سنة اثنتين وتسعين وستمائة فمدة حياته اثنتان وسبعون سنة ومولد شيخ الشيوخ الانصارى سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة احدى وستين وستمائة فمدة حياته خمس وسبعون سنة ووفاة مجير الدين بن تميم سنة احدى وثمانين وستمائة ووفاة بدر الدين يوسف الذهبى سنة ثمانين وستمائة ومولد شمس الدين بن العفيف سنة اثنتين وستين وستمائة ووفاته سنة سبع وثمانين وستمائة فمدة حياته خمس وعشرون سنة ومولد سيف الدين بن المشد سنة اثنتين وستمائة ووفاته سنة خمس وخمسين وستمائة فمدة حياته ثلاث وخمسون سنة وجل القصد من ذلك تحقيق الواقف على هذا الشرح ان علاء الدين الوداعى عاصر الجماعة او غالبهم وقد تقدم قولى فى باب التوجيه ان الشيخ علاء الدين الوداعى سبك التورية فى قوالب لم يسبقه احد من هذه الجماعة اليها * ولا سقط فكره عليها * ومع علو قدر الشيخ جمال الدين بن نباتة وهو الذى مشت ملوك الادب قاطبة بعد الفاضل تحت اعلامه تطفل على موائد نكت الوداعى ومعانيه * وعلى الانواع الغريبة من تواريه * واوردت هنالك من هذا القدر نبذة ولكن تعين ايرادها هنا كاملة لانها حق من حقوق التورية وصل فى تقدمه الى غير مستحقه بحيث ان الطالب اذا أراد ان يفرد هذا النوع اعنى التورية كان بافراده فريدا * وعقدا نضيدا * وكلما وردته من انواع التورية فى غير بابه * عزمت على نظم شمله هنا ليجتمع كل غريب بأقاربه وانسابه * وقد عن لى انى اذا فرغت من هذا الشرح ان افرد بابا للتورية والاستخدام واجعلها مامصنفا مفردا واسميه كشف اللثام * عن وجه التورية والاستخدام * فان الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه لم

انك بالتسبيح اخاق منك بالتسبيح وبالقيادة البق منك بالسيادة كذبك من ناجاك ان اخاك من نادالك وخانك من سودك ان الصادق من قودك واضلك من فضلك ان المرشد من ضللك وقد نصحتك وان اوحشتك وان شئت غششتك وآنستك وشقت الفلك اذ لم يكن عبد الك وسخت دهرك اذ لم يوف مهرك فقعدبك عن ملك العراق وحيازة الآفاق فالرأى فى الحبس ولا الطلاق والامر بالغى والاملاق والحكم فى الرؤس والاعناق فاكون ايضا من جملة من اجلوك حتى اذلوك ولا احب ان اكون هنالك وورد كتابك ووقفت منه على حديث خفى وما قدمته فى تفصيله من النكاية حتى الجأت فيه الى الشكاية فالحين

يشنف القلوب بترتيبه * ولا تفقه فى بديعه وغريبه * فمن موائد الوداعى التى تطفل الشيخ
جمال الدين بن نباتة عليها قوله من قصيد

انخنت عينها الجراح ولا اثـم عليها لانها نعساء
زاد فى عشقها جنونى فقالوا * ما بمن ذا فقلت بى سوداء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال من مطلع قصيد

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتنى الجنون بالسوداء

والشيخ جمال الدين بن نباتة أدرك الوداعى وهو فى عنفوان شبابه * ولمعان سيوف آدابه
وقد تقدم مولد الوداعى ووفاته ومولد الشيخ جمال الدين سنة ست وثمانين وستمائة وتوفى سنة
ثمان وستين وسبعمائة فمدة حياته اثنان وثمانون سنة وعلى هذا كان سن الشيخ جمال الدين
ابن نباتة عند وفاة الوداعى ثلاثين سنة والله اعلم ومما نعطف به على ما تقدم قول الوداعى

اذا رأيت عارضا مسلسلا * فى وجنة كجنة يا عاذلى
فاعلم يقينا اننى من امة * تقاد للجنة بالسلاسل

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وزنا وقافية وقال

افدى الذى ساق اليها مهجتى * فرع طويل تحت حسن طائل
قلبى بصدغيها الى طلعتها * يقاد للجنة بالسلاسل

ومن ذلك قول الشيخ علاء الدين الوداعى

لقد سمح الزمان لنا بيوم * غدا فيه السمى مع السمى
تجمعنا كانا ضرب خيط * على فى على فى على

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا وزنا وقافية وقال

علوت اسما ومقدارا ومعنى * فيالله من حسن جلى
كأنكم الثلاثة ضرب خيط * على فى على فى على

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

من آخذ من خده * بدم الشهيد المغرم
فالريح ريح المسك منه * ولونه لون الدم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

لا ينكر الكاسر من جفنه * دم الشهيد الصابر المغرم
فالريح ريح المسك من خده * كما ترى واللون لون الدم

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

يفتك بالفاتر من طرفه * وريقه البارد يا حار

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

لو ذقت برد رضاب من مقبله * يا حار ملت اعضائى التى غلت

مع ان الشيخ جمال الدين قصر عن الفاتر وقال الشيخ علاء الدين الوداعى

قيل ان شئت أن تكون غنيا * فتزوج وكن من المحصنينا

ولا لذلك الدين والموت ولا
هذا الصوت فقد وهبت
ذلك واضعافه لقلبك
وان شئت رفعته لكلبك
(وله ايضا)
افارق الشيخ مفارقة
العبد ثم اعلل نفسى
بالمواعيد فاذا سهل الله
العسير وقرب البعيد
وأعاد لى العيد كانت
المتعة خطفة البارق
والسهم الخارق ووقفة
السارق والخيال الطارق
والفتة الآبق والجواد
السابق
لا استتم عناقه للقائه
حتى اروم عناقه لوداعه
ولو شاء الله جعلنى ظله
ولو جعلنى ظله لربطنى معه
وعنده خدت عليه جلده
ولكنت المنهوم الذى
لا يشبع والحريص الذى
لا يقنع
والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنع

قلت ما يقطع الا بحر * لم يضع بين اظهر المسلمينا

أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال

قال لي خلي تزوج تسترح * من اذى الفقر وتستغني يقينا

قلت دع نصحك واعلم انني * لم اضع بين ظهور المسلمينا

قلت ان قافية محسنين أصدق من يقين ابن نباتة في مقطوعه قال الشيخ علاء الدين الوداعي مضمنا

ياعاذلي في النكاريش اطرح عذلي * واعذر فعذري فيهم واضح حسن

فالمرد ان حاولوا حربي بهجرهم * اذا القام بنصرى معشر خشن

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

لو آذتني عذالي بحربهم * اذ في النكاريش قد أصبحت هيمانا

اذا لقام بنصري معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

عذب مقبله وحلو لحظه * اوما تراه بالنعاس معسلا

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

معسل بنعاس في لواحظه * أما تراها الى كل القلوب حلت

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من القصيدة المذكورة

الحاظه وهي السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة اطولا

أخذه الشيخ جمال الدين مع القافية وقال من قصيد

بليت به ساجي اللحاظ كليلها * ومازال تعذيب الكليلة أطولا

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

والنهر كالمبرد يجلو الصدا * ببرده عن قلب ظمآنه

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

والنهر فيه كمبرد * فلاجل ذا يجلو الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده عن نكتة ببرده في بيت الوداعي فان الشيخ جمال الدين حط مكانها في بيته فلاجل ذا ولشتان قال الشيخ علاء الدين الوداعي في مطلع قصيد

ما كنت اول مغرم محروم * من باخل بادي النفار كريم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

مجمل يشبه ريم الفلا * باطول شجوى من بخيل كريم

قال الشيخ علاء الدين الوداعي في مليح أعمى

بروحي غزال راح في الحسن جنة * تعشقته اعمى فهمت من الوجد

اذاما تبدى قائدا بيمينه * تيقنت حقا انه جنة الخلد

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة بالقافية وقال

افديه اعمى مغمد اللحظ * ليرتعي في خده الوردي

هذا والرحيل شداوان رغم انف ابي الدردا وقرت عيون الاعدا وعلا نفس الصعدا وانطوى القلب على الدا ويا ويح نفسي من غد ان رأي ان ينفذ الى تذكرة باهره ونهيه وجريدة بعوارضه وحاجاته فعل وقد كان الشيخ كتب خطا عن فلان بصدر من الحنطة الى بعض وكلائه وانتظرت به حركة سعر فرجع القهقرى وتحرك الى ورا وقد جليت ابا فلان في معناه ما ينم بالاصغاء اليه ويأتي قضية كرمه فيه ثم أبو فلان ثمرة الغراب وفرحة الاياب وتوصله بخصاله آكد مما معه من كتاب وللشيخ الرأي الموفق فيما يأتي ويذر

تمكنت عيناى من وجهه * فقلت هذى جنة الخلد

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

بخلت على بدر مبسمها * فغدت مطوقة بما بخلت

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

هذا المعنى استحقيته على الشيخ علاء الدين الوداعى والشيخ جمال الدين بن نباتة فانى زدت الاقتباس من الحديث تورية بقولى

ناحت مطوقة الرياض وقد جرى * دمعى الملوّن بعد فرقة حبه

لكن بتساوين الدموع تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد يصف مليحا من المغل

ومايرى هوى المشتا * ق الا ذلك المغلى

قال الشيخ جمال الدين من قصيد

من المغل اشكو نحره ألم الجوى * وطب الهوى عندى كما قيل بالمغلى

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

يانديمى والذى عاهدنى * أنه عن شربها لن يقصرا

اسقنى صرفا ودع عذالنا * يضربون الماحى يخصرا

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهمّ حتا

ودع العذال فيها * يضربون الماحى

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من مطلع قصيد

باللوى صعدة عليها الواه * كل طعنات نصلها نجلاء

وقال بعد المطلع

لاتحل عندها سماع الشكوى * فلهذا قالوا لها صماء

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة فى مطلع قصيد

وعدت بطيف خيالها أسماء * ان كان تمكن مقلتى اغفاء

وقال بعد المطلع

يامن يطيل من الجوى لقوامها * شكواه وهى الصعدة الصماء

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

ياربوة أطرب تقى * وحسنت لى هتكى

اذ لست أبرح فيها * مابين دف وجنك

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

بالجنك من مغنى دمشق حمائم * فى دف اشجار تشوف بلطفها

فاذا أتاراها الشجى بكأسه * غنت عليه بجنكها وبدفها

(وله ايضا الى محمد بن ظهير رئيس بلخ وعميدها)
كتابى والشيخ الرئيس رحمه الله فى الرياسة مخول وله فى الفضل آخر واول ومايعلو له طرف من شرف تناله يدا الحر ولقد جعله عرضة بانع الاء وطيب الثناء وصالح الدعاء
أية أحلام ضمه
واهلا باحلامها
هن الاروم ومنها ذلك الثمر
هن العروق عليها تنبت الشجر
السيف ادام الله عز الشيخ الرئيس خامل حتى يجد حامل وكنت كمثل النصل فارق غمده
فاحدثت الايام فى حده وهنا
فصادفه الشيخ الرئيس معطلا
بأيدى رجال لايرون لموزنا
فجاذبنى سنا وأحدث لى سنا
وجدد لى جفنا وحلى لى الجفنا
ولدت الابيات لى ولكنى اصبتها فاستطبتها والبز

وتطفل أيضا الشيخ صلاح الدين الصفدى على الوداعى فى جنكه ودفه فقال

انهض الى الربوة مستمتعا * تجد من اللذات ما يكفى

فالطير قد غنى على عوده * فى الروض بين الجنك والدف

وتطفل على الوداعى أيضا الشيخ زين الدين بن الوردى وتزاحم هو والصفدى على العود

دمشق قل ما شئت فى وصفها * واحك عن الربوة ما تحكى

فالطير قد غنى على عوده * فى الروض بين الدف والجنك

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد يصف نار شوقه لمحبوبه مع كتمان سره

فى حشاه للشوق نار تلظى * وبفيه حفظا للسر له ماء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة بالقافية وقال من قصيد ولكن زاده حسنا

فيا عجبا منى لانسان مقلتى * يحدث أخبارى وفى فمه ماء

ومن لطائف الوداعى ونكته فى العود الذى اخذه منه الشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ زين الدين بن الوردى واستعملاه بلا وتار قوله

والروض يهدى مع نسيم الصبا * نشر خزاماه وريحانه

ورواسل القمرى ورقاه * شدوا على أوتار عيدانه

ويعجبنى من هذه القصيدة قوله مشيرا الى رأس العين يعاتب

يا حادى الاظعان ان شارفت * من بعلبك سفح لبنانه

فاقر أتحياتى على نازل * فى محجر العين كانسانه

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

يا جيرة بالغوير قد نزلوا * الله من جيرة ونزال

ماعطل الطرف بعد فرقتكم * من دمعه وا كشفوا عن الحال (ى)

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

حلوا بعقد الحسن اجيادهم * وحاولوا صبرى حتى استحال

فاه من عاطل صبر مضى * والحمد لله على كل حال

قال الشيخ علاء الدين الوداعى واجاد الى الغاية

قالت الورق اذ شدا * فشجاها وشوقا

ما رأينا مقرطقا * قبل هذا مطوقا

ومثله فى تورية المطوق

يا جنة كوثرها * رضا به المروق

وفوق غصن قده * عذاره مطوق

ومثله قوله

فديت من مبسمه * زهر لغصن قده

وصدغه

الدين والعزلين عز
وما أنلعونا طائعين فتاتهم
ولكن خطبناها بارماحنا
قهرا
ولى صاحب لما أتانى جوابه
نثرت على عنوانه قبلى نثرا
سرقت له شعرا ولو وصلت
يدى
سرقت له الشعرى ولم اسرق
الشعرا
اعوذ بالله من الحور بعد
الكور واستقيل الله
عثرات الكرام كنت
نويت ان لا اقول الشعر
فابت الغلة الا الدبيب وأجدنى
قد اكتهلت والكهل قبيح
به الجهل ولاحت الشعرات
البيض وجعلت تفرخ
وتبيض وآن لعازب ان
يؤب وانما اختارت الحكماء
الزاويه والاماكن الخاليه
لانهم وجدوا العافيه تجيء
الآتيه وما أهنأ هذه
العافيه اولم أحرم الخدمة
العاليه ورقات تدرس
وشجرات تغرس وشويهات

وصدغه مطوق * فى روضة من خده

النكتة فى المطوق من اختراعات الوداعى وتطفل عليها الشيخ جمال الدين بن نباتة حتى فى تسمية كتابه ومن نظمه فيها قوله

طوق جود الوزير جيدى * فلست عن مدحه اعوق
اسجع بالمدح فى علاه * لاغروأن يسجع المطوق

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

لى من الطرف كاتب يكتب الشو * ق اليه اذا الفؤاد أمله
سلسل الدمع فى صحيفة خدى * هل رأيتم مسلسلات ابن مقله

هذا المعنى قلبه ابن نباتة بعد الوداعى كثيرا وسبكه فى قوالب كثيرة واظنه اخذه وزنا وقافية بقوله

قلت للكاتب الذى ماأراه * قط الا ونقط الدمع شكله
ان خط الدموع فى الخد خطا * مايسمى فقال خط ابن مقله

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

قلبى مطيع فى هواك وانتلى * من بين دوح الحسن غصن خلاف

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال فى مطلع قصيد

قاسى الجوانح لين الاعطاف * أهواه فى الحالين غصن خلاف

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

كيف أقوى لحل سخط وبعد * بعدما كان من رضا وتدانى
فتكرم بعطفة والتفات * مثل مافى الاغصان والغزلان

اخذه الشيخ جمال الدين فقال من قصيد

غزال رمل ولكن غير ملتفت * وغصن بان ولكن غير منعطف

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعى ونكته الغريبة قوله

قال لى العاذل المفند فيها * يوم وافت فسلمت مختاله
قم بنا ندعى النبوة فى العشـ * ـق فقد سلمت علينا الغزاله

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

ياغزالا أهدى السلام الى المغـ * ـرم لاتنكرت حالاديه
كيف لايدعى النبوة فى العشـ * ـق وقد سلم الغزال عليه

واخذه الشيخ صفى الدين الحلى فقال فى ثلاثة ابيات تركيبها ضعيف

تنبأ فيك قلبى واستراب * قلوب صدهم عنه ضلال
وردهم الهوى أن يؤمنوا بى * وقالوا ان معجزه محال
فقد سلمت البرايا * الى وقيل كلمه الغزال

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعى ايضا ونكته الغريبة قوله على لسان صديق اسمه عمر وقد هام بمليح فى احدى اذنيه لؤلؤة

تصرص والسن الراتب والعرا لملبط وعريش كمريش موسى والشأن أقرب من ذلك

لعمرى لئن قيدت نفسى لطالما سعيت وأوضعت المطية بالحبل
ثلاثين عاما ما أرى من عماية اذا برقت الا أشد لها رحلى

لجزى الله الشيبة خيرا انها لاناه ولاردالشيبة انها لهناه وبئس الداء الصبا وليس دواؤه الا انقضاؤه وبئس المثل النار ولا الغبار ونعم الرائضان الليل والنهار واظن الشباب والشيب لو مثلا لكان الاول كلبا عقورا والآخر شيخا وقورا ولاشتعل الاول نارا واتقمر الآخر نورا والحمد لله الذى بيض القار وسماه الوقار وعسى الله ان يغسل الفؤاد كما غسل السواد ان السعيد من شابت جلته والشقى من خضبت لحيته وكفى الله الشيخ

كم قالت لما صر بي * بقرطق يحكي القمر
هـذا ابو لؤلؤة * منه خذوا ثار عمر

ومن لطائفه أيضا في مليح اسمه سعد

اذا ما كان قتلي يا حياتي * مرادك من يرتك او بصد
ففوق سهم طرفك نحو قلبي * فداك أبي وامي وارم سعد

ومن لطائفه أيضا في مليح بدوي

اقبل من حيه وحيا * فاشرقت سائر النواحي
فقلت يا وجه من بني من * فقال لي من بني صباح

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

تعجبوا لما غدت أدمعي * بيضا وراحت كالدم القاني
لا تعجبوا طرفي رب الهوى * فكل يوم هو في شان

ومن نكته البديعة الغريبة ايضا قوله

وليلة خلت مجلسنا سماء * وصحبي كالثريا في اجتماع
فبات الطرف يرعى البدر منهم * الى ان حل منزلة الذراع

ومن نكته البديعة الغريبة ايضا قوله من دوبيت

يا غصن نقا يتيه بالازهار * يا ألطف من نسيمة الاسحار
ريحان عذارك الذي تيمني * من ولده من قلم الاشعار

ومن لطائفه قوله من دوبيت ايضا .

لما حجب السكرى عن الآماق * وانقاد مع العدى على العشاق
ناديت وقد تزايدت اشواقي * يا غصن رضيت منك بالاوراق

ومن لطائفه الغريبة قوله فيمن يبيع السكر بالدين

ارى من الواجب ان يصرف العطار بالصد وبالزجر
فأي تصريف وذوق لمن * يدين السكر بالصبر

ومن نكته الغريبة ايضا من مديح قصيدة

يا طالبا للكيمياء ولم * يحصل على عين ولا أثر
زر لاثما عتبات ساحته * تظفر اذا بمكرم الحجر

وهـذا المعنى تطفل عليه الشيخ جمال الدين بن نباتة وكثير من الناس بعد الوداعي ومن لطائفه قوله

يا عز والله العزيز الذي * قضى على نفسي باذلالها
ما خطرت من نحوكم نسمة * الا تعرضت لتسآلها
ولا سرت منا الى ارضكم * الا تمسكت باذيالها

ومن لطائف مجونه قوله

لنا شاعر قد هذب الطبع شعره * واصبح عاصيه على فيه طبعا

المرئيس كل محذور لقد كفاني كل مكروه ووفقني لشكره وخدمته آمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين اللهم غفرانك لنا اجمعين فان أبا جعفر العلوي اخذ علي العهد الثقيل والميثاق الغليظ أن الأكتب الا أجمعين فقلت وما أنكرت من الطاهرين فقال لا كون من جملة القوم فقد اخرجتني من زمرة الحمد بهذا الحد والسلام

(وله اليه أيضا)

والله أطال الله بقاء الشيخ الرئيس ما سكنت هراة اضطرارا ولا فارقت غيرها قرارا وانما اخترتها قطنا ودارا واخترته سكنا وجارا لتكون ارفق لي من سواها ولازداد به عزا وجاها فان كان قد ثقل مقامي فالدنيا امامي وان كان قد طال ثوائي فالانصراف ورائي لست والله ذباب الخوان ولا وتد الهوان

اذا خمس الناس القصيد حسنه * يحق لشعرقاله ان يسبعا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله مع حسن التضمين

وشادن مثل الضحى وجهه * كتمت عشقى فيه خوف الرقيب
حتى بدا ليل عذاره * فبحت والليل نهار الاديب

ومن لطائفه التى تقدم بها قوله

كلما رمت فك انكارحبى * من عذول يزيد فى تعنيفى
عرفته لام العذار غرامى * بك واللام آلة التعريف

ومن نكته التى هى نوع من السحر قوله فى مطلع قصيد

اعيذ ريم الترك بالروم * والصدغ مع فيه بحم

ومما حلى ما قال به معمولم يخرج من مطابقة التورية

وخده المشرق قد صح فى * عذاره المعوج تقويمى

ومن نكته البديعة الغريبة المطاربة قوله

واغن ساجى الطرف ذى هيف * والواو فى واغن للقسم
قالت خلاخله أيمسكنى * نطق وماء الساق ملء فمى

ومن نكته البديعة الغريبة قوله من قصيد

وكان ريق النحل ريقتها * فيها الشفا لمهجة نحلت

ومن لطائفه قوله

ويوم لنا بالنيرين رقيقة * حواشيه خال من رقيب يشينه
وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة * فردت علينا بالرؤس غصونه

ومن لطائفه أيضا قوله

وذى دلال اهيف احور * أصبح فى عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقى قلت فى وسطى

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

ر ق بمصر وبسكانها * شوقى وجدد عهدى الخالى
وار ولنا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال

ومن اختراعاته البديعة الغريبة قوله

سقيا لكرم مدامة * انشت لنا النشوات ليلا
خلعت علينا سكرة * بدوية سكما وذيلا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

رمتنى سود عينيه * فاصمتنى ولم تخطى
وما فى ذاك من بدع * سهام الليل لا تخطى

اخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال

واغيد كل شئ فيه يعجبنى * كانما هو مخلوق على شرطى

والشام لى شام مادام بكرمى هشلم وهراة لى دار ماعرف فيها مقدار وقرى الضيف غير السوط والسيف مرض ابو العيناء مرض وفاته فقال له بعض عواده يا ابا العيناء قل لا اله الا الله فقال انا الله وحد يا والله صار ابو سفيان بعد ما امان من لجأ الى داره ولا بجداره يؤخذ بجرم جاره ويصلى بجمرناره شد والله ما انتكس العر وانقلب الامر هذا الخليفة يزعم انى طعام فلا والله

اجفانه السود ما تخطى اذا رشقت * سهامها وسهام الليل لا تخطى

ويعجبني من نكته الغريبة قوله من قصيد

اهل نجد هل تجدون محبا * صاده بالغوير ظبي ملول
كم دماء مطلولة في هواه * وبها روض خده مطلول
وحديث عن السقام صحيح * قد رواه عن طرفه مكحول

وقال وقد عينه الوزير لرحبة مالك بن طوق

حاشاك ان تختار لي رحبة * لست اليها الدهر بالسالك
لانها نار تلظى أما * ترونها تعزى الى مالك

ومن نكته التي ما حام فكر غيره عليها قوله

وفي اسانيد الاراك حافظ * للهدير وى صبره عن علقمه
وكلما ناحت به حمامة * روى حديث دمعه عن عكرمه

التورية في علقمة وفي عكرمة ايضا فانه اسم للحمامة ومثله في الغرابة ايضا قوله وقد توجه من دمشق الى البلقا لزيارة صاحب له يلقب بالشمس فلما وصل الى البلقا وجده قد توجه الى حسبان فكتب اليه

اتيت الى البلقاء ابغي لقاء كم * فلم اركم فازداد شوقي واشجاني
فقال لي الاقوام من أنت قاصد * لرؤيا ه قلت الشمس قالوا بحسبان

انتهى ما اوردته من ترجمة الشيخ علاء الدين الوداعي ومن غرائب نكته البديعة في باب التورية وأبدت سمو رتبته بتطفل مثل الشيخ جمال الدين بن نباتة على موائد بدائعه وغرائبه ولكن أقول ان الجزاء من جنس العمل كما اغار الشيخ جمال الدين على الوداعي ودخل الى بيوته وابتذل جلاب بنات فكره قيض الله له الشيخ صلاح الدين الصفدي فان الشيخ جمال الدين رحمه الله كان يخترع المعنى الذي لم يسبق اليه ويسكنه بيتا من ابياته العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي بلفظه ولم يغير فيه غير البحر وربما عام به في بحر طويل يفتقر فيه الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يصبر الشيخ جمال الدين على ذلك وصنف كتابا ألفه من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين الصفدي وسماه خبز الشعير يعني انه ما كول مذموم واستهل خطبته بقوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا ورتب كتابه المذكور على قوله (قلت انا فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال) وكنت اوردت من خبز الشعير نبذة في اوائل هذا الكتاب ولكن لم يرض باب التورية الا بايرادها هنا كاملا لانه حق من حقوقها فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

ومواسم بجناح * يعتدها وشباك
قالت لي العين ماذا * يصيد قلت كراك

(ى)

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اغار على سرح الكرى عندما رمى الشـكرا كي غزال للبدو ربما كي

فقلت

ان لحمي لحرام وفيه عروق عظام ولو كنت طعاما لكنت الاكلة التي تمنع الاكلات ولو كنت البة ما كنت الا في الفلاة ومن شمني في خلف بجزاؤه مائة الف واذا انتهت الدعوة الى فقد عزل عزرائيل ولم يبق من ولايته الا القليل وانما يصلح لحمي للقديد ولا يحسن فوق الثريد وانه ليأبى من المضغ وينشب في الحلق ويقلق في البطن ولا يخرج من المعى الامع الامعا وكانوا لا يصيدون

فقلت ارجعي ياعين عن ورد حسنه * الم تنظريه كيف صاد كراك (ى)

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

اسعد بها القرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صيرت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

قلت له والطير من فوقه * يصرعه بالبندق الصائب
سكنت قلبي فحركته * فقال لم اخرج عن الواجب

وقال الشيخ جمال الدين قلت

ويهجني رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

أخذه الشيخ الصلاح الصفدي وقال

واهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا فدب عليه

قال الشيخ جمال الدين قلت

ياغادرا بي ولم اغدر بصحبته * وكان مني مكان السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسي اخال جفا * بجاه ما خلته نقشا على حجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

مازلت اشكو حين وفرق الضنى * قسمي واسلي الى البلوى وفر
حتى تأثر من شكاية لوعتي * لي قلبه فرأيت نقشا في حجر

واحسن ما وقع في هذا الباب للشيخ جمال الدين بن نباتة انه قال

بروحي عاطر الانفاس المى * ملي الحسن حالى الوجنتين
له خالان في دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

بروحي خده المحمر اضحت * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله سرق الشيخ صلاح الدين كما يقال من الحبتين حبة قال الشيخ جمال الدين قلت

ياعاذلي شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتي ألذ وازين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتي هي احسن

فأخذه الشيخ صلاح الدين مع البصر بل اخذ الكل مع القافية وقال

بأبي فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلي من وجهها * لما تبدى بالتي هي احسن

وهذان البيتان تقدم القول انهما ينصهما القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ولكن

ابن آوى وان كانوا اشم اوى ومن حلف ان لا يأكل مضيرة فأكل زبد كلب ولبن قرد لم يحنث ويساوي ان تركه الشيخ الرئيس بقول فمن اخذ اذا لم يؤخذ اكرة المحتشمين بجرم محتشم يؤخذ اكاره اذا جنى جانيه وخرج عليه اذا لم ينبههم بشعر السعل ويصلبهم على جذوع النخل واسأل الله خاتمة خير وعاجل وفاة ان بطن الارض اوسع من ظهرها وارفق بأهلها ولا عليه ان لا ينتهي الى ناء ما

رأيت العزاوصلى نسبهما فى تذكرته للصلاح الصفدى من جملة خبز الشعير والله اعلم

قال الشيخ جمال الدين قلت

فديتك ايها الرامى بقوس * وطرف ناظر فى جسدى عليه
لقوسك هو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

تشرط من احب فذبت وجدا * فقال وقد رأى جزعى عليه
عقيق دمى جرى فأصاب خدى * وشبه الشئ منجذب اليه

قلت اظن ان الشيخ صلاح الدين لما سمع قول الشيخ جمال الدين وتعلم هذين البيتين ما كان فى حيز الاعتدال واين انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد وايته تلذذ بالانجذاب بل قال عقيق دمى جرى فأصاب خدى قال الشيخ جمال الدين قلت انا

يا مشتكى الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا اصبحت فى كدر * فانما انت من ماء ومن طين

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
اليس المرء من ماء ومن طين * واى صفا لهاتيك الجبله

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

احاول صبرا عن هوى قد كتمته * فلا اجد الصبر المحاول يعذب
والقى به ثوب المشيب مطبعا * فاغسله بالدمع والطبع اغلب

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

يقول الفكر لى دنست ثوب الشباب وفى غداة الشيب تتعب
وتغسله بدمعك كل وقت * وما ينقى لان الطبع اغلب

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى رحمة واسعة قلت

اسفت لشاشى الذى قد مضى * وفاز به سارق حاشه
ووالله ما بى مما جرى * سوى قولهم صفعوا شاشه

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

قد سرق الشاش بليل وما * قدره الله فما يندفع
الحمد لله الذى لم يكن * شاشى على رأسى لما صفع

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

اشكو الى الله ما اكابد من * دمامل مسنى بها الضر
فالليل عندى من حالها سنة * فلا الليل ولا لها فجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اشكو الى الله من امور * تمر عيشى لما تمر
ودمل مع دوام ليل * ما لهما ما حييت فجر

اسكن من يقظان وجائعا
اخبث من شبعان والذنب
لا يساد عدوا والصواب
فى الوقوف والطاس اذا
نقر فعلته بالصوت

(وله اليه أيضا)

كتابى واطل الاخبار قد
وردت تلك الديار وكيف
شكرت النعمة واديت
فرضها وان عشت لتبلغن
الراعى ولو على ماء مدين
والذاهب ولو بعدن ابين
فشكر الغارس تثمير غرسه
ومن شكر فانما يشكر لنفسه
ولما حضر فى رؤساء نيسابور

وتظم الشيخ جمال الدين هذا المعنى ايضا في ابيات معناها الوعظ يعجبني الى الغاية وهي

لا تخش من هم كغيم عارض * فلسوف يسفر عن اضاءة بدره
ان تمس عن عباس حالك راويا * فكأنني بك راويا عن بشره
ولقد عثرت الحادثات على الفتى * وتزول حتى ما تمر بفكره
ولرب ليل في الهموم كدمل * صابرته حتى ظفرت بفجره

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

بروحي فاتر الاجفان ساج * كأن الحسن لفظ وهو معنى
تفرد وهو فتان التثني * فيا لله من فرد تثنى

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

واهيف حاز قدا * قد حار فيه المعنى
تراه في الحسن فردا * لكنه يتثنى

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

بروحي جيرة ابقوا دموعي * وقد رحلوا بقلبي واصطباري
كأنا للمجاورة اقتسمنا * فقلبي جارهم والدمع جاري

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

اسكنت شخصك طرفي * حتى اواري اواري
فحين جاورت دمعي * جعلت جارك جاري

وقد تقدم ان بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي اول من سبق الى هذه النكتة قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

سألت النقا والغصن يحكي لناظري * روادف او اعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما انا حاملها * وقال قضيب البان ما انا قدها

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

يقول ردف حبيبي * وعطفه المتثني
ما انت يا غصن قدي * ولا كثيبك وزني

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

لك يا ازرق اللواحظ مرأى * قمري اضحى على الخلق يزهى
يا لها من سوالف وخدود * ليس تحت الزرقاء احسن منها

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

البسوه عمامة للنصارى * قد روى اللازورد في الحسن عنها
وجلا طلعة كبدر تمام * ليس تحت الزرقاء احسن منها

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

يا هجر يا دمعي وموقف لوعتي * من جسمي المضنى على الاطلال
يا من اذا سألوه عن بدر الدجى * والمسك قال اخي الشقيق وخالي

ولم اشكر ذلك الاحسان
باوقع من بيت حسان
اذا ما الاشربات ذكرن يوما
فهن لطيب الراح الفداء
فمنهم من سره فصاح ومنهم
من ساءه فشاح وما انسى
لا انسى ارتياح الامام ابي
الطيب وقوله احسنت
وانفاس قوم آخرين جعل
الله نفوسهم فداء ذلك
النفس
بجبهة العير يفدى حافر الفرس
لاجرم اني نظرت الى الولي
وعطفت على العدو
فانشدتهما
مدحت الامير واباه

اخذه الشيخ صلاح الدين وقال

قدمت حبيبا ضرج الحسن خده * فصب على خديه ذوب عقيق

اذا عاين الروض المدبج خده * يقول لنا هذا اخى وشقيق

قلت الشيخ صلاح الدين ماشم لمسك الخال رائحة والله اعلم وقال الشيخ جمال الدين قلت انا

هيهات بين ذوى الاسى لا يستوى * دمعى ودمعك ايها المتواجد

فحديث دمعى عن تلهب اضلعى * ذاكى اللظى وحديث دمعك بارد

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

شكوت ثقلان بعد قسوة * ورحت ابكى وهو لى يساعد

وقال ها نحن سواء فى البكا * لا يا حبيبى ما بكانا واحد

لا يستوى دمع يكى جمر الغضى * اذا جرى ودمع عين بارد

قال الشيخ جمال الدين بن نباته قلت انا

هنئتم آل الشهيد بنجمكم * وبوجه مولودا لكم ما ازهره

من قبل ما عملت اليه عقيقة * عملت له المدح الجوارى جوهره

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

ابا اندى الورى كفا ووجها * واقومهم الى العليا طريقه

لقد جاءتك جوهرة المعانى * فلا تبخل عليها بالعقيقه

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

عذول لست اسمع منه عذلا * على هيفاء مثل البدر تما

له طرف ضرير عن سناها * ولى اذن عن الفحشاء صما

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وغير صيغة المثل بالحشو فقال

تعشقته مثل القضيب اذا انثنى * بوجه حكى البدر المنير اذا تما

وان كان عذالى عموا عن جماله * فلى اذن عن كل ما نقلوا صما

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

حربى من مهفهف القد رام * اسهم اللحظ ما اسد وارشق

كلما قلت يفتح الله بالوصل رمانى من سحر عينيه بغلق

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

سهام طرفك اصمت * قلبى ولم تترفق

ما يفتح الجفن الا * ورهن قلبى يغلق

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

تأملت فى الحمام تحت مآزر * روادف بيض ما سناها بغائب

كانى من هذى وها نيك ناظر * بياض العطايا فى سواد المطالب

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

فضاعت وجوه وسيئت وجوه

وهل يجحد الشمس الا العمى

وهل يعرف الفضل الا ذووه

انا اذا فكرت فيما عليه

الزمان من خطوبه مشغول

القلب فاذا وجدت الى

ما يحكيه من كفاية الشيخ

الرئيس قوى الظهر والله

يبقيه نما الاوجا والا تزيده

الا القاضى اباعاصم وما

احسن هذه الاحجية واملح

هذه الخفية واوفق لفظها

لمعناها ولا يذهبن ذاهب

الى التكنية فغيرها

قصدت بالتعمية وما هذا

تبدى حبيبى فى السواد فراقنى * وماراعنى لما التقى بالجانب
وشبهت ذاك الجيد فى طوق برده * بياض العطايا فى سواد المطالب

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

لقد كنت فى لذات ثغرك هائما * ليالى لم يمنع على عاشق ثغر
فأما وستر دونها من شوارب * فلا خير فى اللذات من دونها استر

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

الا فاسقنى من خمر ثلاثة ثمها * بفيك ولا تبخل وقل لى هى الخمر
وحط لثاما حجب اللثم عن فمى * فلا خير فى اللذات من دونها استر

قلت قد اوردت هنا ما جناه الشيخ صلاح الدين الصفدى من حدائق الروض النباتى ومقابلة الشيخ جمال الدين له على ما جناه فان نسبنى احد الى تحمل راجعته الى النقل* وان وافق وتعقل الرتبتين فقد اكتفى بشاهد العقل * والا فالاقسماء الصفدية بالنسبة الى القطر النباتى مجها الاذواق * وها انا قد ابرزت ثمرات الدوحتين بين هذه الاوراق * والشيخ صلاح الدين رحمه الله تصاغر لذلك وما كابر * ووقف على باب الشيخ وقوف فقير يسأل بر الاجازة * واطال وقوفه على ذلك الباب العالى الى ان حصل له الفتوح واجازه * وها انا اذكر سؤال هذا السائل الذى رد قبل العطاء ان يدفع بالتى هى احسن * واشرح كرم المسؤل الذى نثر على سائله الدر جزافا على ان عطاء الكريم لا يوزن * فسؤال الاجازة من الشيخ صلاح الدين قوله يخاطب الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمهما الله تعالى * الحمد لله على نعمائه المسؤل من احسان سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة رحلة اهل الادب * قبلة ذوى التحصين فى التحصيل والدأب * الذى تبيت شوارد المعانى صرعى تحوله للطافة تخيله * وغنى الالفاظ العذبة طوع تحوله فى التركيب وتحيله * فأمسى وله النسيب الذى يضحك من العباس فى رقته * ويقيم صريع الغوانى الى مقته بعد مقته * والغزل الذى يشيب له فؤد الوليد * ويسترق الحر من كلام عبيد * والتشبيه الذى لو علمه ابن المعتز لما نصب الهلال لحسد النجوم * ولو تعاطاه حفيد جرير قيل له الم تسمع الم غلبت الروم * والمديح الذى لو بلغ زهيرا لقال ما انا من هذه الحدائق * او اتصل نبؤه بالمتنبى لاشتغل عن ذكر العذيب وبارق * والرثاء الذى نقص عنده ابو تمام بعد ان رفع له لواء الشرف والفخر * وقال هذه عذوبة الزلال لا ما تفجر من الخنساء على صخر * والترسل الذى سقى الافاضل كأس الحتوف لما شبه الغمود بالكمائم والسيوف بالازهار * واذهل حتى صحت له القسمة فى الخيل والخيال بين المراقب والمراقد فأخطأت معه فى المرابع والمساجد بين الانواء والانوار * والكتابة التى تغدو الطروس بها وكأنها رياض محبرة * او سماء بالنجوم زاهرة * ان لم ترض ان تكون فى الارض رياضا مزهرة

ادب على الحصرى يعلو تاجه * وله ابن بسام يكى الوانا
وترسل سبحان من قد زاده * منه واعطى الفاضل النقصانا
وكتابة لعلوها فى وضعها * ليس ابن مقلة عنده انسانا
ذلكم اخى فضل رأت عيناه فى الاوراق لابن نباتة بستانا

التعريض وما هذا الهوش العريض وهلا شرحت فقلت المحبوب واسترحت وللشيخ الرئيس فى تشريفى بالجواب وتعريفى بسار الاخبار وتكليفى سوانح الاوطار وتصريفى على الامر والنهى رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

نهرى اطال الله بقاء الشيخ الرئيس لا يزيد البحر عددا ويجرى لا يزيد الطود وزنا وقد رأيت ان لا ازيده شغلا فلمرأن لا ينقصنى فضلا

جمال الدين ابى عبد الله محمد ابن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة جمع الله به شتات اهل الادب فى درجة هذه الدولة * ولم به شعث ابنائه الذين لا صون اهم ولا صولة * واقام به عماد ابيات الشعر التى لولاها ما عرفت دارمية من أطلال خولة * اجازة كاتب هذه الاحرف فسح الله له فى مدته برواية المصنفات فى الاحاديث النبوية * والتأليفات الادبية * على اختلاف اوضاعهما * وتباين اجناسهما وانواعهما * بحسب ما يؤدى ذلك اليه واتصل به من سماع او اجازة * او وصية او وجازة * من مشايخ العلم الذين اخذ عنهم واجازة ماله احسن الله اليه من مقول نظما ونثرا وتأليفا او وضعا اجازة خاصة واثبات ماله من التصانيف الى هذا التاريخ بخطه الكريم واجازة ما لعله يقع بعد ذلك اجازة عامة على احد القولين فى المسئلة فان الرياض لا ينقطع زهرها * والبحار لا ينفد درّها * واثبات ما يحسن ايراده فى هذه الاجازة من المقاطيع الرائقة * والابيات اللائقة * وذكر نسبه ومولده ومكانه متفضلا فى ذلك وكتب كتبه خليل بن ايبك بن عبد الله الايبكى بالقاهرة المحروسة فى مستهل شعبان المبارك سنة تسع وعشرين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

(وكتب الشيخ جمال الدين بن نباتة الجواب مجيبا لسؤال الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمهما الله تعالى) بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد حمد الله الذى اذا توجه اليه ذو السؤال فاز * واذا استدعى كرمه ذو الطلب اجاب واجاز * والصلاة والسلام على سيدنا محمد كعبة القصد التى ليس بينها وبين النجح حجاز * وعلى آله وصحبه سابقى الفضل والفضل من بعدهم مجاز * فلو لزم فى كل الاحوال تناسب المخاطبة * وكان جواب السؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبة * لما رضى سجع الحمائم لمطارحته نوعا من الاطيار * ولا قبل فصحاء الاول مراجعة الصدى من الديار * ولا قنع مخزحواجب الاحبة برد القلوب الهائمة فى اودية الافكار * ولكن تقول الاكابر والاولياء تبذل من الاجوبة جهدها وتنفق ما عندها * وتجرد الاماثل سيوف المنطق ولا تتعدى الاتباع من الطاعة حدها * ولما كنت ايها الراقم برود هذا الاستدعاء ببنانه * والمنشئ روض هذا السؤال بآثار السحب من بيانه * والسائل الذى بهرت الافكار فضائله * وسحرت ارباب العقول عقائله * واقام المسؤل مقاما ليس من اهله فليتق الله سائله * فريد فن الادب الذى لا يسارى * وبحره الذى لا يهدى غائص قلمه الدر الا كبارا * وذا اليد البيضاء فيه الذى طال ما آنس من جانب الذهن نارا * وخليله الذى اطلع على اسراره الدقيقة * ورئيسه الذى لو طارح ابن المعتز وقت ولايته لكان امير المؤمنين على الحقيقة * وناظمه الذى يسرى الطائيان تحت علمه المنشور * وكاتبه الذى تبجح العيدان بالدخول تحت رقه المأثور * طالما شافه منه القلم وجها جميلا وقدرا جليلا * ولاقى من لا يندم على صحبته فيقول ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا * فهو الغرس الذى يقصر عن امالى وصفه الشجرى * ويفخر الدين والعلم بشخصه ولفظه فهذا يقول غرسى وهذا يقول ثمرى * كم اغنى بمفرد شخصه عن فضلاء جيل * وكم بدا للسمع والبصر من بنات فكره بثينة ومن وجهه جميل * وكم تنزهت الافكار من لفظه بين آس وورد لا بين اذخر وجليل * وكم دام عهده ووده حتى كاد يبطل قول الاول دليلا على ان لا يدوم خليل * توذ الشهب لو كانت حصباء غدير

انا العام اصدق عبودية واتم فيها نسبة فان نقصى عطية ولم اركب خطية سوف ظنا وضقت ذرعا وما بى الغرامة ان على لها محلا ولكن الناس تطارة رأيه العامل فان صدق رغم الحساد وان تغير ظهر الفساد وكما لا ينقض شرطه طاعة كذلك لا تنقض طاعته شرطا وانا الى الزيادة احوج وهو بها اخلق فان لم تكن الزيادة فلتكن العادة

طرسه

طرحه * وتغار الافق اذا طرّز يراع درجه بالظلماء أردية شمسه * ويتحاسد النظم والنثر على ماتنتج مقدمات منطقه من النتائج * وينشد كل منهما اذا حاول القول (خليل الصفاهل أنت بالدار عائج) ان كتب اغضى ابن مقلة من الحسد على قذاه * وجعل ابن البواب طيّ عصا القلم فاتلا ماظلم من اشبه أباه * وان خطّ الصولياء عشرا * ولانت اعطاف الحروف قسرا * وتشاجرت على لفظه الامثلة فلا غرو أن ضرب زيد عمرا * يترجل كلام الفارسي بين يديه * ويطير لفظ ابن عصفور حذرا من البازي المطل عليه * وان شعر هامت الشعراء بذكره في كل واد * ونصبت بيوت نظمه على بقاع الشرف كما نصبت بيوت الاجواد * طالما بلدا ابيدا * وولى منه شعر ابن مقبل شريدا * وقالت الآداب لبحتري لفظه ألم نربك فينا وليدا * وان نثر فما الدرّ اليتيم الاتحت حجره * ولا الزهر النضير الاما ارتضع من أخلاف قطره * ولا المترسلون الامن تصرف في ولاية البلاغة تحت نهيه وأمره * وان تكلم على فنون الادب روى الظماء * وجلا معاني الالفاظ كالدمى * وقالت الاعاريض لابن أحدوله (خليلي هبا بارك الله فيكما) هذا وكم أثنى قديم علم الاوائل على فكره الحكيم * وشهدت رواية الحديث النبوي بفضله وما أعلى من شهد بفضله الحديث والقديم * بدأتني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني * وكاد من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني * وحملت كاهلي من المنن مالم يستطع * وضربت لذكري في الآفاق نوبة خليلية لا تنقطع * وسألتني مع ماعندك من المحاسن التي لها طرب من نفسها * وثمر من غرسها * أن أجيبك وأجيزك * وأوازن بمثقال كلمي الحديد ابريزك * وأقابل لسنك المطلق بلساني المحصور * واثبت استدعاءك على بيت مال نطاق المكسور * فصيرت بين أمرين أمرّين * ووقع ذهني السقيم بين داءين مضرين * ان فعلت ما أمرت به فما أنا من أرباب هذا القدر العالي * والصدر الحالي * ومن أنا من ابناء مصر حتى أتقدم لهذا الملك العزيز * وكيف أطاب مع اقتار على بأن أمدح وأجيز * وأنى لمقيد خطوى هذه الوثبات * وأنى يماثل قوة هذا الغرس ضعف هذا النبات * وان منعت فقد اسأت الادب والمطلوب حسن الادب مني * واهملت الطاعة التي اقرع بعدها برح القلم سني * وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض الافق وقال قطني * ثم ترجح عندي ان اجيب السؤال * واقابل بالامتثال * صابرا على تهكم سائلي * معظما قدري كما قيل بعاقلي * منقادا الى جنة استدعائك من السطور بسلاسلي * واجزت لك ان تروي عني ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور * ومنظوم ومنثور * واجازة ومناولة ونقل وتصنيف * وتنضيد وتفويف * وماض ومتردد * وآت على رأى بعض الرواة ومتجدد * وجميع ماتضمنه استدعاؤك فاجمع ما يكون من الفظه المتبدد * كاتبا لك بذلك خطي * مشترطا عليك الشرط المعتبر فليكن قبولك يا عربي البيان جواب شرطي * ذاكرا من لمع خبري ما ابطأت بذكره وارجو ان ابطئ ولا اخطي * فأما مولدي فبمصر المحروسة في ربيع الاول سنة ست وثمانين وستمائة بمنزلنا بزقاق القناديل * واما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعا وحضورا فمن اقدمهم الشيخ شهاب الدين ابو الهيجاء غازي بن ابي الفضل بن عبد الوهاب المعروف بالرادف والشيخ عز الدين ابو نصر عبد العزيز بن ابي الفرج المصري البغدادي والشيخ شهاب الدين احمد بن ابي محمد اسحق

* (وله الى الوزير أبي نصر ابن أبي بريدة) * قد عرف الشيخ الجليل التامي بعبوديته ولو عرفت مكانا بعد العبودية لبلغته معه أفكلما بعدت صحبة رجعت رتبة وكلما طالت خدمة قصرت حشمة ولست ممن يذهب عليه ان السلطان ان يرفع عبدا حبشيا ويضع قرشيا ولكني أحب أن أقتص مكاني على رتبة اولها لا يغور ومنزلة كوكبها لا يدور فاذا عرفت مكاني

الابرقوهى * واما ذووا الاجازة فى مصر وغيرها من الامصار فكثير * واما الفضلاء والادباء الذين رويت عنهم ورأيتهم منهم فمنهم القاضى الفاضل محيى الدين ابو محمد عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الكاتب المصرى * والشيخ الامام بهاء الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن النحاس الحلبى النحوى * والامير الفاضل شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الصاحب شرف الدين بن اسمعيل بن المتنبى اقترح علىّ ان انظم له فى زيادة النيل فقلت

زادت اصابع نيلنا * وطمت فأكمدت الاعادى
واتت بكل جميلة * ماذى اصابع ذى ايادى

والشيخ العالم علم الدين قيس بن سلطان المصرى من اهل منية ابن خصيب قرأت عليه كثيرا من الكتب الادبية وكان كثيرا ما يستنشدنى الى ان انشدته قولى

يا غائبين تعللنا لغيبتهم * بطيب عيش ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس فى كفى لياليكم * فالكأس فى راحة والقلب فى تعب

فقال انعب والله جزعك القدح * والشيخ العالم شهاب الدين احمد بن محمد المعروف بابن المفسر انشدنى لنفسه

لا ارى لى فى حياتى راحة * ذهبت لذة عيشى بالكبر
بقى الموت لمثلى سترة * يا الهى انت اولى من ستر

فأنشدنى

بقلت وجنة المليح وقد ولى زمان الصبا الذى كنت املك
يا عذارا لحبيب دعنى فانى * لست فى ذا الزمان من خل بقلك

والشيخ الاديب الفاضل سراج الدين عمر الوراق المصرى سمعته ينشد لنفسه

واخجلتى وصحائفى مسودة * وصحائف الابرار فى اشراق
وتوقفى او بخ لى قائل * اكذا تكون صحائف الوراق

* والاديب الفاضل نصير الدين المناوى الحمامى انشدنى لنفسه

احب من الدنيا الىّ وما حوت * غزال تبدى لى بكأس رحيق
وقد شهدت لى سنة اللهو اننى * احب من الصهباء كل عتيق

فأنشدنى

انى اذا آنست هما طارقا * عجلت باللذات قطع طريقه
ودعوت ألفاظ المليح وكأسه * فنعمت بين حديثه وعتيقه

* وجماعة يطول ذكرهم ويعز علىّ ان لا يحضرنى الآن شعرهم * واما مصنفاتى التى هى كالياسمين لا تساوى جمعها * ولولا الخزائن الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية تجبرها ما استخرت نسبها ورفعها فهى كتاب مجمع الفرائد * القطر النباتى * سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون * منتخب الهدية من المدائح المؤيدية * الفاضل من انشاء الفاضل * زهر المنثور * ابرار الاخيار * شعار البيت * التقوى لم تكمل الى الآن * الارجوزة المسماة فرائد السلوك فى مصائد الملوك * اجزت لك اعزك الله رواية جميع ما دونته واجمعه بعد

ذلك

وخطه لم اتخطه واذا رأيت محلى وحده لم اتعده ثم ان قدمنى يوما عليها علمت ان عناية وان اخرنى عنها عرفت ان جناية قدم علىّ اليوم فلا انا ولست انكر سنه وفضله ولا اجديته وأصله ولكن لم تجر العادة بتقدمه لا فى الايام الخاليه ولا فى هذه الايام العاليه وشديد على الانسان ما لم يعود فان يكن حاسد قد هم او كاشح قدم او خطب قد الم او امر قد وقع ثم فالشيخ الجليل اولى من

ذلك حسبما اقترحه استدعاؤك وعنه * ونصحه وحققه * وتضمنه سؤالك الذى تصدقت به فنك السؤال ومنك الصدقة * والله تعالى يشكر عهدك الجميل * وكلما تك الجزلة وكرمك الجزيل * ويمتع بك فنون الفضائل المتجنة الى ظل قلمك الظليل * ولا يعدم الاحباب والآداب من اسمك ومميك خير صاحب وخليل * قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن الحسن بن أبى الحسن بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب بن يحيى بن عبد الرحيم بن نباتة الفارقى الحذاقى ثم المصرى عفا الله عنه انتهى ما أوردته من استدعاء الشيخ صلاح الدين وسؤاله وجواب الشيخ جمال الدين واجازته بعد ان علمت دقائق الدرجتين فى النظم والنثر واتضح الفرق بينهما وثبت أن الشيخ جمال الدين بن نباتة سقى الله نباته ورعاه * ومتع أهل الذوق السليم بحلاوة ذلك النبات وجناه * فانه وان تأخر فى السبق عن فحول المتقدمين عصرا * فقد تقدم عليهم ببديعه وغريبه بيانا وسحرا * وتفقه فى الطريق الفاضلية لمذاهب ما سلكها المتقدمون وها نحن نستجدى من حواصلها نظما ونثرا * وكم سأله عالم فى سلوك هذه الطريقة فقال له انك لن تستطيع معى صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * وان قيل ان الفاضل اجل من ان تذهب بهذا المذهب فذهبى وأنا استغفر الله انه وصل فيه الى درجة الاجتهاد وهذا القول يقول به من رفع الخلاف وتأدب فان هذه الطريقة ما امها ناظم ولا ناثر فى الايام الاموية * ولا ابتسمت لهم ثغورها فى الخلافة العباسية * ولما انتهت الغاية الى الفاضل اتى بهذه الفضلة الغريبة واظهر منها الزيادة المستفاده * واعتادت بلغاء المتأخرين بها بعد ما شردوا بسبقه فأكرم بها عادة وشهاده * ولما اتصلت بالشيخ جمال الدين بن نباتة اهل غربتها * وشرف بأصل شجرته النباتية نسبتها * واسكن فى ابياته من بديع النظم كل قرينة صالحة * وامست سواجع انشائها على فروعه النباتية صادحه * وقد عن لى ان اورد نبذة من مفرداته التى حصل الاجماع فى الغرابة عليها * واشار المصنف بقوله اليها

اصغ لما قال اخو وقته * وخل عنك اليوم ما قيلا
واسمع مقاطيعا له اطربت * ولا تقل الا مواصيلا

فمن ذلك قوله

حلت خاتم فيه فصا ازرقا * من كثرة اللثم الذى لم احصه
لولاه ما علم الرقيب فباله * من خاتم نقل الحديث بفصه

ومنه قوله

قد شال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
ورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى ان الخال لا يرث

ومنه قوله

واغيد جارت فى القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان اجفانه الوسنى
اجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين او ادنى

وقوله

بروحى مشروط على الخد اسمر * دنا وفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

تعرفه وعرفنيه والا فما الرأى الذى اوجب اصطناعى ثم ضياعى والسبب الذى اقتضى بعدا بقاعى انا لا ادعى الشيخ الجليل على هذه الحصلة ولا احمله على هذه الفعلة فاما ان تكون اخى بحق فأعرف منك غثى من سمينه والا فاطرحنى واتخذنى عدوا أتقيك وتتقينى لا اعدم كريما ولا تعدم نديما ولى مع هذا الملك حال لا واسطة بينهما اما

وقوله

واحر بامن هوى رشيق * معتدل كالقضيب مائل
عذاره لا يجيب دمعى * وسائل لا يجيب سائل

ومن نكته البديعة فى هذا الباب قوله

وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله
وسال عذار فوق خديه جائر * على مهجتى فليتق الله سائله

ومن السرقات الفاحشة قول ابن الوردى غفر الله له

تعجبت من نهديه لوان لامسا * أراد انقباضا لم تطعه أنامله
وسال عذار لو تحانفس صبه * بجاد بها فليتق الله سائله

ومنه قوله

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى قتاله

ومنه قوله

قبلته عند النوى فتمررت * تلك الحلاوة بالتفرق والجوى
ولثمته عند القدوم فجبذا * رطب الشفاه السكرى بلا نوى

وقوله

افديه لدن القوام منعطفا * يسل من مقلتيه سيفين
وهبت قلبى له فقال عسى * نومك أيضا فقات من عينى

ومنه قوله

يارب اص ناهب سالب * وهو من الحسن ملى غنى
يرنو الى سرب الظبى لحظه * فيسرق الكحل من الاعين

ومنه قوله

مبقل الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبى
عن أحمر المشروب ما تنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

ومنه قوله

كم قلت باللثم وبرد اللمى * ايه برغم العاذل الحاسد
روصدى قلبى ودع عاذلى * فى الحب يغتاظ على البارد

ومنه قوله

بروحى معسول اللمى متحجب * اذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا
وان ذقت منا من حلاوة ريقه * أتانا رقيب يتبع المن بالاذى

ومنه قوله

يا كعبة الحسن المنع لا تطل * بنى وبينك للجفا حجاز
حاشى لها من قامة ألفية * بثنى لقاها كاشح همار

صفوا فاشربه او كدرا فلا اقربه والسلام
(وله ايضا)
الكرم اطال الله بقاء القاضى الامام مجان بق ان يفطن له والفضل عدنان بنى من يهتدى اليه وليس دون المجد حجاب يدفع ولا مجاز يمنع ولا بواب يعبس ولا شرى يعبس ولكن عزمن يناله ومن شاء ان يعلم ان الناس علماء وان الكرماء ماء لكن الشقاء يمنعهم من قربه والقضاء يحجزهم

ومنه قوله

يا واصف الخيل بالكميت وبالنهد أرحني من طول وسواسي
لا نهد الا من صدر غانية * ولا كميت الا من الكاس

ومن هنا أخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس وقال

وان ذكرت الخيل في الميدان * فاشرب كميتا واعل فوق نهد

ومنه قوله

قلت ولي في هوى حبيبي * قلب رقيق عليه يدهش
بالجفن والصدغ يا عناقي * هذا سقيم وذا مشوش

ومنه قوله

نقطة خال في وجنة جعلا * في الهوى لي بعد نوبتي غبطه
فيا لها وجنة معشقة * صرت عليها أقول بالنقطه

ومنه قوله

اذا سألوني عن هوى قد كتمته * سكت أراعي واشيا ورقيبا
وجاوب عني سائل من مدامعي * فلله دمعي سائلا ومجيبا

ومن اختراعاته الغريبة مع بديع التضمين قوله

لما رأيت نهودها قد أقبلت * ورأت لقلبي عشقه يتجدد
قالت وقد رأت اصفراري من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

ومنه قوله

وتاجر قلت له اذ رنا * رفقا بقلب صبره خاسر
ومقلة تنهب طيب الكرى * منها على عينك يا تاجر

وهذه النكتة زاحمه فيها الشيخ زين الدين بن الوردي وزنا وقافية ومعنى وقال

وتاجر شاهدت عشاقه * والحرب فيما بينهم دائر
قال علام اقتتلوا هكذا * قلت على عينك يا تاجر

واتصلت بالشيخ شمس الدين الرئيس الدمشقي المصري الشهير بالمزين فاستعملها أحسن من الشيخ زين الدين بن الوردي وزاد المثل قوة وايضاحا بقوله

وتاجر أسكرني طرفه * والكاس فيما بيننا دائر
وقال لي سرك قلت اسقني * جهرا على عينك يا تاجر

ومنه قوله

أفني جفاكم كثير دمعي * لكن بقي في القليل نشطه
وكنت أروى عن ابن بحر * فصرت اروى عن ابن نقطه

ومنه قوله وتلطف كثيرا

خف خصر الحبيب ثم ابتلاني * بعذول يزيدني تعنيفا
ليت لو كان في الملامة مثلي * في هوى الخصر يؤثر التخفيفا

عن شربه فلينظر هل يحب أن يدعى كريما كما يحب ان يرى سقيما ثم ليفكر ما الذي يمنعه عن مثل ما أتاه القاضي الامام من المفاتحة بذلك الفضل والابتداء بذلك الفصل وياسبحان الله ما علمت ان هراه تستبق صرصر والصرات حتى انستني دجلة والفرات على ظهر الغيب تطير الريب وكيف بنا اذا دخلناها وحللناها فسقاها القمن بلد واهلها من عدد والقاضي ابا القاسم من بينهم وما نصعت الاعلى

ومنه قوله

وكنت اظن العشق يترك مهجتى * اذا زاحم الشيب الشباب بمفرقى
فلما بدا مع أسود الشعر ابيض * اتى العشق يغزونى على الف أبلق

ومنه قوله

يا حبذا خد الحبيب * وقد اضاء شريقه
ان لم يكن فى الحسن نفس * الروض فهو شقيقه

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

فديت حبيبا ضرج الحسن وجهه * وصب على خديه ذوب عقيق
اذا ابصر الروض المدبج خده * يقول انا هذا اخى وشقيقى

ومنه قوله

يا حبذا يومى بوادى جلق * وفرحتى مع الغزال الحالى
من اول الجبهة قد قبلته * مرتشفا لآخر الخلخال

ومنه قوله

آها لحاذق ذهن * يقول فى الحب من لى
قال العذار لحذق * ما انت من خل بقلى

ومنه قوله مع التضمين للمثل

فى الناس من يشتاق للمردولا * يزال فى هجر وشوق يحطنه
وآخر شاخوا وما يتركهم * ذا يشتهى التين وذا يقطنه

ومنه قوله

يا من يقول البدر او شمس الضحى * كهذى لاكيد للقمرين
ابوجه ذاك و وجه تلك تقيسه * قسما لقد اخطأت من وجهين

ومنه قوله

تسمو حسنا للهلال وعينه * للظبى تسب لا رميت ببينه
فاذا بدا فالى هلال اصله * واذا رنا فهو الغزال بعينه

ومثله ومن خطه نقلت

بدر نور يشرق حسنه * فى ناظرى ولهانه
فهو الغزالة والغزا * ل بعينه وعيانه

وضاقت عين الشيخ صلاح الدين الصفدى عن هذه النكتة فاخذها بعينها وقال

بسهم أجفانه رمانى * وذبت من صدمو بينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

ومنه قوله

دعونى فى حلى من العيش ما نسا * ومر تقبا من بعده عفو راحم
امد الى ذات الاساور مقلتى * واسأل للاجمال حسن الخواتم

*يتم وحبذا كتابه واصلا ورسوله حاملا فلقد اقرأنيه الشيخ السيد ابو فلان بعدان درجنى الى التعمية ولمالطاى فى كاتبه ونسبه الى بعض خدمه ليروز بقصده عقلى لخين صادف امتداحى احماده ووافق انتقادى اعتقاده اطلع الكتاب من ستره وابرز السر من خدره وتطرت من عنوانه فى اسم القاضى الامام فخدمت اقتداء به للكرم وانا منى بم لاجرم انى اخذت

ومنه قوله

لما تبدى في الحنيشن تجاربت كبدي وعيني
فاعجب لها من وقعة * جاءت ببدر في حنين

ومن هنا أخذ الشيخ برهان الدين القيراطي فقال

بدت روادف حبي * تحت الحزيز بعين
فقلت يا بدر هذي * حقا جبال حنين

ومن لطائف الشيخ جمال الدين قوله

دعوا شبيه الغزال يرمي * في مهجتي بالنفار جمرا
تالله لا فاتني لقاه * وعين كيسي عليه حمرا

ومنه قوله

بأبي نائم على الطرق راحت * في هواه وليس يعلم روحي
فانح في السكرى فيا سكريا * يا له من مسكر مفتوح

ومنه قوله

ملأت انسان عيني عسجدا * من خدود قد ملاها الحسن صبغا
قلت والردف اريني فانثنت * ثم قالت هكذا الانسان يطغى

ومنه قوله

ومن الشقا انى الجفا وتشوقي * لا ينتهي هذا وذاك الى طرف
ما مال غصن قوامه عن فكرتي * يوما ولا دينار وجنته انصرف

ومنه قوله

سلت مهجة قد كان صدعها الاسي * فلا آخذ الله الاسى بصدوعها
وعين على حالي بعاد وجفوة * عفا الله عما قد جرى من دموعها

ومن لطائفه قوله

من الترك اني سلوتي مع انها * صواب وأفتي فيه وهو من الخطا
اما والهوى لا حلت عن عطف اغيد * ولا بت في حران صدر مفرطا

ومن نكته البديعة في المدائح قوله

لنا ملك قد قاسمتنا هباته * فنثر العطا منه ونظم الثنا منا
يذكرنا اخبار معن بجوده * فننشي لها لفظا وننشي لنا معنا (معنى)

وقال في صدر مطالعه

خذ من عبيدك مقتضى نياتها * في الحمد واعذر مقتضى أقوالها
قسما لو استطاعت اليك جسومهم * بعثت دروح الحمد من أوصالها

وقوله

لا عدمنا لابن الاثير يراعا * جاريا للعلاة بالارزاق
كلما ماس في المهارق كالغصن رأيت الندى على الاوراق

الفضل بجملته وبعثه الى هراة برمته وذاك اخي ابو فلان وهو الفاضل الذي أكتبه ببغداد لطفا عراقيا وافادته حسنات ادبا شرقيا ولو قدرت على انفس منه لبعثته هدية لكني تصفحت الاعلاق فوجدت الياقوت من جملة الاحجار وهذا الفاضل من جملة الاحرار والدر منسوبا الى الصدف وهذا الفاضل منسوبا الى الشرف والخزر والبز

وقوله فى كمال الدين بن الزملكانى

يفديه قوم تشبهوا حسدا * به وايسوا له باشباه
ان نطقوا بالجميل اوفعلوا * فللريا والكمال لله

ومنه قوله

لعمرى لقد اخمت بالفضل منطقى * وقد كنت ذا نطق وفضل بيان
وحركت ميزانى فاثنى لسانه * فلازلت مشكورا بكل لسان

وقال وقد كتب اليه الملك المؤيد صاحب حماة

فديتك من ملك يكاتب عبده * باحرفه اللاتى حكتها الكواكب
ملكت بها رقى واخليى الاسى * فها انا ذا عبد رقيق مكاتب

وقال يهنئ الصاحب شمس الدين بخلعة

تهنأ مدى الايام بالخلع التى * وجدنا بها الايام واضحة الانس
اضاء بها وجه الزمان واهله * ولم لا ومن اطواقها مطلع الشمس

ومنه قوله يهنئ القاضى جمال الدين وقد عاد من غزوة سيس

بقيت مدى الدنيا جمالا لدولة * لها منك شهم فى اللقا ورئيس
يسوق لها عند الفتوح جنائبا * واول ها تيك الجنائب سيس

ومنه قوله فى جواد

وادهم اللون حندسى * فى جريه للورى عجائب
يقصر سعى الرياح عنه * فكلها خلفه جنائب

ومنه قوله وقد كتب بها الى الصاحب شرف الدين يعقوب

قالت العليا لمن حاولها * سبق الصاحب واحتل ذراها
فدعوا كسب المعالى انها * حاجة فى نفس يعقوب قضاها

ومنه قوله

قصدت معاليك ارجو الندى * وازجى من العسر داء دفينا
فما كان بينى وبين اليسار * سوى ان مددت اليك اليمينا

وقوله يهنئ محتسبا

تهنأ بها حسبة ادركت * بايام فضلك ما ترتقب
فانك من اسرة تصطفى * وترزق من حيث لا تحتسب

ومنه قوله يهنئ بعيد النحر

تهنأ بعيد النحر وابق ممتعا * بامثاله سامى العلا نافذ الامر
تقلدنا فيه قلائد انعم * واحسن ما تبدو القلائد فى النحر

وقوله

كذا ابدا يا ارفع الناس همة * غوادى الندى من راحتيك غزار
اقدم اطراسا وتمنح انعما * فمنى اوراق ومنك ثمار

نوعين يخاق الدهر جدتهما وهذا الفاضل لا يغيره الزمان عن عهد ولا يحيله خال عن ود والدرهم والدينار جوهرين يملكهما الاراذل كما يملكهما الافاضل وهذا الفاضل لا يسبك اسك ولا يضرب فى محك والخيل العتاق يهتدى اليها الخذلان والجاح كما يلحقها العضاض والطماح وهذا الفاضل نقى الجيب من كل عيب وقد جدت به بعد ضن ولعمرى انه علق مضنة بقى ان يقبله القاضى الامام بمنة وسلام عليه مل عرضه وبجته حسب اخلاصى واخلاصه ان شاء الله عز وجل

ومنه قوله وكتب بها الى القاضي بهاء الدين ابن أبي البقاء على يد طالب شفاعة

ارسلته لك واثقا بمكارم * أورثتها عن سادة انجاب
لاغرو ان أعربت عن احسابهم * فابو البقاء أحق بالاعراب

ومنه قوله وكتب بها الى القاضي شمس الدين البهنسي

يارب أمدد بالغنى بدسيد * في يومه يهب الجزيل وفي غده
فالبحر يسعى خادما في بابه * والسحب جارية تصب على يده

ومنه قوله وكتب بها اليه

* على دون من شام أقم بها * فيا عجبا لي في ازديادي من الفضل
واعجب من ذا أنك الشمس أشرقت * وها أنا منها حيثما كنت في ظل

ومنه قوله وقد ارسل اليه شرف خالد الدين القيسراني هدية جليلة في وقتها

لك الله ما أزكى واشرف همة * وأحمد صنعا حيث تبلى المحامد
فانت الذي قرت برؤيته العلا * وهنئت الدنيا بانك خالد *

قال وقد وصلت اليه هدية على يد الكمال

قبضت من الكمال نداء عفوا * بريئا من سؤال أو مطال
* فيا لله من عادات بر * أتتني بالتمام وبالكمال

وكتب الى الصاحب تقي الدين بن هلال

هنئت ما أوتيته من رتبة * حلتك في العينين من اجلالها
في مقلة الانسان تمت فقل لنا * أنت ابن مقلتها ام ابن هلالها

وقوله

فديتك يا ابن المحسنين مجودا * باقلامه أو جائدا بمكارمه
لخاتم عند الجود في بطن كفه * وياقوت عند الخط في فص خاتمه

وقوله يهنئ بالعيد

تهن بعوده عيدا سعيدا * وعش ما شئت يا كهف البرايا
نحرت به بجمع عدا الشاضر * قرونا آخرين من الضحايا

ومنه قوله

قف بباب العلا وقل يا كتابي * عن لساني قول الذي يدوم حقا
انا عبد مكاتب غير اني * لست ابغي من مالك الرق عتقا

وقال وقد انعم عليه بنصفية

سورة الذكر سهلت * لي نصفية علت
فبياسين عوذت * وبحاميم فصلت

وتلطف بكتابته الى من أنعم عليه بالنصفية بقوله

ياسيدي نصفيتي قد فصلت * وعجزت لما غبت عن تبطينها
ماحلت فيها عن ندى نعمايديك ولا اتخذت بطانة من دونها

(وله أيضا)
كتابي وقد توسطت الشباب وتطرفت الشيب وقبضت من اثر الزمان وتطرت في عقب الامور وطرت مع الملوك ووقعت مع الخطوب ورافقتها والجن تنهى وتأمر ففارقتها والموت خزيان ينظر وعددت من سني خمسا وعشرين وما عددت اشهرها حتى حلبت اشطرها ولا سلت رسنها حتى استوفيت ثمنها وانا بما منح الله الاستاذ كل يوم من مزيد منتظم الامور موفور السرور والحمد لله حق حمده والصلاة على رسوله محمد عبده وقول الاستاذ نعمة

وكتب الى القاضى شمس الدين البهنسى

شكر الله ايا ديك التى * انعشت حالى بشمس الهبات
أنت بالمعروف قد احييته * وكذا الشمس حياة النبات

وقال يهنى قادما من الحجاز

قالوا سررت زائدا بقادم * حج شهابا ثم عاد بدرا
تقصد منه ماله اوجاهه * قلت نعم كلاهما وتمرا

وكتب الى من أهدى اليه تمرا رديئا غالبه نوى

ارسلت تمرا بل نوى فقبلته * بيد الوداد فما عليك عتاب
واذا تباعدت الجسوم فودنا * باق ونحن على النوى احباب

ومنه قوله

قال فتح الدين اذ حدثنا * تيلا فى قصة تقضى لمحى
كيف اغار حديثى عندكم * قلت فصى والانهر فصى

وقال يهنى مولد الامير ناصر الدين بن فضل الله العمرى بامرة عشرة

هنئتها امرة مجددة * يا ابن السراة الاكابر البرره
اقسم من ذا وذا بانكم * وجدتم من أكابر العشره

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

والله ما عجبى اقدرك انه * قدر على باغى مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * فى هذه الدنيا وأنت وحيد

وكتب على شرح مختصر ابن الحاجب لشمس الدين الاصفهانى

انا العلم ان الشمس بادضياؤها * فسر بسناها حيثما أنت سائر
وخل فتى شيراز عنك فانما * هو القطب قد دارت عليه الدوائر

ومن لطائفه قوله

وصلت الى باب المعز وظاله * وفارقت ذلى اذ وصلت الى العز
واصبحت من جند المحامد والثنا * ولا بد للجندى من طلب الخبز

وقوله فى الجامع الاموى بدمشق

ارى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفى صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح

ومن مداعبته ومجونه واعراضه ونكته اللطيفة فى باب التورية قوله

يا ابرلا تركن لعلق ولا * تثق به واتركه مع نفسه
ولا ترج الود ممن يرى * انك محتاج الى فلسه

ومن مداعباته اللطيفة مع الشيخ بدر الدين حسن الزغارى مضمنا قوله

يا غائبا عن مجلس قد شاقت * ندماه واشتعلت عليه الاكؤس
ثبتت ان النار بعدك اوقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس

لو صادفت ارضا وصنيعة لو اصابت موضعا فكاتى به يقول هذا الكافر للنعمة طوانا حين نشرناه وجفانا حين بررناه وغاب سنين فلا كتاب شكر كتب ولا قصيدة مدح تظلم ولا يوما من ايامى ذكر ولا يدا من ايادى نشر وان فعلت فلانى خراسانى واعز موجود فى الخراسانيه الانسانيه ولو رآنى الاستاذ وانا فى قميص باذنين وقباء ضيق الردنين وعمامة كقبة الحجاج وخف فاسد المزاج اعلاه جراب وأسفله خراب على برذون عبدى الخلقة طبع برأسه كالرضيع لعلم كيف تجرى الفرسان وكيف يسبح

ومنه

ومنه قوله في مليح اسمه الياس

أفـدى مليحاً في البرايا لم أزل * طول الزمان عليه في وسواس
قالوا أتقطعه كثيراً قلت من * راحات قلب المرء قطع الياس

وقوله

لهفي على فرسي الذي * اضحى تريح المقلتين
بكـبو واملك رقه * فهـو تري في الحالتين

ومنه قوله

سافرت للساحل مستبضعاً * قصداً وجداً حسن اخلاق
فيا له من متجـر رابح * ما نفقت فيه سوى بغلتي

وقوله

مبرزاني العاطل المحلى * قال له الفقر قف مكانك
لا تذكر المال عنده هذا * ولا تحرك به لسانك

ومنه قوله فيداعب صديقاً له يروم ولاية القضاء

رب ان ابن عامر هائم الفكـر * رمعنى في صبحه والمساء
يتمنى القضا فلا تعطينه * واجعل الموت سابقاً للقضاء

ومثله قوله

لقد أصبحت في حال * يرق لمثلها الحجر
مشيب وافتقار يد * فلا عين ولا أثر

ومنه قوله يداعب بعض اصحابه

لفلان في الديوان صور تحاضر * وكأنه من جملة الغياب
لم يدر ما مخـزومـه وجريده * سبحان رازقه بغير حساب

ومن لطائفه قوله يهني شارب دواء

امط بالدواء ثياب الاذى * وطب بالرواحية والغـدو
وكرر احاديث بيت الخلا * ولكن على رغم انف العدو

وكتب الى صفي الدين الحلي مداعباً له

اوقعني ودي مع هاجر * يبخل بالدرج وبالوصل
والله لا غررت من بعدها * ولا جعلت الود في حل

ومنه قوله

وقالوا احاطت ذقنه بخدوده * ووجدك لا ينفك يذكر حسنه
فقلت نعم ضيفي بقلبي نازل * أعظم مثواه وأكرم ذقنه

وقوله

رب مليح حسـن صوته * قالوا وقد أصبح ذا ذقن
لحيتـه قد قطعت حلقه * قلت من الاذن الى الاذن

الانسان وقد علم الله اني فارقت تلك الحضره مفارقة ابينا الجنـه ولكن الحر لا يجنح الى النكوص الا اذا احوج الى الشخوص ولو من جنة الخلد ولا يسأم الاقامه الى القيامه على الدعامة بالهامه اذا وجد وجها خصيبا ومرعى وطيبا والله لقد رأيت بدي يجب افواه الامراء والوزراء وقد نظرت بمينه فلم أر الا محنـه وعطفت بسره فلم ار الا حسره فان مت لم أهلك وفي النفس حاجة وفي العمر الا قد قضيت قضاءها

(وكتب الى سهل بن محمد) اذا أنا طويت عن خدمة

وكتب وقد أهدى اليه بعض أصحابه ديوكا

وصلتنا ديوك برك تزهو * بوجوه جميلة مستجاده
كل عرف يروق حسنا وانى * ارتجى ان تكون عرفا وعاده

وكتب اليه فى المعنى

قل للرئيس جمال الدين لابرحت * هباته ذات تاسيس وايناس
واصل برجاى بعرف الديك مقتبلا * لن يذهب العرف بين الله والناس

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

لقد عدنا كما ضعفتم * فلا والله ماوافيتمونا
اقيموا فى ضنا كم أو أفيقوا * فان عدنا فانا ظالمونا

ومنه قوله وقد صرف عن مباشرته

أيا ابن نباتة جار الزمان * وزالت وزالت قوى همتك
وقد كنت ذا خدمة وانقضت * فلا وحش الله من خدمتك

ومن نكته اللطيفة قوله فى هذا الباب

احمد الله كم أجود فى الخلـ * ـق مقالا ومايفيد المقال
كلى فى الانام سحر ولكن * انا والسحر باطل بطال

وقوله

لقد أصبحت ذا عمر عجيب * أقضى فيه بالانكاد وقتى
من الاولاد خمس حول أم * فوا حربا من خمس وست (ى)

ومن لطائفه قوله

قد لقبوا الراح بالعجوز وما * تخرج القابهم عن العاده
الانت الغادة التى امتنعت * فصح أن العجوز قواده

وقال يداعب كبير الانف

أقبل عند القوم يسألنى * من أى ارضيك نلت ايثارا
قلت من النيل مارأى بصرى * خيرا ولكن رأيت منقارا

ومن لطائف مجونه

أرى ايرى تكبر فى جلوسى * وفى عمرو اعلى اللوم قومه
فامسى لايقوم لزائريه * وان زار العزيز فنصف قومه

وقال فى صديق باع مملوكا وتزوج امرأة جميلة

لى صاحب ترك المليح وعادنى * حب المليحة من ذوى الاقدار
قد كان عبد الاشهب المنسوب فى * حسن فأضحى وهو عبد الدار

ومن لطائفه قوله فى هذا الباب

لقد اضحت سعاد تعاف ايرى * ويحوجها الضرورة ان تجامل
فتمسكه بلا قلب لديها * وتاخذه باطراف الانامل

الشيخ أطال الله بقاءه يوما
لم ارفع له بصرى ولم اعدده
من عمرى وكانى به اذا
اغفلت مفروض خدمته
من قصد حضرته يقول
ان هذا الجائع قد تشبع
وتجلل وتبرقع فمايطور
خلق ابن آدم خلقه الفراش
ممانه فى المعاش ومساره
على المضار والا بين
التسلى اذا خرج من بلده
ان تبدد خلفه الحصات
وتكنس بعده العرصات
ويوقد فى اثره النار ويثار
فى قفاه الغبار ويستنجح
لفراقه الكلاب ويصرف
عن ذكره القلب ويسد
لاوبته الاذان ونغمض
عن رجعته العينان ويقال
كم سنة تعد وسلام لايرد

ومنه

ومنه قوله مع التضمين المخترع وهو

دنوت اليه وهو كالفرخ راقد * فيا خجلتي لما دنوت وادلالي *
وقلت امكنه بالانامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالي

ومنه قوله

محبوبتي دنيا جفت بعدما * جادت وكانت نزهة الهائم
كانت مع الاير زمان الصبا * وهكذا الدنيا مع القائم

ومن لطائفه قوله

باع صديقي لجام بغلته * ليشتري الخبز منه والادما
وراحا عليه راحت جرايته * فهو على ذا الذي ملك اللجما

ومن لطائف مجونه قوله

يا ملا الذي الغور من عاقلة * ليس من نكليه لي مهرب
طلبوا في أرجلي شيأ وقد * تصوروا أني ما قد طلبوا

ومنه قوله

جنينة التين وجيرانها * قد طيبت لذاتهم اوقي
وكثرت عندي ما اشتهي * فانتين من فرقي ومن تحتي

وقال يداعب صديقا له طلق زوجة تسمى دنيا

قل لابن فلان الذي أصبحت * كرته بين الورى خاسره
طلقت دنيا لم تفارقها * ورحت لا دنيا ولا آخره

وقوله

تبسم الشيب بذقن الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
حسب الفتى بعد الصباذلة * أن يضحك الشيب على ذقنه

ومن اغراضه اللطيفة في اهداء كتاب قوله

ارسلته نسم الجليس * اذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا * ابدا و يقنع بالنظر

وقوله

* قد تصنيف له رونق * كرونق الحبات في عقدها
كادت تصانيف الورى عنده * تموت للهيبة في جلدها

وقال وقد عتب عليه القاضي بدر الدين لامر

أهلكني العتب حتى اقد * اذا سمعي وهو صعب شديد
هذا ولو قطعتني انملا * وسرني اني بيدر شهيد

وقال يداعب جنديا من اصحابه عرض ولم يقبل

ظننا الطول يجدي * ليوم العرض او يرضي
فلا والله ما أجدى * وراح الطول في العرض

وما قدرت الشيخ بعد ما كفاه الله شره فاني يرتاح لايابي وأصحت مهاوه من اشغالي بالتمد بمقالي وصفا جوه من ذوق بشتاقه الى طلعتي شوقا يبعثه على العتاب ويهزه للاستعتاب ولاشك انه اشتهاني كما يشتاق الجرب الحك وله العتبي فستأتيه كتبي تباعا ورسلي ولاء وحاجاتي قطارا وان شا غذيت عينه بلقائي وانصرفت وراقي والعافية له اوسع وهو الى العافية احوج والسلام

(وله اليه أيضا)

كتابي وليس الشوق الى لقائه بشوق انما هو العظم الكسير والنزع العسير

ومن لطائف مجونه قوله

صفا لون شيبي ثم كدره بشق * فيا عجبا للشيب من كدر صافي
وصار على الاكتاف يضحك من يرى * فآها له شيبا يقطع أكتافي

ومن اعراضه اللطيفة قوله

كانت لقلبي رقة * ضن الزمان بما استحقت
فمرقتها إن دق رق * وقطعتها من حيث رقت

ومن لطائف مجونه قوله

قالت أريد من طبيخ قدرة * وكثرت حاجاتها وأوغلت
فقلت هذي قدرة يا ستنا * من قبل أن تمسها النار غلت

ومن لطائف مجونه قوله

دعاني صديق لحاجاته * فأوقعني في العذاب الاليم
كلام يزيد وماء يقل * فبئس الصديق وبئس الحميم

ومنه قوله

مازلت اقلع شيبة سخطت بها * فسواد عقد شبابها مفسوخ
حتى غدت صفحات وجهي آية * لا ناسخ فيها ولا منسوخ

ومن مراثيه البديعة قوله يرثي الملك المؤيد صاحب حماة

الا في سبيل الله ملك مؤيد * كنصل غدا في باطن الارض مغمدا
على الرغم منا ان اتى منه لامع * وجاوبنا من حول تربته الصدى

وقوله وقد توفي له ولد ولم يبلغ حولا

يا راحلا من بعد ما أقبلت * مخايل الخير مرجوه
لم تكتمل حولا وأورثتني * ضعفا فلا حول ولا قوه

ومثله قوله في ولده عبد الرحيم

يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا * شوقي اليه ويا شجوي ويا دائي
في شهر كانون وافاه الحمام لقد * احرقت بالنار يا كانون احشائي

ومنه قوله فيه

آه لشمل قد وهى سلكه * وكان ذا در بعبد الرحيم
فليتني لاقيت عنه الردى * وعاش ذاك الدر درا يتيم

وقال يرثي جارية له

يقولون قد اخلقت جفنك بالبكا * نعم ان جفني بالبكاء حقيق
دعوا الدمع للجفن القريح مؤاخيا * فاني عدمت الدمع وهو شقيق

وقال يهني بالعشر بعد تعزية ببيت

اتيتك يا ازكى البرية جامعا * لامرين في يوم من الدهر وافد
هناء وعزاء لا عيب فيه لانني * اهني بعشر اذ اعزي بواحد

والسم يسري ويسير والنار
تطيش وتطير وليس الصبر
عن رؤياه بصبر انما هو
الصبر معجون بالصاب
وتشريح القلوب والاعصاب
والغلب في الميسر والانصاب
والكبد على يد القصاب
وقد دارت الحلقة الا قليلا
وكاد اللقاء الا يسيرا والحمد
لله كثيرا وصل كتاب الشيخ
مؤنسا مورده موحشا
مودعه وهذه الاعمال
موازين الرجال وهي
المرته حادها الغنى
والعفه والشيخ بحمد الله
الموزون في الكفه لا تشيله
الخفه حقيق ان لا اغره
من نفسي وأوطئه العشوة
من أمري وقد علم ان
العمل لعامه والعامل

وقال

وقال يرثى الملك الافضل صاحب حماة

مضى الافضل المرجو للبأس والندى * وصحت على رغم العداة وفاته
وما مات اذ ماتت بحزن نساؤه * وماتت باحزان البلاد حماته

وقال فى رثاء طفل

بدا وفى حاله توارى * فيالها طلعة شريقه
جوهرة ما حملت الا * دموع عينى لها عقيقه

وقال فى رثاء ولده أيضا

قالوا فلان قد جفت افكاره * نظم القريض فلا يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منه بعدما * سكن التراب وليده وحبيبه

انتهى ما وقع عليه الاختيار ووعدت بايراده من غرائب الشيخ جمال الدين بن نباتة وبدائعه فى باب التورية على اختلاف أنواعها وقد تقدم قولى ان الراية الفاضلية هو عرابة مجدها * وواسطة عقدها * وقائد زمامها * ومسك ختامها * وقدمت أيضا من مشى تحت الراية الفاضلية من ابن سناء الملك الى الوداعى ولما رفع العلم النباتى كانت هذه الفرقة التى مشت تحت هذا العلم أكثر عددا وأشهر ذكرا * وأعلى رتبة نظما ونثرا * وقد عن لى ان اذكر هنا لكل من عاصره ومشى تحت علمه النباتى وتحلى بنكته الادبية نبذة من مختار مقاطيعه التى حلا وتبها فى الاصل نباتية * ليظهر صدق قولى فى تفضيل الصحابة المجدية * واشرع بعد ذلك فى ايراد نبذة من نظم التابعين لهم باحسان * وادير هذا الكاس بحيث يتسلسل دوره الى أهل هذا العصر والاوان * والعصابة التى مشت تحت العلم النباتى وتحلت بقطر نباته هم الشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ زين الدين بن الوردى والشيخ برهان الدين القيراطى ومذهبى انه أقرب الناس الى الشيخ جمال الدين نظما ونثرا والشيخ شمس الدين بن الصائغ والشيخ بدر الدين بن الصاحب والشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة والشيخ ابراهيم المعمار والشيخ بدر الدين حسن الزغارى والشيخ يحيى الخباز الحموى والشيخ شهاب الدين الحاجبى وممن ادركهم وعاصرهم المصنف وكتبوا اليه وكتب اليهم وانشدوه وانشدهم من أهل مصر والشام الشيخ زين الدين بن العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بالديار المصرية والقاضى فتح الدين ابن الشهيد صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة وناظم السيرة النبوية نور الله ضريحه والشيخ عز الدين الموصلى والشيخ علاء الدين بن أيبك الدمشقى والشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا والشيخ شمس الدين الرئيس الشهير بابن المزين والصاحب فخر الدين بن مكانس وولده الجناب المخدومى المجدى وسيدى ابو الفضل بن أبى الوفاء قدس الله روحه ولكن ما رأيته والشيخ شرف الدين عيسى الشهير بعويس والشيخ شهاب الدين بن العطار ولكن ما حضرته والشيخ جمال الدين ولكن ما رأيته وصاحبنا الشيخ شمس الدين المنهى المصرى والفرقة التى أطال الله بقاءها واقامت قواعد الادب بها قائمة * وختمت بهم هذه الطريقة البديعة وأخلصوا فى العمل ففازوا فى الحالتين بحسن الخاتمة * وهم القاضى بدر الدين بن الدماميني المالكى المخزومى فسح الله فى اجله والشيخ الامام الحافظ العلامة شهاب

فى عهدة ايامه والقابل ولاية اخرى ومنشور جديد فالكافى من استوفى زمانه ووفى ضمانه والعاجز من انفق أيامه قبل ان يبلغ تمامه فليتق الله ورب السلطان وصيرفية الزمان وليحذر الباقى وليذكر القاضى والاعور الماضى والتمكن اموال الناحية لديه اربعة أصناف خراجا بذلت به الحجة له أو نسبيا أوصله أو جملا حمله او حاصلا قبله ويبنى الامر على ان آخر درهم عليه مطلوب وأول درهم له محسوب والمغبون والمكروب من طلب الانصاف ولم يبذل من نفسه الانصاف فان قصر

الدين بن حجر العسقلاني الشافعي رحمه الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكي رحمه الله تعالى وبدأ بمن تقدم ذكره أولا فأولا فمن محاسن الشيخ صلاح الدين الصفدي في باب التورية رحمه الله قوله

أفديه ساجي العيون حين رنا * أصاب مني الحشا بسهمين
أعدمني الرشد في هواه ولا * أفلح شيء يصلب بالعين

ومثله قوله

لقد شب جمر القلب من فيض عبرتي * كأن رأسي شاب من موقف البين
فان كنت ترضى لي مشيبي والبكى * تلفيت ما ترضى لمنار أس والعين

ومثله في تورية العين قوله

سألتم عن منام عيني * وقد براه جفا وبين
واليوم قد غاب حين غبتم * ولم يقع لي عليه عين

ومثله قوله

ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السعد في كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادي * لاتسل ماجرى على الخد منها

ومنه قوله

ونقيه قلت صلني * فالبكى قرح عيني
قال لاتغتر بشيء * هو دون القلتين

ومن لطائفه قوله

قلت وقد أعرض عني ولم * يصغ الى الشكوى ولم يقبل
لاتطمعي يانفس في وصله * ويادموع العين لاتسألي

ومن لطائفه قوله

ان لم تصدقني تصدق بالكرى * ليزورني فيه الخيال الزائل
وانظر الى فقري لوصلك واغتنم * أجرى وقل للدمع قف ياسائل

وقوله أيضا

يقول الناس كيف يميل عنه الحبيب ويدعي صونا وعفه
أليس لقدمه في كل يوم * يرمع النواسم ألف عطفه

وقوله أيضا

وأحور أحوى فاتر الطرف قد غدا * بقلب صب بالجوى يتضرم
كبتني ضنى جسمي سهام جفونه * فبردسقامي في هواه مسهم

وقوله مع حسن التضمين

مقلته السوداء أجفانها * ترشق في وسط فؤادي نبال
ويقطع الطرق على سلوتي * حتى حسبنا في السويدا رجال

وألم الشيخ زين الدين بهذه النكتة ولكن سبكها في غير هذا القالب بقوله

والله يعيذه أو يعز والله يعينه بجميع ما فعل هباه وهواه وهو العاجز سواه ثم هو الداء لا يعده الا الدواء وليس الرأى الآن يتكلف بواقيه والعمل في بدءانه يوم بدءها واليا لبأخذها معزولا لبعد الغلط مخذول الامل وعرضت على الشيخ الجليل كتابه وما أقدم عليه البغوي فقال ليس أبو الوفاء بالبائع المغبون ولا المشتري الزبون ولو رأيت السباع تلحمه والجبال ترجمه ما كنت ارجمه افهذا الجزع مستحث وردالناحية بكتاب ماطوى عليه انتهى اليه وما عداه لم تتله يداه

من قال بالمرد فانى امرؤ * ميلى الى النسوة ذات الجمال
مافى سويدا القلب غير النسا * ماحيلتى مافى السويدا رجال

ومنه قوله

بجفنه سيف فرى حده * قلوب قوم فى الهوى اسرى
ومن عجيب نصر ألحاظه * وجفنها المكسور قد فرّا (ى)

ومنه قوله

وظبى معانيه بيان بديعها * لمحاره فكرى اذ رأى كل معجز
قرأت مقامات الحريرى كلها * بعارضه مشروحة للمطرزى

وتزاحم الشيخ صلاح الدين والشيخ زين الدين بن الوردى فى هذا المعنى والنكتة بقوله

شبهت خد حبيبى * تشبيه فكر مبرز
مقامة الحريرى * وشرحها للمطرز

والذى يشهد به الذوق ان تركيب الصفدى احسن واقعد ومنه قوله

كن كيف شئت فان قد * رك قد علا عندى وعزا
مات السلو وعيش انـ * ـت اما رأيت الصبر عزا

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

قالوا حكى بدر الدجا وجه الذى * تهوى فقلت لهم قفوا وتربصوا
انا ما اصدقما عليه كلفة * فاذا حكى شيأ يزيد وينقص

ومنه قوله

من شافعى يوما الى مالك * فى امر روحى القبض والبسطا
صبوب رأى الناس فى حبه * وشعره فى الارض قد خطا

ومنه قوله

يقول اذ أذكرته قبلة * غصبتها فى زورة الطيف
هذا عذارى وجفونى فقم * واحلف على المصحف والسيف

ومنه قوله

يقولون حاكاه الهلال فلا تزغ * عن الحق واعرف ذاك ان كنت تنصف
فقلت اذا ما صار بدرا مكملا * حكاه ومع هذا عليه تكلف

وقوله

اذا قلت قد اسرفت فى التيه قال لى * تقل فى جمالى فى الورى غير ماجرى
وأبيض طرفى واقف عند حده * واسود شعرى قد تواضع للثرى

وقوله

محياه له حسن بديع * غدا روض الخدود به مزهر
وعارضه رأى تلك الحواشى * مذهبة فزمكها وشعر

وقوله

ويقولون أرجفوا بعزله فكان ماذا لو عزل وغاية الراكب أن ينزل والوالى أن يعزل وليس العمل ضربة لازب ولا العامل فيه بخالد ولا عقده اوثق من عقدة النكاح ثم ينقضها الطلاق ويتلوها الشقاق ويختمها الفراق فليعمل الشيخ عمل من يلى ابدا وليحتط احتياط من يعزل غدا على أن جاهه بالحضرة على غاية الوفور وحاله فى نهاية النور فليهذ الهاذى ما استطاع من الهذاء وليعد بسبب الى

أقول وحر الرمل قد زاد وقده * ومالى الى شم النسيم سبيل

أظن نسيم الجو قدمات وانقضى * فعهدى به فى الشام وهو عليل

النسيم العليل تلاعبوا به كثيرا ولكن قول الصفدى فعهدى به فى الشام وهو عليل فى غاية اللطف ومنه قوله

كؤس المدام تحب الصفا * فكن لتصاويرها مبطلا

ودعها سواذج من نقشها * فاحسن ماذهبت بالطلا

وقوله

قلت لما شوى اوزا حبيبى * وا كتسى بالمهيب ثوب سناء

لو يعيش الجزارمات غراما * فى معانى محاسن الشواء

وقوله

كأنى بيد رصائغ * كالبدر فى جو السماء

سكر المحب بريقه * وغدا يموه بالطلاء

ومنه قوله

شوى الاوز فاضحت * فى حجرة الخد بسطه

فقلت تشوى اوزا * أم كنت تشرب بطه

ومنه قوله

قل للعذول يسترح من عذلى * ما اصبح المعشوق عندى مشتهى

وارتد قلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

ومن نكته البديعة قوله

اقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال فى الشفق الدجا

فمن أين هذا الحسن والظرف قال لى * تفتح وردى والعذار تخرجا

وقوله

اصبحت نابغة الغرام لصبوة * فى غادة بجمالها متفرده

كم قد جلت من خدها وسيوف مقـ * ـلتها الى النعمان والمتجرده

وقوله ايضا

انفقت كنزمدائحى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد

وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فأبى وراح تغزلى فى البارد

وقوله

قالت وقد مادت كغصن النقا * اسرفت فى العشق بلا فائده

فقلت منهوم الهوى لم يكن * يشبع ان مدت له المائده

وقوله

سكن البدو من احب فقالوا * زاد اهل الغرام فى البعد بعدا

قلت بالله هل سمعتم ببدر * غاب عن عاشقيه لما تبدى

السماء وصلت الصفة ولم اجد الى قبولها سبيلا حتى تصل الى غاية هذا العارض المتالق وانا اعيذه بالله ان يجمل عرضه جنة لمراده والله ولى ارشاده

(وله فى شأنه ايضا وقد حبس)

ان هؤلاء العمال ايعلقون المال كما تعلق النار الذبال والنار لا تذر الفتيل وان احتيل لها بما احتيل حتى تطفأ واطفاء العامل قتله وما اظن ابا الوفاء الا تعرض للاطفاء من الحاصل والباقى الا ما وقى الله ونعم الواقى

ومن نكته الغريبة قوله

سال العذار فسل سيف جفونه * حتى غدت مهج الورى افلاذا
يا صدغه والله كاف غنى * عن ان تراك السائل الشحاذا

وقوله

اقول لقاض سهم مقلته غدا * بسيب الحشا لا تبغ قتلى ولا تؤذى
وان كان قلبى عنده غير تائب * فدعه ولا تحكم عليه بتنفيذ

وقوله

املت ان تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم ما لا يرى
وعلمت أن بعادكم لابدّ أن * يجرى له دمعى دما وكذا جرى

وقوله

لئن سمح الدهر البخيل بقربكم * وسكن منى انفسا وخواطرا
جعلت ابتذال الروح شكران وصلكم * وقلت لدمع العين يعمل ما جرى

وقوله

بدا فى الخد عارضه فاضحى * عليه معنفى باللوم يغرى
وحاول أن يرى منى سلوّا * وقال لقد تعذر قلت صبرى

وقوله

تقول له الاغصان اذ ماس قده * اتزعم ان اللين عندك قد ثوى
فقم نحتكم فى الروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا مع الهوى

وقوله

تناءى الذى أهوى فمت صبابة * فقال عجيب كل امرك فى الهوى
صبرت لطرفى اذ رمتك سهامه * ولم تتصبر اذ رمتك يد النوى

وقوله

أتانى وقد اودى السهاد بناظرى * يمزق جنح الليل بارق فيه
فناديته يا طيب الاصل هكذا * اخذت الكرى منى وعينى فيه

وقوله

بأسياف الجفون قتلت نفسا * مبرأة عن الشكوى زكيه
فما اقوى جفونك وهى مرضى * واقدرها على قتل البريه

وقوله

جاء بقد قد ثنته الصبا * ورنحت اعطافه الساميه
ومذ غدا فى لينه واحدا * كانت له ريح الصبا ثانيه

وقوله

وفى القلب من هاجرى لوعة * بغير تلافيه ما تندمل
فيا شعره بعض هذا الجفا * ويا ردفه أنت ما تحمل

(وله الى الامير ابى الحرث محمد مولى امير المؤمنين) كتابى والبحر وان لم اره فقد سمعت خبره والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه والملك العادل وان لم اك قد لقيته فقد بلغنى صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره ومازالت ايد الله الامير أسمع بهذا البيت القديم بناؤه الفسيح فناؤه الرحب اناؤه الكريم آباؤه وأنشد فى هذه الحضرة ضالة الامل والعوائق يمنة ويسرة تربنى المنى حسرة والزمان العثور يقعدنى ويثور

وقوله

ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وانت يادمع ان اجبت بما * تفقيه وجدا سقطت من عيني

وقوله

لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا ازال سقاما
لكن تطاول فى الشفاعة عنده * وغدا على اقدامه يترامى

وهذه النكتة تزاحم هو والشيخ زين الدين بن الوردى عليها والله أعلم من المخترع فانهما كانا متعاصرين فقال

كيف انسى لشعر حبى يوما * وهو كان الشفيع فى لديه
شعر الشعر أنه رام قتلى * فرمى روحه على قدميه

وقوله

ان قلت زرنى قال لا * بحاجب ما اظلمه
فما يرى جوابه * الا بنون العظمه

والشيخ صلاح الدين تزاحم هو والشيخ برهان الدين القيراطى على هذه النكتة و زنا وقافية والله أعلم من المخترع منهما بقوله

وتائه حدثته * فلم يفه بكلمه أجابنى بحاجب * لكن بنون العظمه

ويعجبنى قوله

اضحى نسيم دمشق حيا الحيا * يمشى الهوينا فى ظلال رباها
فكأنه من مائها وهضابها * مادام الاعينا وجباها

ومثله قوله

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بمعبدها الزاهى الرفيع المشيد
جرى ليباهى حسنه كل معبد * وما قصبات السبق الالمعبد (ى)

وقوله

لما زها زهر الربيع بروضه * وغدا له فضل يشير اليه
قام الحمام له خطيبا بالهنا * وجرى الغدير نخربين يديه

وقوله

قالوا على نيل مصر فى زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طمى
فقلت هذا عجيب فى بلادكم * أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

ومن اغراضه قوله

رب طباخ بنضجت * مهجات غير مرحومه
ملوتى عنه مزورة * ابدا والنفس مغمومه

وقوله

احببت بابا حسنه بادع * سى من الثالث آلبابا

[margin:]
ما من عام الاعزمت وأبت المقادير وقويت وعرضت المعاذير والآن لما وفقت لهذه الزوره اختلفت على أخبار الملك فى مستقره واختلفت باختلافها فرة فى قوس الطريق ومرة فى وترها مقتفيا اثره حتى بلغت مبلغى هذا ثم وسوس الى الشيطان تعذر مقدار انى اقصد هذه الحضرة طامعا فى مال او طامعا الى نوال وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كاد يثنينى عن درك الحظ من طلعته ولم أبعد ما القاه فى خلدى أن يكون وانا اقشعر الله

اغلق فى وجهى باب الرضى * فهل ترانى أفتح البابا

وقوله

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه

أرأيت عمرك فى الورى * طرفا رقيق الحاشيه

وكتب على لسان صاحب له طلب من صاحب سرجا فلم يجهزه له قوله

عجبا كيف لم تجد لى بسرج * وحده واللجام دأب النفوس

واذا لم تبعثه فى اول الامر اختيارا فابعثه بالدبوس

وكتب الى من اهدى له صحن قطائف قوله

اتانى صحن من قطائفك التى * غدت وهى روض قد تنبت بالقطر

فلا غرو ان صدقت حلو حديثها * وسكرها يروى ويملى عن ابى ذر

الجماعة تجار وافى هذه الحلبة واجادوا منهم الشيخ زين الدين بن الوردى بقوله

بعثت قطائفا حات * جناها قطرها الغمام

فسكرها ابوذر * ومرسل صحنها جابر

وأجاد الشيخ جمال الدين بن نباته هنا وجمع بين التوريه وحسن التضمين وبديع الاكتفاء والحلاوة بقوله

أقول وقد جاء الغلام بصحنه * عقيب طعام الفطر يا غاية المنى

بعيشك قل لى جا صحن قطائف * وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنا (فه)

وقوله مع بديع التضمين

رعى الله نعماك التى من اقلها * قطائف من قطر النبات لها قطر

امد لها كفى فاهتز فرحة * كما انتفض العصفور بلله القطر

ويعجبنى هنا قول الشيخ برهان الدين القيراطى مع بديع التضمين

لقد قطفت زهر النبات قطائف * تخيرتها فاخترت للنفس ما يحلو

تقول اسمعوا منى مدائح مرسلى * فكلى ان حدثكم السن تتلو

واما توريته بالقطر فالقطر النباتى معروف فمن ذلك قوله

شكرا البرك يا غيث العفاة ولا * زالت مدائحك العلياء تنتخب

قد جدت بالقطر حتى زدت فى طمع * واول الغيث قطر ثم ينسكب

وقوله

بجود قاضى القضاة اشكو * عجزى عن الحلو فى صيامى

والقطر ارجو ولا عجيب * القطر يرجى من الغمام

ويعجبنى هنا قول ابى الحسين الجزار

ايا علم الدين الذى جود كفه * براحته قد اخجل الغيث والبحرا

لئن امحلت ارض الكنافة انى * لارجو لها من سحب راحتك القطرا

قلت الشئ بالشئ يذكر ذكرت هنا الغزالى لوزنيج كتب به مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن

الظنون ان تتصرف فى قصدى الا الى معرفة اوقعها اوخدمة اودعها ومدحة اسمعها ورجعة اسرعها ثم أذخر هذه الدولة المملكة اغصبها اوولاية انصبها اوكتيبة اغلبها او دولة اقلبها واما الدرهم والدينار دفعهما الى ونزعهما من يدى سواء لا اشكر واهبهما ولا اشكو سالبهما ان لى فى القناعة وقتا وفى الصناعة بختا لا يعد استنال المال اذا اردته ولا يحوجنى الى ركوب العقاب وسلوك

الادبى رحمه الله الى علامة العصر القاضى بدر الدين بن الدماميني رحمهما الله

يامن له فى عروض الشعر أى يد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
ما اسم دوائره فى لفظه ائتلفت * والثلم فى صدرها مستعمل حينا
اجزاؤه من زحاف الشوق قد سلمت * وقد تقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه انظر ارادفه * يا فرد يا رحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من حله فرجا * لا زال سعدك بالاقبال مقرونا

فأجابه المشار اليه بقوله

يا مرسلا من شهى النظم لى كلما * منه ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
حليت لغزك اذ أبهمته فلذا * يا فاتنى رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا فى دوائره * للكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فأدم * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا يا صوب الصواب ودم * فينا أمينا رشيد الرأى مأمونا

وقد آن الرجوع الى ما كنا فيه مما اختاره من نظم الشيخ صلاح الدين الصفدى فى باب التورية من لطائف مجونه قوله فيمن سرق شيأ من بعض شعره

ان كان يا مولاى لا بد ان * تأخذ شعرى جملة كافيه
قافية البيت اطرح لفظها * وقم خذ الكل بلا قافيه

وقوله

أدير بطيق البيضاء كاسى * بكيس زان لمعى وفطنه
ألم ترنى وعفو الله راج * ومن شرهى أصفيها بقطنه

وقوله

وجرة قد تموها * والراح فيها كمينه
شممت طينة فيها * فرحت سكران طينه

وقوله

قلت له اذهز لى ذقنه * ولام فيمن همت فى عشقها
تذكر اذ غنت فنادى نعم * فقلت واشوقا الى حلقها

وقوله

وعاذل بارد المقالة لا * يبى صوابا وزاد فى نكدى
وقال ذقن الحبيب باردة * فقلت يا بردها على كبدى

وقوله

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما احد فى دهره يتخلد
اذا عاينت كتبى الجديدة حاله * يقولون لا تهلك اسى وتجلد

ومن نكت المجون التى تواردهو والشيخ جمال الدين عليها وزنا وقافية قوله

الغاب بل يحيينى ايضا ويتطفل على ايضا وما كل يرفع له الحجاب ولا يفتح له الابواب وبعد ذلك فهذه الحضرة وان احتاج اليها المأمون ولم يستغن عنها هارون فان الاحب الى ان أقصدها قصد موال لا قصد سؤال والرجوع عنها بجمال احب الى من الرجوع بمال وقد قدمت التعريف وانا انتظر الجواب الشريف فان نشط الامير اضيف ظله خفيف ضا التمرغيف فليدعه اليه بالاقبال

اذا ماقام أيرك في لدبابي * وعندك من تحب فلا تحابي
وملخوالطواشي واعتنقه * فذلك لايدل على صواب

وقول الشيخ جمال الدين

أرى لصواب يا أيري صفات * تحث على التعشق والتصابي
فبادره فانت به خبير * ومثلك لايدل على صواب

ويحسن أن نختم هذه المجونات بقول الشيخ صلاح الدين وهو

ياساحبا ذيل الصبا في الهوى * ابليته في الغي وهو القشيب
فاغسل بدمع العين ثوب التقى * ونقه من قبل وقع المشيب

الشيخ صلاح الدين سامحه الله كان من المكثرين وكان هو والشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة برضيان لرغبتهما في الكثرة بالاشياء الرخيصة ولم أورد للشيخ صلاح الدين هنا غير الغالي من نظمه واختياره واختياري ومن محاسن الشيخ زين الدين بن الوردي في باب التورية ومقاطيعه التي هي احسن من مقطعات النيل * واحلى في الاسماع من نغمات المواصيل

ان قلت قدك غصن * قالت لي الغصن ساجد
اوقلت ريقك ثلج * قالت تشبه بارد

ومن ذلك قوله

ياسائلي تصبرا * عن لثم فيه لاتسل * ماتستحي تبدلني * بالاصبع عن ذلك العسل

ومن ذلك قوله

ومليح اذا النحاة رأوه * فضلوه على بديع الزمان
برضاب عن المبرد يروى * ونهود تروى عن الرماني

وقوله

امام في الركوع حكى هلالا * ولكن في اعتدال كالقضيب
وقال تلوت قلت الشمس حسنا * وقال ختمت قلت على القلوب

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

يشفع في شعره * اذ مال عن قبوله * فهو على اقدامه * ممدد بطوله

ومنه قوله

عجبت في رمضان من مسحرة * بديعة الحسن الا انها ابتدعت
قامت تسحرنا ليلا فقلت لها * كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت

ومن لطائفه قوله

اذا تعذر حبي * خلا بتعذر * لجيده أصل مابي * والجيد لايتغير

ومنه قوله

وتاجر ماطلته دينه * لاجتليه قال ما أمطلك
قلت له جيدك لي اوان * فقال هات المال والجيد لك

ان شاء الله تعالى
(وله اليه ايضا)
ان جاز للفقراء ان يصيروا في راه للامراء فانا فداه الامير السيد من سوء يلحقه ومكروه يرهقه والمصاب الذي اشار اليه خاتمة المصائب على ان النساء كالصدف اذا انتزع منه درة الشرف لم يصلح الا للتلف والسعيد من حلى من دار السيد الامير نعشه واسعد منه من جدد فرشه ولا خلة بالرجال التي من الصبر ولا حصن للنساء احصن من القبر وانا اسأل الله

وقوله

قالت اذا كنت تهوى * انسي وتخشى نفورى
صف ورد خدى والا * اجور ناديت جورى

ومنه قوله

انكرحبى مدمعى * وقال هذا من هوى * فقلت لا بل من فتى * اصاب عينى بنوى

ومن نكته اللطيفة فى تضمين المثل السائر قوله

وسمينة كانت لها * فى القلب منزلة ترقت
رقت فعفت وصالها * وقطعتها من حيث رقت

وقوله

سألتها أى ناه * نهاك عن حسن نوجك
قالت نهانى زوجى * فقلت روحى بزوجك

ومن اغزاله قوله

أقول اذ قال لى حبيبى * علام فارقتنى غلاما
خدك كان الصفا ولكن * قد اصبح المشعر الحراما

وقوله

رامت وصالى فقلت لى شغل * عن كل خود تريد تلقانى
قالت كان الخدود كاسدة * قلت كثير القلة القانى

وقوله

ابصر وادمعى فخافوا * قلت لا تخشوا بكاءى
ما عليكم من دموعى * غير امطار السماء

ومنه قوله

سل الله ربك من فضله * اذا عرضت حاجة مقلقه
ولا تسأل الترك فى حاجة * فاعينهم اعين ضيقه

وقوله

لما شفت عينى ولم * ترفق لتوديع الفتى
ادنيتها من خده * والنار فاكهة الشتا

وقوله

ضممتها عند اللقا ضمة * منعشة للكلف الهالك
قالت تمسكت والا فما * هذا الشذا قلت بأذيالك

وقوله

شكى من الخط ضعفا * وذاك منه دلال
قلت استعن بمثال * فقال مالى مثال

ومنه قوله

تعالى الذى سلبه الكرمة ان يمتعه بعنبها ولا خير فى النخلة من ورامرطبها واما كتاب الاصول فالى اراه بعيد الوصول أيحتمل حالى كل هذا التناسى واما ملحسن به ايناسى انا عبد الامير وقد بلغتنى نفحات فضله ومثلى من قصد باب مثله فعاد وحاله انطق من بيانه وخط يده افصح من لسانه وقد شققت اطراف الارض بادراج الشكر ولعل اجوبتها ترد عن قريب فيعلم اى حر استرق واى مجد استحق وقد طولت وعلى الله توكلت

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر   مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

ومن نكته مع حسن التضمين قوله

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القاني نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

ومن نكته اللطيفة قوله

مهفهف القد اذا ما انثنى * يقول لا تغش من الرد
ما أنت حلي يا كثيب النقا * ولست يا غصن النقا قدي

وقوله

لو نلت من خديه تقبيلة * تزين الريحان بالورد

وقوله

رومية الاصل لها مقلة * تركية صارمها هندي
قد فضحتني وجنتاها فقل * في وجنة فاضحة الوردي

وقوله من دوبيت

يا روضة حسن ليتها لي وحدي * الشركة فيك قد أذابت كبدي
ما ضرك أن تسقى بماء فرد * والواجب أن يكون ماء الورد

ومنه قوله

هويت اعرابية ريقها * عذب ولي فيها عذاب مذاب
رأسي بنو شيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

وقوله

قلت وقد عانقته * عندي من الصبح قلق
قال وهل يحسدنا * قلت نعم حتى انفلق

ومنه قوله

تقويم قدك ماليا من ثغره * در يقصر دونه التقويم
اني لابكي من جفاك ولي أب * والثغر يضحك منه وهو يتيم

ومن اختراعاته قوله

رأم ظبي الترك وردا * قلت اقصر خاب ضدك
عندك الورد المربي * قال فاني قات خدك

وقوله

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوه
كفلي اضعف خصري * فا عينوني بقوه

وقوله

قلت اقرا فري أديمي * وزاد صدا وطال هجرا

(قوله الى الاستاذ أبي بكر محمد بن اسحق) الاستاذ الزاهد أدام الله عزه يأمر غاشية مجلسه ان يفتشوا اعطاف المقابر وزواياها فان وجدوا قلبا قريحا يحمل ودا صحيحا وكبدا داميه تنقل محبة ناميه فانا ضيعتهما بالامس على ذلك الرمس رضي الله عن وديعته وعنا معاشر شيعته فيأمر بردهما فلا خير في الاجساد خالية عن الفؤاد عاطلة من الاكباد وأبو فلان موصل رقعتي هذه له قصة يعرضها وحاجة انا افرضها تلميذ قد تطرقت بيوته وتحيف حانوته وبلغا من الاستاذ الى حسن منبع وبلغا الاستاذ منه

قد فرّ صبري وفرّ نومي * قال نعم مذ عشقت فرّا

وقوله

ورغيف خباز كم قد حكى * من وجهه التدوير والحمره
اذا رأى ميزانه المشتري * قال هنا الميزان والزهره

ومنه قوله في مليح عبري

اغيد عبري له عمة * حكت من العشاق الوانا
لقد سبى بالنور شمس الضحى * فهل أتى من آل عمرانا

ومنه قوله

ووعدت أمس بأن تزور ولم تزر * فغدوت مسلوب الفؤاد مشتتا
لى مهجة في النازعات وعبرة * في المرسلات وفكرة في هل أتى

وقوله

اعور كالبدر لمقلة * واحدة قامت مقام اثنتين
قد سرق الرقدة من ناظري * وقال ماجئتك الا بعين

وقوله

بابي أعور عين فاتن * مثل بدر التم والتم بعين
طرفه الواحد عضب ذكر * قد له الحسن حظ الاثنين

ومنه قوله

رأيت رشيق القد أعور فاتنا * لمقلة اغنته عن حسن ثنتين
اذا قال غصن البان أنت ابن قامتي * يناديه بدر التم أنت أخو عيني

وقوله

جنكية شاهدت عشاقها * وهم بها في الجهد والضنك
قالت أما تعشق جنكية * قلت كذا يا ليتني جنكي

وقوله

تغسل عيني وجنتي * بدمعة هامله
فوجنتي قائله * عدوتي غاسلتي

وقوله

ناديت صالحة الى * كم أنت عنا نازحه
قالت نزحت لانكم * لا تصلحون لصالحه

وقوله

هويت حصادا حكت قامتي * من طول ما يهجرني منجله
أقول والسنبل من حوله * مولاي أنت الشمس في السنبله

وقوله

أنا في حال نقيض * يا شموسا في البزوغ

الى آمر شنيع وهو أيده الله قد عرف ظاهر هذا الامر وان لم يعرف باطنه وعلم سرته وان لم يعلم سريرته وأيقن انه لو لم يدع الكذب ديانه لتركه امانة وصيانه فان سرقته لا تحتمل غير النعمة ثم يرضى بعد ألف مكاس ان يخرج راسا براس ويرد فضل صفقتين ويحمد الله على ما بركه بين والله يوفق الاستاذ لما يأتيه ويدره فنعم الرفيق التوفيق والسلام

(وله اليه)

قد علم الاستاذ الزاهد أن اهل هذا الشطر من البلد رجلان هذا موتور وهذا مستور فصالحة الموتور غنيمه والظفر بالمستور

هزم الصبر عليكم * والمنى دون البلوغ

ومن لطائفه قوله

قال لي بدر خصره * كم كذا ترجع البصر
قلت لا تنفرد به * للتشدد ولي نظر

ومن اغراضه اللطيفة قوله في صديق له بالمعرة يقال له شمس

لي بالمعرة شمس * رضاه غير مرادي
فلا تذموه انى * أدرى بشمس بلادي

وكتب اليه في زفة له

يا شمس أشعلت شمعا * عليك عشر الاصابع
رغما لمن قال قبلي * الشمع في الشمس ضائع

ومنه قوله في آل النصيبي بحلب

فؤادي الى آل النصيبي مائل * وودي لهم في محضري ومغيبي
فبيني و بين القوم نوع تجانس * اذا طاب أصل الورد كان نصيبي

وقوله

للمقدمي بقلبي * حب خلي الدليل
فمن يكن ذا خليل * فالمقدمي خليلي

ومن لطائف اغراضه قوله

ياشيخ خل التصابي * فالزهد بالشيخ أليق
ولا تحث كميتا * فان فودك أبلق

وقوله

ولي صاحب بالمدح والهجو كسبه * يقول أندري كيف أصنع بالخلق
اذا احمروا وجهي وما بيضوا يدي * ازرق لهم رجلي ولو خضروا عنقي

ومثله قوله

لي صاحب واسمه سراج * ماقر لي عنده قرار
لسانه محرق لقلبي * ان لسان السراج نار

ومن اغراضه اللطيفة قوله

تجاذلنا اماء الزهر أزكى * أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ومن لطائف مجونه

يامن تولى قاضيا * هذا قضاء أم قدر
غدروك في بستاننا * ان القضا يعمي البصر

ومن اغراضه البديعة قوله

قدمات شيخي فاظهروا * بحر به أوساسه

هزيمه والحرب ضفقة سوء الخاسر عليها من يربح والمذبوح فيها من يذبح وقد وضعت اوزارها فالجاني من طلب ثارها والباغي من شب نارها وقد محا الصلح آثارها وفي الجانبين رجال مؤمنون ونساء مؤمنات من اتقى الله فيهم من غير عذر فقد هلك وانما الحرب عليك اولك وترك النهي في بعض المواضع امر وربما كان تحت الرماد جمر وقد امسك هؤلاء القوم لاعن ظاهر ضعف ولاعن بين عجز فليمسك اولئك ان الثقة بالصلح شؤم والاستظهار بالريح خرق فكم رأينا الشمال هبت جنوبا ووجدنا الخبر قد

عيشوا بجهل بعده * فقد قضى بعلمه

ومن اغراضه البديعة قوله

لا تحملوا نى على انتقام * فالجاه يحكى خيال طيف
عفوت عن مذنب فقرت * عين عدوى وجفن سيفى

ومن اغراضه قوله

ديار مصر هى الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلهم بتقبيل
يامن يباهى ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

ومن لطائف مجونه قوله

حمامكم قيمه اسود * هربت منه وأنا صارخ
قد سلخت جسمى اظفاره * ياقوم هذا اسود سالخ

ومن لطائف اغراضه قوله

يامن غدا فى طلاب الجد مجتهدا * لم يثنه عنه لا مال ولا ولد
لا تبسطن لتقليد القضاء يدا * ارتضى رتبة التقليد مجتهد

وكتب الى قاضى القضاة شرف الدين بن البارزى

جنبتنى وأخى تكاليف القضا * وكفيتنا مرضين مختلفين
ياحى عالم دهرنا أحييتنا * فلك التصرف فى دم الاخوين

وقوله مع تضمين المثل السائر

انى عدمت صديقا * قد كان يعرف قدرى
دعنى لقابى ودمعى * ياصاح أعرف وأدرى

ومن لطائف اغراضه وقد ولى قضاء شيراز قوله

انما شيراز نار * وبها القاضى مخلد
قلت لا أمكث فيها * أنا من حزب محمد

ومن اغراضه قوله

مرض الفؤاد وصح ودى فيهم * وأقام تذكارى وصبرى نازح
انسان عينى كم بهادكم بكى * ياأيها الانسان انك كادح

ومن نكته البديعة مع تضمين المثل قوله فى آل البيت عليهم السلام

يا آل بيت النبى من بذلت * فى حبكم روحه فما غبنا
من جاء عن بيته يحدثكم * قولوا له البيت والحديث لنا

ومن نكته الغريبة قوله فى محتسب

من ولى الحسبة يصبر على * تعرض الواقف والسائر
فليس يحظى بالمنى والغنى * فيهم سوى المحتسب الصابر

وقوله

قد عجبنا لامير * ظلم الناس وسبح

صبر مقلوبا وسمعنا بالقائل فوجدناه قتيلا وبالطمع استحكم لم يصب قتيلا لعل الله يصوننا فى هذه الايام الكرام وهذا الشهر الحرام من الدم الحرام والسلام *(وله الى محمد بن ابراهيم الشارى)* لعمرى ان اباى منذ لم اره لبالى وانى من جسمى لفى طلل بال وان العيش لا يبسم الا بثغره والعافية لا تطيب الا فى ظله ولكنى وقيذ أوجاع من حمى الى صداع وأخشى ان يأخذ منى لفح الهوى ما أخذه فلذلك لا ابرز عن البيت وانا فيه حتى كيت واما ابطاله ماذكرت

فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح

وقوله في مدينة حلب

عليك بصهوة الشهباء تلق * بجوشنها محاربة الزمان

فللعرفان في الفردوس ريح * يفوح شذاه من باب الجنان

ومن مجونه فيمن رتبوا له أربعة دراهم قوله

كل يوم رتبوا لى ربعة * لك فازددت علينا صعصعه

فلو استفتيت في سيدنا * قلت يستأهل قطع الاربعه

ومن لطائفه قوله

ناعورة مذعورة * ولهانة وحائره الماء فوق كتفها * وهي عليه دائره

ومن نكته الغريبة قوله

زوجة مجد الدين والداها * في اخذ عرض المجد اشبهاها

ان أباها وأبا ابا ها * قد بلغا في المجد غايتاها

وقوله

مليحة مصطولة * ان لمتها فيما جرى

تقول كل ظبية * ترعى الحشيش الاخضرا

ومن اغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله

كرهت وضوأ من قناة تساقطن * دماء الرعايا وبصخرة مسلم

ستشرق في يوم الحساب بذامة * كما شرقت صدر القناة من الدم

ومما تخيرته من تأليفي الذي وسمته بتحرير القيراطي رحمه الله تعالى قوله

البدر طلعة وجهه * وعذاره هالاته

وخفوق قلبي في هواه * سعيدة حركاته

وقوله

اجريت دمعي فذا فنيت لبعده * اجريت مني باسياف الجفون دمي

ان ملت عن ورع القد يا أملي * لتقرعن على السن من ندم

وقوله

اسندي ثم ألم تحت طاق * له والدمع يجري كل وقفه

وكم يوم عبرت له زقاقا * أحاول غفلة وأروم عطفه

وقوله

لما تبدى قوام قامته * وحاجباه لناظر العين

رأيت موقع بسهم ناظره * من قيد رمح وقاب قوسين

وقوله

تنفس الصبح فجاءت لنا * من نحوه الانفاس مسكيه

واطربت في العود قمرية * وكيف لا تطرب عوديه

فصدق ان عله لا يسيل لها الدماغ ولا تذوب منها الاضلاع ولا ينقطع بها النخاع ولا يتغاص فيها الفؤاد ولا ينفر منها الطبيب ولم يبتغ لها الحضار ولم يتقساف لها الحال ولم يجر فيها حديث النائحة ولم يتداو منها بالرائحة حقيقة ان لا يساء بها الصديق ولا يغضب عن الطريق وعلى كل حال فاذا اخفت وطأة الهوى وحال وقت المسا اعبت لعباتي الى حضرته متزودا من طلعته ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

والله اني لارحم عقل طرفة اذ قال

وقوله

ارتاح للاقمار وهى طوالع * وشموس راحى للمغارب تجنح
ويهزنى زجل الطيور بلحنها * والروض بالزهر النظيم موشح

وقوله

يا أمير الجمال قل * فالمراسيم تستمع
أنا مملوك الذى * لك قلبى غدا تبع

وقوله

فى جفنه سيف مضاربه * يا صاح اسبق لى من العذل
وبخده والردف لى خبر * قد سار بين السهل والجبل

وقوله

شبه السيف والسنان بعينى * من لقتلى بين الانام استحلا
فابى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

وقوله

هويت ظبا خاله نصبة * نيرانها للقلب جنات
يكسر اجفانا اذا مارنى * لها على الارواح نصبات

وقوله

اهيم باعطاف القدود صبابة * وان هى زادتنى جفا وتباعدا
ويعجبنى بين الانام تطفلى * عليها اذا شاهدتهن موائدا

وقوله

اباح لى نرجس الحافظه * فى مجلس ما فيه ما تنكره
فقلت وردا لخد لى به * أيضا فقال الكل فى الحضره

وقوله

قال لى بالحمى غزالى لما * لم أجد من ظبا الجفون ملاذا
كيف جاءت اليك اسياف جفنى * قلت جاءت على الحمى فولاذا

وقوله

فى وصف خمر الثغر منك نوادر * تزرى بحسن نوادر ابن عتيق
واذا وصفت رشيق قدك عندما * هز القوام لنا فما ابن رشيق

وقوله

جفنى وجفن الحب قد احرزا * وصفين من نيلك يا مصر
جفنى له يوم الوداع الجفا * وجفنه الساجى له الكسر

وقوله

خدمت بالاغزال أبوابه * لما تبدى حسنه الباهر
ولى من الدمع على خدمتى * جراية اطلقها الناظر

وقوله

وليت لنا مكانا الملك عمرو
رغوثا حول قبتنا تدور
كيف ضرب المثل فى الشر
وقلة الخير بما هو خير له ان
الرغوث لتغذوه برسلها
وتصبوه بنسلها وتكسوه
بصوفها وتنفعه بيعرها
وتغيظ عدوه بسراحها
وتقرعينه برواحها
وتملا بيته اقطاوسمنا
وحسبك من غنى شبع ورى
ثم ارجع الى حديثك تمنى
مكانه رغوثا وانا اتمنى
مكانك برغوثا ان
البرغوث اجدر منك ان
يغوث كنت اعلم انك
عرشى والعرشى تيس
وحشى وما حسبتنى افقد
منافع التيس فعلى الله
حسن الخلف منك ومن
الظن كان بك والسلام
(وله أيضا)

وقوله

الدمع والجفن فيه * لى شاهدان بحزنى
فالجفن يسقط دمعى * والدمع يجرح جفنى

وقوله

عبدك يامن جفا وصدوما * درى بصب يموت بالكمد
جرى على الخد من مدامعه * فى الحب ما لا جرى على أحد

وقوله

فى خده من همت به شامة * ما الند فى نفحه ندها
والعنبر الرطب غدا قائلا * لا تدعنى الا ياعبدها

وقوله

ومخايل نبت العذار بخده * وله مخايل بالملاحة تشهد
لما رآنى قانعا بخياله * نزل العذار بوجنتيه يسود

وقوله

مال الى الهيئة ذو هيئة * فاتنة الالباب باهرة
فخاله فى خده نقطة * عذاره أضحى لها دائره

وقوله

انظر الى سطر عذار بدت * من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن لمن * قدراحت الارواح فيه غلط

وقوله

جزت النقا فحويت لين غصونه * وكثيب واديه وجيد غزاله
وأخذت حسن البدر منه وقد بدا * فى افقه بتمامه وكماله

وقوله

ويوم توالى القطر فيه بجانبى * بشمس الطلا بدر يفوق على البدر
فعانقت لما مال عطفه قده * وقبلت معسول اللمى عدد القطر

وقوله

يامن تيمك صبه فى عشقه * بالروح لا بخل فعشقى زائد
بالفضل جعلى ان دمعى جعفر * والوجد يحيى والتشوق خالد

وقوله

ياهاجرا اوقعنى هجره * وصده فى حالة صعبه
أخذت قلبى بالتجنى وما * تركت لى منه ولا حبه

وقوله

قلت له لما زها حسنه * على بدور التم ما احسنك
وقلت للاثم بالاعمى * فى خده الناعم ما اخشنك

ياسيدى اشعار كبير الشوق واشغال كثير الاماني وأيام كانها الليالى وآمال كعهد الموالى معاذيرى اليك واتكالى علمك لديك ان استقصرت كتابا اوذممت عهدا أو اطلت عتبى ولك بعد العتبى والمودة فى القرب والكرامة والنعمى والمنزلة العظمى والقلب وخلبه والصدغ ورحبه والعين وما سقت والنفس وما وسقت وخير اوقاتنا وقت ذكراك وخير منه يوم نراك ويابرح شوقاه اليك وطول عهداه بك مورده ورهنت لسانى بما اكره ضمانى وهو ادام الله عزه يخرجنى عن عهدة ما بذلته مشكورا

ومن لطائف مدائحه قوله

اوصافكم تسرى احاديثها * مسرى النجوم الزهر فى الافق
كأحاديث الندى عندكم * تسندها الركبان من طرق

وقوله فى اليعانق الموقت

شهاب الدين ذو فكر بسعت * وبالفلك المحيط غدت محيطه
غدا فى العصر شيخ الوقت حقا * وفى اوضاعه ملك البسيطه

ومن اغراضه قوله

قناطر الجيزة كم قادم * عليك يلقى فيك اقصى مناه
أتاك قوم لاطة فانحنى * ظهرك للوطء وصب المياه

وقلت فى هذا المعنى

وقالوا كيف النيل يجرى وقد غدا * عليه حاوى السبق قلت كما جرى
ولكنه نحو القناطر اذ أتى * تجـــرى عليها معجبا فتقنطرا

و يعجبنى من اغراضه اللطيفة قوله

كم عالم قد اشتكى * فى الفقر طول مكثه
وكل ثور سارح * زيدله فى حرثه

وكتب الى الشيخ صلاح الدين

يا صلاح العلا صفاء ودادي * لا يرى عن أبى الصفا متحولا
فدع العتب انني لست ممن * لا يراعون فى الانام خليلا

ومن لطائفه قوله فيما يكتب على طاسة

تأمل فاني طاســـة صح نقشها * وفاق على نقش الغوانى التى تسبى
وواصف حسنى اطرب السمع قوله * كأنى فى الكاسات داخلة الضرب

وقلت فى المعنى

انا طاسة قدرى تجاوز وصفه * نهر المجرة للنجوم موارد
وتسارح القمر المنير لحسنه * فقمرته وعليه نقشى شاهد

وقلت أيضا

أنا طاسة يضيف وجهى عندكم * وصفا لكم قلبى عنه رائق
عـذبت موارده بأنى يجتنى * فتنزهوا بين العذيب وبارق

ومن اغراضه اللطيفة فى باذهنج قوله مضمنا

بروحى أفدى باذهنجا مؤكلا * بإطفاء ما يلقاه من حرق الجوى
اذا مدحت أوصافه قال منشدا * على انني راض بان احمل الهوى

ومن اغراضه قوله

اطربنا العود الى أن غدا * مقامنا يرقص مع صحبه
فشمعنا قام على ساقه * وكاسنا دار على كعبه

ان شاء الله تعالى
(وله الى ابى القمر بن شاه)
اظنك يا سيدى لم تسمع بقول
القائل
اسمع نصيحة ناصح
جمع النصيحة والمقه
اياك واحذر ان تكو
ن من الثقات على ثقة
وصدق الشاعر واجاد للثقات
مسألة فى بعض الاوقات
هذه العين تريك السراب شرابا
وهذه الاذن تسمعك الخطأ
صوابا فلست بمعذور ان
وثقت بمعذور وهذه حالة
الواثق بعينيه السامع باذنه
وأدرى فلا اكثر عشيانك

وقوله

وقوله مضمنا

درب الحجاز لقد شرفت منازلا * قدر المنازل من سواها نازل

كم سرت فيها نحو مكة منشدا * لك يا منازل فى القلوب منازل

ومما اخترته من الابيات العامرة للمعمار رحمه الله قوله

ان قام يتلو سورة الشمس المنيرة فى ضحاها

يا حسنه فكانه الشمس القمر المنير اذا تلاها (هى)

ونقلت من تذكرة الشيخ عز الدين الموصلى بخطه بيتين للمعمار وذكر انهما خارجان عن الديوان وهما من اللطائف فى هذا الباب

لما تبدى عذار الحب قلت له * رفقا ومهلا عليه ايها الجانى

ولا تخشن فما فى الخد محتمل * بان يخط عليه عرق ريحان

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

وخادم قبلت مشروطه * فى خده لكن رأيت العجب

من ناعم حلو فناديته * ما انت يا مشروط الارطب

وقوله

غلالة قلبى خادم قد هويته * من الهند معسول اللمى اهيف القد

أقول لصحبى حين يرنو بلحظه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

وقوله

لثمت عذار محبوبى الشرابى * فقال تركت لثم الخد نهبا

حفظت الانسبون كما سمعنا * ورحت تضيع الورد المربى

وقوله

صاد فؤادى من بنى العرب فتى * له من الحسن اتصال ونسب

فصحت فى الحى وقلبى طائر * يا عربا اهل ذمام وحسب

عيبا كم أن تنشدوا حشاشة * فى حبكم ضلت بوراحت يا عرب

وقوله

رحلوا عريب المنحنى * وفراقهم ما كان اصعب

املتهم ان يرجعوا * والموت لى من ذاك اقرب

جئت الحمى لارى الخبا * م فلم يلح فى الحى مضرب

ومنه قوله واجاد

كانى بطباخ تنوع حسنه * ومزاجه للعاشقين يوافق

لكن مخافى من جفاه وكم غدت * منه قلوب فى الصدور خوافق

ومنه قوله

رب جزار هواه * صار لى لحما ودما

فزت بالالية منه * ولمتلا قلبى شحما

وهو الذى دخلته الردى جلده السيئ وصلته الخبيث كانه وقد قاسمته فى زرك وجعلته موضع سرك فارنى موضع غلطك فيه حتى أريك موضع تلافيه افظاهره غرك ام باطنه سرك وبلغنى انه عرض على أخيك خلعة فلبسها العبد كما بالله انها خدعة ظاهرة النور وباطنة الغرور كامنة الدور كسملة السنور عرض على الجرذان نقلها من جحر الى جحر بوقرمن السمسم فقالت الجرذان سفر محتضر والكرى خطر لكن فى الطريق تظر يا مولاى يوردك ثم لا يصدرك ويوقعك ثم لا يتدركك فاجتنبه ولا تقربه وان حضر بابك فاكنس جنابك وان مس ثوبك

وقوله

حاكمت فى شرع الهوى قاتلى * ولى دم طل على خده
فاتهم الحاكم لحظاته * تحقق الفتنة من عنده
مال الى الحق فلما رأى * قد حبيبى مال مع قده

وقوله

أصاب قلبى خطائى * بلحظه اشقانى
فرحت من فرط دائى * اشكو الى الحكماء
قالوا اصبت بعين * فقلت من علم دائى
ان كان هذا صوابا * فتلك عين الخطائى

ومن لطائفه قوله

رحت يوم الفراق اجرى دموعى * حسرة اذ قضى الزمان بينى
قيل كم ذا تجرى دموعك تعمى * اوقف الدمع قلت من بعد عينى

ومن لطائفه قوله

شكوت للحب منتهى حربى * وما الاقيه من ضنى جسدى
قال تداوى بريقتى مصرا * فقلت يا بردها على كبدى

ومن لطائفه قوله

قلت له لما وفى موعدى * مختفيا من حاسد معتدى
رب كافر حتى بالوفا * اسبل على الستر يا سيدى

وقوله

وبى غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره
فعاطفت معاطفه بوصل * وفى عينى بعد الهجر قطره

ومن لطائفه قوله

لو انصفت لأشارت بالسلام على * متيم ما قضى من وصلها وطره
باصبع انما عضت انامها * حتى ولا واحدا منه فو من العشره

ومثله قوله

لو رأى دور ثغره * عاذلى فى التبسم
ذهبت روحه كما * قيل فى دور درهم

وقوله

فى خد من احببته * ورد بدا لم اجنه
وشامة ذقتها * حلاوة فى محنه

ومن لطائف قوله مع التضمين

عزمت على رقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين اقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت ببسم الله فى النظم اولا

فاغسل ثيابك وان لصق بجلدك فاسلخ اهابك وان كان ما أودعه صدرك قد تمكن من قلبك فليس الاشر بة من المطبوخ تتبعها بحاذق من الطبوخ برهان عن طاهرك وباطنك ما اودعه ثم افتتح الصلاة بلعنه واذا استعذت بالله من الشيطان فالعنه والسلام

(وكتب الى عمار بن الحسين)

لما أجد لعمار مثلا الا الغراب لا يقع الا مذموما على اى جنب وقع ان نعب فروعة النذير وان حجل فمشية الاسير وان شحج فصوت الحمير وان اكل فدبر البعير وان سرق فبلغة الفقير كذلك عمار ان حذفت عينه فالحين وان حذفت ميمه فالشين

ومن بديع مديحه قوله

لابن فضل الله فضل * غمر الفضل ووفى
كيف لا وهو علىّ * علم السر واخفى

وقوله

ايا بدر المحاسن حزت جودا * وفضلا شاع بين العالمينا
وكنت من الكرام فحزت خطا * فصرت من الكرام الكاتبينا

وقوله

قسما بما أوليت من احسانه * وجميل ما عشت طول زمانى
ورأيت من يثنى على عليائه * بالجود الا كنت اول ثان

ومن اغراضه قوله

ما مصر الا منزل مستحسن * فاستوطنوه مشرقا أو مغربا
هذا وان كنتم على سفر به * فتيمموا منه صعيدا طيبا

وقوله

جاء الرخاء وفاض النيل وانفرجت * عنا الهموم وهان القمح ثم رمى
وراح خزانه للنيل ينظره * فاشكتر الماء فى عينيه ثم عمى

وقوله

حزن الخزان لما أن رأى * نيلنا قد عم سهلا وجبل
ورأى الارض لنا قد اخرجت * سنبلات ذات حب فاختبل
وبكى اذ رمدت اعينه * زادها الله عروقا وسبل

وقوله

سمعت يوما سد مصر يقو * ل النيل وافى زائدا عندى
وكان هذا خبرا صادقا * فرحت اروبه عن السدى

وقوله

لائمى فى الشباب دع عنك لومى * لست ممن تروعه بالعتاب
ايها الشيخ هات بالله قل لى * اى عيش يحلو بغير الشباب

وقوله

وشادن ليس له شارب * ولا عذار بل له طره
كفايتى من ريقه شربة * واحسرتى منه على جره

ومن لطائف مجونه قوله

شهر الصيام تولى * فراقه يوم عيد
فقيل شيع بست * فقلت ايضا وسيدى

وقوله

قلت هلال الصيام ليس يرى * فلا تصوموا وارضوا بقول ثقه

وان حذفت راءه فالرين وان صحف خطه فالمين وان لاصقته فالمعاذير الكاذبة وان استقصيته فالوجه العبوس وان صدقته فالظفر اللئيم وان كذبته فالعقاب الاليم وان زرته فالحجاب الثقيل وان لم تزره فالعتاب الطويل

(وله الى أبيه)

ان الابل على غلظ أكبادها لتحن الى بلادها وان الطير لتقطع عرض البحر الى مظانها وبلغنى ان ذا اليمينين طاهر بن الحسين لما ولى مصر وافاها مضروبة قبابها مفروشة ارضها من خرقة جدرانها والناس ركبانا ورجالا والنثار يمينا وشمالا فاطرق لا ينطق حرفا ولا يرفع طرفا ولا يهش الى احد فقيل له فى ذلك فقال ما أصنع بهذا

فقالطوني وحققوا ورأوا * وكل هذا من قوة الحدقه

وقوله

ايري مع المردخاب مخبره * مذعاملوه معشر النصبه
فضيعوا راس مال حاصله * اذ كسروه وقام بالنقبه

وقوله

ايري اذا اذنبته * لحاجة تختص بي
قام لها بنفسه * ماهو الاعصبي

وقوله

تأخرت لعذرها * قلت لها تقدمي
أيري هذا عصبي * يدخل معك في الدم

وقوله

لي أير فيه كبر وجفاه * وهو مني بالقوي والي
كلما أغضبني أرضيته * واذا أرضيته قام علي

وقوله

أيري مغري باللواط الذي * يقبح لاسيما على مثله
أوقف حالي لا تسل ما جرى * وصرت خلف الناس من أجله

وقوله

وبت ايري اذ جاء ملتمسا * بذاك من غفلة فما اكترثا
بل قال لي حين لمته قسما * ما جزت حام فمر معتبثا
كيف وفيها طهارتي وبها * أقلب ماء وارفع الحدثا

وقوله

ياليلة قضيتها * فهل تراها عائده
عمود أيري قائم * وهي عليه قاعده

وقوله

وصغيرة كلفتها * أيري فقالت ويك باغد
ماخلت يحمل ذا العمو * د من النسا الا القواعد

ومثله

صغير نام على وجهه * وقال حكك قلت لا فائده
قم أدخل العامود ياسيدي * فقال لا تنخرم القاعده

وقوله

عميرة قام يبتغي نكدي * جاحدته ثم قلت ياولدي
ها أنت في قبضتي تطاوعني * وان عصاني خصاه تحت يدي

وقوله

وليس في النظائر جائز وشنيع والعجب من حاضر انطاكية صاحب بيت وقد كذب وعذب وقتل وجرجره وأهانه قومه من أجله وقيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فكأنه تمنى الجنة باقيا قومه على سوء جوارهم وقبح آثارهم فهذا أخو كندة يزعم ان لا ينعم من كان أقرب عهده

قوله عميرة هو كناية وقد خطر ببال هذا الشاعر غلطا انه كناية عن الذكر وفي شرح القاموس انه كناية عن الكف والذي غره عبارة القاموس حيث قال وجلد عميرة كناية عن الاستمناء باليد ففهم منها ان عميرة كناية عن الذكر وليس كذلك اهـ مصحح

وقحبة ذات حر يابس * يعمل كالسندان رصى الشديد
تقول قسم طرقه لى لاتنم * فقلت مالى زبرة من حديد

وقوله

اطعمت ابرى كى ينا * م وقلت قر فما استقر
بل قام يسعى قائلا * أنا من اذا طعم انتشر

وقوله

قد ذبت من كربى لفقد الدسا * أفور كالتنور من ناريه
وقد طغى الماء فمن لى بأن * أحل بالجودى على جاريه

وقوله

لو رأى فقحة حبى عاذلى * وهى تجلى فى ثياب سندسيه
لغدا العاذل فيها عاذرا * وتفاصلنا على بيضانقيه

وقوله

سألت وصال حبى قال دعنى * فانك فى افتقار لاتجاب
فقلت له حبيب القلب أدعى * بذى فقر وفى وسطى نصاب

وقوله

وصاحب انزل بى صفعه * غضبت اذ ضيع لى حرمتى
فقال فى ظهرك جاءت يدى * فقلت لاوالله دلى رقبتى

وقوله

سألته لى صفعة قال لى * جنايه الدسعة مامنه بد
صاع من التمر احلى به * قلت له اعطيك صاعا ومد

وقوله

لج العذول ولامنى * فيمن احب وعنفا
فهممت الطم رأسه * لما بليت تاسفا
لكننى زاقت يدى * وقعت على أصل القفا

وقوله

جئت نلل بلاطف الجرحى * قات له يا اخا الرضا صف لى
فى عنقى دمل به ورم * قال تداو بمرهم النمل

وقوله

قالوا عشقت الشباب جهلا * فعلك هذا هو القبيح
فقلت قد قيل كل شئ * يأتى على وجهه مليح

وقوله

بدا بخد الحبيب شعر * وسفله يا اخى سالم
فكان كالطوخ اذ ينادى * عليه ذا مشعرو ناعم

ثلاثين شهرا وثلاثة احوال فاطنه بى لاحدى عشرة سنة على انلى برسول الله اسوة حسنه وعسى الله ان يأتينى بكم جميعا او يأتيكم بى سريعا ان شاء الله تعالى.

(وله أيضا)

اطال الله بقاء الشيخ الرئيس طالت الاذيال وكثر العيال وضاق الاحتيال فالحلال قل والحرام حمى الله ومن أخفر الله وجد الله قويا عزيزا وبقيت شبهات هن مواقف العثار بين الجنة والنار حتمتها الى بأس الله وآخر الى عفو الله انا عليها أدور وفيها أخوض وحولها أحوم وهى ان لم تكن طعمة الاخيار فليست بآكلة الاشرار واحق من اعان على صالح النية وطيبه

وقوله

وعاجن يهوى الصفا * ع ولم يكن اذذا الذقنى
سلمته عنق الدقيــق فراح يخفـلهبقبن
ماان أذنت له رضا * لكنه من خلف اذنى
لولا يد ســبقت له * لامرته بالكف عنى

ومثله قوله

ومازحة تهوى المجون ولم تزل * تباسطنى لطفا بطيب مجونها
تقول وقد تاهت بلين قوامها * وقلبى مفتون بسحر عيونها
بعيشك هب لى صفعة ثم أقسمت * على صبها المضنى بنور جبينها
فلما جرى منها اليمين واكدت * مددت قفاى فسحة ايمينها

ومن عجائبه وغرائبه قوله

جاءت بخدين كالعجين * فقلت ماذا سوى الحبق
ذات حر واسع عميق * كأنه ترعة العبيق
عليه شعر لونسجته * بجاء مسحا لراهبين
وفاض ماء فقلت لما * عاينت منه غسلى بعينى
تقول لم لا تجر ألفا * اجبتها باسط اليدين
ان كان قصدى عليه بجرا * غرقت فيه بجرتين

ومنه قوله

وان من الخدام من ليس ترتجى * مكارمه فالبعد عنه غنائم
ولا تك ممن يهتمهم بحشمة * فليس لهم بين الرجال محاشم

وقوله

فلان والجماعة عارفوه * وان ابدى التنسك والزهاده
يموت على الشهادة وهو حى * الهى لا تمته على الشهاده

وقوله

لما جلوا لى عروسا لست اطلبها * قالوا اليهنك هذا العرس والزينه
فقلت لما رأيت النهد منتفشا * رمانة كتبت باليتها تينه

وقوله

ابيت من الافلاس والفقر طاويا * لقد زهدونى العشق قهرا وسلونى
وقالوا اتحب البيض والسمر قلت لا * احب من الالوان تحمية اللون

وقوله فى المواليا

طرف لمح حسن رايس قرحوا تقريح * اوسق بصدى وسمى الهجر بالتصريح
قذف لعرضى وخلانى من التبريح * دمعى انحدر والعوازل تقذفوا فى الريح

الطعمة من صلبت نيته وطابت طعمته وأخذ الدهقة فى زماننا هذا خير المطاعم وأبعدها من الملاوم فان ضمن لى مضارها توليت منافعها فكان لى تثميرها وارتفاعها وعليه عشرها وخراجها والا اكلت اللحم نضيجا وأخذت الثوب نسيجا ولزمت التجارة المأمونة والحرفة الميمونة فليغلب

قوله جاءت الابيات هى من مخلع البسيط ووزنه مستفعلن فاعلن فعولن ست مرات وهى على ماتراه هكذا فى جميع النسخ وهى وان كانت لها ممار الان الطبقة الاولى من بيته الثالث والثانية من بيته الرابع خراب لانه حين وزنها كان ميزانه مخلعا اه مصحح

وقوله

مزحت يوما مع الحب الرشيق القد * وقلت آهى على قبله بعض الخد
فسل سيفو من الحاظو لقتلى حد * قلت انتهى الامر ياحبى الى ذا الحد

وقوله

رمى اصاب صميم القلب زين الزين * واصبحت منه فى قلق اخشى حلول الحين
وكنت لم اشك قبل الحب وشك البين * سالم من العشق حتى صابنى بالعين

وقوله

يقل لها زوجها لاتختشى من لوم * ولاتنى كل من فى الارض وانا الكوم
واتبنى واطعمينى ابق من ذا اليوم * انعس وأرقد ومثلى لايرى فى النوم

وقوله

قلت لمن تركتنى بالجفا ناحل * وصلك بكم وارحمى ذا العاشق الناحل
قالت بعينيها جل قات انها انا راحل * مالى بمال ولكن نخل فى الساحل

وقوله

قالت لى اخبر وروى قابى الظامى * واصدقنى اعطيك ماخانى وقدامى
عهدى بابرك رفيق خرط لاقلامى * وقدنما قلت ابرى لم يزل نامى

وقوله

قالوا توق الشتا كم قد صرع اعيان * يصدمك تعمى وذاشى يعرفوا العميان
انهض تحلل ودع لعبك مع الصبيان * قلت يجى انى لومنى عريان

ومن لطائف العلامة الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى رحمه الله تعالى فى باب التورية

قوله

من هجر سلمى ماسلمت ومن ترى * يقوى لحمل الشوق والهجران
لاتغتر يوما بحلو رضابها * فلقد بدا من قدها مران (نى)

وقوله

وشادن ظلت غصون الربا * لما رأته مقبلا ساجده
سألته من ريقه شربة * فقال ذى مسئلة بادره

وقوله

ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كظلى حين أطلب منه وصلا
وأسبله على الارداف منه * فلم ارمثل ذاك الفرع أصلا

وقوله

ركبت فى بحر هواكم مركبا * قذفت فيه يد التبريح
فانحدرت مدامعى واقبلت * عواذلى واقلعت فى الريح

وقوله

هجرت فاحشائى توقد جرها * هذا وابست فى المحبة فاتره

فيهما رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

انا اطال الله بقاء الشيخ وان كنت امشى بالنهار على الماء واعرج بالليل الى السماء وازعم ان الشمس لاتخرج الظلى وان الماء ينبع من تحت رجلى فانى من جملة هذا البشر ومن عرض هذا المحشر آكل مما يأكلون وأشرب مما يشربون ولا غنى بالمرء عن طعمة طيبة اوخبيثة فالمحمود من تحرى طيبها والمذموم من تناول خبيثها وأرانى طيب الطعمة كريم المأكل واما على ذلك مذموم وهذه الضيعة ارتهنت بعضها بغلق وابتعت بعضها بغلق وقد زنا نبك فنا كونا فلعن الله القدرية وابعد فالحاسد العتبى وللكاره

وتظل تحرقنى بنيران الجفا * ومن الذى يقوى لنار الهاجره

وقوله

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل فى الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

وقوله

يقول عذولى للدموع وقد جرت * على اثر محبوب برى مهجتى بريا
تأنى فقد لاح العذار بخده * فقالت له والله قد زدتنى جريا

وقوله

قد زاد فى التفنيد لى عاذلى * على هوى من لم أطق بينها
حتى بدا من لحظها صارم * فقرلما ان رأى عينها

وقوله

لا تنكروا أنى تركت معذرا * اضنى الفؤاد بلوعة التبريح
لما بدا شعر بصفحة خده * قابلت ذاك الشعر بالتسريح

وقوله

عارضنى العذال فى عارض * قالوا بالطف بعد ما اطنبوا
ما آن للعارض ان ينتهى * قلت ولا للشيب لا تتعبوا

وقوله

قاس الورى وجه حبيبى بالقمر * بجامع بينهما وهو الخفر
قلت القياس باطل بفرقه * وبعد ذا عندى فى الوجه نظر

وقوله

لما ثنى العطف ثنى مهجتى * اليه ظبى فى الهوى شارد
ناديت اذ صرنا بلا ثالث * يا ثانى العطف عسى واحد

وقوله

قال العذول عندما * شاهدنى فى شغلى
بمن فتنت فى الورى * فقلت دعنى بعلى

وقوله

يا باخلين بالسلام جهدهم * من ذا رأيتم شح يوما بالكلام
لا تعنموا عنى السلام سادتى * فأنتم قصد المعنى والسلام

وقوله

يا مليحا روو النا عنه حسنا * وقبيح ان لم يكن تم حسنا
طبت لفظا مع الرواة ولكن * ينبغى ان تكون فى الدهر معنا (معنى)

وقوله

اميل اليه كى يميل فينثنى * ويعرض ابصرت القضيب اذا انثنى

الرضا يردعلى المال والبيع
باطل والشان انى اعيش
عيش الجعل بين السرقين
والعمل وانا على ذلك محسود
ان من اشراط الساعة
ان ترى الناس يحسدون
الكناس ليت شعرى
ما يمنع الامتاذا عزوالله
اذا نزل بباب الامير وآخذ
بأذناب الحير وانتقل من
العراق فقعد بالرستاف
ولعل مقتدرا يقدر أن لى
فى هذه الفلاحة فلاحا فانا
فى العمارة شريك أبى
العبس فى التجارة وانما
الحسم للبيع لا للربيع
رأيت رجلا يندم أن ولده
آدم او بألم أن يسمه العالم
يحسد فى قرية يشتريها
والله لولا يدتحت الحجر
وكبد تحت الخنجر وطفلة
كفرخ يومين قدحبيت
الى العيش

ويطرحنى

ويطرحنى عن بابه لا يدنى * فيلبسنى من طرحه حلة الضنى

وقوله

وليلة مرت لنا حلوة * ان رمت تشبيها بها عبتها
بت مع المعشوق فى روضة * وبات من خرطومه المشتهى

وقوله

است أنسى رقة العيش الذى * زاد فى الرقة حتى انقطعا
فرعى الله زمانا بالحمى * وحماه وسقاه ورعا

وقوله

بدا ليل العذار بخد بدر * يفوق البدر حسنا فى الكمال
فلا تطمع عذولى فى سلوى * فعشقى لا تغيره الليالى

وقوله

بروحى أفدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن فى ذلك الخال

وقوله

راحت منى روحى فهذى مهجتى * من بعد ذا وجدا بها قد طاحت
فاترك ملامك يا عذول فانما * هى مهجة رحلت على من راحت

وقوله فى القاضى علاء الدين بن فضل الله

لقد أعطى علاء الدين مالم * توف بشكره المداح طرا
هما فسوا الكرام الى حتى * دخلت مبردا وخرجت فرا

وقوله فى القاضى تقى الدين بن صالح مع بديع التضمين

بجود تقى الدين أصبح دهرنا * ونحن الحواشى معلما بالمدائح
فيادهرنا حزت المفاخر فافتخر * اذا نحن أثنينا عليك بصالح

ومن اغراضه قوله

اعدى احتراق النيل اكباد الورى * فغدت تذوب تلهبا وتلهفا
وتزايدت نيرانها من نقصه * فاذا به طاف البلاد وقد طفا

ومن نكته اللطيفة وقد أهدى له بعض الوزراء فى عيد الاضحى كبشا

وزير الملك عيد ألف عيد * فانت الصاحب الخلق الجميل
لقد منيت فى الاضحى بكبش * ملئ بالغنى كاف كفيل

ومن لطائف مجونه قوله

وناحل اضحى بصدغ وقد * حنت له داو وقد جريال
سألته كاسا أطفى بها * نيران احشائى فصبى لى

وقوله

قلت لبزاز على خلوة * واصل فتى ينسب للخرقة

وسلت عن رأسى الطيش
اشمخت بأنى عن هذا المقام
ولكن صبر جميل والله المستعان
*(ومن فصوله رحمه الله
تعالى)*
ياهؤلاء لا تكابروا الله فى
بلاده ولا تراودوه عن مراده
ان الارض لله يورثها من
يشاء من عباده
(وله أيضا)
لى أيدك الله على الكلب
ابن الكلبة والبابس ابن
الرطبة والضيق ابن الرحبة
والعلق ابن القحبة مال قد
عفا رسمه لما نسجته من
جنوب وشمال وقد مطلنى
مطل النعاس الكاب ولا
أعرف جرما غير أنى منعت
دمه أن يسفك وستره أن

وخالى أصفق ولو صفقة * فانت ماتخسر فى صفقتى

وقوله فى العنب العاصمى

وعاصمى قد غدا طعمه * اروى من الماء الذى الحائم
أورث خلى اكله هيضة * فاعجب له من مسهل عاصم

وقوله

جاء فحوى معذر * بعد ما عز مطلبه
قلت ذا الاير ميت * ظل يبكى و يندبه

وقوله

تطلبت بحرا فى الظلام فلم أجد * ومن يك مثلى حيث دأبه البحر
فنادانى البدر الاديب الى هنا * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومن لطائفه مجونه مع الشيخ شهاب الدين أحمد بن ابى حجلة قوله

يكذب من ينسب البغاء الى * شاعرنا المنتمى الى حجله
ما هو بغا كما يقال لنا * بل هو ثور يدور بالعجله

وقوله فى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

لعلاء الدين ذقن * تملأ الكف وتفضل
فاعمل المنخل منها * لدقيق العيد والنخل

ومن لطائف الشيخ بدر الدين بن الصاحب فى باب التورية قوله وتلطف ماشاء

حبيب لى طبيب لم يزرنى * سوى بالطيف فى ظلم الليالى
رآنى ناحلا من فرط شوقى * فاهدى لى مزوره الخيالى

وقوله

وعدتنى بخيال * يزور طرفى مناما
فشاب رأسى انتظارا * وما بلغت احتلاما

وقوله

يا هلالا قد تسامى * وله الصدغ علامه
اشتهى لو نلت خطا * منك مقدار قلامه

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

يقبل الارض لازالت مقبلة * من بعد ثغرى بثغر الروض والزهر
ويسأل الله جمع الشمل منتظما * ودمعه قائل يامنزل المطر

وقوله

جفنى عليك ساهر * بحرقة قد ذقتها
ودمعتى جارية * ان زرتنى عتقتها

وقوله فى قيم حمام

وقيم قيم فى حسن صنعته * حاز الجمال على حسن من الترف

بهتك وداره وان تخرب وماله أن ينهب ولى عنده تذكرة تطلع كل يوم من جرمانه فلا أدرى كيف نسيها على قرب مكانها من مكانه فليقضه ماعليه وليذكره التذكرة لديه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

كتابى أطال الله بقاء القاضى كتاب من ينسى الايام ويذكره ويطوى العالم وينشره و يعقد من عصره عليه خنصره ثم ينبذ ابناء دهره وراء ظهره ويخرج أهل زمانه من عهدة ضمانه فاذا تسلمهم بيمناه وسلمهم بيسراه تيقن أن صفقته هى الرابحة وكفته هى الراجحة وانى أيد الله القاضى على

لو يصدم البدر انى البدر من كلف * لكنه لم يزل ما بى من الكلف

وقوله

فتنت بنبت من عوارض خده * فها انا فى قيد الغرام أسير
ولا كان لى بالعشق قط تعلق * ولا بالهوى قبل العذار شعور

وقوله

اذا جلوا لى كاسى * بها حباب منتظم
علمت ان زمانى * بعد القطوب تبسم

وقوله

يا أيها العاصر بادر الى * عنقودك الفاخر فى كرمه
اياك أن تتركه ساعة * يزبب الحصرم على أمه

وقوله

يا حابس الكاس لا تزدها * من بعد حبس الدنان حسره
واغنم مزاجا لها لطيفا * اورثه الانتظار صفره

وقوله

أطربنا مشبب * من غير جعل سأله
يا حسن موصول له * لم يفتقر الى صله

ويعجبنى قوله

غنت فاغنت عن كؤس الطلا * بالسكر من لذات تلك اللحون
فقلت اذ هيمنى صوتها * فى مثل ذا الحلق تروح الذقون

وقوله

يا مهدى الاقصاب من سكر * صفرا حكى طول القنا طولها
اياك أن تقطعها ساعة * فأحسن الاقصاب موصولها

وقوله

ناحت حمام البان ام تاهت أسى * لم ادر ما عناؤها من شوقها
عجماء لا تظهر حرفا من شجى * كأنها مخنوقة من طوقها

وقوله

وذات طوق على الاغصان تذكرنى * قوام حسنك فى ضمى لمعتنقك
قد سودت وجهها نوحا نقلت لها * سواد قلبى يا ورقاء فى عنقك

ويعجبنى قوله

يا ليل ان الحبيب وافى * وخفت اسراع دهم خيلك
فطل وغش الصباح انى * دخلت يا ليل تحت ذيلك

ومن نكته البديعة الغريبة فى الشطرنج قوله

تأمل ترى الشطرنج كالدهر دولة * نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما

قرب العهد بالمهد قطعت عرض الارض وعاشرت أجناس الناس فما أحد الا بالجهل تبعته وبالحيرة نعته وبالظن أخذته وباليقين نبذته ما من حد وضعته فى أحد الا ضعته ولا مدح صرفته عن أحد الا عرفته ومن احتاج الى الناس وزنهم بالقسطاس ومن طاف نصف الشرق لقى نصف الخلق ومن لم يجد فى النصف لجة دالة لم يجد فى الكل غرة لائحة كان انا صديق يقول ثلثها ولا أثلث ثلثيه وهذا العمرى يأس يوجبه قياس وقنوط بالجملة منوط ودعابة تكاد تكون جدا ووراء هذه الجلة موجدة على قوم وعربدة على قوم

عمرك بها باق وتفنى جميعها * وبعد الفنا تحيي وتبعث أعظما

وقوله مضمنا

اميل لشطرنج أهل النهى * واسلو ممن ناقل الباطل
وكم رمت تهذيب لعابه * وتابى الطباع على الناقل

ومن اغراضه

لعبت فى الشطرنج فى غاية * تقصر الاوصاف عن حدها
ان صاح فى الاقران لى بيدق * تموت منه الشاة فى جلدها

ومن لطائف مجونه قوله

شاب الحبيب فقلت أهلا بالوفا * وازددت فيه تعشقا وتكلفا
والاير قام ولم يبل لمشيبه * فالراية البيضا عليه فى الوفا

وقوله

كم جار صرف الدهر فى حكمه * وضرنى من خبثه بعتى
ألبسنى من شيبتى حلة * قلت له والله عزيتنى

ومن اغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله

فى يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره
والوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقوله

النيل ألبس حلة * حمراء فى تخليقه
وله اصابع زينب * قد خضبت بعقيقه

وقوله

نادى منادى الوفا مصرا * اذ علقوا ستره علامه
من الفلا قد سلمت حقا * فبت فى الستر والسلامه

وقوله

كانت لمصر سترة * بالنيل منذ ولى خلت
فكأنه زوج لها * فبعده ترملت

ومن اغراضه البديعة قوله

فاخرت الاقلام سمر القنا * والسعد فى الاقسام مكتوب
فقلت للخطى لا تستطل * كلا كما للخط منسوب

وقوله

ولائم زاد لوما * فى أسود اشتهيه
وقال أسود تهوى * فقلت عينك فيه

ومن لطائف اغراضه فى مليح فوال قوله

انا ابن الذى فى الليل تسطع ناره * كثير رماد القدر للضيف يعمل

(وله من بحستان) والامير النبيه واسع مجال الهمم ثابت مكان القدم وأنا فى كنفه صائب سهم الامل وافر جناح الجذل والحمد لله على مايوليه ويولينا مما شرمواليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم وقد اعترضتنى أيد الله القاضى فصول لا أدرى بايها أبدأ أبالشوق فهو أحرى فى الرسم واصدق على الحال أم بالعتب فهو أحق بالكتب ام بالشكر فهو أولى بالذكر ولعمرى ان شكر المولى هو الاولى فهل حتى تسالب سرده وتقاسم برده أقول جزى الله هذا الملك السيد أفضل ما جازى مولى عن عبده وخدوما عن خلمه ومنعما

يطوف باقداح العوافي على الورى * ويصبح بالخير الكثير يقول

ومما اخترته من نظم الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة وقد تقدم قولي انه كان يرضى بالرخيص لاجل الكثرة قوله

بي من غدا ظاهري عليه المحنق * ولحظه لحظ ظباء رامه
ثم قلت من عذاره وقد بدا * في خطه يا كاتب السلامه

وقوله

يقول لي الحبيب أرى عذاري * يدب الحسن من وجهي اليه
تكلم في وظيفة حسن خدي * وقام بنفسه يسعى اليه

وقوله

وعاذل قد زاد في لومه * وقال لما هاج بلبالي
بعارض المحبوب ماتنتهي * قلت ولا بالشيب والوالي

وقوله

ياسائلي عن حالتي ما حال من * امسى بعيد الدار فاقد الفه
بي صيرفي لا يرق لحالتي * قدمت من جور الزمان وصرفه

وقوله

أصبحت ما بين الورى * كالواله المصاب
من هجر ذا القبطي الذي * ما كان في حسابي

وقوله

يقول جاري من بعد جور * وقد راى حرقتي وناري
دمعك ماشأنه ومن ذا * عليك قد جار قلت جاري

وقوله مضمنا

أقول لصب قلبه يشتكي الاسى * هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
عذلتك في ابن السكري والذي أرى * مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو

وقوله مضمنا

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ماعليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

وقوله في غلام يدعى مقبلا

يامن تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل حين يسأل
من لي بيوم فيه تقبل باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل

وقوله في جارية تدعى حكم الهوى

حكم الهوى صدق فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
ياعاذلي لا تلحني في حبها * نفذ القضا وكذا جرى حكم الهوى

ورأيت غالب مقطعات الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة في الباذهنج والقانوس ولكن نختار منها

عن نعمه وأعانه على همه فلو أن البحر مدده والسحاب يده والجبال ذهبه لقصرت عن بعض غايته حقا أقول ان التمر قبالبصرة أقل خطرا من البدرة بهذه الحضرة ولا أراها تحمل الى المتصعبين الا تحت الذيل في جنح الليل ولا شيء أكثر وجودا من الدينار بهذه الديار بينما المرء في سنة من نومه اتعب يومه وقصارى همته قوت ليلته اذ يقرع عليه الباب قرعا خفيا ويسأل سؤالا حفيا ويعطى ألفا خالصا هذا اذا لم تنصره وسيلة ولم تصبه فضيلة فاما أولوا الآمال فلا حد لما يصل اليهم من المال ابتد

مايحسن نظمه فى هذا السلك فمن ذلك قوله فى فانوس مع حسن التضمين

وكأنما الفانوس نجم نير * منع الظلام من الهجوم طلوعه
أو عاشق أجرى الدموع بحرقة * من حر نار تحتويه ضلوعه

وتقدمه فيه مجير الدين بن تميم فقال وأحسن التضمين

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه بدموعه * وتعد من تحت القميص ضلوعه

وقال فيه ابن أبى حجلة وأجاد مع حسن التضمين

يحكى سنا الفانوس من بعدلنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به اجفانه

ويعجبنى قوله مع حسن التضمين

أنا فى الدجا ألقى الهوى وبمهجتى * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
فكأننى فى الليل صب مدنف * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

ويعجبنى أيضا هنا قول مجير الدين بن تميم

ابدى اعتذار النا الفانوس حين بدا * فى حالة من هواه ليس يشكرها
رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه * نار الجوى فغدا بالثوب يسترها

ومن نظم الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى الباذهنج قوله مع حسن التضمين

وباذهنج غدا فى الجو منظره * من فوق مخبره يدعو على سكنى
فانظر فديتك يا محبوب رفعته * واستنشق الريح من تلقاه ياسكنى

وقوله

ياباذهنجى كم كذا * تعلو على بان الحمى
أبديت حقا زائدا * ورفعت رأسك للسما

والطف منه قوله مع حسن التضمين

ياباذهنجى لابرحت من الهوى * مثلى على حب الديار مولها
دارى بحبك لم تزل مشغوفة * خلعت هواك كما خلعت هوى لها

وقوله مضمنا

هجا الشعراء جهلا باذهنجى * لان نسيمه ابدا عليل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

ومن نكته الغريبة فى باب التورية قوله وكتب به الى ابن الزين المعروف بلبيكم

ياشاعرا قد حاز حسن بديهة * وتطيعه درر النجوم اذا نظم
وتجيبه قبل السؤال القصده * وتقول يا ابن الزين لبيكم نعم

وقوله وقد قدم الشيخ جمال الدين الى الشام

يامعشر الادبا غدا تشبيبكم * ومديحكم فيما يروق ويعذب
وافا كم ابن نباتة فتفقهوا * أقواله بسكينة وتأدبوا

بخمسة عشر ألفا واتمه الى مائة ألف غرفا بخذف وعطاء بغير صرف وحسب الغريم أن لايوفى ومن منع الصدقة فليقل قولا معروفا وما أجهل ان ذلك الشيخ ممن احتمل ذلك المال غرما ولكن لا أعرف لنفسى فيه جرما وما فائدة خط يبذل ولسان يرهن وتاريخ يكتب وضمان يقبل ومال يغرم ولولا الغرامة لم تفقد الزعامة فقبح الله هذا المال ولعن هذا القيل والقال هل كان يجرى الان رددت اليه خطه وذكرته وعده ألم يكن فى الرد مندوحة عن تجاوز الحد أما انا فليس له عندى الا الثناء الجميل والولاء الجزيل ولولا الكافر ابن الكافر والعاهر ابن العاهر ابن فلان فى الظاهر

وقوله من ابيات

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * أمسيت غشى فى المسرة زا كبا
ومتى طرقت غشى آنس دير ها * لم تلق الاراغبا أو راهبا

وممن قنص شوارد التورية بحبائل فكره الشيخ بدر الدين حسن الزغارى فمن ذلك قوله

قالت وقد أنكرت سقامى * لم ارذا السقم يوم بينك
لكن اصابتك عين غيرى * فقلت لاعين بعد عينك

وقوله

حبست الدمع ثم جعلت جفنى * سياجا ماله قط انفراج
فما زلتم بجوركم الى أن * تجرى الدمع وانخرق السياج

وقوله

قيل لى اذرأيت اقمارتم * عن بدور السماء للطرف تلهى
اى وجه أضناك قلت دعونى * فسقامى قد صح من كل وجه

وقوله

سل الحنى كالحسام الصقيل * لحظا حديدا تحت جفن كليل
ثقيل ردف قادنى فى دجا * شعر فقواد وليل طويل

وقوله أيضا

افديه فى الالكن يرمى دائما * وسواد قلب الصب من أغراضه
أطلقت لحظى نحوه فأجابنى * سهم وماعاينت كشف بياضه

وقوله مضمنا واجاد

يقول العاذلون نرى رمادا * على خديه من شعر العذار
فقلت لهم صدقتم غيرأنى * ارى خلل الرماد وميض نار

وقوله

فتنت باسمر حلو اللمى * لسلوانه الصب لم يستطع
يقطع قلبى ومارق لى * ودمعى يرق ومايتقطع

ومنه قوله فى مليح بيده قوس حلقه

وبدا العشية أغيد فى كفه * قوس كانتها سهام جفونه
فسألته البقيا على عشاقه * فنفوسهم مطوية بيمينه

وقوله

وافى كتابك ياخليلى بعدما * حكمت على بيعدك الايام
لكن ارى نار اشتياقى لم تكن * بردا على وفيه منك سلام

ومن نكتها الغريبة قوله

أماترى النهر كالحسام غدا * يفصل بين الغصون والورق
وليس فى الجرى مثل صارمه * يشق نحوى مفارق الطرق

والله أعلم بالسرائر وما أشرب قلبه من الطمع فى مالى والتعرض لحق اصفا الغدير بينى وبين أبيه ومن وجد اباه ينكح بنته ولا يقفل بيته ولا يغسل استه ولا يراعى الفرض ووقته ولا يراقب الله ومقته لم يرث اللؤم كلالة وان انجلت هذه الغمة وسكنت هذه الامة استعنت بالله عليه وصرفت اعنة الكلام اليه وهو حسبى وبه أستعين والسلام

(وله الى أبى على الحسامى بغرشستان)

ولا تكاد ادام الله عز الشيخ سنة سبع تعمل الاعمال السباع ثم لا تعمل فى اللقاء ماتعمل فى الوداع وكان سنة ثمان سنة آمال

قوله فى الالكن كذا فى النسخ ولم اقف له على معنى مناسب اه

ومن غاياته البديعة فى هذا الباب قوله

سرت من بعيد الدار لى نفحة الصبا * وقد أصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب أنفاسها متتابعه

ومن لطائفه قوله

اعجب ما فى مجلس اللهو جرى * من أدمع الراوق لما انسكبت
لم تزل البطة فى قهقهة * ما بيننا تضحك حتى انقلبت

ومثله قوله وزاد لطفا بزيادة نكتة أخرى

يا من يلوم فى التصابى خلنى * فأذنى عن الملام قد نبت
تصفية الكاسات فى شواربى * أضحكت البطة حتى انقلبت

وتلاعب بهذا المعنى وقال

انا القليل العقل فى صرف الذى * أملكه فى كلف المشارب
ولم أنل مما أضعته سوى * تصفية الكاسات فى شواربى

ومن مجونه قوله

يا صاحبا ما زال من انعامه * لثياب راجيه المؤمل رافى
قد قطعت فرجيتى حتى لقد * ظهر القطوع بها على أكتافى

وممن أتى فى دقيق التورية بجناس الخاص الشيخ يحيى الخباز الحموى فمن ذلك قوله

قال عذولى والقوم قد رحلوا * وقصده فى مقاله حيفى
اطلق دموعا ما زلت تحبسها * وطلق النوم قلت من عينى

وقوله

لم أنس طيفا زارنى وانثنى * عنى وقلبى بعده يخفق
وما كفى حتى دموعى غدت * من خلفه تجرى وما تلحق

وقوله مضمنا

لئن وعدت بالوصل سلمى وأخلفت * فسلها عسى العذر المبين يقوم
ولا تبدها باللوم قبل سؤالها * لعل لها عذرا وانت تلوم

وقوله

لقد تعشقت فتى سائبا * يبدل الحاضر بالغايب
مدحته جهدى فلم يرتبط * وراح كل المدح فى السائب

وقوله

تعذر من أهواه واسود وجهه * ورام وصالى بعد ما لم يكن خلق
وقال حكى صدغى نباتا اجبته * صدقت لهذا عاد يصلح للحلق

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

قلت لمن ينتف أصداغه * لا تكره الريحان حول الشقيق
واعتق شعور الذقن من نتفها * فاننى شيخ احب العتيق

ولم يوجعنى العام الماضى بنفسه كما أوجعنى برفسه انه لما طلع العام طلع البلاء العام تخبط الاوراق ثم فصل الاغداق ثم كسر الساق ثم قلع الاعراق وأنزل الله بنصابا من السيل وعلى جزيرة من البحر فى كن يعصمنى من الماء ويحمينى صوب السماء حتى مضى العام فلم يضرنى عيبه ولم يصبنى نابه ولم تخبطنى يده فلما كدت أسلم رضخنى برجله فحال بينى وبين أحب الناس الى وأعزهم على وأقربهم لعينى وأشبههم بى وأوصلهم لى وأحضرهم فى الملمات لدى ولم يخلف الله فى هذه الحادثة من جميل عادته

ومن

ومن لطائفه نكتة في هذا الباب قوله

اصبحت في العالم اعجوبة * عند ذوي الالباب والفهم
جدي جوي فاسمعوا واعجبوا * وما كني سحق ابي أمي

ومن لطائفه قوله

عاطنيها من عهد كسرى سلافا * تتقد في الكؤس كالنيران
وابن ماء السماء زوجه راحا * اذكرتنا شقائق النعمان

ومن رقيق اعزاله قوله

لضعف اجفان حبي * بالقتل فينا عتوه
فيالها من جفون * تزداد بالضعف قوه

ومن مجونه قوله

كسبت مملوكا ومن لطفه * يسير بالطف على سيرى
معينه خيرا وان يدخل الاير يكن خيرا على خير

ومن مماجناته مع الشيخ حسن الزغاري المذكور قوله

حسن الزغاري احمق * يابئس من يوافقه
خنقته هجوا وما * للكلب الا خانقه

ومثله قوله فيه

نجم الزغاري عند نظم موشح * وكمال نظمي بالسفاهة نقصا
فضربته بعصا الهجا الماعوى * فاصبت مصرعه ولم تضع العصا

وقوله فيه

قل للزغاري الذي من جهله * امسى باقوال الاكابر هازي
هذا ابن قرصة قد سمعت هجاءه * من ذا يجيرك من يد الخباز

ومن لطائف الشيخ شهاب الدين الحاجي تغمده الله برحمته في باب التورية ولم أظفر له الا بماقل من مقاطيعه مع اني كثير الفحص عنها فانه مما يجاري في انسجامه وسهولته ورقته ولطيف تركيبه في هذا الباب قوله

الهاعين لها غزل وغزو * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

وقوله

وصفت خصره الذي * اخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه * فقلت ذاك واضح

وقوله

عودوا الصب بكى عليكم * ياجيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه عاد بحرا * وقلبه ماله قرار

وقوله

ولم يحظ سهمي من سعادته حيث انزله في جوار النجم وفناء البحر وصناط الملك ومراد الجود ومساق العز ومجال المجد ومقام الدين وجناب العلم ومصاب الغيث وذمار الليث ومن جمع الله له جوار النيرين فقد جمع له صلاح الدارين وكنت على ان اكتب كتاب شكر الى السيدين الملكين المؤيدين ادام الله تمكينهما وجعل التوفيق قرينهما والقضاء معينهما وبسط بالخير عينهما ثم رأيتني مهتزا لاقامهما مشتاقا الى فنائهما فقدمت هذه الاسطر وانا بمشيئة الله على اثرها والشيخ في تعريفي جمل احواله وتفاصيلها رأيه الموفق

لاتبعثوا غير الصبا بتحية * ماطاب فى سمعى حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيالله ما أذكاها

ووقفت له على قصيدة لامية امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة كلها غرر فى باب التورية مطلعها

عما جرى من ادمعى لاتسألوا * فدامعى اخبارها تتسلسل

وما أحلى ما قال بعد المطلع

وخذوا حديثا قد ألم بمهجتى * وازداد حتى أهملته العذل

منها

ثانى المعاطف كنت اول عاشق * فى حبه ولكل ثان اول
يرنو فيحلو للمتيم لحظه * اذ ذاك لحظ بالنعاس معسل
ويميل منه شمائل لم ادر من * مشمولة أو حركتها الشمأل
متلون الاوصاف سيف لحاظه * ماض ولكن هجره مستقبل

منها قوله واظنه سبق ابن نباتة الى معناه وهو

أيجود لى دهر بطيف خياله * واظنه برجوع ذلك يبخل
أم كيف يأتى الطيف جفنا بابه * بالفتح من ارق الصبا بةمقفل

وقول الشيخ جمال الدين

واقسم لوجاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

ومن قصيدة الحاجبى قوله

ياساكنين السفح كيف حجبتم * عن ناظرى البدر الذى لايأفل
وفعلتم بى مايسرعو اذلى * ماشئتم ياأهل بدر فافعلوا
لاتحجبوا بينى وبين غزالكم * فعلى مجاز الصد مالى محمل

ومنها وهو المرقص والمطرب قوله

ياصاح عللنى بكاس مدامة * عن ذكره ان المحب يعال
صهباء ان جن الفتى بخمارها * فهى الشفاء وفى شذاها المندل

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

لم انس ايام الصبا والهوى * لله ايام الصبا والصباح
ذاك زمان مر حلوا الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

تالله لقد عز على ان تحجب عنى عرائس الحاجبى فى خدور الاوراق فانى لم اظفر من منهله العذب بغير هذه النهلة ومن عروبة الشيخ زين الدين بن العجمى فى باب التورية قوله

سهل الخدود عزيز وصل من يرم * يوما جنى وجناته لم يستطع
كم رمت لثم الخد منه فقال لى * لاتطمعن فكل سهل ممتنع

ان شاء الله تعالى (وله الى الشيخ الرئيس أبى الفضل) كان عناء الشيخ فى ان يثير ارضا أو يسقى حرثا أو يشيد بناء أو ينبط ماء أو يعمر طاحونا أو يغرس كرما كان عنائى ان افيق حيلة أو اخلق وسيلة فاذا وجدت من الكريم فرصة لم احتشم ولو خطر بالمال وخطرت بالمروأة لم اغتنم وقد كان تطول عام اول بخط أنا اقتضيه اعادة الانعام به فى هذا العام وقد والله بدرت لكنه زاد الرحيل وخطبه جليل اذا اصبحت عنكم راحلا وثقلت والثقل ليس مضاعف المطية الا اذا ما كان قرما بازلا واذا كان الكريم من قد

وقوله

حبي عين في عين الهوى * فلا تثق منه بزور المقال
كم قال مالت وولي وكم * قد سلب العشاق روحا ومال

وقوله

وافى وفي كيه ورد احمر * حبابه مذشب تحت اثامه
فرشفت حلو الراح من خرطومه * وجنيت ورد الخد من اكمامه

وقوله

انظر الى الغدران كيف تجعدت * امواجها فزهت وراقت منظرا
وحكت سطورا في طروس خطها * قلم النسيم بلطفه لما انبرى

ومن نكت مدائحه البديعة قوله في القاضي شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله تعالى

يا عمري الاصل أنت مالكي * ونافعي بجوده دون البشر
لذا رفعت سندي في حكمكم * لنافع لمالك لابن عمر

وقال وقد اهدى له حلاوة سكب

لفضلك يا قاضي القضاة مزية * على السحب لا تخفى على من له لب
فاول جود الغيث قطر مبدد * وغيث نداك الجم اوله سكب

ويعجبني من زهدياته قوله

عن طريق الذنوب قيدت خطوي * خيفة من عقاب عقبى التجري
واذا لاح نهج بر تراني * فيه امشي ابغي ثوابي واجري

وقد عن لي ان اورد هنا نبذة له من المواليا فانه كان فارس ميدانها وقائد عنانها فمن ذلك قوله

للحب قالوا معناك الذي اذ بلتو * جدلو بقبله فعقلو فيك خبلتو
فقال اقسم لو ان البوس سبلتو * ومات للشرق مادرتو وقبلتو

ومن مخترعات معانيه قوله فيها

حشيش عارضك الاخضر يدا في هدو * في روض وجنتك يحدو الصبابه حدو
والوهم ماضير خدك يا رخيم الشدو * الا الان حشيشو قد طلع فبدو

وقوله

شدوا المحامل فصرت ساعة التحميل * ملهوف لا حمل يعنيني ولا تحميل
والعين قد حلفت يا بدر في التكميل * لا تكتحل بالكرى ان غبت عنها ميل

وقوله

يا من على الخلق اذيال المكارم جر * وقد سلب نوم اجفاني وعني فر
يحل لك ان قلبي يا غزير الدر * مالو قرار ودمعي البحر وانت البر

ومن فتح له هذا الوصيد * القاضي فتح الدين بن الشهيد * رحمه الله تعالى فمنه قوله

بستان حسنك ايعت ثمراته * واما الغصن قوامك المياس

عليه فلا رجعى الله ان رحمته وقد جهزت الحاجة في دل رخيمة الى كف كريمة فان عمل بقضية فضله وزن صداقها وان عمل بقضية تقصيري اسرع طلاقها وله في الامرين ما يراه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

كأني والتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا طالق ثلاثا مردودة على اهلها من ورائها البعرة وفي قفائها النعرة الا ترجع الخرقاء أو تظهر العنقاء والله ما نقض الغزل بعد قوة اسخف من نقض عهد واخوة وليس ارش الغزل اذا انقض ارش الفضل اذا رفض ولم يجعل الله اضاعة الصوف كاضاعة المعروف يا ابا

في صدره رمان نهد زانه * حلي يوسوس في صدور الناس

وقوله

افدي التي ساقت حروب الهوى * بحسن ساقيها لمشتاقها
جادلت عذالي على حسنها * فقامت الحرب على ساقها

وقوله

قال لا تخش رقيبي فلن * حبني في زورتي أوفي نصيب
قلت ان زرت وحانت غفلة * فبودي وعمى عيني رقيبي

وقوله في عين بعلبك

ولقد اتيت لبعلبك فشاقني * عين بها روض النعيم منمنم
فلاهلها من اجلها أنا مكرم * ولاجل عين الف عين تكرم

وقوله

قاسوا حماة بجلق فاجبتهم * هذا قياس باطل وحياتكم
فعروس جامع جلق ما مثلها * شتان بين عروسنا وحماتكم

فاجبته في ذلك التاريخ عن ذلك بقولي

والله ان حماة شامة شامكم * وعروسها بمحاسن متزايده
ودمشقكم بعذارها الشلبي قد * وات شيبتها وأمست بارده

ومن لطائف القاضي فتح الدين بن الشهيد قوله وقد احضر له عوادا يسمى طائر يغا بسفارة الحاجب توكل

نهاري انس كله بمنادم * على عوده يغزو الحشا بتبلبل
وكنت أراه طائرا عز مطلبا * ولكنني حصلته بتوكل

وقال وقد حضر عنده من يلعب بالقانون واطربه

غنى على القانون حتى غدا * من طربه يهتز عطف الجليس
داوى قلوبا من عليل الاسى * وكان فيها من هواها رسيس
فصاحت الجلاس بجنابه * يا صاحب القانون انت الرئيس

ومن نكته اللطيفة التي هو أحق بها من غيره لكونه صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام قوله

كانت فتاتي لنظم بيتي * قرينة برة امينه
بكيتها والحمام قامت * بالسجع في ندبها معينه
من علم الورق ان سجعي * ليس يؤاتي بلا قرينه

ومن لطائفه وقد جهز لبعض أصحابه رسالة القلب وهي ما لا يستحيل بالانعكاس وجهز بعده قوالب سكر

رسالة القلب بها خدمتي * تقدمت في الزمن الذاهب
وها أنا أرسل من بعدها * قوالب السكر في الواجب

الحسن الحق تقبل وهو خير ما قيل انا اخاطبك بالشيخ والجنون شعبة من شبابك وبالفاضل والفضل وراء بابك ولو كان القلب يستخير والهوى يستشير ولم اكن الحب المغرم ولم تكن الحب المكرم الكتاب وصل جحم هائل لبس وراءه طائل وخط مجنون لا يدري الف فيه من نون وسطور فيها شطور دبيب السرطان على الحيطان واقفظ اخلاط لا يدركه استنباط ولا يفسره بقراط هذيان المحموم وهوس الملوم وسوداء المهموم وقرأت شطر كتاب لم أدر والله عماذا يعبر عن أمور سقيمة أو عن

ليعلم المخدوم اني امرؤ * اخدمه بالقلب والقالب

وكتب على عمارة بيته قوله

بنيت على وفق المكارم والعلا * فللفتح أبوابي وصدري للضم
سنا الملك يبدو من موشح زينتي * ومن أجل ذا دار الطراز على كمي

وكتب على الرفرف

رفعتك ماشاء الترفه رفرفا * أزين سماني بل أزين سماحي
فلا بدع ان الناس يهوون بهجتي * ويمشون في ظلي وتحت جناحي

وكتب على مجلس بيته

يامن يتنزه في حسني نواظره * اسمع صفات بها قد فقت أمثالي
اني مقام مقر عز جانبه * ودون قدر مقامي المجلس العالي

ومن لطائف الشيخ عز الدين الموصلي في باب التورية قوله رحمه الله تعالى

يقول وقد بدا قمرا وغصنا * حباه حسنه هيفا بلين
تنشق مسك اصداغي حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين

وقوله

كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد

ويعجبني من نكته الغريبة قوله

وحاجم في الكاس أجرى دما * من ساق ساقينا باشفاق
لكنه خالف في شرطه * وحكم الكاس على الساق

ولعمري انه تلطف الى الغاية بقوله

اعدى سقام جفونه * جفني فاعدمني الكرى
حتى اعتلت بسرعة * مثل النسيم اذا سرى

ويعجبني قوله في باب التدبيج

خضرة الصدغ والسواد من العين * بياض المشيب قد أورثاني
واحمرار الدموع صفر خدي * كل ذا من تلونات الزمان

وقوله

حديث عذار الحب باد وساقه * له وجه تبدي لقلبي اشتياقه
درى انني استأنس الى الحسن كلنا * فابدى لنا ذا الحديث وساقه

وقوله

يامقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وأنت ياوجنتيه * لاتحرقيني بنارك

وقوله

حديث عذار الحب في خده جرى * كمسك على الورد الجني مسطرا

(ى)

أحوال مستقيمة لاجرم انه ظننت خيره ولم أبعد غيره وجوزت السلامة ولم آمن ضدها وذهبت مع الظن الجميل اتفاقا ثم رجعت القهقرى اشفاقا فسألت الله المزيد ان كانت سلامة والسلام

(وله أيضا)

لايزال الشيخ يحمل الى آبا فلان فيما يوليه من رفق باسبابه واعتناء بأصحابه ومايفعل في ذلك الاما يوجبه فضله ويأتيه مثله ويدعو اليه أصله ومايأتي من الخير الا ماهو أهله وحقا أقول لقد عاشرت هذا الفاضل فطابت عشرته

فقبلت حتى محوت رسومه * كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرى

وقوله

عيني أفاضت دموعي * من طول صد وبين
ووجنة الحب قالت * رأيت غسلي بعين (ى)

وقوله

عاتبت حبي على تأخره * وقد تعنى برجة الردف
فقال هذا الثقيل أخرني * عن سرعتي لانقطاعه خلفي

وقوله

لحديث نبت في العذار حلاوة * وطلاوة هاجت بها العشاق
فاذا تجافى المردقلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقوله

هجروك البيض لما * نصل الصبغ فضرك
كشف الدهر المغطى * يا جميل الستر سترك

وقوله

ذو حور واصابني * بعينه لما نظر فليس قتل صبه * الا كلمح بالبصر

ومن لطائف مجونه قوله

وبي ناتف للعارضين يقول صف * نبات عذار زان في الحسن منظري
فناديت يا حلو الشمائل ما الذي * يقول لساني في النبات المكرر

وقوله

لما جفا المحبوب ناديته * قابلت حبي منك بالبغض
فعندها نام على وجهه * وقال وجهي منك في الارض

وكنت اظن ان هذه النكتة اختراع الشيخ عز الدين الموصلي الى أن وقفت على الديوان الكبير من نظم الشيخ جمال الدين بن نباتة فوجدته قد أخذها منه بنصها اللهم الا أن يكون وقع حافر على حافر وقول الشيخ جمال الدين في هذه النكتة

عاتبت محبوبي وقد نكسه * بطعنا قاضي بخلا مغضي
فقلت در بي وخلي الحيا * فقال وجهي منك في الارض

ومن لطائف مجون الشيخ عز الدين قوله

قد لقبوا بالزاغ ذا حنكة * كواه ذا التلقيب في القلب داغ
وهو غراب البين في شؤمه * لكن اذا جئتنا الى الحق زاغ

وقوله في تمتع الدمشقي

وذي أدب لطيف الذات جدا * طلبت الوصل منه فما تمنع
ودب لاخذ أيري قلت من ذا * فناداني باشفاق تمتع

وقوله

ولانت قشرته وواصلت فاحسنت وصاله واحمدت خصاله وسألته فأعرب جوده وجمته فاصلب عوده وما نقبت في الامتحان له عرقا الا جسسته ولا تطرا الا فترسته فما تنفي خصلة من خصاله الاهي أكبر من اختها حتى حالت الغربة بيني وبينه فكان لي في الغربة أكبر في الجد جهدا واطيب في الغيب عهدا وأتم على البعد ودا ولعمري ان ود المحضر اخاء واخوة وود الغيبة وفاء ومروة وقد جمع هذا الفاضل حليهما وراش نبليهما وما خسر على الكرم كريم كما لم يربح

مذ نام ابرى قال لى * آمه يحظى بالوصول
فقلت فيه قصر * فقال ذا شئ يطول

ومن عاصر الشيخ عز الدين الموصلى ومشى تحت علم التورية علاء الدين بن ايبك الدمشقى وكان المتعصبون على الشيخ عز الدين يناظرونه به واعمرى ان هذه المناظرة ماصدرت عمن له نظر فى نكته البديعة قوله وقد اجتمع بمليح فى متنزه من متنزهات دمشق يعرف بالسلطانى

سلطان حسن افتديه بناظرى * واعيذه من نظرة الشيطان
يوما بزهر اللوز لما زارنى * قضيت ذاك اليوم بالسلطانى

وقوله

احببت من حياله وجنة * مشرقة حمرا شبه اللهب
قالوا الشهيدية اعطافه * فقلت والردف تليل الذهب

وقوله

أقول وقد ظمئت ووجه حبى * له عرق على ورد الخدود
أرى ماء وبى ظمأ شديد * ولكن لاسبيل الى الورود

ومن لطائف مجونه قوله

تلطف واحتمل مزح الغوانى * وان أوجعن منك الظهر دقا
وجيدك ان يلق الصفع فاصبر * فان الجيد فى الدنيا ملقى

ومن نظم الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا فى باب التورية قوله

شهدت جفون معذبى بملالة * منى وان وداده تكليف
لكننى لم أنا عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقوله

تقول وقد أتتنى ذات يوم * مخبرة عن الظبى الجموح
يسرك ان أروح اليه أجرى * فقلت لها خذى مالى وروحى

ومن لطائف مجونه قوله

يامعشر الاصحاب قد عن لى * رأى بزيل الحق فاستظرفوه
لاتحضروا الا باخفافكم * ومن تثاقل بينكم خففوه

وقوله

تصفحت ديوان الصفى فلم أجد * لديه من السحر الحلال مرامى
فقلت لقلبى دونك ابن نباتة * ولاتقرب الحلى فهو حرامى

الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى أراد بالسحر الحلال الذى ماوجده فى ديوان صفى الدين التورية لاغير وماذاك الا ان الشيخ صفى الدين كان اجنبيا منها ولهذا لم أنظمه فى سلك القوم الذين مشوا فى نظم التورية تحت العلم الفاضلى والعلم النباتى وغايته انه رضى بالشعر السادج المنسجم وتعرض للتورية فى بعض المواضع ولكن سبكها فى غير قالبها لانه لم يكن فى طباعه ويأتى الكلام على ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى ومن نظم الشيخ جلال الدين غفر الله له

على اللؤم لئيم وان يبال الخير فى القياس ولايذهب العرف بين الله والناس اعان الله على تأدية فرضه وقضاء الواجب او بعضه ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

ابن تكرم الشيخ العميد على مولاه وكيف معدلته الى سواء ابقصر فى النعمة لانى قصرت فى الخدمة اذا قد اسأت المعاملة ولم تحسن المقابلة وعثرت فى أذيال السهو ولم ينعش بيد العفو ام يقول ان الدهر فيما بيننا خدع وفيما بعد متسع فقد ازف رحيلى ولاماء بعد الشط ولاسطح وراء

والمعنى فى مراده ومفهوم قوله

ذكر المصطفى ثلاثين دبا * لايحبنون فى قيام الساعه
فيهم اعور وقد صح بالبر * هان أنجا كواحد من جماعه

ويعجبنى قوله فى آثار النبى صلى الله عليه وسلم

ياعين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد حظيت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

ومن لطائف شمس الدين بن المزين فى باب التورية ما انشدنيه من لفظه لنفسه

مدير الكاس حدثنا ودعنا * بعيشك من كؤسك والخبيث
حديثك عن قديم الراح يغنى * فلاتسق الانام سوى الحديث

وانشدنى من لفظه لنفسه أيضا

ومليح لالاء يحكيه حسنا * فهو كالبدر فى الدجى يتلالا
قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلا لا

ومن نكته اللطيفة قوله

قلت للاحدب لما * ان رأى الوجد علاقى
أناابق وبوجدى * فيك يااحدب فانى

وقد تقدم القول ان النكتة فى التاجر استحقها الشيخ جمال الدين ابن نباتة على الصلاح الصفدى وعلى زين الدين الوردى وهى

وتاجر اسكرنى طرفه * والكاس فيما بيننا دائر
وقال لى سرا قلت اسقنى * جهرا على عينك ياتاجر

ومن نكته المخترعة قوله

شاب ورد الرياض مى * ورد خديك وانفرك
فله الناس ابتسوا * واتقى الورد للكرك

ورسم الجوبانى وهو اذذاك كافل المملكة الشامية لفضلاء دمشق ان ينظموا له مايكتب على اسنة الرماح فنظم القاضى فتح الدين بن الشهيد

اذا الغبار علا فى الجو عثيره * فاظلم الجو مالشمس أنوار
هذا سنانى نجم يستضاء به * كأنه علم فى رأسه نار
ان الرماح لاغصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان أزهار

ونظم مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه وكان اذذاك فى عنفوان شبابه ومبادى نظمه

النصر مقرون بضرب اسنة * لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لتسبك كل خصم مارق * وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ * يحمر من دمها العدو الازرق
ينسجن يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فنصرهن محقق

انظر أم ينتظر سؤالى وانما سألته يوم أملته واستمنحته حين مدحته واقتضيته وقت اتيته واتبعت سحابه لما أتيت بابه وليس كل السؤال اعطى ولاكل الرداعفى ام يظن انى أرد صلته ولا البس خلعته وهذه فراسة المؤمن الا انها باطلة وخيلة العارف الا انها فاسدة ام ليس يجدنى مكانا للنعمة يضعها وارضا للمنة يزرعها فلا اقل من تجربة بدفعة والمخاطرة بانفاذ خلعة ليخرج من ظلمة التخمين الى نور اليقين ولينظر أأشكر ام اكفر

ولعمري ان الشيخ شمس الدين بن المزين تطاول برمحه على أقرانه فى ذلك العصر بقوله

أنا أسمر والراية البيضاء لى * لا بالسيوف وسل من الشجعان
لم أحل فى عيش العداة لاننى * نوديت يوم الجمع بالمران
واذا اتمانقت الكماة بجحفل * كلمتهم فيه بكل لسان
فنضالهم عنما تساق الى الردى * قهر المعظم سطوة الجوبانى

وكتبت من حماة المحروسة حسب ما رسم لى به قولى

أنا فى الخط ان تحمر نقطى * فكأنى مقاتل الفرسان
وقوامى اذا انثنى فقرد * ماله فى تفرق الجمع ثانى
وسنانى كالبرق بل صارمنه * قلب سيف البروق فى خفقان
رمحه للردين ينسب لكن * صاح لما علاه بالسنان

ومن اغراض الشيخ شمس الدين المزين اللطيفة قوله

حمل الدواة قرمتها * منه مرامة عاشق
قالت اذن ما أنت يا * قلم الديار بلائق

ومن لطائف مجونه قوله

سلمانى اضافنا * ابنا ماله ثمن
بيض الله وجهه * كلما جاء باللبن

ومن مقاطيعه التى سارت لديها الركبان قوله

أنا دواة يضحك الجود من * بكا يراعى حل من قد براه
دلواءلى جودى من مسه * داء من الفقر فانى دواه

ومن اغراضه اللطيفة قوله

نزلنا بالقصير فرام قلبى * مليحا بالعذارى الغيد أزرى
فلما ان تعذر مال عنه * فؤادى والجوانح نحو عذرا

ومن مدائحه المخترعة ما أنشده لشيخنا ومولانا قاضى القضاة علاء الدين بن القضامى الحنفى نور الله ضريحه وقد مر على دمشق متوجها الى الحجاز الشريف فى محفة قوله

محفة المجلس العلائى * تنشر جدواه فى المشاهد
تقول هذا فتى واعطى * وج بالناس وهو قاعد

وأمر ابن المزين ان يكتب على قبره من نظمه ما قرأته على القبر وحفظته وهو قوله رحمه الله

بقارعة الطريق جعلت قبرى * لاحظى بالترحم من صديق
فيا مولى الموالى انت أولى * برحمة من يموت على الطريق

ومما قرنته للشيخ شرف الدين عيسى العالية فى باب التورية قوله رحمه الله تعالى

لما رأوا مضاجعى تحت الدجا * حبوه عن عينى حتى اسهرا

أم يتوقع صاعقة تملكنى اوداهية تهلكنى فهنا أمل موفر لان شيخ السوء باق معمر ام بقدر أنى أشكره اذا اصطنع واعذره اذا منع وبالله لو كتبت بنبوع المعاذير ما جنلى منى بجرعة فليرحنى بشرعة ام يرجو انى أمهله حتى اعود من هراة والشيطان اعقل من ان يوسوس اليه بهذا او يسول لدى ذلك وانا الى الشيخ العميد وردت وعن هؤلاء القوم صدرت وقد فعلوا فوق مقدارهم ودون ما قدرت فليصبنى من الفعل تذكرة اومن القوم معذرة وليصرف على أمره ونهيه بهراة يشرف بها ان شاء الله تعالى

قبلت خالا فوق كعبة خده * قبل الوداع وما أتيت المشعرا

وقوله

ومليحة راودتها فتعللت * بالحيض وهى تقول كالمذعور

هل موضع خال فقلت لها اسكنى * فمواضعى ليست تعدّ بدورى

ومن لطائف مجونه قوله وهو حكاية لحاله

قالت لى القروة قم دقنى * حتى ادقيك بقلبين

قلت لها باالله ماتشتهى * قالت غشا قلت على عينى

ومن مجونه مع الشيخ بدر الدين البشتكى

البشتكى المكدى * ذوابنة ليس تختفى

قدمة للنيك رجلا * وللخلائق كفا

وقوله

ايا معشر العصب منى اسمعوا * مقالى وكس أم من يتذكى

الا فالعنوا آكلين الحشيش * وبولوا على شارب البشتكى

وقوله

البشتكى البدر له لحية * كلحية الراهب مشعوره

قال أنا أشعر هذا الورى * قلنا له فاستعمل النوره

ويعجبنى من مدائحه قوله

تهنأ بنصف كم به من حلاوة * وبدلى بفضل لايضيع ثوابه

فان لسانى صارم وفمى له * قراب وارجو أن يحلى قرابه

ومن شعر عيسى فى مؤلفه من قصيدة

صبيغ دعاويه ماتنقضى * ويخطئ فى القول لايشعر

تفكرت فيه وفى ذقنه * فلم ادر أيهما احمر

وقوله

ايارب الجناب الرحب جدلى * وكثر فى العطاء ولاتقلل

وماتعطيه لى من خشكنان * نهار العيد كبر أوفهلل

وقوله

لفضلك يا ابن فضل الله أشكو * برأسى البرد فى يومى وامسى

وارجو أن يكون الشاش شمسا * اروم الفوز من برد بشمس

الشيخ شرف الدين عيسى وعصر به الشيخ شهاب الدين بن العطار الاتى ذكره رحمهما الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكى لم اجد فى اغزالهم من المقاطيع مايغازل بغزله عيون التورية ولكن وقفت لهم على اغراض هى فوق الغرض فمن ذلك قول الشيخ شهاب الدين بن العطار

اصبحت بطال والاولاد اربعة * محمد وثلاث موتهم يجب

(وله ايضا) هذا القاضى انا عنده فى المنزلة أقل من شهر المعتزلة فسأل القمر لما يبتدد وستر اما يتند ووجها الابسود واما فلان فلااشك ان كتابا يرد منه على صدر يمحى اسمه من صحيفته ونسى اجتماعنا على الحديث والغزل وتصرفنا فى الجد والهزل وتقلبنا فى اعطاف العيش بين الوقار والطيش وارتضاعنا ثدى العشرة اذ الزمان رقيق القشرة وتواعدنا ان يلحق أحدنا بصاحبه اذا انس الرشد فى جانبه وتصافحنا من قبل ان لايصرم الحبل وتعاهدنا من بعد ان لاينقض العهد

فان تحيل فى رزق بعد حكم * ابو محمد البطال لاعجب

ومن ايهامه فى هذا الباب قوله

طلبته رزقا قيل رح ناظرا * جيوش سيس قلت رأى تعيس
لوان ذى الحكام فى سلطة * ما طلبوا انى ابق بسيس

وقال فى الشيخ شرف الدين عيسى المذكور

عيسى ومن مدحوه * ماشمت فيهم رئيسا
وما رأيت اناسا * لكن حيرا وعيسا (وعيسى)

وقوله فى طاهر بن حبيب

تجادل شافعى مع مالكى * وهذا البحث بين الناس ظاهر
فقال الشافعى الكلب نجس * وقال المالكى الكلب طاهر

ومن لطائف مجونه قوله

هيأ البلان موسى * خلوة تحيي النفوسا
قلت ما اصنع فيها * قال تستعمل موسا (موسى)

ومن محاسن الشيخ جمال الدين عبد الله السوسى فى باب التورية قوله

اهوى غزالا عليه صبرى * قد بان فى الحب وهو عذرى
كالدا اسرت مقلتاه قلبى * فرحت مملوكه بأسرى

وقوله

تهاون شمس الدين بى وهو صاحب * وأظهر لى أضعاف ما اظهر العدا
نزلت به ابغى الندا وهو طالع * وعند طلوع الشمس يرتفع الندا

وقوله

زجرت النفس عن نذل لئيم * اقربهو عندى غلطا وأنكر
وقد ذكرته عنه مرارا * وهيهات المؤنث لايذكر

وقوله

تجنب اقطعا لصابر يا * يحن الى الجنابة كل ساعه
وماقطعوه بعد الوصل الا * ارادوا كفه عن ذى الصناعه

وعن محاسن الصاحب فخر الدين بن مكانس فى باب التورية قوله

بابى عشيقة مرشف * برت وكانت قبل عقت
فلثمتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت

ومنه قوله

يقول مفندى اذ هش وجدا * بخد خلت فيه الشعر غلا
ايعرف خده للعشق اهلا * فقلت لهم نعم أهلا وسهلا

وقوله

زارت معطرة الشذا ملفوفة * كى تختفى فابى شذا العطر

وهل ذاكر من كان اقرب عهده
ثلاثين شهرا او ثلاثة أحوال
(وله فى نقض قصيدة أبى بكر الخوارزمى)
سألت أمتع الله بك عن الخوارزمى وشعره وقلت انى لا اجد فيه بيتا لو رؤى فى المنام لاوجب الغسل حبا وبعده بيتا اذا اسرد ينقض الطهارة مسا واعمرى ان هذين البيتين لو كانا تينتين ما نبتا فى أرض اوتمرتين ما جنيتا من غصن فكذلك اذا كانا شعرين يبعدان يصدرا عن مصدر اويطبعا من طبع أويصبا على قالب قلب او يكونا نفس نفس فقد يسمن الشاعر ثم يثقف ويتبلد

يامعشر الادباء هذا وقتكم * فتناظموا فى اللف والنشر

وقوله

علقتها معشوقة خالها * اذ عمها بالحسن قد خصصا
ياوصلها الغالى وياجسمها * لله ما اغلى وما أرخصا

وقال واجاد

ان الهوامين يامعشوق قد عبثا * بالروح والجسم فى سر وفى علن
فالروح تفديك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور فى كفن

وقوله مضمنا

ومقلة ظبى يرشق القلب سهمها * ولكنه رشق يزال به الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم

وقوله

عارض المحبوب من نو * ر صفاء الذ فاتن
شبه ورد زاد لطفا * حول ماء غير آسن

وقوله فى مجونه مضمنا

قلت بالاعمى على بذل مالى * فى هوى الحب دع كلام القشار
فعلى فلس ذا يناح ويبكى * لا على درهم ولا دينار

وقوله

شبكى الى اليتم اذ نكته * مراهق فيه ملاحة بكى
بت اسليه على يتمه * وكلما اسليته يبكى

وقوله

سكر الشيخ وطابا * واشتهى الشيخ شبابا * حسب الخمرة صابا * وجد الراح شرابا

وقوله يمازح السراج السكندرى وقد انقطع عنه

قل للسراج اذا تكبشر حيث بالقوم احتمى * انت السراج بعينه * لو شلت انفك للسما

ومثله قوله فيه

ياذا السراج اشترى أيرى فانت به * أولى وذلك للحق الذى وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ما قام وانتصبا

وقال فى الصاحب بن النشو الوزير وقد انشأ سبيلا بالجامع العمرى

انشا القطيم النشو لما ارتقى * وزارة زادته فى وزره
بالجامع العمرى سبيلا وقد * قال لنا عنه بنو مصره
هذا سبيل حاله فاسد * وزيره يرشح من قعره

ومن اغراضه البديعة قوله

لولا الزمان للمعال قابل * ما سلسلوا واطلق كل جدول
واصبح الدولاب فى رياضه * يقول بالدور وبالتسلسل

ومن

القائل شريف ولكن لا كما تراه فى شعر أبى بكر وما كنت لاكشف تلك الاسرار واهتك هذه الاستار واظهر منه العار والعوار لولا ما بلغنا عنه من اعتراض علينا فيما املينا وتجهيز قدح علينا فيما روينا من مقامات الاسكندرى من قوله انا لا نحسن سواها وانا نقف عند منتهاها ولو انصف هذا الفاضل لراض طبعه على خمس مقامات أو عشر مفتريات ثم عرضها على الاسماع والضمائر وأهداها الى الابصار والبصائر فان كانت تقبلها ولا تزجها أو تأخذها ولا تمجها كان يعترض علينا بالقدح وعلى املائنا

ومن اغراضه الغريبة قوله فى ولده مجد الله بن فضل الله رحمهما الله تعالى

اری ولدی قد زاده الله بهجة * وكمله فى الخلق والخلق مذ نشا
سأشكر ربى حيث اوتيت مثله * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ومن بدائع امداحه قوله فى الشهيد فخر الدين نقيب الاشراف رحمه الله تعالى

جناب فخر الدين كهف الورى * دامت له النعماء لا تنقضى
فهو الشريف الحسن المرتضى * وخلقه ذاك الشريف الرضى

وقال يمدح الامام المرتضى على بن أبى طالب كرم الله وجهه

يا ابن عم النبى ان اناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم فى الحقيقة باب * يا اماما وما سواك مجاز

ويعجبنى من حسن خواتمه قوله

واسوأتاه اذا وقفت بموقف * ما مخلصى فيه سوى الاقرار
وسواد وجهى عند أخذ صحيفتى * وتطلعى فيها شبيه القار (ى)

ومن محاسن ولده مجد الدين بن فضل الله تغمده الله برحمته قوله

واغيدبت منه * بنار عشقيه اقلى
رمى من اللحظ سهما * به نموت وتبلى (لا)

وقوله

قالوا وقد عبثت بنا * قاماتهم والاعينا
ان رمت تلقانا فلج * بين السيوف والقنا

وقوله

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا الهم منا
فقالوا الناغوصوا على قده وما * يحاكى اذا ما اهتز قلنا الهم غصنا

وقوله

بحق الله دع ظلم المعنى * ومنعه كما يهوى بأنسك
وكف الصد يا مولاى عمن * يومك رحت تهجره وامسك

وقوله

قال خلى لحبيبى صل فتى * بك قد أضحى معنى مغرما
قال هل يولم ان واصلته * قلت ان فاز بثغر اولما

وقوله

يالائمى ان فقدت الصبر فى قمر * اصداغه سلبت اهل الهوى وسبت
كلت سيوف اصطبارى عنه حين بدا * آس العذار على وجناته ونبت

وقوله

من مجيرى من سادة القوا الهجـ * ـر لعشاقهم وزادوا النفارا
سأل الدمع ان يجيروه قالوا * مثل هذا فى حينا لن يجارا (ى)

بالجرح او يقصر سعيه ويتداركه وهنه فيعلم ان من اصلى من مقامات الكذبة اربعمائة مقامة لامناسبة بين المقامتين لا لفظا ولا معنى وهو لا يقدر منها على عشر حقيق بكشف عيوبه والسلام

(وهو تجاوز الله عنه اليه)

اجدد بالشيخ السيد وجدا يقض العظام وينقض النظام اذكر تلك الاخلاق الكرام وتلك الشيم الحسان وتلك الليالى القصار وما كنا نتجاذبه من حديث ونتنازعه من جدال فاتصدع ذفرات وانقطع حسرات وأموت

ومن اختراعاته اللطيفة

تساورنا شذى أزهار روض * تحير ناظري فيه وفكري
فقلت نسيمك الارواح حقا * بعرف طيب منه ونشر (ى)

ومن اغراضه اللطيفة قوله

حصقا الذى تظم يهيج من البغا * ويشير فى هجو الكرام هجاءيا
اقصيته عنى فظل يسبنى * ومنعته ايرى فذم وهاجيا (ى)

ومن مدائحه يهنئ والده بعوده من السفر

هنئت يا ابتى بعودك سالما * وبقيت ما طرد الظلام نهار
ملئت بطون الكتب فيك مدائحا * حتى لقد عظمت بك الاسفار

وقال فيه أيضا وقد أهدى له هدية حسنة

تناهيت فى برى الى ان هديتنى * ولولاك كنت الدهر فى التيه حائرا
وأهديت لى ما حير العقل حسنه * فلازلت فى الحالين للعبد هاديا

ويعجبنى من زهدياته قوله

جزى الله شيبى كل خير فانه * دعانى لما يرضى الاله وحرضا
فاقلعت عن ذنبى واخلصت تائبا * وامسكت لما لاح لى الخيط أبيضا

ومن كلام الشيخ ابى الفضل بن ابى الوفاء العارف الذى دخل بحسن سلوكه الى زوايا الادب فاخرج منها الخبايا وأظهر البرهان تغمده الله برحمته قوله

عبدك الصب المعنى * عرف الفقر وذاقه
فلكم فاخر محتا * جا شكا فقرا وفاقه

ومن مخترعاته فى باب التوريه مع بديع التضمين قوله

ما خادم واسمه فى در مبسمه * الا اغن غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التى انتظمت * كأنه منهل بالراح معلول (مع لولو)

ومن اختراعاته قوله

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها ازدحاما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار رحاما (حمى حمى)

ومثله قوله

ارسلت صبى بدمعيها * بين يدى من قد تمادى جفاه
أسأله فى فمه قبلة * فلم يميلاه ولم يعطفاه (يعطفاه)

ومثله قوله

سألتها رشف ريق * مستعذب الطعم حلو
قالت فصفنى ارتجالا * فقلت بعد الترو

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

ازداد خدك شعرا * فازداد قلبى حبا

كل عمات فسق الله عهده
صوب السحاب وجهده
وانجز الله فى اجتماعنا وعده
فما اتمتع عيشى بعده وشتان
ما حالى ولبستى وارتحاله
ابيت بعيش ناصب فى عذاب
واصب وخرج فاستراح
من فصولى واصحت معاوه
من فنونى ومصائب قوم
عند قوم آخرين فوائد
وقد جعلت الشيخ أبا فلان
ولى عهدى فى خدمته
وأقمته مقام نفسى فى
بستان نعمته وولينه
بخلافتى فيما كنت أتولاه
من مجلسه الا التحصيل
فانه لا يبلغ كنه مقداره
وليس ذلك من شانه واسال

اذ كان ورد لك جرى ﴿ فيه فصار مربى

ومن لطائفه قوله

الا لا تلوموني فلست بمقلع ﴿ اذا انحدرت من كأسها الراح في حلقي
سآوي الى بحر من الخمر مترع ﴿ احط المراسي عنده فاملي واسقي (وسق)

وقوله

ذكرك لي في اللوم مستحسن ﴿ واللوم عندي غير مستحسن
كم قلت للمعرب في لومه ﴿ ان جئت نحوي قط لا تلحن (نى)

ومن لطائف مجونه مع حسن التضمين

وخل محته صرفها بمال ﴿ فقال نوازعوه يا اصحابي
اذا الجمل الثقيل توازعته ﴿ اكف القوم هان على الرقاب

ومن اغراضه قوله

تعنت دهر لج فينا بخطبه ﴿ وذللنا من بعد عز وأسكانا
قسا واتقى يختال في جبروته ﴿ وجر اذيالا علينا وأردانا

وانشدني من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين المتنبي قوله في مليح اسمه حمزة

ترى يبدو لحمزة بعض ما بي ﴿ ويرثي لي ويتطرفي بلاقي
واشفي بالمبرد من لماه ﴿ واجمع بين حمزة والكساه (ى)

ومن لطائف علامة الوجود فريد الدهر بدر الدين بن الدماميني المخزومي المالكي قوله

قلت له والدجا مولّ ﴿ ونحن في مجلس التلاقي
قد عطس الصبح يا حبيبي ﴿ فلا تشمته بالفراق

وقوله

يقول بديوان المحبة وردوا ﴿ محاسن حبي فهو في الحسن مفرد
فوردت في الديوان عامل قده ﴿ فقال وذاك الخد قلت مورد

وقوله

وبي وجنة حمراء زاد صفاؤها ﴿ وأبدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمي ينهى عن الحب جهده ﴿ فما أنا بالسالي صفاها ولونها (نهى)

وقوله

يا عذولي في مغن مطرب ﴿ حرك الاوتار لما سفرا
كم تهز العطف منه طربا ﴿ عندما تسمع منه وترى (ا)

وقوله

لذاب احشائي هوى صائغ ﴿ قلت له والقلب رهن لديه
اني على فيك أرى خاتما ﴿ فهل ترى يقعد نقشي عليه

وقد زاد النكتة حسنا بقوله

بدا وقد كان اختفى ﴿ وخاف من مراقبه

الشيخ السيدان يتطراليه بصدق ويحفظ ما بينه وبين ويتخوله دائبا ولا يعرض عنه جانبا ويمكنه من بساطه كل وقت ويشمه جميلته ويمنع حمى بشارته ويظهر على صفحات حاله آثار افضاله ويشرفني كل وقت باوامره ونواهيه ان شاء الله تعالى

﴿(وكتب اليه رقعة أخرى)﴾

كان أيد الله الشيخ العالم بين أمير بن خلاف كصدع الزجاج وشرطي السكون ولا مكاتبة ولا مجاملة وانبعث رجل طالب فضل بكتاب من ورد من احدهما الى الآخر يسأله فيه العناية بوصله فتعجب

فقلت هذا قاتلى * بعينه وحاجبه

وقوله

امنيــــتى انت ياملبح * مامثله فى الزمان ثانى
فكيف تبدى جفاك خوفا * وأنت فى غاية الامان (ن)

وقوله

وعـزيز الجمال اوجب ذلى * وهواه عـلىّ اصبح فرضا
فهو فى الحسن والجمال سماء * صرت ياصاح منه بالذل أرضا (ضى)

وقوله

تناسبت أوصاف من وصله * ينفى عن القلب جميع الكرب
فى الخـد تسهيل ومن ثغره * يطيب للصب ارتشاف الضرب

وقوله

لاماء ذاريك هما أوقعا * قلب المحب الصب فى الحين
فجد له بالوصـل واسمح به * فقبلك قد هام بلا مـين

وقوله

قلت لعطار به صـبوتى * محمودة والصبر لايستطاب
اسقيتنى كاس غرام به * ذبت ومن قبلك برانى الشراب

وقوله

لله منه ملثم اشنب * قد طاب فيه العشق للمغرم
قلت لعذالى لاتعجبوا * طيب الهوى مازال فى الملثم

وقوله

فى ليلة البدر اتى * حبى فقرت مقلتى
وقال لى يابدر قم * فقلت هذى ليلتى

وقوله

قم بنا نركب طرف اللهو سبقا للمدام
واثن ياصاحى عنانى * لكميت ولجام (ى)

ومن اغراضه اللطيفة قوله

أقول لخل حسن من فرط ماله * ورابى فأسقى الناس كأس عذاب
صفاتك ياهذا العمرى تناقضت * فانك ذو مال وانت ترابى

ومن مدائحه ما كتب به الى قاضى القضاة ناصر الدين التنيسى قوله

قد نلت ياقاضى القضاة مطالبى * بكنوز جودمنك أورثت الغنى
واخافنى الدهر الظلوم فـذرا * نى داعيا بجناب جودك آمنا

ومن مدائحه فيه قوله وقدولاه وظيفة العقود فى مبادى العمر

ياما كالبس يلتقى * نظيره فى الوجود

المكتوب اليه وخيره بين العفو عنه ولا صله او يعرف الحال فان كان صادقا فله حكمه وان كان كاذبا قدمه فاختار المزور تعرف الحال فكتب الى وكيله هنالك ان يعرف الامر فى ذلك فقد خيرت موصل الكتاب بين حكمه واراقة دمه فتعرف الحال فقال الامير لندمائه ماترون فى هـذا الرجل فقال احدهم يضرب وقال الآخر يصلب فقال الامير اوخيرا من ذلك انى اصدقه ليعطى حكمه فلا نعدم مكرمة اومثوبة فصدقه هذا الامير وخيره ذلك الامير

قوله فى الملثم هو فى النسخ بالثاء وبها تتم التورية والمعروف فى الريح التى تهب من ناحية الشمال الثاء وعليه فلا تورية اهـ

قد زدت في الفضل حتى * قلدتني بالعقود

وكتب الى برهان الدين المحلي

يا سريا معروفه ليس يحصى * وبنيساه كابفرع وأصل
مذ علا في الورى محلك عزا * قلت هذا هو العزيز المحل (ى)

وكتب الى شهاب الدين الفارقي

قل للذي أضحى يعظم حاتما * ويقول ليس بجوده من لاحق
ان قسته بسماح أهل زماننا * اخطا قياسك مع وجود الفارق (ى)

ويعجبني من اغراضه البديعة قوله

لئن عقدت بنت الكروم عقودها * على حل نفي الهم والهم زائد
فنحن شهود في المقام لعقدها * على أولياء اللهو واللوز عاقد

ومن لطائف مجونه قوله

أمنت حسوده فدنوت منه * على مهل بشئ زاد حسنا
وعاجلني الرقيب فخاف أيري * وانزل اذ رأى خوفا وامنا (امنى)

ومما اختاره سيدنا الشيخ العالم العلامة ابو الفضل احمد بن حجر العسقلاني روى الله من سحائب الرحمة ثراه من نظمه لنفسه رحمه الله تعالى في باب التورية ورسم لي ان يكون واسطة لهذا العقد وكتب ذلك بخطه الكريم في كراسة واتحف بها العبد لا نظمها في عقود هذه اللآلئ وكتب في ديباجة الكراسة قوله

يا سيدا طالعه * ان راق معناه فعد
وافتح له باب الرضى * وان تجد عيبا فسد

وقوله

سالت من لحظه وحاجبه * كالقوس والسهم موعدا حسنا
فقوق السهم من لواحظه * وانقوس الحاجبان واقترنا (وقترنا)

وقوله

سألوا عن عاشق في * قمر بادسناه * اسقمته مقلتاه * ذات لا بل شفتاه

وقوله

أتى من أحبائي رسول فقال لي * ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسي الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

وقوله

ضنيت بجوى فواصلني حبيبي * وعاد الى الجفاء فعاد ما بي
فقلت أعد وصالا قال كلا * فها أنا ذبت من رد الجواب (الجوى بى)

وقوله مع بديع الاقتباس

خاض العواذل في حديث مدامعي * لما رأوا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سر هواكم * حتى يخوضوا في حديث غيره

فاختار أن تزوجه ابنته وصلحت الحال بين الاميرين وجلب ذلك التزوير صلاح ذات البين وقد زورت على الشيخ تزويرا آمل أن ينفعه الله به في الدارين وغدا اعرفها الحديث ان شاء الله تعالى وان أحب ان يعرف الحديث فوصلها على علم والسلام

(وله أيضا)

لعل مثلي مع الشيخ الامام مثل التاجر مع ولده اذ جهزه من بلده بما أصحبه من مال وقال يا بني انا وان وثقت بأمانة عقلك وطهارة اصلك لست آمن عليك النفس وسلطانها والشهوة وشيطانها فاستعن عليهما نهارك بالصوم وليلك بالنوم انه

وقوله

ياعاذلى وسهام اللحظ ترشقنى * عن قوس حاجب بدر خده قبسى
ان تستطع تجانى فى الهوى سببا * فاستنبط السلم لى من اسهم وقس (قسى)

وقوله

ولم انس اذزار الحبيب بروضة * فغارت من المعشوق أعينها المرضى
ولاحت بخد الورد حمرة خجلة * حياء رأينا طرف نرجسها غضا

وقوله

يا مبدعا فى حسنه واصلا انا * هبت له عام وما واصلتنا
فقال هل صيف فى مشتاته * قلت نعم وفى هموم شتى

وقوله

محبوبتى واصلتنى * والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى * لما رقت وتفتت

وقوله

احبب بوقاد كنجم طالع * انزلته برضى الغرام فؤادى
وانا الشهاب فلا تعاند عاذلى * ان ملت نحو الكوكب الوقاد

وقوله

نحن أهل الهوى بلوناه قدما * بين خوف من أهله وأمان
وشربنا خمر الهوى كل حين * بكؤس قد أترعت وأوان (ف)

وقوله

ورشا مذنشا وعينا التصابى * بعدما كان ذا اشتباه علينا
وجهلنا الغرام حتى أرانا * منه تحت اللثام خدا وعينا

وقوله

سرت وخلفتنى غريبا * فى الربع أصلى جوى بنارك
اغث حشا احرقت غراما * فى ربعك المعتلى ودارك

وقوله

وبدر تم جميل * محجب بالدلال
اذا همت بانى * اسلو هواه بدالى

وقوله

نهانى حبيبى ان اطيع عواذلى * لكى أنتهى بالوصال الذى سرا
فقلت فدتك النفس سمعا وطاعة * فلم ار نهيا منه احلى ولا أمرا

وقوله

واهيف حيانى بطيب وصاله * ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
ادار لى الكاسين خمرا وريقة * وزهى عن جفوة وملال (ك)

وقوله

لبوس ظهارته الجوع
وبطانته الهجوع وما
لبسه أشر الالات سورته
أفهمتها يا ابن المثوبة
سحدتك النفس بمعنى اسمه
القرم وتخبرك السفهاء
عن شئ يقال له الكرم وقد
جربت الاول فوجدته
اسرع فى المال من السوس
وتعارت الى الثانى فوجدته
أشأم من البسوس ودعنى
من قولهم أليس الله كريما
بلى ولكن كرمه يزيدنا ولا
ينقصه وينفعنا ولا يضره
ومن كانت هذه حاله فلتكن
خصاله فاما كرم لا يزيدك
حتى ينقصنى ولا يريشك
حتى يبرينى فخذلان لا أقول
عبقرى ولكن بقرى
انه المال عافاك الله فلا

وقوله

تجرد من احب فقال لي من * يلوم واظهر الحسد المكتم
اجادلك الحبيب بلمس جسم * لعمرك الخ فقلت نعم وأنعم

وقوله

تيه فلان الدين مع فقره * اقوى دليل أنه جاهل
لشوبه بالصقل من فوقه * فقاقع ما تحتها طائل

ومن اغراضه اللطيفة قوله

اشكو الى الندمان * وما حوته ضلوعي
قد طابق السقم جسمي * بنزلة وطلوع

وقوله وهو مما كتبه على مجموع الكرماني

تطرقت لما سطرته من فوائد * لها الفضل اذ وافت محاسنها يعزى
فقلت ما سطرت منها الخاطري * فلم يكف طرفي منه شيء ولا أجزا

وقوله

قد جئت في علم الاصول لنا وفي * علم الفروع بخالص الابريز
وبرزت في هذا وفي هذا على الر * ازي بالاحسان والتبريز (ى)

ويعجبني من وعظياته قوله

يا أيها الشيخ المطيع هواه دع * هذي الدعابة قد اتى داعي الردى
وخيوط هذا الشيب لا تنسج بها * ثوب التصابي فهي ما خلقت سدى

وقوله

خليلي ولى العمر منا ولم نتب * وننوي فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبني بيوتا مشيدة * واعمارنا منا تهد وما تبنى (تبنا)

ومن نظم الشيخ بدر الدين البشتكي رحمه الله في هذا النوع قوله

بدا بوجه جميل * قد شرف الحسن قدره
في ثمه كل صب * يود يبذل بدره

هذا الذي ظفرت به من اغزاله في هذا الباب ومن مجونه قوله

واني بذقن بعد أن * قاسيته حلوا ومرا
فقبضت لحيته وابشرى في استه وهلم جرا

وقال من كتابه المسمى برفع شان العطشان

اقول لناتف خديه مهلا * اترضى اللا تطين مدى الدهور
فدع نتف العوارض عنك كيما * تنال بلحية مثل الحرير (ى)

ومثله قول الشيخ بدر الدين بن الدماميني المخزومي

تباالقاضي جار في احكامه * حتى على المنثور والمنظوم
خان الشريعة مذ اطاع بني وفا * وانقاد للفساق كالمخزوم (مى)

تنتفق الامن الريح وعليك بالخبز والملح ولك في البصل والخل رخصة مالم تذقهما والعصل لحك وما أراك تأكله يا ابن الخبيثة انما التجارة صرف وبين الاكلة والاكلات صروف ربح الصرييدان لاخطر والصين غيرأن لاسفر والحلوطعام من يعيش ليأكل فكن ممن يأكل ليعيش وأخرى يا ابن اللئيمة ما التجار ولفضول العيش خذ هذا وحسبك تم انت الآن وكسبك فلما فصلت الديرلجت بالفتى همة العلم فانفق ما صحبه في طلبه فلما انسلخ من طارفه وتالده رجع بالقرآن وتفسيره الى والده فقيرا لا يملك نقيرا وقال يا أبت جئتك بسلطان

ومن مدائحه قوله

وقاس الورى بالنيل فاتلك الذى * حلا وصفا والنيل يبدو من نقا
فقلت وهل يقاس من خلقه الوفا * يمن بالوفا فى العام يوما تخلقا

وكتب اليه سيدنا ومولانا قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر العسقلانى فى رمضان

أليس عجيبا بأننا صوم * ولا نشتكى من اذى الصوم غما
ونسغب والله فى نسكنا * اذا نحن لم نرو نثرا ونظما

فأجابه بقوله

الا يا نسيم البارق فى العلا * فامطرنا نوءه العذب قطرا
الى فقرة منك بانقرنا * ونستغن ان قلت نظما ونثرا (ى)

ومما فضل لى من صبابات هؤلاء الفضلاء فى مناهل التورية قولى

هو شمه اعجميا فوق وجنته * لامية عودتها احرف القسم
فى وصفها ألسن الاقلام قد نطقت * وطال شرحى فى لامية العجم (ى)

وقولى

خال الحبيب يقول لى لما بدا * من تحت عارضه كسر غامض
انا فارضى فى الغرام بخده * فغدا مقامى تحت ذيل العارض

وقولى

عزمت على السلو لطول هجرى * فجاءتنى عوارضه تعارض
وكان العذر يقبل فى سلوى * ولكن ما سلمت من العوارض

وقولى

دورة العارض عنى حيث * برشقه من جفنه مشتقة
فاترك ملامى يا عذولى اننى * قتلت بين دورة ورشقة

وقولى

ولما رآنى الشعر وهو مذيل * وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف
بدا بخمار من خمار بريقه * فقلت لهم هذا الجناس المحرف

وقولى

أقول لثغر الحب منه ولم أجد * سبيلا الى برد الحشايا أخا الصفا
فقال ارتشف من خمر ريقى نهلة * ألم تره من برده قد تقرقفا

وقولى

لما تعذر من أحب تعذر الصبر الجميل فلم أطق ان أصبرا
قال العذول الصبر أعظم مسعد * فى العشق قلت اما تراه متعذرا

وقولى مع بديع الاقتباس

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعى بعد فرقة حبه
لكن به لما سمعت تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

الدهر وعز الابد وحياة الخلد جئتك بالقرآن وتفاسيره والحديث بأسانيده والفقه باأبزيره والكلام بأفانينه والشعر بغريبه والنحو بتصاريفه واللغة بأصولها فاجتن العلم نورا ونورا والآداب حرا وحورا فاق به الى السوق وقدمه للصراف والبزاز والعطار والخباز والقصاب وانتهى الى البقال فساومه عن باقة بقل وقال انتقد تفسير أى سورة شئت فنعى البقال وقال انما تبيع بالكسرة المكسرة لا بالسورة المفسرة فأخذ الوالد ترابا بيده ووضعه على رأس ولده وقال يا ابن المشؤمة ذهبت بقناطير وجئت بأساطير لا تبيع

وقولى

وقولي في مدح حماة

ذكرت أحبتي بالمرج يوما * ففوّت ادمعي نيران وهجي
وبت أكابد الاحزان وحدي * وكل الناس في هرج ومرج

وقولي فيه أيضا

مرج حماة بنواعيره * زاد على المقياس في روضته
واغتاظ نمروذ دمشق لذا * فقلت لا أفكر في غيظته

وجلست يوما في قطاف السفرجل على عين الفيضة الموصوفة ببست الشام مع جماعة من اهل العلم والادب فنظم كل منهم ما يليق بذلك المقام على قدر مقامه فنظمت قولي

تقول ست الشام لما غازلت * بعينها فانعشت حياتي
وانتقشت بمرجها وابرزت * نهدا حلاوته نباتي
خذني بغير ضرة فانني * بديعة في الحسن والصفات
واستجلني عروسة يتيمة * شامية وعش بلا حماة

وقولي في وادي رشعين وعينه بظاهر مدينة طرابلس

ارض وادي رشعين مفتوحة العيـ * ـن لها نقطة على النيرين
ماحللنا هناك الاوقات * اجلسوهم على محاجر عيني

وقولي بوادي المنافس بظاهرها أيضا

وادي المنافس من مغنى طرابلس * بطيب انفاسه أبدى نفائسه
وكاد يلحق بالشقرا وابلقها * فلا تلوموا اذا قوى منافسه

وقولي برأس العين ببعلبك

ولما نزلنا ببعلبك تفكهت * عيوني واذواقي وصلت على البين
وطالبتها يوما برؤية مرجها * وخضرته قالت على الرأس والعين

ومن اغزالي البديعة قولي

ماس في الروض وانثنى * بخدود مورّده
فرأينا غصونه * وهي خشب مسنده

وقلت موريا ومقتبسا ومكتفيا

قالوا وقد فرطت في تصبري * ومابري بوصله سقاما
اصبر عسى تسقى عامريه * قلت اليها يا حسرتا على ما

وقولي

ارخت لنا ذوائبا من شعرها * عشرا وفرق الفجر فيهم يسري
فصرت بالفجر اليها معوذا * لما بدا بين ليال عشر

وقولي موريا مع بديع التضمين

سرنا وليل شعره منسدل * وقد غدا يومنا مضفرا
فقال صبح ثغره مبتسما * عند الصباح يحمد القوم السرى

بها ذو عقل باقة بقل والقصة ابداها الشيخ الامام فهي قصتي معه انفقت عمري وروحي وقلبي ونفسي على صداقة من لم يثمر لي في كتاب شكر هيفي أنا اول في الخاتمين فاقول الفص ياقوت احمر والفضة جوهرا زهر والفيروزج علق يذخر فما اقول في درج كاغد اقول لم اساوه ام لم ابلغ كنه شاوه لولا اكون صديق صداقة لسقت هذا العتاب سياقة تحل عرى الرفقة قبح الله الطمع لولا ان الودشاركه والانف تداركه لقد كان يوجد الساده فالا القافلة راحلة غدا وبعده فلينجز في الكتاب وعده موفقا رأيه ان شاء الله تعالى (وكتب أيضا)

وقولى

قف واستمع طربا فليلى فى الدجا * باتت معانقتى ولكن فى الكرى
وجرى لدمعى رقصة بخيالها * اترى درى هذا الرقيب بما جرى

وقولى

كم صحت فى ظلمة الليالى * ويلاه من نوى المشرد
والدمع فى وجنتى ينادى * اواه من شمل المبدد

وقولى

يقول معذبى حسن تخير * سواى فقلت قد عز اصطبارى
وكم فى الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى

وقولى

ارشفنى ريقه وعانقنى * وخصره يانوى من الدقه
فصرت من خصره وريقته * أهيم بين الفرات والرقه

وقولى

ابصروا عند وداعى * عقدها وهو مفرط
انها فى ذاك قالت * برح الشوق وافرط

وقولى

سجدت جفونى هيبة لما بدا * محراب حاجبه بغير حجاب
الله اكبر وهو يغزو مهجتى * حربا ولم أخرج عن المحراب

وقولى

طلبت منه قبلة فقال لى * وقد بدا يشرع فى الاعراض
نسيت فعل سيف لحظى قلت لا * ياقاتلى وكيف أنسى الماضى

وقولى

قيل لى لما عرتنى شدة * وتناءى فرج عن مده
ياأخا الاشواق ماذا تبتغى * قلت أبغى فرجا من بعد شده

وقولى

مذ جفانى مرض القلب ولم * الق فى الضعف وفى الكسر انجبارا
* قلت للعارض ياآسى اذا * درت دارى مرض القلب فدارا

وقولى

طلبت تقبيل من احب وقد * انكرت فى الخد نقطة حسنه
* فرق لى قلبه وقال اذا * قبلت خدى لا تنكر الحسنه

وقولى موريا ومضمنا

حثت عزمى شوقا اليكم * فلم اطق مكثه بارض
وحيث لم احظ بالتلاقى * فغايتى أن الوم حظى

انه ابد الله الشيخ مابى
المطلبان لكن القطان
ولا المكان لولا السكان
وقد كنت اسمع الناس
يقولون ان الانسان لولده
احب منه لوالده فانكرت
ذلك طبعا واعظمته شرعا
فقال لى انك لم تذق حلاوة
الاولاد فاقول واعل ويوشك
وانسب ذلك الى لؤم الفطرة
وسوء الخلقة وخبث الطينة
والقشر المطعون بالحما
المسنون حتى ولدت وحسب
العاقل نص الكتاب حكما
ان البنات خير زكاة
واقرب رحما لعمرى ان لى
بها شغف الوالد بالواحد وما
اود ان لى بدلا ولا عشرة لى

وقولى

جاء بصبح ثغره مبتسما * يمشى بليل الشعر فى دلال
قلت لقد دمت لقلبى هكذا * مادامت الايام والليالى

وقولى مرتجلا فى جبهة دمشق من دوبيت

* لما ملأ الجبهة بالانوار * لما ملأ الجبهة بالانوار * لما ناء على ذلك خوف العار
قال انصرفوا سمت من بلادتكم * والجبهة من منازل الاقمار

وقولى

مذ اظهر ورده لنا ريحانه * ناديت لتلك المقلة الكسلانه
قد دب عذاره على وجنته * قوى اتبهنى قالت انا نعسانه

وقولى

احببته متأدبا ونظمت فى * حسن ابتدائى فيه نظم المرقص
واشار فى حسن الختام أجبته * حسن الختام يكون بعد تخلصى

وقولى

يعاشرنى بابيات ولكن * يعيرنى اذا طال اجتماعى
فان انشدت اشعار السلام * يطارحنى بابيات الوداع (ح)

وقولى

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لى * انا عبد لكل جيد

وقولى

قال أراك الحمى تعوض * بغصن قدى اذا جفا كا
فقلت من بعد قد حبى * والله ما اشتهى أراكا

وقولى

رمت يوم العيد منه وقفة * امرى من بعده حالى وضعفه
فطر القلب وولى قائلا * يامعنى ما العيد الفطر وقفه

وقولى

قال لنهد الحب صفنى مذ غدا * فاعدا فى الصدر بالتصدير يجهر
قلت اذ برز فى تحقيقه * أنت بالتحقيق والله مصدر

وقولى

اسياف لحظ قاتلى * لما اغمدت حدها
وعربدت من سكرها * قالت استحى فردها
* وقال لى سوريا * لابد أن احدها

وقولى

عاتبته ودموعى غير جارية * لان دمعى من طول البكى نشفا

مثلا ومع ذلك فلبس فى حل من ظن انى لا أجعلها السيدنا ادام الله عزه وفداء وانتظر دعاء وفداء لا ابتدارا لا ابتداء على بذلك ميثاق من الله غليظ والله على ما اقول حفيظ واجدنى اذا قرات قصة الخليل ابراهيم فى الذبيح اسمعيل صلوات الله عليهما أحمس لنفسى من سيدنا ادام الله عزه بتلك الطاعة لو وقع البلاء والعافية اوسع واظنه لو تلنى للجبين اوانخذ منى باليمين وقطع الوتين لصنته عن الانين وبين الضمان والوفاء علم الله المحيط وبينهما من الترجيح ما بينى وبين الذبيح وربما نظر فى كتابى هذا من لم يعرف بعد الضمان من الوفاء وبينهما

فقال لم أر وكف الدمع قلت له * حسبك اقصايدر الدجا وكفا (وكنى)

وقولى

قالت وقد قبلتها فى جيدها * تصبو الى غيرى وتخلص من يدى
فاجبت حين تقلدت بدامعى * ياهند خوضى فى دمى وتقلدى

وقولى

بنقطة الخال وطعم اللمى * وخضرة الشارب ياعاتبى
قد ملت للنقطة بعد التقى * وقلت بالمشروب والشارب

وقولى

ارداف من اهواه قد تثاقلت * لما تجافى الشعر يوم البين
وبعد ذا وجنته تلونت * وساقه والله ذو وجهين

وقولى

برامة لى ظبى * تخشى الاسود ضرامه
كم هام قلبى فيه * بين العذيب ورامه

وقولى

هو بت غصنا الاطيار القلوب على * قوامه فى رياض الوجد تغريد
قالت لو أخطه انا نسود على * بيض الظبا قلت انتم اعين سود (د)

وقولى

قلت له ان جفن مقلته * يشبه سهما بجعبة رشقه
خفت من الفتك رحت أملقه * سابقنى مدمعى يرى ملقه

وقولى

فى سويداء مقلة الحب نادى * لحظه وهو يقنص الاسد صيدا
لاتقولوا مافى السويدا رجال * فانا اليوم من رجال السويدا

وقولى

بروحى أفتدى ظبيا نفورا * يحق له بروحى ان يفدى
جلا لصدا قلبى فرد يوم * بوصل منه ثم جفا وصدا

وقولى مورّيا مضمنا

ومذ كلمت جسمى سيوف لحاظها * شكوت اليها قصتى وهى تبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم ترقبلى ميتا يتكلم *

وقولى

جاد النسيم على الربا * بندى يديه وقال لى
انا ما اقصر عن ندى * وكماعلمت شمائلى

وقولى

رأيت مع المنثور بعض وقاحة * ولم ادر مابين الغدير وبينه

تلون

مابين الارض والسماء فيراى احرف وماوراه يعرف انه وان بعد المثل اختلف قوم فى عمر بن عبد العزيز والحسن بن يسار أيهما افضل فقال اولو التميز عمر بن عبد العزيز وقال اهل الابصار الحسن ابن يسار وانما أردت بأولى التميز نظارة القلوب وباهل الابصار نظارة العيون فسئل الحسن عن ذلك فقال عمر خير منى لانه ملك فعف ووجد فاخف ولعل الحسن لو وجد لاخذ وصدق رحمه الله ليس الزاهد عن جلة كالزاهد عن عدة وليس من فعل كمن وعدان يفعل وسد ما نعرف بركات دعاء سيدنا واستظهر

تلوّن منه ثم مدّ أصابعا * الى وجهه قصداً وخضر عينه

وقولي

حبابها عاصرها فى كأسها * مشرقة باهية كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت استنيها امام العصر

وقولي

لما غدا حباب كأسي شاعرا * لنظم خمريات بحترز
اوقفت ساقينا على نظامه * فقال لى والله هذا جوهر

وقولي

لما غدا اراحى خلا باليا * وكاد أن لم يك فى الزجاج
وجاز بالمه الى جيرانه * ورق قالوا صنه بالعلاج
جئته مستقصيا اعراضه * وجدته معتدل المزاج

وقولي

فى حب كأسي لامني * من ليس يدرى حالتى
فقلت دعنى انني * وجدت فيها راحتى

وقولي مماجنا

أعتابكم ان حرموا ماءها * وحرقوا فيها على الشارب
لا تحرمونى التين انى امرؤ * أعشقه بالقلب والقالب

وقولي

أدخلت أيرى فيه * اصبت منه المقاتل
فقلت كيف تراه * فقال والله داخل

وقولي

العلم ابن الكوير قال معى * لطف وظرف حواهما الكرم
وقاستى بانة مهفهفة * فقلت لا بانة ولا علم

وقولي

قالوا صفى الدين اشعاره * ما للورى فى طرقها ممشى
وهكذا انشاؤه مسكر * قلت لهم والله ما أنشا

وقولي

ديوان تطمى جاء وهو محرّر * برقيق نظم لفظه يستعذب
فاذا بدى لا تستقلوا حجمه * وحبابكم فيه المكثر الطيب

انتهى ما أوردته فى باب التورية من كتاب الله وحديث نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام أصحابه رضى الله عنهم اجمعين ومن نظم فحول العرب والمولدين الى أن انقطع العلم الفاضلى وأوردت محاسنه ومحاسن من مشى تحت علمه المجددى الى أن اتصل هذا السند بلعيان أهل العصر قلت ولولا الحياء من العصابة الثباتية وأئمتهم العزت العلمين من الوداعى

بها على الخطوب فليمدنى بها ادبار الصلوات وادبار النجوم ان دعاء الفجر كان مشهودا وعلى لسيدنا ايده الله ورد صباح ومساء من صلاة ودعاء فليرقنى انى الى حركات لسانه فقير وهو بان يفعل جدير والله على أن يستجيب قدير
(وله اليه أيضا)
بسط سيدنا الى سمعه ويقف عليه من لا يتهم عقله ان هذا السلطان لما ارتحل عن بلاد خراسان الى دار الهند وهى سيف واصبح السيف وهو دم تقن تشغلى ونا تلظى وناس يأكل بعضهم بعضا وبعث الفساد أهله فالنهار مصادرة والليل مكابرة وقتل عمرو وقتل

بنات فاوردت هنا من مطرب عطره فرداته ما يغني عن المثاني والمثالث فانه أحد أئمة هذا المذهب واذا ذكرت التورية فهو عذيقها المرجب وعلى كل تقدير ففرسان العلمين المشهورين الفاضلي والنباتي هم الذين أبرزوا عروس التورية من خدرها وحققوا للناس من تساذج عن نقوش القاعدة وسفل عن علو قدرها ولم أخل بذكر الشهاب محمود وكان محمود الشيمة في الفاظه على كل ناظم وناثر الا ان التورية كانت غير مذهبه ووقوعها في نظمه ونثره من النوادر وقد ذهب بها القاضي شهاب الدين بن فضل الله ولكن ما تفقه في هذا المذهب ولا حرره ولا أبدر فيها بدر الدين بن حبيب وكانت ليالي سطورها بنظمه غير مقمرة ولهذا خدمها حذاق الادب وحافظوا على الخدمة وثابروا وأنشدوا من رضي بالشعر الموزون

اذا كنت لا تدري سوى الوزن وحده * فقل أنا وازن وما أنا شاعر

قلت ومما تخيرته من نظم القاضي شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله من النكت التي وقعت له عفوا من غير كد ولا تكلف قوله

جاءوا بانواع من الطيب انا * تحملها معشوقة ممشوقه

قلت خذوا الطيب لكم جميعه * بشرط أن لا تأخذوا المعشوقه

ومما اخترته من نظم بدر الدين بن حبيب رحمه الله تعالى قوله

وجنته الحمراء لما كست * خضرة أذناب الطواويس

عابوا الفرط الحسن دينارها * فقلت خلوه على كيسي

قلت وقد عن لي أن أورد هنا نبذة من نظم من كانت التورية غير مذهبه لاجعلها في مهالك الاشكال وموانع العقادة جل مطلبه وما على من تأخر عصرا أو تقدم فان الغرض أن يصير عقد التورية وهو بنظم من شعر بها منتظم وما خفي أن من حذاق الادب من وقعت له التورية عفوا وصار العفو محلا عند القدرة ومنهم من نقب عنها وعسعس عليه ظلام التكليف فلم يبرزها نيره كالشيخ صفي الدين فانها كانت غير مذهبه وحاولها مرارا فاتى بها مغصوبة ولم يبلغ من اقتناص شواردها بحبائل فكره مطلوبه كقوله

وساق من بني الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق

املكه قيادي وهو رقي * وافديه بعيني وهو ساقي

قلت لا شك ان مراده بالمعنى الواحد من التورية ساقي الراح وهو ظاهر صحيح وبالمعنى الآخر أن يكون هذا الساقي ساقا للشيخ صفي الدين وهو غير ممكن ولعمري ان هذا مسلك من ليس له في باب التورية مدخل وهذه النكتة أبرزتها معلمة الطرفين وانا اذ المبتدئ لم أبلغ من البلاغة أشدى ولا ثبت عند قضاة الادب رشدي بقولي موريا ومضمنا

يا حسن ساق يقول ان ذهبت * مدامكم فتكيفوا بأحداقي

شمر عن ساقه لنا وسقى * فقامت حروب الهوى على ساق

قلت ومما عقده الشيخ صفي الدين في هذا الباب بيت بديعيته الذي نظمه شاهدا على هذا النوع وهو قوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

خير النبيين والبرهان متضح * في الحجر عقلا ونقلا واضح اللقم

زيد وانج سعد فقد هلك سعيد وثمن الرأس منديل والبينة العادلة سكين ودار الحكم بيت القمار والبين الغموس فلان الجار والجامع حانة الخمار وخير الاسواق ما يسرق وشرها ما يحرق والسعيد من سلب والشقي من صلب ولا شئ الا السلاح والصياح وكل شئ الا السكون والصلاح وأنا اذ ذاك حاضر نيسابور وداري بين الفئة الرافضة وكل يوم تهديد ورعب جديد فقلت ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلا به الخطب الا وهو للقصد مبصر فلقيت صدور نيسابور وقلت حتام هذا البلاء والعلاج قريب المأخذ

قلت

قلت ومن نواريه التي يستشهد بها على رفضه ولابد ان الله تعالى يقابله فيها على قبح سريرته وقلة أدبه قوله

اذا شاهدت عيناك وجه معذبي * وقد زارني بعد القطيعة والهجر
رأيت بقلبي من تلقيه مرحبا * وسيف علي في لحاظ أبي بكر

وكذلك الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جابر الاندلسي ناظم البديعية كان عن نظم التورية بمعزل ولم ترض أن تنزل من أبياته بمنزل وبيت نظمه في بديعيته شاهدا على هذا النوع في غاية العقادة والسفالة وهو قوله

لا يرفع العين للراجين يغضهم * بل يخفض الرأس قولا هالك فاحتكم

وهذه البديعية غالبها سافل على هذا النمط والتورية تجل عن أن تكون من مخدرات هذا البيت ولكن أورد له الشيخ أبو جعفر في شرحه الذي كتبه على بديعيته ما هو منقول في هذا الباب وهو قوله

وقفت للوداع زينب لما * رحل الركب والمدامع تسكب
مسحت بالبنان دمعي وحلو * سكب دمعي على اصابع زينب

قلت ورتبة الشيخ صفي الدين بالنسبة الى ابن جابر معلوم انها عالية ولكن التورية ما دخلت الى بيت من بيوته الا خرجت غير راضية ومن التوارى التي وقعت لناظمها عفوا بل سحرا من غير كلفة قول القائل

قاسوك بالغصن في التثني * قياس جهل بلا انتصاف
فذاك غصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا خلاف

ومن ذلك قول جلال الدين شاعر ماردين قديما

ويوم برديك أنفاسه * تخمش الاوجه من قرصها
يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

ومثله قول شرف الدين بن منقذ

ولرب ليل تاه فيه نجمه * وقطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فاجابني * لو كان في قيد الحياة تنفسا

ومثله قول ابن نبيه وكانت التورية غير مذهبه

تعلمت علم الكيمياء بحبه * غزال بجسمي ما بعينيه من سقم
فصعدت أنفاسي وقطرت أدمعي * فصح بذا التدبير تصفية الجسم

ومثله قول ظهير الدين ابن البارزي

بالحمية الحب التي * طال لها تلفتي
هل أنت مسك التركي او * هل انت مسك تبت

ومثله قول امين الدين السليماني

اضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

وهلا تفرط انفقه من الغزاة الى هؤلاء الغواه وآزرهم اهل الصلاح وانا أول من دعا الى هذا الامر وأجاب اليه وبذل فيه وأنفق عليه ففعلوا وما كان سواد ليله حتى علت كلمة الحق وباد الفساد وان جرح الجور قريب الغور وان نار الظلماء سريعة الانطفاء وان كيد الشيطان ضعيف ثم أسمع الآن بهمذان من خراب واضطراب وباموالها من ذهاب وانتهاب وباسواقها من فساد وكساد وباسعارها من غلاء وباهلها من جلاء افليس فيهم رجل رشيد يجمع كلمة اهل الصلاح محبا من تعاون المفسدين على أخذ ما ليس لهم

ومثله قول محاسن الشواء

ولما أتاني العاذلون عدمتهم * وما منهم الا للحمى قارض
وقد بهتوا لما رأوني ساهيا * وقالوا به عين فقلت وعارض

ومنه قول سعد الدين الفارقي

قضى على خده فان قبض الهوى * روحى فطالب خده لي بالدم
واذا دجا ليل الفراق فناده * يا كافرا أحللت قتل المسلم

ومثله قول شهاب الدين ابن ابى الحوف

اقول لعقد أذهل الطرف حسنه * على جيد خود وصلها كل مقصودى
أخذت نظاما راق معنى فقال لى * وما زلت فى عمرى أدور على الجيد

ومثله قول ابراهيم بن عبد الله الغرناطى

يارب كأس لم تشج شمولها * فاعجب لها جسما بغير مزاج
لما رأينا السحر من اشكالها * جلا نسبناه الى الزجاج

ومثله قول مجير الدين بن حبان الشاطبى

تؤمون الحجاز وما علمتم * بان القلب يتبعكم العتيق
والفاظى العذيب واضلعى المنحنى ودمعى العقيق

ومثله قول الشريف محمد بن قاضى الجماعة بغرناطة وهو

حدائق انبتت فيها الغوادى * ضروب النور رائقة البهاء
فما يدعو بها النعمان الا * نسبناه الى ماء السماء

ومنه قول لسان الدين بن الخطيب

جلس المولى لتسليم الورى * ولفصل البرد فى الجو احتكام
فاذا ما سألوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

ومنه قول الشيخ شمس الدين الادفوى

كم للنسيم على الربا من نعمة * وفضيلة بين الورى لن تجحدا
ما زارها وشكت لديه فاقة * الا وهزلها الشمائل بالندا

ومثله فى الحسن واللطف قول الشيخ موفق الدين الحكيم

لله أيامنا والشمل مجتمع * نظما به خاطر التفريق ما شعرا
والهف قلبى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

ومنه قول عبد العزيز الآمدى

ان الذى فى وجهه جنة * حفت بمكروه من العذل
مقلته فى وسط قلبى غدت * اوصلة تأكل بالغزل

ومنه قول القائل واجاد

ويد الشمال عشية مذ أرعشت * دلت على ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيا فى صحيفة جدول * فيد الغمامة صححته بنقطها

وتخاذل المسلمين عن منع
ما لهم واعجب من ذلك
تدبيم خراسان انه والله
يحزننى ما اسمع فينطقني بما
تسمع وقد كنت سمعت من
قبل بالقفول فارتنى عن
تلك الديار الاموال الاخبار
الى وان كنت بهم الامصار
لمشى على الابصار قبولا
عند السلطان ووجاهة
عند العوام مقصوص
جناح المسار الطير الى
الاوطان كل مطار كان
الم يصل رجى كل عام بكتاب
ثم قطع عادة بره وأراه محاسنى
من صحيفة صدره وقد
اهديت له فارقى مسك
تصلان بوصول كتابى هذا
اليه وبينهما من السلام
اطيب منهما عرفا وسيدنا
يوصلهما اليه ويصله بهما

ومثله فى الحسن قول علاء الدين بن البطريق ناظر الجيش ببغداد

دار السراج بديعة * فيها تصاوير بمكنه
تحكى كتاب كليلة * فترى اراها وهى دمنه

ويعجبنى فى هذا الباب قول القائل فى حمام

ان حمامك التى نحن فيها * أى ماءاتها وأية نار
قد نزلنا فيها على ابن معين * ورويناعنه صحيح البخارى (ى)

ومن المخترعات فى هذا الباب قول الشيخ شمس الدين الواسطى يهجو عوادا وزامرا

شبهت ذا العواد والزامر اذ * ضاقت علينا بهم المناهج
بعقرب يضرب وهو ساكت * وارقم ينفخ وهو خارج

ويعجبنى قوله من دوبيت

ان ضرّمنى بجذوة التذكار * حبى وبرى عظامى شكرت البارى
فالعاذل فى هواه لا عقل له * ما بلد عاذلى وأذكى نارى

ومنه قول القاضى علاء الدين بن الجوينى صاحب الديوان ببغداد

يا طيب مبيتنا بوادى السمر * فى بهجة ليلة بضوء القمر
وافى بفراقنا نسيم سحرا * ما أبرد ما جاء نسيم السحر

ومن الغايات فى هذا الباب قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

كم قال معاطفى حكتها الاسل * والبيض سرقن ما حوته المقل
والآن أوامرى عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

ومثله قوله

يا غاية منيتى ويا معشوقى * من بعدك لم أمل الى مخلوق
يا خير نديم كان لى يؤنسنى * من بعدك صليت على الراووق

ويعجبنى من نظم المواليا فى هذا الباب قول القائل

حبى ومحبوبتى مذبان يوم البين * زاروا عشا ليلة الاثنين قبل الحين
فصرت انظر الى زينه وألمح زين * واقول يا قلب ما احلى ليلة الاثنين

ومثله فى اللطف قول الآخر

معمتها وهى داخل دارها فى الحصن * تنشد رمل صنت قلبى المعنى صن
يا ليتها مع تغنيها وطيب اللحن * ترفع أجر وودع يدخل على اللحن

ومثله قول الآخر

قالت لها اختها قصدى يسوعنا * ما النحو قالت لها نحن باجمعنا
للرفع والنصب انا وانتى ومن معنا * للجر والزوج حرف جاء للمعنى

ومنه قوله

ستى الكبيرة لها الخدام والحرمه * تحلف على النيك بالمصحف وبالختمه
جاها الطواشى افتضت لونك من كلمه * وراحت بين القواقيه على قرمه

اليه ويصله بهما والقاضى
مولاى أبو فلان لا يذكرنى
الامرا ولا يأتينى الا نزرا
وهو الخاطب وما يعجب
والنفس وما تختلم وقد
أهديت اليه فأرة مسك
معها أختها من السلام
الم مولاى أبو القاسم فى
سعة من العقوق بركض
وان كان سيدنا يعتذر عنه
بما يعلم عبده وقد اتحفته
بفأرة مسك تصل اليه
الفقيه فلان اذا نسيت
الناس أذكره واذا طويت
الجميع انشره البر قديما
وحديثا الزكى اولا وآخرا
قد بعثت اليه فأرة مسك
كأنها اشتقت من
اخلاقه سيدى فلان

ومثله فى اللطف قول القائل

يا منيتى زدت لهوانى تشفها * واحرمتنى الشفة الحمراء ارشفها
تحب بيضا واجفانك تحشفها * بالله اتطرظ الاملاتى وكشفها

ويعجبنى قول الشيخ حامد الحكاك

نار الغرام التى فى مهجتى خامد * وسال دمعى الذى كنت اعهده جامد
وانا ببغداد والمحبوب فى آمد * مصيبتى عظمت وانا لها حامد

وقد طال الشرح واوردت فى باب التورية من المحاسن ما يكفى قديما وحديثا وأوردت بعد ذلك ما وقع فيها من النظم عفوا وتكلفا وقد تعين على ايراد ما وعدت به فى ديباجة هذا الباب من فقه التورية والكلام على أنواعها واقسامها فان القول على اختلاف عبارات الحدود قد تقدم والكل راجع الى مقصود واحد اذ القصد من لفظ التورية أن يكون مشتركا بين معنيين أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالقريب فيوهم السامع اول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك ولهذا سمى هذا النوع ايهاما (والتورية اربعة أنواع) مجردة ومرشحة ومبينة ومهيأة

النوع الاول التورية المجردة وهى التى لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به وهو المعنى القريب ولا من لوازم المورى عنه وهو المعنى البعيد وأعظم امثلة هذا النوع قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين احدهما الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد لان الحق سبحانه منزه عن المعنى الاول ولم يذكر من لوازم هذا شيأ ولا من لوازم ذاك فالتورية مجردة بهذا الاعتبار ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى خروجه الى بدر وقد قيل له ممن انتم فلم يرد ان يعلم السائل فقال من ماء واراد انا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة من العرب يقال لها ماء ومن ذلك قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى الهجرة وقد سئل عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل من هذا فقال هاد يهدينى اراد أبو بكر هاديا يهدينى الى الاسلام فورى عنه بهادى الطريق الذى هو الدليل فى السفر ومنه قول القاضى عياض فى سنة كان فيها شهر كانون معتدلا فازهرت فيه الارض

كأن نيسان أهدى من ملابسه * لشهر كانون أنواعا من الحلل
او الغزالة من طول المدى خرفت * فما تفرق بين الجدى والحمل

فالتورية هنا مجردة والشاهد فى الغزالة والجدى والحمل فان الناظم لم يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيأ من لوازم المورى به كالاوصاف المختصة بالغزالة الوحشية من طول العنق وسرعة الالتفات وسرعة النفرة وسواد العين ولا من اوصاف المورى عنه كالاوصاف المختصة بالغزالة الشمسية من الاشراق والسمو والطلوع والغروب فان قيل ان الغزالة قد رشحت بذكر الجدى والحمل وهما مرشحان بالغزالة فالجواب ان لازم التورية من شرطه ان يكون لفظه غير مشترك والغزالة هنا مشتركة وكذلك الجدى والحمل ومنه قول القاضى محيى الدين بن زيلاق وقد اهدى لصاحب الموصل حملا

فضائلى التى نشدتها وعدقها التى دخرتها وله فأرتا مسك وعليه قبولهما سيدى أبو فلان له من صدرى شعب فارغ ومن قلبى محل عامر وعليه السلام وله فأرتا مسك يصلهما سيدنا سيدى أبو فلان وكريمته العصمة يصحان مثالا لعينى ويمسان خيالا لقلبى وقد أهديت لهما فأرتى مسك وما طاب وعذب من السلام الصمات مخصوصات بالسلام وقد وصلتين بفأرتى مسك يقسم بين سيدى أبو فلان قد سرنى اقباله على العلم وتوسطه الادب واشتد عضدى به

يا أيها

يا أيها المولى الذى * يبابه كل امل * لولم تكن بدر السماء أهدى لك الثور حمل

فالتورية وقعت بين البدر والثور والحمل ولم يذكر لواحد منهما لازما فالبدر مشترك بين اسم الممدوح وبدر السماء والثور مشترك بين الحيوان والبرج فى السماء وكذلك الحمل ومنه قول بعضهم من كان وكان

لو سدله خلف ظهرو * ناظر اليه المشترى

ولو ذنب مايقارن * حتى يرى الميزان

ومنه قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر يصف واديا

وبطحاء من وادير وقك حسنه * ولاسيما ان جاد غيث مبكر

به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به العيش يحيى وهو لاشك جعفر

فالتورية وقعت هنا فى الفضل والربيع ويحيى وجعفر والاشتراك فى كل من الاربعة ظاهر

النوع الثانى التورية المرشحة وهى التى يذكر فيها لازم المورّى به سميت بذلك لتقويتها بذكر لازم المورّى به ثم تارة يذكر اللازم قبل لفظ التورية وتارة بعده فهى بهذا الاعتبار قسمان فالقسم الاول منها هو ماذكر لازمه قبل لفظ التورية واعظم امثلة قوله تعالى والسماء بنيناها بأيد فان قوله بأيد يحتمل الجارحة وهذا هو المعنى القريب المورّى به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة وعظمة الخالق وهذا المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد فان الله سبحانه منزه عن المعنى الاول ومنه قول يحيى بن منصور من شعراء الحماسة

فلما نأت عنا العشيرة كلها * انخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا عند يوم كريهة * ولا نحن اغضينا الجفون على وتر

الشاهد فى الجفون فانها تحتمل جفون العين وهذا هو المعنى القريب المورّى به وقد تقدم لازما من لوازمه على جهة الترشيح وهو الاغضاء لانه من لوازم العين وتحتمل أن تكون جفون السيوف أى اغمادها وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم ومن الطف ماوقع فى هذا القسم قول شمس الدين الحكيم بن دانيال الكحال

ياسائلى عن حرفتى فى الورى * وصنعتى فيهم وافلاسى

ما حال من درهم انفاقه * ياخذه من اعين الناس

الشاهد هنا فى أعين الناس فانها تحتمل الحسد وضيق العين وهو المعنى القريب المورّى به وقد تقدم لازمه على جهة الترشيح وهو درهم الانفاق لانه من لوازم الحسد ويحتمل العيون التى يلاطفها بالكحل وهذا هو المعنى المورّى عنه وهو مراد الناظم الكحال انتهى القسم الاول من التورية المرشحة والقسم الثانى منها هو ماذكر لازمه بعد لفظ التورية ومن أمثلته اللطيفة قول الشاعر

مذهمت من وجدى فى خالها * ولم أصل منه الى اللثم

قالت قفوا واستمعوا ماجرى * خالى قد هام به عمى

الشاهد فى الخال فانه يحتمل خال النسب وهذا هو المعنى القريب المورّى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو العم ومنه قول الشاعر

والله يبقيه وله فارزمسك ولمن وراءه سترهم الله مثالها وقد خدمت مجلس سيدنا بخمس وعشرين نافجة تتمة خالصة لخاصته وأوصيت شيخى أبا نصر العطار أن يتأنق فى ابتياعها واختيارها ويحتاط فى انفاذها وايصالها وقرنت من العود الهندى الرطب بها نصف رطل ويصل بوصولها جبة حلة معينه وزوج خاتم أحدهما منقوش بلا اله الا الله والآخر بدخشانى لطيف وسيدنا يعتذر عنى الى الاخ فى تأخير ماطلب من الزبيب الطائفى فان ذلك أمر يتصل بفراغ البال وسعة الوقت واذا وجدتم ما

اقلعت عن رشف الطلا * واللثم فى ثغر الحبب
وقلت هذى راحة * تسوق القلب التعب

الشاهد هنا فى الراحة التى هى ضد التعب وقد ذكر التعب بعدها على جهة الترشيح لها وهذا هو المعنى القريب المورّى به ويحتمل الراحة التى هى من أسماء الخمر وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم

النوع الثالث التورية المبينة وهى ماذكر فيها لازم المورّى عنه قبل لفظ التورية وبعده فهى بهذا الاعتبار أيضا قسمان فالقسم الاول هو ماذكر لازمه من قبل واستشهدوا عليه بقول البحترى

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

الشاهد هنا فى تملح فانه يحتمل أن يكون من الملوحة التى هى ضد العذوبة وهذا هو المعنى القريب المورّى به ويحتمل أن يكون من الملاحة التى هى عبارة عن الحسن وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين ملية بالحسن قلت هذا الشاهد الذى استشهدوا به من نظم البحترى فيه نظر ولكن يأتى الكلام عليه فى موضعه ومن أحسن الشواهد على هذا القسم قول الشيخ شرف الدين بن عبد العزيز شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى

قالوا أما فى جلق نزهة * تنسيك من أنت به مغرى
ياعاذلى دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا (ى)

الشاهد هنا فى موضعين وهما السهم وسطرا فان المعنى البعيد هما الموضعان المشهوران بمنتزهات دمشق وذكر النزهة بجلق قبلهما هو المبين لهما وأما المعنى القريب فسهم اللحظ وسطر العارض القسم الثانى من التورية المبينة هو الذى يذكر فيه لازم المورّى عنه بعد لفظ التورية ومن أمثلته البديعة قول الشاعر

أرى ذنب السرحان فى الافق ساطعا * فهل ممكن أن الغزالة تطلع

الشاهد هنا فى موضعين أحدهما ذنب السرحان فانه يحتمل أول ضوء الفجر وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بذكر لازمه بعده بقوله ساطعا ويحتمل ذنب الحيوان المعروف وهذا هو المعنى القريب المورّى به واستشهدوا على هذا القسم بقول ابن سناء الملك وهو

أما والله لولا خوف سخطك * لهان علىّ ماألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

الشاهد هنا فى الخافقين فانه يحتمل أن يريد قلبه وقرط محبوبه وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بالنص عليه فانه صرح بعد الخافقين بذكر القلب والقرط ويحتمل أن يريد ملك المشرق والمغرب وهذا هو المعنى القريب المورّى به

النوع الرابع التورية المهيأة وهى التى لاتقع فيها التورية ولاتتهيأ الا باللفظ الذى قبلها او باللفظ الذى بعدها أو تكون التورية فى لفظين لولا كل منهما لماتهيأت التورية فى الآخر فالمهيأة بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام القسم الاول من التورية المهيأة وهو الذى تتهيأ فيه

التورية

أهديت له مائة وقر سيدى ماله قطع عادة فضله فى اهداء السلام والكتاب المفرد وسيدنا أولى من عاتبه ليعود الى الحسنى بمكانة معتمدة وقد أهديت له فارة مسك ليوسعه تذكرة ويوسعنى معذرة ولسيدنا فى الوقوف على ما كتبت به وتشريفى بالجواب رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

كتبت أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأنا فى هياط ومياط وجمع اختلاط بزاق ممزوج بمخاط وسعال معجون بضراط فان نشط لى فى هذه الحالة فالقدر القدر وان لم ينشط فالعذر العذر والسلام

التورية من قبل وقد استشهدوا على ذلك بقول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة

وسيرك فينا سيرة عمرية * فروحت عن قلب وافرجت عن كرب
واظهرت فينا من سميك سنة * فاظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

الشاهد هنا في الفرض والندب وهما يحتملان أن يكونا من الاحكام الشرعية وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى العطاء والندب صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج الماضي في الامور وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية فيهما ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية * القسم الثاني من التورية المهيأة وهو الذي تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعده ومن أمثلته نثرا قول الامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه في الاشعث بن قيس انه كان يحوك الشمال باليمين فالشمال يحتمل أن يكون جمع شملة وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ويحتمل أن يراد بها الشمال التي هي احدى اليدين وهذا هو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر اليمين بعد الشمال لما تنبه السامع لمعنى اليد ومنه نظما قول الشاعر

لولا التطير بالخلاف وأنهم * قالوا مريض لا يعود مريضا
لقضيت نحبا في جنابك خدمة * لاكون مندوبا قضى مفروضا

فالمندوب هنا يحتمل الميت الذي يبكى عليه وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد ويحتمل أن يكون أحد الاحكام الشرعية وهو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر المفروض بعده لم يتنبه السامع لمعنى المندوب ولكنه لما ذكر تهيأت التورية بذكره ومثله قول أبي الحسين الجزار

ياعذولي دعني من العذل ان السمع في مذهب الهوى تمريض
مت لما نأى فها أنا مندو * ب فراق وحبه مفروض

الكلام على هذا الشاهد كالكلام على الذي قبله * القسم الثالث من التورية المهيأة وهو الذي تقع التورية فيه في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر واستشهدوا على ذلك بقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي وهو

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يماني

الشاهد في البيت الاول في الثريا وسهيل فان الثريا يحتمل أن يكون أراد بها بنت على بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد والقريب ثريا السماء وهذا هو المعنى القريب المورى به وسهيل يحتمل أيضا سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وقيل كان رجلا مشهورا من اليمن وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ويحتمل النجم المعروف بسهيل وهذا هو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر الثريا التي هي النجم لم يتنبه السامع لسهيل وكل واحد منهما صالح للتورية والتورية هنا لا تصلح أن تكون مرشحة ولا مبينة لان الترشيح والتبيين لا يكون كل منهما الا بلازم خاص والفرق بين اللفظ الذي تتم به التورية واللفظ الذي تترشح به واللفظ الذي تتبين به أن اللفظ الذي تقع به التورية مهيأة لو لم يذكر

(وله الى فقيه نيسابور) وصلت رقعتك وشكرت في الذب عني فضلك ومثلك من ذب عمن أحب لكن الذب أبواب ولكل امرئ جواب ولو آثرت الحلم لكان أولى بك وأحب الى واذا أبيت الا أن تعطى المروأة مرادها كان الصواب ان تحفظ تلك الابواب أولها أن تعلم انه ليس في أبواب الذب أضعف من السب واذا تلوت قول الله عزوجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا علمت أن سلاح خصمك أقوى والناس رجلان كريم ولئيم وكل بأن لا يسب حقيق ان الكريم لا يشكر

لما تمت أبيات التورية أصلا والفظ المرشح والمبين انما هما مقويان للتورية ولولا ذكرهما لكانت التورية موجودة وسبب نظم هذين البيتين أن سهيلا المذكور تزوج الثريا المذكورة وكان بينهما بون بعيد في الخلق فان الثريا كانت مشهورة في زمانها بالجمال وسهيل بالعكس وهذا مراد الناظم بقوله عمرك الله كيف يلتقيان وأيضا هي شامية الدار وسهيل يماني انتهى الكلام على التورية المهيأة وهي آخر أنواع التورية (وهنا تنبيه فيه فائدة) وهو أن مشايخ هذا العلم قالوا البديع لفظ مشترك بين معنيين تتصور فيه التورية كاللغات التي تدور على الألسنة وانما تتصور حيث يكون المعنيان ظاهرين الا ان احدهما اسبق الى الفهم من الآخر وقد عن لي ان اختم باب التورية بفائدة تكون مسك ختامها وبدر تمامها وهي ان بعض علماء هذا الفن قالوا ان التورية اذا جاءت بلازمين فتكافآ ولم يترجح احدهما على الآخر فكأنهما لم يذكرا وصار المعنى القريب والمعنى البعيد بذلك في درجة واحدة وتلحق هذه التورية بالمجردة وتعد فيها قسما ثانيا وهي مجردة بهذا الاعتبار واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر

غدوت مفكرا في سر أنق * أرانا العلم من بعد الجهاله
فما ويت له شبك الدراري * الى ان أظفرته بالغزاله

وقالوا ان الشبك من لوازم الغزالة الوحشية والدراري من لوازم الغزالة الشمسية قلت أما قوله في تقريره ان اللازمين اذا تكافآ ولم يترجح أحدهما على الآخر تصير التورية كالمجردة فقريب وأما الشاهد ففيه نظر فانه صدر بقوله غدوت مفكرا في سر أنق فالتفكر في سر هذا الانق الذي أرانا العلم من بعد الجهالة لازم خاص يرجح جانب الغزالة الشمسية وأما الشبك فاستعارة مرشحة بالحسن للنجوم الدراري وهي ايضا مما يرشح جانب الشمس عند طيها الذي أراد به الناظم غيابها ولو كانت الشمس مجردة من الدراري ربما كان للغزالة الوحشية بعض مقاربة وعين الشمس هنا مما تغطي على الترجيح والله اعلم واستشهدوا أيضا على هذا بقول مجير الدين بن تميم

وليلة بت أسقى في غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم
ما زلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقالوا أيضا ان الصبح من لوازم الغزالة الشمسية والرعي من لوازم الغزالة الوحشية قلت أما الصبح فمن لوازم الغزالة الشمسية كما قالوا وأما رعي نرجس الظلم فليس من لوازم الغزالة الوحشية وانما هو استعارة مرشحة بالحسن للنجوم وهي مثل استعارة الشبك والدراري والغزالة الوحشية ليس لها اهتمام في رعي فانها اجنبية من رعي نرجس الظلم الذي هو عبارة عن النجوم والله اعلم وقد تقدم قولي على الشاهد الذي اورده للبحتري في التورية المبينة بذكر لازم المورى عنه من قبل وللمتفقه نظر وهو قوله

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح في القلوب وتعذب

هذا الشاهد تعارض فيه اللازمان وتكافآ وهو اقرب الى المجردة وما ذاك الا ان الشاهد في قوله تملح يحتمل ان يكون من الملاحة ولازمه تعذب وهو المعنى القريب ويحتمل أن

يكون

الفضل وان النذل لا يألم
العذل
يبعد منه عرض ظالم بصونه
ويرتع منك في عرض مصون
وهل أعرض لك مسألة الذب
في الذباب لتعلم ان اتقاءه
بالمكبة خير من اتقائه
بالمذبة وان ذبه بالمظلة أبلغ
من ذبه بالمذبة فان كان
لابد من انتقام واستيفاء
فأعيذك الله ان تجهل أن
آذان الأنغال في القذال
وهي آذان لا تسمع الا من
ألسنة النعال الأدم
أو ترجمة أكف الخدم
وعلامة فهمها جحوظ
العينين وخدر اليدين فان
تاب والا كررت هذا العتاب
ووجدتك أيدك الله تعجب
ان يجحد لئيم فضل صديقك

يكون من الملاحة وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولازمه ملية بالحسن وقد تعارض اللازمان وهذا هو الشاهد على هذا القسم الذى اختاروه أن يكون قسما ثانيا للتورية المجردة وأقرب منه قول الشيخ زين الدين بن الوردى

قالت اذا كنت تهوى * أنسى وتخشى نفورى
صف ورد خدى والا * أجور نادبت جورى

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

حملت خاتم فيه فصا أزرقا * من كثرة اللثم الذى لم احصه
لولا ماء لم الرقيب نباله * من خاتم نقل الحديث بفصه

والاشباه والنظائر من هذا القسم كثير والغرض ان اللازمين اذا تعارضا وتكافآ فى التورية يلحق هذا القسم بالتورية المجردة انتهى الكلام على التورية وقد قدمت من نظم الجماعة الذين مشوا تحت العلمين المشهورين ما هو أشهر من الاعلام فالمتأمل اذا جمع بين طرفى هذا الباب وعرف الانواع والاقسام وضع كل شئ فى محله فانى كشفت له اللثام عن وجه التورية وأما أبيات البديعيات فقد تقدم ذكرها والله أعلم بالصواب

(ذكر المشاكلة)

(من اعتدى فبعد وان يشاكله * لحكمة هو فيها خير منتقم)

المشاكلة فى اللغة هى المماثلة والذى تحرر فى المصطلح عند علماء هذا الفن ان المشاكلة هى ذكر الشئ بغير لفظه لوقوعه فى صحبته كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة فى الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة مثلها ومثله قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك والاصل تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما عندك فان الحق تعالى وتقدس لا يستعمل فى حقه لفظ النفس الا انها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس ومنه قوله تعالى ومكروا ومكر الله والاصل أخذهم بمكرهم ومنه قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أى نعاقبوه نعدل عن هذا لاجل المشاكلة اللفظية وفى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل حتى تملوا الاصل فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا عن مسألته فوضع لا يمل موضع لا يقطع الثواب على جهة المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا ومنه قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى فنجازيه على جهله فجعل لفظة نجهل موضع فنجازيه لاجل المشاكلة ومثله قول الشاعر وتلطف ما شاء

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

أراد خيطوا فذكره بلفظ اطبخوا لوقوعه فى صحبة طبخه قلت قد تقرر ان هذا النوع أعنى المشاكلة اللفظية أن يأتى المتكلم فى كلامه باسم من الاسماء المشتركة فى موضعين فتشاكل كل احدى المشاكلتين اللفظيتين الاخرى فى الخط واللفظ ومفهومهما مختلف ومن انشادات التبريزى فى هذا الباب قول أبى سعيد المخزومى

(المشاكلة)

نخفض عليك رحمك الله ان الذى تعجب منه يسير فى جنب ما يجده الانسان ان الله تعالى خلق أقواما وشق لهم اسماعا وابصارا فغاصوا بها على عرق الذهب حتى قصدوه ولم يزالوا بالنجم حتى رصدوه واحتالوا للطائر فانزلوه من جو السماء والحوت فاخرجوه من جوف الماء ثم جهدوا مع هذه الافكار الفائصة والاذهان الناقدة صانعهم فقالوا اين وكيف حتى رأوا السيف فلم تعجب يا فقيه ان جحدوا فضلا ليست الارض بساطه ولا الجبال أسماطه ولا السماء فسطاطه ولا الليل رباطه ولا النهار سراطه ولا النجوم

حدق الآجال آجال * والهوى للمرء قتال

فلفظة الآجال الاولى أسراب البقر الوحشية والثانية منتهى الاعمار وبينهما مشاكلة فى اللفظ والخط قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير هذا الشاهد وامثاله داخل فى باب التجنيس قلت قول الشيخ زكى الدين ظاهر ليس فى صحته سقم وهذا البيت الذى أنشده التبريزى من أحسن الشواهد على الجناس التام ولو اعتقد البديعيون على المشاكلة المعنوية لخلصوا من هذا الاعتراض وعلى كل تقدير فالمعارضة تعقدت بحكم الالتزام فى نظم هذا النوع أعنى المشاكلة اللفظية وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع قوله عن النبى صلى الله عليه وسلم

يجزى اساءة باغيهم بسيئة * ولم يكن عاديا منهم على ارم

وبيت العميان

سقاهم الغيث ماء اذ سقى ذهبا * فغير كفيه ان أمحلت لا تشم

وبيت الشيخ عز الدين

يجزى بسيئة للضد سيئة * معنى مشاكلة من خير منتقم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

من اعتدى فيعدوان يشاكله * لحكمة هو فيها خير منتقم

(ذكر الجمع مع التقسيم)

(جمع الاعادى بتقسيم يفرّقه * فالحى للاسر والاموات للضرم)

هذا النوع أعنى الجمع مع التقسيم هو ان يجمع الناظم بين شيئين فأكثر ثم يقسم كقول ابى الطيب المتنبى

الدهر معتذر والسيف منتظر * وأرضهم لك مصطاف ومرتبع
للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

وقد يتقدم التقسيم ويتأخر كقول حسان بن ثابت

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

فالاول أحسن وأوقع فى القلوب وعليه مشى أصحاب البديعيات وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

أبادهم فلبيت المال ما جمعوا * والروح للسيف والاجساد للرخم

الشيخ صفى الدين سمح فى هذا الباب قول أبى الطيب فى بيته وبيت العميان فى بديعيتهم

والمال والماء فى كفيه قد جريا * هذا الراج وذا للجيش حين ظمى

وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

علم ومال على جمع تقسمه * هذا الغمر وهذا نفع مغترم

وبيت بديعيتى

جمع الاعادى بتقسيم يفرّقه * فالحى للاسر والاموات للضرم

(ذكر

(الجمع مع التقسيم)

اشراطه ولا النار شياطه وأراك ابدك الله تغلو اذا وصفتنى ودونه يا فيصل المراد ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ العميد أبى الحسين)

ما اشبه وعد الشيخ العميد فى الخلاف الا بشجر الخلاف خضرة فى العين ولا ثمر فى اليدين فالا ينفع الموعد والا انجاز ان يعد ومثل الوعد مثل الرعد ليس له خطر مالم يتله مطر كان ايد الله الشيخ فى جبر انتار جل فاره الافراس فاخر اللباس لا يعد من الناس فلا تظنن ان الانسانية ببساط قونى ولا ثوب سقلاطونى ولا تقدر أن المكارم ثوبان من عدن

(ذكر الجمع مع التفريق)

(سناه كالبرق ان أبدوا ظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم)

هذا النوع اعنى الجمع مع التفريق هو ان يجمع الشاعر بين شيئين فى حكم واحد ثم يفرق بينهما فى ذلك الحكم كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فكأنه يقول الشمس والقمر كوكبان فهذا نهارى وهذا ليلى فجمع بينهما اذ هما كوكبان ثم فرق بان هذا يضىء نهارا وهذا يضىء ليلا فوقع الفرق فى الشىء الذى وقع به الجمع واستشهدوا على هذا النوع بقول الفخر عيسى

تشابه دمعانا غداة فراقنا * مشابهة فى قصة دون قصة
فوجنتها تكسو المدامع حمرة * ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتى

هذا الناظم جمع بين الدمعين فى الشبه ثم فرق بينهما بان دمعها أبيض فاذا جرى على خدها صار أحمر بسبب احمرار خدها وان دمعه أحمر لانه يبكى دما وجسده من النحول أصفر فاذا جرى عليه الدمع حمره ومنه قول البحترى

ولما التقينا والنقا موعدلنا * تعجب رائى الدر منا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وبيت الصفى الحلى

سناه كالبرق يجلو كل مظلمة * والعزم كالنار يفنى كل مجترم

وبيت العميان فى تركيبه قلق حيث قالوا

فلذ بمن كفه والبحر ما افترقا * الا بكف وبحر فى كلامهم

وبيت الشيخ عز الدين شن فيه الغارة على بيت الشيخ صفى الدين الحلى بقوله

وعزمه النار فى جمع يفرقه * ووجهه النور يجلو ظلمة الغشم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

سناه كالبرق ان ابدوا ظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم

(ذكر الاشارة)

(ومن اشارته فى الحرب كم فهم الانصار معنى به فاز وابنصرهم)

هذا النوع أعنى الاشارة مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بايماء ولمحة تدل عليه كما قيل فى صفة البلاغة هى لمحة دالة وتلخيص هذا الشرح انه اشارة المتكلم الى المعانى الكثيرة بلفظ يشبه اقلته واختصاره باشارة اليد فان المشير بيده يشير دفعة واحدة الى أشياء لو عبر عنها بلفظ لاحتاج الى الفاظ كثيرة ولابد فى الاشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار لان المشير بيده ان لم يفهم المشار اليه معناه فاشارته معدودة من العبث وكان النبى صلى الله عليه وسلم سهل الاشارة كما كان سهل العبارة وهذا ضرب من البلاغة يمتدح به والاشارة قسمان قسم للسان وقسم لليد ومن شواهد الاشارة فى الكتاب العزيز قوله وغيض الماء فانه سبحانه أشار بهاتين اللفظتين الى انقطاع مادة الماء من نبع الارض

(الجمع مع التفريق)

ولا تعبان من لبن المجد وراءه هذا الصف وقد طال مقامى وامتدت ايامى فلا تذكرة من فضل ولا معذرة من قول

(وكتب الى أبى نصر الطوسى)

كتابى عن سلامة ونعمة وأحوال على النظام جارية وشوق اليك وتواجد بك واعتداد بك وعلق فيك واستيحاش منك وخلوص مقة لك والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين ولك ياسيدى أيدك الله خلال خير وخصال فضل لا ينفعك عنها أحد ولك فى أكثر المكارم لسان ويد ولا تخلو منها من حزونة طوسية

(الاشارة)

ومطر السماء وذهاب الماء الذى كان حاصلا على وجه الارض قبل الاخبار ولو لم يكن كذلك لما غاض الماء ومنه قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فالمح ايها المتأمل كل ما تميل النفوس اليه من اختلاف الشهوات * وملاذ الاعين فى اختلاف المرئيات * لتعلم ان بلاغة هذا اللفظ القليل جدا * عبرت عن المعانى التى لا تحصر عدا * ومنه قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى ومن المنظوم قول زهير فى هذا النوع

فانى لو لقيتك فاتجهنا * لكان لكل منكرة كفاء

يعنى قابلت كل منكرة بمثلها ومن أمثلة هذا النوع قول امرئ القيس

بعزهم عززت فان يذلوا * فذلهم أنالك ما أنالا

فانظر كم تحت قوله أنالك ما أنالا من أنواع الذل ومثله قوله

فلا شكرن غريب نعمته * حتى أموت وفضله الفضل

أنت الشجاع اذا هم نزلوا * عند المضيق وفعلك الفعل

فالحظ كم تحت قوله وفضله الفضل بعد اخباره بانه يشكر غريب نعمته حتى يموت من أصناف المدح وترجيح فضله على الشكر وفى قوله غريب نعمته غاية المدح اذ جعل نعمته غريبة لم يقع مثلها فى الوجود وكم تحت قوله وفعلك الفعل بعد اخباره بنزول القوم عند المضيق الدال على صبرهم وشجاعتهم وما فى ذلك من ترجيح شجاعته عليهم ومنه قوله فى صفة الفرس

على هيكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جرى غير كز ولا وانى

فانه أشار بقوله أفانين الى جمع صنوف عدو الخيل المحمودة والذى يدل على ذلك قوله قبل سؤاله فان الافانين المحمودة كانت منه عفوا من غير طلب ولا حث وهذا كمال الوصف ولو عدت هذه المعانى بالفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة الى الفاظ كثيرة وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

يولى الموالين من جدوى شفاعته * ملكا كبيرا عدا ما فى نفوسهم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

ما تشتهى النفس يهدى فى اشارته * يعطى فنونا بلا من ولا سأم

وبيت بديعيتى

ومن اشارته فى الحرب كم فهم الا نصار معنى به فاز وا بنصرهم

(ذكر التوليد)

(تولید نصرته يبدو بطلعته * ما السبعة الشهب ما توليد رملهم)

قلت هذا النوع أعنى التوليد ليس تحته كبير أمر وهو على ضربين من الالفاظ والمعانى فالذى من الالفاظ تركه اولى من استعماله لانه سرقة ظاهرة وماذاك الا ان الناظم يستعذب لفظة من شعر غيره فيقتضبها او يضمنها غير معناها الاول فى شعره كقول امرئ القيس فى وصف الفرس

وقد اغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

فاستعذب

ورجل طاو وسنة ولو عريت منهما لكنت الامام الذى تدعيه الشيعة وتنكره الشريعة وكنت عزمت عزم يقين ان لا كاتبك عاما عقوبة لك على اخلالك بما عودتنى من خلالك ثم وجدت مر آنشوقى اليك جديدة ووطأة الفطام عنك شديدة فاستخرت الله تعالى فى نقض العزيمة ولا يسعك دينا ومروأة أن لا تتدارك حظى منك وحظك منى بما وجدت اليه سبيلا فافعل ذلك قبل أن ادكم الحال بينى وبينك فارميها من عال فلا تجد الافتانا وقد كفت فلا تأشغا لاقبلك ومهمات تصورها لك فلا

(التوليد)

فاستعذب أبو تمام قيد الاوابد فنقلها الى الغزل فقال

لها منظر قيد الاوابد لم يزل * يروح ويغدو فى خفارته الحب

والتوليد من المعانى هو الاجمل والاستر وهو الغرض ههنا وذلك ان الشاعر ينظر الى معنى من معانى من تقدمه ويكون محتاجا الى استعماله فى بيت من قصيدة فيورده ويولد منه معنى آخر كقول القطامى

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال من بعده ونقص الالفاظ وزاد تمثيلا وتوكيدا وتذييلا

عليك بالصبر فيما أنت طالبه * ان التخلق يأتى دونه الخلق

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامى بكماله ومعنى عجزه نوع التذييل وما تقدم ذكره وهو مولد قال ابن أبى الاصبع فى تحرير التحبير أغرب ما سمعت فى التوليد قول بعض العجم

كأن عذاره فى الخد لام * ومبسمه الشهى العذب صاد

وطرة شعره ليل بهيم * فلا عجب اذا سرق الرقاد

فان هذا الشاعر ولد من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لصا وولد من معناه ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم فحصل فى البيت توليد واغراب وادماج وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع

من سبق لا يرى سوط الها محلا * ولا حديد من الارسان واللجم

بيت صفى الدين هنا غير صالح للتجريد وقد تكرر عليه هذا النقد فى كثير من الابيات فان بيته لم يظهر له معنى ان لم ينشد البيت الذى قبله وهذا العيب سماه علماء هذا الفن التضمين ويأتى الكلام عليه فى موضعه ولكن هو أقبح ما يكون فى البديعيات لان المراد من بيت البديعيات أن يكون بمجرده شاهدا على النوع المذكور وليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده وبيت صفى الدين مولد من قول أبى عبد الله بن الحجاج

خرقت صفوفهم بأقب نهد * صراح السوط مقروب العنان

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

مالى بتوليد مدحى فى سواه هدى * لمعشر شبهوا المهندى بالحلم

بيت عز الدين هنا صالح للتجريد فان ضميره عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم وأما قوله لمعشر شبهوا المهندى بالحلم فانه ذكر فى شرحه أنه ولده من قول أبى الطيب المتنبى

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم * عما أراه من الاحسان عميانا

ثم قال فى الشرح ما شبه السيف بالمقص الا اعمى قلت ومن أين لنا ان تشبيه السيف بالحلم مولد من بيت المتنبى والقافلة ومعانيها ظاهرة للمتأمل وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

توليد نصر تهم يبدو بطلعته * ما السبعة الشهب ما توليد رملهم

معنى هذا البيت ولدته من قول أبى تمام

تألو فيها معونة ان شاء الله تعالى وكنت رسمت لفلان أن لا يخليني اسبوعا من كتاب وان استطاع ان يزيد زاد فجزاه الله عن الانسانية جزاءه وأحسن عنها عزاءه وان لم تر أهلا للمكاتبة فما وراءها عليك قياس والله المستعان ورأيك سيدى فى اسعادى بكتبك الى أن تسعد فى بقربك موفقا ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ الرئيس ابى عامر عدنان بن محمد) معاذ الله لا أشفع لضارب القلب ولا أرضى له غير الصلب وأعتقد فى دار الضرب أنها دار الحرب ولكن يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا

والنصر من شهب الأرماح لامعة * بين الخميس علا في السبعة الشهب

ولكن ذكر التوليد هنا وهو اسم النوع البديعي مع النصرة لا تخفى محاسنه على حذاق الادب فانه التوليد في التوليد وذكر الرمل هنا توليد آخر وقد جمعت في صدر هذا البيت وعجزه بين التوليد الذي هو المراد من التورية في تسمية النوع وبين التذييل بقولي بعد تتمة الفائدة ما توليد رملهم وبين مراعاة النظير بذكر التوليد والرمل والسبعة الشهب والنصرة وجمعت بين قسمي التوليد في اللفظ والمعنى والذي بينهما من تولد المحاسن الظاهرة الزائدة على بيت أبي تمام غير خاف على المتأمل المنصف والله أعلم

(ذكر الكناية)

(قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم * لناره ألسن تكنى عن الكرم)

الكناية هي الارداف بعينه عند علماء البيان وائمة علماء البديع افردوا الارداف عنها والكناية هي أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو ردفه في الوجود فيومئ اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم طويل النجاد كثير الرماد يعنون بذلك أنه طويل القامة كثير القرى فلم يذكروا المراد بذكره الخاص به ولكن توصلوا اليه بمعنى آخر هو رديفه في الوجود الاثرى أن القامة اذا طالت طال النجاد واذا كثر القرى كثر الرماد ومن أحسن الامثلة على هذا النوع قول الشاعر

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

أراد أن يذكر طول جيدها فأتى بتابعه وهو بعد مهوى القرط ومثله قول ليلى الاخيلية

ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما

كنت عن الافراط في الجود بخرق القميص لجذب العفاة له عند ازدحامهم عليه لاخذ العطاء والابلغ في هذا الباب والابدع أن يكنى المتكلم عن اللفظ القبيح باللفظ الحسن والمعجز في ذلك قوله تعالى كانا يأكلان الطعام كناية عن الحدث وقوله جل جلاله وقد أفضى بعضكم الى بعض يريد بذلك ما يكون بين الزوجين وعلى الجملة لا تجد معنى من هذه المعاني في الكتاب العزيز الا بلفظ الكناية لان المعنى الفاحش متى عبر المتكلم عنه بلفظه الموضوع له كان الكلام معيبا من جهة فحش المعنى ولهذا عاب قدامة على امرئ القيس قوله

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذي تمائم محول

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتي شقها لم يحول

قال أعني قدامة عيب هذا الشعر من جهة فحش المعنى والقرآن منزه عن ذلك ولو استعار امرؤ القيس لمعناه الفاحش لفظ الكناية لسلم من العيب وهذا القدر ينتقد على مثله وفي السنة النبوية من الكنايات ما لا يحصى كقوله صلى الله عليه وسلم لا يضع العصا عن عاتقه كناية عن الضرب أو كثرة السفر وحكى ابن المعتز أن العرب كانت تقول لمن يعاب أنه شقت العصا وأنشد

(الكناية)

فتبينوا وما أرى يخفى على الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه أن ضرب القلب من ضربان القلب بحيث لا يتسع للرقيعة ولا يتفرغ للرقيعة ورضي من صاحب دار الضرب رأسا برأس لا ولكن هذا البائس كان يتعيش من دار الضرب عيشة أمثاله من العمال فحرم منها قوته فهدده صاحب دار الضرب بانهاء خبره ونهاه أبو الحسن أيده الله وتهيبه فأبى الا الاصرار وخاف صاحبه منه فألصق به هذه السبة ثم أنا طوع الشيخ الرئيس السيد أدام الله عزه فان رأى غير ما رأيته وولاني قبله توليته والسلام

زوجك زوج صالح * لكنه تحت العصا

ومن لطف كنايات العرب وغيرتهم كانت كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه كأنهن بيض مكنون وقال امرؤ القيس في معلقته

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

أي بيضة خدر يعني امرأة كالبيضة في صيانتها لا يرام خباؤها لعزتها ومن لطائف الكنايات قول بعض العرب

ألا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام
سألت الناس عنك فخبروني * هنا من ذاك تكرهه الكرام
وليس بما أحل الله بأس * اذا هو لم يخالطه الحرام

فان هذا الشاعر كنى بالنخلة عن المرأة وبالهناة عن الرفث فان العرب كانت تكني بهما عن مثل ذلك وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ألطف الكنايات وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته عن الكناية قوله

كم طويل نجاد السيف يطربه * وقع الصوارم كالاوتار والنغم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

داع كثير رماد القدر أن وصفت * كنايه بطنها والظهر بالدسم

قول الشيخ عز الدين كثير رماد القدر معلوم أنه أراد بذلك الكرم وأما تتمة البيت فالدسم الظاهر من القدر في ظاهرها تعافه النفس ولفظة الدسم سافلة بعيدة عن حشمة الالفاظ وبيت بديعيتي

قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم * لناره السن تكنى عن الكرم

تقدم القول ان الناس كنوا بطول النجاد عن طول القامة وبكثرة الرماد عن كثرة القرى ولكن الكناية بألسن النار عن كثرة الكرم والقرى لا تخفى استعارتها التي كادت تقوم مقام الحقيقة من المحاسن الظاهرة والله أعلم بالصواب

(ذكر الجمع)

(آدابه وعطاياه ورأفته * مهيبة ضمن جمع فيه ملتئم)

هذا النوع أعني الجمع هو أن يجمع المتكلم بين شيئين فأكثر في حكم واحد كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا جمع سبحانه وتعالى المال والبنون في الزينة ومنه قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فجمع بين الشمس والقمر في الحسبان وجمع بين النجم والشجر في السجود ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أصبح آمنا في سربه معافا في بدنه و يروى في جسده عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها فجمع الامن ومعافاة البدن وقوت اليوم في حوز الدنيا بحذافيرها وهي النواحي والواحد حذفار ومنه قول الشاعر

ان الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للمرء أي مفسدة

فجمع بين الشباب والفراغ والجدة في المفسدة وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في الجمع

(وكتب اليه أيضا) لم يكن أطال الله بقاء الشيخ الرئيس السيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار والمهاجرين ما في وقتنا هذا للمؤاجرين وما جاز لعلية الاصحاب ما يجوز الآن لازواج القحاب وقد نبغت نابغة ونجمت نابغة لا يرد رؤسهم شيء فلو شاء الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه راحني منهم وأغناني عنهم وقال كثر تردد أصحابي الى فلان فابعدهم الآن عن ماء أو نارا أصم وانما يتولى نارها من تولى قارها ومن لم يتول منافعها لم يتول مضارها وان كان لابد من صاحب يثقل فعل غيري

(الجمع)

قوله

آراؤه وعطاياه ونقمته * وعفوه رحمة للناس كلهم

وبيت العميان فى بديعيتهم

قد أحرزا السبق والاحسان فى نسق * والعلم والحلم قبل الدرك للعلم

وبيت الشيخ عز الدين

للفصل والفضل والالطاف منه يرى * والعلم والحلم جمع غير منخرم

قلت حشو لفظة يرى فى بيت الموصلى اذهب طلاوة الانسجام وبيت بديعيتى

آدابه وعطاياه ورأفته * محبة ضمن جمع فيه ملتئم

(ذكر السلب والايجاب)

(ايجابه بالعطايا اليس يسلبه * ويسلب المن منه ساب محتشم)*

هذا النوع أعنى السلب والايجاب ذكر ابن أبى الاصبع فى تحرير التحبير انه من مستخرجاته ولكن رأيت لابى هلال العسكرى تقريرا حسنا على هذا النوع وهو ان يبنى المتكلم كلامه على نفى شئ من جهة واثباته من جهة أخرى والذى قرره ابن أبى الاصبع هو أن يقصد المادح افراد ممدوحه بصفة لا يشركه فيها غيره فينفيها فى أول كلامه عن جميع الناس ويثبتها الممدوحه بعد ذلك كقول الخنساء فى أخيها

وما بلغت كف امرئ متطاولا * من المجد الا والذى نلت أطول

ولا يبلغ المهدون للناس مدحة * وان أطنبوا الا الذى فيك أفضل

قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع ويروى متناولا ونصبها على انها مفعول به وما هنا ابلغ وعلى هذه الرواية رسمنا هذا الشاهد وأخذ أبو نواس معنى البيت الثانى ولكن لم يتمكن منه الا فى بيتين ومع ذلك قصر عنه تقصيرا زائدا فقال

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فانت كما نثنى وفوق الذى نثنى

وان جرت الالفاظ منا بمدحة * لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

هذا كله عين كلام الخنساء ولكن فاته وان أطنبوا فى بيت الخنساء وقولها وما بلغ المهدون وكل هذه المبالغات قصر عنها أبو نواس والفرق بين وأنت الذى نعنى وبين الذى فيك افضل ظاهر وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ومنه قول امرئ القيس

هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها * ويملأ منها كل حجل ودملج

وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع

أغر لا يمنع الراجين ما طلبوا * ويمنع الجار من ضيم ومن حرم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

لم ينفذ ما بايجاب المديح فتى * الا وما قدت فيه الدهر بالسلم

وبيت بديعيتى

ايجابه بالعطايا اليس يسلبه * ويسلب المن منه ساب محتشم

(السلب والايجاب)

من الناس على هذا القياس ان شاء الله تعالى

(وكتب الى الشيخ أبى الحسن أحمد بن فارس جوابا عن كتاب كان ورد عليه منه يذم الزمان فيه ولا يشكره) ثم أطال الله بقاء الشيخ الامام انه الحما المسنون وان ظنت الظنون والناس بنسبون لآدم وان كان العهد قد تقادم وتركبت الاضداد واختلط الميلاد والشيخ الامام يقول فسد الزمان أفلا يقول متى كان صالحا أفى الدولة العباسية فقد رأينا آخرها وسمعنا أولها أم المدة المروانية وفى اخبارها لا تكسع الشول باغبارها أم السنين الحربية

(ذكر التقسيم)

(هداه تقسيمه حالى به صلحت * حيا رميتا ومبعوثا مع الامم)

التقسيم أول أبواب قدامة وهو فى اللغة مصدر قسمت الشئ اذا جزأته وفى الاصطلاح اختلفت فيه العبارات والكل راجع الى مقصود واحد وهو ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل اليه على التعيين ليخرج اللف والنشر هذه عبارة صاحب التلخيص وذكر بعضها فى الايضاح وقال السكاكى هو أن يذكر المتكلم شيأ ذا جزأين او أكثر ثم يضيف الى كل واحد من اجزائه ما هو له عنده ومنهم من قال هو أن يريد المتكلم متعددا أو ما هو فى حكم المتعدد ثم يذكر لكل واحد من المتعددات حكمه على التعيين ويعجبنى بلاغة زكى الدين بن أبى الاصبع فانه قال التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه ومثل ذلك قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا ليس فى رؤية البرق غير الخوف من الصواعق والطمع فى الامطار ولا ثالث لهذين القسمين ومن لطيف ما وقع فى هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع اذ كانت الصواعق لا يحصل فيها المطر فى أول برقة ولا يحصل الا بعد تواتر البرقات فان تواترها لا يكاد يكذب ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة ثم تنتجع فلا تخطئ الغيث والكلأ والى هذا المعنى أشار المتنبى بقوله

وقد أرد المياه بغير هاد * سوى عدى لها برق الغمام

فلما كان الامر المخوف من البرق يقع فى أول برقة أتى ذكر الخوف فى الآية الكريمة أولا ولما كان الامر المطمع انما يقع من البرق بعد الامر المخوف أتى ذكر الطمع فى الآية الكريمة ثانيا ليكون الطمع ناسخا للخوف لمجئ الفرج بعد الشدة ومنه قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاستوفت الآية الكريمة جميع الهيآت الممكنات ومنه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاستوفت الآية الكريمة جميع الاقسام التى يمكن وجودها فان العالم جميعه لا يخلو من هذه الاقسام الثلاثة ومنه قوله تعالى له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك فالآية الشريفة جامعة لاقسام الزمان الثلاثة ولا رابع لها والمراد الحال والماضى والمستقبل فله ما بين أيدينا المراد به المستقبل وما خلفنا المراد به الماضى وما بين ذلك الحال وفى الحديث النبوى قوله صلى الله عليه وسلم مالك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا فانه صلوات الله عليه استوعب الوصف الذى من الدرجات العليا والوسطى والسفلى ومنه قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنعم على من شئت تكن أميره واستغن عن من شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره فانه استوعب أقسام الدرجات وأقسام أحوال الانسان بين الفضل والكفاف والنقص ويحكى ان بعض وفود العرب قدم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وكان فيهم شاب فقام وتقدم فى المجلس وقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أنقت العظم وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لنا فلا تمنعونا

(التقسيم)

والرمح يركز فى الكلى والسيف يغمد فى الطلى ومبيت حجر فى الفلا والحرتان وكربلا ام البيعة الهاشمية وعلى يقول ليت العشرة منكم براس من بنى فراس ام الايام الاموية والنفير الى الحجاز والعيون الى الاعجاز ام الامارات العدوية وصاحبها يقول وهل بعد البزول الا النزول أم الخلافة التيمية وهو صاحبها يقول طوبى لمن مات فى نأنأة الاسلام أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتى يا فلانة فقد ذهبت الامانة أم فى الجاهلية ولبيد يقول

وان كانت لله فرقوها على عباده وان كانت لكم فتصدقوا ان الله يجزى المتصدقين فقال عمر بن عبد العزيز ما ترك لنا الاعرابى فى واحدة عذرا ووقف اعرابى على حلقة الحسن البصرى فقال رحم الله من تصدق من فضله أو واسى من كفاف او آثر من قوت قال الحسن ما ترك الاعرابى فى واحدة عذرا ومن النظم قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته

وأعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عم

ونقل أبو نواس جد زهير الى الهزل فقال

أمر غد انت منه فى لبس * وامس قد فات فاله عن امس
فانما الشأن شأن يومك ذا * فباكر الشمس بابنة الشمس

وقال ابن حيوس واجاد فى تقسيمه

ثمانية لم يفترقن جميعها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وكفك والندى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

ومنه قول الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله روحه

يقولون لى صفها فانت بوصفها * خبير أجل عندى باوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا * ونور ولا نار وروح ولا جسم

وأنشد سيبويه بيتا بديعا على هذا الباب وهو قوله

فقال فريق القوم لاوفريقهم * نعم وفريق أيمن الله ماندرى

ويعجبنى قول الحماسى فى هذا الباب

وهيما كشئ لم يكن اوكنازح * عن الدار أومن غيبته المقابر

ويعجبنى قول أبى تمام فى مجوسى احرق بالنار

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

ومنه قول عمرو بن الاهتم

اشربا ماشربت فقذيل * من قتيل أوهارب اوأسير

وبيت صفى الدين الحلى ماخوذ من قول عمرو بن الاهتم

افنى جيوش العدا غزوا فلست ترى * سوى قتيل وماسور ومنهزم

وبيت العميان فى بديعيتهم

ضنان أما الذى من فيض أنمله * فدائم والذى للمزن لم يدم

وبيت الشيخ عز الدين

تقسيمه الدهر يوما أمسه كغد * فى الحلم والجود والإيفاء الذمم

قلت قد تقدم شرح هذا النوع وتقرران الاثنين فى التقسيم لايمكن ان يكون لهما ثالث والثلاثة لايجوزان يكون لها رابع وقد تقدم فى الاثنين قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وليس فى رؤية البرق الا الخوف من الصواعق والطمع فى المطر وتقدم فى تقسيم الثلاثة قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الاما أكلت فأفنيت أولبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ولارابع لهذه الثلاثة ورايت باب الزيادة فى بيت الشيخ عز الدين مفتوحا

فانه

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
أم قبل ذلك واخو عاد يقول
بلاد بها كنا وكنا نحبها
اذ الناس ناس والزمان زمان
أم قبل ذلك وروى عن آدم
عليه السلام
تغيرت البلاد ومن عليها
ووجه الارض مغبر قبيح
ام قبل ذلك وقد قالت
الملائكة أتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء
وما فسد الناس وانما اطرد
القياس ولا اظلمت الايام
وانما امتد الظلام وهل
يفسد الشئ الاعن صلاح
ويمسى المرء الاعن صباح
ولعمرى لئن كان كرم العهد

فانه يحتمل الحلم والجود وايفاء الذم والشجاعة والصبر والقناعة والدين وهلم جرا وتقدم ان بيت صفي الدين الحلي ماخوذ من بيت عمرو بن الاهتم

اشربا ماشربتا فهذيل * من قتيل أو هارب أو أسير

فهذه الثلاثة لا تحتمل رابعا وكذلك بيت صفي الدين فانه ماخوذ من هنا وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

هداه تقسيمه حالي به صلحت * حيا وميتا ومبعوثا مع الامم

وهذه الثلاثة أيضا لا يمكن ان يكون لها رابع وهذا النوع ليس في تحصيله على واضعه مشقة زائدة على حذاق الادب لاسيما مثل الشيخ عز الدين والذي أقوله انه لم تضق عليه المسالك لا بالتزام التورية في تسمية النوع والله أعلم

(ذكر الايجاز)

(أوجز ومل أول الابيات عن مدح * فيه وسل مكة يا قاصد الحرم)

هذا النوع أعني الايجاز اعتنت به فصحاء العرب وبلغاؤها كثيرا فانهم كانوا اذا قصدوا الايجاز توا بالفاظ استغنوا بواحدها عن الفاظ كثيرة كادوات الاستفهام والشروط وغير ذلك فقولك أين زيد مغن عن قولك ازيد في الدار ام في المسجد الى ان تستقري جميع الاماكن وقولك من يقم أقم معه مغن عن ان يقم زيد أو عمرو أقم معه وما بالدار من أحد مغن عن قولك ليس فيها زيد ولا عمرو وغالب كلام العرب مبني على الايجاز والاختصار واداء المقصود من الكلام باقل عبارة وهذا النوع على ضربين ايجاز قصر وايجاز حذف فايجاز القصر اختصار الالفاظ وهو كقوله تعالى ولكم في القصاص حياة فهذا اللفظ الوجيز المعجز المختصر غاية في الايجاز والايضاح والاشارة والكناية والطباق وحسن البيان والابداع ومنه قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وعظ في ذلك بالطف موعظة وذكر بالطف تذكرة واستوعب جميع أقسام المعروف والمنكر واتى بالطباق اللفظي والمعنوي وحسن النسق والتسهيم وحسن البيان والايجاز وائتلاف اللفظ ومعناه والمساواة وصحة المقابلة وتمكين الفاصلة ومن ذلك قول الشاعر

يا أيها المتحلي دون شيمته * ان التخلق يأتي دونه الخلق

وايجاز الحذف عبارة عن حذف بعض لفظه لدلالة الباقي عليه كقوله تعالى واسأل القرية التي كنا فيها وكقول الشاعر

ورأيت زوجك في الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

أي ومعتقلا رمحا ومثله قول الشاعر

* علفتها تبنا وماء باردا *

أي وسقيتها ماء باردا وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على الايجاز

واستخدم الموت ينهاه ويأمره * بعزم مغتنم في زي مغترم

تقديره بعزم رجل مغتنم ومثله في زي مغترم ولكنه ما تحسنه في بلاغة الايجاز كبير أمر

(الايجاز)

كما يرد وجوابا بصدر انه لقريب المنال والى علي توجيهه الى فقير الى لقائه شفيق على بقائه منتسب الى ولائه شاكرا لآلائه لا أحل حريدا عن أمره ولا أقف بعيدا عن قلبه ما نسيته ولا أنساه ان له أيده الله على كل نعمة خولنيها الله نارا وعلى كل كلمة علمنيها منارا ولو عرفت لكتابي موقعا من قلبه لاغتنمت خدمته به ولوردت اليه مؤركاسه وفضل ألفاسه ولكني خشيت ان يقول هذه بضاعتنا ردت الينا وله أيده الله العتبى والمودة في القربى والمرباع وما نال الباع وما ضمه الجلد وضمنه المشط

والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وقول الشيخ عزالدين

وسل زمانك تلف الكتب راوية * ايجاز معنى طويل الذكر مرتسم

الشيخ عزالدين ايجازه وسل زمانك أى أهل زمانك واما بقية البيت فلا أفهم له معنى فان البيت الذى قبله متعلق بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ماش فى أثر الابيات التى قبله واما رواية الكتب لايجاز هذا المعنى الطويل المرتسم فانه نوع من المعميات والله أعلم واما بيت بديعيتى فهو قولى عن النبى صلى الله عليه وسلم

أوجز وسل اول الابيات عن مدح * فيه وسل مكة ياقاصد الحرم

الضمير فى لفظة فيه عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم والايجاز البديع البليغ الغريب فى قولى وسل أول الابيات فانه اشارة الى اول بيت وضع للناس والايجاز الثانى فى قولى وسل مكة أى وسل أهل مكة فهذا البيت المبارك فيه ايجازان بليغان وفيه التورية بتسمية النوع وفيه المناسبة البديعة بين مكة والبيت والحرم ومراعاة النظير ايضا بين الايجاز والمدح والابيات وفى الابيات تورية أخرى ونوع التمكين فى القافية ظاهر

(ذكر المشاركة)

(بالجرساد فلاند يشاركه * بحر الكتاب المبين الواضح اللقم)

هذا النوع اعنى الاشتراك جعله ابن رشيق وابن أبى الاصبع ثلاثة أقسام قسمان منها من العيوب والسرقات وقسم من المحاسن وهو ان يأتى الناظم فى بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا اوفرعيا فيسبق ذهن سامعها الى المعنى الذى لم يرده الناظم فيأتى فى آخر البيت بمايؤكد ان المقصود غيرما توهمه السامع كقول كثيرعزة

وأنت الذى حببت كل قصيرة * الى ولم تعلم بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر

فانه أثبت فى البيت الثانى ما أزال به وهم السامع من انه أراد القصار مطلقا وقد يلتبس الاشتراك بالتوهيم على من لايحققه والفرق بينهما ان الاشتراك لايكون الا باللفظة المشتركة والتوهيم يكون بها وبغيرها من تحريف أو تصحيف اوتذييل والفرق بينه وبين الايضاح ان الايضاح فى المعانى خاصة لاتعلق له بالالفاظ وهذا نوع اشتراك اللفظة وبيت الشيخ صفى الدين على هذا النوع قوله

شيب المفارق يروى الضرب من دمهم * ذوائب البيض بيض الهند لااللمم

هذا البيت الاشتراك فيه بين البيض فلولا بيض الهند التى رشح بها جانب السيوف بذكر الهند لسبق ذهن السامع الى انه أراد الذوائب البيض ولكن بيت الشيخ صفى الدين لم يخل من بعض عقادة والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلى

وللغزالة تسليم به اشتركت * مع التى هى ترعى نرجس الظلم

هذا البيت يصلح ان يعد من باب الاشارة فى الجناس المعنوى فان الشيخ عزالدين أضمر احد الركنين واظهر الآخر وهذا حد جناس الاشارة من المعنوى فانه ذكر الغزالة فى أول

البيت

(المشاركة)

ولست رضاى ولكنها جل
ماأملك واثنتان ايده الله
قلما تجتمعان الخراسانية
والانسانية وانا وان لم اكن
خراسانى الطينه فانى
خراسانى المدينه والمرء من
حيث وجد لامن حيث
ولد والانسان من حيث
يثبت لامن حيث ينبت فاذا
انضاف الى خراسان ولادة
همذان ارتفع القلم وسقط
التكليف فالجرح جبار
والجانى حار ولا جنة ولا نار
فليحتملنى الشيخ على هناتى
أليس صاحبنا يقول
لاتلمنى على ركاكة عقلى
ان تيقنت انى همذانى
(وله الى القاضى أبى الحسين
على بن على) انا أمت الى

البيت وأضمر الغزالة الشمسية فى الشطر الثانى وهذا النوع تقدم تقريره ولو صرح الشيخ عز الدين فى الشطر الثانى بلفظة الغزالة وذكر معها الاشراق والنور بحيث يزيل وهم السامع أن المراد الغزالة الوحشية ويتحقق ان المراد الغزالة الشمسية أو بالعكس كان نوع الاشتراك فى بيته خالصا مع ما فيه من النظر وهو ان كلا من الغزالتين سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه أظهر لفظ الغزالة الثانية فصح انه صار جناسا معنويا ولعمرى انها احسن من بيته الذى استشهد فيه على الجناس المعنوى فى أول بديعيته

وكافر نعم الاحسان فى عذل * كظلمة الليل عن ذا المعنوى عمى

فانه أظهر فى أول البيت لفظة كافر والليل يسمى كافرا فاضمر لفظة كافر الذى هو الليل وتالله ان بيته الذى نظمه شاهدا على نوع الاشتراك يستحق الجناس المعنوى استحقاقا وذوقيا وهو احسن من هذا البيت وارق معنى وأوقع فى الاسماع وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بالحجر ساد فلا ند يشاركه * بحجر الكتاب المبين الواضح اللقم

هذا البيت يجب ان يعتمد عليه فى هذا النوع ولا يخفى على أهل الذوق السليم ما فى تركيبه والعميان ما نظموه فى بديعيتهم وبيت عز الدين تقرر ان الجناس المعنوى احق به واشتراك بيتى فى لفظة الحجر فانى قلت فى أول بيتى بالحجر ساد وهذه اللفظة مشتركة بين العقل وسورة الحجر فلما قلت فى الشطر الثانى بحجر الكتاب المبين زال الالتباس عن السامع وعلم المراد وترشح عنده جانب السورة المنزلة على الممدوح فيه صلى الله عليه وسلم

(ذكر التصريع)

(تصريع أبواب عدن يوم بعثهم * يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم)

هذا النوع أعنى التصريع هو عبارة عن استواء آخر جزء فى صدر البيت وآخر جزء فى عجزه فى الوزن والروى والاعراب وهو أليق ما يكون بمطالع القصائد وفى وسطها ربما تمجه الاذواق والاسماع وهذا وقع فى معلقة امرئ القيس فانه صرع المطلع بقوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقال فى اثناء هذه القصيدة

الا ايها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل

قلت وعلى كل تقدير ليس فى نوع التصريع كبير امر حتى يعد من أنواع البديع ولكن القوم كلما تغالوا فى الرخص رغبوا فى الكثرة وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

لاقاهم بكماة عند كرهم * على الجسوم دروع من قلوبهم

والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

لازال بالعزمات الغر والهمم * يصرع الضد بالتشطير فى القمم

وبيت بديعيتى أشير فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم

تصريع أبواب عدن يوم بعثهم * يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم

انظر أيها المتأمل المنصف الى بديع التورية وترشيحها عند ذكر الابواب بالفتح هو فتوح

القاضى اطال الله بقاءه بقرابة ان لم يكن عربيا فابى وأبوه اسمعيل وعمى وعمه اسرائيل فان لم تجمعنا هذه الرحم فبآدم عليه السلام نلتحم وأدل عليه بذمة جوار هو خراسانى وأنا عراقى وليس بين الدارين الامسيرة شهرين وعبور نهرين وقد رافقته فى الدر وصاحبته فى المستودع والمستقر وعاشرته فى الجنود وشاركته فى الخلود ولابد ان أشرق ويغرب بتجديد العهد ويطوى المعرفة وادنى هذه الوسائل بلغة السائل انه ليست الوسيلة جلاله سنامان ولا هو دجا فيه غلامان ولا شابا يجلب من

(التصريع)

فى هذا الباب مع سهولة التركيب وحسن الانسجام وتمكين القافية

(ذكر الاعتراض)

(فلا اعتراض علينا فى محبته * وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم)

هذا النوع اعنى الاعتراض هو عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين تفيد زيادة فى معنى غرض المتكلم ومنهم من سماه الحشو وقالوا فى المقبول منه حشو اللوزنيج وليس بصحيح والفرق بينهما ظاهر وهو ان الاعتراض يفيد زيادة فى غرض المتكلم والناظم والحشو انما يأتى لاقامة الوزن لاغير وفى الاعتراض من المحاسن المكملة للمعانى المقصودة ما يتميز به على أنواع كثيرة ومن معجزه فى القرآن فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ومنه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ومن الشواهد الشعرية قول بعضهم

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

فقوله وبلغتها من الاعتراضات التى زادت المعنى فائدة فى غرض الشاعر وهو الدعاء للمخاطب وامثلته كثيرة وبيت الشيخ صفى الدين الحلى يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فان من انفذ الرحمن دعوته * وانت ذاك لديه الجار لم يضم

فقوله وانت ذاك هو الاعتراض بعينه فانه زاد المعنى فائدة وسماه قدامة التفاتا وهو قريب والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين

فلا اعتراض علينا فى السؤال به * أعنى الرسول لكى نعصم من الضرم

فقول الشيخ عز الدين أعنى الرسول هو الاعتراض الذى أراده وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فلا اعتراض علينا فى محبته * وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم

فقولى بين الكلامين هو الشفيع هو الاعتراض البديع المتمكن فان فى قول عز الدين أعنى الرسول ركة تدل على ضعف التركيب وكذلك قول الشاعر فى مخلص مديحه أعنى فلانا يدل على ضعف رويته وقلة تصرفه فانهم عدوا ذلك من المخالص الواهية ولم يحتج اليه الاعوام أهل الادب ومثل الشيخ عز الدين ينتقد عليه ذلك والله أعلم

(ذكر الرجوع)

(وما الناس يرجع عن حلما بلى * لذا الرجوع عن الاوطان والحشم)

هذا النوع أعنى الرجوع ذكره ابن المعتز وأبو هلال العسكرى وسماه بعضهم استدراكا واعتراضا وليس بصحيح قال القاضى جلال الدين القزوينى فى التلخيص والايضاح هو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة كقول زهير

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

والنكتة فيه كأنه لما وقف بالديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير فقال لم يعفها القدم ثم رجع الى عقله وتحقق ما هى عليه من الدروس فقال بلى عفت وعلى به بيت الحماسة

(الاعتراض)

العمر فيعلق فى القصر انما هى العشرية والبادية والجوار والعصبية وانا قد أخذنا بحمد الله من كل بحظ ولى مع الشيخ أبى نصر دروس قصة فى ضيعة كرمه بالاحسان فيها زعيم وربما ارتقت الى القاضى أيده الله وبعض الظن اثم ولكن بعض الاثم حزم وبلغنى ان القاضى أيده الله يريد ان يسجل فاريد ان لا يعجل حتى أحضر فينظر كيف الخصومة وانظر كيف الحكومة فالحكم رأيه سديد وهو رأس أسعد الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد والسلام

(الرجوع)

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكل ليس منك قليل

ويعجبني هنا قول ابي البيداء

ومالي انتصار ان غدا الدهر جائرا * عليّ بلى ان كان من عندك النصر

وأما من سمى هذا النوع استدراكا واعتراضا فتسميته غير صحيحة والذى أقول ان هذا الرجوع لافرق فيه بين السلب والايجاب وقد تقدم قول ابى هلال العسكرى ان السلب والايجاب هو أن يبنى المتكلم كلامه على نفى شئ من جهة واثباته من جهة أخرى وقال القاضى جلال الدين الرجوع هو العود على الكلام السابق بالنقض وكل من التقريرين لا تنوع بالنوعين وللمتأمل أن ينظر فى ذلك ليحسن ذوقه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

أطلتها ضمن تقصيرى فقام بها * عذرى وهيهات ان العذر لم يقم

وبيت العميان

قلوا يدر فعلوا اغرب شانئهم * به وما قل جمع بالرسول حمى

وبيت الشيخ عز الدين

رمت الرجوع عن الامداح أنظمها * سوى مديح سديد القول محترم

قلت ليس فى بيت الشيخ عز الدين رجوع الا عن حشمة الالفاظ وفخامتها فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم فان قوله سديد القول دون من أنزل الله القرآن فى أوصافه ويعجبنى قول ابن نباتة فى لاميته

ماذا عسى الشعراء اليوم مادحة * من بعد ما مدحته حم تنزيل

وأيضا فانه كان يجب على الشيخ عز الدين ان يقول فى النوع البديعى الذى هو الرجوع رجعت عن الامداح حتى يصح النقض فى الشطر الثانى وانما قال رمت كأنه يرى أن يرجع وعلى الجملة فالبيت قاصر من كل وجه وبيت بديعيتى أشير فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم بقولى

ومالنا من رجوع عن حماه بلى * لنا رجوع عن الاوطان والحشم

هذا البيت لم يحتج الى اطلاق عنان القلم فى ميادين الطروس بوصف ما فيه من المحاسن اذ فى مدح أهل الذوق من علماء هذا الفن ما يغنى عن ذلك والله أعلم

(ذكر الترتيب)

(ترتب الحيوانات السلام له * والنبت حتى جماد الصخر فى الاكم)

هذا النوع أعنى الترتيب من استخراجات التيفاشى ذكره فى كتابه وسماه بهذا الاسم وقال هو أن يجمع الشاعر الى أوصاف شتى فى موضوع واحد أو فى بيت وما بعده على الترتيب ويكون ترتيبها فى الخلقة الطبيعية ولا يدخل الناظم فيها وصفا زائدا عما يوجد علمه فى الذهن أو فى العيان كقول مسلم بن الوليد

هيفاء فى فرعها ليل على قمر * على قضيب على حقف النقا الدهس

فان الاوصاف الاربعة على ترتيب خلقة الانسان من الاعلى الى الاسفل وبيت صفى الدين الحلى

كالنار منه رياح الموت ان عصفت * روى صرى ما ثما أرض الوغى بدم

وله أيضا الى الشيخ الرئيس أبى عامر عدنان بن محمد

اشهد لو خير الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه لما اختار فوق ما اختير له لما فى الغيب أكثر مما فى الجيب ولما بقى أحسن مما لقى هذا الامير عمدة الدولة أبو اسحق ملك العراقين بالامس وأشهر بهما من الشمس ما أظن الله تعالى أخر مدته الا ليصدر شدته وزاد الا لصيته اليوم سوددا وذلك مجد يملأ العين والدنيا لك اليوم أسباب السموات مظهر وما اليوم مما أنت بالغه غدا عمدة الدولة أخو عز الدولة ابن معز الدولة ابن أخى عماد الدولة وركن الدولة وابن عم عضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة وعز الملوك الغلب والجبال الشمخ والصوم المثل والصوم الطفح شرابا من ذاقه

الترتيب

ترتيب بيت صفي الدين على العناصر الاربعة وهي الماء والنار والهواء والتراب والعميان مانظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

له الملائك والانسان أجمعهم * والجن والوحش في الترتيب كالخدم

هذا البيت ذكر الشيخ عز الدين في شرحه أنه على ترتيب المخلوقات الملائك والانس والجن والوحش ولكن وضع هذا الترتيب غير منتظم على ماقرره التيفاشي وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ترتب الحيوانات السلام له * والنبت حتى جماد الصخر في الاكم

معلوم ان الموجودات ثلاثة وهي حيوان ونبات وجماد والثلاثة على ترتيب خلقة الانسان من الاعلى الى الاسفل فاذا قلنا جسم نام خرج الجماد لانه لاينمو واذا قلنا جسم نام متحرك بارادته خرج النبات واذا قلنا جسم نام متحرك بارادته ناطق خرج باقي الحيوان وبقي الانسان وهنا حده والله أعلم بالصواب

(ذكر الاشتقاق)

(محمد أحمد المحمود مبعثه * كل من الحمد تبيين اشتقاقهم)

هذا النوع أعني الاشتقاق استخرجه الامام أبو هلال العسكري وذكره في آخر أنواع البديع من كتابه المعروف بالصناعتين وعرفه بأن قال هو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى في غرض يقصده من مدح أو هجاء أو غيره كقول ابن دريد في نفطويه

لو أوحي النحو الى نفطويه * ما كان هذا العلم يعزى اليه

أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقي صياحا عليه

وهذا النوع ماذكره القاضي جلال الدين القزويني في التلخيص ولافي الايضاح ولاذكره الشهاب محمود في حسن التوسل ولانظمه العميان ولاغيرهم من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفي الدين الحلي وبيت بديعيته التي ذكر أنه جمعها من سبعين كتابا قوله

لم يلق مرحب منه مرحبا ورأى * ضد اسمه عند هد الحصن والاطم

الشيخ صفي الدين اشتق من اسم مرحب الترحاب حتى يقابله بضده وهذا هو الغرض الذي أراده الناظم وبيت الشيخ عز الدين في المعارضة قوله

ميم وحاء اشتقاق الاسم محو عدا * والميم والدال مد الخير للامم

هذا البيت يشق على ان أشرح اشتقاقه واذكر مافيه من التعسف والزيادة وعدم القبول للتجريد فانه أراد أن يمشي على طريق ابن دريد في الاشتقاق فلم يأت بغير الشقاق وماذاك الا أن اسم نفطويه سداسي قسمه الناظم في الاشتقاق نصفين جعل النصف الاول نفطا والثاني صياحا وهذا الاشتقاق صحيح على هذا التفصيل وقالوا هو في محمد رباعي من أين للشيخ عز الدين غفر الله له هذا حتى تصح معه لفظة محو مع اني راجعت شرحه فوجدته قال الميم والحاء من اسم محمد صلى الله عليه وسلم فيهما محو لاعدائه وأيضا لم نجد أحدا استشهد في بيت من بيوت بديعيته وصدر بيته بقوله ميم وحاء اشتقاق الاسم محو عدا الا الشيخ عز الدين فان المراد من بيت البديعية أن يكون صالحا للتجريد خاليا من المعاقدة ليصح الاستشهاد به على ذلك

الاشتقاق

أنخ وصيت من سمعه بخبخ وشرف من ناله أرخ عمري لقد زان الله هذا البيت بكل زينة وساق اليه العز من كل مدينة وما أحوج هذا البيت الى عماد من الشكر وثيق وما أفقر هذه النعمة الى حرث من الصدقات كثير ان الله قد احتج على هذه الامة بهذا البيت الكبير واحتج على هذا البيت الكبير بهذا الامير عرف الامير كيف يجاور النعم ويتقي الغير وعرفكم ان النعمة ان لم تعمد بالشكر لم يؤمن زوالها فالسعيد من وعظ بغيره الاوان في صدري لغصه وان في رأسي لقصه وان لكل مسلم فيها لحصته وان في هذا المقام فيها لفرصه قد سمع الشيخ الرئيس أخبار عضد دولة أبي شجاع وما أوتي من بسطة ملك وباع ويدمن

النوع و بيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم

محمد أحمد المحمود مبعثه * كل من الحمد تبيين اشتقاقهم

قد تقدم تقرير ابي هلال العسكري في هذا النوع وهو ان يشتق المتكلم معنى لغرض يقصده والغرض هنا ان كلا من محمد وأحمد وصفتهما المحمودة مشتق من الحمد وشرف هذا المدح ظاهر والله أعلم

(ذكر الاتفاق)

(ووصفه لابنه قلبها تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم)

الاتفاق عزيز الوقوع جدا وهو ان يتفق للشاعر واقعة وأسماء مطابقة لتلك الواقعة تعلمه العمل في نظمها اما بالمشاهدة أو بالسماع فان السبق الى معاني الوقائع يشترك الناس في مشاهدتها وفي سماعها فضل لا يجحد وان حصل للشاعر في ذلك قران سعادة سارت الركبان بقوله وترنم الحادي والملاح به كما اتفق للرضي بن ابي حصينة المصري في حسام الدين لؤلؤ صاحب الملك الناصر يوسف حين غزا الفرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزم فظفر الحاجب بهم فقال ابن ابي حصينة يخاطب الفرنج

عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه * والدر في البحر لا يخشى من الغير

واحسن من ذلك وأبدع ما اتفق للشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ في الوزير مؤيد الدين العلقمي حيث قال

يا عصبة الاسلام نوحي واندبي * حزنا على ما حل بالمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقمي

فاتفق ان المذكورين كانا وزيرين وان المورى بهما نهران معروفان وقد طابق الناظم بينهما بالفرات الحلو والعلقم المر ومنه قول ابن الساعاتي وقد حضر الملك الناصر بيت يعقوب من حصون الشام يخاطب الفرنج

* دعوا بيت يعقوب فقد جاء يوسف *

ومنه قول ابن ابي الاصبع وقد اجتمع الملك الاشرف موسى بالملك الظاهر وهو الخضر بن يوسف ابن أيوب

غدا مجمع البحرين شاطي فراتنا * ألم تر موسى فيه قد لاقى الخضرا

واتفق لي مع الملك ما يناسب هذه الاتفاقات البديعة فاني أنشدته وقد كسر النيل في شهر مسرى وبلغه في يوم الكسر ان نوروز قد وصل من الشام الى غزة وقصد الديار المصرية فقلت

أيا ملكا بالله أضحى مؤيدا * ومنتصبا في ملكه نصب تمييز

كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضي * وحقك بعد الكسر أيام نيروز

الاتفاق البديع الغريب في هذا البيت ان كسر نوروز بعد كسر مسرى ويسمونه المصريون الكسر النيروزي ولم يبق بعده كسر واتفق لي نظير ذلك بالحضرة المؤيدية وهو ان المقر التاجي نائب السلطنة الشريفة نقل عنه الى المسامع الشريفة كلام فثبت فيه براءته فأنشدته

الاتفاق

الفتوح صناع وخطوب الخطوب وساع ان كان ليقول ملكان في الارض فساد وسيفان في غمد محال ولم يرض أن يلي الارض بطاعة معروفة حتى يجعلها قبضته فأعد للعدو مراكب وللبر مصانع وللحصون مكايد وكاد وهم ولو عمر لتم ثم عجز والقدرة هذه أن يعمر التربة بين الخبيثين أو يصلح البلدتين المشؤمتين قم والكوفة فعلم ان ذلك لخبث محلتهما فهم ان يسبي ويبيع ثم فرض الجزية عليهم أو يقيموا التراويح ورجع صاحبي آنفا من هراة فذكر انه سمع في السوق صبيا ينشد

ان محمدا وعليا تيما وعديا

فقلت ان العامة لو علمت معنى تيم وعدي لكفتني شغل الشكاية وولي النعمة شغل الكفاية ويل أم هراة انصب الشيطان بها هذه

بالحضرة الشريفة المؤيدية ما حصل به للخواطر الشريفة الرضا الزائد وهو قولى

سبع وجوه لتاج مصر * تقول ما فى الوجوه شبهى
وعند ذا ذو الوجوه يجبى * وأنت تاج بفرد وجه

وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع

ومن غدا اسم أمه نعت الامه * فتلك آمنة من سائر النقم

اتفاق هذا البيت فى اشتراك لفظى آمنة وآمنة والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

محمد واسمه بالاتفاق له * وصف بشا كله فى اسمه العلم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم واذكر فيه وصفه الشريف لابنه الحسن رضى الله عنه

ووصفه لابنه قد جا تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم

اتفاق هذا البيت فى اشتراك لفظى حسن وحسن الوصف هو أن النبى صلى الله عليه وسلم أشار الى الحسن رضى الله عنه وقال ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين اه

(ذكر الابداع)

(ابداع أخلاقه ابداع خالقه * فى زخرف الشعر افاصبح بها وهم)

الابداع هو أن يأتى الشاعر فى البيت الواحد بعدة أنواع أو فى القرينة الواحدة من النثر وربما كان فى الكلمة الواحدة ضربان من البديع ومتى لم يكن كذلك فليس بابداع كقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين هذه الآية الشريفة استخرج منها زكى الدين بن أبى الاصبع أنواعا كثيرة من البديع منها * المناسبة * التامة بين ابلعى وأقلعى * والمطابقة * اللطيفة بين الارض والسماء * والمجاز * فى قوله ويا سماء ومراده مطر السماء * والاستعارة * فى قوله أقلعى * والاشارة * فى قوله تعالى وغيض الماء فانه بهاتين اللفظتين عبر عن معان كثيرة * والتمثيل * فى قوله تعالى وقضى الامر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ الموضوع له * والارداف * فى قوله تعالى واستوت على الجودى فانه عبر عن استقرارها فى المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى * والتعليل * لان قوله تعالى غيض الماء علة الاستواء * وصحة التقسيم * اذ قد استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه * والاحتراس * فى قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين اذ الدعاء عليهم مشعر بأنهم مستحقون الهلاك احتراسا من ضعيف يتوهم ان الهلاك شمل من يستحق ومن لا يستحق فأكد بالدعاء على المستحقين * والمساواة * لان لفظ الآية الشريفة لا يزيد على معناها * وحسن النسق * لانه سبحانه وتعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن ترتيب * وائتلاف المعنى * لان كل لفظة لا يصلح معها غيرها * والايجاز * لانه سبحانه وتعالى قص القصة بأقصر عبارة * والتسهيم * لانه من أول الآية الى قوله أقلعى يقتضى آخرها * والتهذيب * لان مفردات الالفاظ موصوفة

بصفات

الابداع

الحاله وصرنا نشكوا هذه الحاله والله ما دخلت هذه الكلمة بلدة الا صبت عليها النكه ونسخت عنها الله ولا رضى بها أهل بلدة الا جعل الله الذل لباسهم والتى بينهم باسمهم هذه نيسابور منذ فشت فيها هذه المقالة فى خراب واضطراب وأموالها فى ذهاب وانتهاب وأسواقها كساد وفساد وأسعارها فى غلاء وخلاء وأهلها فى بلاء وجلاء يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وهذه قهستان منذ فشت فيها هذه المقالة جعلت مأكلة النغص وتجمة الاكدار ولجة السيف ومزار السنان مرة يهدم سورها ومرة تنهب دورها وتارة تقتل رجالها وأخرى تهتك حجالها فالشيطان لا يصيد هراة صيدا انما

بصفات الحسن وعليها رونق الفصاحة لسلامتها من التعقيد والتقديم والتأخير * والتمكين * لان الفاصلة مستقرة فى قرارها مطمئنة فى مكانها * والانسجام * وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء وباقى مجموع الآية الشريفة هو * الابداع * الذى هو المراد هنا مع تكرار الانواع البديعية وسموت عن تقديم حسن البيان وهو أن السامع لا يتوقف فى معرفة معنى الكلام ولا يشكل عليه شئ من هذه النظائر وهذا الكلام تعجز عنه قدرة البشر وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على الابداع قوله

ذل النضار كما عز النظير لهم * بالفضل والبذل فى علم وفى كرم

الشيخ صفى الدين فى بيته من أنواع البديع التجنيس والتصحيف والترصيع واللف والنشر والكناية عن الكرم فى قوله ذل النضار وائتلاف المعنى مع المعنى والعميان ما نظموا هذا فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى ذكر فيه ستة عشر نوعا ما أمكن العبد استيعابها وتركته لحذاق الادب وهو قوله

كم ابدعوا وروض عدل بعد طولهم * واترعوا حوض فضل قبل قولهم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ابداع أخلاقه ابداع خالقه * فى زخرف الشعر افصح بها وهم

الشطر الاول من هذا البيت مشتمل على التورية وعلى جناس التصحيف وعلى الجناس المطلق وعلى الترصيع والمماثلة والتصحيح وائتلاف المعنى مع المعنى والسهولة والشطر الثانى فيه التورية ومراعاة النظير والاعتراض والانسجام ظاهر فى البيت بكماله والابداع الذى هو المراد هنا والله أعلم

(ذكر المماثلة)

(فالخير ماثله والعفو جاوره * والعدل جانسه فى الحكم والحكم)

هذا النوع أعنى المماثلة هو أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها فى الزنة دون التقفية كقوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ وقد تأتى بعض ألفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد لان التقفية فى هذا الباب غير لازمة كقول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر العطر

وأما الشاهد الذى هو على أصل هذا الباب فى الزنة دون التقفية فكقول الشاعر

صفوح صبور كريم رزين * اذا ما العقول بدا طيشها

والفرق بين المماثلة والمناسبة توالى الكلمات المتزنة وتفرقها فى المناسبة قلت هذا النوع أعنى المماثلة ما تستحق عقود أنواع البديع بسموها أن ينتظم النوع السافل فى اسلاكها وما أعلم وجه الابداع فيه ما هو ولا نرى من استخراجه وعده بديعا غير الكثرة وقد حسن ان أنشد ههنا

وكثر فارتابت ولو شاء قللا

وبالله ما اختلج فى فكرى من حين تأدبت ان أرصعه فى قصيدة من قصائدى ولكن حكم

يستدرجها رويدا وهذه الكوفة مما اختطه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وما ظهر الرفض بها ودفعه ولا وقع الالحاد فيها وقعه انما كان أوله النياحة على الحسين بن على رضى الله عنهما وذلك ما لم ينكره الانام ثم تناولوا معاوية فأنكر قوم وتساهل آخرون فتدرجوا الى عثمان فنفرت الطباع ونبت الاسماع وكان القراع والوقاع حتى مضى ذلك القرن وخلف من بعدهم خلف لم يحفظوا حدود هذا الامر فارتقى الشتم الى يفاع وتناول الشيخين رضى الله عنهما فلينظر الناظر أى زند قدح القادح وأى خطب بلغ النابح لاجرم ان الله تعالى سلط عليهم السيف القاطع والذل الشامل والسلطان

المماثلة

المعارضة أوجب ذلك * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

سهل خلائقه صعب عرائكه * جم غرائبه فى الحكم والحكم

والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

يبدى مماثلة يعطى مناسبة * يجزى مجانسة فى الكلم والكلم

وبيت بديعيتى

فالخير مائله والعفو جاوره * والعدل جانسه فى الحكم والحكم

(ذكر حصر الجزئى والحاقه بالكلى)

(الحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلى للعظم)

هذا النوع الغريب اخترعه الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع وهو أن يأتى المتكلم الى نوع فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر أقسام الانواع فيه والاجناس كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر فانه سبحانه وتعالى يعلم ما فى البر والبحر من أصناف الحيوانات والجماد حاصر الجزئيات المولدات فرأى الاقتصار على ذلك لا يكمل به التمدح لاحتمال أن يظن ضعيف أنه جل جلاله يعلم الكليات دون الجزئيات فان المولدات وان كانت جزئيات بالنسبة الى جملة العالم فكل واحد منها كلى بالنسبة الى ما تحته من الاجناس والانواع والاصناف فقال لكمال التمدح وما تسقط من ورقة الا يعلمها وعلم سبحانه وتعالى ان علم ذلك يشاركه فيه كل ذى ادراك فتمدح بما لا يشاركه فيه أحد فقال عز من قائل ولا حبة فى ظلمات الارض ثم الحق هذه الجزئيات بالكليات فقال ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وأمثاله من النظم قول الشاعر

اليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى * ثلاثة اشباه كما اجتمع النسر

فبشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

المراد من النوع البيت الثالث فان الشاعر قصد تعظيم الممدوح وتفخيم أمر داره التى قصده فيها ومدح يومه الذى لقيه فيه فجعل الممدوح جميع الورى وجعل داره الدنيا ويومه الدهر فجعل الجزء كليا بعد حصر أقسام الجزئى أما جعله الجزئى كليا فلان الممدوح جزء من الورى والدار جزء من الدنيا واليوم جزء من الدهر وأما حصر أقسام الجزئى فلان العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف مكان وقد حصر ذلك وهذا النوع صعب المسالك فى نظمه عزيز الوقوع والتحصيل وقد فر العميان من نظمه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فيه

شخص هو العالم الكلى فى شرف * ونفسه الجوهر القدسى فى عظم

الشيخ صفى الدين جعل الجزئى كليا فقط وهو القسم الاول لكون الواحد لا يسع جميع القيود وبيت الشيخ عز الدين

فالحق الجزء بالكلى منحصرا * اذ دينه الجنس للاديان كلهم

هذا البيت ما وجدت فيه للكلام فسحة لامور وبيت بديعيتى

الحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلى للعظم

حصر الجزئى والحاقه بالكلى

الظالم والخراب الموحش ولما أعد الله لهم فى الآخرة شر امقاما وأنا أعيذ بالله هراة أن يجد الشيطان اليها هذا المجاز وأعيذ الشيخ الرئيس أن لا يهتز لهذا الامر اهتزازا يرد الشيطان على عقبه

(وله اليه أيضا)

الخبر أطال الله بقاء الشيخ محل الدين وهو على الشمال والروح على اليمين ويعلم ما على من فرائض النفقة ونوافل المروءة كما يعلم مالى من وجوه الدخل وأبواب المنافع وقد ورد غرمائى من موضع كذا وعليهم تبعات ديوانيه وحقوق سلطانيه فاذا تأمر ان اصنع وفيم ترى ان أشرع ولو رأيت لهنتهم آخر الصبر حتى يستوفى الديوان حقه على ان عهدى بالشيخ أن لا يؤخر مالى عن مال السلطان ولا يقعد حق

النبى

النبى صلى الله عليه وسلم صالح أن يكون هنا كليا العلو مقداره وعظمه فقولى عن الانبياء فالجزء يلحق بالكلى للعظم لا يخفى مافيه من المبالغة والمغالاة فى وصف الممدوح صلى الله عليه وسلم هذا مع تحرير هذا النوع الذى يدق عن افهام كثيرة وايضاحه مع التورية باسمه وسهولة تركيبه وانسجامه وما أعلم له فى هذا الباب نظيرا وما أوضحه وزاده طلاوة وحسنا الا تشريفه بالمديح النبوى

(ذكر الفرائد)

(وشم وميض بروق من فرائده * وانتظم حنانيك عقدا غير منفصم)

الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة لان المراد منه أن يأتى الناظم أو الناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد وتدل على فصاحة المتكلم بها بحيث ان تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها كقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم قوله تعالى الرفث فريدة لا يقوم غيره امقامها وكقوله تعالى هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى فقوله سبحانه وتعالى أهش بها على غنمى فريدة يعز على الفصحاء أن يأتوا بمثلها فى مكانها ومنه قول عنترة فى معلقته

يادار عبلة بالجواء تكلمى * وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

فعمى صباحا فريدة فى مكانها وروى أن أباذر أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عم صباحا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد أبدلنى ما هو خير منها فقال ما هى قال السلام وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

ومن له جاور الجزع اليبيس ومن * بكفه أورقت عجزاء ذى سلم (١)

الفريدة فى بيت الحلى هى العجزاء والعجزاء هى العصا المعقدة والعميان ما نظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين

كم حصحص الحق اذ وافت فرائده * وفى الوطيس بدا ثبتا بلا ابرم

الفريدة فى بيت الشيخ عز الدين هى لفظة الوطيس وأما برم فما ابرم فيها أمرا وبيت بديعيتى أقول فيه وأنا مستمر على خطابى لمن رام مديح النبى صلى الله عليه وسلم فانى قلت فى البيت الذى قبله

أحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلى للعظم

وقلت بعده فى الفرائد

وشم وميض بروق من فرائده * وانتظم حنانيك عقدا غير منفصم

الفرائد فى هذا البيت ثلاثة وهى شم وحنانيك ومنفصم والوميض صالح لذا والله أعلم بالصواب

(ذكر الترشيح)

(بس زادت على لقمان حكمته * وبان ترشيحه فى نون والقلم)

هذا النوع أعنى الترشيح هو أن يأتى المتكلم بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة ترشحها وتؤهلها لذلك كقول التهامى فى مرثيته المشهورة

واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار

الفرائد

عن حقوق الديوان وان ألقيت دلوى فى الدلاء وأمدنى الشيخ الرئيس ببعض الاعتناء قضمت الى ان أخضم وقنعت الى ان أقبض وتطرفت حتى يمكن التوسط وان خذلنى فقد عيانصر وطالما راش وطير وأنا أنشد الله وعد صديقه الكريم العزيز ثم واجب خادمه السامع المطيع فما أقدره ان نشط والسلام

(وله أيضا)

أنا وأنا غرس الشيخ الرئيس ألف العمامه على فضول لا تقلها جبال تهامه ثم أسبح فى الماء الغزير ثم أعتضد بالامير والوزير ثم أستظهر بسجل القاضى ثم الشيخ الرئيس المتغاضى ثم لا حول ولا حيلة مع ابن جبلة العار والله النار والقتل والدمار والنار والتراب المثار عز والله

(١) قوله ذى سلم فى نسخة من سلم اه

الترشيح

فلولا ذكر الشفير لما كان فى الرجا تورية برجا البئر ولكان من رجوت الامر لقوله أولا واذا رجوت المستحيل قلت وهذا النوع تقدم ذكره فى باب التورية المرشحة وقد تقدم أيضا ان التورية أربعة أنواع مجردة ومرشحة ومهيأة ومبينة فالمرشحة هى التى يذكر فيها لازم من لوازم المورى به قبل لفظ التورية أو بعده وسميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر لازم المورى به وتقدم هذا فى باب التورية المرشحة ولكن ذكروا فى تكرير الترشيح هنا فائدة لم يكن لمكررها حلاوة وهى اذا قيل ما الفرق بين التورية والترشيح وقد جعلت مثاليهما واحدا قلت الفرق بينهما من وجهين أحدهما من أنواع البديع ما لا يحتاج الى ترشيح وهى التورية المجردة المحضة والثانى ان الترشيح لا يختص بالتورية دون بقية الابواب بل يعم المطابقة والاستعارة وغيرهما فى كثير من الابواب ألا ترى الى قول ابى الطيب المتنبى

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتى لرأيت فيه جهنما

فان قوله ياجنتى رشحت لفظة جهنم للمطابقة ولو قال مكانها يامنيتى لم يكن فى البيت مطابقة البتة وأما ترشيح الاستعارة فكقول بعض العرب

اذا ما رأيت النسر عز ابن دأية * وعشش فى وكريه طارت له نفسى

فانه شبه الشيب بالنسر لاشتراكهما فى البياض وشبه الشعر الاسود بابن دأية وهو الغراب لاشتراكهما فى السواد واستعار التعشش من الطائر للشيب لما سماه نسرا ورشح به الى ذكر الطيران الذى استعاره لنفسه من الطائر فقد ترشح باستعارة الى استعارة ولولا خشية الاطالة لذكرت ترشيح التشبيه وترشيح غيره من الانواع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ان حل أرض اناس شد أزرهم * بما أباح لهم من حط وزرهم

لفظة شد فى البيت للشيخ صفى الدين رشحت لفظة حل للمطابقة ولو أبقاها على حالها فى معنى الحلول لم يكن فى البيت مطابقة البتة والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

فى الفتح ضم من الانصار شملهم * جبر الكسر بترشيح من الرحم

الترشيح فى بيت الشيخ عز الدين ظاهر فانه رشح الفتح للتورية بصريح الضم ورشح الضم للتورية بذكر الكسر وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بمن زادت على لقمان حكمته * وبان ترشيحه فى نون والقلم

فذكر لقمان رشح بمن للتورية وذكر نون والقلم رشح لقمان للتورية والفرق بين قولى وبان ترشيحه فى نون والقلم وبين قول الشيخ عز الدين بترشيح من الرحم ظاهر وأما سهولة التركيب وعذوبة الانسجام وتمكين القافية فلم أحتج معهما الى اقامة دليل والله تعالى أعلم

(ذكر العنوان)

(به العصا أثمرت عز الصاحبها * موسى وكم قد محت عنوان سحرهم)

هذا النوع أعنى العنوان هو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو ذم

ابن حجة ان عاز الله ورسوله ثم أدرك سوله ان امر أترج كفته على كفه فيها خصمه والاسلام وحكمه والسلطان وأمره والوزير وشفاعته والرئيس وعنايته لموفور الحظ من الجلالة وان خصمه لبعيد الضرب فى الضلالة عجبا لذلك الخبيث وأف من هذا الحديث ولا أعاود بعدها الشيخ الرئيس والسلام

وكتب الى الشيخ الرئيس عدنان بن محمد

عجب الناس أطال الله بقاء الشيخ الرئيس من ثلاثة وهن فرحة الفؤاد وغضبة الجلاد ونشاط السماد والاستدراك على أبى الحسن بن غياث أعجب من هذه الثلاث واعجبا أتريد جهنم حطبا واعجبا أتريد أسوأ منها منقلبا

العنوان

أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتي القصد تكملة بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص مبالغة كقول أبي تمام لأحمد بن أبي دواد

تثبت ان قولا كان زورا * أتى النعمان قبلك عن زياد
فأثر بين حي بني جلاح * لدى حرب وبين بني مصاد
وغادر في صدور الدهر قتلى * بني بدر على ذات الاصاد

فأتى بعنوان يشير الى قصة النابغة حين وشى به الواشون الى النعمان فجر ذلك حروبا انطوت عليها قطعة من الدهر وذكر في البيت الثالث عنوانا آخر أشار فيه الى ما جرى بين بني عبس وبين بني بدر على غدير ذات الاصاد وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

والعاقب الحبر في نجران لاح له * يوم التباهل عقبى زلة القدم

الشيخ صفي الدين أشار بعنوانه الى عبد المسيح عالم النصارى حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم التباهل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وكان قد خرج النبي صلى الله عليه وسلم محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن عليهما السلام وفاطمة تمشي خلفهما سلام الله عليهم أجمعين فحين رآهم العاقب قال للنصارى لا تباهلوا محمدا فاني أرى معه وجوها لو أقسم على الله أن يزيل بها الجبال لأزالها فانصرفوا وقبلوا الجزية والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

بشرى المسيح أتت عنوان دعوته * وقبله كل هاد صادق القدم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

به العصا أثمرت عزا لصاحبها * موسى وكم قد محت عنوان سحرهم

هذا البيت عنوانه ظاهر لم يحتج فيه الى شرح ولكن التورية في العنوان وترشيحها بلفظة محت لا يخفى ما فيها من المحاسن لأنه اسم النوع الذي هو القصد هنا وأما قولي به العصا أثمرت فهي مناسبة ليس لها في الحسن مناسب

(ذكر التسهيم)

كذا الخليل بتسهيم الدعا به * أصابهم ولجا من حر نارهم

هذا النوع مأخوذ من الثوب المسهم وهو الذي يدل أحد سهامه على الآخر الذي قبله لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص به لمجاورة اللون الذي قبله ومن المؤلفين من جعل التسهيم والترشيح شيأ واحدا والفرق بينهما أن الترشيح لا يدل على غير القافية والتسهيم تارة يدل على عجز البيت وتارة يدل على ما دون العجز وتعريفه ان يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ كأبيات أخت عمرو ذي الكلب فان الحذاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها

* فأقسم يا عمرو لو نبهاك *

يقتضي أن يكون تمامه

* اذا نبها منك داء عضالا *

والله ما عجز عزمي عن ابي الحسن حوالك ولا على شفقة ابي الحسن استدراك وما اظن الملائكة تحصي احصاءه ولا تبلغ الزبانية استقصاءه وتدكدكت تلك القرية بالرجالة والفرسان واستل نصيبها من العدل والاحسان ولا عليه ايده الله ان يحتمل غلطات ابي الحسن فيجعل ما اصله قانونا لجهل ايذاءه ويحسم داءه فأستريح وأريح

(وله اليه أيضا)

ابقى اطال الله بقاء الشيخ الرئيس عبدان أحدهما الذي أنبت عليه شجرة من يقطين والآخر الذي قال خلقتني من نار وخلقته من طين فأنجي هذا من الظلمات ومد لذاك في الحياة فعرف الكل مقدار حق خدمته وانا امت الى الشيخ الرئيس اطال الله

التسهيم

دون غيره من القوافي لانه لو قال مكان داء عضالا لبناغضوا وافي قتولا أوما ناسب ذلك لكان الداء العضال ابلغ اذ كل منهما تمكن مغالبته والترقي منه والداء العضال لادواء له هذا مما يعرف بالمعنى وأما مايدل على الثاني دلالة لفظية فهو قولها بعده

اذا نبها اليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

وكذلك قولها

وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء حرف تشكى الكلالا
* فكنت النهار به شمسه *

يقتضي ان يتلوه

* وكنت دجا الليل فيه الهلالا *

ومنه قول البحتري

أحلت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي
* فليس الذي قد حلت بمحلل *

ومن هنا يعرف المتأدب ان تمامه

* وليس الذي قد حرمت بحرام *

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله

كذاك يونس ناجى ربه فنجا * من بطن حوت له في اليم ملتقم

والعميان مانظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تسهيمه في الوغى حسم لتصل * تسليمه في الرضا وصل لمحتشم

قلت الشيخ عز الدين رماه التسهيم في العكس فتشوش اذ صار كل من النوعين يتجاذبه وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كذا الخليل بتسهيم الدعاء به * أصابهم ونجا من حر نارهم

لفظة التسهيم في هذا البيت انحصر فيها ثلاثة أنواع احدها تسمية النوع والثاني الاستعارة البديعية والثالث التورية المرشحة فان لفظة التسهيم رشحت التورية بذكر الاصابة وتحرير النوع ظاهر في دلالة الاول على الثاني

(ذكر التطريز)

(شملي بتطريز مدحي فيه منتظم * ياطيب منتظم ياطيب منتظم)

هذا النوع اعني التطريز هو ان يبتدئ المتكلم او الشاعر بذكر جمل من الذوات غير منفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قرره وقدره في تلك الجملة الاولى وعدد الجمل التي وصفت بالذوات عدد تكرر واتحاد لاعدد تغير كقول ابن الرومي

قرون في رؤس في وجوه * صلاب في صلاب في صلاب

ومثله قوله
كان الكأس في يدها وفيها * عقيق في عقيق في عقيق

ومثله قول ابن المعتز

بقاء ليستأنف الود فان كان قد عرض في البين عارض العين واعدني وليا من أوليائه فهجني الآن عدوا من اعدائه لبس الشيخ الرئيس في تلك الاسباب وخراب تلك الضياع شفاء صدر ولافي بقائها زيادة قدر فان استطاع أن يحسن فيها الخلافة فعل

(وله الى الشيخ الامام ابي الطيب سهل)

ياشبر ماهذا الكبر وياقتر ماهذا الستر وياقرد ماهذا البرد ويا يأجوج متى الخروج ويافقاع بكم تباع ويافرناني متى ترانى وياقمة الجبل نحن ببابك ويابيضة النغيلة من أتى بك

التطريز

فثوبي والمدام ولون خدي * شقيق في شقيق في شقيق

وابدع من الجميع والطف قولي من قصيدتي المصغرة

لغيظك والمقيل مع نظيمي * صغير في صغير في صغير

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التطريز

فالجيش والنقع تحت الظل مرتكم * في ظل مرتكم في ظل مرتكم

قلت هذا البيت لا يخلو أن يكون للعقادة فيه بعض تراكم والعميان ليس في بديعيتهم تطريز

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله تعالى في بديعيته قوله

الدين والنقع تطريز لمحترم * في نصر محترم في نصر محترم

هذا البيت لم أفهم منه غير لفظة التطريز الذي هو اسم النوع وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

شملي بتطريز مدحي فيه منتظم * يا طيب منتظم يا طيب منتظم

هذا البيت بهجة التطريز ظاهرة على أركانه وقد جمع فيه بين التطريز الذي هو المراد والتورية واللف والنشر والترشيح والاستعارة ومراعاة النظير والسهولة والانسجام والجناس التام والله أعلم

(ذكر التنكيت)

وآله الصبر آل أن يقس بندى * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

هذا النوع أعني التنكيت يستحق لغرابته ان ينتظم في اسلاك البديع ويغار عليه أن يعد مع المماثلة والموازنة ومع التطريز والترصيع وقد تقدم الكلام على سفالة هذه الانواع والتنكيت عبارة عن ان يقصد المتكلم شيأ بالذكر دون اشياء كلها تسد مسده لولا نكتة في ذلك الشيء المقصود ترجح اختصاصه بالذكر وعلماء هذا الفن أجمعوا على انه لولا تلك النكتة التي انفرد بها لكان القصد اليه دون غيره خطأ ظاهرا عند أهل النقد وجاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى وانه هو رب الشعرى فانه سبحانه خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو رب كل شيء لان من العرب من عبد الشعرى وكان يعرف بابن ابي كبشة ودعا خلقا الى عبادتها فأنزل الله تعالى وانه هو رب الشعرى التي ادعيت فيها الربوبية دون سائر النجوم وفي النجوم ما هو أعظم منها ومنه قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فانه سبحانه وتعالى خص تفقهون دون تعلمون لما في الفقه من الزيادة على العلم والمراد الذي يقتضيه معنى هذا الكلام الفقه في معرفة كنه التسبيح من الحيوان البهيمي والنبات والجماد الذي تسبيحه بمجرد وجوده الدال على قدرة موجده ومخترعه ومن الامثلة الشعرية قول الخنساء

يذكرني طلوع الشمس صخرا * واذكره بكل غروب شمس

فخصت هذين الوقتين بالذكر وان كانت تذكره كل وقت لما في هذين الوقتين من النكتة المتضمنة للمبالغة في وصفه بالشجاعة والكرم لان طلوع الشمس وقت الغارات على العدا وغروبها وقت وقود النيران للقرى وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التنكيت

وبادية ويا جبة ويا من خلفه المسبة ويا دمل ما اوجدك ويا اقل لنا حديث معك فان رأيت اذنت والسلام

(وله اليه ايضا)

ولما وقع بخراسان ما وقع من حرب وجرى ما جرى من خطب واضطربت الامور واختلفت السيوف والتقت الجموع وظفر من ظفر وخسر من خسر كتبني الله في الاعلين مقاما ثم الهمني من الامتداد عن تلك البلاد والاقلاع عن تلك البقاع واعترضتنا في الطريق الاتراك واحسن الله الدفاع عن خير الاعلاق وهو الراس بما دون الاعراض وهو اللباس

التنكيت

وآله امناء الله من شهدت * لقدرهم سورة الاحزاب بالعظم

الشيخ صفي الدين خصص سورة الاحزاب هنا بالذكر لان فيها التصريح بمدح آل البيت عليهم السلام بقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ولولا هذا الاختصاص كانت كغيرها من السور والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

في براءة تنكيت بمدحته * معناه في الشرح يثني داعذى البكم

ذكر الشيخ عز الدين في شرحه ان النكتة المقصودة في بيته في سورة براءة هي قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وبيت بديعيتي اشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم

وآله الغر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

التنكيت في هذا البيت بديع وغريب في بابه فاني خصصت الندى بالذكر عند مقايسته بالصرف في قولي ان الصريح بندى كفوفهم كالآل والآل هو الذي يحسبه الظمآن ماء ولو قلت انهار كفوفهم او جداول كفوفهم لسد كل واحد منهما مسده بزيادة زائدة ولكن في الندى نكتة ليست فيهما وهي الغلو في أن الصريح يصير عند هذا الندى سرابا وهذا الذي أوجب تخصيص الندى بالذكر دون غيره وقد اجتمع في هذا البيت التنكيت الذي هو القصد هنا والتورية والغلو ومراعاة النظير والجناس والله أعلم

الارداف فلم نجزع لمرض المال مع سلامة النفوس ولم نحزن لذهاب المال مع بقاء الروس وسرنا حتى وردنا عرصة العدل وساحة الفضل ومربع الحمد ومشرع المجد ومطلع الجود ومنزع الاصل ومشعر الدين ومفرع الشكر ومصرع الفقر حضرة الملك العادل ابى احمد خلف بن احمد فكان ما ضمناه كأنا زرعناه فانبت سبع سنابل وكان ما فقدناه كانا اقرضناه هذا الملك العادل وكأنما سمي خلفا ليكون عن كل فائت خلفا وعن كل ما مضى عوضا وكأنما جئناه ليضيق علينا العالم ويغضر الينابيع آدم فيجعل حسنات سيئات وقيدنا الاحسان وكأنما خلق للدنيا تفصيلا وللملوك تفضيلا وكان هذا العالم قد احتبى

(ذكر الارداف)

(وفي الوغى رادفوا السمر القنا سكنا * من العدا في محل النطق بالكلم)

نوع الارداف قالوا انه هو والكناية شيء واحد قلت واذا كان الامر كذلك كان الواجب اختصارهما وائمة البديع كقدامة والحاتمي والرماني قالوا ان الفرق بينهما ظاهر والارداف هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه كقوله تعالى واستوت على الجودي فان حقيقة ذلك جلست على المكان فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى الى لفظ هو رديفه وانما عدل عن لفظ الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الارداف من الاشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من لفظ جلست وقعدت ومن الامثلة الشعرية على الارداف قول ابي عبادة البحتري يصف طعنة

فأوجرته اخرى فأضللت نصلها * بحيث يكون اللب والرعب والحقد

ومراده القلب فذكره بلفظ الارداف والفرق بين الارداف وبين الكناية ان الارداف قد تقرر انه عبارة عن تبديل الكلمة بردفها والكناية هي العدول عن التصريح بذكر الشيء الى ما يلزم لان الارداف ليس فيه انتقال من لازم الى ملزوم والمراد بذلك انتقال المذكور الى المتروك كما يقال فلان كثير الرماد ومراده نقله الى ملزومه وهي كثرة الطبخ للاضياف وبيت الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى على الارداف قوله

بشبا اسكنوا اطراف سمرهم * من الكماة محل الضغن والاضم

الشيخ صفي الدين زاحم البحتري في بيته الى ان نزع قلبه من صدريه بل جل قصده في ارادته

هنا القلب وكان الواجب العدول عنه لشهرته فى هذا الباب عند أهل البديع والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

للطعن والضرب أرداف يحل به * فى موضع العقل يحكيه ذو والحكم

وبيت بديعيتى قلت قبله عن آل النبى صلى الله عليه وسلم مشيرا الى الغلو فى كرمهم

وآله البحر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا تشكيك مدحهم

واردفته بقولى فى الشجاعة

وفى الوغى رادفو للسن القنا سكنا * من العدا فى محل النطق بالكلم

انظر أيها المتأمل فى بديع هذا الارداف الغريب الذى ميزته على أقرانه من البحترى الى الشيخ عز الدين بحسن مراعاة النظير الذى اسكنت به الالسنة بالافواه بقولى فى محل النطق بالكلم مع التورية بتسمية النوع والله سبحانه أعلم

(ذكر الايداع)

واودعوا الثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

هذا النوع أعنى الايداع يغلب عليه التضمين والتضمين غيره فانه معدود من العيوب والعيب المسمى بالتضمين هو ان يكون البيت متوقفا فى معناه على البيت الذى بعده كقول النابغة

وهم وردوا الجفار على تميم * وهم أصحاب يوم عكاظ انى

شهدت لهم مواطن صادقات * اتيتهم بود الصدر منى

والايداع الذى نحن بصدده هو ان يودع الناظم شعره بيتا من شعر غيره او نصف بيت او ربع بيت بعد ان يوطئ له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع ان البيت باجمعه له واحسن الايداع ماصرف عن معنى غرض الناظم الاول ويجوز عكس البيت المضمن بأن يجعل عجزه صدرا وصدره عجزا وقد تحذف صدور قصيدة بكمالها او ينظم لها المودع صدور الغرض اختاره وبالعكس وقد تقدم وتقرر ان الاحسن فى هذا الباب ان يصرف الشاعر ما اودعه فى شعره عن معناه الذى قصده صاحبه الاول ويجوز تضمين البيتين بشرط ان ينقلهما من معناهما الاول الى صيغة اخرى كما حكى ان الحيص بيص قتل جروكلب وهو سكران فأخذ بعض الشعراء كلبة وعلق فى رقبتها قصة واطلقها عند باب الوزير فاذا فيها مكتوب

يااهل بغداد ان الحيص بيص انى * بخزية البسته العار فى البلد

ابدى شجاعته بالليل مجترئا * على جرى ضعيف البطش والجلد

فأنشدت امه من بعدما احتسبت * دم الابيلق عند الواحد الاحد

اقول للنفس تاساء وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم ترد

كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا اخى حين ادعوه وذا ولدى

البيتان الاخيران لامرأة من العرب قتل اخوها ابنها فقالت ذلك تسلية ومنهم من اودع شعره بيتين وكل بيت منهما لشاعر كقول القاضى شهاب الدين محمود

عملا لجعل هذا الملك ثوابه وكان هذا الملك قد اذنب مثلا لجعل هذا العالم عقابه وكانه جسم والعرض عفاته وكانه ذاته والمكارم صفاته فهو البحر يمشى على رجلين والجد يتصور فى العين والعدل يتقسم والجود يتجسم والنجم يتكلم فلما التقينا فرشت الارض بيدى فرشا ونقشت التراب بفمى نقشا وخطا الى خطوات كادت الارض لاتسعها وكادت الملائكة ترفعها ثم انه زين بلقياى وفود الكلام كما زينت بلقياه ملوك الانام وافسدنى على الناس من جميع الاجناس فما ارضى غيره احدا ولا اجد مثله ابدا وان طلبت ملكا فى اخلاقه متولى الاقه

و بتنا على حكم الصبابة مطعمى * زفيرى واشجانى وشربى المدامع
وخلى يعاطينى كؤس ملامة * وينشدنى والهم للقلب صادع
اتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع اعناق الرجال المطامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى انيابها السم ناقع

البيت الاخير للنابغة قلت غاية الاوائل ان ينقلوا المعنى الاول فى الايداع الى معنى آخر ان كان فى بيتين او بيت واحد او نصف بيت ولكن الفرقة التى مشت تحت العلم الفاضلى وتحلت بالقطر النباتى وهلم جرا لم يرضوا بنقله مجردا من التورية او ما يناسبها من انواع البديع ومما يؤيد قولى هذا قول القاضى جلال الدين القزوينى فى التلخيص واحسنه ما زاد على الاصل بنكتة كالتورية والتشبيه وممن ابدع فى نقله الى التورية علامة هذا الفن الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى بقوله

اتانى على البانياسى منشدا * فيالك من شعر ثقيل مطوّل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومثله قوله فى مليح اسمه حبيب وهو

حبيب حبيب القلب اخلى منزلا * به كان فى عرس المسرة يجتلى
فيا صاحبى الذكر قد لذ بالبكا * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وما يشك من عنده ذوق ان المقطوعين فى الايداع تميزا بمحاسن التورية وغريب النقل الى غرض كل من الناظمين وكذلك تقطيع اعناق الرجال فى ايداع الشهاب محمود فانهم نقلوه الى الصفع وجاءت توريته فى غاية الحسن وهذا هو المذهب الذى انتهت غايات المتأخرين اليه ومن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة ايضا وهو

اقول لمعشر جلدوا ولاطوا * وباتوا عاكفين على الملاح
الستم خير من ركب المطايا * واندى العالمين بطون راح

وقولى

ومذ كلمت قلبى سيوف لحاظها * شكوت اليها قصتى وهى تبسم
فلم ار بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم ترقبلى ميتا يتكلم

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فيا خجلتى لما دنوت واذلالى
فقلت امكيه بالانامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقولى

طاول الليل بالذؤابة قيس * وتثنى عجبا بلطف وكيس
فلالى السهاد مذ طال ليلى * يا خليلى من ذؤابة قيس

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

تصدّى الى ايرى فقلت له اتئد * وحقك لو عاينته وهو ثائر
رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

اوكرمنا فى جوده عدمت قبل وجوده فحرس الله سلطانه من ملك وسع ابرزاق وضيق اخلاق واغلى ثمن فاما شتريف احد وعظم امرى فما به فى بلد وهذا وصف ان اطلته طال ونشر الاذيال واستغرق القرطاس بل الانفاس واستنفد الاعمار بل الاعصار ولم يبلغ المعشار وافنى الاقلام بل الكلام ولم يبلغ التمام ما ظن الشيخ بملك شهدت له الفراسة رضيعا بان لا يكون وضيعا والمخائل فطيما بان يكون سمحا كريما والشواهد صبيا بان ينزل مكانا عليا والشمائل غلاما ان يكون ملكا همّاما فلما ايفع وارتفع طالبته الهمة العليا برفض الدنيا حتى يؤدى فرض الله فى الحج فقام عن سرير الملك الى سبيل النسك فحج البيت ودرس العلم حتى علم ناسخ

وانشدنى

وانشدنى ؟ من لفظه لنفسه الكريمة مولانا المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد
ابن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية
المحروسة كان تغمده الله برحمته ؟ ما اختلف هو والشيخ جمال الدين بن نباتة فى ابداعه واتفقا
فى معناه والمعنى فى البيتين المذكورين قبل واما الترشيح فعندى ان التورية فى بيتى المقر
الناصرى ارجح وهما قوله

اقول وقد ابى عن اخذ ثارى * وسالت من محاجره دموع
اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

الذى ترجح عندى ان قوله وجاوزه اقعد من قول الشيخ جمال الدين لا كاه والذى اقوله ان كلا
منهما فى بابه بديع وغريب وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

لم أنس موقفنا بكاظمة * والعيش مثل الدار مسودة
والدمع يشدف مسائله * هل بالطلول لسائل ردة

ومثله قولى

قف واستمع طربا فليلى فى الدجا * باتت معانقتى ولكن فى الكرى
وجرى لدمعى رقصة بخيالها * أترى درى ذاك الرقيب بما جرى

ومن ابداعاتى الغريبة قولى من اعجاز الملحة

تشكر الخال علينا عندما * سال عليه العارض المسلسل
فعنه سلنى ان ترد تعريفه * فانه منكر يا رجل

ومما انفرد به الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى تضمين أعجاز الملحة والذى يؤيد انفراده
حسن تخلصه من الغزل وهو ماش على التضمين الى مدح قاضى القضاة ولم يزل مستمرا على
غرر المدائح اللائقة بالقاضى الى حسن الختام وضمن الشيخ زين الدين بن الوردى نبذة من
اعجاز الملحة ولم يفرغها فى غير قوالب الغزل فان التخلص من الغزل الى المدح من المستحيلات
فى هذا الباب ولكن الشيخ جمال الدين بن نباتة كان فى ذلك العصر نسيج وحده ومن المعلوم ان
الجماعة مثل الشيخ زين الدين بن الوردى والشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ برهان الدين
القيراطى وغيرهم ممن عاصره ما منهم الا من تطفل على موائد حلاوته النباتية وقد عن لى ان
أورد هنا نبذة من التضمين للشيخين واجعل كلا من أبيات الشيخين وقفا محبسا على اصحاب
الذوق السليم قال الشيخ جمال الدين فى المطلع

صرفت فعلى فى الاسى وقولى * بحمد ذى الطول الشديد الحول

وقال الشيخ زين الدين رحمه الله تعالى فى المطلع

يا سائلى عن الكلام المنتظم * هو الذى فى لفظه من أهوى قسم

هذا المطلع من الابداع الذى قصر فيه باع الشيخ زين الدين ابن الوردى فانه صدر مطلعه
بالصدر وهو جائز ولكنه غير المراد فان الشيخ جمال الدين تقدمه بتضمين الاعجاز ونسج ابداعه
على هذا المنوال ومن اغزال الشيخ جمال الدين البديعة فى هذا الباب قوله

أفدى غزالا مثلوا جماله * فى مثل قد أقبلت الغزاله

الكتاب ومنسوخه ومباحثه
ومخطوره ومتن الحديث
وصدره وكان استخلاف
على رعيته بعض خدمه
واوصى بهم كبيرا لا يظلمهم
نقيرا فبسط ذلك العامل
يده فى المظالم يحتقبها والمحارم
يرتكبها فكر عليهم كرة
القمر ورجع اليهم رجعة
المطر فخار به وقهره ومحا
الله أثره ثم جمعت له الاعداء
العصى وحنت اليه القسى
والله من ورائه يكلؤه من
اعدائه فأقام يوما من
تلك السنين الا نقصهم
وازداد فكم ركن هدم
وجيش هزم وكيد عدم فلما
اقاموا طويلا ولم يغنوا
فتيلا لم يكن اكثر من ان
جاؤه امراء فعادوا فقراء
ولبثوا أسراء ورجعوا
صاغرين وانقلبوا
خاسرين وتبعهم كيده
النافذ ومكره الآخذ
يقفو آثارهم ويكسح
ادبارهم واشتملت جريدة
ما لقى من الحروب مع ابناء
النوب واولاد الدروب
على بضعة عشر حربا
اخفها مع بضعة عشر الف

ماقال مذ ملك قلبى واسترق * كقولهم رب غلام لى ابق
للقمرين وجهه مطالع * فهى ثلاث مالهن رابع
لأحرف الحسن على خديه خط * وقال قوم انها اللام فقط
منفرد بالوصل فى دار الهنا * مثاله الدار وزيد وانا
لايختشى تلاعب الظنون * والامر مبنى على السكون
فى خده التبرى هان نشبى * وقيمة الفضة دون الذهب
فاصرف عليه ثروة تسلم * فما على صارفها ملام
وان رأيت قده العالى قصف * وقف على المنصوب منه بالالف
والعارض النونى ما انصفته * وان تكن باللام قد عرفته
واهاله من حرف نون قد عرف * كمثل ما تكتبه لايختلف
يأتى بنقط الخال فى الاعجام * وتارة يأتى بعتق اللام
للحظه المسكر فعل يطرب * مفعوله نحو سقى ويشرب
ولا تلم فيه عويشقا تلف * ولا سكران الذى لاينصرف
جسمى وذاك الخصر والجفن الدنف * من الحروف الاعتلالى المكتنف
فيالماعنه أخرت القمر * اما لاهوان نواما لصتغر
كرر فما احلى بثغرى التالى * كقولك ياغلام ياغلامى
وارفق بمضناك فما سوى اسمه * ولا لغير ماابق من رسمه
وقد حكى العذار فى الوقوف * فاعطف على ساءلك الضعيف
والخر يعنى لحظك المعشوق * فى حكل ماتأنيثه حقيق
يالك لحظا بسعاد أزرى * وجاء فى الوزن مثال سكرى
ياناصبا أوصاف ذيالك الصبى * تم الكلام عنده فلتنصب
هيهات بل دع عنك ما أضنى وما * وعاص اسباب الهوى لتسلما
وكرر الامداح فى على * قاضى القضاة الطاهر النقى
بكل معنى قد تناهى واستوى * فى كام شئ رواها من روى
بادر بناذاك العلى العالى وصف * اذا اندرجت قائلا ولا تقف
دونك والمدح زكيا معجبا * نحو لقيت القاضى المهذبا
فالجود والعلم عليه ارتقى * وهكذا أصبح ثم امسى
والمرء الى قار قراه نافع * وافزع الى حام حماه مانع
يقول للضيف نداه حب وجل * ومثله ادخل وانبسط واشرب وكل
وان ظفرت عنده بموعد * تقول كم مال أفادته يدى
لله ما ابينه عند العطا * وما احد سيفه اذا سطا
ان قال قولا بين الغرانيا * وقام قس فى عكاظ خاطبا
وان حذا الى على ذى العدد * والكيل والوزن ومذروع اليد

وجل وكتب الله فى جبهتها النصر عادة فى ملك حصب الدهر فلم يشرب الخمر ولم يسمع الزمر ولم يعرف النقر ولم يلعب القمر تشحن دور الملوك بالمعازف وداره بالمصاحف وتأنس مجالسهم بالقيان ومجلسه بالقرآن ويألف ابوابهم حملة الظلم وبابه حملة العلم وتعبث ايديهم بالعود ويده بالجود وتلعب اناملهم بالمزامر وانامله بالدفاتر يدخرون الدراهم ويدخر المكارم ويقتنون الجواهر ويقتنى المآثر ويعدون نفيس الاعلاق ويعد نفيس الاخلاق وكثيرا ما ينشدنى

فهن اذا جمعتهن دراهم
وهن اذا فرقتهن مكارم

المهم نه الشده فى هذه المده فلان فرجع بثلاثين الف دينار وقد نزلت بهذا المقام فى هذه الايام فاختلت بين الخيل والخول

معطل السمع عن العذال * فماله مغير بحال *
الفضل جنش بيته المهنا * ونوعه الذي عليه يقف
سام به أهل العلا جيدا * وارفع ولا ترد ولا تقربعا
وان ذكرت افق بيت قد غدا * فانصب وقل كم كوكب تحوى السما
بيت عظيم المجد والعلاء * عند جميع العرب العرباء
اذا اجتليت في العطاجبينه * اوا ستترت للرجا يمينه

منها والبيت مضمن بكماله

تقول قد خلت الهلال لاتحا * وقد وجدت المستشار ناصحا
كم بالغنى عنه تولى راجل * و واقف بالباب أضحى سائل
قال له الشرع امض ما تحاوله * وا قض قضاء لا يرد قائله
وانت يا قاصده بر في جدد * واسع الى الخيرات اقيمت الرشد
ولا تقل كان وما انفك الفتى ولم يزل * كان وما انفك الفتى ولم يزل
باب سواه اهجر عداك عيب * وصغر الباب وقل بويب
جوده أنسى احاديث المطر * فليس يحتاج لها الى خبر
خذ بحر شعر جبته للذكر * وغصت في البحر ابتغاء الدر
حتى ملاء عيني نداه عينا * وطبت نفسا اذ قضيت الدينا
دونكها معقولة الآداب * ممزوجة بملحة الاعراب
مضى بها الليل مضى الانجم * وبات زيد ساهرا لم ينم
فافتح لها باب القبول تجتلى * وان تجد عيبا فسد الخللا
لازالت مسموع الثنا ذا منن * جائلة دائرة في الالسن
ما العدالك راية تقام * فليس الا الكسر والسلام

وقال الشيخ زين الدين بن الوردي

في صدغه للحسن آيات تخط * وقال قوم انها اللام فقط

قال الشيخ جمال الدين تقدمه في هذا البيت بالابداع وهنا بحث لطيف ابحثه مع حذاق الادب قال الشيخ جمال الدين بن نباتة (لاحرف الحسن على خديه خط) ومراده بذكر الحرف هنا مخالفة القوم له على ان البيت باحرف وانما هي حرف اللام فقط وقال الشيخ زين الدين (في خده للحسن آيات تخط) فلم يبق لقول من خالفه بقوله وقال قوم انها اللام فقط موضع ولا محل واين الآيات التي تخط من اللام ولعمري ان هذا الابداع على هذا التقدير يصير بيته وبين العجز من بيت الملحة بعض مباينة وكان الاليق للشيخ زين الدين الاعراض عن ابداع هذا البيت بعد الشيخ جمال الدين فانه لم يترك لغيره مجالا فيه والله اعلم وقال الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى

زمانه غض فلا يخشى فرط * اذ الف الوصل متى يدرج سقط
بسيف جفنه قتلت نفسي * فانه ماض بغير لبس

وتجلى بين الحلي والحلل وسيأتيه العز بتفصيل ما اجملت ثمر ان لهذا الملك عند الله تعالى دعاء مستجابا يصعد بالاجابة واعتبر ذلك في خطب وقع في هذه السنة فكشفه الله بدعائه ورد الكيد في نحر اعدائه وكان بعض اولاده كرمهم الله تعالى يشرب في السر شرب المصر فبلغه الخبر نقصه على من اختصه وذهبت النفرة طولا وعرضا وجر الحديث بعضه بعضا وأفضى الى استمالة قلوب العسكر لركوب المنكر من اظهار العصيان والعقوق برفع المخروق وضرب البوق وطابقه على ذلك جملة من الجنود ليسعوا

فياغزال ان ابنت ما اعتدى * فأسقط الحرف الاخير ابدا
قلت لمذكر لحى خل الفند * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

وهذا الابداع أيضا سخه الشيخ زين الدين من قول الشيخ جمال الدين وسبكه فى غير قالبه واين هذا من قول الشيخ جمال الدين فى اشاراته الى قاصد ممدوحه

وانت يا قاصد مسرفى جدد * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

قال الشيخ زين الدين

وان يكن عداك فى المؤنث * فقل لها انا فى رجال العبث

منها وأجاد الى الغاية

قوامه اشبه شئ بالالف * كمثل ما نكتبه لا يختلف

ومثله فى الحسن قوله

يا خصره من ردفه فز بالمنى * ولا تسل أخف وزنا أم رجح

تركيب هذا البيت غاية فى هذا الباب لانه قدم ذكر الالف فى الاول وقال فى عجز بيت الملحة كمثل ما نكتبه لا يختلف بخلاف قوله فى ذلك البيت آيات وقوله فى عجز بيت الملحة وقال قوم انها اللام فقط وقال

عذاره الرقيم فز بلثمه * ولا تغير ما بقى من رسمه

ولكن مرسوم الشيخ جمال الدين أمثل واين قول الشيخ جمال الدين

* وارفق بمضناك فما سوى اسمه *

حتى يقول بعد التوطئة

* ولا تغير ما بقى من رسمه *

من قول الشيخ زين الدين

* عذاره الرقيم فز بلثمه *

وقال الشيخ زين الدين بعد بيته الاول

تقول فيه خضرة يسيره * كما تقول ناره منيره *
دينار وجهه به شعت * وكم دنينير به سمعت
يا ليته يعطف بالوصال * والعطف قد يدخل فى الافعال
لاما حلالى فى هواه العذل * لشبه الفعل الذى يستقبل

منها واجاد

عيناه افنت أكثر العشاق * وهكذا تفعل فى البواقى
* فى ثغره جواهر غوالى * جلوتها منظومة اللآلى
صورته كالبدر فوق الغصن * فانظر اليها نظر المستحسن
وخل عنك يا عذول العذلا * وان تجد عيبا فسد الخللا

وهذا البيت أيضا منسوخ من ابداع الشيخ جمال الدين والبون بينهما بعيد فان الشيخ جمال الدين اعتذر للممدوح فى آخر القصيدة فى التقصير كما جرت عادة الشعراء بقوله

في الظلم ولا يؤخذ في الجرم
وينسلوا عن لجام الشرع
ويأمنوا عليه ألم الردع
ودب الشيطان بينهم ودرج
وأولج هذا الابن وخرج
واتبعه الملك العادل باكثر
جنابه وزعماء بابه ونفر
من غلمانه ليرده الى مكانه
فلما بلغوا معسكره صاروا
معه يدا واحده وقدما
قاصده واظهروا اشعار
الدولة والعصيان على واليهم
وولى نعمهم ومالك دمهم
ودمهم واتصل الخبر
فكادت العقول تطير
والقلوب تطيش ولم يؤمن
من الحاضرين ان يكونوا
مع الغائبين ومن المقيمين
ان يكونوا كالذاهبين
فلما جن الليل اردفهم

فافتح لها باب القبول تجتلي * وان تجد عيبا فسد الخللا

هذا مع مطابقة الفتح بالسد في هذا الباب وهذا غاية وأما اعتذار الشيخ زين الدين للعاذل وقوله له عن محبوبه وان تجد عيبا فسد الخللا فالمحبوب عند محبه أجل من هذا القدر والله اعلم وختام الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله قوله

حتى رثى لي وألان القولا * والحمد لله على ما اولى

ولعمري اني اختصرت من ابداع الشيخ زين الدين بن الوردي جانبا لم أرضه له ومن الابداعات التي برز فيها الشيخ زين الدين بن الوردي قصيدته التي امتدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وضمن فيها اعجاز قصيدة أبي العلاء المعري و بعض صدورها وهي القصيدة الرائية التي امتدح بها ابو العلاء المعري ابن القصيصي ونقلها الشيخ زين الدين ابن الوردي الى مستحقها صلى الله عليه وسلم وقد عن لي ان اجمع هنا بين الاصل والفرع لتظهر مزية الشيخ زين الدين فانه اظهر في ابداعه العجائب واتى بالغرائب ومطلع الشيخ زين الدين خال من الابداع وهو أدر أحاديث سلع والحمى أدر * والهج بذكر اللوى او بانه العطر

ومطلع الشيخ أبي العلاء المعري

ياساهر البرق أيقظ راقد السمر * لعل بالجزع اعوانا على السهر

قال الشيخ زين الدين بعد المطلع

وقف على الجزع واذكر لي اساكنه * لعل بالجزع اعوانا على السهر

وقال في ابداع صدر مطلع أبي العلاء

اذا تبسم ليلا قل لمبسمه * ياساهر البرق أيقظ راقد السمر

قال ابو العلاء يخاطب البرق

وان بخلت على الاحياء كلهم * فاسق المواطر حيا من بني مطر

قال ابو العلاء في قصر الليل على العاشق ليلة الوصل

يود أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح وجاد الى الغاية بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم

تشرف الركن اذ قبلت اسوده * وزيد فيه سواد القلب والبصر

قال ابو العلاء

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

فنقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي فقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

عذبت وردا فلم تهجر على خصر * والعذب يهجر للافراط في الخصر

قال ابو العلاء يخاطب محبوبته

فليت كل مهاة عقد غانية * وفزت بالشكر في الآرام والعفر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي وما احق المادح والممدوح به فقال

ان الغزالة لما ان شفعت نجت * وفزت بالشكر في الآرام والعفر

قال الشيخ ابو العلاء

بجماعة من الاعراب وقام الى المحراب يستنجد الله تعالى على ولده و يسأله ان يجعله في يده فلما التقت الفئتان اوحى الله تعالى الى الرعب ان يدهشه والى الرمل ان يوحشه فقهر ذلك الجمع وقسر وقص جناحه وكسر وافلت الكل واسر وبلأمن افلت الى ابن سمجور وحارب في عسكره فلما التقى الجمعان بباب هراة وفي عسكره الحاجب النادب وزعيم بابه الذاهب اوحى الله تعالى الى فرسيهما فوقفا فاسر كل واحد منهما وحده واسر من كان معهما بعده فكبلوا في الحديد ووردوا الى مولاهم فلما مثل الحاجب بين يديه قال كيف رأيت الله ظالم نفسه ألم اشترك وحيدا الم اربك وليدا الم اغنك فقيرا الم ارفعك حقيرا الم تهرب مستجيرا الم تكن للظالمين نصيرا الم تأنف اسيرا الست به جديرا الست

أقول والوحش ترميني بأعينها * والطير تعجب مني كيف لم أطر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ضمنت مدح رسول الله مبتهجا * والطير تعجب مني كيف لم أطر

قال ابو العلاء

في بلدة مثل ظهر الضب بت بها * كانني فوق روق الظبي من حذر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ولي ذنوب متى اذكرسوالفها * كأنني فوق روق الظبي من حذر

قال أبو العلاء يخاطب صاحبه

لاتطويا السير في يوم نائبة * فان ذلك ذنب غير مغتفر

قال الشيخ زين الدين بعد قوله ولي ذنوب

ومطمعي انها لاشرك يشركها * فان ذلك ذنب غير مغتفر

قال أبو العلاء

ياروع الله سوطي كم اروع به * فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ولي فؤاد متى تخفر سوى مضر * فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر

قال ابو العلاء في المخلص بعد روع الوجناء

باهت بمهرة عدنانا فقلت لها * لولا القصيصي كان المجد في مضر

قال الشيخ زين الدين لله دره

والله لو ان اهل الارض قاطبة * مثل القصيصي كان المجد في مضر

قال ابو العلاء مشيرا الى ممدوحه واساء الادب

وقد تبين قدري ان معرفتي * من تعلمين سترضيني عن القدر

نقله الشيخ زين الدين بن الوردي الى المديح النبوي صلى الله عليه وسلم وقال بحق

يانفس لاتيأسي يوم المعاد فلي * من تعلمين سيرضيني عن القدر

قال ابو العلاء وكذب عن القصيصي في قوله

ولو تقدم في عصر مضى نزلت * في وصفه معجز الآيات والسور

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي وقال رحمه الله حيث قال

وأين شعري من الهادي الذي نزلت * في وصفه معجزات الآي والسور

قال الشيخ ابو العلاء يخاطب ممدوحه

وافقتم في اختلاف من زمانكم * والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي وقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وسبى العقول بقوله

وانت في القبر حي ما اعتراك بلى * والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

قال ابو العلاء يخاطب ممدوحه

اعاذ مجدك عبد الله خالقه * من اعين الشهب لامن اعين البشر

عليه قديرا فاجاب بافصح من السكوت فلما سمع الملك العادل صليل الحديد في رجليه بعد وسواس المنطقة عليه رق لشقوته فعفا عن قدرته وتلك عادته فمن خصه بجرم ولا يعفو عن مستوجب حدا ولو عز جدا ثم انه اطلق عن ولده وحبس من كان يسعى في الدولة بفساد وذكر الشيخ ابو فلان ان ابا فلان زاد على خراجه توابع ونوافل وضعف عليه مؤنا ولواحق وامرني ان اكاتبه ليرفع من الزيادة ما ثبت ويحصد من النكاية ما نبت فقلت اللهم غفرا كيف يحتشمني وهل يوقر فضلي من لا يوقر اصلي وكيف اكاتب سلطانا لا يعلم ان الدرهم يؤخذ من مال خبيث الاحدوثة قليل المغوثة ان رأى الشيخ ان يعفيني من مكاتبته وهلم الى ملك وجد خراجين لم تزل الملوك من اسلافه يستأدونهما ويسمون الاول اصيلا ويتأولون في الثاني

والبيت نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي بكماله ولكن كان فارس ميدانه وقائد عنانه
وكأنه كان معدًا لقصيدته حتى يبرزه في محاسن مديح النبي صلى الله عليه وسلم وهو

لله قولي لعبد الله والده * قولا الى فص عليائه على قدر
اعاذ مجدك عبد الله خالقه * من اعين الشهب لا من اعين البشر

قال أبو العلاء يخاطب ممدوحه

سافرت عنا فظل الناس كلهم * يراقبون اياب العيد من سفر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح فقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

كم راقبت امم منك القدوم كما * يراقبون اياب العيد من سفر

قال أبو العلاء يخاطب الممدوح

لو غبت شهرك موصولا بتابعه * وابت لاتنقل الاضحى الى صفر

قال الشيخ زين الدين يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

سل تعط واشفع تشفع ماترده يكن * لو شئت لاتنقل الاضحى الى صفر

قال أبو العلاء في ختام قصيدته

ولا تزال بك الايام ممتعة * بالآل والحال والعلياء والعمر

قال الشيخ زين الدين في ختامه

وارتجي بك من ذي العرش عافية * في الآل والحال والعلياء والعمر

رحم الله الشيخ زين الدين هذه القصيدة معدودة من محاسنه ولولا خشية الاطالة لاستوعبتها بكمالها فانها بديعة في باب الابداع انتهى وأما اجازة قصيدة امرئ القيس اللامية المعلقة فان جماعة من اهل الادب ثابروا على تضمينها وتضمين البعض منها وسبكوها في قوالب مختلفة الانواع كتب الي مولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي الحنفي سقى الله ثراه من دمشق المحروسة الى حماة المحروسة في صدر رسالته

احن الى تلك السجايا وان نأت * حنين اخي ذكرى حبيب ومنزل
واهدي اليها من سلامي معطرا * بمسك سحيق لا بريا القرنفل
وأذكر ايامًا لكم قد تصرمت * بدار حبيب لا بدارة جلجل
شكوت الى صبري اشتياقي فقال لي * ترفق ولا تهلك اسى وتجمل
وقلت له اني عليك معول * وهل عند رسم دارس من معول

فاجبته وصدرت الرسالة بقولي

سرت نسمة منكم الي كأنها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
فقلت لليلي مذ بدا صبح طرسها * الا ايها الليل الطويل الا انجل
جنت ما حلا ذوقًا فقلت تقربي * ولا تبعديني عن جناك المعلل
ورقت فاشعار امرء القيس عندها * كجلمود صخر حطه السيل من عل
فقلت قفا نضحك لرقتها على * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وتطارح الشيخ جمال الدين والشيخ صلاح الدين قبلنا في جانب كثير منها ولكن الشيخ جمال

تأويلا ويسمون أحدهما فرضا والآخر قرضا فعمد الى الخراج الاول فصحفه والى الآخر فحذفه فاما أبو فلان فان استصوب الشيخ ان يعرض عليه الفصل من كتابي عرض ولا يستوحش من خشونة الاقوال فهي من خشونة الافعال من جهته فان جاز له ان يفعل جاز لنا ان نقول ثم ان استاذ الحسني عرفني لاحسن الخطاب واعرف ماخبث مما طاب ويتوب الله على من تاب

(وله اليه أيضا)

عظم الله تعالى على الابناء حق الآباء لعلمه بان الوالد يسمو الى والده جنينا ولا يألو حنينا ويشمه وليدا ويقبله رضيعا ويغذيه فطيما ويربيه غلاما ويؤدبه ناشئا

الدين تنازل فيها الى الغاية فقال

رأى فرمي اصطبل عيسى فقال لي * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

واما الشيخ صلاح الدين فانه كتب الى الشيخ جمال الدين في معنى العتب المفرط

افي كل يوم منك عتب يسوءني * كجلمود صخر حطه السيل من عل
وترمى على طول المدى متجنيا * بسهميك في اعشار قلب مقتل
فامسي بليل طال جنح ظلامه * على بانواع الهموم ليبتلي
واغدو كان القلب من وقدة الجوى * اذا جاش فيه حميه غلي مرجل
تطير شظاياه بصدري كانها * بارجائه القصوى انابيش عنصل
وسالت دموعي من همومي ولوعتي * على النحر حتى بل دمعي محملي
اذا عاين الاخوان مابي من الاسى * يقولون لاتهلك أسى وتجمل
ترفق ولاتجزع على فائت الوفا * فما عند رسم دارس من معول
ولى فيك ود طال ماقد شددته * بامراس كتان الى صم جندل
ولى خطرات فيك منها جوانحي * صبحن سلافا من رحيق مفلفل
كان امانيها كؤوس مدامة * غذاها نمير الماء غير محلل
سلوت غوايات الشبيبة والصبا * وليس فؤادي عن هواها بمنسلي
واجلو محيا الود فيك لاهله * متى ماترق العين فيه تسهل
فكر على جيش الجناية عائدا * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
تجد خفرات الانس منها كواعبا * ترائبها مصقولة كالسجنجل
وخل الجفا وارجع الى معهد الوفا * وان كنت قد ازمعت صرمي فاجمل
حلا وتلك الماضي وان لم تعد أعد * لدى سمرات الحي ناقف حنظل

فاجابه الشيخ جمال الدين متمكنا في المطلع والمخلص فيه غاية لاتكاد تخفى على حذاق الادب بقوله

فطمت ولائي ثم اقلبت عاتبا * افاطم مهلا بعض هذا التدلل
بروحي الفاظ تعرض عتبها * تعرض اثناء الوشاح المفصل
فاحييت ودا كان كالرسم عافيا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تعفى رياح الصد منك رقومه * لما نسجتها من جنوب وشمال
ثم قوضت منك المودة وانقضت * فيا عجبا من رحلها المتحمل
امولاي لاتسلك من الظلم والجفا * ببطن خبت ذي قفاف عقنقل
ولاتنس من صحبة تصدع الدجا * بصبح وما الاصباح منك بامثل
صحبتك لا الوي على صاحب عطا * بجيد معم في العشيرة مخول
وحاولت من ادناك ودك ما ناى * فانزلت فيه العصم في كل منزل
بقلب لي وجدي به سوط سائق * وارخا سرحان وتقريب تتفل
وكم خدمة جلتها ومحبة * تمتعت من لهو بها غير معجل

ويعلمه نافعا علما بظنه نافعا ويبيحه ذخيرة حياته ويحتسبها عليه بعد وفاته ويصدقه النصح في حالاته ثم لا يكاد يعدم هذه المبار من ابيه الا الولد النادر هذه الابل على غلظ اكبادها تئط لاولادها وان الطير على خفة احلامها ترق افراخها وان الهرة لتأخذ اولادها بانيابها فلا تنفذ انيابها والناقة على ثقلها تطأ الحوار برجلها فلا توجعه بوطئها فاذا شب الولد محفوفا بهذه المبار مغمورا بهذه المسار صرف وجهه عن ابيه فلا يكاد يعرف نعمة والده ويقدرها قدرها الا الشاذ النادر وفي هذا الباب تحير أولوا الالباب ولاحيرة فان عندي لهذه العقدة حلا ان الله فطر ابن آدم على ضد ما امره به امره

وكم اسطرمني ومنك كأنها * عذارى دراري في ملاء مذيل
وقلب خليل ينشد الوده * الا ايها الليل الطويل الا انجلي
وكم ناصح كذبت دعواه اذ غدت * علي وآلت حلفة لم تحلل
ولحية لاح غائظها ضحكي على * أثيث كقنو النخلة المتعشكل
ترى بعر الآرام في عرصاتها * وقيعانها كأنه حب فلفل
نزغت لسكري ساحبا من صبابتي * على اثرها اذيال مرط مرحل
الى أن تبدى عذره متطيا * واردف اعجازا وناء بكلكل
فلا طفته في حالتيه ولم اقل * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
وضن باسطار كأن براعها * اساريع ظبي او مساويك اسحل
ويقرع سمعي من معاريض لفظه * مداك عروس او صلاية حنظل
وعد نالود يملأ القلب عوده * بشحم كهداب الدمقس المفتل
أعدت صلاح الدين عهد مودة * بكل مغار الفتل شدت بيذبل
فدونك عتبي اللفظ ليس بفاحش * اذا هي نصته ولا بمعطل
وعادات حب هن اشهر فيك من * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

والذي أقوله المهيع الذي اخترعه الصاحب فخر الدين ابن مكانس ومشى عليه في تضمين هذه المعلقة يعد من المعلقات في بابه * فانه ضمنها في مداعبة رجل من اصحابه * كان كبير الانف وأتى بما لا اختلج في صدر متأدب * ولا سمع بعده المرقص والمطرب * وهو قوله

تأنف عن وصف الغزال تغزلي * بلحية انف ذي عقاص ومرسل

انظر أيها المتأدب ما الطف تأنف هنا والطف منه قوله بلحية انف فان العقاص جمع عقيصة وهو ما جمع من الشعر والمرسل الشعر المسرح ومراده ان لحية هذا الانف غزيرة الشعر مسرحة وقال مشيرا اليها

من البق فيها جلة قد تعرضت * تعرض اثناء الوشاح المفصل
فيا قبح شعر فوق أنف معرقص * اثيث كقنو النخلة المتعشكل

الاثيث الكثير والمتعشكل الذي دخل بعضه في بعض لكثرته وتدلى وهكذا قنو النخلة الذي شبه به الصاحب فخر الدين هذا الانف ولعمري ان هذا الابداع من السحر فنقله الى هذه الصفة الغريبة وقال بعده

وقالوا اختبا في شعره فكأنه * كبير اناس في بجاد مزمل

هذا التشبيه بالنسبة الى كبر الانف نوع من الغلو وهو من المخترعات في بابه فان امرأ القيس شبه به جبل ثبير فقال

كأن ثبيرا في عرانين وبله * كبير اناس في بجاد مزمل

والعرانين جمع عرنين وهو الانف والوبل ما عظم من المطر والبجاد كساء مخطط من الشعر الابيض والاسود فنقله الصاحب فخر الدين في ابداعه الى الانف لما فيه من الشعر الابيض

بالصلاة وخلقه كسلان وبالصيام وجبله شهوان وبالزكاة وحبب اليه المال وبالحج وكره اليه الارتحال وبالعفة وسلط عليه الهوى وبالصبر ونزع منه القوى وخلق الانسان على حب ولده ونهاه عن ريبته وخلته ليشق ذلك عليه فالوالد يلتذ بما يتكلفه من مبرة والولد يفعل ما يفعل من بر مخالفا لما فطر عليه غير ملتذ بما يسدى الى ابويه ولعمري لقد قضى سيدنا [illegible] اته في امري وفعل ما [illegible] يفعل غيره بغيري ثم قسا قلبه وبخت رحمه وانقطعت كتبه بعد ما تواترت عداته بالزيارة فالى الله المشتكى والصلاة على نبيه المصطفى وآله وسلم

(وله اليه ايضا)

كتابي اطال الله بقاء سيدنا من يوشنج اسوة بيعقوب

والاسود الذى انتسج فى انفه كالبجاد وشبهه لما اختفى فى ذلك الشعر بكبير اناس فى بجاد مزمل أى ملتف وقد تقدم قولى انه من المخترعات

مقلص كلتا الجانبين كأنه * لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وهذا التشبيه أيضا من العجائب فان هذا الانف لم يبرح سائلا فشبهه الصاحب برجل ناقف حنظل فان ناقف الحنظل كثير الدمع لشدة حرارته وقال

ترى القمل والصيبان فى عرصاته * وقيعانه كأنه حب فلفل

وفى جوفه شعر طويل كأنه * بارجائه القصوى انابيش عنصل

فيالك شعرا فوق انف معظم * يلوح كهداب الدمقس المفتل

وكم قلت اذ أرخى ذوائب انفه * على بانواع الهموم ليبتلى

ألا ايها الليل الطويل ألا انجل * بصبح وما الاصباح منك بامثل

الصاحب فخر الدين رحمه الله ضمن هنا عجزا وبيتا كاملا بنصف بيت واحد وفى هذا من الروية والقوة مايزيد على الوصف وا ماقوله بعد ما ارخى هذا الرجل ذوائب انفه الا ايها الليل الطويل ألا انجل فان هذا نوع من السحر بل السحر بعينه ومن المبالغة المفرطة فى هذا الباب قوله

كأن القسا ان قيس مع ريح انفه * نسيم الصباجاءت بريا القرنفل

ترى شعرات الانف سدت خدوده * لما نسجتها من جنوب وشمأل

وقد درست بالانف آثار وجهه * فهل عند رسم دارس من معول

كأنى بمولانا على وصف انفه * تولى باعجاز وناء بكلكل

وجرد شعر الانف منه وجاءنا * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

هذا الذى وقع عليه الاختيار من اختراع الصاحب فخر الدين تغمده الله برحمته ورضوانه ولعمرى انه من الاختراع الذى لم يسبق اليه * ولا حام فكر من قبله عليه * انتهى وكان الامير مجير الدين بن تميم يجنح الى نوع الايداع كثيرا وأتى فيه بالعجائب والغرائب وقال من شغفه بالتضمين

اطالع كل ديوان أراه * ولم ازجر عن التضمين طيرى

اضمن كل بيت فيه معنى * فشعرى نصفه من شعر غيرى

ومن تضامينه

اقدى الذى اهوى بفيه شاربا * من بركة راقت وطابت مشرعا

ابدت لعينى وجهه وخياله * فأرتنى القمرين فى وقت معا

وله أيضا

وشبابة قد كنت اهوى سماعها * وقد صرت منها بعد ماتبت انفر

وها انا قد فارقتها غير نادم * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

واورد العميان فى شرح بديعيتهم بيتين ذكروا ان تضمينهما لبعض المتقدمين من المغاربة

فى ولده اذ ظعن اليه من بلده وليس العائق سود الاعراف ولا رمل الاحقاف ولا جبل قاف فلا ينشط والله لا يضيع بذلك المكان درهما الا عوضته دينارا ولا يعدم هنالك دارا الا فدته دارا اخاف والله ان اموت وفى النفس حاجة لم اقضها ومنية لم احظ ببعضها لا يفعل سيدنا الشيخ والضن بالولد اولى من الضن بالبلد وقد رسمت لموصل كتابى هذا ان ينقده ماثة دينار بشرط ان يخرج وان يرتب له عمارة تشويه تسعه والشيخ الفاضل اليم فليتفضلا وليقوما برحلا ويستصحب الاخ اباسعيد وليأتنى باهله اجمعين فما يعجبنى لقاء ليس له بقاء ولا وصل بعده

وهما على طريقتهم ولكن اعجبانى وهما

وفرع كان بوعدنى بأسر * وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لاخوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ومن التضامين البديعة قول زكى الدين بن أبى الاصبع وقد جعل مطلع أبى الطيب عجز بيتين فلم يلحق فيهما فانه نقلهما من فخامة القصص الى زخارف الغزل بقوله

اذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها * تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرنى من قدها ومدامعى * مجر عوالينا ومجرى السوابق

ومن تضامين ابن تميم

عانقت فى الحمام أسود واثبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد اثقلته حمولة من عنبر

وقال فى القانوس

يقول لى القانوس حين أتوا به * وفى قلبه نار من الوجد تسعر
خذوا بيدى ثم اكشفوا الثوب تنظروا * ضنى جسدى لكننى أتستر

وله

أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدهر ابتسام

وقال

لوكنت اذ أبصرتها فوارة * للشمس فى أمواهها الأ لاء
لرأيت اعجب ماترى من بركة * سال النضار بها وقام الماء

وقال غيره وسبكه فى غير هذا القالب

لو كنت فى الحمام والحمام على * اعطافه وبجسمه لا لاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وقال

يا من يقول بان ريشف لى الحباب لم يرق
وغدا يعنفنى به * دع عنك تعنيفى وذق

وقال

لما رأيت البدر فى ساعدى * ونرجس الانجم قد صوحا
اغتنبت رشفا فيه رينى الدجا * من قبل أن ترشف شمس الضحا

وقوله

صهباء ريقته رشفت سلافها * وتغلبت فعجزت ان اتكلما
واذا سئلت أقل لمن هو سائل * انى لا اعلم ماتقول وانما

ومن محاسن الشيخ سراج الدين الوراق قوله

توارت من الواشى بليل ذوائب * لما من جبين واضح تحته فجر

فراق فان لم يكن استصحاب القوم فلا يتأخر بنفسه فيترد على خمسمائة نيران والف اكار وأحوال منتظمة وأسباب مستقيمة

* (ولو انه اليه كتب ورقاع أنشأها هو ونسبها الى والده ليقرأها الافاضل من الكتاب فيستدلوا بها على فضل والده) *

جعلنى الله فداك الارض تلفظ رحالك والنوى تطرد رواحلك حتى تقلك ارض بمجهل مائها ومرعاها وهيهات ان يكون ذلك ونار جزعى وراءك موقدة وأبواب الرجاء دونك مؤصدة وقد بعثت اليك بما يصل ان شاء الله تعالى فان شئت اجعله جهاز طريقك فى انصرافك وان شئت امض على عقوقك فى خلافك رد الله غائب نايك وعازب رأيك وهو

فدل عليها شعرها بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

نقله الشيخ شمس الدين بن الصائغ الى المداعبة وزاده تورية بقوله

تطلبت بدرا في الظلام فلم أجد * ومن يك مثلي حمة دأبه الحذر
فنادانى البدر الاديب الى هنا * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ويعجبني من تضمين ابن أبي الاصبع قوله وهو منقول من الحماسة الى الغزل

لمن ودادى مثل كفيه صافيا * ولي منه ماضمت عليه الانامل
ومن قده الزاهي ونبت عذاره * صدور رماح أشرعت وسلاسل

وقوله

هذا الذى أنا قد سمحت بحبه * كرما بلؤلؤ دمعي المنتظم
لا تحرموني ضم اسمر قده * ليس الكريم على القنا بمحرم

ومن تضامين الشيخ محمود البديعة قوله

من حاتم عدعنه واطرح فيه * في الجود لاسواه يضرب المثل
لو نيل الجود سرحا قال حاتمهم * لاناقة لي في هذا ولا جمل

ومن محاسن تضامين شمس الدين محمد بن العفيف البديعة قوله

قالوا غدا تندم عن لثمه * في خده اذ يغاب السكر
فقال لى مبسمه دعهم * اليوم خمر وغدا أمر

وقال

جلا ثغرا واطلع لى ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
وأنشد ثغره يبغي افتخارا * انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن تضامين مجير الدين بن تميم التي تطفل الناس عليها بعده قوله

ان تاه ثغر الاقاحى اذ تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومن تضامين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندها وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومن تضامين الشيخ صلاح الدين الصفدى قوله

ملكت كتابا اخلق الدهر رسمه * وما أحد في دهره بمخلد
اذا عاينت كتبي الجديدة جلده * يقولون لا تهلك اسى وتجلد

وقال

قل للرقيب يستريح من عذلى * ما أصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتد قلبي عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

وقال مضمنا ومكتفيا

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لى صبر

حسبي ونعم الوكيل
(وله أيضا)
الابوة باطلها حق والبنوة حقها باطل ولو علمت ان مناظرة الوالد بالحجة عقوق ومجاهرته بالشبهة فسوق لم يلقني بابر من القبول واحسن من ترك الفضول
(ولابيه اليه عفا الله تعالى عنهما)
تأتيني الاخبار عنك بما ترتج منه الاضالع وتستك منه المسامع يبلغني انك صاحب نهارك هائم ومسافة ليلك نائم قصارك آلة تصوغها ودابة تروضها وجارية تستعرضها ومامكنك من هذا العبث الايسير ماأنت فيه كثير وقليل ماأنت معه جليل ولعل هذه الاحرف آخر ما تتأذى به من وعظي وتتغذى باستماعه من لفظي

وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

ومن تضامين الشيخ عز الدين الموصلي

وعلق يرى للترك فيه تحمس * يقود عليه احدب و يعاشره
اذا جاءه الاوطى يطلب وصله * ثنى طرفه نحوا لحسام يشاوره

وله أيضا

جادلنا كالشادن الربيب * لحظه بالنظر المريب
فقال في السكرة عند نومه * يارب سهامن الدبيب

وقال

نادمت قوما الاخلاق اهم ولا * ميل الى طرب ولا سمار
يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وقال

لحديث نبت في العذار حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهاني المردقلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

ومن تضامين الشيخ برهان الدين المعمار التي اجاد فيها قوله

عزمت على رقى محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين اقبلا
فلما بدا يفتر عن تظم ثغره * بدأت ببسم الله في النظم أولا

وكتب الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري الى الشيخ سيف الدين الآمدى

لئن تقدم قوم عصر سيدنا * فكم تقدم خير المرسلين نبي
وان يكن عله فرعا لهم * فان في الخمر معنى ليس في العنب
وان أتت قبله كتب مؤلفة * فالسيف أصدق انبا من الكتب

ومن الغايات في هذا الباب قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره *

ومما اجاد به الشيخ برهان الدين القيراطي في تضمينه

قل في اخضرار عذاره وقوامه * خلع الربيع على غصون البان
وانشر من الاغزال في اردافه * للافواه لها على الكثبان

ومن غايات الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة في هذا الباب قوله

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من اهوا مبالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

ومن تضامين علاء الدين بن ايبك الدمشقي البديعة قوله

أقول وقد ظمئت ووجه حبي * لمعرق على ورد الخدود
أرى ماء وبي ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

ومن تضامين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قوله

شعر

بالله من قبره بمصر
خلالك الجو فبيضي واصفري
ونقري ماشئت ان تنقري

(وله اليه أيضا تجاوز الله عنهما)

جعلني الله فداك انشدك الله ان تسلم بخراسان انها مغرب شموسنا ومسقط نفوسنا وقد سمعت في جملة ما رأيت في خالك كذلك والسلام

(ولابيه أيضا اليه عفا الله عنهما)

جعلني الله فداك ان كانت للفراق غاية فقد بلغتها وزدت اوللعقوق مطية فقد ركبتها أوكدت وان كان صدرك ينبوع صبر وقلبك جلمود صخر فقد آن له ان يلين ولك ان تذكرني في الذاكرين جعلت فداك ما كان أبوك امرأ سوء يعامل بها

لقد قال لي اذ رحت من خمر ريقه * أحث كؤسا من ألذ مقبل
بلثم شفاهي بعد تقبيل مبسمي * تنقل فلذات الهوى في التنقل
وظريف في هذا الباب قول الشيخ بدر الدين بن المنبجي
ولما خلوتا والمسرة بيننا * وقد عز شرب الراح فينا عن الشرب
تعوض كل بالحشيش عن الطلا * ومن لم يجد ماء تيمم بالترب
ومن تضامين شهاب الدين بن أبي حجلة البديعة قوله
يحكي سنا الفانوس من بعد لنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به اجفانه
وقال فيه
أنا في الدجا الق الهوى وبمهجتي * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
وكأنني في الليل صب مغرم * كتم الهوى فوشت عليه دموعه
وقال وأجاد
ياصاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس
(ى)
ومن تضامين الشيخ برهان الدين القيراطي
تجمعت من نطف ذاته * حتى بدا في قالب فاسد
وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد
وقال مضمنا في قطائف
لقد نطقت زهر الشآبيب قطائف * تخيرتها فاختر لنفسك مايحلو
تقول اسمعوا مني مدائح مرسلي * وكلي ان حدثتكم السن تتلو
وله في باذهنج وأجاد
بروحي افدي باذهنجا موكلا * باطفاء ما القاه من حرق الجوى
اذا فتحت في الحر منه طوابقي * أناني هواها قبل ان اعرف الهوى
وقال فيه
ايا باذهنجا صح فيه لنا الهوا * صفاتك ماوفى بهن خطاب
وما شئت الا أن أذل عواذلي * على ان عشقي في هواك صواب
وقال فيه الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة وأجاد
هبا الشعراء بهلا باذهنجي * لان نسيمه ابدا عليل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا
ويعجبني من قصائد الشيخ برهان الدين القيراطي قوله
وموسوس عند الطهارة لم يزل * ابدا على الماء الكثير مواظبا
يستصغر البحر الكبير لنفسه * ويظن دجلة ليس تكفي شاربا
ومن غاياته في هذا الباب قوله

عاملت ولا مسلف شر يقابل بما قابلت فما هذه البداءة على حين اسمعني الشيب نداءه وغشاني رداءه ولم ترض الايام بما جرعتنيه من ثكل فراقك حتى الحقت بك علك وحرج على الدهر موكدا أن لم ينقض عروة عروة ويحل عقدة عقدة ورد كتابك بذكر احوالك واستقامتها وانت فيما ذكرت بين طرفي جد ولعب وحدى صدق وكذب فان قلته مزاحا فالفرع لايمازح أصله اوكذبا فالرائد لايكذب اهله وان كان جدا ما ذكرت وصدقا ما اوردت فاستدم الوسيلة التي نلت بها الفضيلة واستبق الذريعة التي

ولما بدا والليل اسود فاحم * قدا نتشرت فى الخافقين غياهبه
اضاء بدر الثغر عند ابتسامه * دجا الليل حتى تظلم الجزع ثاقبه

وقال بدر الدين حسن الزغارى وأجاد

وبى سامرى مر بى فى عمامة * قدا كتسبت من وجنتيه احمرارها
موردة دارت بوجه كانما * تناولها من خده فأدارها

ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلى

وسامرى اعار البدر منه سنا * معوجا وهذا القدم غرار
تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم فى رأسه نار

ومن تضامين محيى الدين بن قرناص الحموى

افديه اغيد زارنى تحت الدجا * وعليه من فرعيه ليل ساجى
والفرق بين الشعر فوق جبينه * عريان يمشى فى الدجا بسراج

وقال ايضا

سقى الله روضا قد تبدّى لناظرى * به شادن كالغصن يلهو و يمرح
وقد نضحت خدّاه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وقوله فى كاحل

دعوا الشمس من كحل الجفون فكفه * تسوق الى الطرف الصحيح الدواهيا
فكم اذهبت من ناظر بسواده * وخلت بياضا خلفها وما قيا

وقال الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * اصبحت تمشى فى المسرة راكبا
ومتى طرقت عشى آنس ديرها * لم تلق الا راغبا او راهبا

وقال ابن الوردى تعجبت من اشهار بيتين ما احكمهما بانيهما ولا اعتنى بمعانيهما وهما

مقامات الغريب بكل ارض * كبنيان القصور على الثلوج
يذوب الثلج تنهدم البنايا * وقد عزم الغريب على الخروج

تخلصتهما من مقامات الغريب بكل ارض واوقدت فكرتى فذاب الثلج وانهدمت البنايا المستحقة للنقض وجعلتهما اسمى من السماء ونقلتهما من كثافة الارض فقلت

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القانى نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

قلت وقد سألنى بعض حذاق الادب عن بيت ابن مطروح الذى لم تصل افواه البلغاء الى لثم اعتابه * ولا الحضور الى جنابه * ولا وجدوا اطاقة للدخول من بابه * فضمنته تضمينا لو سمعه ابن مطروح لطرح نفسه خاضعا * وسلم الى مفاتيح بيته طائعا * وهو قوله

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

فقلت

ولما خلعنا العذار * فككنا طريق الخجل
لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

إسكنك المنزلة الرفيعة وهذه نصيحتى لك ووصيتى اليك والله حسبى فيك وخليفتى عليك والسلام

(وله الى اخيه)

كتابى اطال الله بقاك ونحن وان بعدت الدار فرعا نبعة فلا تحملن بعدى على قربك ولا تمحون ذكرى من قلبك فالاخوان وان كان احدهما بخراسان والآخر بالحجاز مجتمعان على الحقيقة مفترقان على المجاز والاثنان فى المعنى واحد وفى اللفظ اثنان وما بينى وبينك الا ستر طوله قتر وان صاحبنى رفيق اسمه توفيق لنلتقين سريعا ولنسعدن جميعا والله ولى المأمول جملت فداك الشقيق سيء الظن وما احوجنى الى ان اراك ولا قرابة الا الاخوة وتلك والله يعصمك نازلة الدهر وقاصمة الظهر وان يشأ

ومن تضامين الشيخ زين الدين بن الوردي ماذكره في ديوانه انه كان لصاحب يدعى بالمجد حصل له اذية مفرطة من زوجته وأبيها وجدها فكتب اليه الشيخ

زوجة مجد الدين والداها * في ثلب عرض المجد اشبهاها
ان اباها وابا اباها * قد بلغا في المجد غايتاها

ومن تضميني الذي ماحام فكر من ضون اعجاز المحة عليه * ولا سبقني جواد من فحول العربية اليه * قولي مداعبا

نصبت أيري اذ نحوت نيكه * وهو يريد رفعه الى ابتدا
وبعد ذا الجر قد اضفته * وفي المضاف مايجر أبدا

وانشدني من لفظه الكريم قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر من هذا الباب بيتين كان مولانا قاضي القضاة علاء الدين يترنم بهما

تيه فلان الدين مع فقره * أقوى دليل انه جاهل
لثوبه بالصقل من فوقه * قعاقع ماتحتها طائل

وقال ايضا في المجون

وشاعر فاسق أتى امرأة * من خلف اذ سامه الملاح قلى
وقال اذا عاتبوه معتذرا * تلجى الضرورات في الامور الى

ومن تضامينى الغريبة

حثثت عزمي شوقا اليكم * فلم اطق مكثة بارض
وحيث لم أحظ بالتلاقي * فغايتي ان الوم حظي

وقولي

يقول معذبي حسن تخير * سواي فقلت قد عز اصطباري
وكم في الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتي وقع اختياري

وانشد المقر المرحومي محمد بن منهال ناصر الدين عين الموقعين بدمشق المحروسة بيتين لابن الوردي والاصل للحريري صاحب المقامات

لو جنة صيادكم نصضة * حريرية ملحنة في الملح
يقول لنبت العذار اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

فنظمت في ذلك المجلس بيتين اعترفت انهما القصور العوالي بالقصر * وماشك أحد ان ابا بكر مقدم على عمر

غدا طير أفراحنا سائحا * يحوم على ورد عذب القدح
فقلنا الدر الحباب اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

ومن تضامينى الغريبة ماضمنته قول عنترة في معلقته

واذا سكرت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلي وتكرمي

فقلت

الله يسلك سنا وينبتك نباتا حسنا والله اولى بك من اخيك وهو حسبي فيك فاستعن بالله وحده اليس الله بكاف عبده

(وله الى اخيه ابي سعيد)
كتابي اطال الله بقاءك معدولا به اليك عن سيدنا والخصم اذ تركوا الباب وتسوروا المحراب فدخلوا على داود سرسوى الخصومه ومراد دون الحكومه وتحت القضيا بلايا اولها ملامه على ان آخرها سلامه ولها فاتحة فتح على ان لها خاتمة صلح ولامر ما صرفت الخطاب اليك وقصرت الكتاب عليك وزويته عن سيدنا والشوق اليك شديد وهو الى غيرك اشد وانت الشقيق العزيز والشقيق منه اعز ولكنى افتتحت هذا الكتاب مصدورا ورققته

جاد النسيم على الربا * بندى يديه وقال لى

أنا ما اقصر عن ندى * وكما علت شمائلى

وبيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع

اذا رآه الاعادى قال قائلهم * حتام نحن نسارى النجم فى الظلم

الشيخ صفى الدين ضمن فى بيته الشطر الاول من مطلع المتنبى وشطره الثانى

* وما سراه على خف ولا قدم *

وبيت العميان

واسمح بنفسك وابذل فى زيارته * كرائم المال من خيل ومن نعم

والعميان ضمنوا الشطر الثانى من بيت الشريف الرضى وشطره الاول

* ماض من العيش لو يفدى بذلت له *

وبيت الشيخ عز الدين

ابداعه الفضل فى الاصحاب شرفهم * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم

والشيخ عز الدين ضمن الشطر الثانى من بيت المتنبى من قصيدته التى ضمن فيها الشيخ صفى الدين الشطر الاول وهو قوله

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم

وبيت بديعيتى أنا مستقر فيه على المديح النبوى تابع لقولى وهو

وآله البحر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

وفى الوغى رادفوا لسن القنا سكنا * من العدا فى محل النطق بالكلم

واودعوا الثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وأنا أيضا ضمنت فى بيتى شطرا ثانيا من ميمية المتنبى والشطر الاول

* ولا تشك الى خلق فتشمته *

ووجه الاستحقاق هنا سافر لمستجلى محاسن هذا النوع والله أعلم

(ذكر التوهيم)

(والبعض ماتوا من التوهيم واطرحوا * والسحر قد قبلهم عند موتهم)

قلت هذا النوع أعنى التوهيم وتقدمه باب الترشيح كان الاليق بهما ان ينتظما فى سلك باب التورية ويذكر التوهيم مع ايهامها والترشيح مع المرشحة وقد تقرر كل من النوعين وتقدم فى بابه والذى مشى عليه الشيخ صفى الدين هنا هو ايهام التورية وهو قوله

حتى اذا صدروا والخيل صائمة * من بعد ما صلت الاسياف فى القمم

وذكر صيام الخيل هنا يوهم السامع ان السيوف صلت من الصلاة ومراده الصليل وهو صوت الحديد واعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان بعد قوله الشمس والقمر بحسبان فان ذكر الشمس والقمر هنا يوهم السامع ان المراد بالنجم احد النجوم والمراد به النبت الذى لا ساق له قال ابن أبى الاصبع وقد يأتى التوهيم للمطابقة كقول أبى تمام رحمه الله تعالى

قلبى مغتبطا ونويت ان انفث تنفيسا عن صدرى وتخفيفا عن صبرى فخشيت ان يغلظ كلامى او يطغى قلمى وقشر الابوة رقيق لا يحتمله ومجال العتب ضيق بين العبد وسيده والوالد وولده فاستخرت الله عند ذلك فى صيانته وابتذالك اذ وجدتنى بك آنس وعليك اقدر ولك املك وفيك أنطق ومعك اجرأ واجرى فلا عليك ان تسمع ولا تضجر والكبر سلاحى عليك والسن عذيرى منك يا أبى الله يا باسعيد ان اسعد من بلدك بحظ اوافر ومن رحمك بصلة اعمامك فى الخلفاء قدوة اصهارك وذو وسوآتك كذوات

التوهيم

ترذى ثياب الموت حمرا فما اتى * لها الليل الا وهى من سندس خضر

فانه اوهم بالمطابقة بين الاحمر والاخضر وليس يطابق اذ الاحمر لايطابق الاخضر وفرّع منه ضربا آخر فقال هو أن يأتى المتكلم بكلمة توهم بما بعدها من الكلام ان المتكلم أراد تصحيفها ومراده خلاف ذلك كقول أبى الطيب

وان الفئام التى حوله * لتحسد ارجلها الارؤس

فان الارجل أوهمت السامع ان لفظة الفئام بالقاف ومراد الشاعر الفئام بالفاء وهى الجماعات الكثيرة هكذا اروى هذا البيت والمبالغة تقتضيه فان القيام بالقاف يصدق عليه اقل الجمع انتهى وبيت عز الدين الموصلى

ياسائرا مفردا اعربت حالك فى * توهيم منع رضاع الشاء من حلم

قلت هذا البيت المبارك عجزت عن حل معناه اذ ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده ولا بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ولم أزل فى حيرة الى أن وقفت على شرح المصنف فوجدته قد قال الحلم مشتق من الحلمة وهى رأس الثدى ويحصل فى جلد الشاة ودقة ول العرب حلمت وحلم اديمها أى وجد الدود فى جلدها ثم قال ومعنى البيت الى الخاطب سائرا فى الطريق منفردا بنفسه عن الناس لايرغب فى مرافقة احد فقالت له وانت تتوهم بترك اجتماعك بالناس معنى لاتظهره كما يوهم الراعى بمنع رضاع الشاء ان جلودها حلمت وحلم بين حلم الشاة وحلم الاديب قلت والله ما ازددت الا حيرة فى تفسير هذا الشرح والذى اقوله ان الشرح والنظم فى العقادة وعدم الفائدة كفرسى رهان وبيت بديعيتى تقدم قبله وهو

واودعوا الثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وقلت بعده فى التوهيم

والبعض ماتوا من التوهيم واطرحوا * والسمر قد قبلتهم عند موتهم

فذكر الموت فى البيت يوهم السامع ان نساءهم السمر قد ادرتهم الى جهة القبلة كما هو المعهود والتوهيم هنا فى التقبيل وفى السمر والمراد بالسمر الرماح وبالتقبيل الطعن فى الافواه التى تنزل هنا منزلة التقبيل واستعارة التقبيل للرماح فى غاية الحسن فانهم شبهوا اسنان الرمح باللسان وشبهوا مواقع الطعن بالثغور ويعجبنى هنا قول ابن المزين فى الرمح

أنا أسمر والراية البيضاء لى * لابالسيوف وسل من الشجعان

لم يحل لى عيش الغداة لاننى * نوديت يوم الجمع بالمران

واذا تفاخرت الكماة بجحفل * كلمتهم فيه بكل لسان

(ذكر الالغاز)

(وكل ما ألغزوه حله لسن * مذ طال تعقيدا ازرى بفهمهم)

هذا النوع أعنى الالغاز يسمى المحاجاة والتعمية وهى اعم اسمائه وهو أن يأتى المتكلم بعدة الفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف و يأتى بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه وابدع ما فيه أنه لم يسفر فى افق الحلى غير وجه التورية وأما نصف الفرقة التى ليس لها المام بالتورية فى الالغاز فامرهم مسلم اليهم واما علماء هذا الفن فانهم ما قرروا غير ما قررناه فى

ذلك

استارك والنية كالاعمال
فسادا والليلة كالبارحة
سوادا تحاسد والمال
قابل وتهاجر والعمر
قصير والشيبة تحقر
والشيب لايوقر والصغير
لايعرف الكبير والكبير
لايعطف على صغيره
والدور بعيدة والقلوب
ابعد والحال ضيقة
والاخلاق أضيق واللقاء
عن عفر والسلام عن عذر
والزيارة تاريخ والابتسام
فتح الروم والاجتماع
خلف النصول ماهذه
الطباع وفيم هذا النزاع
ولو كان فى قميص الخلافة
اوسرير الامارة لكان
شنيعا وبئس صنيعا
وكنت اظن بنشء العشيرة

الالغاز

ذلك قول أبي العلاء في ابرة

سعت ذات سم في قميص فغادرت * به أثرا والله شاف من السم
كست قيصرا ثوب الجمال وتبعا * وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

وقول ابن حراز في خيمة

ومضروبة من غير ذنب أتت به * اذا ما هدى الله الانام اظلت

قلت لغزا ابي العلاء ولغز محيي الدين لم نستر فيهما الوجوه الحسان الا من وراء ستور التورية ومنه قول ابن حراز فيمن اسمه عثمان

حروفه معدودة خمسة * اذا مضى حرف تبقى ثمان

ومن الطف الالغاز في القلم

وذي خضوع راكع ساجد * ودمعه من جفنه جاري
مواظب الخمس لاوقاتها * منقطع في خدمة الباري

وقول ابن عبد الظاهر في شربه في كوز الوزير

وذي اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب
اذا استولى على حب * فقل ما شئت في الصب

ومن لطائف ما وقع في باب الالغاز ان شيخ الشيوخ بحماة كتب الى والدة ملغزا في باب بقوله

ماواقف بالمخرج * يذهب طورا ويجي
لست اخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب اليه والدة في الجواب

ذهاب ومجي موخوف وشر هذا باب خصومة والسلام * وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ملغزا في باب

اي شي تراه في الدور والكتب مجازا هذا وذاك محقق
هو زوج وتارة هو فرد * وهو في اكثر الاحايين يطرق
وطليق في نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق
وهو في القلب يستوي وتراه * بان تصحيفه لمن يترمق
فاجبني عنه بقيت مطاعا * أنت في حلبة الفضائل تسبق

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي في باذهنج واجاد

اهواؤنا المختلفه * قد اصبحت مؤتلفه
في شامخ بأنفه * على العوالي انفه
وذي جناح لم يطر * وكل طير ألفه
جناحه طول المدا * يبدي علينا رفرفه
في الريح ضاع قول من * على هواه عنفه
عليله الصحيح كم * شفى قلوبا دنفه
وروحه لطيفة * وذاته منحرفه

اذا انتهت الى النوبة نعمت التوبة فقدمت الجفوة الى الله ان ابتديكم شغفا ولا تجيبوني صرفا وكلما ازددت بكم خلفا ازددتم على صلفا أكل هذا الفقر اليكم وكل هذا الغنا كم عني بيد المصون منافي التراب وحديث ما حديث سيدنا وبثه القول الى قاصد قصدكم العام وعدي له الايام وشكري لاعقاب الشهور اذا انتهت وشوقي الى انجازها حين تقبل فلما جاشت النفس واختلجت العين وطنت الاذن لقرب القافلة وردت خالية من كتابه نفسات الامل حسيرا وعجبت لذلك كثيرا ولم اعجب من تأخر كتابه عجبي من تأخر كتابه ارايت

عن قبلة الدين ارى * حب الهوا قد صرفه
ولم تكن مع الهوا * اعطافه منعطفه
هواه تحت طوعه * كيف يشا صرفه
مازال غير شاكر * ساكنه مذ ألفه
وكلما أسرف في * بذل شكره ناسرفه
انفاسه كم اودعت * مجالسنا تلطفه
كم رنحت من غصن * وقامة مهفهفه
معناه هو المصبح عند من قد عرفه

وقال محيي الدين ملغزا في قرى

ما معجمي ورأسه * في عداد المطير
كم له من مترجم * كم له من معصر
كم خواف لمبدت * لا لقاع المبصر
كله معجم وان * زال بعض اسمه قرى

وقال المقر المرحومي الاميني صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة ملغزا في فاختة

وما طائر يهوى الرياض تنزها * ويسرح في افنانها ويغرد
هجاء اسمه خمس حروف تعدها * وخمساه حرف ان تأملت مفرد
وبعدهما تصحيف باقيه ان ترد * بيانا له في تبين وتشهد
وفيه أخ ان تهت عنه فأخته * تدل على ما قد عنيت وترشد

هذا اللغز ورد الى الديار المصرية وحله بقية السلف الشيخ زين الدين بن العجمي واجاب عنه بقوله

ايا من له مجد اثيل وسودد * غدا دون مرقاه سماك وفرقد
تقصد يسار المقترين يمينه * ويسراه من يمنى الغمامة أجود
سؤالك عن انثى طروب ولم تزل * على عودها في الروض تشدو وتنشد
وتجذبني بالطوق عند نشيدها * لهو التصابي لا أطيق افند
ومذ بان منها الطرف امست اعكسها * تخاف الردى ممن لها يترصد
وان حذفت ثاني الاخير فانه * على العكس خاف بل يلوح ويشهد
فأولها مع ما يليه وحرفها * لنا فاه بالمعنى الذى فيه يقصد
وحرفان منها فرد حرف لناطق * واف لمن بالعكس في ذاك يجهد
بقيت بقاء الدهر عزك باذخ * وفي مفرق الجوزا لواؤك يعقد

وقال ملغزا في درة

أي شيء من الجمادات يلفى * وترامن بعد ذا حيوانا
وترى ذلك الجماد عزيزا * فالبسه رصعوا تيجانا

يا أبا سعيد كاليوم اموت
بالتي نقضت غزلها انكاثا
أقرأت قصة التي وهبت
لواحدها اثاثا ابتغى بعد
هذا ميراثا ارأيت الذى
اتبع عقدة النكاح ثلاثا
اعجبت من وعد الاريق
في القابل غياثا غرور وان
قضيتك مع اخيك اظرف
وحال اخيك معك اعجب
عسى الله ان يجمع الشمل
انه قدير كريم

* (وله اليه ايضا) *

لا يكاد خيالك يغيب يوما
فما لكتابك لا يسرني يوما
وكما لا يجب اباك ان تكون
ابنه فقط كذلك لا ينبغي
ان تكون اخي فحسب
تهات واقني بعذرك فيما
اضعت من عمرك علام
انفقت وفيم انفدت وما
الذى افدت واعلم ان
للمرء سهما من المكارم
موفورا ونصيبا من النصب

وترى

وترى الروح منه فى حيوان * ذى جناح ويألف الطيرانا
واذا ماشدا على العود يوما * فورق دف يحرك الاغصانا
او بدا فيه مقفص فابن برد * عند احجاعه يصير مهانا
كله ما ترو في ثلثيه * لك ذو اربع مع العكس بانا
* كله عاطل به تتحلى * كل خود وتستقل الجمانا
وتراه عند الملوك عظيما * وبتصحيفه حقيرا مهانا
عكسه فى تصحيفه زد ينقص * فالمعمى هنا فكن يقظانا
واذا لم تدر التصاحيف ذره * للذى فيه فهو يدرى البيانا
وبتصريفه تؤدب من شئت اذا كان يجهل العرفانا
* ثلثاه درنفيس وفى فيه ما اذا جاء يصحب المرجانا
لكن الثلث عنده نصف وحش * ذبحنا تصحيفه ما اعترانا
وهو فى البر نافر واذاما * حضروه قد يألف الانسانا
فافترسه بالحل ان كنت ليثا * فهو لغز عن فضله قد ابانا

وعلى ذكر القمرى والفاختة اوردت هنا ما الغزته فى القفص وهو قولى ,

اى مغنى اعواده بيت شدو * مرقص مطرب وبالقلب صفق
ولجموعه النياق حسن * فزت من بعضه بسجع المطوق

ونقل الشيخ جمال الدين الدميرى فى كتابه حياة الحيوان لغزا فى بجع

ماطائر فى قلبه * يلوح للناس عجب
منقاره فى وسطه * والعين منه فى الذنب

وكتب علامة العصر الشيخ بدر الدين الدمامينى الى الجد عفضل الله بن مكانس ملغزا فى قدح فقال ما اسم حبيب الى النفوس * شبيه بالبدر حليف للشموس * ان قلب كان قلبه من العين مكان المناسبه * او سقط قلبه مع الفعل كان ضد الاقوال الكاذبه * وان صحف بعد العكس انبأ عن الذكاء وهذا نهاية الشرح * وان غير فانما اعلم رب الكلام المحرر انه دال على الطرح * حاشيناه مع التصحيف آلة للصيد * معينة على المكر والكيد * وان قطع طرفه كان صراح بالقيه قوا ما * وان عكس على الطرف صار بتصحيفه مداما * وان زال اوله كان العكس عقابا للمتعاطى اثمه * او صحف اشتاقت الشفاه الى تقبيله ولثمه * وربما كان الحد عند تصحيفه الآخر منافيا لاسمه * مباينا فى الحقيقة لحده ورسمه * فكتب الجناب الجدى الجواب والغزفى ورد بقوله يقبل الارض التى اطالت بالجفا امر ملته * وقد ادركته بعد اجراء دموعه فعظمت فى الحالين شلته * وانهى الى المملوك الى اللغز الذى غنم بعلمه * وشرب بقدحه * فابتهل شكرا * ومالت اعطافه بالقدح للفارغ سكرا * فوجده كما قال مولانا حبيبا الى النفوس * مجتهدا فى التوصل بعلمائه الى الرؤس * وكتب فى الجواب لغزا * وخالف نفسه اذ قالت لا ينبغى مجاراة هذا الجواد لزا (وهو) ما عاطل يحلى به المجالس * ويتفكه به فى المجالس * ثمره وجناه من الشريف * ويحمد آثاره فى البعد والقرب * ان قلبته وجدته تاجا * وان

مقدورا هو لابد لاقيه فكن كاخيك لعل اباك يونيكهما فى صباك فان لم يضربك صغيرا لم تعدم من يضربك كبيرا وان لم يتعبك صبيا اتعبك الدهر مليا وان سمت وانت طفل ندمت وانت كهل وابدأ بالقرآن قبل كل محفوظ ثم تفسيره والله ولى تيسيره ولا تشغلك كتب اللغة عما رسمت لك فيها اضاعة الزمان ولا خير فى لغة ليست فى القرآن

(وله اليه ايضا)

كتابى والاخ على ما آتاه الله من جراءة قلب وقدم وبسط لسان وقلم يقدم على الاسد فلا يخشاه ويقول المحال فلا يتحاشاه والمحال لا يلتطم الخد انما يتجاوز الحد ولا يشج الراس انما رفع القياس ذكرانى كسلت عن اجابته فاقتضته

تركته على حاله زادك ابتهاجا * يعذب بالنار وغيره الجانى * ويريك ان بدلت اوله برد الامانى * يستخرج وهو داخل * ويرى دمعه من نارقلبه هاطل * لاتبرح به فى غبطه * ولاتجد فيه مع انهما له نقطه * فان حذفت أوله وحرفت باقيه وجدته أمرا بالشراب * وان فعلت كذا فى ثانيه رأيت ما بقى مولد المحبة بين الاحباب * وورّان حذفت آخره كن ورى * وغص فى بحر الفكر على عكس ثلثيه لتستخرج درا * والمملوك يسأل الصفح فانه لولا المحبة ما اجاب * ولا طرق بعد فقدايه هذا الباب * فكتب اليه الشيخ بدر الدين الجواب يقبل الارض وينهى ورود الجواب الذى شفى القلوب بوروده * واللغز الذى لسى بوروده بان الحلى وطيب وروده * فوجده روض بلاغة عدم العائب والعاتب * وترعرع زهره حيث امطرته من الانامل المجدية خمس سحائب * فلو شاهده ابن الوردى لاحمر خجلا * او صاحب زهر الادب لتلون وجلا * ثم تأمل حل اللغز فوجده قد كشف المشكل وجلى * واعترف انه لم يمر بذوقه اطيب من ذلك الحل ولا احلى * وتحقق أن مولانا اوسع المملوك فى مقام الادب بفضله ايناسا * وتناول منه قدحا أعاده بالفاظه المسكرة كاسا * وانتهى المملوك الى اللغز المخدومى فقال

مولاى مجد الله يامن فضله * يروى وجود كفوفه يروى الصدى
اللغز فى اسم عاطل حليته * فينا بدر اللفظ او قطر الندى
ان أورد التصريف فى اثنائه * قد كان للشانى هلا كا اوردى

وقال مجيباله أيضا عن الورد

لله لغزك يامولى فضائله * قدعطر الكون منها طيب انفاس
انى بورد خيالى على قدحى * به وابهجنى ما بين جلاسى
وقد اساجرح كسرى حين اقبل لى * زوحى الفدا اذكر الورد والآس (ى)

فاستحلى المملوك بالتصريف ورده * وود لو اقتطف من اغصان حروفه ورده * ووده الخذل القصور عاريا عن ملابس عزه * وانشد قول ابن قلاقس وقد تقلى بنار عجزه *

اذا امتنعت اثمار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فراح على بهرج هذا الرأى الكاسد * واقتنع بالشميم على رغم انف الحاسد * وعلم ان تلك الورود لاتخرج الامن تلك الحضره * وان هذه الفاكهة لاتخرجها الا اغصان اقلام لها بالمدد المخدومية بهجة ونضره * وتمشى المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحقيقة * ورأى كل ورقة فاحمرت الوجنات الحمر فتحير أهى وردة ام شقيقه * وتفكه به معجبا بثمار غرسه * منشدا لمن كرر النظر فى صحيفتى طرسه

ان كنت تزعم ما فى خده عجبا * فانظر الى الورد فى خديه منثورا

فلقد ظفرت من نفسه الوردى بالعنبر لورده * وعوذته عند تبديل الثلاثة بالواحد الفرد * وتأملت بقصور راحتى نكتة برد الامانى * فانحسر لحصر البيان لسانى * وتيقنت أنه لايقوى على فهم هذا البرد الا كل حديد النظر * ووجدت تصحيف هذه الكلمة بانعس الفضائل للعقول قمر * وعلمت ان الفكر لايجارى من بديهته من بحر الفضائل رويه * وان

ذلك الفصل ذريعة الى رضاه وانما معنى اشتم عرض الاثط وأأمن زغب البط واقول لم يرجع على ولم يرجع الى ولم يعم حوالى كانه العتب لو رجع صاحبه فاما اذا لم يرجع فلا عتب وان كان فلاعتبى وذكر اعتداده بما فعلت وقلت ونقضه بما اعتقده من مودته وانما كتبت ذلك لتعلم لا لتعتد وانهى لالامتن واما ما وصف من شوقه فمعلوم لان الصبر عن مثله لوم والحب شوق اليه والوجه فلوس والرأس رؤس والجملة شيطان والتفصيل سلطان وانا مع ذلك افديه عضوا عضوا الا الجدود الموروود كيلا يحفظ على الحدود وتبلغ سلامى الى فلان والى فلانة واهامن قلبى ما لايجعل الزمان عقدته ومن

الخاطر لا يقوى على سلطان هذا الغزلان شوكته قوية * وقلت للذهن رد بعضه لتنهل شرابا سائغا * وزد تصحيفه ليكون فى التعريف بمعناه مبالغا * وتمتعت من ورده بالمشموم * ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقى ولولا نا الصفح عن مقابلة هذا الدر بالسقط * وتعرجير بهذا المشف المنقط * قلت وعلى ذكر القدح والورد حسن ان نورد هنا لغزا فى المدام وقفت عليه للشيخ صلاح الدين الصفدى بخطه

وماشئ حشاه فيه داء * واوله وآخره سواء
اذا ما زال آخره فجمع * يكون الحد فيه والمضاء
وان اهملت اوله ففعل * له بالرفع والنصب اعتناء

قلت لابد للمدام من ماء من حيث الممازجة ووقفت بالديار المصرية على لغز للشيخ زين الدين ابن العجمى الغزه فى الماء فاعجبنى وهو قوله سألتك اعزك الله عن سائل لاحظ له فى الصدقة ولم يكن متصل النسب بالاشراف * وتراه كثير الرجفان من غير ان يخاف * كم رد سائله نهرا * وعفر وجه قاتده فى التراب قسرا * مذكر كثير الحيض * لطيف الانبساط سريع الفيض * مطلق التصرف وعليه الحجر * وطالما قبل العشاء أبدى لنا الفجر * يتشعب ويتكسر * ويتعوج ويتدور * وتبدو له خسون عينا واكثر * يحمل القناطير المقنطره * ويعجز عن حمل ابره * سريع الاستحالة * قل ان يثبت على حاله * بعيد الغوص ليس له قرار * ويعاجل صفاء وراده بالاكدار * ويسكن فى تخوم الغبرا * ويتم على احوال السماء نثرا * بعيد الغوص رقيق القلب على كل عديم * وكيف لا وهو المولى الحميم * يجود بالخير الحلى * ولا يرد من نداه مؤملا * كم عمر سبيلا * وقطع طريقا واخاف سبيلا * وكم طفى واحترق * واظهر الجفاء وهو كثير الملق * صقيل يجلو الصدا * ويظهر على شدة البرد تجلدا * قد جمع فيه الخوف والرجا * والكدر والصفا * فسبحان من جمع فيه هذه الاضداد * وارسله رحمة للعباد * ويعجبنى فيه قول ابى الفضل بن الخازن

وخل صفاء زرته بعد هجعة * فالفيت شخصى فى حشاه مصورا
واودعته سرى فافشاه للورى * فيا حسن ما افشى الغداة واظهرا
ابوه حليف للثريا وامه * بها حامل فى بطن منخفض الثرى
سطيح له جسم بغير جوارح * يبارى الرياح الذاريات اذا جرى
تزر عليه الريح ثوبا موردا * وتكسوه شهب الليل ثوبا مدنرا

قلت وعلى ذكر الماء يحسن ان نورد هنا لغزا فى القربة كتب الشيخ بدر الدين الدمامينى الى المقر الامينى امين الدين الحمصى كاتم السر بدمشق صاحب ديوان الانشاء بالشام لغزا فى قربة تزاحم سرب الادب على الشرب منها * ولو عاش صريع الدلا ود أن يكون راوية عنها وهو قوله

اكاتب سر الملك والفاضل الذى * ثناه على الافكار فرض مرتب
يحدث عن سهل رواة كلامه * اذا ما اتاه اللغز يرويه مصعب
فديتك ماذات أطال العكم بها * ويبحث فى الاسفار عنها وتطلب

السلامة ما اختلق الايام جدته

(وله الى ابى الفتح والد ابى طالب)

اراني اذكر الشيخ اذا طلعت الشمس او هبت الريح او نجم النجم اولمع البرق او عرض الغيث او ذكر الليث اوضحك الروض ان للشمس محياه وللريح رياه وللنجم حلاه وعلاه وللبرق سناؤه وسناه وللغيث نداؤه ونداه وفى كل صالحة ذكراه وفى كل حادثة اراه فمتى انساه واشدة شوقاه عسى الله ان يجمعنى واياه

(وله اليه ايضا)

حشوا المطى فهذه نجد غلب الهوى وتطلع السعد وقد برح الشوق برحا لا استطيع له شرحا وغلى الوجد غليا الا يرده صبر ولا يسعه صدر

تشذو كم فى الارض فارأمالها * وصدق اذا ماقيل تملى وتكتب
وماهى فى التحقيق راوية وكم * لها خبر فى الذوق يحلو ويعذب
مليحة شكل يألف الحب صبها * زمانا وفى وقت لها يتجنب
وتبلغ منها العياض حقيقة * ولكن رأينا قلبها وهو طيب
يزيد مريدوها اذا ماتصوفت * ويشكرها أهل الزوايا ويطنبوا
لها اربع لكن بساق رأيتها * على السعى فى الاحياء بالنفع تدأب
وما نال اثما فى تعاطيه بعدما * رأيناه من تلك العتيقة يشرب
وشم فيها المفتوح كم راح سائلا * وما نطقت حرفا عن القصد يعرب
وترضع احيانا وما كان رضعها * وكم من فتى فى حلها راح يرغب
وتحمل مافيه الحياة لربها * فيا حبذا منها البسيط المركب
وترسله فاعجب لمن متسلسل * غدا مرسلا عنه الرواية تجب
وكم من خليع شمته اذ تعنقت * بعد اليها الراح لهوا ويطرب
وكم قد تعبدنا بتحريف لفظها * ولم أر بالتحريف من يتقرب
ونعمة ما يا جيبنا الدهر بلدة * حواها من الاقطار شرق ومغرب
وتوجد فى الافلاك عالية لها * وربا لفها بعض الجوارى ويصحب
ويا من لرق الفضل اصبح مالكا * فبالى الافحو عليه مذهب
تلفت الغز فهو بالتغيب آتى * وكل غدا من ظرفه يتعجب

قال بعضهم ملغزا فى كرية السباحة

وذات فم طورا تسبح ربها * ولم تكتسب اجرا بتسبيحها قط
معانقة الصبيان مضمرة الهوى * كأن بقايا قوم لوط لها رهط

قلت أما لغز الشيخ بدر الدين فى القربة فنسيج وحده وما ذاك الا انه لم يجنح فيه الى عقادة من تمذهب بغير مذهبنا ولم يسبكه فى غير قوالب التورية وقد اذكرنى لغزا ألغزته فى قصب السكر بطرابلس المحروسة وقد انشدنى بعض الخادمين هو المقر المرحومى الشهابى الدميسرى لغزا فى قصب السكر ايضا وهو

وحاملة درا حكي الخرلنة * ونثرا يروى نفسه ويقوت
تعيش اذا لم يبد منها فان بدا * فهيبتها فى اثر ذاك تفوت
فلم تر عينى مرضعا فى مثالها * من الخلق تسقى درها وتقوت

وقال بعد الانشاد ولا اعلم فى هذا الباب مثل هذا اللغز لانه سالم من التعقيد والتصحيف والتحريف والعكس والحذف والابدال فنظمت هذا اللغز فى يوم الانشاد وهو

وعسالة تبدو بغير أسنة * ولا طعن فيها وهى داخلة الصدر
ممشقة هيفاء حلو مذاقها * بمعطى المراد فى المهمة القفر
منعمة لفاء مهضومة الحشا * تكاد بأن تنقد من رقة الخصر
وتحلو على البيض الرشاقة تماثلا * اذا ما ثنت فى غلائلها الخضر

وابرح ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الديار من الديار
فحيا الله طلعة الشيخ وبارك
فى مقدمه بركة نعمه من
فرقه الى قدمه ووصل له
الخيرات بهذا السفر حتى
تسفر له عن كل محبوب
وقد أصحت السماء قليلا
وصفا الجو يسيرا والحمد لله
كثيرا فليجعل اهتمامه امامه
وليعد اعتزامه قدامه
وليفرج بين الخطا حتى يشفى
عله ويجلو ظلمه ويبدد
ويؤنس وحشة وهو بذلك
يستوجب شكرا

(وله اليه ايضا)

ولولن ما اودعته من محبة
اودعه الجبلان لالتبسا
التباسا يجعل رأسيهما
راسا واساسيهما اساسا
وانى لاذكره يقظان فاتصور
مثاله واحلم به نائما واواصل
خياله وله على كل خطرانى

يلذ قبيل العصر فى الظهر رشفها * وبرد لماها من أليم الجوى يبرى
وان سقيت ماء سقتك سلافة * بطيب مزاج وهى طيبة النشر
وينبت حلو الثغر حلو نباتها * فيرشف أرياقا ألذ من الخمر
وان لمت فى ثغرها ونبلجت * دع ابن جلا يقرع ثناياه فى الثغر
على عودها كم للرباب مواقع * وموصولها يغنى عن الناى والزمر
وان قطعوا موصولها شبيت به * أولوا الذوق تشبيبا شفى غلة الصدر
وترفع بعد النصب والكسر جرها * فنجزم ما للقارى من الذكر
وهمزاتها همزات وصل وقطعها * اذا ما أصابت جائزلك يا مقرى
وفى أول الاعراف تروى من الظما * وتضرم نيران الجوى وهى فى العصر
ومن حلها ان افرغت فى قوالب * يقول الورى هذا هو السكر المصرى
ومن أجل ذا عنها ابن سكرة روى * وأما النباتى قال من ههنا قطرى
كذا ابن الحلاوى قلبه منها برى * كثيرا وكم قدأ وردته لظى الجمر
فيا من حلا ذوقا وحل بدائعى * وفى عقد الالغاز يا نافث السحر
تأملت بعد الحل كيف تنوعت * حلاوتها حتى رقت منبر الشكر
بنية فكر من حماة تغربت * وغربتها والله قد اشغلت فكرى
ومن شط ذاك النهر يا بحر قد أتت * فلا تنهروها فهى فى جيرة البحر
بعثت من ابى بكر لاعظم ذمة * واحد من أولى الورى بابى بكر
فلا زلت فى حل وظعن مؤملا * لكل غريب جاء حتى من الشعر

قلت وبعد قصب السكر يحلو أن نورد هنا شيأ مما الغزوه فى العسل فمن ذلك ما كتب به الشيخ شرف الدين عيسى العالية الى سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة بدر الدين بن الدماميني وهو

يا أيها المولى الرئيس ومن له * ألفاظ مدحا كالجواهر نظمه
اسمع هديت الخير أمرا كما * يمضى على الالغاز جدا حكمه
قالوا من الاطيار حقا اصله * أكرم به اغزا ير وقك طعمه
لكنه ما حاز منقارا ولا * ريشا ولا جنحة ولست اذمه
من أين يعرف ما اسم شئ ربما * أكلته فى بعض الجماعة امه

فاجابه الشيخ بدر الدين بقوله

يا فاضلا نثر المحاسن نظمه * واللغز قد ذل بجزاحه مه
وتطرزت حلل البديع بمنطق * منه علا بين الافاضل رسمه
شرف لا عراض البدائع سابق * ومن الفضائل قد توفر قسمه
الغزت فى اسم عاطل حليته * بنفيس در صح فينا جمه
فاذا الحذفت القلب منه لاصله * قلنا بهذا الفعل قد وضح اسمه
واذا عكست الاصل منه فهو ان * اعربت لمن ليس يجهل حكمه

رقيب وعلى كل تطرائق حدب ولا يقدح فى الحال بيننا أن يتأخر كتاب متوقع انما وجب ذلك عذر الوقع كحالنا العام انى اثبت هذه الاسطر ونصفى راحل وابلى مقيمة وكتبها والاحمال تشد والعلوفات تعد والخيم تؤكف والمكارى يزلف والدواب تسرج والجمال تقدم والجمال يشم وفى اثناء هذه الاحوال تضل الآراء وانا ان شاء الله وارد غزة وراجع عنها الى هراة فكاتب الشيخ بما يجدده الله من حال ويقربه من مثال ويفيضه من جاه ومال ويبلغنيه من أمانى وآمال ويحسنه الى من ذاروما آل وماذلك

قد كانت الاذهان منه خلية * تحوت به شهد الذي ذا طعمه
ورأى ابن سكرة حلاوة طعمه * فقضى بتقطير المرارة وهمه
ورای بعين لغزك الحلو الجلي * حلو المذاق فحار فيه فهمه
واعاذه بعلى امير الفضل اذ * اضحى عليا في الفصاحة نظمه
فاصفح بفضلك عن جواب سائل * يا طالعا في خير افق نجمه

قلت وعلى ذكر العسل يحلو أيضا ان نورد هنا ما ألغزه مولانا المقر المرحوم القاضي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي في سكر نبات وكتب به الى وهو

يا قاضي الادب احكم لى فذا ادبي * حلا مذاقا ووقع لى بتحسين
واقبل شهادة ما أهديته ثمن * تصحيف معكوسه ثان بتركيني

ورسم لى بحل اللغز والجواب فالغزت مع الحل لغزا انذ الحلاوة فى قطر وهو

اهديت لغزا حلا ذوقا مكرره * فالحل مدخل في قلبي بتمكين
وفزت منه بشكر في مصحفه * وجا منه بنان قلت يكفيني
تصحيف معكوسه من غير تركية * وحكمه ثابت عندي بتبيين
جماة منبته لكن عصرله * مزية تزدري نبت الرياحين
تحل منه انا لغزا مجانسه * يحل احشاء رضينا فيرضيني
يرادف اسم رباب فهو يطربني * هذا وتصحيفه فى العيد يأتيني
حلو رقيق بلا حشو اذا تقه * لان قطر النباتي عنه يغنيني
فلا برحت برغم الكسر تجبرني * وكلما مر لى عيش تحليني

قلت وعلى ذكر القطر يحلو أن نورد هنا شيأ من بديع ما الغز في الكنافة والقطائف فمن ذلك ما ألغزه الشيخ برهان الدين ابراهيم القيراطي فى النوعين وهو قوله

هذان لغزان قد حلا يا لثيا * قاضي البرية ماهذان خصمان
اسمان كل خماسي اذا كتبت * حروفه فهما الاشك حرفان
تباينا في الورى شكلا اذا نظرا * وصورة وهما في الاصل مثلان
هما الى الصين منسوب مقرهما * ان احضرا فى مكان بين اخوان
اذا كني وهو بين الناس ليس له * من كنية ما انتهى فى ذلك اثنان
فى البر يلفى وان فتشت عنه تجد * فى لجة البحر ملقى خمسه الثاني
نبت ارى النار قد ابدت له ورقا * فاعجب له ورقا ينمو بنيران
يصبا اذا ماسقاه القطر وابله * وجاده بسحاب منه هتان
ذورقة فاذا صحفته ظهرت * كنافة منه فاستره بكتمان
هذا وكم من بدور فيه قد طلعت * فى آخر الشهر لم تمنى بنقصان
وقد دهاه خيط فجرأ بيض محل * بالبرق يسطو عليها سطوة الجاني
واللغز الآخر في اسم ذات ألسنة * لم يبد منها النبا بالنطق حرفان
يا حسنها ألسنا اضحت حلاوتها * يحلو المديح لها من كل ملسان

على الله بعزيز وقد طالت من احجيات الشيخ في حديث ابي طالب جماني الله دماه وابو طالب جالدة بين العين والانف ولا يمس بعدى الامق با كثرها فانه قرة عيني وبصري وسمعي ولساني ويدي وانس يومي وذخيرة غدي وفلذ كبدي وقطعة من جسدي والزيادة على التمام فضول وليس بعد الغاية سول فان رأى الشيخ وأبت الكريمة عنده الاتراد فشرط ذلك أن يبعد شأوه في العلم ويرسخ قدمه في الدين ويتحامى من اخلاق الشيخ تعاطي الشرب ويقتدى به في سائر أخلاق الفضل ويزورني لاخبره عاما

بالطى والنشر فى حال قد اتصفت * والطى والنشر فيما قيل ضدان
كم سكرت فقصدنا بالدخول بها * أبو ابها فتلقتنا باحسان
حسناء أجمع اهل العقد كلهم * والحل منها عليها بعد عرفان
وصالها حل بالاجماع فى زمن * فيه الوصال حرام عند اعيان
ثلثا ثلاثة اخماس لها وجدا * شيأ يجىء بايضاح وتبيان
وماذكرت من الاخماس قد نطقت * صدقا بذكراسمها من غير بهتان
وخمسها جبل اكن بقيتها * فى مكة يرتجى فوز ابغفران
مامل راو من القالى أماليه * عنها وما خاطر القالى لها شانى
فى الجوف منها قلوب جمة جمعت * ولا يكون بجوف الشخص قلبان
كم ظل يطرحها من ليس ذا شرف * جهرا ويوصف مع هذا باتقان
بالحل أنم ـق القطر المواطئ من * اقدام سعيك من ار واء ظمآن

وكتب مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى رحمه الله الى علامة العصر سيدنا ومولانا الشيخ بدر الدين بن الدماميني رحمه الله ملغزا فى لوزنيج واجاد الى الغاية وهو

يامن له فى علوم النظم أى يد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
ما اسم دوائره فى نظمها ائتلاف * والثلم فى صدرها مستعمل حينا
اجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت * هذا ويقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه انظر يا رادفه * يا فرد يا رحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من حله فرجا * لازال سعدك بالاقبال مقرونا

فحلها المشار اليه رحمه الله وأجاد الى الغاية والجواب

يامرسلا من شهى النظم لى كلما * منها ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
حليت لغزك اذ أبهمته فلذا * ياقاتى رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا فى دوائره * للكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فأبن * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أمينا رشيد العقل مأمونا

والله تعالى يمن على أفواهنا كريه بما هو اشهى من اللوزنيج وأحلى * ويحلى اعناق المتادبين من كلمه بما هو انفس من الدر وأغلى * وكتب الشيخ بدر الدين المشار اليه ايضا لغزا فى دواة وجهزه الى المقر المرحوى الامينى المقدم ذكره وهو هذا

كنت واعذارى البلاغة قرر * وتطوى بها ايا كاتب اسرجهر
اتتك بابيات المعانى فرضتها * وحكت حبير اللفظ وهو محرر
وحليت اهل العصر اذ كنت خاتما * لهم فما لك الآن بعقد خنصر
وماانت الا البحر جاش عبابه * ولكن رأينا منك علما يحسر
فما كلمة ادريك دام اعتلالها * وفيها دواء ان عرا داء تغير

فان بعثت الكريمة فجمع الله بينها وبينى وأقر بلقائها عينى أعظمت قدرها ونفذت امرها وأقررت بكل مرادعينها ووصلت أبا طالب رحمه الله واستعنت بالله على ما أنويه فيه

(وله ايضا)

ورد العام من هراة ابو فلان وهو منى بمنزلة السمع والبصر والشيخ يعرض عليه نفسه ذاهبا وجائيا ويصلح شؤنه عائدا وباديا ويرد من بوشنج فلان وهو أخو الرئيس بها فليحسن خدمته متحققا بين يديه عارضا نفسه عليه والحاكم ابو عثمان وهو لى بمنزلة الام فليخصصه من العناية بالاهم ويرد من بيته فلان وهو من صدور خراسان وكبرائهم والشيخ يحسن خدمته فيما وجد اليه سبيلا ويرد من بلخ ولى نعمتى ابو جعفر وهو ابن الشيخ الجليل ابى

ويحفظها ذو السر وهي التي وشت * وذلك من عاداتها ليس ينكر
وما مسها الا وجادت بنفسها * وصف ترى المقصود بالنفس يظهر
وتحمل سمر الخط رايات ملكها * على الرأس عباسية حين تخطر
كحيلة طرف تعشق العين شكلها * ويحسن مرآها اذا ما تقصر
مؤنثة كم ذكرت بلونها * عهود الصبا والشيء بالشيء يذكر
وكم قد أرانا ريقها من مسلسل * بلذبه في الذوق ورد ومصدر
وكم لاقت الاسيار منها محاسنا * فعادت لها الجهال بالعي تحصر
مسوّدة ان ترض فالعيش أخضر * وان غضبت فالموت لاشك أحمر
ويعذب للسمر الرقاق رضابها * فتنهل منها موردا لا يكدر
لقد أحكمت والنسخ مازال دأبها * بذلك قد جاء الكتاب المسطر
وماهي الاذات مترية غدت * وكم ذي غنى عن قصدها ليس يفتر
واسنا نراها غير سائلة ولم * تفه بسؤال فاعترانا التحير
فانتم بحل اللغز باخبر منتم * فانت به والله أجدى وأجدر
فلازالت الاقلام تسعى اشكركم * على رأسها طول المدى لاتقصر

فكتب المقر المرحومي الاميني الجواب بعد أيام وهو قوله

مواقع أقلام لها الفضل ينشر * وروضة آداب بها القلب يجبر
تحرر معنى حسنه نسج وحده * فما حبذا الاسكندري المحرر
تشق على الافهام شقة شأوها * فكم من بليغ عن مداها يقصر
أتت سهلة الالفاظ ممنوعة الذرا * حماها من العلياء لا يتسور
تشير الى المبلى التي عز وضعها * فاحشاؤها فيها الاجنة تقبر
ينامون لاتغشاهم سنة الكرى * فان هب فرد ظل يسعى ويحضر
وان أرشفته من زلال رضابها * تهادى بها نشوان يمشي ويعثر
وأما اذا اعتقوا السواد فكلهم * خطيب له فوق الانامل منبر
وينطق عن علم وطول نباهة * ومما رآه في المنام يعبر
تطاول سمر الخط انى تشابهت * سموا ومع هذا الى الطول تقصر
وكل بني الآداب تلفى بيوتهم * تقام بها بين الانام وتعمر
فاكرم بها قد ولدته وانشات * وربت وبكفيها بذلك مفخر
نجيبة وجوهي ان جلست ووجهها * تجاهي وجاهي عندها ليس يحقر
وقد فتحت فاها فقالت وقصرت * وأنى استقالت فهي في ذاك تعذر
فلازلتم أهل الجمال وخيركم * لدى النقص مثلي فهو حظ موفر
بعد حكم الاقلام يضحك سنها * بحق وافواه الدواة تقطر

ويعجبني من الالغاز في التوريه قول شهاب الدين الفزاوي في قوس وهو

ماعجوز كبيرة بلغت سناطو يلا وتتقيها الرجال

العباس فليدوم سدته وليغتنم خدمته وأوصيت به خيرا واستوصى خيرا وان عرض له بالري عارض شغل تولاه هذا الشيخ وبلغ مراده منه ويكفي من الخدمة قدر الطاقة فلا يحمل على نفسه كعادتها في الاعوام قبلها وورد ابوفلان وهو العالم الفرد والكوكب الفذ ويصل معه ان شاء الله ماخدمت به سيدنا الشيخ فوصلت به اباطالب فلمعن بخدمته فضل عنايته وسلام عليه وعلى من تشمله جملته وتضمه قبلته من صغير وكبير وله أيده الله فيما يؤنسني به من كتبه ويعرفنيه من سار أخباره رأيه الموفق ان شاء الله

(وله اليه ايضا)

أنا منذ أسعدني الله بما اساومه على الايام واقترحه

ولها

واها فى البغيز سهم وقسم * وبنوها كبارقدر نبال

ومن غريب ما أعجبنى فى هذا الباب قول القائل فى كمون وهو

يا أيها العطار اعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك
تنظره بالعين فى يقظة * كما ترى بالقلب فى نومك

ومثله قول شمس الدين الهيتى فى ورق وهو

وشئ بلا جرم يصلب تارة * ويقطع حينا فى حضور واسفار
ومن قدم قد بيض الله وجهه * على انه ما انفك يوما عن القار (ى)

ومن لطائف الشيخ شمس الدين ابن الصاحب فى هذا الباب قوله فى سهم

لله مملوك اذا * ما قام فى الشغل اعترض اكمه فى لحظة * يحصل لك الغرض

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله ملغزا فى قلم

مولاى ما اسم لناحل دنف * وما به علة ولا سقم
لسان قوم فان حذفت وان * صحفت بعض الحروف فهو فم

وقال ملغزا فى على

امولاى ما اسم جلى ادا * تعوض عن حرفه الاول
لك الوصف من شخصه سالما * وان قلبت عينه فهو لى

ويعجبنى فى هذا الباب قول ابن المرجانى ملغزا فى مشط وهو

يا اماما سألته حل لغز * شط منه مزار أهل الذكاء
اهمل الثلث باعتناء وقلب * تره جاء قائد الشعراء

ويعجبنى قول الشيخ صلاح الدين ملغزا فى قريشة

أى شئ يروق للناس اكلا * ذو بياض واصله من حشيشه
خمسه أثقل الجمادات وزنا * فتعجب له وباقيه ريشه

ويعجبنى لغز ابن منقذ فى الضرس وهو

وصاحب لا امل الدهر صحبته * يسعى لنفعى ويسعى سعى مجتهد
لم القه مذ تصاحبنا فذ وقعت * عينى عليه تفارقنا الى الابد

ومن الغايات التى لم تدرك فى هذا الباب قول القاضى صدر الدين بن الآدمى رحمه الله ملغزا فى كشتوان

ما رفيق وصاحب لك تلقا * ه معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلى * وتراه فى غاية الابهام

واستظرف قول بعض موالينا ملغزا فى بدرة

محبوبتى وجهها يغنى عن المقباس * واسمها ينقذ العاشق من الافلاس
ان تعكسوا تجدوا ضدين فى الاجناس * هذا نفور وهذا يقبل الايناس

وسألنى جماعة من فضلاء أهل الادب بالديار المصرية ان انظم لهم لغزا فى كرمة واطلق لهم عنان القلم فى ذلك فقلت

على الزمان من لقاء الشيخ وجاءت البشارات بقدمه وشكا اعتدى الانفاس واستخبر الناس واشكر اعقاب الايام واستبطئ سرى الليالى فأهلا بالقادم ومرحبا بالوارد والعيش البارد والظل الدائم والانس الكامل والروح الواصل وياشوقاه متى اراه وحتام ذكراه سهل الله جمعنا واياه خير المواهب أدام الله عز الشيخ ما شابه بعض الاذى ليكون مصرفة لعين الكمال ولولا اختلاف السيوف والتقاء الجموع واضطراب الجيوش واختلال الامور وفساد الطريق وتداول الملوك وما يتبع هذه الاحوال من الاهوال لاستقبلته بنفسى مائة فرسخ وباحبابى مثله لكن العوائق ظاهرة فلا يحملن ذلك على جهل بمقدار

آخبرونی عن فاضل باصول * وفروع يسمو على كل فاضل
اسبغ الله ظله فهو ظل * سابغ وافر مديد وكامل
وأبو محجن يقول ادفنونی * تحته ان أتانی الموت عاجل
كم الينا قد مد كفا نديا * صير العيش أخضرا فی المنازل
نقط الطل فوقه وضحته * عند توقيعها به وهو عاطل
ما تبدی لنا بعين ولكن * حرفته وصحفته الافاضل
فرأينا الترك فيه اسم عين * بفتور الاجفان جاءت تغازل
ان تذكره أحرف الكل تبدی * كرما والندی من الكف هاطل
أوتؤنثه يقبل الهاء فی الحا * ل ومن بعد ذا يری وهو حامل
ويقل شطره لمن عابه منه * لك هم بالعكس عندی حاصل
هو حلو وفيه مرك يبدو * عند تحريف عكسه المتماثل
وبلا أول يری فعل أمر * واقلب الفعل منه فالامر حاصل
وهو خشب مسندات ولكن * حازفخرا لايدو رقيق الغلائل
ومن العز جسمه الغض يدمی * وتراه من بعد ذا وهو ذابل
واذا ما فرطت فيه تراه * لم يحل عنك وهو نعم الخصائل
ذو بياض وحمرة ولدالی * فرحا راح ساريا فی المفاصل
فتراه يوما عقود بلخش * نظمت سلكها بغير أنامل
وتراه يبدو عقود جمان * مالها غير ثغر حبی مماثل
وتراه طورا سلافة راح * ولدر الحباب فيها حواصل
وعلى عوده يغنی علينا * أعجمی به تهيج البلابل
للتمنی فواكه وشراب * كل غض اليك تلقاه واصل
وحلا وانتهبها كل قلب * كسروه والكسر للقلب حاصل
وتری وصله بمصر قليلا * وهو بالشام لايزال يواصل
وتراه بذات عرق مقيما * فی نعيم وظله غير زائل
واذا قلت فی المخيم بالغو * ررأيناك فيه اصدق قائل
ولقد جاءنا بعتب لطيف * عند تصحيفه لمن هو هازل
كيف لا والكتاب عن جنتيه * قد اتی مخبرا بكل الفضائل
فتفكه من حمله بقطوف * دانيات لكل آت وراحل
واقسم تحت ظله فهو واغنز * ظله ظاهر على كل قائل
ثم دم للالغاز فی الحل والعقد * غنيا اذا اتی اللغز سائل

قلت ومما الحقوه بالالغاز ما حكی عن بعض ولاة الطوف ببغداد جاؤا اليه بغلامين غلب عليهما السكر فقال لاحدهما من ابوك فقال

انا ابن الذی لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

نعمة الله فی اقامته ولا يستوحش اتأخری عن استقباله ان الامر علی ما وصفت ولا آمن ان خرجت عنها تطرق بسوء أو يدا تمتد بشر فيضيق لذلك قلبه فاذا ورد ان شاء الله ورد علی الاسماع والابصار ومشی علی العروق والهام ووصل الی الفؤاد وتمشی فی العظام وحظيت به الصدور حظوة البلد القفر بصائب القطر ووردت كتب فلان مشحونة بشكره مملوأة من الثناء عليه فازددت لها قامة وزدت بها قيمة وشكرت الله تعالی علی ما وفق له الشيخ من التصنف بين يديه والتقرب اليه ووردت الكتب بخط فلان وقد كنت اخللت بجديته فی الكتاب اليه سهوا وغلطا ثم اعتمدت ذكاه الشيخ

ترى الناس افواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

فاطلقه وعظم فى عينه وقال هذا ابوه من بيت كبير وقال للآخر من ابوك فقال

انا ابن من دانت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيه بالرغم وهى صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالى ما أشك ان هذا أبوه كان ملكا شجاعا فامر باطلاقهما فلما انصرفا كان فى المجلس رجل نبيه فقال للوالى الشاب الاول كان ابوه فوّالا والثانى كان ابوه حجاما فاعجب الوالى منه ذلك فقال

كن ابن من شئت واكتسب ادبا * يغنيك مضمونه عن النسب

ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان ابى

وبيت الشيخ صفى الدين على الالغاز فى بديعيته

حرّ ان يقع حرّ الكرّ غلته * حتى اذا ضمه برد المقيل ظمى

الشيخ صفى الدين ألغز هنا فى السيف فانه يروى فى حرّ الكرّ بالدماء واذا دخل القراب الذى كنى به عن برد المقيل كان ظامئا والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

ان المنافق لغز قلبه زغل * وهو المعمى كمثل الارزة الرزم

قلت الشيخ عز الدين غفر الله له لم يأت فى بيته بغير الجناس المقلوب فى لغز وزغل واما التعمية بالارزة الرزم فلاحت ما المراد منهما حتى نظرت فى شرحه فوجدته قد قال الرزم القائم والارزة شجرة الصنوبر فما ازددت فى التعمية غير تعمية وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

وكلما الغزوه حله لسن * مذ طال تعقيده ازرى بفهمهم

قد تقدم وتقرر ان احسن التعمية فى الالغاز ما أسفر بعد الحل عن تورية بديعة فى بابها وهذا البيت ايضا بديع فى هذا الباب فان اللغز فى الرمح والتورية فى لسن لان لسان الرمح لسان القائل فى التورية للتكليم وفى التعقيد المشترك بين تعقيد اللغز وتعقيد الرمح واما المناسبة بين الحل والتعقيد والازراء بالفهم بعد ذكر الالغاز فما سنها الاتفاق على حذاق الادب والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

(ذكر سلامة الاختراع)

(وقده باختراع سالم الف * يبدو بتروسه من رأس كل كمى)

هذا النوع اعنى سلامة الاختراع هو ان يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه كقول عنترة فى وصف الذباب

وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم

هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

هذا المعنى اذا تأمله المتأدب وتخيله فى فكره يجده غريبا فى بابه فانه قال ان هذا الذباب لما خلا بهذه الروضة التى اعاد الضمير اليها فى قوله بها صار هزجا مترنما يحك ذراعه بذراعه من

وفطنته فى الامور فكان كما ظننت ووردت كتب السادة من الحجاج بمثل ما ورد به كتاب فلان واجبت عن كل كتاب ورد وأرجوه وصل ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

ولما نزلنا منزلا طله الندى انيقا وبستانا من النور حاليا
اجدّ لنا طيب المكان وحسنه منى فتمنينا فكنت الامانيا

اليوم طلق والهواء رطب والماء عذب والمكان رحب والسماء مصحية والريح رخاء فاين سيدى أبو الفتح اشهد ما اليوم جميلا ولا الهواء طليلا ولا الماء يبرد غليلا وأقسم ما الروض الاثقيلا ولا الانس الا دخيلا ولا الزمان الابخيلا

وانى لتعرونى لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

(سلامة الاختراع)

الطرب الذى اعتراه فشبهه عنترة برجل اجذم قاعد يقدح زنادا بذراعيه والاجذم المقطوع اليد والتقدير فى البيت قدح الاجذم المكب على الزناد انعم بى ومنه قول ابن الرقاع فى تشبيه قرن الخشف

يزجى أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

وعدوا قول ابن الرومى من المخترعات التى لم يسبق اليها فانه قال فى تشبيه الرقاقة حين يبسطها الخباز

لم انس بالامس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

وأجمعوا على ان قول ابى الطيب من الاختراعات التى لم يسبق اليها وهو قوله

حلفت وفيا ان رددت الى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

قلت اما ابو الطيب فانه شن الغارات على معانى المتقدمين كثيرا وما خفى ما أورده عليه الحاتمى فى الحاتمية وكان قد عن لى أن أورد فى هذا الشرح المبارك له ولمن تقدمه ولمن تأخر عنه جملة مستكثرة مما وقع لهم من معانيهم من سلامة الاختراع بالنسبة الى اطلاعى وخفت أن يقع اختيارى على معنى أعده لصاحبه من سلامة الاختراع فيأتى من تصرف اطلاعه على معنى له لغيره ممن تقدمه فأضربت عن ذلك وجنحت الى ذكر ما وقع لى فى تطفلى من سلامة الاختراع التى لم أسبق اليها ولا حام طائر فكر غيرى عليها فمن ذلك قولى من قصيدة رائية

وحمرة الخد أبدت خط عارضه * نملات كأس مدام وهو مشهور
ومذ بدت نسمات الثغر باردة * بدا باغضاء ذاك الجفن تكسير

وقلت منها فى وصف القلم

له يراع سعيد فى تقلبه * ان خط خطا أطاعته المقادير

ومنها

واشقر يده البيضاء غرته * له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء لحظها * وهذب اجفانها تلك المشاعير

ومثله قولى من القصيدة

كذا محابره سود العيون فان * دنت أياديهن الاعين الحور

ومنه قولى من قصيدة ميمية

حين قابلت خده بدموعى * أثرت خات ثوب خزمنمنم

ومنه قولى فى وصف حماة من قصيدة طائية

ينظم بالشطين درغمارها * عقود الها العاصى رأيناه كالسمط
وقدمد ذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش النبت يمشى على بسط

وليس الشوق الى مولاى بشوق انما هو وقع السهام ولا الصبر عن لقياه بصبر انما هو كأس الحمام وما الهم سلطان هذا الهم ولا الغمر طغيان هذا الامر ولو شاء الله لاجتمع الشمل ولا تصل الحبل ولكن الله يفعل ما يريد وورد كتابه مع فلان اطفا جمه ظريفا طبه مليحا شكله بارزا عنوانه سارا صدره حسنا خطه سديدا معناه واذ ظه ونهمت مودعه وحمدت الله تعالى على ما خصنى من سلامته وسألته المزيد له من فضله فاما ما شكاه من تأخر كتبى عنه فما علمت ان سيدنا الشيخ تذخرعنده فصولى ولا علمت أن مولاى بعث بكتبى ولا أنه يعاتب فى قصورها عنه وظننت الفصل بلاغا وله العتبى من بعد وأما

لو بنا خلا خيل النواعير فالتوت * وأبدت اناء دوراً على ساقة الشط

وقلت من قصيدة أخرى

وعاص رحيب الصدر يدخو طائعا * ودولابه كالقلب يخفق فى الصدر

وقلت من قصيدة أخرى

وهزت فيه كل عود أراكة * أضحى بها تيك الثغور مطيبا

والمعنى المخترع قولى بعده

ودخلت كل خباء زهر قد غدا * بدموع اجفان الغمام مطنبا

ومن اختراعاتى التى لم اسبق اليها وسارت الركبان بها قولى فى المدائح المؤيدية

فرج على المجنون نظم عسكرا * وأطاعه فى النظم بحر وافر

فانبت منه زحافه فى وقعة * يامن بأحوال الوقائع شاعر

وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطاك الدوائر

والمعنى المخترع فيها قولى

وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكأن هاتيك السروج مقابر

ومنها فى سلامة الاختراع قولى

واذا سددت يراع رمحك ماله * الا القلوب الدارعين محابر

ونعال خيلك كالعيون ومالها * الا الجماجم من قتلت محاجر

ومنه قولى متغزلا فى مليح مشطوب

بالصدغ أبدى شطبة * من شكله محوط

سألته عن أمرها * فقال زاد اللغط

قلت بدا لى عارض * مشكل منقط

جئت شطبت فوقه * وقلت هذا غلط

ولى من قصيدة بديعة مشتملة على وصف متنزهات حماة المحروسة

والنبت يضبطها بشكل معرب * لما يزيد الطير فى التلحين

والمعنى المخترع قولى بعده

والغصن يحكى النون فى ميلانه * وخياله فى الماء كالتنوين

وقلت فى مطلع قصيدة

الف القد مذ ها لى بعزه * وعليها من عطفة الصدغ همزه

وقلت من قصيدة فائية

وعارضه فى الوضع لام وصدغه * اذا مدها من فوقه تتكوف

ولعمرى ان الشرح قد طال ولولا خشية الاطالة لذكرت من هذا الباب قدرا وافيا بالنسبة الى ما أدى اليه اجتهادى وقلت انى مخترعه وبشهادة الله انى ماتطفلت بالنسبة الى علمى على معنى لغيرى اللهم الا أن تكون احكام الموارد قد حكمت على فالحكم لله العلى الكبير وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على سلامة الاختراع قوله

ما وصف من حال الشوق وبرحه فانا فى غنى عن شرحه لما انطوى عليه ولا يجب ان يتطرقه وقد توسطنى وان يكده وقد هدنى والقلبان بحمد الله قلب والروحان على ذلك الب ووصل ما تخفى به من الاتن والرسم فى مثلها ان ترد الى الوطن وتنقل الى المأمن وليت الذى هنا هنالك على انه حسن موقعه والطف مورده فليكن ما يصلنى به من تلك الديار طيب الجبن ومبرز الزبيب وفائق الزعفران وما يقرب من هذا الباب فاما انواع الثياب فالكلفة فى اهدائه ظاهرة والله لا يحب المتكلفين ولو أقام ابو فلان الى شهر لافردت لكل واحد من ولدى ابى طالب وابى فلان خلعة جمال وسلامة مال وتذكرة حال ولكنه اقام عشر

كادت حوافرها تدمى جحافلها * حتى تشابهت الاحجال بالرثم

جحفلة الفرس شفته العليا والرثم بياض شفته وكانه يقول ان هذه الفرس اسرعة جريانها اتصلت أحجالها الى شفتها فتشابها فى البياض والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله فى بديعيته قوله

سلامة لاختراعى فى علا همى * اسمى وفعلى كحرف عند ربهم

وقال فى الشرح اسمى علا وفعلى علا والحرف المشبه بهما على هذا المعنى على الذى هو معدود من حروف الجر قلت لو ألحق الشيخ عز الدين ماقاله هنا بالالغاز لكان أقرب وأليق فان سلامة الاختراع وغرابة المعنى عنه بمعزل وبيت بديعيتى تقدمه قولى فى الالغاز بالرمح بقولى

وكلما ألغزو حله لسن * مذطال تعقيده ازرى بفهمهم

ولم أخرج عن الرمح بل قلت مخترعا فيه اختراعا بعد من المرقص والمطرب بعد بيت الالغاز وهو

وقده باختراع سالم ألف * يبدو بتر ويسه من رأس كل كمى

تقدم قولى أنه كان عن لى ان أورد هنا من سلامة الاختراع للمتقدمين والمتأخرين جملة مستكثرة ولم يصدنى عن ذلك الا الخيفة ممن تبحر على فى المطالعة فيورد ما أثبت من المعنى المخترع لزيد انه مسبوق اليه من عمرو فأردت ان اخلص من هذا الاعتراض واوردهنا نبذة من مخترعات ابن حجاج فانه منوال مانسج عليه غيره * وقد تقدم قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى ديباجة كتابه المسمى بتلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج * وأما أشعار ابى عبد الله الحسين بن حجاج فانه امة غريبة تبعث وحدها وذرية تبلغ باتقان اللهو رشدها فمن ذلك قوله

يادبة الصفع صبى * على قفا المتنبى
وأنت يار يح بطنى * على عذاربه هبى
ويا قفاه تقدم * واقعد قليلا بجنبى
وان صفعتك ألفا * فلا تقولن حسبى
وقد تعشقت معنى * طرطورك المتعبى
بالحية هى عن جهل شيخنا النذل تنبى
قومى ادخلى جوف بطنى * فقد وقعت بقلبى
وانت عندى مكان السواد من عين صلبى

ومنه قوله

كأنما باب سورمه ـرها * عنقود كرم هزيب العنب
كأنما الايرفوق عصعصها * راكب حمارة على قتب

ومنه قوله

جاريه قد سمطت فيشتى * بوهج حمى سرمها الصالب

اخذت

ليال ولقينى فيها ثلاث مرات اقباخيال فاصحبته مقتضى مقامه وموجب ايامه وهو الطل يتبعه الوابل والموعد ان شاء الله القابل أردت أن اختم هذا الفصل بعلى الكتاب ثم اتت جاشية الصدر وغات حامية الصبر فأنفت قليلا ان لم ابث طويلا ماظننت النأى يثنى والدا عن ولده حتى يقطع رحمه وينسى اسمه الا اتفاقا والله المستعان انا واثق من مولاى بجميل الصيانة وكريم الرعية وانما يشتمل ستره على شقة من قلبى وقطعة من كبدى وجزء من روحى ولعمرى ما الوديعة عنده بضيعة ولا الامانة عنده بضلة وكل سترفع بدل ستره وكل صهر فداء لصهره وانما هو طيب المولد وكرم المحتد

أخلفتني الليل بجص استها السماني وقد نامت الى جانبي
أوجب اخراج دم فاسد * من عين قيفال استها الضارب
لبظرها الاسود دنية * تصلح للقاضي أبي السائب
خطبت بالامس عليها استها * فانعمت للخاطب الراغب
وبات ايري رافضي الهوى * يعطي قفا ميعرها الناصب

وقال أيضا

قوموا انصوا اباب سرمها ولجوا * فكل عضو من استها شرج
قوموا فعين استها لرؤيتكم * بالليل فوق الفراش تختلج
ان لم يسككم ء رصعصها * فثم بالطول عنده ازج
وفي استها خاتم الولبه * طوق كحلي وفصه سبج
اذا الهوى صانع استها خريت * تحتي وبالبيض تعمل الهيج

وقال أيضا

بابي من تمكنت من فؤادي * فانا الدهر كله في اجتهاد
فخذها في القيام من قوم ياجوج ولكن بظرها قوم عاد
وقفت لي فبستها من قعود * بوسة بردت غليل فؤادي
ولها شعرة ولا زبد البحر بياضا وعصعص كالمداد
وحر اشمط العذارين الحي * فيه سمت النساك والعباد
بظرها فوقه كدنية الحا * كم يوم الهداية في السواد
ما توهمته وحقك الا * بعض أصحابنا بني حماد
يوم حاملتها فلما أحسست * في خراها بحمل شرط الفصاد
جذبت لحيتي وقالت ايا شيخ ترى أنت كافر بالمعاد
أنت ممن يبغي خلافا على الله ويسعى في ارضه بالفساد
قلت كني انا وجدنا على هذا امور الآباء والاجداد
عرفيني وخبريني متى كنا * نسيوف الخصى بلا أغماد

ومن غاياته في هذا الباب قوله

مولاي يدعوك شيخ لا وقار له * حتى القيامة سكران ومخمور
ما فيه للشيب اكرام فيزجره * عن الفجور ولا للسن توقير
يقول بالامرد المهتوك عارضه * مقسما فيه تأنيث وتذكير
وبالقناة التي تورم دخلها * بعد الغشاء الشوى الخصيان مسجور
وبالعجوز التي في أصل عنبلها * غدا تبعث الخاصي بنفخ الصور
زبالذرع استها يسقي بداليه * وبظرها واقف في الزرع ناطور
لها حر اشمط قد شاب مفرقه * عليه بظر طويل فيه تدوير
كأنه شاعر قد جاء من حلب * شيخ على رأسه المحلوق طرطور

وصدق الفتوة ونصح المروة ونقع الحمية وناصح الامانة فالله يجزيه خيره ولا يريه فيما يليه سوأ برحمته ما سرني فصل من كتابه كالفصل الذي ابلغني فيه سلام فلان وبشرني بسلامته والله يسبغها عليه وأعددت بما أهداه من سلامته الاخوة ولئن كان لابي فلان حرس الله روحه الشعب الاوسع من قلبي والنصيب الاوفر من نفسي فان لكل من سادتي لمكانا من كبدي مكينا وحصنا من قلبي حصينا ولسيدي ابي فلان من الصحبة ما يجعل أمله ثم ارا وليت شعري بمولاي ابي فلان كيف اقتصر على الفصل على انه كان بلاغا من الفصل ولو افرد كتابا لافردت جوابا وعليه من السلام ما يرد شبابه طريا ووجدت في فصله اثرا عن مرضتي فارتحت لدينها وما علمت حياتها حتى الآن والآن فما علمت الانا ولا اتفقتها الارجاء فان كانت

هذا الاستطراد فى البيت الاخير استطرد فيه الى أبى الطيب وهو فى غاية اللطف والظرف وقد تقدمت اشارته الى طرطوره فى الابيات المتقدمة الباقية ومن اختراعاته فى هذا الباب قوله

أحب من الكس تقبيله * اذا كان فى شفتيه لعس
ويعجبنى منه انى اذا * نقرت أنفه بقمدى عطس
وواسعة السرم تشكو استها * اذا مسها النيك ضيق النفس
فتاة الدرب استها حارس * يعلق من خصيتيه جرس

ويعجبنى قوله من قصيدة

فى أستها دوزة اذا نفضوها * جعوا الى من تحتها كف تبق
وهو تبق بلاقوى اسود اللو * ن اذا الكته تحمض شدقى

(ذكر التفسير)

(وصحبه بالوجوه البيض يوم وعى * كم فسروا من بدور فى دجى الظلم)

هذا النوع اعنى التفسير من مستخرجات قدامة وسماه قوم التبيين وهو ان يأتى المتكلم أو الشاعر فى بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره امافى البيت الآخر أو فى بقية البيت ان كان الكلام يحتاج الى التفسير فى أوله والتفسير يأتى بعد الشرط وماهو فى معناه وبعد الجار والمجرور وبعد المبتدا الذى يكون تفسيره خبره بشرط أن يكون المفسر مجملا والمفسر مفصلا * فمن بديع التفسير الذى وقع فى بيت واحد قول بعض المغاربة

صالوا وجادوا وضاؤا واحتبوا فهم * اسود ومزن وأقمار واجبال

فانه احسن الترتيب فى عجز البيت كله وجعل المفسر فى الصدر بحيث أتى كل قسم مستقلا بنفسه ومثال ماوقع من التفسير بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قول الفرزدق

لقد جئت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم او حاملا ثقل مغرم
لالفيت منهم معطيا ومطاعنا * وراءك شزرا بالوشيج المقوم

والفرزدق مارامى حسن الترتيب فى بيته فان عندهم عدم الترتيب مع حسن الجوار وقرب الملائم لاينقص حسن الكلام البليغ الاترى الى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك وأما الذين ابيضت وجوههم ومن الامثلة الواقعة بعد الجار والمجرور فى باب التفسير قول شرف الدين القيروانى

لمختلفى الحاجات جمع ببابه * فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب العقبى وللخائف الامن

ومما جاء من التفسير بعد المبتدا قول ابن الرومى

اراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

قالوا ان هذا ابلغ ماوقع فى التفسير من الامثلة الشعرية فانه راعى فيه الترتيب احسن مراعاة * ومن بديع هذا النوع قول محمد بن وهيب فى المعتصم

فى كنف من الحياة فأنشد الله مولاى لما أحسن اليها ووفر عليها وقضى من حقها مدة حياتها وسأبعث ان شاء الله لها سدادا من نفقة ومدادا من معونة والى حين وصولها فولاى خليقتى على تعهدها وحسن تفقدها ونعم الخليفة والوكيل ولولا مامنيت به من فساد هذه المداد ونصول هذه الدواة لاحببت ان اطيل ولكن شجوبه قد أضجرنى ورد هذا العام همذان فى جملة الحجاج ابوفلان وابوفلان فاما ابن أحمد قاضى هراة وامام خراسان فليحسن حقوقه له واختلافه اليه وتعرضه لحاجاته وأما ابو الفضل فمن افاضل هراة ومعدوديها فى الجلالة فليقض حقه بالزيارة ذاهبا وعائدا ورأى الشيخ فى مواصلتى بكتبه كل وقت وتصريفى على حاجاته موفق ان شاء الله

(التفسير)

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحق والقمر

ومثله فى الحسن قول محمد بن شمس الخلافة

شيآن حدث بالقساوة عنهما * قلب الذى يهواه قلبى والحجر

وثلاثة بالجود حدث عنهم * البحر والملك المعظم والمطر

ومن معجز التفسير ماجاء فى الكتاب العزيز وهو قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع * فذكر سبحانه الجنس الاعلى اولا حيث قال كل دابة فاستغرق اجناس كل ما دب ودرج ثم فسر سبحانه هذا الجنس بعد ذلك بالاجناس المتوسطة والانواع حيث قال فمنهم ومنهم ومنهم مراعيا للترتيب وذلك انه قدم مايمشى على غير آلة لكون الآية سيقت لبيان القدرة وتعجب السامع ومايمشى بغير آلة اعجب ممايمشى بآلة فلذلك كان تقديمه ملائما لمقصود الآية الشريفة ثم ثنى بالافضل فأتى بمايمشى على رجلين وهو الآدمى والطير لتمام خلق الانسان وكمال صورته ولمافى الطير من عجيب للطيران الدال على الخفة مع مافيه من الكثافة الارضية وثلث بمايمشى على اربع لانه احسن الحيوان البهيمى واقواه فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المحاسن وهى صحة التفسير وصحة التقسيم مع مراعاة الترتيب والاشارة وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن النسق والفرق بين التفسير والايضاح ان التفسير تفصيل الاجمال والايضاح رفع الاشكال لان المفسر من الكلام لايكون فيه اشكال * وبيت صفى الدين على التفسير قوله

هم النجوم بهم يهدى الانام ويستجاب الظلام ويهمى صيب الديم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

ذكر الامام وابنيه يفسره * على والحسنان آكرم بذكرهم

الشيخ عز الدين ماأفادنا فى التفسير هنا شيأ * وبيت بديعيتى أقول فيه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدور فى دجى الظلم

هذا هو التفسير الذى لايستقل الفهم بمعرفة فحواه فى الشطر الاول من البيت الابتفسيره من الشطر الثانى على الترتيب * وأما ذكر الامام على كرم الله وجهه وذكر ولديه عليهما السلام فى بيت الشيخ عز الدين رحمه الله فانه غير محتاج الى تفسير والله اعلم

(ذكر حسن الاتباع)

(ذكرا ميطر بهم والسيف ينهل من * اجسامهم لم يشن حسن اتباعهم)

هذا النوع اعنى حسن الاتباع هو ان يأتى المتكلم الى معنى اخترعه الغير فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحق به بوجه من الوجوه الزائدة التى توجب للمتأخر استحقاق معنى المتقدم اما باختصار لفظه اوقصر وزن اوعذوبة لفظ اوتمكين قافية اوتتميم نقص اوتحلية من البديع توجب الاستحقاق كاتباع أبى نواس جريرا فى قوله

اذا غضبت عليك بنوتميم * حسبت الناس كلهم غضابا

(وله اليه ايضا)

مازلت اعرف الشيخ ظريف الجملة كريم الخلقة واسع العطن عذب المورد وما علمته يبلغ من الفضل فوق غايته ويسع من الجدا اكثر من قلته لقد قفلت قافلة الحجاج واثنوا عليه ثناء لو رقى به الشباب لعاد سريعا اوصب على الفراق لانقلب شملا جميعا ومازلت معتقدا بفضله واثقا بكريم فعله وانا اليوم به اكثر اعتضادا واقوى ظهرا وفؤادا وكتبت هذه الرقعة على حد شخوصى الى حضرة السلطان ولم اتسع فيه وسترد عليه ان شاء الله بقية مافى الصدر ووصل ماانفذه وحسن موقعه فانما قرة العين وقوة الظهر ومسكة النفس ومنة الامل لجابة ولدى ابى طالب حرسه الله تعالى

(حسن الاتباع)

فنقل ابو نواس المعنى من الفخر الى المدح بقوله

وليس لله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

فزاد على جرير زيادات منها قصر الوزن وحسن السبك واخراج كلامه من الظن الى اليقين وايضا فان ذكر العالم أعم من ذكر الناس في بيت جرير * وعدوا من الشواهد الحسنة في حسن الاتباع قول منصور النميري في زينب اخت الحجاج واترابها وهو

وهن اللواتي ان برزن قتلنني * وان غبن قطعن الحشا حسرات

فاحسن اتباعه ابن الرومي بقوله

ويلاه ان نظرت وان هي اعرضت * وقع السهام ونزعهن اليم

قلت وقع السهام ونزعهن بعد ويلاه في بيت ابن الرومي ترك بيت النميري ما له لا بالية وقال ابو عبادة البحتري

اخجلتني بندى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء

صلة غدت في الناس وهي قطيعة * عجبا وبر راح وهو جفاء

واحسن ابو العلاء وقال

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

لانه استوعب معنى البيتين في صدر بيته واخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان وقال عنترة

انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى واحمى سائرى بالمنصل

فاحسن اتباعه منصور الفقيه في شرف نسبه وحيث كان شرفه من جهة ابيه لا من جهة امه بقوله

ان فاتني بابيه ولم يفتني بامه * ورام شتمي ظالما سكت عن نصف شتمه

فان هذا الفقيه احسن غاية الاحسان من وجوه أحدها الايجاز فانه جمع معنى عنترة الذى جاء به في بيت تام من الكامل في بيت من المجتث واتى بالمطابقة المعنوية فاما قوله سكت عن نصف شتمه ففيه من التأدب النبوي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحتراس ما يزيد على الوصف وقال ابن الرومي

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * نبال العدا عنى فكنتم نصالها

وكنت أرجو منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها

فان كنتم لا تحفظون مودتي * ذماما فكونوا لا عليها ولا لها

قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى للعدا ونبالها

فاحسن ابن سنان الخفاجي اتباعه بقوله

اعددتكم لدفاع كل ملمة * عونا فكنتم عون كل ملمة

وتخذتكم لي جنة فكانما * نظر العدو مقاتلى من جنتى

فلانفضن يدى يأسا منكم * نفض الانامل من تراب الميت

ويعجبنى هنا قول القائل

وقد نوبت له غيرما كنت عليه وتنغصت له الايام من كل مراد فليوافيه الشيخ على تمهيده وتلديه والسلام عليه ولم يرد من الشيخ سيدنا كتاب في هذه السنة ووالله لفي بوعده وليلحق ولده بل بعيله آولا قطعن مكاتبته ما عشت ومواصلته ما بقيت ولي فيما افعل اسوة بيوسف عليه السلام ثم ان فضلني واصلا وحضرني زائرا لا خدمته خدمة يتحدث بها الركبان برا وبحرا وتسير بها الاخبار شرقا وغربا

(وله اليه ايضا)

وما اشبه تشوق اداما الله عز الشيخ في هذه الاسفار الا بالخيال الطارق او بلمع البارق

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادى

وقال ابن الرومى

سد السداد فى عماريكم * لكن فم الحال عنى غير مسدود

واحسن زكى الدين بن ابى الاصبع اتباعه فقال

هبنى سكت فما لسان ضرورتى * اهجى لكل مقصر عن منطقى

وقال سليك بن سلكة

وتبسم عن المى اللثاة مفلج * خليق الثنايا بالعذوبة والبرد
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم برق فى السحابة من بعد

وقال نصيب

كان على أنيابها الخمر شجها * بماء الندى فى آخر الليل غابق
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم فى اعلى السحابة بارق

واحسن بشار بن برد اتباعهما بايجازه وقال

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك

وقال السموأل

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

فاحسن بشار اتباعه بزيادة محاسن فقال

* أفناهم الصبر اذ أبقاهم الجزع *

وقال الاسود بن يعفر

يسعى بها ذو تومتين كأنما * قنأت أنامله من الفرصاد

واحسن أبو نواس اتباعه بزيادة من المحاسن وقال

تبكى فتذرى الدمع من نرجس * وتلطم الورد بعـــــناب

استوفى ابو نواس المعنى فى نصف بيت وأخذه الواوا الدمشقى من ابى نواس وزاد عليه زيادة عجيبة بقوله

وامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقال مسلم بن الوليد

تجرى محبتها فى قلب عاشقها * مجرى المعافاة فى اعضاء منتكس

فاحسن أبو نواس اتباعه فقال

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض الملوك باليمن

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى
تجرى على كبد السماء كما * يجرى حمام الموت فى النفس

أو الغلام الآبق أو الجواد السابق أو جرب السارق أو السهم الخارق وانما هو الشفو الترحال والخيل والبغال والجمر والجمال وبين المقبل والمبيت بون بعيد وبين المصبح والممسى نأى طويل وبين المضرب والمقصد طى المراحل بالبيد والشيخ يستقصر كتبى ويستبطئ رسلى ومابى اغفال ولكن امكان وقد استقرت بحمد الله القدم وكل وقت رسول قاصد وكتاب نافذ ان شاء الله والشيخ أبو فلان لا يزال يسلفنى يدا غراء يرتهن بها شكرى ثم لا يلبث قدر ما اقتنى من منة حتى يتبعها اختها لا جرم انى استغفر الله فى الكسل وله ايده الله من قلبى الحبة السوداء ومن صدرى شعب فارغ ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

نقل أبو هلال العسكرى فى الصناعتين عن الصولى انه قال حدثنى أبو بكر بن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا فى حلقة دعبل الشاعر فجرى ذكر ابى تمام فقال دعبل كان يتبع معانى فيأخذها فقال له رجل فى مجلسه مثل ماذا أعزك الله فقال قلت

وان امرأ اسدى الى بشافع * اليه ويرجو الشكر منى لاحمق

فاخذه ابو تمام وقال

واذا امرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل احسن والله فقال دعبل كذبت والله قبحك الله فقال الرجل ان كان سبقك بهذا المعنى وتبعته فما احسنت وان كان اخذه منك فقد أجاده فصار اولى به منك على الحالين فغضب دعبل وقام وقال بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاحسن اتباعه سلم الخاسر وقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

فلما سمع بشار هذا البيت قال قد ذهب ابن الفاعلة ببيتى وممن زاد على المتقدمين بحسن سبكه وعذوبة لفظه ابن المعتز رحمه الله بقوله

ولاح ضوء هلال كاد يفضحه * مثل القلامة قد قدت من الظفر

وهو مأخوذ من قول الاول

كأن ابن ليلته جانحا * الى مسقط الافق من خنصر

وقال ابو العتاهية

كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله فى طى المكاره كامنه

فاحسن أبو تمام اتباعه فقال

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله أدنى القوم بالنعم

فزاد عليه الا انه أتى بعكس المعنى ومما يعرف للمتقدمين معنى شريف الا نازعهم اياه المتأخرون وطلبوا الشركة معهم فيه الا قول عنترة

* وخلا الذباب بها فليس ببارح *

فانه ما نوزع فى هذا المعنى على جودته وقد رامه بعض المجيدين فافتضح وتقرر ذلك فى بيت سلامة الاختراع * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على حسن الاتباع قوله

ينازع السمع فيها الطرف حين جرت * فيرجعان الى الآثار لا الاكم

بيت الشيخ صفى الدين ماخوذ من قول القائل

وطرف يفوت الطرف فى جريانه * ولكن للاسماع فيه نصيب

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

والجزع من اليه بعد فرقته * حسن اتباع لتلك الاربع الحرم

ذكر الشيخ عز الدين فى شرحه انه اتبع الفرزدق فى قوله فى مديح الامام زين العابدين على

مضى العهد اطال الله بقاء الشيخ الرئيس فلا صدقات الفطر ولا صدقات العطر ولا فضلات القطر ولا لفظات الذكر واسمع الناس يقولون ان الشيخ الامام مستبرد لى مستوحش منى وأنا سليم نواحى القول والفعل والنية وانما أنا كالحية اضمن ان لا اسمع ولا أضمن ان لا بفزع والسلام

(وله اليه أيضا)

الصدق اطال الله بقاء الشيخ الرئيس حسن جميل والجنة معاده والكذب سيء قبيح وأسوأ منه معاده ومن فسيح العار ونسيج الادبار ودواعى البوار وموحشات الدار وموجبات النار حلف المرء قبل ان يستحلف فاسمع اللهم ان كانت سنة احدى واثنتين اشتملتا على يوم وليلة واحدة اخليت الشيخ الرئيس فيهما من ورد دعا نهارا وورود دعا ليلا فانا من حولك

ابن الحسين بن علي عليهما السلام وهو هذا

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته * والركن يعرفه والبيت والحرم

وبيت بديعيتي تقدمه قولي في حق الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدور في دجى الظلم

ثم اني قلت بعده في حسن الاتباع عن الصحابة

ذكراه يطربهم والسيف ينهل من * اجسامهم لم يشن حسن اتباعهم

هذا المعنى سبقني اليه الشيخ شرف الدين بن الفارض وكنت في صغري أترنم به وهو قوله

فلي ذكرها يحلو على كل صيغة * ولو مزجوه عذلي بخصام

الشيخ شرف الدين قرر ان ذكر محبوبه يحلو ولو كان في محصل خصام من العذال وقولي أبلغ في حق الصحابة رضي الله عنهم لان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يطربهم والسيوف تنهل من اجسامهم وأين الطرب في هذا المقام من يحلو في ذلك المقام وأين المخاصمة بالالسن من التكليم بالسنة السيوف والزيادة التي ما على حسنها من مزيد قولي لم يشن حسن اتباعهم فان شدة الحرب وتكليم النفوس ما شان حسن السيوف وذهاب الانفس ما شان حسن اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم يوما من الايام والتورية في حسن الاتباع الذي هو المراد من تسمية النوع محاسنها لا تخفى على المنصفين من أهل الادب والله اعلم

(ذكر الموازدة)

كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها واردته في سيوفهم

هذا النوع اعني الموازدة هو أن يتوارد الشاعران على بيت أو بعض بيت بلفظه ومعناه فان كان أحدهما اقدم من الآخر واعلى رتبة في النظم حكم له بالسبق والا فاكل منهما ما نظمه كما جرى لامرئ القيس وطرفة بن العبد في معلقتيهما وهو قول امرئ القيس

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتحمل

قال طرفة أسى وتجلد فلما تنافسا في ذلك واحضر طرفة بن العبد خطوط أهل بلده في اي يوم نظم هذا البيت كان اليوم الذي نظما فيه واحدا وقد يقع مثل ذلك أو دونه في بيت يخالف وزن لبيت الاصلي وبيت الشيخ صفي الدين على الموازدة قوله

تهوى الرقاب مواضيهم فتعشقها * حديدها كان اغلالا من القدم

وبيت الشيخ صفي الدين ذكر في شرحه أنه نظم بيتا من جملة ابيات وهو

تهوى مواضيك الرقاب كأنما * من قبل كان حديدها اغلالا

ثم ذكر انه سمع بعد ذلك بيتا لا يعلم قائله وهو

تهوى الرقاب مواضيه فتعشقها * تود لو أصبحت اغلالا من أسرا

فاسقط البيت الذي له فلما تعددت عليه الانواع في نظم البديعية ووصل الى الموازدة الجأته الضرورة الى نظمها ليكون البيت المنظوم منتظما في سلك شواهد بديعيته بحيث لا تخلو من هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

وقولك بزي وعلى مقتك واعتنك جرى وما اعتقد بهذا اني لصون الاطراف محفوظ الاسباب وان امري أصلاحي في ناصيته ومعاشي في ناحيته وبقائي في عافيته لحقيق بالاكثر من صالح الدعاء ولو نالت الدال الثريا والذي أحب ان يعانى شكورا ويتصورني مخلصا وما في تسوية الخراج وتهيئة الضياع انما أنا المرء لا يشفيني القيل ولا يرويني النيل ولكن عبد تلك الاخلاق وفداه ذلك الحلم ولوان الذي خولنيه سابقيه ما اقتسمته محبة راقيهم لو رويت سيفك من دمي لاغرو بالود الصحيح مجرب واستغفر الله على افراط الشعر على اني له انم العبد

(وله اليه ايضا)

سئل بعض الفقهاء اطال الله بقاء الشيخ الرئيس عن

(الموازدة)

لبث المدائح تستوفى علاه ولو * تواردت فى مديح غير منصرم

الشطر الاول من هذا البيت ذكر الشيخ عز الدين فى شرحه أنه تواردهو وأبو الطيب المتنبى عليه والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم ومن المواردة فى بيت بديعيتى انى كنت مدحت تمربغاء الافضلى الشهير بعطاش و رياحين الشبيبة غضة ونشوة الابتداء تحث على دور كاسات الادب وكان المشار اليه اذذاك كافل المملكة الحموية بقصيدة رائية سارت بديع محاسنها الركبان واحتوت على معان لم أسبق اليها وعقلت فى غصون نظامها بين يدى شيخى وهو مولانا قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على القضامى الحنفى رحمه الله وقد علق بخاطرى منها أبيات فانشدته فى ذلك الوقت ما عاق بخاطرى وهو قولى منها

له مطالعة فى الحرب حين يرى * دم العدا فوق طرس الارض قد سطرا
ان راسل القوم انشا فى رسائله * سجعات ضرب بها الهامات قد نثرا
كتابه السيف والخطى له قلم * والرسل أسهم حتف توضح الخبرا
ان كان قد نظم الاعدا مكيدتهم * فقل لهم انه من قبلهم شعرا
لانه ببديع الحسن لف لنا * شملا ولكن لاعناق العدا نشرا
وخط من فوق ألواح الصدور لهم * بابا من الخوف فى احشائهم وقرا
وصار يكتب بالهندى ويعجم بالخطى فعل شجاع قد قرا ودرى
تراه بالرمح بدرا حاملا غصنا * وبالتريسة غصنا حاملا قمرا
ان جس عود الضرب مال سامعه * والخيل يرقصها ان حركت الوترا

وصرت كلما انشدته بيتا من هذه الابيات يترنم كثيرا ويرسم لى باعادته حتى انتهيت الى قولى

كأنما الهام أحداق اضر بها * سهد وأسيافه فى الحرب طيب كرى

فلما سمع هذا البيت لم يترنم كما ترنم الابيات التى قبله وقال أبو الطيب هو ابو عذرة هذا المعنى ولكن احسنت الاتباع بقولك اضر بها سهد وبقولك فى الشطر الثانى طيب كرى فان فيهما زيادتين حسنتين فالتزمت له بيمين انى ما ملكت ديوان المتنبى يوما من الايام ولا طالعته عند الغير وما كنت فى ذلك الوقت اطالع غير ديوان الشيخ جمال الدين بن نباتة وديوان الشيخ صفى الدين الحلى فتعجب مولانا قاضى القضاة من ذلك وبالغ فى الجبر والثناء ولكنى اسقطت البيت من القصيد خوفا من قدح حاسد فلما وصلت بديعيتى الى نوع المواردة الجأت الضرورة الى نظمه فى سلك أنواعها وبيت المتنبى الذى حصلت المواردة به قوله

كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وبيت بديعيتى

كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها واردته فى سيوفهم

والترشيح ايضا هنا ظاهر فى قولى مسهدة والترشيح فى تورية المواردة بتسمية النوع وزيادة المعنى غير خاف على أهل الادب

(ذكر الايضاح)

لحم الذباب الميت فقال من اشتهاه طاطريا فيأكله هنيا مريا انا لا اعلم للسلطان فى مالى حاجة ولا للشيخ الرئيس فى خرق مجعة وأبو فلان به ما بى فلم لا يرحم شبابى والغلط الواقع فى ابن أبى اليقظان واحربا واليك اشكو لطرب اظن والله اجلى قد اقترب وبالله لاموت فى وقته خير من الحياة فى غير وقتها اللهم توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين رب العالمين

(وله اليه يعزيه عن بعض مستوراته)

كتابى ولا اخلال بفرض الخدمة ولا رغبة عن مشاركة ولى النعمة ان مأتم قوم فى الصدور اشد من مأتم آخرين فى الدور ان المصيبة لتشق من قوم ظاهر الجيوب ومن قوم باطن القلوب والغلايل

(الايضاح)

هذا

(هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم * في كل معترك من بطش ربهم)

هذا النوع أعني الايضاح هو أن يذكر المتكلم كلاما في ظاهره لبس فلا يفهم من أول وهلة حتى يوضحه في بقية كلامه كقول الشاعر

يذكرنيك الخير والشر كله * وقيل الخنى والحلم والعلم والجهل

فالقاك عن مكروهها متنزها * والقاك في محبوبها ولك الفضل

معنى البيت الاول ملتبس وماذاك الا انه يقتضي المدح والذم ولكنه أوضحه بقوله

فالقاك عن مكروهها متنزها * والقاك في محبوبها ولك الفضل

وقد يكون الايضاح في الوصف الذي لا يتعلق به مدح ولا هجاء وذلك أن يخبر المتكلم بخبر واحد عن شيء واحد يحصل فيه الاشكال فيوضح ذلك الاشكال بما يفهم منه كشف اللبس عن الحد الاول كقول ابن حيوس

ومقرطق يغني النديم بوجهه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه

فعل المدام ولونها ومذاقها * في مقلتيه ووجنتيه وريقه

فانه لو اقتصر على البيت الاول أشكل الامر من جهة الوجه فانه وان كان حسنا لا يغني النديم عن الخمر فازال اللبس في البيت الثاني وأوضحه وقد تقدم وتقرر الفرق بين الايضاح والتفسير وبيت الشيخ صفي الدين قوله

قادوا الشوازب كالاجبال حاملة * أمثالها ثابتة في كل مصطدم

العميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

للعمرو والشر ايضاحا به فبدا * أمر وعن ذا النهى حب نصحهم

والذي أقوله أن الشيخ عز الدين غفر الله له لم يتضح في بيته غير الاشكال وبيت بديعيتي تقدم قولي قبله في وصف الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بحسن الاتباع والصبر والاقدام الى أن قلت في الموارد

كأنما الهام أحداق مسهدة * ونومها واردته في سيوفهم

ثم اني قلت بعده في الايضاح

هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم * في كل معترك من بطش ربهم

الاطناب والمبالغة في وصف الصحابة رضي الله عنهم قد تقدم بالشجاعة التي هي فوق الوصف فلما قلت في هذا البيت ان مخافتهم تزداد ايضاحا في كل معترك ظهر اللبس فأوضحته بقولي من بطش ربهم والتورية بتسمية النوع الذي هو المطلوب هنا محاسنها لم تفتقر الى الايضاح والله الموفق

(ذكر التفريع)

(ما العود ان فاح نشرا أو شدا طربا * يوما بأطرب من تفريع وصفهم)

هذا النوع أعني التفريع وهو ضد التأصيل هو أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفي بما خاصة ثم يصف ذلك الاسم المنفي بأحسن أوصافه المناسبة للمقام اما في الحسن واما في القبح

ابراهيم بالذبيح اسمعيل وجد يفعل الافاعيل وان لم يكن للتراب على الرأس نفع ولليدين على الارض وقع ولكانما ان القعود على هذا الموقف أبلغ في الخدمة من القيام والسكوت عن هذا المصاب أفصح من الكلام حتى لقد يخف قوم وسفهت أحلام قال الفرزدق

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح
عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة
لو ان المنايا انسأته لياليا

فأثار هذا الشعر العجيب وأطار هذا اللفظ الغريب وطرب هذا التطريب وليم مع ذلك وعيب على أنه قال لم أنح عليه ولم أبعث البواكي وعزى المتنبي بالامير سيف الدولة عن بعض مستوراته فهدت في هناته وورث ابن الرومي أمه فنوقض بما نوقض

التفريع

ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك ثم يخبر عن ذلك الاسم بافعل التفضيل ثم يدخل من على المقصود بالمدح أو الذم أو غيرهما ويعلق المجرور بافعل التفضيل فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن وبين الاسم الداخل عليه ما النافية لان حرف النفي قد نفى الافضلية فتبقى المساواة بيان ذلك أن تقول ما الزهر اذا بكى الغمام فضحك بأحسن من أخلاق زيد فالمساواة بين الزهر والاخلاق ههنا ثابتة بالشروط المذكورة ومن الامثلة الشعرية قول الاعشى

ما روضة من رياض الحسن معشبة * غناء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الزهر منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها طيب رائحة * ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

وقد يجيء الفرع والاصل في بيت واحد كقول أبي تمام

ما ربع مية معمورا يطيف به * غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب
ولا الخدود وان أدمين من خجل * أشهى الى ناظري من خدها الترب

فذكر في البيت الاول الاصل والفرع وكذلك في البيت الثاني فالاصل هو الاسم المنفي مع ما ذكر من أوصافه والفرع هو أفعل التفضيل مع ما يتعلق به ويعجبني في هذا الباب قول ابراهيم بن سهل الاشبيلي من قصيد وهو

وما وجد أعرابية بان دارها * وحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
وان أوقدوا المصباح ظنوه بارقا * يحيي فهشت للسلام ورده
بأعظم من وجدي بموسى وانما * يرى أنني أذنبت ذنبا لوفده

ومن انشاء القاضي شهاب الدين محمود في هذا الباب قوله وما أم طفل قذفها الزمن العنيد في بعض البيد في أرض موحشة المسالك قليلة السالك قد لمع سرابها وتوقدت هضابها وصرخ بومها ونفر ظليمها وحضر سمومها وغاب نسيمها فلما خافت على ولدها من الظما الهلاك أجلسته الى جنب كثيب هنالك ثم ذهبت في طلب الماء للغلام لئلا يقضي عليه الاوام فانتهى بها المسير الى روضة وغدير وآثار مطي بوارك تدل على أن الطريق هنالك فعادت الى ولدها مسرعة وكل أعضائها اليه عيون متطلعة فلما أشرفت جنب الكثيب رأت ولدها في فم الذيب بأكثر مني حسرة وتلهفا * وأعظم مني حرقة وتأسفا

وأغزر دمعا عند ما قيل الى الذي * كلفت به أضحى على البعد مزمعا

وذكر صاحب الايضاح للتفريع قسما ثانيا لم يذكره غيره ولا نسج على منواله أصحاب البديعيات فألغيته أيضا والشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع اخترع قسما ثالثا ولكن وجدت هذا النوع الذي نحن بصدده أحلى في الاذواق وأوقع في القلوب وعلى سننه مشى أصحاب البديعيات وألغيت أيضا ما اخترعه ابن أبي الاصبع رحمه الله وبيت الشيخ صفي الدين الحلي على هذا النوع في وصف الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

وعورض بما عورض ثم سمعت من بعد انه أقيم المأتم وحضر العالم فخشيت أن انسب الى الاخلال وما أردت غير الاجلال ولقد جادلت الزمان في غير هذا الموقف حتى وقف الجدال أنشدته

ما الزمان وصرفه لا يتقي * الا العلا ومنازل الاشراف

فأنشدني

لا تعتبن على الزمان وصرفه * مادام يقنع منك بالاطراف

فقلت له

صرفان في أيام عام واحد * يا فرط ما أخذت به الاقدار

فقال لي

هل تنقمون على الليالي حكمها * لاسيما نذرت به الاعمار

فألزمته قولي

هلا سوى الاغصان ان يك آخذا * والفرع ان يك لا محالة فاعلا

فانفصل بقوله

ان الاشاء اذا أصاب مشذبا * منه أمغل زوا وأث أسافلا

ما روضة

ماروضة وشع الوسمى بردتها * يوما بأحسن من آثار سعيهم
والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله
ماالدوح تفريعه بالزهر متسق * نظما بأطيب من تعريف ذكرهم
وبيت بديعيتى أقول فيه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين
ماالعودان فاح نشرا أوشدا طربا * يوما بأطيب من تفريع وصفهم
هذا البيت فيه نوع التفريع الذى هو القصد هنا والتورية بتسميته والاستخدام ومراعاة النظير وفيه الانسجام والتمكين والله أعلم

(ذكر حسن النسق)

(من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم * من ذا يسابقهم فى حلبة الكرم)
هذا النوع أعنى حسن النسق ويسمى التنسيق من محاسن الكلام وهو أن يأتى المتكلم بالكلمات من النثر والابيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا مستهجنا وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية اذا أفردمنها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه كقول شرف الدين القيروانى
جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادرعت فلا تسأل عن الاسل
سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل
فالحظ حسن النسق وصحة هذا التركيب فيه واستيعاب هذا التقسيم ووضوح هذا التفسير ومنه قول أبى نواس
واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله فى الكاس
واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس
حسن النسق هنا الامرين بين فنين متضادين فى هذين البيتين وهما المجون والزهد حتى صارا كأنهما فن واحد وبيت الشيخ صفى الدين الحلى قوله
والذئب سلم والجنى أعلم والثعبان كلم والاموات فى الرحم
والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله
فالضيق أذهب والتوفيق سبب والتنسيق رتب فى تصديق حكمهم
وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضوان الله عليهم بقولى
من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم * من ذا يسابقهم فى حلبة الكرم

(ذكر التعديد)

(تعديد فضلهم يهدى لسامعه * علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم)
هذا النوع أعنى التعديد ذكره الامام فخر الدين الرازى وغيره وسماه قوم الاعداد وهو عبارة عن ايقاع أسماء منفردة على سياق واحد فان روعى فى ذلك ازدواج أو مطابقة أو تجنيس أو مقابلة فذلك الغاية فى حسن النسق مثاله قوله تعالى ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع

حسن النسق

ورحت بقولى
الدهر أدهى تعليما كان منفردا
وفى الثريا فريد الحسن مطرد
وقابل بقوله
ان يبق منفردا فالشمس منفرد
والسيف منفرد والليث منفرد
ولولم أهب الجبال وأخف الملال لقلت وقال أيد الله الشيخ الرئيس لوكان أحد دون أن يذكر بالله واحد فوق أن يذكر بالله لكنت وكان ولكنه بحمد الله ممن اذا ذكر بالله هضمته بنية العلم ولم تأخذه العزة بالاثم وأنا أذكره الله الذى خلقه من قبل ولم يك شيأ مذكورا ثم جعل جمرة العرب قبيلته ثم جعل أشرف تلك القبيلة فصيلته ثم اصطفاه من بينهم وفضله عليهم ثم جعل أبناء ملوك العجم خوله ثم أوطأ سادة العرب عقبه ان ينسى الكثير من نعم الله لقليل من بلائه

التعديد

ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ومن الامثلة الشعرية قول أبي الطيب المتنبي

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع قوله

يا خاتم الرسل يا من علمه علم * والعدل والفضل والايفاء والذمم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عز الدين في بديعيته قوله

تعديد أوصافهم في المدح يعجزنا * أهل التقى والنقا والجود والهمم

وبيت بديعيتي أنا مستقر فيه على مدح الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بقولي

تعديد أوصافهم يبدي لسامعه * علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم

(ذكر التعليل)

(نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا * لانه مر في آثار تربهم)

هذا النوع أعني التعليل هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة تتقدم على المعلول كقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فسبق الكتاب من الله تعالى علة النجاة من العذاب وكقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة فخوف المشقة على الامة هو علة في التخفيف عنهم من الامر بالسواك عند كل صلاة ومن أمثلته الشعرية قول البحتري

ولو لم تكن ساخطا لم أكن * اذم الزمان وأشكو الخطوبا

فوجود سخط الممدوح هو علة في شكوى الشاعر ومنه قول ابن هانئ الاندلسي

ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما صح عندي علة للتيمم

وفي رواية لما كنت أدري وعلى كلا الروايتين ففي الغلو قبح واساءة أدب كيف انه لم يدر علة التيمم الا بما ذكر وقد علمت صحة التيمم من نص الكتاب والسنة * ولقد أحسن ابن رشيق القيرواني في تعليل قوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا حيث قال

سألت الارض لم جعلت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا

فقالت غير ناطقة لاني * حويت لكل انسان حبيبا

فتخلص مما وقع فيه ابن هانئ لكونه سأل الارض عن العلة وتلطف في استخراج علة مناسبة لا حرج عليه في ايرادها وقد بينة تقدم المعلول على العلة في هذا الباب وعلى هذا المنوال نسج ابن رشيق وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التعليل قوله

لهم أسام سوام غير خافية * من أجلها صار يدعى الاسم بالعلم

وبيت العميان

لم تبرق السحب الا انها فرحت * اذ ظلته فأبدت حسن مبتسم

وبيت

التعليل

الله لا تزيده النعمة الا شكرا والمصيبة الا صبرا أو يضيق بترادف هاتين المصيبتين ذرعا ويسوء بالله ظنا أن السعيد من ورث أولاده وقدم أحبابه وأنا أرجو أن يكون أولنا للدنيا اصابه وآخرنا الى الآخرة اجابه وان يوصل ما أوتي من نعمة في العاجل بخير منه في الآجل

(وله اليه أيضا)

نعم العون على عزة الشيخ الرئيس دينه الابيض الناصع واسلامه الصادق النافع لقد عجمت عوده في أمرين منكرين فوجدته طيب المكسر فوالله لاقولن ما دام يسمع ولاذنن ما وجدته ينتصح عسى الله ان يوفقني قائلا ويوفقه قابلا هذا الذي يستخرج فعله الاحداث لو سمي بمال النثار أو بمال الخوان أو اسما آخر غير مال الاحداث كانت الحاجة بعدله والدين وافر قوي

وبيت الشيخ عز الدين قوله

تعليل طيب نسيم الروض حين سرى * بأنه نال بعضا من ثنائهم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن الصحابة

نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا * لانه مر في آثار تربهم

(ذكر التعطف)

(تعطف الخير كم أبدوا المذنبهم * والخير مازال في أبواب صفحهم)

التعطف شبيه بالترديد في اعادة اللفظة بعينها في البيت والفرق بينهما ان التعطف شرطه أن تكون احدى كلمتيه في مصراع والاخرى في مصراع آخر قلت وهذا النوع أيضا من الانواع التي تقدمت وقررت ان ليس تحتها كبير أمر وان رتبة البديع أعلى من هذه الانواع السافلة ولكن تقدم قولي ان القوم كلما طلبوا الكثرة تغالوا في الرخيص والشروع في المعارضة ملزم وقد استشهدوا على هذا النوع أعني التعطف بقول أبي الطيب المتنبي

فساق الي العرف غير مكدر * وسقت اليه المدح غير مذمم

وبيت الشيخ صفي الدين على هذا النوع الرخيص قوله

وصحب ممن لهم فخر اذا افتخروا * ما ان يقصر عن غايات فضلهم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

تعطفوا برضا أحبابهم وعلى * أعدائهم عطفوا بالصارم الخذم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضي الله عنهم بقولي

تعطف الخير كم أبدوا المذنبهم * والخير مازال في أبواب صفحهم

وقلت بعده مشيرا اليهم

(ذكر الاستتباع)

يحمون مستتبعين العفو ان ظفروا * ويحفظون وفاهم حفظ دينهم

الاستتباع هو استفعال من تتبع الرجل اذا اقتفى أثره وفي الاصطلاح هو أن يذكر الناظم أو الناثر معنى في مدح أو ذم أو غرض من أغراض الشعر فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن كقول أبي الطيب المتنبي

نهبت من الاعمار مالو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد

فانه مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لاصلاح الدنيا حيث جعلها مهناة بخلوده ومثله قوله

الى كم ترد الرسل فيما أتوا به * كانهم فيما وهبت ملام

فمدحه بالشجاعة ايماء والغرض رد الرسل عما أتوا به وصدهم عن مطلوبهم والتهاون بمرسلهم واستتبع في آخر البيت مدحه بالكرم لعصيان الملام في الهبات ويعجبني هنا قول أبي بكر الخوارزمي

سمح البديهة ليس يمسك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله

التعطف

والكفر صاغر قمئ ولكان المراد ترفع والاسلام سالم والشيطان راغم انه ليس المسؤل لم أخذت كالمسؤل لم كفرت وسأضرب مثلا ومثالا لما قدمت انه قضى الله أن لا ربا فقالت قريش ضاق علينا العيش فأمروا أن يشتروا ويبيعوا فقالت طائفة ان الذي أمرنا به كالذي نهينا عنه فأنزل الله سبحانه تسخيفا لكلامها وتسفيها لاحلامها قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا صدق الله وكذب القياس وأمر الله فليطع الناس انه ليس بين الحرام الموبق والحلال الطيب الا نظر المسلم لنفسه وهل بين الجنة والنار الا ايجاب من كلام أو جاز من صدقة أو صيام وهل بين الزنا والنكاح الا ما بين الربا والبيع المباح قول معروف يفتح رضوان الله وحسن مآب وتهاون يثمر لعنة الله ودارا

الاستتباع

فانه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع قوله

البا ذلو النفس بذل الزاد يوم قرى * والصائنو العرض صون الجار والحرم

وبيت العميان

تجري دماء الاعادي من سيوفهم * مثل المواهب تجري من كفوفهم

وبيت الشيخ عز الدين

يستتبعون ببذل العلم بذل ندى * ويحفظون المعالي حفظ عرضهم

وبيت بديعيتي

يحمون مستتبعين العفو ان ظفروا * ويحفظون وفاهم حفظ دينهم

(ذكر الطاعة والعصيان)

(طاعاتهم تقهر العصيان قدرهم * له العلو فجانسه بمدحهم)

هذا النوع أعني الطاعة والعصيان استنبطه أبو العلاء المعري في شرحه الذي سماه معجز أحمد عند تظره في شعر أبي الطيب وهو قوله

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

ومعناه الطاعة والعصيان وقال انما أراد أبو الطيب ان يقول يرد يدا عن ثوبها وهو مستيقظ بحيث تطمعه المطابقة في قافية البيت بقوله راقد فلم يطعه الوزن في ذلك ولما عصاه الوزن عدل الى لفظة قادر وجعلها مكان مستيقظ لما فيها من معنى اليقظة وزيادة فأطاعه التجنيس المقلوب بين قادر وراقد وعصته المطابقة بين راقد ومستيقظ فلم يخل بيته عن معنى بديعي وقيل ان هذا النوع لم يسمع له مثال قبل أبي العلاء ولا بعده في سائر كتب البديع لقلة وقوعه وتعذر اتفاقه وانما وقع للمتنبي نادرا قلت أنا تابع في هذا النوع مذهب علامة هذا العلم وهو الشيخ زكي الدين ابن أبي الاصبع تغمده الله برحمته ورضوانه فانه كشف عن وجه الاشكال وأرشد من كان متعلقا بحبال المحال فان القوم أضربوا عن هذا النوع وهو ظاهر لان الشيخ زكي الدين قال اضرابهم عن النظر فيه اما لحسن ظنهم بالمعري وموضعه من الادب واعتقادهم فيه العصمة من الخطا والسهو واما أن يكون مر عليهم ما مرّ عليه في هذا البيت اذ ليس في البيت شيء أطاع الشاعر ولا شيء عصاه ودليل ذلك قول المعري ان المتنبي أراد مستيقظا ليحصل بينها وبين لفظة راقد طباقا فعصته لفظة مستيقظ لامتناعها من الدخول في هذا الوزن وهذا محال لان المتنبي لو أراد أن يقول يرد يدا عن ثوبها وهو ساهر لحصل له غرضه من الطباق ولم يعصه الوزن وانما المتنبي قصد أن يكون في بيته طباق وجناس فعدل عن لفظة ساهر الى قادر لان القادر ساهر وزيادة وحصل بين راقد وقادر الطباق المعنوي وجناس العكس لان الطباق أنواع منه المعنوي كما ان الجناس أنواع منه العكس ومذهب المتنبي ترجيح المعاني على الالفاظ ولا سيما وبالعدول عن الطباق اللفظي حصل في البيت الطباق والجناس معا وما كان فيه الطباق والجناس معا أفضل مما ليس فيه سوى الطباق ولو عدل المتنبي الى ماذكره المعري لفاته هذا

الطاعة والعصيان

لها سبعة أبواب وهراة اليوم بحمد الله مدينة السلام وخطة الاسلام ودار السنة ومدارها ونار الهداية ومنارها ولو فسد الملح لفسد اللحم ولو وهن الرأس لوهن الجسم وانما الشيخ الرئيس امامها وقوامها ولا يتم صلاحها حتى يتم صلاحه ولا ينتظم صباحها حتى ينتظم صباحه وكما نيط بسلام الرأس سلامة الجسد كذلك نيط بصلاح الرئيس صلاح البلد وكل يسئل عما يفعل وهو أيده الله يسئل عما فعلوا وقد سمع وعيد الله على الحدود وأخذ الله على اليهود فيما آتاهم من كتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم أخذ على هذه الامة من العهود أوثق مما أخذ على اليهود وان المسلم لينبسط الى الفسق مغترا بعفو الله متسعا في حلم الله ولا ينبسط الى الكفر انها الحالة التي لا تقنعها المحاله والقاله التي

الفصل والله أعلم وقد ثبت من هذا البحث ان بيت المتنبي لا يصلح أن يكون شاهدا على هذا الباب لانه لم يعصه فيه شئ ولم يطعه غيره وكذلك بيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته وهو قوله

لهم تهلل وجه بالحياء كما * مقصوره مستهل من اكفهم

فانه ذكر فى شرحه أنه أراد الجناس بين الحياء والحيا ولما عصاه الوزن وتعذر التجنيس عدل الى لفظة مقصوره وهو ردف لفظة الحيا فأطاعه الجناس المعنوى باشارة ردفه اليه اهـ قلت والذى قرره الشيخ صفى الدين أيضا محال ولو قال

لهم تهلل وجه بالحياء كما * لنا الحيا مستهل من اكفهم

لحصل له ما أراد من الجناس وخلص من ثقل مقصوره وحصل لبيته طلاوة فى الاذواق وخلا من العقادة وتحقق المتأمل ان عصيان الوزن هنا محال وكذلك بيت الشيخ عز الدين وهو

أطاعه وعصاه المؤمنون ومن * ناواه اذ الفرق بين الانس والنعم

فانه ذكر فى شرحه انه أراد الطباق بين المؤمنين والكافرين فعصاه الوزن وتعذرت المطابقة فأتى بلفظة ناوى فأطاعته المطابقة وعصاه الوزن قلت والذى قرره الشيخ عز الدين أيضا ههنا محال ولو قال

أطاعه وعصاه المؤمنون وجشـ * ـع الكافرين ولم يحفل بجمعهم

لحصل له ما أراده من المطابقة بين المؤمنين والكافرين وخلص من ثقل ناوى وتجشم الانس والنعم التى زلزلت أركان بيته وأما قوله أطاعه وعصاه فهذه المطابقة تحصيل الحاصل لانهما تسمية النوع الذى هو المراد هنا وجل القصد ان عصيان الوزن فى بيت أبى الطيب وبيت الشيخ صفى الدين وبيت الشيخ عز الدين محال وبيت بديعيتى أقول فيه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

طاعاتهم نقهر العصيان قدرهم * له العلو فجانسه بعدهم

هذا البيت أردت أن أجانس فيه بين العلو والغلو فلم يطع فيهما الوزن فلما عصى ذلك عدلت الى لفظة جانسه فحصل الجناس المعنوى باشارة ردفه اليه فهذا البيت مشتمل على الطاعة والعصيان حقيقة فان الناظم أراد فيه جناس التصحيف فعصاه الوزن وأطاعه الجناس المعنوى والعصيان ما نظموه فى بديعيتهم والله أعلم

(ذكر المدح فى معرض الذم)

(فى معرض الذم ان رمت المديح فقل * لاعيب فيهم سوى اكرام وفدهم)

هذا النوع أعنى المدح فى معرض الذم من أنواع ابن المعتز وهو أن يتى بمقدم ثم يستثنى صفة مدح كقولك لاعيب فى زيد سوى أنه يكرم الضيف وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما ومن الشواهد الشعرية قول النابغة الذبيانى

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ومنه قول الشاعر

لا تسعها الافاق والمهواه التى لا يبلغها افواه ولا تدركها رحمة الله عزمة من عزمات الله أبرمها فى الكفار انهم من اصحاب النار ومعنى مال الاحداث اثمان الحدود وحدود الله لا تباع ورسوم الله لا تضاع فان قبل فالرشد أصاب والحق أجاب خار الله له الخيرة ووفقه لصالح القول والعمل

(وله اليه أيضا)

فيما الذى استرقنى الشيخ الرئيس حديثا لقد استحقنى قديما ولئن اشترانى طريفا لقد ملكنى تليدا ولقد أجله الله بين أعاديه فلا تناله يد أحد بسوء ومنهم شقى وسعيد فالسعيد من أغناه وعقبه بعده والشقى من أغناه وحده فاذا استاذن ذو فضيلة للعود الى بلده لم يرض بما سلف من انعامه حتى يتبعه بأضعافه ثم يأذن له فى انصرافه فاذا وصل الى

المدح فى معرض الذم

ولاعيب فيكم غير أن ضيوفكم * تعاب بنسيان الاحبة والوطن
ومنه أيضا قول الشاعر
ولاعيب في هذا الرشا غير أنه * له معطف لدن وخد منعم
وبيت الشيخ صفي الدين الحلي
لاعيب فيهم سوى أن النزيل بهم * يسلو عن الاهل والاوطان والحشم
وبيت العميان في بديعيتهم
لاعيب فيهم سوى أن لاترى لهم * ضيفا يجوع ولاجارا بهم تضم
قلت بين قول الشيخ صفي الدين عن الضيف انه يسلو عن الاهل والاوطان والحشم وبين قول العميان عن الضيف انه لايجوع بون بعيد وبيت الشيخ عز الدين
في معرض الذم ان رمت المديح فهم * لاعيب فيهم سوى الاعدام للنعم
وبيت بديعيتي
في معرض الذم ان رمت المديح فقل * لاعيب فيهم سوى اكرام وفدهم *
(ذكر البسط)
(هم معشر بسطوا جودا اسقاه حيا * فاخضر العيش في أكناف أرضهم)
هذا النوع أعني البسط من مستخرجات ابن أبي الاصبع و لبسط بخلاف الايجاز لكونه عبارة عن بسط الكلام لكن شروطه زيادة الفائدة كقول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة فقيل لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولنبيه ولائمة المسلمين وعامتهم فبسط هذه اللفظة الجامعة ليفرد الائمة بالذكر من جملة المسلمين ولم يكن الاقتصار على الائمة لاجل نقص المعنى ادغامه لايكون الابذكر عامة المسلمين فأتى بذلك البسط ليفيد تتميم المعنى بعد تخصيص من يجب تخصيصه بالذكر ومن الامثلة الشعرية المستحسنة على البسط قول البحتري في الخيري وهو المنثور الاصفر
قد نقض العاشقون ماصنع الـ * ـهجر بألوانهم على ورقه
فان حاصل هذا الكلام الاخبار بصفرة الخيري فبسط اللفظ الذي لو اقتصر عليه لما حصل به المراد لما في البسط من حسن ادماج الغزل في الوصف بغير لفظ التشبيه ولا قرينة اذ مفهوم اللفظ ان صفرة المنثور تشبه ألوان المهجورين وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته
سهل الخلائق سمح الكف باسطها * منزه قوله عن لاوان ولم
والعميان مانظموه في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته
ذو بسط كف وخلق زانه خلق * أثنى عليه اله العرش بالعظم
وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضي الله عنهم أجمعين
هم معشر بسطوا جودا اسقاه حيا * فاخضر العيش في أكناف أرضهم
(ذكر الاتساع)
(نور القبائل ذو النورين ثالثهم * والمعالي اتساع في عليهم)

البسط

الدرب فثم ناس تقعهم افراس وناس معهم لباس وناس معهم اكياس فاذا وصل الى المنزل الاول فهنالك رجال معهم جمال ورجال معهم بغال واخرون معهم حمير واعبد يدفعها كبير يرى انه وقع تقصير وان ماحمل يسير واذا وصل الى المنزل الثاني فالحمارة بنفيس من الاعلاق وألف خلقي للانفاق وكثير من المعاذير اشباه الدنانير وهلم جرا الى آخر المملكة في كل أرض يطؤها منحة تعلقه وهدية تلحقه هذه حال الظاعن فما حال القاطن ثم ان الجود أيسر خصاله هلم الى الدين المتين فوالله لقد مضت ليلة الرقود ولم يشعر بعضها وأتى النيروز ولم يحس باتيانه فأما المسكر وشربه والمسكر وقربه والعود وضربه والنرد ونصبه والشطرنج ولعبه فقد نزه الله هذه العتبة وطهر هذه الجنبة عنها وعمن يجالسها ويجانسها

الاتساع

هذا النوع أعني الاتساع يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظم فيه وبحسب ما تحتمل الفاظه من المعاني كقول امرئ القيس

اذا قامتا تضوع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فان هذا البيت اتسع النقد فى تأويله فمن قائل تضوع المسك منهما بنسيم الصبا ومن قائل تضوع المسك منهما تضوع نسيم الصبا ومن قائل تضوع المسك منهما بفتح الميم يعنى الجلد بنسيم الصبا وهو أضعف الوجوه والوجه الثانى مذهب ابن أبي الاصبع وهو أنور الوجوه ومن ذلك فواتح السور التى اقسم الله بها فانهم اتسعوا فى تأويلها ولم يترجح من ذلك الا أنها اسماء للسور وبيت الحلى فى بديعيته قوله

بيض المفارق لا عار يدنسهم * شم الانوف طوال الباع والامم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

بان اتساع المعانى فى الصحابة كالـ * ـفاروق ثم شهيد الدار ذى الحرم

وبيت بديعيتى أنا مستقر فيه على مدح الصحابة رضى الله عنهم اجمعين

نور القبائل ذو النورين ثالثهم * وللمعانى اتساع فى عليهم

(ذكر جمع المؤتلف والمختلف)

*(جمعت مؤتلفا بهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم)*

هذا النوع أعنى جمع المؤتلف والمختلف ذكر المؤلفون فيه أقوالا كثيرة غير سديدة ومثلوه بامثلة غير مطابقة ولم يحرره ويطابقه بالامثلة الصحيحة اللائقة غير الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع والذى تحرر عنده ان هذا النوع عبارة عن ان يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتى لاجل الترجيح بمعان تخالف معنى التسوية كقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فحصلت المساواة فى الحكم والعلم فساوى بينهما فى اهلية الحكم ثم رجح سليمان فقال ففهمناها سليمان ثم راعى حق الوالد فقال وكلا آتينا حكما وعلما فحصلت المساواة فى الحكم والعلم وكقول الخنساء فى أخيها وقد أرادت مساواته بأبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة مدح لا ينقص به حق الولد

جارى أباه فاقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الفخر
وهما وقد برزا كأنهما * صقران قد حطا على وكر
حتى اذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما * قال المجيب هناك لا أدرى
برقت صحيفة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

جمع المؤتلف والمختلف

وبلابسها وعارسها وأما الملك وحراسته والامر وسياسته والدولة واقبالها فكما عرف حالها وسارت أمثالها وأما البلدة فهى التى غيرتها الحراب والحروب وخربتها الخطاب والخطوب ولا فصل البقية مما مضى من تهنئة القاضى بالنصر الذى اتاحه الله للمسلمين فقد علم اى حق حق وأى باطل زهق وأى خيل كشفت اى خيل بل اى نهار فضح اى ليل وأى قطر سيق الى اى قفر واى مغوثة ادركت اى لوثة وأى ماء أهدى الى ظماء فانسحبت الرياح نوضح فالمقراة كما نسجت السمو ريه هراة فالحمد لله الذى أراح وسكن تلك الرياح واستفى من السلطان الكبير من اذا

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي رحمه الله في بديعيته قوله

هم هم في جميع الفضل ما عدموا * سوى الا ٓخا ونقص الذكر والرحم

قلت الحلي اساء الادب في نظم هذا البيت وكان يجب ان يؤدب على نظمه فانه بخس فيه حق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب في الثلاثة التي استثناها وقال ان الصحابة رضي الله عنهم عدموها وقوله هم هم في جميع الفضل لا يفهم منه مدح لانه سلبهم الفضل في الشطر الثاني من البيت ولهذا قال الشيخ عز الدين في بديعيته مشيرا الى هذا البيت

هم هم في جميع الفضل ما عدموا * ما قاله الرافضي النذل في الكلم

وعلى هذا الترتيب الفاسد فما اجتمع في بيت الصفي غير المختلف لان المؤتلف عنه بمعزل والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

جمع لمؤتلف فيهم ومختلف * في العلم والحلم مع تقديم ذي قدم

وبيت بديعيتي يجب ان لا يستشهد على هذا النوع بغيره فاني قلت فيه عن الصحابة رضي الله عنهم

جمعت مؤتلفا فيهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

(ذكر التعريض)

*(تعريض مدح أبي بكر بقدمني * في سبق حليهم مع موصليهم)*

هذا النوع أعني التعريض نوع لطيف في بابه وهو عبارة عن ان يكني المتكلم بشيء عن آخر لا يصرح به ليأخذه السامع لنفسه ويعلم المقصود منه كقول القائل ما أقبح البخل فيعلم انك أردت ان تقول له أنت بخيل وكقول بعضهم للا ٓخر لم تكن أمي زانية يعرض بان أمه زانية والتعريض نوع من الكناية ومن امثلته الشعرية قول الحجاج يعرض بمن تقدمه من الامراء

لست براعي ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

والشواهد على هذا النوع كثيرة ولكن أردت أن أجعل العمدة فيه على بيتي المنتظم في سلك بديعيتي فانه من الامثلة البديعة وليس في هذا النوع له مثال ولكن نبدأ ببيت الشيخ صفي الدين رحمه الله لاجل الترتيب وهو

ومن أبى ساجدا لله ساعته * ولم يكن ساجدا في العمر للصنم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله قوله

تطويل تعريض شانيهم يعظمهم * والرفض أقبح شيء موجب الاضم

وبيتي الذي اطنبت في وصفه هو قولي بعد

جمعت مؤتلفا فيه ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

تعريض مدح أبي بكر بقدمني * في سبق حليهم مع موصليهم

(ذكر الترصيع)

*(نعم ترصع شعري واعتلت هممي * وكم ترفع قدري وانجلت غممي)*

هذا

التعريض

اعتل قد واذا اعترض قط ومن الامير العادل من اذا شاء رفع واذا شاء حط هنيئا لتلك الديار نيل الخبار ولكتب القاضي موقع من قلبي لطيف وشعب من نفسي فارغ فلم لا يسرني بها والسلام

(وله أيضا)

ليس الشوق اليك يا سيدي بشوق انما هو النار تطيش وتطير والسم يسري ويسير واليست أياديك عندي بأياد هذه في واد وتلك في واد وهن أطواق الحمام وقلائد لكنهن من العظام وليس تقصيري عنها بتقصير لكنه حياء من مقابلتها بغير كفئها وهيهات ليس التخلق في المكرمات بخلق وقد حملت شيخي ابا فلان رسالة تهنى اليها حتى يأتيك كتابي

الترصيع

هذا النوع أعني الترصيع هو عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت او فقرة النثر بلفظة على وزنها او رويها وهو مأخوذ من مقابلة ترصيع العقد ومن أمثلته الشريفة في الكتاب العزيز قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ومثله قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريري في المقامات يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وان كان مع الترصيع زيادة بديع كطباق أو مقابلة أو جناس كان ذلك زيادة حسنة ومن أمثلته الشعرية قول أبي فراس

وافعالنا للراغبين كرامة * وأموالنا للطالبين نهاب

ومنه قول الشاعر

فيا يومها كم من مناف منافق * ويا ليلها كم من مواف موافق

والمبرز في هذا النوع هو الذي يخلي نظم بيته من الحشو والحشو فيه عبارة عن تكرار الالفاظ التي ليست من الترصيع بحيث لا يأتي في صدر بيته بلفظة الا ولها أخت تقابلها في العجز حتى في العروض والضرب كقول ابن النبيه

فحريق جمرة سيفه للمعتدي * ورحيق خمرة سيبه للمعتفي

فهذا البيت وقع الترصيع في جميع ألفاظه فان المقابلة فيه حاصلة بين حريق ورحيق وبين جمرة وخمرة وبين سيفه وسيبه وبين المعتدي والمعتفي وأبو فراس بيته خال من ترصيع العروض والضرب والشاهد الثاني كرر فيه ناظمه حرف النداء فدخل عليه الحشو وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في الترصيع قوله

من حاسر بغرار العضب ملتحف * وسافر بغبار الحرب ملتثم

صفي الدين فانه في هذا البيت ترصيع العروض والضرب وقد تسامحوا فيهما ولكن الغاية ما قررته في نظم هذا النوع وايضا فان الشيخ صفي الدين غير عاجز عن ذلك فانه أتى في بيته بالحشو مع عدم ترصيع العروض والضرب وناهيك ان العميان تبصر واله ونظموه في بديعيتهم وهو

فهجر ربعي لذاك الربع مغتنمي * ونثر جمعي لذاك الجمع معتصمي

هذا البيت استشهد به العميان على الترصيع الواقع في جميع ألفاظ البيت ولكن ذاك في مقابلة ذاك اعتذر عنهما الشيخ شهاب الدين أبو جعفر الشارح وقال ان معناهما مختلف فان الاشارة الاولى للربع والثانية للجمع وعلى كل تقدير فالنظر فيهما مجال وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

كم رصعوا كلما من در لفظهم * كم ابدعوا حكما في سر علمهم

الشيخ عز الدين رصع حتى في العروض والضرب ولكن كرر في بيته لفظة كم ودخل عليه الحشو وهو من وفي والكمال لله وبيت بديعيتي أقول فيه بعد قولي في بيت التعريض

نم ترصع شذري واعتلت هممي * وكم ترفع قدري وانجلت غممي

التنبيه على محاسن هذا البيت كالتنبيه على محاسن بيت ابن النبيه فان ناظمه وفى حقوق هذا النوع في نظمه وأما الجماعة المذكورون معه فما منهم الا من بخسه بعض حقه لما أدخله

على اثرها وعلى ابي فلان سلام يصحبه شوق يضم الجوانح هضما ويبري لها وعظما ويا كلني خضما وقضما وانفثه نثرا ونظما وانا في عهدة قصيدته الغراء واياديه الغر وكأن قد والسلام

وله الى صديق جواب كتاب ورد منه يذكر وصوله اليه يوم العيد

كتابي يا سيدي كتاب من لا همة له الا قربك ولا غاية له الا حديثك فخرج عليك وحرام لا يحله الا الوفاء ان تقيم ساعة تطرك فيه او تعرج على شئ دون التاهب للخروج وحبذا العزم الذي نبهك الله واسعدني به ومرحبا بيوم لقائك وياشوقاه الى وجهك ولي بقربك عيدان ونعم الموعد العيد الا انه بعيد والمراحل أقل من الايام فلو تفضلت واختصرتها وساءني ما ذكرت في كتابك من الارتياد لميلك بادية والله اني استبعدك وأنت معي في ازار فكيف في دار

في بيته وقد تميز بيتي على بيت ابن النبيه أيضا في ترصيع نظمه بزيادة جوهرتين فاني قابلت فيه خمسة بخمسة وابن النبيه وبقية القوم قابلوا أربعة بأربعة والزيادة على ابن النبيه أيضا في تسمية النوع الذي هو الترصيع ولعمري انهما تورية ما رصع في العقود نظيرها وهذا البيت مشتمل على الترصيع والتورية والجناس اللاحق واللزوم والتمكين والترصيع والموازنة ومراعاة النظير والسهولة والانسجام والله أعلم

(ذكر السجع)

*(سجعي ومنتظمي قد أظهرا حكمي * وصرت كالعلم في العرب والعجم)*

السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال في فواصل القرآن اسجاع أولا فمنهم من منعه ومنهم من أجازه والذي منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل وليس لنا أن نتجاوز ذلك والسجع ينقسم أربعة أقسام المطرف والموازي والمشطر والمرصع القسم الاول المطرف وعلى منواله نسج نظام البديعيات وهو ان يأتي المتكلم في أجزاء كلامه أو في بعضها باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون روي الاسجاع روي القافية كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا وكقولهم جنابه محط الرحال ومخيم الآمال ومن الامثلة الشعرية قول أبي تمام

تجلى به رشدي وأثرت به يدي * وفاض به ثمدي وأورى به زندي

الثاني الموازي وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي كقوله تعالى سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ومنه قول الحريري في المقامات ألجأني حكم دهر قاسط الى ان انتجع أرض واسط وقوله وأودى بي الناطق والصامت ورثى لي الحاسد والشامت ومن أمثلته الشعرية قول أبي الطيب المتنبي

فنحن في جذل والروم في وجل * والبر في شغل والبحر في خجل

القسم الثالث المشطر وهو ان يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الاخير وهذا القسم مختص بالنظم كقول أبي تمام

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب في الله مرتقب

الرابع المرصع وقد تقدم الكلام عليه قلت واذ كنت منشئ ديوان الانشاء الشريف انشأت جميع ما يحتاجون اليه من الفوائد التي أخذتها عن علماء هذا الفن فان قصر الفقرات يدل على قوة المنشئ وأقل ما يكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر وامثال ذلك كثيرة في القرآن العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر وكان بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كأن راكبه في مهد يلطم الارض بزبر وينزل من السماء بخبر لكن قالوا التذاذ السامع بما زاد على ذلك اكثر لتشوقه الى ما يرد منه متزايدا على سمعه وأما الفقر المختلفة فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة وان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوي القرينتين الاوليين وان تزادت الثالثة على الاولى يسيرا والثالثة على

الثانية

السجع

وفي دار فكيف في جوار وهذه الحضرة من ضيق المنازل وعوزها وعزتها على غاية لا يمكن عليها مزيد ولا أعرف لك مسكنا تأوي به أوفق بك ولا أرفق بي من صدري ولا غرفة أولى بك وأخبأ لك من صدقي وما ضاقت دار لمتحابين وأنا في حجرة تسعنا وفيها مربط للدواب واليها الهجرة وعليها النزول وأما الشيخ الذي وصفت حاله وتوسله بكتاب سيدي فلان فاهلا به على ان الوسيلة الاولى لا تقصر عن الثانية فليرد مستجيرا بالله متوكلا عليه والله المعين على ما يخرج من عهدة وسيلته وهو حسبي ونعم الوكيل

(وله أيضا)

كتابي عن سلامة لولا ما ينغصها من فراقك وعافية لو متعت بلقائك يكاد كتابك يرويني ان عطشت ويغذوني

الثانية فلا باس ولا يكون أكثر من المثل ولا بد من الزيادة فى آخر القرائن مثاله فى القرينتين وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ اذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فالثانية أطول من الاولى ومثاله فى الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ومن قواعد الانشاء أن تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها فى المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى كان معيبا كقول الصاحب بن عباد يصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وباصلابهم نحورهم فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور ومنه قول الصابي يسافر رأيه وهو لا يبرح ويسير وهو ثاو لا ينزح ويبرح وينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك ومن فوائد الانشاء التى يطول بها باع المنشئ ان السجع مبنى على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض ان يجانس المنشئ بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق ذلك المجال على قاصده الا ترى انهم لو بينوا الاعراب مثل قولك ما ابعد ما فات وما أقرب ما هو آت للزم ان تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض الاتفاق ومن ذلك ان السجع مبنى على التغيير فيجوز ان تغير لفظة الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما لا يجوز فيها حالة الانفراد فمن ذلك الامالة فقد يكون فى الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو فتمال التى هى من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لاجل الموافقة نحو قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى اميلت والضحى وكتبت بالياء حملا على ما هى من ذوات الياء لاجل الموافقة وكذلك والشمس وضحاها اميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ما هى من ذوات الياء ومن ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى الاصل وما قلاك حذفت الكاف لتوافق الفواصل ومن ذلك صرف ما لا ينصرف كقوله تعالى قواريرا قواريرا صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الكريمة ولو تتبع المتأمل ذلك فى الكتاب العزيز لوجده كثيرا ومما جاء من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعيذه من الهامة والسامه ومن كل عين لامه والاصل عين ملمة لانه من ألم ولكنه لاجل الموافقة قيل لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ارجعن مأزورات غير مأجورات الاصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن ليوافق مأجورات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم الاصل ما وادعوكم ولكن حذف الالف ليحصل الاتفاق مع تركوكم وسمعت ان بعض علماء الانشاء صنع مؤلفا فى أحكام الفواصل ومن ذلك ان المراد من علم الانشاء البلاغة فى المقاصد والبلاغة هى ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ فيقال لفظ فصيح ومعنى بليغ والفصاحة خاصة تقع فى المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة وأنت تريد

ما عشت لا اذكر معه شغلا وان اهم وكانى اتأمل من سطوره صفحات صدرك واعلم ان مصدره عن صدر زجاجى الطبع باطنه كظاهره اما ما ذكرته من حديث اقامتى وظعنى فالمقام ما اقام الشتاء والظعن اذا ساعد القضاء واما انصراف القوم الى نيسابور فليس بصواب انى اذا أحسست من الهواء بطيب راحل نحوهم لا محالة ان شاء الله واما ما وصفت من انفاذ ما انفذت وابتياع ما ابتعت فما زدتنى علما بما عرفت انى اذا شككت فى الشمس ضحوة نهار لم اشك فى فضلك واما أبو فلان فلو عرف ما يجرى له فى هذه الديار لاقر عينا ولو نشط فألم كان خيرا وأما حديث أبى فلان فقد اخبرته وذكران أصحاب الجمال قبضوا ما لهم من

المفرد فانه يقال للقصيد كلمة كما قالوا كلمة لبيد ففصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة للكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا في وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ ٭ فن الانشاء ٭ الفصيح البليغ قول ابن عباد وقد قيل له ما أحسن السجع فقال ما خف على السمع فقيل مثل ماذا قال مثل هذا ومنه ما كتب به عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فانتبهوا ربما تنجلي به هذه الغمره وتصحو هذه السكره فينضب السيل وتمحى آية الليل ومنه قول أبي نصر العتبي دب الفشل في تضاعيف احشائهم وسرى الوشل في تفاريق اعضائهم فجيوب الاقطار عنهم مزروره وذيول الخذلان عليهم مجروره ومنه قول الصابي نزغ به شيطانه وامتدت في الغي أشطانه ومنه قول بديع الزمان كتابي الى الهجر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره ومنه قول القاضي الفاضل رحمه الله ووافينا قلعة نجم وهي نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمامة عمامه وانملة اذا خضبها ابدى الاصيل كان الهلال لها قلامه ويعجبني في هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله في وصف مقدم سرية لا زال في مقاصده أخف من وطأة ضيف وفي مطالبه أخفى من زورة طيف وفي تنقله أسرع من سحابة صيف وأروع للعدا من سله سيف ومثله في الحسن قوله في صدر مثال شريف سلطاني اصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والسيوف قد اضرمت الحمية الدين نار غضبها وعداها حر الاشفاق على ثغور المسلمين فاعرضت عن برد الثغور وطيب شنبها والحماة ما منهم الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال ما فيهم من يسأل عن عدد العدو بل عن مكانه قلت ما أوردت كثيرا من الانشاء ههنا الا لان يطيب للمتأمل تنقله من شطوط الحرور الى التنزه في رياض المنثور فمن ذلك ما انشأته في تقليد مولانا المقر الاشرف المرحومي القاضوي الناصري محمد بن البارزي الشافعي بصحابة دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة وهو قولي وقد أوصلناه الى رتبة استحقاقه من رتب المعالي ورقيناه الى درجات الكمال علما ان الكمال ما خرج عن بيته العالي فانه المنشئ الذي ما للصاحب دخول الى ديوانه ولا لابن عبد الظاهر بلاغته وقوة سلطانه ولا للشهاب محمود ان يباهي كماله في طارفه وتليده ولا للقاضي الفاضل شرف البارزي وتمييزه ولو بالغ في كثرة شهوده ما نثرت كمام طرسه زهرة الاوراق الا ذبول زهر المنثور ولا قرع أبواب المصطلح الا فتحت ودخل بيتها بغير دستور ولا تسنم منبر الأجياد بالفاظ كان مزاجها من تسنيم وقالت البلغاء الفصاحة المحمدية ما ثم الا الرضا والتسليم ومنه ما أنشأته في تقليد ولده وهو مولانا المقر الاشرف الكمالي عظم الله شأنه بصحابة دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة وهو قولي فانه من البيت الذي وهبه الله شرف العلم ورحم منه كل ميت فقل لكل من مشايخ الاسلام ناشدتك الله هل تنكر هبة الله لهذا البيت فلملتقى

الحال فان رأى الصواب ان يخرج فالامر اليه ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

وصلت كتبك بما شرحته من حالك وقصصته من حديثك وقلنا لو غشى ذات حمل لوضعت ويوما تذهل كل مرضعة عما ارضعت وقد شاهدت نيسابور يوم غضب السلطان وتوظيفه على الديار ووجوه التجار مائتي ألف دينار كيف طارت العقول من ذلك الحديث وزاغت العيون وطاشت القلوب وحشرجت النفوس هذا ولم يتجاوز القول الى الفعل ولم يتعد الوعيد الى الايقاع فما ظنك بثلثمائة ألف دينار توجه وجوهها في ثلاثة أيام ثم تحصل عن آخرها بمقام فلم يكن عرض تلك الحال في تلك الاهوال ولعمري ما انت فيما آتي

ان امامكم الاعظم أول من راعى حقوقه و بادر الى رفع مثاله وشرع فى رفع قواعده وتشييد
كماله واهم هذا الفرع الذى زكت أصوله وسقيناه ماء القرب فاثمر وقد انبته الله نباتا حسنا
والنبات الحموى حسنه لا يشكر غاب نيره الاكبر فابدر بعده وهذا البدر فى كماله ما أبهاه
ولجأ الى الله ثم الينا فزاده الله كمالا وعلمنا ان الكمال لله وسلكناه فى حياة والده فكان لمشيختنا
الشريفة نعم المريد وأخذ عنا الادب فجاد نظمه وها هو فى البيوت البارزية بيت القصيد
والكتابة دون كماله ومحاسنه تجل أن تقابل بمثال وان كان الكمال زها بحاشيته
فحاشيتنا زهت بهذا الكمال وكان والده عقدا فرط فيه الزمان ولكن استدرك فارطه
وقد نظمناه فى عقد سلكنا الشريف الى أن صار به نعم الواسطه وامتدت ألسن الاقلام الى
ثغور المحابر فقبلتها وانشرحت صدور الاوراق وعاق فيها عنابر سطور فحملتها وقالت لمن
أقلامه اهلا بالعربيات التى ليس لها الا الايدى الجهينية غرر ومرحبا بعد النوبة بقهوة
الانشاء فان شباب الزمان قد عاد وزهر المنثور قد زهر وجاء الامام الذى ان كتب تقليدا
قالت البلغاء هذا الامام الذى يجب تقليده وهذا هو الخليفة على السر الشريف وأمينه
ومأمونه ورشيده ان تحمس فى انشائه قال الجبان لا أقعد الجبن عن الهيجا أو استطرد
الى وصف روض ممرج زاد هرجا ومرجا أو ترسل غراميا فاحديقة زهير عند زهر منثوره
أو كتب عنا تهديدا سال جامد الصخر ولو سمعت الجوزاء حديثه لسقطت مع الحصى عند خريره
فانه المنشئ الذى ما اعتقل رمح قلمه بيمينه وهزه هزه الا قال كل منشئ دخلت اصبع قلمى من
دواتى تحت رزه ولا حول من دوح أقلامه فرعا الا تساقط بين الاوراق ثمرات شهيه فلو
ادركها الصاحب اقدمها وأخر الفواكه البدريه ولو ناسبه الفتح لقابله المؤمنون بالقتال
وكان والده قد اعترف بكماله وهذا التقليد لثبوت ذلك الاعتراف اسجال فانه الامين
الذى ان تصرف فى مزروعتنا الشريفة فقد ثبت ان توثيق العرا لبيته العالى أو أملى فى
دواتنا الشريف كانت اماليه أمالى المحب لا أمالى القالى ولولا خشية الاطالة لاوردت
هذا التقليد الشريف بكماله لانه فى صناعة الانشاء لنسيج وحده * ومنه ما أنشأته عن
مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه من غيث الرحمة جوابا عن مكاتبة الملك الناصر
صاحب اليمن وهو لا زال جناس مجده سعيد الحركة بين اليمن واليمن وسيفه اليمانى لم يرض
بمجانسة سيف ابن ذى يزن والامة باجمعها تهنأ بجنات عدن فى عدن ولا برحت صنائعه
بصنعاء محبرة حتى فى سطور الطروس وأقلام الثناء سود اللمم بمدحه ولو تركت لاعتراها
شيب الرؤس وتحياته المكرمة مخصوصة منا بشرف التسليم وبدور مودته سافرة فى
ليالى سطورها بين يدى التكميل والتتميم أصدرناها وشاهد المودة قد وضع رسم شهادته
وكتب واثبت مقدمات الاخلاص فحكم له قاضى المحبة بالموجب وأودعناها من
السلام ما تعمه رحمة الله وبركاته ومن طيب الثناء ما يتأرج بين أدراج ذلك المندل الرطب
نفحاته ومن خالص المودة ما يضم به بعد حسن المخلص من طيب اعترافه حسن الختام
ومن سجعات الاشواق كل مصونة ليس لها غير سواد النقس لثام ونبدى لعلمه ورود المثال
العالى بتطيب تلك المعادن التى ودّ النسيم أن يقيدها ويقتبس ولقد رافقها الا كتاب

بحازم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال سيد
الشهداء يوم القيامة حمزة
ابن عبد المطلب ورجل قام
الى أمير جائر فامره ونهاه
أفتريد ان تكون سهيم حمزة
فى الشهادة وقسيمه فى
السيادة وانت تألم الضرب
وتكره القيد وتعاف
الغل وتخاف الذل
وتعاشر الناس ويعجبك
ان تناط بك الآمال كلا
وان كنت مشفقا على
نفسك فقف عند مقدارك
انما ذلك لمن ودع اهله وخرج
من بيته مستعدا للموت
ليشرب كاسه والسيف
بيده ورأسه فان سلم فنادر
يؤرخ حديثه وان قتل
فشهيد تقسم مواريثه
وانما ترك الامر بالمعروف
لهذه الحروف والصواب
أن لا يطلب هذا الثواب
والجواب أن لا يغادر هذا
الباب انما ينبغى هذا الامر

اللطيف ولكن سرق من طيب عرفها وتكلم بنفس فأكرم به مثالا أرانا خفر الملك على كل قرينة لها من حجب البلاغة ستور وخدامها من سود سطورها وبيض طروسها عنبر وكافور وردحف الصفا صقيلة فتمثل فيها وأظهر من أوراقه ثمرات المودة ونحن نيد القبول نجنيها وقدم من ذلك الحرم الاحمدى فكان أكرم وافد قوبل منا بالاكرام وفتح أبواب الدخول الى السلام فسلمنا وقلنا لخواصنا ادخلوها بسلام ولقد غلنا بكاس انشائه وهو بحضرتنا الشريفة دائر وعلمنا ان هذا الانشاء لا يصدر الا من فاضل والافاضل لا ينسب الا الى الناصر وتغزلنا فى محاسنه بحيرة اليمن بعد تغزلنا بحيرة العلم وراعنا تحمس بلاغته فقلنا هذا لا يصدر الا من رب سيف وقلم وود كل دوح أن يملأ طروس اوراقه بريحان سطوره وتطفل كل روض أريض عندورده على زهر منثوره وقالت فصاحته وتلك البلاغة التى جاءت بسحر البيان هل بقى لنا بصدق المحبة فقال لهما القاب قضى الامر الذى فيه تستفتيان فهذا نفس طيب عرفنا معدن طيبه فلم نقل من أين وهذه سلافة انشاء دارت سلطانياتها فانشأت أهل الخافقين وهذا مصر صدقت عزائمه فى العطف والقبول بين الملكين وابطل هذا السحر الحلال ما حرم ببابل من سحر الملكين واشتمل على نظم ونثر رأينا شعار السلطنة عليهما عيانا كان البلاغة قالت لهما قد جعل لكما سلطانا فيا له من مثال تدرع زرد ميماته فقلنا الا طعن فيك لطاعن وتشرع طباق بديعه فكانت على أكناف النيل من أثره مساكن وأطرب بانفاس علمنا أنها من يراع ما برح بالسعادة موصولا وطاف فى حضرتنا الشريفة بكاس يمانية كان مزاجها زنجبيلا ولقد أكثر هذا المقال فى كتابه المبين من ايناس الخطاب وقضت به الوحشة أجلها فقلنا لكل أجل كتاب وهذا الجواب أيضا ولولا خشية الاطالة لاستوعبته بكماله فان اليمن ما دخل اليها من الديار المصرية نظيره والله أعلم * ومنه ما أنشأته عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه جوابا عن مكاتبة وردت من صاحب تونس وهو المتوكل على الله أبو فارس عبد العزيز رحمه الله وهو لازالت سيوف عزائمه فى الجهاد ماضية الضرب ولا برح جوده واقدامه متطابقين فى السلم والحرب نخصه بسلام هو لنا وللشوق برد وسلام وسقاية وداد ماء زمزم تسنيم قبولها الا تعالى ذلك المقام وتحيات تنطق بها عند مواظبة الخمس ألسنة الاقلام وثناء يقلد بخالص عقوده جيد الزمان ويغنى قلائد العقيان ومحبة يقسم صدقها فى ذلك الافق الغربى ويشمس وتزيل وحشة من سلا عن غيرها فى المغرب وتونس (منها) واستطردت مفاوضتكم الى الوصية بحاج المغرب فبادرنا الى قبول ذلك فان هذا قد يتبرك من الخب السائرة به بالمبارك وقد اعددناه مصحوبا بالسلامة وحداته تطرب بنغمة الحجاز به وتهيم اشتياقا عند تشبيبها بذكر الطلعة المتوكلية واعدنا جواب ذلك على يد رسولكم الذى لم يقابل منا بغير القبول ليكون خالص ودنا متمسكا بالكتاب والرسول * ومنه ما كتبته جوابا عن مكاتبة وردت من الجناب العالى الناصرى محمد بن أبى يزيد بن عثمان وهو لازالت تحياته مخصوصة منا بشرف التسليم وسيرة العثمانى محفوظا فى بيعة المودة بالتقديم وشعراء الاخلاص فى كل بيت من معانى محبتهم يهيم وفرائض

لمن يصاب الجرو يولى الرمح عرضا ويقول وعجلت اليك رب لترضى ما أعرف مقاما أخلق بالمثار واقرب من الثار والتراب المثار من المقام الذى يقومه فى المرام الذى يرومه ولا يغرنك منشور الخلفة وذكر المسلمين فى الصحيفة ان كتاب الله حرم ذلك المنشور وليس بين الاخماس والعشور الا تقوية يد الآمر بالمعروف واغاثة الملهوف وقد نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وان كنت تريد صلاح دنياك فانا أعبر رؤياك ان الآمر بالمعروف اذا قصد جاها يعرض اومالا يكثر اوصيتا يبعد وقتل دون امره حبط عمله وخاب امله وان أراد الآخرة وشاب بها اشياء مما عددت ونبذا مما ذكرت كتب فى المشركين وانا انشدك الله فى نفسك انها عليك عزيزة واليك حبيبة وفى مالك انك اخرجته من لهوات الاسود وجمعته

الجهاد بسيوفه المسنونة فى كل وقت تقام وبلاده الاسلامية محروسة بالجناب المحمدى عليه السلام وهمزات عواملها بصدور الكفار موصولة وألسن سيوفه بثغور بلادهم من رشف أرياق دمائهم مبلولة ولا برح يجاهد فى سبيل الله برا ويتخذ فى البحر سبيله فانه من الذى علا بمجده مقامه وانسجم بالخلف العثمانى نظامه واقتدى بمشيختنا المؤيدية والنجم فى هذا الاقتداء له شريك وساعدته تورية السعادة لما تمسك بقول من قال ولابد من شيخ يريك ولم يبق بعد الاقتداء بهذه المشيخة الا الفتوحات المقبولة والمشاركة فى القبول على ما يرضى الله ورسوله صدرت هذه المفاوضة الى الجناب المحمدى تتأرج بطيب السلام عليه وتنسم نسمات القبول من أخبارها الطيبة ما تنقله اليه وجعلناها ثناء أطلقنا عنان كميت القلم وهو غرة فى جبهته وتوجهت رؤس الاقلام قبل ركوعها الى قبلته (ومن الانشاء الملوكى ما أطلق به فصيح القلم لسانه وخضر الشباب على عوارض نفسه ومحاسن صدماته وقال الفاضل الناصر هذا الانشاء الذى ماخرس لسان قلمه ولاشابت لمة دواته) ونبدى لعلمه الكريم ورود ما أهداه من ثمرات المودة يانعا فى أوراقه مختالا فى شعار الاخلاص فعلمنا انه عنوان لعهده وميثاقه وقد اتحف من نبات الايناس ماغرس باكناف النيل فحلا نباته ودنت قطوف انسه وظهر فى فروع المحبة ثمراته فاقتطفنا زهرا المنثور من رياضه عند الورود وتغزلنا فى رقم سطوره على بياض طروسه بين العوارض والخدود وطالعنا مجموع محاسنه الذى لم ينس فعلمنا انه للملوك تذكرة وتبصرنا فيما أدهش من حكمه فرأينا المدهش فى التبصرة وقلنا هذه لمعة لو أدركها السراج لقصر لسانه وقال سراج الملوك حرمته قوية أو القاضى السعيد لقال ما لسناء الملك بهجة عند هذه الانوار المحمدية (منها) وقد تيقظت عيون عزمنا الشريف للجهاد وعن قريب تهجر مقل السيوف أجفانها وتجرد لقتال المشركين وقد تكفل لها النصر بايه تأييد سلطانها واذا قدحت سيوف الدولتين فى عباب البحر على الكفار نارا قال لسان النصر لاتذر على الارض من الكافرين ديارا (ومن انشاء الفاضل عن الناصر هنا ما يحسن ان يشنف به سمعه الكريم فانه عن أبى الفتوحات الذى مشى على هذا الصراط المستقيم) وهو اذا كان الله قد أعطانا البلاد وهى آلة المقيم الراتب وأعطاهم المراكب وهى آلة الظاعن الهارب فقد علمنا لمن عقبى الدار ومن سنة الله تعالى انتقال قوم نوح من الماء الى النار فالجناب يوطن نفسه على حسن المآل فى الحالين ويعلم انه من المكرمين فى الدارين وقد تلمظت ألسن سيوفنا شوقا لحلاوة نصره وتحركت عيدان رماحنا طربا عند سماع ذكره ونفضت جوارح سهامنا ريش اجنحتها لاقتناص تلك الغربان وهامت فرساننا المؤيدية الى منازل الاحباب لتريه من اعدائه مقاتل الفرسان فانه المجاهد الذى حظى الاصفر فى البحر الازرق من بيض سيوفه اسود وكم أذاقهم الموت الاحمر وكمال التدبيج يقول أهلا بعيش أخضر يتجدد وتتولد نصرتنا عنده برفع راية الفرح فى كل وقت عليه مبارك ويتأيد بعز نصرنا المؤيدى حتى يقول له لسان الحال أعز الله انصارك فتقديمه العثمانى من جهة الاستحقاق قد ثبت عندنا وتقرر وهو اليوم امام المجاهدين الذى ماصلت سيوفه

على الايام البيض والليالى السود ان تعرضه للتفريق وفى اطفالك ان تدعهم على قارعة الطريق ودار سلطانك واقسم حيطانك واعرف زمانك واقطع لسانك انه سبع بين فكيك فاحذر ان ينم عليك فاما شكرك للشيخ الامام فشكرا نامجاوره مجاورة النار للعود وملابسه ملابسة الوجود للجود ومقارنه مقارنة الوفاء للعهود ومخالطه مخالطة الخدود للاصداغ السود ومعاشره معاشرة البدر للسعود وانا اجاهد نفسى فاستنزلها عن لجاجها اجابة لك وا كانت حضرته اجلها الله واما شكرك لفلان فشكر فضول انه ليس من الدنيا وما يتعاطاه أهلها فى

فى محراب القتال الاقبال مرقى النصر الله أكبر والله يجريه على أجل العوائد من هذا النصر ليصير الكافرون فى زلزلة من قارعة سيوفه بهذا العصر (ومنه) ما كتبته جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله عهده من مثال كريم ورد من قرا يوسف صاحب العراقين وهو أعز الله أنصار المقر الكريم العالى الجمالى اليوسفى لازالت زوراء العراق فى أيامه القويمة مستقيمة الجانبين وحلتها القصباء عالية المنار وشمل الدين بها مجمعا فى الجامعين وعراق العرب والعجم بارزين من محاسنه اليوسفية فى حلتين فلامية العرب تقول

ولولا اجتناب الذم لم يلف مشرب * يعاش به الا لدى وما كل

ولامية العجم تقول

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة الباس منه رقة الغزل

فاكرم بهما الامين دارا على وجنات الطروس لكمال المحاسن اليوسفية وفتحت لها الميمات أفواه الشكر لانها من الاحرف المؤيدية أصدرناها الى المقر وساجعها تغرد بالثناء بين أوراقها والسن الاقلام قد أودعت صدور طروسها سر أشواقنا عند انطلاقها فانها الصدور التى تعرب من نفثاتها عن ضمائر الاشواق واذا أطلقت من فض الختم خفقت اجنحتها بذلك الثناء على الاطلاق ونبدى لكريم علمه ورود البشير بالقرب اليوسفى وقد حل بالاسماع قبل رؤيته تشنف وهبت نسمات قبوله فاطفأت مافى القلوب من التلهف وضاع نشرها اليوسفى فقال شوقنا اليعقوبى الى لاجد ريح يوسف وتاملنا كريم مثاله فوجدناه قد مد اطناب المحبة وخيم على معانى المودة وحام عليه صادى الاشواق فوجده منها قد اعذب الله فى مناهل الصفاء ورده وأومض البرق فى الظلمات من رقم سطوره فما شككنا انه تلم برده فهو مثال يوسفى ولكن ظهر السر الداودى من فصل خطابه وصدقنا رسوله لما جاءنا بكريم كتابه والتفتت من كاس سطوره آرام الايناس فاقتنصنا منها ما هو عن العين شارد والفت القلوب على الولاء فضربت الاعداء من جماد الحسد فى حديد بارد وامست الدجلة والنيل لامتزاجهما بسلاف المحبة كالماء الراكد وهذه الفة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقاد الينا وقد تعين على المقر ان يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا وسرتنا الاشارة الكريمة بالتمكين من أرض الاعداء ومطابقة الطول بالعرض وعلمنا ان هذا الاسم الكريم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وأما قرا عثمان فقل سيوفنا ما غمضت عنه فى اجفانها وأنامل أسنتنا اذ كرت نوبته الا شرعت فى جس عيدانها وجوارح سهامنا ما برحت تنفض ريش اجنحتها للطيران اليه وان كان هوى سافلا فلابد لاجل الغرض اليوسفى ان نخيم عليه وننزل سلطان قهرنا بارضه ونغرس فيها عوامل المران وان كانت من الاسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الا الاشتغال الدولتين بالدخول فى تطهير الارض من الخوارج وايقاع الضرب الداخل بعد جس العيدان فى كل خارج وقد آن سله لئلا يكون بين المحب والمحبوب رقيبا ولا بد أن يجانسه العكس ويرى ذلك قريبا ويدهمه من أبى النصر ابشام حرب شرف فى التشبب

شئ وانما يقوم لله ويقعد لله وما يكاد مثله يصنع بكتاب مثلى وان ابيت الاذلك لم أرض الا رضاك وأما فلان فما يخفى عن فضله والخير الذى هو أهله وان لم يحظ بعضنا من بعض بثمرة ولم يجر رسمى بمفاتحة وقليل فى الواجب ان ابلغ مرادك فانتظر فى الجملة كتبى فانها تصل عن قريب ورأيك فى معرفة ما كتبته والمواظبة على العادة التى احدثتها منك وقراءة السلام على الاخوان موفقا ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

سيدى وجدت قلبا فارغا فتمكنت ومعقلا من صدرى فحصنت فكيف ازعجك وقلبى حصارك ام كيف أغلبك وكلى انصارك

الوقائع جدهم وردالجوع الصحيحة الى التكسير فردهم واذا كثرت الحدود وتوردت بالدماء غردت بورق الحديد الاخضر مردهم واذا امتدوا الى أمد تلا لهم حصنهم سورة الفتح قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تمكن لهم حصونهم عند ذلك الصرف مانعة ولم يسمع لسا كنها مجادلة اذا صدموا بالحديد وتات تلك الحصون الواقعة وان كانت المنايا غابت عنه مدة تلك السنة سيوفهم وقالت حصرت واذا طرق بروجه منهم طارق رأى سماء تلك البروج قد انفطرت وماخفى عن كريم علمه ماجمعه الناصر من الجموع التى مزقها الله أيدى سبا وكم سائل سأل وقد رآهم فى النازعات عن ذلك النبا وقد أشار بعض شعراء دولتنا الشريفة الى ذلك بقصيد كامل بحره مديد ولكن القصد هنا من أبيات تلك القصيد

يا حامى الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله خولك ناظر * هذا وما فى العالمين مناظر
فرج على اللجون نظم عسكرا * وأطاعه فى النظم بحر وافر
فاثبت منه زحافه فى وقعة * يامن باحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكان هاتيك السروج مقابر

وماخفى عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا بعد الناصر فاشتروا الضلالة بالهدى ودعوا سيوفهم الصقيلة لما حاق بهم المكر السيئ فأجابهم الصدا ولم يكن لحرارة عزمنا الشريف عنده عصيانهم البارد فترة حتى أظهرنا تلون الشام من دمائهم على تدبيج الدروع ألوان النصره وأخذوا سريعا شبان حرب ماشابت عوارضهم الابغبار الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المقامع وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين ولم يظهر له راب بجهة الا بماتين القبيلتين ولو صلت السيوف لغيرهما ماقبلت أو صرفت العوامل للاعراب عن سواهما عملت وقد نبهنا كريم الالتفات الى ان تدار كؤس الانشاء بيننا ممزوجة بصافى المودة وعلمنا انها أحكام صحيحة فى شرع الاخوة وهذه الاحكام عندنا معمدة وتالله لقد سابق القصد اليوسفى بسهام مراده الى الغرض وقضى حاجة فى نفس يعقوب ليس عنها عوض ولم يبق الا اتصال شمل الوصال بكل رسالة سطور الاخوة فى رقاعها محققه وتصديق مايقصه فى الجواب فان القصة اليوسفية مابرحت مصدقة والله تعالى يمتع الاسماع والابصار بمشاهدة أمثلته وطيب أخباره ويفكهنا من بين أوراقها بشهى ثماره (ومما) انشأته بالديار المصرية وحصل اجماع الامة على انه من الافراد تقليد مولانا قاضى القضاة جلال الدين شيخ الاسلام البلقينى نور الله ضريحه بعد عزل الهروى ويوم قراءته بالجامع المؤيدى أرخه المؤرخون وذكروا أنه لم يتفق بملك مصر يوم تطيره وهو الحمد لله الذى أبان فضل العرب على العجم فى الكتاب والسنة وأظهر جلال سراجهم المنير فاوضح بحسن تدبيره طريق الجنة وأزال ظلم الجهل بنوره هذا الجلال فله الحمد على هذه المنة ونشكر حمده على نصرة أصحاب

وما دمنا ظماء وكنت لنا ماء فمن نشرب بك فارفق بنا لاقربنا يخاف ولا وردنا يعاف والسلام

ولهالى ابى الوفاء صاحب ديوان بست

لو بجعل راسينا رأس المال زدته ودا ولوحال بينى وبينه سور الاعراف مانقصته حبا ولقد اختلفت على مواضعه حتى ظننت ان القضاء يكابر واردت زيارته بالامس ثم وقع من الاضطراب مانى العزم فان نشط الى هذه الليلة عرفنى مستقره لاحضره ان شاء الله تعالى والسلام

(وله الى الفقيه أبى سعيد)

وصلت رقعة الفقيه ولولا وده وأنا استبقيه لشمت العام والخاص وذكرت العاض والماص ولتجاوزت دار الرجال الى حجرة العيال

الشافعي وعود جيرته الى منازلها العاليه ونشكره على نيل الغرض بسهام ابن ادريس فمن جهل أحكام القضاء أمست عليه قاضيه ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نستعين بحسن ادائها على القضاء والقدر ونشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى من قابل شريعته المطهرة بدنس الجهل فقد كفر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أنالوا بفصاحتهم العربيه كل عجمه وميزوا على العجم بقوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا وهذا التمييز نصبه مرفوع على كل أمه صلاة نسن بها سيوف السنة على من تسربل بدروع ضلاله ونقيم حدودها على من بدل حديث النبي صلى الله عليه وسلم وجهل أسماء رجاله وسلم تسليما كثيرا أما بعد فالهناء بنصرة هذا الدين القيم بين هذه الامة مشترك وكيف لا وقد ظهر هلاله مقمرا وأنشدوا

يا ليل طل أولا تطل * فلبس نرعى قمرك

وقد حلا مكرر الحمد بنشر الاعلام المؤيدة على أئمتنا الاعلام وحلت أيضا مواقع التوريه بنصرة شيخ الاسلام فهو الليث الذى كان لظما العلماء الى امامهم نعم الغوث والغيث حتى تأيد وابعويدهم وأعزالله انصارهم بالشافعي والليث تجنبناه عن غيوم العزل وقلنا وقد ساعدنا رأينا الشريف فى اظهاره

اصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

وولى غيره فانشد كل عالم أظلم ضوء نهاره

ما كنت اوثر ان يمتد بى زمنى * حتى أرى دولة الانذال والسفل

واعتلت كتب العلم فقالت وعيون سطورها باكية

لعل الحمامة بالجذع ثانية * يدب منها نسيم البرء فى علل

وأنشد لسان حال شيخ الاسلام وقطوف قربه دانية

تقدمتنى رجال كان شوطهم * وراء خطوى لو أمشى على مهل

وأشار الينا وقال وخواطرنا الشريفة باشارته راضيه

لعله ان بدا فضلى ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لى

فتنبهنا له وقلنا الضد وقد اهبطنا من تلك الرتبة العالية

فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض أو سلما فى الجو فاعتزل

وكيف يطلب من نار خامدة هدى أو يجعل السراب ماء * واذا دعونا الرى جاوبنا الصدى * ويأبى الله أن يطابق سحبان بباقل أو يجارى فارس العلم براجل

ومن يقل للمسك أين الشذى * كذبه فى الحال من شما

وتالله لقد زادنا تحجبه فى غيوم العزل علما بعلو مقداره وكان عزلا أظلمت بسببه الدنيا الى أن من الله على المسلمين بابداره وقالت الامة ذلك ما كنا نبغى واستوفى كل عالم شروط المحبة واستوعب وعلمنا ان الحكم العدل حكم بتقديم هذا الامام بالموجب انقلنا وظيفته غيره فزلزلت الارض زلزالها وقلنا يخف على قلبنا فاخرجت الارض أثقالها وأظهرنا جلال العرب فاطلقوا أعنة بلاغتهم فى ميادين الفصاحه وما أحقهم فلنقول

القاضى

ماهذه الاصابع التى كتبها والفصاحة التى عرضها بكر وتالم الطلق أعلى رأمى يتعلم الحلق أم لم يجد غيرى يجرب سيفه عليه اعلمه الرواية كل يوم فلما قال قافية هجانى

وكتب الى رئيس بلخ وعبدها محمد بن ظهير

كتابى والشيخ الرئيس رحم فى الراسيات محول وله فى الفضل آخر وأول ولا يحاوله طرف من شرف ومن انتهت الى المجد حدوده وعطست بانف شامخ جدوده ونبت فى مغرس الفضل عوده وقف الثناء على متصرفاته وأقام عليه بعد وفاته ومازالت جفنته تدور على الضيف فى الشتاء والصيف حتى عيرت بحسان فارتهنت منه اللسان وحبرفيهم

الفاضل وتناجدت اهل نجد فكل صاح ياصباحه وعلمنا ان هذا فضل رفل به ابناء العرب فى حلل التقديم وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وامتلأ صحن جامع القلعة بحلاوة هذه البشرى وهلل مؤذنوه وذكروا طلعته الجلالية فكبروا وأنشدوا

لو ان مشتاقا تكلف فوق ما ● فى وسعه لسعى اليك المنبر

وازهرت هذه البشرى فى ربيع ولكنه ربيع الابرار الذى نزه الله روحه وريحانه عن كل نمام وصان فيه المسلمين ممن يأكل أموال الناس بالباطل ويدلى بها الى الحكام ونشر الله اعلام كتب العلم وزاد الله بالسيف المؤيدى اسعافها وكانت ستور الجهل قد اسبلت على التفاسير فاظهر السر للآى كشافها أما القرا آت فهى فى قرى شيخ الاسلام وفضله فيها عاصم من الجهل ونافع وأما الحديث فهو مجلى مبهماته بنور جلاله الساطع وأما العربية فقد ظهر بعد وعر العجم تسهيلها وشرعت بيوت العرب لشواهدها وأكرم نزيلها وأما المعانى فقد أظهر الله بيانها وجليت بها عروس الافراح واهتدينا بنور جلالها ففتحت لنا أبوابها بغير مفتاح وأما المنطق فقدمات منطقه العذب أرتنا نتائجه يقينا وأما العقليات فما رأينا من ناظره فيها فى هذه المدة عقلا ولولا الحياء لقلنا ولا دينا وها هو قد نبه الفقه من سنة الغفلة بعدما أمرض الجهل عيونه وأرمد والحاوى أظهر ما حواه من العلم بعدما كان هلك أسى وتجلد والروضة أزهرت فى حدائق هذه المسرة بين أوراقها فاينعت ومدت الشافعية أصول دوحتها فتفرعت وظهرت رفعة الرافعى فى افق كماله ونور الله ضريح الشافعى بنور سراجه وبهجة جلاله (ولما كان) الجناب الكريم الجلالى هو الذى ناظرناه بالغير فقال نور الشريعة وهو أشهر من نار على علم

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره ● اذا استوت عنده الانوار والظلم

فعلمنا انه حجة الشافعى الذى منه الاستقصاء واليه منتهى السؤال وما أبدر فى أفق درس الا أزال ظلم الشك بأنواره واسغرابداره عن التتمة والاكمال وهو ابو العلماء الذى ولد من الام افراحهم وابو المهمات الذى شهر من العدة الكاملة فى ميدان الفرسان سلاحهم واليه انتهت الغاية فانه ما برح يأتينا فى وجيز تقريبه بالعجاب ويغنينا عن موضح القشيرى فانه يغذينا فى ابانته باللباب اقتضت آراؤنا الشريفة ان نعيده الى منازل شرفه بعد التحجب وها هو قد ظهر ويتسلسل فى أيامنا الشريفة عند الرواة حديث ابن عمر فلذلك رسم بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المؤيدى السيفى لازالت الشافعية فى أيامه الشريفة بجلالهم فى ترشيح بهجة وابتهاج وثبت الله القواعد وأقامها فى مملكه على التحرير ومشى الرعية فيها على أوضح منهاج ان تفوض الى الجناب المشار اليه وظيفة كذا وكذا وقد وقع التمويه فى الفروق بينه وبين الغير عند أهل التبصرة والهداية وهو نهاية المطلب وعيون المسائل وتاج رؤسها والمذهب الذى تهذيبه فى أدب القاضى كفاية وهو البحر الذى ما دخلنا بسيطه المبسوط الا قالت التورية انه فى البسيط كامل ولا نظرنا الى حليته الجلالية الا غنينا عن المصباح بنوره الشامل وقد ميزناه على مناظريه لما أقروا له بالتمييز وقرت عيون ابن البارزى نورا الله ضريحه بهذا التمييز والغيناذ كر علوم يجل قدره عن نسبتها اليه ولكن

القصائد الحسان فهذا الزمان يخلق وهى جديدة وتلك العظام تبلى فى الثرى وهذه المحاسن تبقى بين الورى وحق على الله ان لا يخلى كرما من لسان يبث احدوثته وما اثبت دولة الشيخ الرئيس برمى فى هذه القوس وقد خطب القاضى ولسانه مقراض الخفاجى يضعه حيث يشاء وبحر لا تكدره الدلاء وصدر كأنه الدهناء وقلب كأنه الارض والسماء وشرف دونه الجوزاء وحوله الخلفاء وخلفه العوامل والقصور والسفاح والمنصور فما ظن الشيخ بثناء يصدر عن هذه الجملة وقد حضر هراة فزانها وآنس سكانها وملأها شكر الله وثناء عليه ثم رحل عنها يسلبها جمالا

ثغور وسيناتم ابتسم عند ذكره وافواه مصانها تكثر الثناء عليه فليتاق ذلك فانه العزيز عندنا والمنتقى لهذا التشريف الذى هو ديباجة رقه واذا ذكرنا الاصول فاصوله محفوظة وهو المعتمد عليه فى التمهيد والمستصفى بديع علمه ولو عاش ابن الحاجب ما تغزل فى رفع حاجبه وخفض له جانبه وعلم ان جلا لنا عين الاسلام فلم نرفع على العين حاجبه والوصايا كثيرة ولكن جواهر ذخائرنا تلتقط من املائه وأماليه وهو جامع مختصراتها ومظهر زوائدها ببيانه ومعانيه لازال حديث فضله يتسلسل مع الرواة ويسند ولا برح أجل من أوضح الرسالة فى مسند محمد وأحمد (ورسم) لى فى الايام الشريفة المؤيدية سنة تسع عشرة وثمانمائة أن أنشئ رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ولا حام طائر فكرعليها وأحضر مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تغمده الله برحمة والرضوان قطعة من انشاء القاضى الفاضل بوفاء النيل وقرئت على المسامع الشريفة المؤيدية وحذرت من التعرض الى شئ من ألفاظها ومعانيها فانشأت رسالة حكم لابى بكر بها على كل فاضل بالتقديم وان كان لسان القلم قد طال فانا أقطعه ههنا تأدبا مع عبد الرحيم وقد وصلناها ههنا شمل القطعتين لينفكه المتأمل فى جنى الجنتين ويتنزه نظره فى حدائق الروضتين ويطرب لسجع حمام الدوحتين (قال القاضى الفاضل) نعم الله سبحانه وتعالى من اصوبها بزوغا واصفاها سبوغا واصفاها ينبوعا واسناها ينفوعا وامدها بحر مواهب وأصفها احسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره ويربى النبات جره ويجرى على سواد الارض بفضته البيضا ويهب أيده الخضيبة نقب الجرب من الجرى ويحيى مطلعه أنواع الحيوان ويجنى ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوى سر برها وينشر مواتها ويوضح معنى قوله تعالى وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك فى تاريخ كذا وكذا فاسفر وجه الارض وان كان قد تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب فرأينا الابانة عن لطائف الله سبحانه وتعالى وقد حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفى حقه من الاذاعه وتبعده من الاضاعه وتتصرف فيه على ما يصرفك من الطاعه وتشهر ما أورده البشير من البشرى بابانته وتعده بايصال رسمه اليه على عادته (فقلت بعد الفاضل) ونبدى لعلمه ظهور آية النيل المبارك الذى عاملنا الله فيه بالحسنى وزيادة وأجراه لنا فى طرق الوفاء على أجمل عادة وحلق أصابعه لتزيل الابهام فاعلن المسلمون بالشهاده كسر بعسرى فاصبح كل قلب بهذا الكسر مجبورا وأتبعناه بنوروز ومابرح هذا الاسم بالسعد المؤيدى مكسورا دفقنا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وأرشفها ريقه الحلو فمالت باعطاف غصونها اليه وشبب خريره فى الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب فضربها الناصرية والصل بام دينار وقلنا انه صبغ بقوة الماء وعليه الاحرار وأطال الله زيادته فتردد الناس على الآثار وجمته البركة فاجرى سواقى مكة الى ان غدت جنة تجرى

الاما ابقى اهامن ثناء على الرئيس خلفه فيها وله فى التمسك بالعادة التى انتجت هذه السعادة والشيمة التى اثمرت هذه الاثنية الكريمة رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

شاهدت من طلعة الشيخ دارة القمر وجنيت من حديثه طيب الثمر وانتهى الى من اخلاقه مؤنس الخبر واقتصر الزمان منه على هذا المقدار وصنع له تلك الاسفار ومصائب قوم فوائد آخرين ومضى فقضى حجه المبرور ورجع فعاود منزله المعمور وعدت عوادى هذه المحن عن ان أزوره مهنئا أو أكاتبه معتذرا وكان شئ الى شئ فانعقدت جملة سدت الباب

من تحتها الانهار وحصن مشتهى الروضة في صدره وحنى عليه حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفه على ظما زلالا * ألذ من المدامة للنديم

وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات وسقى الارض سلافته الخمرية فخدمته بحلاوة النبات وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فالق النوى والحب فارضع جنين النبت وأحيى لها امهات العصف والأب وصالحته كفوف الموز فختمها بخواتيمه العقيقية ولبس الورد تشريفه وقال أرجوان تكون شوكتي في أيامه قوية ونسي الزهري بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به الشقراء فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوا واستوفت الاشجار ما كان لها في ذمة الري من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قوسه لما حظي منه بنصيب سهم لا يرد ولبس شربوش الاترج وترفع الى ان لبس بعده التاج وفتح منشور الارض اعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناوله سالم الشنبر وعلم باقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت بخلق بشائره وأشار باصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظي بالمعشوق وبلغ من كل أمنية مناه فلا سكن على البحر الاحرك سواكنه للمطالعة بعدما تفقه واتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه الى تقبيل فم الحور وزاد بسرعته فاستحلى المصريون زائده على الفور ونزل بركة الحبش فدخل التكرور تحت طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر في مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه وصار أهل دمياط في برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن في حلاوة شمائله فاشعر الا وقد ركب عليه ونزل في ساحله وأمست واوات دوائره على وجنات الارض عاطفه وثقلت اردافه على خصور الجواري فاضطربت كالخائفة ومال اليه باسق النخل فلثم طلعه وقبل سوالفه وأمست سود السفن كالحسنات في حمرة وجناته وكلما ازداد زاد الله في حسناته فلا فقيرة الا وحصل له من فيض نعمائه الفتوح ولا ميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه احرت عيونه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندي قبالة كل عين اصبع فنشر النيل اعلام قلوعه وحمل وله من ذلك الخرير زجره ورام ان يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزمنا المؤيدي وكسره وقد آثرنا المقر بهذه البشرى التي عم فضلها برا وبحرا وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحناه حالا وصدرا ليأخذ حظه من هذه البشرى البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيبها نشرا فقد حملته من طيبات ذلك النسيم انفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها في كل وقت مشنفا ولا برح من نملنا المبارك وانعامنا الشريف على كلا الحالين في وفا (ومما انفردت بانشائه رسالة السكين) فان الشيخ جمال الدين بن نباتة سبق الى رسالة السيف والقلم وتقدمه أبو طاهر اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهاني الى رسالة القوس وكتاب الانشاء لا بد لهم من سكين فقلت وبنهي

وتوالى ربحي السعاة فتوجت بهذا الكتاب واعتقدت بالقاضي وعقدته جسرا الى رضاه ووجدته من مولاه الشيخ بحيث يطاع الشفاعة ولا يدخر السمع والطاعة فان كان لهذا الكتاب موقع فما يتلوه عريض طويل وان لم يكن له موقع فالتطويل ثقيل وشدما اقتنص الشيخ جملة هذا القاضي فما ينتمي الا اليه ولا يرفرف الا عليه ولا يطمئن الا لديه ولا يرى الشرف الا من يديه ولا الحياة الا من حواليه امتع الله بعضهما ببعض وزادهما من كل خير ان شاء الله تعالى

وصول السكين التى قطع المملوك بها اوصال الجفاء وأضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفاء وتالله ماغابت الاوصلت الاقلام من تعثرها الى الجفاء زرقاء كم ظهر للبيض منها الوان خرساء ومن العجائب انها لسان كل عنوان ماشاهدها موسى الاسجد فى محراب النصاب وذل بعد ان خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ماغط وعلى الحقيقة مارؤى مثلها قط وكم وجد بها الصاحب فى المضائق نفعا وحكم بحسن صحبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالشاب والنصاب معلمة الطرفين وانها صبح تقمصت بسواد الدجى فعوذتها بالضحى والليل اذا سجى ولسان برق امتد فى ظلمات الليل فتنكرت اشعة الانجم وماعرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذ لم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم ان السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد من اجل ذا تدخل فى مضائق ليس للسيف فيها قط مدخل وكلما تفعله يوجزه والرمح فى تعقيده مطوّل ان هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تنسى حلاوة العسال فلا يظهر لطوله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها الحلى تركت المعادن عاطلة ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة مجادلة شهد الرمح بعدالته انها أقرب منه الى الصواب وحكم لها بصحة ذلك قبل ان تستكمل النصاب ماطال فى رأس القلم شعرة الاسرحتها باحسان ولا طالعت كتابا الاأزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعدد وتالله ماوقعت فى قبضة الأطالت لسانها وتكلمت بحده ان ادخلت الى القراب كانت قد سبكت على الدخول أوأبرزت من غمده كان على طلعتها قبول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب صار بها جدول السيف فى بحر غمده كالغريق ولو سمع بها قبل ضربه ماحل التطريق فلو عارضها أبوطاهر امرك من قوسه الاذنين وقال له جددت رسالتك ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها وكان للك يدعند وصلت السكين الى العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى هذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم الاماجات ظهورها أوالحوايا أوما اختلط بعظم ولولحها الفاضل لحقق قوله ان خاطر سكينه كل أوأدركها ابن نباتة ماأقر برسالة السيف وفل وقال للقلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك وماقصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الالتكون مختصرة كحجمها لازالت صدقات مهديها تتحف بمايذبح فقرى وتأتى بمايشفى وايهام التورية يقول ويبرى (قلت) الذى أوردته ههنا من انشائى وانشاء الغير كان من الواجب لان الباب الذى نحن على شرحه وبيانه وايضاحه باب التسجيع وهو عبارة عن علم الانشاء وقد تقدم تقرير السجع وأقسامه وعلم انها أربعة أقسام وهى المطرف والموازى والمشطر والمرصع وذكرت فيه الفوائد التى منها أحكام الفواصل وأوردت المباحث فى الانشاء الذى فيه نظر بالنسبة الى الحالة التى هى المطلوب وأوردت من بديع الانشاء وغريبه هذه النبذة التى هى من انشائى وانشاء الغير

ولولا

وله أيضا الى اسمعيل بن أحمد الدوانى

ولا يزال يستخفنى الى الشيخ الامير شوق ونزاع لولا العوائق نطاع فيذكرنى طلوع الشمس محياه ونسيم السحر رياه وعسى الله ان يجمعنا واياه انه على ذلك قدير والمكارم أدام الله عز الشيخ كوامن فى الاحرار ككمون النار فى الاحجار وكون الماء فى الاشجار ثم لاتقدح تلك النار ولا ينبط ذلك الماء بمثل هذه الاعمال السلطانية انها تمكن اليد من بسطتها وتعين الهمة على مرادها ومحال ان أحظى من الشيخ بحظوة ويبلغ هو من الرفعة

ولولا خشية الاطالة لاوردت من ذلك مايذبل عنده زهر المنثور ويقرط فى قلائد النحور ومن أراد البحث عن صحة ذلك فعليه بمصنفى المسمى بقهوة الانشاء فانه خمس مجلدات منها مجلد انشأته بالبلاد الشامية قبل أن استقر منشئ دواوين الانشاء الشريف بالديار المصرية والممالك الاسلامية وثلاث مجلدات انشأتها عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه ومجلد انشائه عن الملك المظفر والملك الظاهر والملك الصالح وعن مولانا السلطان الملك الاشرف وعن مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفا وتعظيما انتهى والفرق بين التسجيع والتجزئة اختلاف زنة اجزائه ومجيئه على قافية واحدة من غير عدد معين محصور

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التسجيع قوله

فعال منتظم الاحوال مقتحم الاحوال ملتزم بالله معتصم

وبيت العميان

من لى بمستلم اليد معتصم ٭ بالعيس لامستئم يوما ولا سئم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

كم قاتل بصميم الجمع مقتحم ٭ وقائل لنظيم السجع ملتزم

قلت الذى يظهر لى ان الشيخ عز الدين لم يمش فى نظم بديعيته مشى محقق لانه تقرر عنده وعند الجماعة فى شروحهم ان التسجيع هو ان يأتى المتكلم فى اجزاء بيته أو كلامه أو فى بعضها باسجاع غير متزنة والشيخ أتى فى شطر بيته الاول باسجاع قابل كلا منها فى الشطر الثانى بوزنه مثل قاتل وقائل وصميم ونظيم وجمع سجع ومقتحم وملتزم وهذا هو الترصيع بعينه فان الترصيع من شرطه ان تقابل كل لفظة من البيت بوزنها ورويها ولبته نقل هذا البيت الى الترصيع فان بيته فى الترصيع ناقص بالذى أظهره مع قصر باعه فيه من الحشو وهو

كم رصعوا كلما من در لفظهم ٭ كم أبدعوا حكما فى سر علمهم

مع انه تطرف بيت الشيخ صفى الدين الحلى وهو

فعال منتظم الاحوال مقتحم الاهوال ملتزم بالله معتصم

ورأى اختلاف الوزن بين ملتزم ومعتصم وبيت بديعيتى أقول فيه

سجعى ومنتظمى قد أظهرا حكمى ٭ وصرت كالعلم فى العرب والعجم

٭(ذكر التسميط)٭

(تسميط جوهره يلفى بابحره ٭ ورشف كوثره يروى لكل ظمى)

هذا النوع أعنى التسميط هو ان يجعل الشاعر كل بيت بسمطه أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت كقول مروان بن أبى حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا ٭ أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

والفرق بين التسميط والتسجيع كون اجزاء التسميط غير ملتزم ان تكون على روى البيت وكون اجزائه متزنة فيكون عددها محصورا والفرق بين التفويف وبينه تسجيع بيت التسميط قال ابن أبى الاصبع ماخالفوا بين قافية البيت واسجاع التسميط الا لتكون

(وله ايضا الى ابن ميكال رئيس نيسابور) اعجوبة لكنها محجوبة حتى تصلى على النبى بنشاط وتنزل عن قيراط ماهى ياخبيث اليك بساق الحديث ان عشنا وعشت رأيت الاتان تركب الطيلسان روح ولا جسد وصوت ولا أحد والعود أحمد ومتى فرزنت يابيدق وأف لقوم سدتهم ويابؤس عصر أحوجهم اليك ويامعنف من يافد على راقد وشر دهرك آخره أنشد ائن صدق البحترى فى اللامية لقد صدق الاعشى فى الدالية وان وصف الدريدى فى المقصورة فلقد تغير الامير عن الصورة وان كان كالآخر الاول فما احوج الكتب الى المقراض واكشف السواد على البياض افراطا فى الامتداح وقصدا فى السماح ان ظلم ابن الرومى فى الطائية فالقول

(التسميط)

القافية كالسمط والاجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد لان السمط يجمع حب العقد والمراد باجزاء التسميط بعض اجزاء التقطيع ويسمى تسميط التبعيض ومن التسميط نوع آخر يسمى تسميط التقطيع وهو ان تسجع جميع اجزاء التفعيل على روى يخالف القافية كقول ابن ابى الاصبع

واسمر مثمر من مزهر نضر * من مقمر مسفر عن منظر حسن

فجاءت جميع اجزاء التفعيل من هذا البيت من سباعيها وخماسيها مسجعة على خلاف سجعة الجزء الذى هو قافية البيت وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التسميط

فالحق فى أفق والشرك فى نفق * والكفر فى فرق والدين فى حرم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

تسميط ذى أدب تنظيم ذى ارب * تحقيق ذى غلب بالنصر ملتزم

وبيت بديعيتى اشرت فيه الى نظمى ونثرى ترفعا بمدح النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم بقولى

سجعى ومنتظمى قد أظهرا حكمى * وصرت كالعلم فى العرب والعجم

وقلت بعده مشيرا الى النظم

تسميط جوهره يلفى بابحره * ورشف كوثره يروى لكل ظمى

التورية فى التسميط هنا منتظمة فى سلك الجواهر وقد تقرر ان السمط هو الذى يجمع حب العقد ولهذا قلت تسميط جوهره والمناسبة البديعية حاصلة بقولى يلفى بابحره فمحاسنه غير خافية بعد ذكر الجوهر ومثل ذلك الرشف للكوثر والرى للظامى وتمكين القافية ظاهر والله أعلم

(ذكر الالتزام)

(لأن مدح رسول الله ملتزمى * فيه ومدح سواه ليس من لزمى)

هذا النوع الذى سماه قوم الالتزام ولزوم ما لا يلزم ومنهم من سماه الاعنات والتضييق وهو فى الاصطلاح ان يلتزم الناثر فى نثره أو الناظم فى نظمه بحرف قبل حرف الروى أو باكثر من حرف بالنسبة الى قدرته مع عدم التكلف وقد جاء فى الكتاب العزيز فى مواضع تجل عن الوصف كقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وكقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون ومثله قوله تعالى والليل وما وسق والقمر اذا اتسق وأما الشعراء فابو العلاء كان أكثرهم فى هذا النوع التزاما حتى انه صنع كتابا وسماه اللزوميات جاء فيه باشياء بديعة الا ان فيه من عثرات لسانه كثيرا كقوله

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
يحطمنا صرف الزمان كاننا * زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ومنه قوله

لا تطلبن بآلة لك رفعة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

ومنه قوله

قول السوفسطائية باجبا
بلد الاغر البهيم وولد
آزر ابراهيم ولبث الذى
أخرج الميت من الحى رد
هذا الثوب الى الطى
يا أيها العام الذى قد رابنى
أنت الفداء لكل عام أول
وما أذى العام لكن الانعام
وما اشكو الايام لكن اللئام
عام اول عرفان والعام هذا
الفرقان لنا فى كل قرار امير
يلا بطانه والجار جائع وتحفظ
ماله والعرض ضائع
لبدات الاشياء حتى خلاتها
ستبدى غروب الشمس
من حيث تطلع
كانت السادة فى المطابخ
فصارت فى المطاطخ أشهد لئن
كثرت مزارعكم لقد قلت
مشارعكم ولئن سمنت انفسكم
لقد هزلت اقيسكم اف لكم
يارذالة الزمن والراغبين
عن تقليد المنن
وأيتكم لا يصون العرض جاركم
ولا يدر على مرعاكم اللبن

(الالتزام)

يقولون فى البستان للعين لذة • وفى الراح والماء الذى غير آسن
اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها • ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على لزوم ما لا يلزم قوله

من كل مبتدر للموت مقتحم • فى مارق بغبار الحرب ملتثم

وبيت العميان

وسيل جفنى انيل القرب من شيمى • وسيل دمعى بذيل الترب كالديم

وبيت الشيخ عز الدين قوله

لى التزام بمدحى خير معتصم • بربه وارتباط غير منفصم

وبيت بديعيتى أقول فيه

لان مدح رسول الله ملتزمى • فيه ومدح سواه ليس من لزمى

•(ذكر المزاوجة)•

(اذا تزاوج ذنبى وانفردت له • بالمدح منّ وجبانى من النقم)

هذا النوع سموه المزاوجة والازدواج وهو فى اللغة مصدر زاوج بين الشيئين اذا قارب بينهما وفى الاصطلاح قال السكاكى ومن تبعه هو ان يزاوج المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى

اذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى • اصاخت الى الواشى فلج بها الهجر

ومنه قوله

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها • تذكرت القربى ففاضت دموعها

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

ومن اذا خفت فى حشرى فكان له • مدحى فجوت وكان المدح معتصمى

وبيت العميان

اذا تبسم فى حرب وصاح بهم • يبكى الاسود ويرمى الالسن بالبكم

وبيت الشيخ عز الدين

اذا تزاوج خوف الذنب فى خلدى • ذكرت أن نجاتى فى مديحهم

وبيت بديعتى أقول فيه

اذا تزاوج ذنبى وانفردت له • بالمدح منّ وجبانى من النقم

•(ذكر التجزئة)•

ورّيت فى كلى جزيت من قسمى • ابديت من حكمى جليت كل عمى

التجزئة هى ان يأتى المتكلم ببيت ويجزئه جميعه اجزاء عروضية ويسجعها كلها على وزنين مختلفين جزأ بجزء أحدهما على روى يخالف روى البيت والثانى على روى البيت كقول الشاعر

هندية لحظاتها خطية • خطراتها دارية نفحاتها

وبيت الشيخ صفى الدين

(المزاوجة)

(التجزئة)

اللامية قول البحترى
الا انه يحجب تنبلك عن خبرى
فيها وعن خبر الشاة ابن ميكال
والصادية قول الاعشى
كلا ابو يكم كان فرعا دعامة
ولكنهم زادوا واصبحت ناقصا
والمقصورة قول الدريدى
ان ابن ميكال الامير انتاشنى
من بعد ما قد كنت كالشئ اللقا
والطائية قول ابن الرومى
يا آل وهب حدثونى عنكم
لم لا ترون العدل والاقساطا
ما بال ضرطتكم يحل رباطها
عفوا ودرهمكم يشد رباطا
صرواضرا الحكم المبذ صركم
عند السؤال الفلس والقيراطا
اوفا سمعوا بنوا الحكم
وضراطكم
هيهات لستم للنوال نشاطا
لكنكم افرطتم فى واحد
وهو الضراط فعدلوا الاسقاطا
(وله الى قيس بن زهير)
اعوز الصوف فبعثت

يبارق خذم فى مأزق أم * أو سابق عزم فى شاهق علم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

ذى فضل اندية ذى عدل تجزئة * فالذئب فى ظلم يمشى مع الغنم

الشيخ عز الدين سها فى هذا البيت عن رتبة التجزئة فى الشطر الثانى بالنسبة الى التقرير فى شرط الرتبة وبيت بديعيتى أشير فيه الى ما أبديته من المحاسن فى المديح النبوى بقولى

وبيت فى كلى جزيت من قسمى * أبديت من حكمى جليت كل عمى

(ذكر التجريد)

(لى المعانى جنود فى البديع وقد * جردت منها المدحى فيه كل كمى)

التجريد عرفه صاحب التلخيص بأن قال هو أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله وفائدته المبالغة فى تلك الصفة كقولك مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة فجردت من الرجل نسمة متصفة بالبركة وعطفتها عليه كأنها غيره وهى هو ومن أمثلته الشعرية قول الشاعر

اعانق غصن البان من لين قدها * وأجنى جنى الورد من وجناتها

فانه جرد من قدها غصنا ومن وجنتيها وردا وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته قوله

شوس ترى منهم فى كل معترك * أسد العرين اذا حر الوطيس حمى

الشيخ صفى الدين جرد فى بيته أسد العرين من الشوس وبيت العميان فى بديعيتهم

من وجه أحمد لى بدر ومن يده * بحر ومن لفظه در لمنتظم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

من افظه واعظ بالنصح جرد لى * يا نفس توبى والتجريد فالتزمى

وبيت بديعيتى فى المديح النبوى قولى

لى فى المعانى جنود فى البديع وقد * جردت منها المدحى فيه كل كمى

(ذكر المجاز)

(وهو المجاز الى الجنات ان عبرت * ايانه بقبول سابغ النعم)

المجاز هو عبارة عن تجوز الحقيقة فان المراد منه ان يأتى المتكلم بكلمة يستعملها فى غير ما وضعت له فى الحقيقة فى أصل اللغة هذا رأى السكاكى وأصحاب المعانى والبيان وقال البديعيون المجاز عبارة عن تجوز الحقيقة بحيث يأتى المتكلم الى اسم موضوع لمعنى فيخصه اما ان يجعله مفردا بعد أن كان مركبا أو غير ذلك من وجوه الاختصاص والمجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والارداف والتمثيل والتشبيه وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد وهذه الانواع وان كانت من المجاز فكونها متعقدة لخلوها عن معنى زائد عن تجوز الحقيقة كالاستعارة والتشبيه وبقية ما ذكر من الانواع فلما لم يكن له غير تجوز الحقيقة اختصارا أفرد باسم المجاز اذ لا يليق به غيره وعمل الشريف الرضى كتابا سماه مجاز القرآن ومات قبل استيفائه ومن أمثلته الشعرية قول العتابى

يا ليلة لى بحوارين ساهرة * حتى تكلم فى الصبح العصافير

(التجريد)

البيت بفرو نطفت تلوم وظلت تقعد فى العتاب وتقوم وارانى مابعدت فى العياس ولا خرجت عن متعارف الناس فالصوف نفس الفرو الا انه نسيج والفرو نفس الصوف الا انه حديج فكل فرو صوف وليس كل صوف فروا فان انصفت وجدت الفرو فطرة والصوف بدعة وان تطرت رايت الفرو صوفا وزيادة فكان نعمى وسعادة والفرو وبر فى الشتاء ونطع فى الصيف فان قرسك البرد فالبسه وانت قيس وان غشيك المطر فاقلبه وانت تيس

(المجاز)

قوله لخلوها الخ كذا فى النسخ والصواب أخذ من السابق واللاحق لعدم خلوها الخ اه

قوله ساهرة مجاز وبيت الشيخ صفي الدين قوله

صالوا فنالوا الامالي من مرادهم * ببارق في سوى الهيجاء لم يشم

المجاز في بيت الشيخ صفي الدين في لفظة بارق والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

أحيي فؤادي مجازي نحو حجرته * وقد دهشت بجمع فيه مزدحم

وبيت بديعيتي تقدمه قولي اني تجردت لمدح النبي صلى الله عليه وسلم وقلت بعده في المجاز

وهو المجاز الى الجنات ان عمرت * أبياته بقبول سابغ النعم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع المعنى)

تألف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندي بغير الروح لم يقم

هذا النوع ذكره قدامة أعني ائتلاف اللفظ مع المعنى وترجمه منفردا ولم يبين معناه وشرحه الآمدي وأطال ولم توف عبارته بايضاحه وأوضحه ابن أبي الاصبع وقال مختصر عبارة هذه التسمية ان تكون ألفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى ان كان اللفظ جزلا كان المعنى فخما أو رشيقا رقيقا كان المعنى غريبا كقول زهير بن أبي سلمى

أثافي سفعا في معرس مرجل * ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

فلما عرفت الدار قلت لربعها * الا انعم صباحا أيها الربع واسلم

فان زهيرا قصد تركيب البيت الاول من ألفاظ تدل على معنى غريب لكن المعنى غير غريب فركبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال ولما جنح في البيت الثاني الى معنى أبين من الاول وأغرب ركبه من ألفاظ مستعملة معروفة وبيت الحلي في بديعيته قوله

كانما حلق السعدي منتثرا * على الثرى بين منقض ومنقصم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله

تؤلف اللفظ والمعنى فصاحته * تبارك الله منشي الدر في الكلم

بيت الشيخ عز الدين في هذا النوع عامر وبيت الشيخ صفي الدين خراب لانه غير صالح للتجريد ولم يظهر له معنى حتى يأتي بالمشبه به في البيت وعلى هذا التقدير لم يحصل في بيته ائتلاف بين اللفظ والمعنى وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تألف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندي بغير الروح لم يقم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع الوزن)

(واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحي غير منسجم

هذا النوع أعني ائتلاف اللفظ مع الوزن قال قدامة هو ان تكون الاسماء والافعال تامة لم يضطر الشاعر في الوزن الى نقصها في البنية ولا الى الزيادة ولا الى التقديم والتأخير ومنهم من قال هذا النوع لا امثال له بصورة معينة لانه عبارة عن انه لا يضطر الى ما لا يلزمه منه فساد صورة المعنى وذهاب رونق اللفظ كقول الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي ابوه يقاربه

ائتلاف اللفظ مع المعنى

ائتلاف اللفظ مع الوزن

(وله الى ابي علي الشادي جوابا عن رسالة كتبها يعتذر اليه فيها) وصلت رقعتك يا شيخ وحضر رسولك فادى رسالتك وسرد مقالتك وسأل اقالتك وقد صانك الله عما ظننت فاقترفتنا وحشة فجمعنا معذره ولا قطعنا جرم فتصلنا مغفره اما ما اعتذرت عنه من حق لم تقضه وواجب أخللت بفرضه فاجعل الله الصلة فرضا حتى نصير قرضا ولم اقرضك مكرمة انتظر بازائها ان تشمر لجزائها وقد كان يوجب فضلك ان آخذ نفسي لك بما تأخذها الي فاني على السعي اقوى وأقدر والاعتذار من جانبي اولى واجدر واما ما ذكرت من غفلتك يوم اجتيازي من القيام فقد علمت اني على ذلك الباب الرفيع عالما كبيرا وجما غفيرا ولم يقم لاجتيازي الانفر معدودون فان كان

وفى رواية اخوانه فان اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك فحصل فى الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة ولو قال وما مثله الا مملك أبوه يقاربه خاله لسهل مأخذه وقرب تناوله وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته قوله

فى ظل أبلج منصور اللواء له * عدل يؤالف بين الذئب والغنم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

أولف اللفظ مع وزن بمدحة من * لانا وذم عدو بين السلم

قلت ثقل الهمزة فى لفظة أولف والوقوف لتحرير الوزن عند قوله بمدحة مولانا كان سياق عدم ائتلاف اللفظ مع الوزن فى بيت الشيخ عز الدين وبيت بديعيتى قلت فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم بعد قولى فيه فى ائتلاف اللفظ مع المعنى

تألف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندى بغير الروح لم يقم

وقلت بعده

واللفظ والوزن فى أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحى غير منسجم .

•(ذكر ائتلاف المعنى مع الوزن)•

(والوزن صح مع المعنى تألفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم)

هذا النوع أعنى ائتلاف المعنى مع الوزن هو أن تأتى المعانى فى الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر فى الوزن الى قلبها عن وجهها ولا الى تأخيرها عن وجهها عن صحتها كقول عروة بن الورد

فانى لو شهدت ابا سعاد * غداة غدا بمهجته يفوق

فديت بنفسه نفسى ومالى * وما آلوه الا مايطيق

فانه أراد أن يقول فديت نفسه بنفسى ومالى فألجأته ضرورة الوزن الى قلب المعنى ومهما كان الشعر سليما من مثل هذا كان الشعر الذى ائتلف معناه مع وزنه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

من مثله وذراع الشاة حدثه * عن سمه بلسان صادق الرنم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

يؤلف اللفظ والمعنى مدائحه * فالمعانى ترى الالفاظ كالخدم

قلت بيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع قاصر عن بيت الشيخ عز الدين فان الشيخ عز الدين اتى اولا بالانسجام والسهولة مع التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فان لفظة رنم فى بيت الشيخ صفى الدين غير ممكنة وأيضا فان الوزن والمعنى فى بيت الموصلى فى غاية الائتلاف وبيت بديعيتى قلت فيه

واللفظ والوزن فى أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحى غير منسجم

وقلت بعده فى ائتلاف المعنى مع الوزن

والوزن صح مع المعنى تألفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم

•(ذكر

قوله وقلت بعده ضائع بعد قوله أولا قلت فيه عن النبى الخ

ائتلاف المعنى مع الوزن

قيام القائم يسر فقعود القاعد لا يضر واماما ذكرت من منزلتك كانت عند الامير من قبل وتغيرها الآن فان الزمان يقلب الاعيان فكيف الالوان هذا عيبه العتيق وطبعه العريق وقد لبسناه على هذا العيب ولو انصفك خلفك ولو احسن عشرتك ماغير قشرتك ولكنه كما شاب هامتك اشاب كرامتك وكما اوهن ركنك اوهن رتبتك ومن ذا الذى ياعز لا يتغير وقد حضر لى ياشيخ خاطر نصح لك فى قبوله حظ ولى فى ايراده وعظ ومثلى لا يعظ مثلك ولا يعيب فعلك ولكن للديانة قريحة وللمسلم نصيحة فاسمعها وان لم ترضها فدعها وقد توجهت تلقاء امراوى لك ان لا تأتيه او غدا اليه بدا

(ذكر ائتلاف اللفظ مع اللفظ)

(واللفظ باللفظ فى التأسيس مؤتلف * فى كل بيت بسكان البديع حى)

هذا النوع أعنى ائتلاف اللفظ مع اللفظ هو ان يكون فى الكلام معنى يصح معه هذا النوع ويأخذ عدة معان فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف كقول البحترى فى الابل الضيلة

كالقسىّ المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

فان تشبيه الابل بالقسىّ كناية عن هزالها فلو شبهها بغير ذلك كالعرجون والدال لجاز لكن المناسبة والائتلاف بين الاسهم والاوتار والقسىّ حسنت التشبيه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

خاضوا عباب الوغى والخيل سابحة * فى بحر حرب بموج الموت ملتطم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الموصلى فى بديعيته

* ساروا وجدّوا النوى واللفظ مؤتلف * من لسن دمعى بلفظ خدّ منسجم

الذى فهمته من هذا النوع معنى الشطر الاول وأما الشطر الثانى فما حصل بينه وبين هذا النوع ائتلاف وبيت بديعيتى قلت قبله

والوزن صح مع المعنى تألفه * فى مدحه فأتى بالدرّ فى الكلم

وقلت بعده فى ائتلاف اللفظ مع اللفظ

واللفظ باللفظ فى التأسيس مؤتلف * فى كل بيت بسكان البديع حى

(ذكر التمكين)

(تمكين سقمى بدا من خيفة حصلت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمى)

هذا النوع أعنى التمكين وهو ائتلاف القافية منهم من سماه بالتمكين ومنهم من سماه ائتلاف القافية وهو ان يمهد الناثر لسجعه فقرة أو الناظم لقافية بيته تمهيدا تأتى به القافية ممكنة فى مكانها مستقرة فى قرارها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه بحيث ان منشد البيت اذا سكت دون القافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها وأكثر فواصل القرآن على هذه الصورة والذى عقد البديعيون عليه الخناصر فى هذا الباب قول أبى الطيب

يا من يعز علينا ان نفارقهم * وجداننا كل شئ بعدكم عدم

وقال ابن أبى الاصبع لم نسمع لمتقدم شعرا متمكنا فى قافية أشد من تمكين النابغة الذبيانى حيث قال

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

زعم الغمام ولم اذقه بانه * يروى بريقته من العطش الصدى

قلت ويعجبنى هنا قول صدر الدين بن عبد الحق ولعمرى انه أمكن وألطف وأظرف وهو

ورب ظبى آنس * حشاشتى ملكته * أسقيته أسكرته * حركته نبهته

نادمته أعجبته * حدثته أطربته * مددته كشفته * بلا طويل نكته

ائتلاف اللفظ مع اللفظ

قوله هو ان يكون الخ عبارة غير مؤدية للمقصود بل فاسدة ولو قال هو ان يكون فى الكلام معنى يصح تأديته بعبارات مختلفة فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف لسلم من ذلك اه

التمكين

فقد أوجعنى الآن ما أوجعك غدا أرى التلقى هذا الامير بدلال وتنسبه الى ملال وهما من كان خلقان بالعشار فاجعل قصاراك تحسين امر مولاك وتباعد اذا أدناك وتواضع اذا أعلاك انك ان دنوت وأدناك صرت فى حجره فتعرضت لهجره وان علوت وأعلاك الجأته الى دفعك واحوجته الى وضعك ثم اشكره اذا رفعك ولا تشكه اذا وضعك على انى أراك ترفع فوق حدك ويتجاوز بك قدر مثلك اقنعو همتك الى ابعد من حسد تبتلى أرأيت لو ان صاحبك الشار ورد الى هذه الديار ما كان يصنع بهذا الامير أكان يجلسه على السرير أيا يت لو كانت

وبيت الحلي على تمكين القافية قوله

به استغاث خليل الله حين دعا * رب العباد فنال البرد في الضرم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

تمكين حبك في قلبي نهضت به * محبة الكل من عرب ومن عجم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تمكين سقمي بدا من خيفة حصلت * اسكن مدائحه قد أبرأت سقمي

(ذكر الحذف)

(وقد أمنت وزال الخوف مضدفا * نحو العدو ولم أحقر ولم أضم)

هذا النوع اعني الحذف عبارة عن ان يحذف المتكلم من كلامه حرفا من حروف الهجاء أو جميع الحروف المهملة بشرط عدم التكلف والتعسف وهذا هو الغاية كما فعل الحريري في المقامة السمرقندية بالخطبة المهملة التي اجمع الناس على انها نسيج وحدها * وواسطة عقدها (وقد عن لي) ان أوردها ههنا بكمالها * واورد معها ما نسج المتأخرون على منوالها * وهي قوله * الحمد لله الممدوح الاسماء * المحمود الآلاء * الواسع العطاء * المدعو لحسم اللأواء * مالك الامم * ومصور الرمم * واهل السماح والكرم * ومهلك عاد وارم * ادرك كل سر علمه * ووسع كل مصر حلمه * وعم كل عالم طوله * وهد كل مارد حوله * احمده حمد موحد مسلم * وادعوه دعاء مؤمل مسلم * وهو الله لا اله الا هو الواحد الاحد الصمد * لا والد له ولا ولد * ارسل محمدا للاسلام ممهدا * وللملة موطدا * ولادلة الرسل مؤكدا * وللاسود والاحمر مسددا * وصل الارحام * وعلم الاحكام * ووسم الحلال والحرام * ورسم الاحلال والاحرام * كرم الله محله * وكمل الصلاة والسلام له * ورحم آله الكرماء * وأهله الرحماء * ماهمر ركام * وهدر حمام * وسرح سوام * وسطا حسام * اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء * واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء * واردعوا اهواءكم ردع الاعداء * واعدوا للرحلة اعداد السعداء * وادرعوا احلال الورع * وداووا اعلال الطمع * وسووا أود العمل * وعاصوا وساوس الأمل * وصوروا لاوهامكم حؤول الاحوال * وحلول الاهوال * ومساورة الاعمال * ومصارمة المال والآل * واذكروا الحمام وسرعة مصرعه * والرمس وهول مطلعه * واللحد ووحدة مودعه * والملك وروعة سؤاله ومطلعه * والحوا الدهر ولؤم كره * وسوء محاله ومكره * كم طمس معلما * وأمر مطعما * وطحطح عرمرما * ودهم ملكا كرما * همه سلك المدامع * وسح المدامع * واكداء المطامع * وارداء المسمع والسامع * عم حكمه الملوك والرعاع * والمسود والمطاع * والمحسود والحساد * والاساود والآساد * ما مؤمل الآمال * وعكس الآمال * ولا وصل الاوصال * وكلم الاوصال * ولاصمر الاوسا * واؤم واسا * ولا اصح الاولد الداء * وروع الاوداء * الله الله * رعاكم الله * الحموا مداومة اللهو * ومواصلة السهو * وطول الاصرار * وحمل الاصار * واطراح كلام الحكماء *

الحذف

قوله أو جميع الحروف الخ عبارة ناقصة تمامها أو المعجمة مع ابدال كل بكل اه

غرشستان ميزانك وكان الشار خزانك اين كنت تروم ان تقعد وتقوم وجدتك تذكر عظيم حقك في هذه الدولة فلو اتصلت هذه الدولة بلسان وفم لما قشتك الحساب وقالت يا اباعلى حقك حقك انك شيخ فقط لا اللفظ يسعدك ولا الخط ولا الراي يصيبك ولا السيف ولا الاصل يعضدك ولا النفس ولا المال يرفعك ولا الدين ولا الجد يقومك ولا المزح يفضلك فما هذا الحق العظيم ما كنت تراك قائلا هل هي الا الضبية الطويلة الثقيلة تنقاب عليك الوسيلة فيلزمك أكثر ما يلزمك صبيها فلم ترتق فتقا ولم تشدد لها أزرا وصبيتك فاشبعت جوفك وامنت خوفك فالحاصل عليك لالك أباعلى هذه كلمات

ومعاصاة اله السماء أما الهرم حصادكم والمدر مهادكم اما الحمام مدرككم والصراط مسلككم اما الساعة موعدكم والساهرة موردكم اما أهوال الطامة [illegible]كم مرصده امادار العصاة الحطمة المؤصدة حارسهم مالك ورواؤهم حالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لا مال أسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عدد ألا رحم الله امرأ ملك هواه وأم مسالك هداه وأحكم طاعة مولاه وكدح لروح مأواه وعمل مادام العمل مطاوعا والعمر موادعا والصحة كامله والسلامة حاصله ولادهمه عدم المرام وحصر الكلام والمام الآلام وحموم الحمام وهدوء الحواس ومراس الارماس آهالها حسرة أله ما مؤكد وأمدها سرمد ومحارها محكمد مالواهمه حاسم ولا الدمه راحم ولاله مما عراه عاصم الهمكم الله أحمد الالهام وردأكم رداء الاكرام وأحلكم دار السلام واسأله الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام وهو أسمع الكرام والسلم والسلام

(قلت) رحم الله أبا القاسم الحريري أتى في عاطل هذه الخطبة بالسهل الممتنع ولكن الجأته ضرورة العاطل في مواضع الى الاتيان بالفاظ تفتقر الى الحل وقد تعين هنا تفسيرها لئلا يتعذر على الطالب مرام ولا يحصل هذا الاشكال في مرآة الافهام فاللأواء الشدة والاحمر والاسود العرب والعجم ووسم بمعنى علم وهمر بمعنى صب والركام السحاب المتراكم والكدح عمل الانسان من الخير والشر والاود المعوج والمساورة المواثبة وطمطع بمعنى هدوهلك والسكك ضيق الصماخ والرعاع السفلة والاساود الحيات والآصار جمع اصر وهو الثقل والساهرة قيل انها عرصات القيامه وقيل انها وجه الارض انتهى (واتفق) رجل من طلبة العلم بحلب المحروسة يقال له الشيخ بدر الدين بن محمد بن الضعيف سنة أربع عشرة وثمانمائة على رسالة مشتملة على حكم ومواعظ على طريق الفقهاء لا على طريق الادباء وسألني الكتابة عليها فامتنعت من ذلك فتوصل الى ان رسم لي مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية روح الله روحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه ان اكتب له على رسالته العاطلة تقريظا عاطلا فقلت هذا النوع من المستحيلات فان الخطب والوعظيات ثمرات ألفاظها دانية القطوف وأما التقريظ فالتوصل الى تحصيل ألفاظه العاطلة غير ممكن لان كف المتناول من ذلك صفر والطريق مخوف فلم يحصل عن المرسوم رجوع وعلمت ان الصرف الى غير الامتثال ممنوع (فكتبت) هذا التقريظ الذي ما سبقني ناثر اليه ولا حام طائر فكره عليه وهو طالع الملوك رسالة محمد وسلم واحكم السمع والطاعة لكلامها المحكم والله ما سمعها عالم الاوهام ولا ردع سحرها الحلال مسلما الاكره الحرام وعاد عاملا واعد للصلاح حواصله وصارله مع الله معامله ما احلى ما كرر عاطلها الحلى واهلا لسهولة مسلكها وسهلا مالولد ساعدة سعد احكامها ولا لاهل العصر سكر الا ما أدار كاس مدامها ولا للعمارة عامر صرحها ورهطه ولا للصردة كلؤلؤها وسمطه ولا لولد مطروح مع طرحها الطرر مطارحه ولا صار لولادة رسالة مسموعة ولا لسرحها آرام سارحه ولا مسارح الماء الحلو لمحها الا كالآل

مرة الا انها حق ولو لم أرد نصحك لحسنت قبحك ولو كنت لك عدوا أو أردت بك سوأ لقلت لا ترض برتبتك وطالب بحق صحبتك والق هذا الامير بادلالك ومن بأذلالك ولو فعلت ذلك أو اخطرته ببالك خربت على سبالك وكنت سبب الجناية وأيضا فان نسبتك ولي نعمتك الى الملال نوع من أنواع الاخلال لان ذلك ينفر من لا يعرف خلقه من الزوار ويردع من يريد قصده من الاحرار ويعرض في العاجل للعار وفي الآجل للنار فلا تعرض بما صرحت وقد نصحتك ان انتصحت وأما اخوك الذي تصفه فمن هو لا أعرفه ان كنت عنيت الاستاذ ابا فلان فاسأل الله

وما عاصر ما أسسه المعمار الا أطلال وما المطاعم الحلوة منها الا عاطله وما صوادح الكلام الصادح الاصول دوحها صادحه وما الطعم الراح مع حلاوة وردها راحه ولا السلسل الورد معها طلاوة ولو كلل الطل أدواحه ولا السلوك الدر در سلوكها ولا المسك الماطر معطر مسوكها علم لا وحكمها سرحه الله صار ملكا ولحكمه أحكام وكلام الملوك ملوك الكلام لا اله الا الله ما أسمر اولاد آدم الاحكمه وما كلام الحكماء وما أحكموه الا حرمه وما أمة رسول الملك العلام الاسادة الامم وما سماء صدورهم الامطالع أهل الحكم أطال الله عمره وما طلها سامع وا طلع هلالها الاهالها وسعد السعود لها طالع وحصل للعالم الماحل هلالها سرور وا كرموا محلها وأحلوها الصدور أحكامها عمدة لامة محمد وما أعادها السامع الا صار العود أحمد

سلسلوا دوره السمع كساه * درها وهو عاطل كل حله
لاسماع الالها لا كلام * اسواها كرره كرر ما لله

ودع ما حكاه ولد همام أو رواه واسمع سامر هم ام صدور الحكم وساعده الله وحسم كل كلامه حلاة العواطل وسلسل لطروسه وسطور مسلاسل الدر ودور السلاسل ولو سمعها ملك العواطل امال دروس وساحه وكل حد سلاحه وسع معالم العلم ومعاهد مصدره وأدر لاهل الموارد الحلوة وفه درة ما للكمال أصول سطوره الكامله ولا ورد سمع بحصول كرسالة محمد مرامله رحم الله امرأ أطاع اوامر حكمها ووعى مرسوم رسمها ودارس ما احكمه عهدها ولملاه امد الله عمره والحمد لله هوا الحلى في بيت بديعيته في باب الحذف على العاطل وهو

آل الرسول محل العلم ما حكموا * لله الا وعدوا أعدل الامم

والعميان ما نظموا نوع الحذف في بديعيتهم وانا والشيخ عز الدين تعين علينا نظم الحذف عاطلا لاجل تسمية النوع في البيت اذ فيه الذال والفاء ولا بد من التورية بتسمية النوع كما شرط أولا فكل منا جنح في بابه الحذف الى جهة أما الشيخ عز الدين فانه ذكر انه نظم بيته من الحروف النورانية المقطعة وسمى الحذف في بيته اسقاطا فقال

لروم اسقاط ذنبي بالصلاة على * محمد وعلى صديقه العلم

وبيت بديعيتي حذفت منه الاحرف التي تنقط من تحت وهو الذي نظمته بقولي

فكم لنفسي بدا من خيفة حفظت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمي

فقلت

وقد أمنت وزال الخوف محذفا * نحو العدو ولم احقر ولم أضم

(ذكر التدبيج)

(واخضر أسود عيشي حين دبجه * يا ابيض خلي ومن زرق العداة حمي)

نوع التدبيج من مستخرجات ابن أبي الاصبع وهو عبارة عن ان يذكر الناظم أو الناثر الوانا يقصد بها التورية والكناية بذكرها من أشياء من تشبيب أو مدح أو وصف أو غير ذلك من الاغراض فمن التدبيج على طريق التورية قول الحريري في المقامة الزوراتية فذا اغبر العيش

تعالى ستراه عند وجها لا يسود سبحان الله اقل ما في الباب ان ترتيبه في الخطاب ترتيبه ولا ما ياشيخ هذه الالفاظ وان جئت على الاعضاء حتى الرضاء فانها تعمل في الاسماء عمل الدواء فافتح لها حجاب اذنك وافسح لها فناء صدرك فقد والله نصحتك وان أوحشتك وان شئت غششتك فقد خانك الدهر بنفسك والسلطان بما نقصك واساء الادب من زاحمك والعشرة من تقدمك واخطأ الرأي من لم يتصرف على أمرك ونهيك لانك نسيج وحدك وسواد العراق بستان جدك وعلى بن عيسى خادم عبدك وعبيد الله غرس يدك وذو

(التدبيج)

الاخضر وازور الصبوب الاصفر اسود يومه الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثالى العدو الازرق فبذا الموت الاحمر ومنه ما كتبته جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد رحمه الله الى الجناب العالى الناصرى محمد بن أبي يزيد بن عثمان فانه المجاهد الذى جعل حظ بنى الاصفر فى البحر الازرق من بيض سيوفه اسود فاذاقهم اقتبه الموت الاحمر وكال التدبيج بقول أهل لا بمبتى اخضر يتجدد ومن الامثلة الشعرية فى باب التدبيج قول ابن حيوس

انترو خبر الهمم عن يقين • فالتهم فى منازل اونزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

ومثله قوله

ببياض عزمه واحمرار صوارم • وسواد نقع واخضرار رحاب

وظريف هنا قول الشيخ زين الدين بن الوردى من ابيات

ولى صاحب بالمدح والهجو كسبه • يقول اهتدى كيف أصنع بالخلق
اذا احمروا وجهى وما بيض وابدى • ازرقلهم رجلى ولو خضر واعنق

ويعجبنى قول الشيخ عز الدين فى هذا الباب

خضرة العذر والسواد من العيش بياض المشيب اذا ورثانى
واحمرار الدموع صفر خدى • كل ذا من تلونات الزمان

قلت تلونات الزمان فى باب التدبيج غاية فى الحسن وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى التدبيج قوله

خضر المرابع حمر السمر يوم وغى • سود الوقائع بيض الفعل والشيم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

خضر المرابع حمر البيض سود ردى • بيض الثنا فاسقع تدبيج وصفهم

قلت مما يليق بالشيخ عز الدين ما اعتمده فى بيت الشيخ صفى الدين من أخذ لفظه ومعناه والحق انه تلون فى باب التدبيج على الصفى وضرم على الحلى وبيت بديعيتى قولى

واخضر اسود عيشى حين دبجه • بياض خطى ومن زرق العدا احمى

(ذكر الاقتباس)

(وكانت يا ليت قومى يعلمون بها • قد تلت كى يلطفوا فى اقتباسهم)

الاقتباس هو ان يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله خاصة هذا هو الاجماع والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود فالاول ما كان فى الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك والثانى ما كان فى الغزل والرسائل والقصص والثالث على ضربين أحدهما ما نسبه الله تعالى الى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله الى نفسه كما قيل عن أحد بنى مروان انه وقع على مطالعة فيها اشكاية من عماله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والآخر تضمين آية كريمة فى معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك كقول القائل

الرياستين فى كمك وذو العلمين فى جيبك والمقتدر بالله ولى عهدك والظاهر الامر من بعدك وغباوة من الايام تأخير مثلك وجهل من الاقدار اضاعة فضلك وعمى بالخلافة عن عملك وغفلة بالملوك عن كفايتك وشين على السرير قعود غيرك والشمس تزداد ضوأ بطلعتك والدهر مفتخر بكونك من اهله فاما ابن العميد فاحسن العبيد ببابك والمهلبى صبى كاتبك وانما انتظمت أمور خراسان حين خذلها تدبيرك وما استقامت حتى وسعها ضميرك وما شئت من هذا الباب وا كثلث من هذا الجراب فاختر من القولين

(الاقتباس)

أوحى الى عشاقه طرفه * هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه * لمثل ذا فليعمل العاملون

ومن الاقتباسات التى هى غير مقبولة قول ابن النبيه فى مدح الفاضل

قم ليلى الصدود الا قليلا * ثم رتل ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل * وهجرت الرقاد هجرا جميلا
مسمعى كل عن سماع عذول * حين ألقى عليه قولا ثقيلا
وفؤادى قد كان بين ضلوعى * أخذته الاحباب أخذا وبيلا
قل لراقى الجفون ان لعينى * فى بحار الدموع سبحا طويلا
ماس عجبا كانه مارأى غصنا طليحا ولا كثيبا مهيلا
وحمى عن محبه كأس ثغر * كان منه مزاجها زنجبيلا
بان عنى فصحت فى اثر العيس ارحمونى ومهلوهم قليلا
أنا عبد للفاضل بن على * قد تبتلت بالثنا تبتيلا
لا تسمه وعدا بغير نوال * انه كان وعده مفعولا

ونعوذ بالله من قوله بعد ذلك

جل عن سائر الخلائق فضلا * فاخترعنا فى مدحه التنزيلا

واعلم ان الاقتباس على نوعين نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه كقول الحريرى فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب حتى أنشد فاغرب فان الحريرى كنى به عن شدة القرب وكذلك هو فى الآية الشريفة ونوع يخرج به المقتبس عن معناه كقول ابن الرومى

لئن أخطأت فى مدحيك ما أخطأت فى منعى
لقد انزلت حاجاتى * بواد غير ذى زرع

فان الشاعر كنى به عن الرجل الذى لا يرجى نفعه والمراد به فى الآية الكريمة أرض مكة شرفها الله وعظمها ثم اعلم انه يجوز ان يغير لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو ابدال الظاهر من المضمر أو غير ذلك فالزيادة وابدال الظاهر من المضمر كقول الشاعر

كان الذى خفت ان يكونا * انا الى الله راجعونا

فزاد الالف فى راجعون على جهة الاشباع وأتى بالظاهر مكان المضمر فى قوله انا الى الله ومراده آية التعزية فى المصيبة وهى قوله تعالى انا لله وانا اليه راجعون والنقصان ما تقدم من قول الحريرى فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب فانه اسقط لفظة هو اذ الآية الكريمة لفظها كلمح البصر أو هو أقرب والتقديم والتأخير كقول الشاعر

قال لى ان رقيبى * سيئ الخلق فداره
قلت دعنى وجهك الجنة حفت بالمكاره

هذا الاقتباس من الحديث فانه تقدم ان الاجماع على جواز الاقتباس من القرآن ومنهم من عد المضمن فى الكلام من الحديث النبوى اقتباسا وزاد هنا الطيبى فى الاقتباس من

احببها البك وأنا على ماترى من فراغى مشغول الضمير ضيق الاوقات حرج البال فلا عليك ان لا تزيدنى شغلا وذكرت حرصك على عشرتى واسفك على الفائت منها فلا بأس وان فاتك كلى فلا بأس وان لك فى عشرة غيرى متسعا وباخلاق سواى مستمتعا فاهون لمن أهون بك واخلط لاخيك شيأ من الوحشة بهذا الانس ونعيا من المآتم بهذا العرس واجعلنى آخر خطائك وأول منسالك وان رأيت ان لا ترانى حتى أراك فعلت ذلك ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

لا والله لا أطلك ايها الشيخ الفاضل وزيادة والفاضل وكرامة وليس من

مسائل الفقه والشاعر قدم في لفظ الحديث وأخر لان لفظ الحديث حفت الجنة بالمكاره ومن هنا يتبين لك قطع نظرهم في الاقتباس عن كونه نفس المقتبس منه ولولا ذلك للزمهم الكفر في لفظ القرآن والنقص منه ولكنهم يأتون به على انه لفظ القرآن ومن أمثلته الشعرية قول الحاجري

اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر
سيبقى لها في مضمر الحب والحشى * سرائر تبقى يوم تبلى السرائر

ومنه

أهدى اليكم على بعد تحيته * حيوا ابا حسن منها أو فردوها

ويعجبني هنا قول ابن سنا الملك في بعض مطالعه

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم * انا باخع نفسي على آثارهم

ومن لطائف هذا الباب قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في معشوقه المسمى بالنسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذي اتلو لهم يا ليتني * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله في الحسن قول شيخ شيوخ حماة المحروسة رحمه الله تعالى

يا نظرة ما جلت لي حسن طلعته * حتى انقضت وأدامتني على وجل
عاتبت انسان عيني في تسرعه * فقال لي خلق الانسان من عجل

ومثله

ان دمعت عيني فن أجلها * بكى على حالي من لا بكى
اوقعني انسانها في الهوى * يا أيها الانسان ما غركا

ومثله

قسما بشمس جبينه وضحاها * ونهار مبسمه اذا جلاها
وبنار خديه المشعشع نورها * وبليل صدغيه اذا يغشاها
لقد ادعيت دعاوياً في حبه * صدقت وافلح من بذا زكاها
فنفوس عذالي عليه وعذري * قد ألهمت بفجورها تقواها
فالعذر أسعدها مقيم دليله * والعذل منبعث له أشقاها

ومنه قول القاضي محيي الدين بن قرناص

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين باصره
انزلتهم في مقلتي * فاذا هم بالساهرة

ومنه قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى

واغيد جارت في القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان أجفانه الوسنى
أجل نظرا في حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

ومنه قول الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى

الانصاف ان تخاطب بالكاف ان عمل البريد اليك ومدار الانهاء عليك واولى ما يجب لعامل الانهاء ان يخاطب بالهاء ولكنك طفقت لاتهاب سلطان العلم فاعلمك ان سلطان العلم لا يهابك ولو اتصلت باسباب السماء أسبابك أنت عافاك الله اذ قلدت البريد فبردت هذا النبر يد يؤذن انك لو وليت الديوان لقتلت الاخوان فلو قلدت الوزارة ما كنت تصنع أكنت أول من يصفع واذا بيل على سبيل الطائع وهو الخليفة فمن الخليفة يا شيخ حشمة في الراس وعشرة بين الناس فاذا رفعت فالانهاء نميمة وليس للنمام قيمة ولو نسجت الدر في الذهب ما كنت

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوه
كذلى أضعف خصرى * فاعينونى بقوه

ومنه قول المعمار

ابن الجمالى مات حقا * برّح بى موته وآذى
ورحت اقرا عليه جهرا * ياليتنى مت قبل هذا

ويعجبنى فى هذا الباب قول سيدنا الامام القدوة الحافظ الشيخ شهاب الدين بن حجر العسقلانى الشافعى تغمده الله برحمته وهو

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما جرى كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سر هواكم * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقال

ناحت مطوّقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعى بعد فرقة صحبه
لكن به لما سمحت تباخلت * فغدت مطوّقة بما بخلت به

وهنا فائدة يتعين ذكرها فى هذا الباب وهى ان العلماء فى هذا الباب قالوا ان الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمن وأما الناثر فهو الذى يقتبس كالمنشئ والخطيب فمن ذلك قول الحريرى فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادّعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز من ارعوى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى وقوله انا انبئكم بتأويله واميز صحيح القول من عليله وكقول ابن نباته الخطيب فى الخطب التى فى ديوانه أما أنتم بهذا الحديث تصدقون مالكم لا تشفقون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون كالث وأما عبد المؤمن الاصفهانى صاحب أطباق الذهب فانه عنوان هذا الكتاب وامام هذا المحراب فمن قوله فى الاطباق فمن عاين تلوين الليل والنهار لا يغتر بدهره ومن علم ان بطن الثرى مضجعه لا يمرح على ظهره فيا قوم لا تركضوا خيل الخيلاء فى ميدان العرض أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض وقوله ولو علم الجذل صولة الجبار وعضة المنشار لما تطاول نيرا ولا تخايل كبرا وسيقول البلبل المعتقل ليتنى كنت غرابا ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقوله

قد نحت قباب العز طائفة * الخفاض فى رداء الفقر اجلالا
هم السلاطين فى أطمار مسكنة * استعبدوا من ملوك الارض أقيالا
هذى المكارم لا ثوبان من عدن * خيطا قميصا فعادا بعد أسمالا
هذى المناقب لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

هم الذين جبلوا براء من التكلف يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (وقوله) أهل التسبيح والتقديس لا يؤمنون بالتربيع والتسديس فالالحان بعد علو النفس يجل عن ملاحظة السعد والنحس واتق الدين القويم لشغلا عن الزيج والتقويم الايمان بالكهانه باب من أبواب المهانه فأعرض عن الفلاسفه وغض بصرك عن تلك الوجوه الكاسفه فاكثرهم عبدة الطبع وحرسة الكواكب السبع فالمنجم

الا الجائك ومن جملة أولئك ولما خرجت من مجلس الشيخ اسمعيل ورأيت فلمات التقبيل ونهوضك العليل صعدت السطح أتصفح أعلى المواضع فرأيت منارة الجامع اشرف المطالع فبدرت ان اقصدها ونويت ان اصعدها فاذا صرت منها فى الدرجة العليا خربت على الدنيا والسلام

(وله الى ابى الفوارس الاصم)

يعجبنى ان يكون الشيخ فصيح اللسان طويله حسن البيان جميله ولا يعجبنى ان يطول لسانه حتى يلحس به جبينه ويضرب به صدره ويجعله قفاه نغير الاسود أوساطها وأمام الساعة أشراطها والغاية شؤم

الفتى وما الكاهن الاجنبي وسرحجب عن غير النبي وهل يخدع بالفال الا قلوب الاطفال وان امرأ جهل حال قومه وما الذي يجرى عليه في يومه كيف يعرف حال الغد وبعده ونحس الفلك وسعده وان قوما يأكلون من قرصة الشمس لمهزولون وانهم عن السمع لمعزولون ما السموات الا مجاهل والكواكب ضواها وما النجوم الاهيا كل سبحة ومن الله قواها كل يسرى لامر معمى وكل يجرى لاجل مسمى (وقوله) الحرص يسبل على وجوه الطامعة براقعا والظلم يدع الديار بلاقعا يرضون طيب الحياة وينسون يوم النشور ويفتكون فتك البزاة ويؤملون عمر النسور فلا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والانصار انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (وقوله) اغتنم فودك الفاحم قبل ان يبيض فانما الدنيا جدار يريد أن ينقض فلا يغرنك قطفها النضيج هو غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج (وقوله) في آخر مقالة من الاطباق تلك أمة قد خلت ذكروا الله في الخلوات فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات (وقوله) أصدق الارواح روحان ممتزجان وأخلص القلوب قلبان يزدوجان يتصاحبون قياما وقعودا وعلى جنوبهم وآخرون يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وقوله فهدره فيا هذا لا تحسد المتنعم على ترفه ولا تغبط المتكبر على شرفه وقل له اذا برزت الجحيم وقدم له الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم (وقوله) أليس من الخسران جوار يأكل الميت ومكي لا يزور البيت فلا تكن كالجمل الطليح يحمل لغيره أبعارا ولا تك كالحمار يحمل أسفارا (قلت) هذا القدر الذي أوردته هنا كاف في الاقتباسات التي تليق بمواعظ الخطب فيتعلم بليغ الخطباء منها سلوك الادب ولم يبق الا الظهر بنور الاقتباس من مشكاة نور المترسلين فانهم ملوك هذا الشأن ومن استضاء ببعض اقتباسهم قال ان هذا الا سحر مبين ومن ذلك قول مالك ازمة هذا الفن القاضي الفاضل من تقريظ ورأيت كل معناض غيره لصناعة البديع لا يحبها بالبدعة خارجا عن الشرعة دائرا في غير عشه محرجا ميت القول من طرسه على نعشه فهى للمدام ومادون فهم عنها قدام ووفود بلاغة لو وجهت الى الجنة لقال رضوانها ادخلوها بسلام وكل ابنة فكر ما طاب فكره الاصباح لسان طربه يا بشراى هذا غلام وكل غصن ألف وكل همزة حمام وفيه ما وفيها وأخاف ان أقول ولا أوفيها وليت هذه المحاسن وليت الاسماع وألقت القناع وفى العمر مستمتع وفى قوس الشيبة منزع ولكن ضاق فتر عن مسير وجاء فضلها الاول في الزمن الاخير وقد حان ان تخبب في البلاغة القدحان وأني وانه قضى الامر الذي فيه تستفتيان (وقوله) لازالت الملوك تنزل لركوبه والسيوف تضحك لقطوبه واسبغ عليه نعمه باطنة وظاهره وكتب له في الدنيا حسنة وفي الآخرة وغض عيون لعداته فاذاهم بالساهره (وقوله) وقف الخادم على الكتاب فارتقى الى سماء المكرمات وكانت سطوره مدرجا واضاءت في خاطره فما استمدت مدادا ولكن اذ كتب سراجا وتهجت لطريق السعادة فقلت من كاتب لولا الغلو اقلنا من كتابه لم يجعل له عوجا (وقوله) وورد على الخادم الكتاب الكريم فشكره وقربه نجيا

والاستقصاء الزم فان الحمار يشب على جمارته فتارة بعض الاقراف وتارة كل الانصراف وتارة تحت الاكاف ثم يوجعه في الغلاف ويزعم الجمار انه لوشاء في اول شبابه لاتى الامر من بابه واقر الحق في نصابه وكان هذا ظننا به ولكن لوقوف الساقة وتعبير النظارة وتحريض الجمارة فلا تكن أحمر من حماري ولا عليك ان يبذل عذرى فان الجرمن الجرينب ومن الكبائر واقه طفيلى يدب ومن النوادر ذباب يثب واللص في بيت النائب آمين وانما يقع في الحريم ويعتك بحائط الجحيم

(وله الى الشيخ أبي الحسن النبيلي)

احدى عشرة ليلة كنت حدثتك بالشيخ حديثها

ورفعه مكانا عليا وأعاد عليه عصر الشباب وقد بلغ من الكبر عتيا (وقوله) كتبها الخادم وقد اخرجت السماء أثقالها وفتحت من العزالى أقفالها وركضت الرعود لابسة من الغيم جلالها وثوب الليل بالغمام غسيل وسيح الظلام بسيف البروق قتيل وقد زادت السيول الى ان صارت الخيام عليها فواقع وهمهم الرعد قارئا فاستقبلت قبابها بين ساجد وراكع وكأن الصباح قد ذاب فى الليل قطرا وكأن البرق لما ساوى الغمام بين صدفى الليل والنهار قال آتونى أفرغ عليه قطرا (وقوله) ونفذت بلاغته بسلطانها ونفثت بسحر بيانها وصلى القلم من يده فى محراب ومن طرسه على سجادة وبيامنه كتاب لو كان البحر مدادا لما زاده وكم كتاب لايساوى مداده وأخذت الارض زخرفها وحلت من الاسلحة أحرفها وشنت الغارة على السمع والبصر فسلم لها من أسلم وبهت الذى كفر (وقوله) النوبة البغدادية الحديث فيها زائد وناقص والخبر عنها مشوب وخالص وابن أبى عصرون قوم يقولون قد وزر وقوم يقولون كلا لا وزر (وقوله) وقفت على تلك الالفاظ المجنسة التى هى ذرية بعضها من بعض وثمرات الجنة فكلما رزقت منها رزقا قلت كقول أهلها الحمد لله الذى أورثنا الارض (وقوله) ومما يجب ان يعانيه تربية الحمام التى سكنت فى البروج فهى أنجم وأعدت كنائن المهمات فهى أسهم وقد كادت ان تكون من الملائكة فاذا نيطت بها الرقاع صارت أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع (وقوله) وحملوا الابرجة الخشبيه وزحفوا بها الى الابراج الحجريه وخصوصا الى برج يعرف بالذباب ولكن حماه ذباب السيف الاسلامى من الذباب فلم يقدروا ان يستنقذوه وضعفوا عنه فسلبهم أرواحهم وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه (وقوله) والاسلام مد الى ترابه باعا طويلا والقى عليه الشرك من ألسنة السيوف قولا ثقيلا وحصون العدو قامت قيامتها فالها اليوم كيوم تكون الجبال كثيبا مهيلا (وقوله) مما كتب به عن السلطان الملك الناصر الى أمير المؤمنين المستضىء بالله وهو سلام قولا من رب رحيم وروح وريحان وجنة نعيم مملوك العتبات الشريفة وعبدها ومن اشتمل على خاطره ولاؤها وودها ينهى أن الله سبحانه شرف ملة الاسلام على الملل ودولة أمير المؤمنين على الدول وقد أقام سيفه حساب الكفرة فاظهر تحريف حسابها ونقلها من ظهور أسرتها الى بطون ترابها فهل ترى لهم من باقيه أو تسمع لهم من لاغيه وظلت أخفاف بنى حام تحت غربان الفلاة غربانا وشوهدت ظلمات بعضها فوق بعض أفعالا وألوانا وعزت سيوف الاسلام فظلت أعناقهم لها خاضعين وعوتبت منهم الانفس والرؤس فقالتا أتينا طائعين (ومن اقتباسات القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله) من رسالته التى كتبها عن السلطان الملك الظاهر الى شمس الدين آقسنقر الفارقانى جوابا عن كتابه الذى أرسله بفتوح النوبة لما توجه اليها من الديار المصرية (وهو) أدام الله نعمة المجلس ولازالت عزائمه مرهوبة وغنائمه مجلوبة ومحبوبة وسطاه وخطاه هذى تكفى النوب وهذه تفتح أرض النوبة ولابرحت وطأته على الكفار مشتدة وآمالها الهلاك الاعداء كرماحه ممتدة ولاعدمت الدولة بيض سيوفه التى يرعبها الذين

والضحى ان لحيتك لمن تلك اللحى ياشؤم البقرة ترد وانا لاأشعر وتصدر وأنا لاأخبر هبنى لاأعلم بقدومك ألم تعلم بمقامى وهبنى لم أبال بسبالك أما تخاف ملامى وهبنى لم أنشط للقائك ألم ترغب فى سلامى والله لولا شفيعك من القلب لربطتك مع الكلاب ولكن لاحيلة وصدرى حصارك وكلى انصارك والسلام

(وله أيضا الى المعدل بن أحمد)

تصبحنا الايام كل صبيحة
ببادرة تربو على أخواتها
وكانت تطير الطير عن وكناتها
فصارت تزيل الهام عن سكناتها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه ثم اختلف العلماء فيمن وهب من ماله وأعطى من حلاله

كذبوا

كذبوا على الله وجوههم مسودة صدرت هذه المكاتبة الى المجلس تثنى على عزائمه التى دلت على كل أمر رشيد وأتت على كل جبار عنيد وحكمت بعدل السيف فى كل عبد سوء وما ربك بظلام للعبيد والله يشكر تفاصيل همم المجلس وجملها وآخر غزواته وأولها واذا انسلخ نهار سيفه من ليل هذا العدو بعود سالما الى مستقره والشمس تجرى لمستقرلها (وقوله) فى وصية العهد الشريف الذى انشأه للسلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل عن والده الملك المنصور قلاوون الصالحى رحمه الله وهو والشرع الشريف هو قانون الحق المتبع ومامون الامر المستمع به يتمسك من يمتاز ويمتاز وهو جنة والباطل نار فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (ومن ذلك) اقتباس العلامة أبى طاهر اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى فى رسالة القوس وهو صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الاما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم (ومن ذلك) ما أورده الشيخ جمال الدين بن نباتة من الاقتباسات البديعية فى رسالة السيف والقلم فرقى الانامل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه فى خلعة سواده والتفت الى السيف فقال بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ما قدر وقسم وصلى الله على سيدنا محمد القائل جف القلم بما هو كائن وعلى آله وصحبه ذوى الجد البين وكل مجد بائن صلاة واضحة السطور فاتحة أدراج الصدور ما نقلت عن صحائف البحار غواديها وكتبت أقلام النور على مهارق الرياض حكمة باريها أما بعد فان القلم منار الدين والدنيا وقصبة سباق ذوى الدرجة العليا ومفتاح باب اليمن المجرب اذا أعيى وسفير الملك المحجب وعذيق الملك المرجب وزمام أموره السائرة وقادمة أجنحته الطائرة وأئمة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخرة به رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنة وحسبه ما جرى على يده الشريفة من منه ان نظمت فرائد العلوم فالقلم سلكها وان علت أسرة الكتب فانما هو ملكها هذا وهو الجارى بما أمر الله به من العدل والاحسان والمسود الناظر فكانما هو لعين الرأى انسان طالما قاتل على البعد والصوارم فى القرب وأوتى من المعجزات نوعا من النصر والرعب لا يعاديه الا من سفه نفسه وابس ابسه وطبع على قلبه وفل الجدال من غربه وكيف يعادى من اذا كرع من نقسه فقل انا أعطيناك الكوثر واذا كر شانئه فقل ان شانئك هو الابتر فعند ذلك نهض السيف عجلا وتلظ لسانه للقول مرتجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها فى ذوى العصيان فاغصتهم بماء الحتوف وشيد بها مراتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وعقد مرصوف وصلى الله على سيدنا محمد حازم الالوف وعلى آله وأصحابه الذين طالما محوا بريق الصوارم من سطور الصفوف وسلم أما بعد فان السيف زند الحق القوى وزنده الورى به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاه وجلا شخص الدين الحنيفى وقد جنح جفاه وأجرى سيوله بالاباطح فاما الحق فمكث وأما الباطل فذهب جفاه وحملته

ثم رجع فى نواله فقال أبو حنيفة مكروه قبيح وقال الشافعى حرام صريح وقلتم انه حسن مليح ولكل أصل وترجيح وتأويل الخبر صحيح يقول أبو حنيفة التى وان كان رجيعا وكان أكله قبيحا شنيعا فليس بحرام ويقول الشافعى ورد الخبر مورد النهى ولا شئ فى بابه القى وتقولون التى لمن قاءه لا لمن شاءه ونحن اولى به من الكلاب وان ساءه وود عليك كتاب من سلطانى بان لا تتعرض لضياعى بوجه ولا تطالب اكرتى بشئ فرأيت ان أصالحك على النصف من مال الاحداث ووجدت الصلح جائزا فى مال الميراث فامضيت الصلح وأديت النصف ثم رجعت عودا على بدء تطلب ما بقى فبعثت

اليد الشريفة النبويه وخصته على الاقلام بهذه المزيه وأطلعه في ليالي النقع والنقس سراجا وهاجا وفتح باب الدين الى ان دخلت فيه الناس أفواجا فهو ذو العزم الثاقب ومحله المجد الذي زينت آثاره بزينة الكواكب هو الحد الذي كأنه ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب تحسم به ادواء الفتن المضله وتحذف همته الجازمة حروف العله ويحمي من حماه القتام بالضرب فقل يسألونك عن الاهله يجلس على رؤس الاعداء مقهرا ويصرع ابناء الشجاعة قائلا للقلم ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا وهل يفاخر من وقف الموت على بابه وعضت الحرب الضروس بنابه وقذف شياطين القراع بشهبه ومن آياته المشرقة منها طلوع الشمس من غربه ومنها ان الله أنشأ برقه وكان للمارد مصرعا وللرائد مرتعا ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا فقام القلم في دواته وقعد واضطرب على وجه القرطاس وارتعد وانحرف الى السيف وقال أيها المفتخر بطبعه المغرور لمعه الناقض من حبل الانس بقطعه الناسخ بجوره من ظلال العيش فيأ السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا الجليس الذي طالما عادت عليه عوائد شره الكمين الابليس الذي لو أمر بالسجود لقال خلقتني من نار وخلقته من طين فاقطع عنك أسباب المفاخره واستر من نابك فيهذه المكاشره فما يحسن بالصامت محاورة المفصح والله يعلم المفسد من المصلح اولست الذي قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج في الحرم

فدع عنك هذا الفخر المديد وتأمل قدري اذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد قلت ولولا خشية الاطالة لاوردت هنا رسالة السيف والقلم بكمالها ولكن في هذا القدر من نور اقتباسه ما يهتدي به الاعشى ويستغني بانشائه عن سلافة الانشاء ومن غريب اقتباسات الشيخ جمال الدين أيضا ما كتب به مع منقد نحاس (وهو قوله فيه) طالما حمدت معاشرته وانست في الليالي مسامرته وأطلع من أفقه نجوما سعيدة القران وتلا على الربع والشلح يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران (ومن ذلك) بديع الاقتباس للشيخ زين الدين بن الوردي في خطبته في الكلام على المائة غلام (وهو) لعمري ما أنصفني من اصابني بالظن وظن اني رضيت مع درجة العلم بهذا الفن والصحابة كانوا ينظمون وينثرون ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون (ومن ذلك) قوله في توقيع عدالة بعض الشهود بحلب المحروسة (وهو) الحمد لله الذي شاد رتبة العدالة وحماها وجعلها همة من شرفت نفسه فزكت وقد أفلح من زكاها وعصمة من فرقة في قلوب الحكام من نار تدليسهم وقود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (ومن ذلك) ما كتب به عنه وعن أخيه يوسف واذاعني الصاحب بالاخ رفقا لونا صحا انا تلونا هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا والله يعلم ما يبلغه بلوغك ويلقنا من جونا يا لوغ مرجولك حتى يقول أولاد الصاحب عنا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا (ومن ذلك) ما كتب به بقية السلف الشيخ زين الدين أبو بكر العجمي على قصيدتي الكافية البديعية تقريظا أشرقت أقطار الادب بنور اقتباسه والاقتباس في التقريظ فياله من قصيد يود نحوي أعيان هذه الصناعة من الخباء مطرقه تالية على من قاسها بامرئ القيس فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة (ومن ذلك) ما كتب به الشيخ برهان الدين القيراطي الى الشيخ جمال

اليك ثلاثة دنانير منقبا شرك نحوس الله هذه الدنانير ورزقنا منها الكثير انها تفعل ما لا يفعل التوراة والانجيل وتغني ما لا يغني التأويل والتنزيل وتصلح ما لا يصلح جبريل وميكائيل فانا الامير والشيخ الجليل ومنشورهما الطويل فنسأل الله سترا جميلا وسبحان الله بكرة وأصيلا والسلام

(وله الى الفقيه أبي الحسن الظريف)

من استلام في اخوة أو قصد في مرقوع الفقيه السابق الى كل كريم من الخصال المبتهج بكل نبيه من الكمال الحالي بكل نادرة غراء العاطل من كل فاحشة عذراء انذكر الجمال طلع بدرا او السخاء زخر بحرا او العميد رسخ

الدين بن نباته يقبل الارض التى سقت السماء نباتها وعمر الله بمعانى الحسن أبياتها (منها) فلا عجب وان فطم بديع الزمان بلفظه البديع وأزهرت الاوراق بمنثور رسائله التى كل فصل منها ربيع وتجلت صفحة الخد المنمنمة بطراز العذار المرقوم وقالت الكؤس حين شبهت في امالة الاعطاف بالفاظه وما منا الاله مقام معلوم (منها) فسبحان من أسرى بها في ليل نقسها الى المحل الاقصى وحباها بالفضل الذى لا يحصى وأنبت دوحها في رياض الفصاحة وجنى حدائقها التى لو فتح النرجس عينه في عينها انتسب الى الوقاحة فتبارك الذى جعل في سماء دوحته لشمس بلاغته بروجا وأعلى همته التى لا ترضى الشهب جيادا والاهلة سروجا حتى أقام يراع قلمه لسوق الادب قصبه وشاد من قصائده كل بيت اذا مر الحاسد ببابه قبل العتبه وسارت كالسبعة السيارة مصنفاته وعلت من قصر مطالشيد بنات سطوره شرفاته وقد حدت بالمباسم والقدود ميماته وألفاته وزهت امداحه المؤيدية فاصبحت بيوته المرفوعة ذات العماد وراقت محاسنها التى لم يخلق مثلها في البلاد وفضحت لسهولتها الممتنع أدباء العصر الذين جابوا الصخر بالواد (منها) طالما سرح الناظر في بستانها منظره ورام ابن سكرة فتح الابواب لمعارضة قطرها النباتى فوجدها مسكره وعلم المتنبى ان هذا خاتم الادباء لامحاله والمترسل الذى نهض دونه باعباء كل رساله وأقام بتقديمها على غيرها براهين الاحتجاج وقال المجد عند ما قابل بحرها الحلو بصرمه هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن ذلك ما نقلته من خط الصاحب فخر الدين ابن مكانس تغمده الله برحمته (وهو) ورد علينا شخص من اهل القيروان ضرير يسمى عبد الله الزغبى يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالى عن المعانى فتردد الى في مجالس متفرقة ثم بلغنى انه وشى الى صاحبنا الشيخ زين الدين ابن أبى بكر العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بانى اهتضمت جانبه وانتقصته وغضضت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام الغير كثيرا فتأذى من ذلك وتأذيت من كذب الناقل فكتبت اليه على الاعمى حرج يلغنى ثم بلغ الله سيدنا ومولانا الامام العالم العلامة الاديب الشاعر الناظم الناثر المحقق الأمة الكاتب الحجة زين الدنيا والدين قرة عين الكرام الكاتبين أقصى ما ينتهى اليه تنافس المتنافس وتبتهج به صدور الاولياء والرؤساء والمجالس ولا زال زينة يتحلى به العاطل ويظل تحت جناح أدبه القائل من غيبة ذلك الضرير ثم ما لا خشى الله فيبطله والغيب ونقل الى المسامع الكريمة ما لا يصلح للاعتذار عنه ما لم يمح الريب ولكن لا غنا لسيدنا عن المملوك الكليل من التنصل ولا بد من نهلة اعتذار على سبيل التعلل وكان المملوك يترقب سيما المطارحة فهذا العتاب الآن صار عنده محمودا اذ كان السبب لحسن التوسل الى صناعة الترسل (منها) فلو اختلف الادباء على امام لاهل هذه الصناعة مطهر من الارجاس لقال لهم لسان البلاغة مروا أبا بكر فليصل بالناس فكيف يسوغ للمملوك ان يدعى غير هذا وكيف لم لماذا أحسد اعلى الادب فما أجهله من عصر الصبا جهد القسوة اغتلق او تفاخرا بالنظم فما اشغلنى عنه بتدبير الممالك عما عنانى نعم وان كان جوهر الالفاظ عليه يحسد علته فما أزهدنى والله في هذا العرض الفانى (منها) والمسؤل من احسانه امران (احدهما) الجواب بخطه بقوم عند المملوك مقام

صطرا او الرأى اسفر فجرا او الحياء رشح خرا او الذكاء توقد جمرا وقد وصلت كتبه تترى وما تأخر الجواب عنها لعذر الا عادة كسل لم يسبق عليها الاخوان قبله وان لم يكونوا مثله ولم يبلغوا فضله وأرجو ان يكون هذا الكتاب لما خرقه الكسل رفوا ولما جرحه التهاون أسوى وقد نهض أبو فلان وهو منى بمنزلة العين واليدين وأوصيته ان لا يغب زيارته يوما وكما أوصيته كذلك أوصى الفقيه ان لا يألوه معاضدة ومراغدة انه بعد مشتغل ابلده فليجمع بينه الى يده في كل ما هو بصدده ويحمله أخبره بما أجريت بحضرة الشيخ من حديثه وقراءته عليه من كتابه وتحدثت عنه

الفرج من هذه الشدة والآخر رد كل فاسق عن الباب العالى فان ابا بكر أول من تصلب فى الردة وبلغ المملوك ان هذا الضرير قصد بعض الاصحاب برمية كهذه فاصمى وتردد اليه مرة أخرى فعبس وتولى أن جاءه الاعمى (ومن ذلك) ما كتب به الى المقر الصاحبى الفخرى المشار اليه بعد توجهى من خدمته الى دمشق المحروسة ومشاهدتى ما قدر الله عليها من الحريق والحصار من قبل الملك الظاهر سنة احدى وتسعين وسبعمائة وهذه الرسالة التى سارت بها الركبان وجاء لبديع الاقتباس فى معانيها بيان (وهى) يقبل الارض التى من يممها أو تيمم بترابها حصل له الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود الى ابوابها أكثر من هيمان العرب الى ربا نجد ولازالت فحول الشعراء تطلق اعنة ألفاظها وتركض فى ذلك المضمار وتهيم بواديها الذى يجب ان ترفع فيه على اعمدة المدائح بيوت الاشعار وينهى بعد اشواق أمست العين بها فى مجارى العين معتبرة ولولم يقر انسانها بمرسلات الدمع لقلت فى حقه قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فياليته قبض قبل ان يكتب عليه ذلك الوصول ودخوله اليها والله لقد تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول (منها) وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين ولقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد آتونى زبر الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا ضج المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا سلاسلا وأغلالا وسعيرا يامولاى لقد لبست دمشق فى هذه المآتم السواد وطبخت قلوب أهلها وسلقوا من الاسنة بالسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستنشقوا لم ينشقوا رائحة الغادية وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وكم رجل تلاعب دلهيب بيته تبت يدى أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب (منها) وتطرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفت الآزفة وستروابر وجها من الطارق بتلك الستائر وهم يقولون ليس لها من دون الله كاشفة (منها) وتطاول الى السور المشرف وقد فضل فى علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات فما وقفنا على باب الا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا الا أبدا من المشكلات فلوايتك لو نظرته يوم الحرب وقد تصاعدت فيه أنفاس الرجال لقلت ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد والى المحاصرين وقد جاؤا فارسا وراجلا ليشهدوا القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والى كواكب الاسنة وقد انتثرت والى قبور الشهداء وهى من تحت أرجل الخيل قد بعثرت والى كر الفوارس وفرها لقلت علمت نفس ما قدمت وأخرت (منها) وتصفحت بعد ذلك خاصة باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكرا وحمدا وتاملت أهل الباب وهم يتلون لاهل البلد سورة الفتح وللمحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا وكم طلبوا فتحه ولم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (منها) هذا وكم من مؤمن قوم خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعاه قوم لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار ياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار (منها) فاعيذ ما بقى من السبعة بالسبع المثانى والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوبى حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (منها) ويوم ملتفتا الى

فيه من اصطناعه وصوبت رأيه فيه من اختياره وأبو فلان يقوم بوصفه وما أمرنى بكتابه واردا ورسوله قاصدا وحديثه جاريا وخياله طارقا فليهد منها ما استطاع ان لكل موقعا وللفقيه فيما يراه التوفيق والسداد ان شاء الله تعالى

(وله الى طاهر الداوردى يهنئه بابن له)

حقا لقد انجز الاقبال وعده ووافق الطالع سعده وان الشأن فيما بعده وحبذا الاصل وفرعه وبورك الغيث وصوبه وا ينع الروض ونوره وحبذا مهاة اطلعت فرقدا وغابة ابرزت اسدا وظهر وافق سندا وذكر يبقى ابدا ومجد يسمى ولدا وشرف لحمة وسدا

ظاهر كيسان فانفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الازهار والدراهم رباها وكابرت الى اطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الأ أحصاها (منها) هذا وكم خانق قبل اليوم آويناه بها الى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعدما كان يطرب على عود وطار وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل والبسر عسيرة ولقد كان أهلها في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة (ومن ذلك) ما أنشأته قديما في توقيع لمولانا قاضي القضاة علاء الدين عالم المسلمين أبي الحسن على الحنبلي جعل الله الوجود بوجوده بنظر البيمارستان النورى بحماة المحروسة والذى أوردته في التوقيع من الاقتباسات البديعة قولى وصفت مشارب الصفاء بعد الكدر وسقاهم ربهم شرابا طهورا وتلا من سعى لهم في ذلك وجزى بالخيرات ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ودار شراب العافية على اهل تلك الحضرة بالطاس والكاس وحصل لهم البرء من تلك البرانى التى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وغشت العصى في مفاصل ضعفائهم وقيل لهم جوزيتم بما صبرتم وامتدت مقاصيرهم وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم (ومن ذلك) ما اقتبسته في ديباجة عهد مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفا وتعظيما وهو الحمد لله الذى شد عضد هذه الامة بمن أمسى به معتضدا واسعفنا من البيت النبوى بخليفة ما برح شيخ الملوك في تقديم بيته الشريف مجتهدا وأقام العلم العباسى بعد ابى مسلم بابى النصر فاكرم بحسن الختام وحسن الابتدا ونشكر حمده على سلطان مؤيد اتحف به العلماء الاعلام وظهر جلالهم في ايامه الزاهرة بهجة فقال هذا زمان مشايخ الاسلام نحمده على حكمته التى اقتضت ان تكون الخلافة عمدة الاحكام ونول بها الالتباس وهو القائل تعالى ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس (ومن ذلك) ما اقتبسته في عهد مولانا السلطان الملك الظاهر ططر بقولى منه فان البغاة بغت لاحتجاب السلطنة عنه سدا أسسته على الطغيان فقيل لاهل البيعة قد فتح الله لابى الفتح فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان (ومن ذلك) ما اقتبسته في مثال شريف مؤيدى كان جوابا لقرا يوسف ونبدى لعلمه الشريف وورود البشير بالقرب اليوسفى وقد حصل بالاسماع قبل رؤيته تشنف وهبت نسمات قبوله فاطفأت ما في القلوب من التلهف وضاع نشرها اليوسفى فقال شوقنا اليعقوبى انى لاجد ريح يوسف وهذه الفتوح لتنافى نعم الله وزمام الاخوة منقادا الينا وقد تعين على المقرآن يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا (واتفق لى) في تقليد قاضى القضاة ولى الدين العراقى اقتباسات بديعة (منها) وكم قال هذا المنصب رب قد اضعفنى اليتم وصار الباطل قويا فهب لى من لدنك وليا (ومنها) واعاذنا الله من ولاية قوم يسعون بينة الحق واذا اجتمعوا على الرشوات تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات (ومن ذلك) ما كتبته على ديوان المقر البارعى الكاملى الادبى العمادى اسمعيل بن الصائغ الحلبى احد أعيان كتاب الانشاء الشريف الذى عارض به ديوان الصبابة للشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة رحمه الله وهو وقفت على هذا الكتاب الذى رفع عماد الادب في هذا الجيل وشرعت في ذكر محاسنه فقال لسان

انجب ايام والداه به
اذ نجلاه فنعم ما نجلا
شهاب ذكاء وبدر علاء
وجداه ابن جلا
ايض يدعو الجفلى
كمثله اولى فلا
اذا الندى احتفلا

(وله الى أبى المظفر في شأن أبيه أبى الحسن البغوى)

يبلغنى ان أباه دائم العبث بالحمى والتنقل يشتمنى وانه حسن البصيرة في بغضى كثير التناول من عرضى واعمر الله ان دم الصديق لا يشرب على الريق ولحم الوريد لا يصلح للقديد والولى لا يقلى ولا يخف له نقلا بالقدح وعلى املائنا بالجرح اويقصر سعيه ويتداركه وهنه ثم علم أن من أملى من مقامات الكدية اربعمائة مقامة لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى وهو لا يقدر منها على عشر حقيق الانهاج لكشف عيوبه والسلام

القلم واذكر في الكتاب اسمعيل (ومنه) واما ابن حجة فقد ندب الى الوقفة على عرفات هذا الفضل المعروف والامتثال هنا واجب ولكن الكف حذر والطريق مخوف هذا وقد ذوت من حد أنق فكرى زهرة الشباب واختفى لسانى كما قال ابن نباتة تواخلى عليه من شقيه مصراعى باب وخمد جمر القريحة وجمدت الذهن السيال ونأى عن خدمتى كافور الطروس وعنبر المداد وصواب المقال ولكن هبت على نسمات الشبيبة من روضة هذا المصنف الجليل فقلت وقد شبت نار القريحة وأملت على هذا الوصف الجليل الذى وهب لى على الكبر اسمعيل وهذا القدر الذى أوردته كاف هنا فى الاقتباس من القرآن فانى اخشى باب الملالة ولكن عن لى ان أفرد كتابا واسميه رفع الالتباس عن بديع الاقتباس وقد تقدم وتقرر أيضا انه ان جاء فى المنظوم فهو عقد وتضمين وان كان فى المنثور فهو اقتباس وقد أوسع بعض علمائه هذا الفن المجال فى ذلك فذكر ان الاقتباس يكون فى مسائل الفقه وقال بعضهم اذا قلنا بذلك فلا معنى للاقتصار على مسائل الفقه بل يكون فى غيره من العلوم وعلى هذا التقدير تعين ان نورد هنا ما وقع من الاقتباس فى الحديث النبوى وبقية العلوم بحيث لا يخلو هذا الشرح الغريب من الغرائب فان الظاهر من كلامهم ان الاقتباس مقصور على القرآن والحديث فما وقع من الحديث النبوى قول الصاحب بن عباد

اقول وقد رأيت له سحابا * من الهجران مقبلة الينا
وقد سحت غواديها بهطل * حوالينا الصدود ولا علينا

الصاحب اقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام حين استسقى وحصل نزول مطر عظيم اللهم حوالينا ولا علينا (ومنه) قول أبى الحسن على بن المفرج المنجم لما احترقت دار الوجيه بن صورة بمصر

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من نهاوش * فعما قليل فى نهابر يعدم
وما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم من أصاب مالا من نهاوش اذهبه الله فى نهابر المهاوش بالنون المظالم والنهابر المهالك الواحد نهبور (ومنه) قول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلى

ومنكر قتل شهيد الهوى * ووجهه ينبئ عن حاله
اللون لون الدم من خده * والريح ريح المسك من خاله

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف دم الشهيد اللون لون الدم والريح ريح المسك ومن اقتباسات الحديث فى النثر قول الحريرى فى المقامات انما الاعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات ومنه قوله شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه

(وله الى بعض اخوانه فى شأن أبى الحسن المحتسب)

بلغنى اطال الله بقاء الشيخ أن فاضلا يكنى أبا الحسن معدودا فى نزل الكتاب وفرج أهل الفضل والآداب انتدب للاقامة بينى وبينه مهامه فيح وما شككت انا اذا وردنا نيسابور استقبلنا سر اهل بقضاء الله وتلقانا فراسخ بسائله وقد وردناها فلا رمح للاستقبال قطع ولا قوس نضال نزع ولا باب سؤال قرع وما زلنا ننتظر نشاطه لما سلف حتى اخلف ونصرته لما بذل حتى خذل واعتزازه لما اقدم حتى احجم وقدامه لما وعد حتى قعد ووفاءه فيما قال حتى استقال واقدامه على ما نذر حتى اعتذر فهو ايده الله وان لم يستقل بلسان قوله فقد استقال بلسان فعله ولم يعتذر فى ظاهر أمره فقد

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وقد رمى الكفار بكف من الحصى شاهت الوجوه ويعجبنى من المنظوم هنا قول الشيخ شهاب الدين أبى جعفر بن مالك الاندلسى الغرناطى

لاتعاد الناس فى أوطانهم * قلما يرعى غريب فى الوطن
واذا ماشئت عيشا بينهم * خالق الناس بخلق ذى حسن

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم لابى ذر اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وهذا الحديث حديث صحيح ومن الاقتباس فى مسائل الفقه فى المنظوم قول بعضهم

اقول للشادن فى الحسن اضحى * يصيد بلحظه قلب الكمى
ملكت الحسن ابيض فى نصاب * فاذ زكاة منظرك البهى
فقال ابو حنيفة لى امام * يرى ان لازكاة على الصبى
وان تك مالكى الرأى أومن * يرى رأى الامام الشافعى
فلا تك طالبا منى زكاة * فاخراج الزكاة على الولى

ومثله قول ابى العلاء احمد بن سليمان المعرى

ايا جارة البيت الممنع جاره * غدوت ومن لى عندكم بمقيل
لغيرى زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

ومما ينسب الى الامام الشافعى رحمه الله

خذوا بدمى هذا الغزال فانه * رمانى بسهمى مقلتيه على عمد
ولاتقتلوه اننى انا عبده * وفى مذهبى لايقتل الحر بالعبد

ومنه قول القاضى عبد الوهاب المالكى

بزرع وردا ناضرا ناظرى * فى وجنة كالقمر الطالع
فلم حرمتم شفتى قطفها * والحكم ان الزرع للزارع

وله ايضا

ونائمة قبلتها فتنبهت * وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها انى فديتك غاصب * وما حكموا فى غاصب بسوى الرد

ومنه قول أبى الطيب المتنبى

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه
ففى تفرمى الاولى من اللحظ مهجتى * بثانية والمتلف الشئ غارمه

المعنى ان النظرة الاولى اتلفت مهجتى فلزم غرمها بنظرة ثانية لانه من أتلف شيأ حكم عليه

اعتذر فى باطن سره ولا اعلم ماالذى نهاه كالا اعلم ماالذى أغراه وما اعرف السبب فى نشوزه كالا اعرفه فى بروزه ولعل العلة فى عذره الآن كالعلة فى نذره كان ومن طلب لغير ارب هرب لغير سبب ومن شهر سيفه قبل الحرب اغمده قبل الضرب ومن حارب لغير احنة صالح بغير هدنة وما احسن البناء على القاعده واقبح الصلف تحت الراعده ورحم الله الجاحظ فقد ضرب حالى مع هذا الفاضل فى قالب قصة ظريفة وحكاها فى معرض اجوبة لطيفة وذكر فى كتاب طبائع الحيوان ان فارين خرجا من نقبين فتوعد كل منهما صاحبه وجعل يهز رأسه ويرفع صدره ويخبط أرضه ويحرق نابه ثم هرب كل من صاحبه من

بغرمه ولكن فى التركيب قلق وعقادة (ومنه) قول شمس الدين محمد بن جابر الاندلسى رحمه الله تعالى

طلبت زكاة الحسن منها فجاوبت * اليك فهذا ليس تدركه منى
على ديون للعيون فلا ترم * زكاة فان الدين يسقطها عنى

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

ياسيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفول
لا تخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

ومن الاقتباسات فى علم المنطق قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للمنطقيين اشتكى أبدا * عين رقيب فليته هجعا
صادرها من أحبه فابى * ان نختلى ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما وما انفصلت * مانعة الجمع والخلو معا

وهذه الابيات فى غاية الحسن ولكن اورد بعضهم ايرادا وقال ظاهر كلامه التعجب من هذه القضية والمراد فى مثل هذا ان يتعجب مما خرج عن القواعد وهذه القضية موجودة مستعملة وذلك قولهم العدد اما زوج واما فرد فهذه القضيه مانعة الجمع فان الزوجية والفردية لا يجتمعان ومانعة الخلو فان العدد لا يخلو من أحدهما فلا معنى للتعجب ومنه قول بعضهم

مقدمات الرقيب كيف غدت * عند لقاء الحبيب متصله
تمنعنا الجمع والخلو معا * وانما ذا الحكم منفصله

هذا تعجب مما يسوغ التعجب منه لان منع الجمع لا يكون فى المتصلة وانما هو فى حكم المنفصلة وأما الاقتباس فى علم الجدل فمنه قول شمس الدين بن العفيف

ومابال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل
وعندى ان الشمس بالصحو آذنت * وسكرى أراه من محياك يقبل

وأما الاقتباس من علم النحو فقد اتسع مجالهم فيه حتى غلب على غالبهم التوجيه فمنه قول أبى الطيب

حولى بكل مكان منهم حلق * تخطى اذا جئت فى استفهامها بمن

أبو الطيب يقول اذا استفهمت عن مثل هؤلاء الاقوام لا تستفهم بمن لان من لمن يعقل وهؤلاء عندى بمنزلة ما لا يعقل فحقهم ان يستفهم عنهم بما ومنه قوله

اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

يقول اذا اهم بفعل اوقعه قبل ان يمنع وينهى عنه ويقال له لا تفعل او ينفى فيقال لم يفعل ومنه قول ابن عنين فى معزول

دون اللقاء فاوى الى بحره وقد كان يعجب من رآهما فى ذلك القرار عقيب ذلك الضرار وذلك الهرب تلو هذا الطلب وتلك الشماسه بعد هذه الحماسه ولو شاهد هذا النفار انسى الفار وما الوم هذا الفاضل على بساط شرطواه وموقد حرب اجتواه لكنى ألومه على ما نواه ثم لم يبلغ هواه واراده ثم لم يورز زناده ورامه ثم لم يبلغ مرامه فاقول قد ضرب فأين الايجاع واندر فأين الايقاع وهذى بوارقه فاين صواعقه وذا الوعيده فاين عديده وتلك بنوده فأين جنوده وهذى معاهده فأين عهوده وما أهول رعده لو أمطر بعده ولا كفران فلعله اشفق على غريب ان يظهر

فلا تغضبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

ومنه قول ابن أبي الاصبع في ذلك

أيا قمرا من حسن وجنته لنا * وظل عذاريه الضحى والاصائل
جعلتك للتمييز نصبا لناظري * فهلا رفعت الهجر فالهجر فاعل

قلت ومن أغرب ما وقع في هذا الباب أن شرف الدين محمد بن عنين مرض فكتب الى الملك المعظم هذين البيتين

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولي الندى وتلاف قبل تلافي
انا كالذي أحتاج ما يحتاجه * فاغنم ثنائي والدعاء الوافي

فجاءه الملك المعظم يعوده ومعه ألف دينار وقال له أنت الذي وانا العائد وهذه الصلة ومنه قول البهاء زهير

يا القادمين قد أقبلت * بالله كوني الف الوصل

ومنه قول الامير امين الدين على السليماني

أضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قول شمس الدين بن العفيف

يا ساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثاني
لاي معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

أما البيتان فانهما في غاية اللطف ولكن أوردوا عليهما أيضا ايرادا حسنا وهو أن الساكنين اذا اجتمعا كسر أحدهما وهو الاول وكلامه في البيتين أن المكسور غير الاثنين ومنه قول ابن الوردي

شاعر أخرج نصفا زغلا * عند خباز فلما أن عرف
قال لم تصرف هذا قال مه * يصرف الشاعر ما لا ينصرف

قلت قد أتيت في معنى هذه النكتة بما هو أبدع من بيت زين الدين بن الوردي وما ذاك الا ان مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف رحمه الله أحالني على شهاب الدين الذهبي بخمسين دينارا ومطل بها مدة فكتبت اليه

قد منعتم صرف الدنانير عني * ولكم في الورى هبات كثيره
وانا شاعر وفي شرع نظمي * صرفها جائز لاجل الضروره

و يعجبني في هذا الباب الى الغاية قول الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر
مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

وحكي أنه كان بالعراق غلامان أحدهما اسمه عمر والآخر أحمد فعزل عمر عن عمله وولي أحمد مكانه بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء في ذلك

أيا عمر استعد لغيره ذا * فأحمد في الولاية مطمئن

عواره وان طار طواره فامسك عن معاياته وان قصد هذا القصد فقد أساء الى نفسه من حيث أحسن الي وأجحف بفضله من حيث أبقى علي وأوهم الناس أنه هاب الصرأن يخوضه والاسد أن يروضه والحية أن تطوقه والسم أن يذوقه وظننت غير المظنون بفضله بعد أن شرقت بكاس الغم من أجله وهجرت الوساد من خوفه وبينا أنشد
ان جنبي عن الفراش لناب
حتى أنشدت
طاب ليلي وطاب فيه شرابي
وبينا أقول
ما للقلبي كأنه ليس مني
حتى قلت
أين من كان قاعدا ايابي ومن وقع بما لم يكتسب فجا من حيث لم يحتسب وما أحسن منارا في هذا الفاضل أن وجد خلف العافية فامتراه وظهر السلامة فامتطاه ومن أبي

٢ قوله في الهامش أين من كان قاعدا ايابي لعله اين من كان قائلا إنا أعني

وكل منكما كف كريم * ومنع الصرف فيه كما يظن
فيصدق فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

ومنه قول الفاضل

لى عندكم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادى المرهون
فكأننى ألف ولام فى الهوى * وكأن موعد وصلكم التنوين

ويعجبنى فى الاقتباس من علم العروض قول القائل

وبقلبى من الجفاء مديد * وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذاك الى أن * قطع القلب بالفراق الخليل

وهذا القدر كاف فى الاقتباس من القرآن والحديث النبوى ومسائل الفقه والمنطق وعلم العربية والعروض وغيره وقد تقدم ان الاقتباس مقصور على القرآن والحديث الى النثر وأما فى النظم فهو عبارة عن عقد وتضمين ونظام البديعيات لم يقتبسوا من غير القرآن * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

هذى عصاى التى فيها مآرب لى * وقد أهش بها طورا على غنمى

وبيت العميان

ذو مرة فاستوى حتى دنا فرأى * وقيل سل تعط قد خيرت فاحتكم

وبيت الشيخ عز الدين

فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم * ولاقتباس يرى من هذه الاطم

وبيت بديعيتى قولى

وقلت ياليت قومى يعلمون بما * قد نلت كى يحظوني باقتباسهم

(ذكر السهولة)

يارب سهل طريقى فى زيارته * من قبل أن تعتريني شدة الهرم

السهولة ذكرها التيفاشى مضافة الى باب الطراوة وشركها قوم بالانسجام وذكرها ابن سنان الخفاجى فى كتاب سر الفصاحة فقال فى جمل كلامه هو خلوص اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف فى السبك وقال التيفاشى السهولة أن يأتى الشاعر بألفاظ سهلة تتميز على ما سواها عند من له أدنى ذوق من أهل الادب وهى تدل على رقة الحاشية وحسن الطبع وسلامة الروية ومن ألطف الامثلة قول الشاعر

أليس وعدتنى ياقلب أنى * اذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى * فمالك كلما ذكرت تذوب

ومنه قول أبى العتاهية

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومذهبى أن البهاء زهيرا قائد عنان هذا النوع وفارس ميدانه فمن ذلك قوله

ومدام من رضاب * بحباب من ثنايا

الايام قبل الليالى ومن عصى الزجاج أطاع العوالى ومن لم يشرب كاس السلامة هنيأ سقى بحل الندامة رويا ولن يعدم طالب الملامة عبوسا ولا خاطب الندامة عروسا ولئن أساء بدأ لقد أحسن عودا ولئن أوعد قولا لقد أمن فعلا وبقى أن يظلم على النضال ولا يندم على الافضال فيأتينا من باب المعاشرة ان لم يأتنا من المكاشرة وينشر نافى الوداد ان لم يطونا فى باب الجهاد اللهم الا أن يكون بقى فى صدره غرض أو فى قلبه مرض ولا يجد من امتحاننا بدا فحينئذ نسأله أن يستر علينا ما يظهر له وليت شعرى بم أراد امتحانى ورام امتهانى فليفطن انى غفلت عما فطن واسترحت مما تعب

(وله ايضا)

اللون أعدل شاهد والتعين

(السهولة)

كان ما كان ومنه * بعد في النفس بقايا

ومثله قوله

ان أمري لعجيب * ملري أعجب منه
كل أرض لي فيها * غائب أسأل عنه

ومثله قوله

شوقي اليك شديد * كما علمت وازيد
وكيف تنكر شيأ * به ضميرك يشهد

ومثله قوله

أوحشتني والله يا مالكي * قطعت يومي كله لم أرك
هذا جفا منك بما اعتدته * فليتني أعرف من غيرك

ومثله قوله

سيدي قلبي عندك * سيدي أوحشت عبدك
اترى تذكر عهدى * مثل ما اذكر عهدك
اترى تحفظ ودى * مثل ما احفظ ودك
قم بنا ان شئت عندى * مسرعا او شئت عندك
الف داري وحدى * فتفضل انت وحدك

ومنه قوله

هذا كتاب محب * قد زاد فيك غرامه
أضناه فرط اشتياق * فرق حتى كلامه
اما ترى كيف اضحى * مثل النسيم سلامه

ومنه قوله

كلي والمدام في فيه * قد نفحت من حباب مبسمه
وماس كالغصن في غلائله * سكران يشتط في تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه * عن نار وجدى وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فمي الى فمه
عجبت من بخله على وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علو فصار يهجرني * رب خذ الحق من معلمه

وقال ويكاد يسيل رقة وسهولة وهو

كتبت اليك اشكو في كتابي * امورا من فراقك أشتكيها
وفي سوق الهوان عرضت نفسي * رخيصا لم اجد من يشتريها
فهل وعد الى سنة فان لم * يكن فيها يكن فيما يليها
وقد أنهيت من شوقي فصولا * لمولانا علو الرأي فيها

ومثله في الرقة والسهولة قوله

أعرف ناقد فليعتبل في اللون وشحوبه والقلب وخفوقه والجسم ونحوله والاجفان ودرها والانفاس وحرها والافكار وغوصها فوالله لقد تحملت وجدا او لاقى الصخر لجلبه أو الحديد أذابه أو الطفل أشابه أو الكوثر لشابه أو الموت اهابه والسلام

(وله ايضا)

لا والله لا أطا العشر فبعدها ولا أريد كرامة لا تحتمل غرامة ولا أقبل محبة لا تساوي حبة والسلام

(وله أيضا)

الانسان يولد على الفطرة فمن طرفه استطرفه ومن لمحه استملحه حين لا يسمى قرطبانا حتى يشق زمانا فاذا انتصب دهرا طويلا يسمى

ملكتمونى رخيصا * فانحط قدرى لديكم
فأغلق الله بابا * دخلت منه اليكم
حتى ولا كيف انتم * ولا السلام عليكم

وألطف منه قوله

انا أدرى بأنى * قل قسمى لديكم
فالى كم تطلعى * والتفاتى اليكم
كان ما كان بيننا * وسلام عليكم

والطف منه قوله

اماتقـــرّرأنا * فلم تأخرت عنا
وما الذى كان حتى * حلت ماقد عقدنا
ولم يكن لك عذر * ولو يكون علمنا
فلا تلمنا فانا * قلنا وقلنا وقلنا

ومنه قوله

قال ماتريح عنى قلت لا * قال ماتطلب منى قلت شى
فانثنى يحمرمنى خجلا * وثناه التيه عنى لا الى
كدت بين الناس أن الثمه * آه لو أفعل ما كان على

ومنه قوله

قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
ويميل فى نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديـــم بقية فى الزاويه

وقال وزنا وقافية وسال برقته

من لى بقلب أشتريـــه من القلوب القاسيه
والسلك ياملك الملا * ح وقدت اشكو حاليه
انى لأطلب حاجة * ليست عليك بخافيه
انعم على بقبلة * هبة والا عاريه
واعيدها لك لا عدمـــت بعينها وكما هيه
واذا اردت زيادة * خذها ونفسى راضيه

ومنه قوله

ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
لو أمرتم بما عسى * ماتعديت امركم
قصروا عمر ذا الجفا * طول الله عمركم

كشفا نائقملا والضب اذا
شب كان بالخيار اشاسمى
لم الحوار أوكنى أبا الحار
أولقب برد الخيار أوشبه
بالمدار وأطلال الداروات
شاسمى برفقة الاحباب أو
زينة الاتراب أوثمرة الغراب
اودمية المحراب اوفرحة
الاياب وعلى الام ان تلد
البنين وتغذوهم سنين
وتقيهم الماء والنار وتكنهم
الليل والنهار فان خرجوا
مخانيث فقد قضت ماعليها
من الحديث وان قرم
السرم فلغيرها الجرم
وان حل الشرج فى الاير
الفرج وعلى أبيها الحرج
أما الام فـفى العزاء وان
رغمت أنوف الشعراء
وماحلت من امرئ فى خلوعها
أعق من الجانى عليه لسانيا

شرفونى بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بأنكم * شهركم لى ودهركم
قد نسيتم وانما * أنا لم أنس ذكركم
لو رأيتم محاكم * من فؤادى لسركم
لو وصلتم محبكم * ما الذى كان ضركم

ومن المرقص فى هذا الباب قوله

تعيش أنت وتبقى * أنا الذى مت عشقا
حاشاك يانور عينى * تلقى الذى أنا ألقى
ولم أجد بين موتى * وبين هجرك فرقا
يا أنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يارب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من اكرم الناس خلقا
لك الحياة فانى * أموت لاشك حقا
باالف مولاى مهلا * باالف مولاى رفقا
قد كان ما كان منى * والله خير وأبقى

وبيت الشيخ صفى الدين فى السهولة قوله

وقلت هذا قبول جاءنى سلفا * ماناله أحد قبلى من الامم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم ولا وجدته فى بديعية الشيخ عز الدين الموصلى الا أن يكون فى نسخة غير التى نقلت منها وعلى كل تقدير فالشيخ عز الدين قدم العقادة فى بيته على السهولة وبيت بديعتى

يارب سهل طريقى فى زيارته * من قبل أن تعتريني شدة الهرم

(وقلت بعده فى حسن البيان)

(حتى يبث بديعى فى محاسنه * حسن البيان وأشدو فى مجازهم)

حسن البيان قالوا هو عبارة عن الابانة عما فى النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس اذ المراد منه اخراج المعنى الى الصورة الواضحة وايصاله الى فهم المخاطب باسهل الطرق وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الايجاز وطورا من طريق الاطناب بحسب ما يقتضيه الحال وهذا بعينه هو البلاغة وحقيقتها * وفى البيان الاقبح والاوسط والاحسن * فالاقبح كبيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبى فى يده فاراد أن يقول أحد عشر فادركه العى حتى فرق أصابعه وأدلع لسانه فافلت الظبى ومن هنا يعلم أنه ليس كل ايجاز بلاغة ولا كل اطالة عيا فانه لا ايجاز فى الافهام أوجز من بيان باقل لان المخاطب فهم عنه بمجرد نظرة واحدة وقد ضرب به المثل بالعى فى بيانه وكان الاحسن أن يقول احد عشر * والاوسط أن يقول ستة وخمسة أو عشرة وواحد والنوع المبين فى هذا الباب بيان القرآن الكريم كقوله تعالى وقد أراد أن يحذر من الاغترار بالنعم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين وكقوله سبحانه وتعالى وقد أراد أن يبين عن الوعد ان المتقين فى مقام أمين وكقوله

وقد بلغنى عن فلان ما كاد يوحش وسوء الاستمساك خير من حسن الصرعة والسلام

(وله الى ابن أخته)

أنت ولدى ما دمت والعلم شانك والمدرسة مكانك والمحبرة حليفك والدفتر اليفك فان قصرت ولا اخالك فغيرى خالك والسلام

(وله أيضا الى وارث مال)

وصلت رقعتك ياسيدى والمصاب لعمر الله كبير وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر اجدر والعزاء عن الاعزة رشد كانه الغى وقد مات الميت فليحى الحى فاشدد على مالك بالخمس فانت اليوم غيرك بالامس قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك تضحك ويبكى لك وقد مولك بمال بين سراه وسيره وخلفك فقيرا الى الله غنيا

حسن البيان

سبحانه وقد أراد ان يبين عن الوعيد ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وكقوله تعالى فى الاحتجاج القاطع للخصم وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن العدل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وامثال هذا الباب كثيرة لمن يتتبعها فى القرآن ومما جاء من ذلك فى الشعر قول أبى العتاهية

يضطرب الخوف والرجاء اذا * حرك موسى القضيب اوفكرا

وكقول الآخر

لسلطات فى خفايا سريرة * اذا ذكرها فيها عتاب ونائل

فان هذين الشاعرين أرادا مدح هذين الممدوحين بالخلافة ووصفهما بالقدرة المطلقة وعظم المهابة بعد الله سبحانه وتعالى فاذا نظر أحدهما نظرة أو حرك القضيب مرة أو اطرق مفكرا اضطرب الخوف والرجاء فى قلوب الناس فابانا عن هذه المعانى باحسن ابانة وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله تعالى

وعدتنى فى منامى ماوثقت به * مع التقاضى بمدح فيك منتظم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

حسن البيان بحمد الله بين لى * هدى النبى الرضى الواضح اللقم

وبيت بديعيتى قلت قبله فى السهولة

يارب سهل طريقى فى زيارته * من قبل ان تعتريني شدة الهرم

وقلت بعده فى حسن البيان

حتى يبث بديعى فى محاسنه * حسن البيان وأشدو فى حجازهم

(وقلت بعده فى الادماج)

قد عز ادماج شوقى والدموع لها * على بهار خدودى صبغة العنم

هذا النوع أعنى الادماج هو ان يدمج المتكلم غرضا له فى ضمن معنى قد نحاه من جملة المعانى ليوهم السامع انه لم يقصده وانما عرض فى كلامه لتتمة معناه الذى قصده كقول عبيد الله بن عبد الله لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان ابن عبيد الله قد اختلت حاله فكتب لابن سليمان

أبى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا * واسعفنا فى من نحب ونكرم

فقلت لنعماك فيهم أتمها * ودع امرنا ان المهم المقدم

فادمج شكوى الزمان وشرح ماهو عليه من الاختلال فى ضمن التهنئة وتلطف فى التلويح ورغب فى التحصيل لبلوغ الغرض مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال لا جرم أن ابن سليمان فطن لذلك ووصله واستعمله ومن لطيف الادماج قول ابن نباتة السعدى

ولا بد لى من جهلة فى وصاله * فهل من حليم أودع الحلم عنده

ابن نباتة ادمج الفخر فى الغزل فانه جعل حلمه لا يفارقه البتة ولا يرغب عنه بنفسه جملة وانما عزم على ان يودعه اذ كان لا بد له من وصل هذا المحبوب لان الود انع لستعاد ثم انه ...

عن غيره وسيجم الشيطان عودك فان استلانه رمالك بقوم يقولون خير المال ما أتلف بين الشراب والشباب وأنفق بين الحباب والاحباب والعيش بين الاقداح والقداح ولولا الاستعمال لما أريد المال فان أطعتهم فاليوم فى الشراب وغدا فى الخراب واليوم واطربا للكاس وغدا واحربا من الافلاس يامولاى ذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك المسموع من الناى هو اليوم فى الآذان زمر وغدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعة والقنطار فى هذا العمل بضاعة وان لم يجد الشيطان مغمزا فى عودك من هذا الوجه رمالك بآخرين يمثلون الفقر حذاء عينك فتجاهد قلبك وتحاسب بطنك وتناقش غبنك وتمنع نفسك وتبوء فى دنياك بوزرك وتراه

الادماج

الخل الصالح الذى يصلح لهذه الوداعة استفهاما انكاريا فيكون مفهوم الخطاب بقيا حله لعدم من يصلح للوداعة ثم أدمج فى ضمن الفخر الذى أدمجه فى الغزل شكوى الزمان لقلة الاخوان بحيث انه لم يبق منهم من تصلح لهذا الشان ومنه قول ابن المعتز فى وصف الخيرى

قد نفض العاشقون ما صنع الـ * ـدهر بالوانهم على ورقه

قصد وصف الخيرى بالصفرة وأدمج فيه وصف ألوان العشاق وبيت الحلى فى الادماج قوله

اصدق قولك لوحب امرء هجرا * لكان فى الحشر عن مثواهم يرم

هذا البيت فيه ادماج سؤاله حسن المحشر فى زمرة النبى صلى الله عليه وسلم فى طى تصديقه الحديث المأثور عنه وبيت العميان

لهم أحاديث مجد كالرياض اذا * أهدت نواسم أحيت دارس السلم

قال الشيخ أبو جعفر الشارح ان الناظم جعل لهم اولا أحاديث مجد طيبة وأدمج فى ذلك وصف الرياض وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

ادمجت شكواى من ذنبى بمدحته * عساك تشفع لى يا شافع الامم

الشيخ عز الدين ذكر انه أدمج الشكوى من ذنبه لكن نوع الادماج البديعى لا أعلم أين أدمجه والله أعلم وبيت بديعيتى

وقد عزا دماج شوقى والدموع لها * على بهار خدودى صبغة العنم

هذا البيت أبدع من بيت ابن المعتز وفيه زيادة وادماج آخر فان ابن المعتز غاية قصده وصف الخيرى بالصفرة وأدمج فيه ألوان العشاق وأنا قصدت شرح الحال فى غزارة ادماج الشوق بواسطة جريان الدمع وأدمجت فى ذلك صفرة اللون وحمرة الدموع هذا ومحاسن التورية بتسمية النوع غير خافية على أهل الانصاف من حذاق الادب والله اعلم

(ذكر الاحتراس)

فان اقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد مختصم

الاحتراس هو ان يأتى المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له فيأتى بما يخلصه من ذلك ومثاله فى كتاب الله عز وجل اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فاحترس بقوله سبحانه وتعالى من غير سوء عن امكان ان تدخل فى البرص والبهق وغير ذلك ومثال ذلك فى الشعر قول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام وديمة تهمى

فقوله غير مفسدها احتراس من مقابله وهو محو معالمها والفرق بين الاحتراس والتتميم والتكميل ان المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتى التكميل بزيادة تكمل حسنه اما بفن زائد او معنى والتتميم يأتى لتتميم نقص المعنى ونقص الوزن معا والاحتراس انما هو لدخل يتطرق الى المعنى وان كان تاما كاملا ووزن الشعر صحيحا وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

فوفنى غير مأمور وعودك لى * فليس رؤياك اضغاثا من الحلم

احتراس الشيخ صفى الدين فى قوله غير مأمور فان لفظة وفنى فى البيت فعل أمر ومرتبة

قوله الدهر فى نسخة الهجر

قوله أحيت الخ فى نسخة

تحيى بالى الرمم

فى الآخرة فى ميزان غيرك لا ولكن قصدا بين الطريقين وميلا عن الفريقين لا منع ولا اسراف والبخل فقر حاضر وضير عاجل وانما يبخل المرء خيفة ماهو فيه فليكن لله فيما لك قسط وللمروأة قسم فصل الرحم ما استطعت وقدر اذا قطعت فلان تكون فى جانب التقدير خير لك من أن تكون فى جانب التبذير

(وله أيضا الى ابى الحسن البيهقى)

حزنى وانا حصير بد الفضل طويلة ولسان الشكر قصير انا بالله وبهذا اللعاج بآى بيهق وهذا بابها والشيخ الفاضل وبيته وما احسن هذه العادة واحسن منها الاعادة والبر فى كل فصل جديد والقطام كما علمت شديد وابتداء الفضل سهل والشان فى ترتيبه والاقط مطبوخا اطيب والباذنجان نضيجا اقرب ونحن الى الدعوة احوج والصديق

الآمر فوق مرتبة المأمور فاحترس بقوله غير مأمور والعميان ما نظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين

حتى له تمشي في المفاصل قل * بالاحتراس تمشي البرء في السقم

قلت الشيخ صفي الدين احترس في بيته بقوله غير مأمور واحتراس الشيخ عز الدين عجزت عن تحقيقه بل عن تحقيق معناه فان هذا البيت مأخوذ من قول أبي نواس في وصف الخمرة

فتمشت في مفاصلهم * كتمشي البرء في السقم

وبيت بديعيتي

فان أقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد مختصم

فقولي غير مطرود هو الاحتراس الذي يليق بمقام المادح بالنسبة الى مقام النبي صلى الله عليه وسلم والتورية باسم النوع في قولي لم أحترس بعدها محاسنها تورى والتكميل بقولي من كيد مختصم هو الذي زاد محاسنها بهجة وكمالا

(وقلت في براعة الطلب)

(وفي براعة ما أرجوه من طلب * ان لم أصرح فلم أحتج الى الكلم)

هذا النوع من مستخرجات الشيخ عز الدين الزنجاني في كتاب المعيار وهو أن يلوح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة مهذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الالحاف والتصريح بل يشعر بما في النفس دون كشفه كقول أبي الطيب المتنبي

وفي النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتي بيان عندها وخطاب

والفرق بين براعة الطلب وبين الادماج أن الادماج أن يقدم معنى من المعاني ثم يدمج غرضه ضمنه ويوهم انه لم يقصد وهذا مقصور على الطلب فقط وهو أيضا فرق بينه وبين الكناية وبيت الشيخ صفي الدين قوله

وقد علمت بما في النفس من أرب * وأنت أكرم من ذكرى له بفمي

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله قوله

براعة بان فيها منتهى طلبي * وأنت أكرم من نطق بلا ولم

وبيت بديعيتي

وفي براعة ما أرجوه من طلب * ان لم أصرح فلم أحتج الى الكلم

(وقلت بعده في العقد)

(قد صح عقد بياني في مناقبه * وان منه لسحرا غير متهم)

العقد ضد الحل لان العقد نظم المنثور والحل نثر المنظوم ومن شرائط العقد ان يؤخذ المنثور بجملة لفظه او بمعظمه فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ومتى اخذ بعض معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعا من انواع السرقات ولا يسمى عقدا الا اذا اخذ الناظم المنثور برمته وان غير منه طريقا من الطرق التي قدمناها كان المتبقي منه اكثر من المغير بحيث يعرف من البقية صورة الجميع كما فعل ابو تمام في كلام عزى به الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الاشعث بن قيس في ولده وهو ان صبرت صبر الاحرار والا سلوت سلو

لا يغنى وانا الا استزيد فمتى القدر تدركه وفي أي ليلة تحضر والسلام

(وله أيضا)

انا اطال الله بقاء الشيخ ان كان اللقاء أول نظرته جفاه فعود الرحال على ارتحال والمرء كالسيف مضاه تحت شباه فمن رأى فرنده فقد عرف ما عنده (قيل لنصراني) ان المسيح يحيي الموتى فقال واحر باه كذا من اشبه آباه ولولم استدل على فضله الا باصطناع ذلك الشيخ له لكفت خلة ان لا اضل طريقا فهل ترى ان نشترك في خدمة ذلك الشيخ على ان تكون على مؤنها وله منها والى كلفها وله تحفها فان رأى ذلك الصواب فليحسن المآب وليعرفني لا كون الرقعة الثانية اذا رجع أو يدلني على ما صنع فما اشوقني الى ذلك المجلس الشريف وما احوجني الى التعريف ورأيه الموفق في ذلك ان شاء الله تعالى

براعة الطلب
العقد

البهائم فعقده أبو تمام شعرا فقال

وقال علي في التعازي لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

وبيت الشيخ صفي الدين قوله

ماشب من خصلتي حرصي ومن أملي * سوى مديحك في شيبي وفي هرمي

المقصود في هذا البيت من العقد قول النبي صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

عقد اليقين صلاتي والسلام على * محمد دائما مني بلا سأم

قلت أما الشيخ صفي الدين فاني لم أصادف في بيته من عقد الحديث النبوي محلا ولكن ذكرته حكاية حاله وأما الشيخ عز الدين غفر الله له فانه ذكر في شرحه أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وفي حديث آخر قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وفي الحديث اكثروا من الصلاة علي ومنه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وذكر انه عقد الآية والحديث ولم يظهر لي حل هذا العقد في أي موضع هو من البيت وبيت بديعيتي

قد صح عقد بياني في مناقبه * وان منه لسحرا غير محترم

العقد هنا قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا والله أعلم

(ذكر المساواة)

(تمت مساواة أنواع البديع به * لكن يزيد على ما في بديعهم)

هذا النوع أعني المساواة مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وهذا من البلاغة التي وصف بها بعض الوصاف بعض البلغاء فقال كأن ألفاظه قوالب لمعانيه ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك * واعلم أن البلاغة قسمان ايجاز واطناب والمساواة معتبرة في القسمين معا فأما الايجاز فكقوله تعالى ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب والاطناب في هذا المعنى كقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل وقال سبحانه وتعالى في قسم الايجاز من غير هذا المعنى خذ العفو وامر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين وقال عز من قائل في الاطناب ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولا بد من الاتيان بهذا الفصل لئلا يتوهم المتأمل ان الاطناب لا يوصف بالمساواة ومن الشواهد على المساواة قول امرئ القيس

فان تكتموا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد
وان تقتلونا نقتلكم * وان تقصدوا الدم لا نقصد

(وله الى أبي علي بن مشكويه)

الاستاذ الفاضل وان كان باذلا في التجارب حنكته والايام عركته فقد يخفى على العارف وجه الامر لغموض سببه وعين الناظر أبصر من عين المناظر وليس من يدأب كمن يلعب وهذا شيء لا تعمد خاتمته ودست لا تعمد قائمته وقد جعل الحبس بجريدته فليجعل العفو بيت قصيدته ولكن الحلم سلطان غضبه وليرش الماء على لهبه فبالله ما ادخر ودا ولا آلو نصحا ووفقني الله قائلا ووفقه قابلا وعد الآن الى حديث الشوق وتقسم فكري بخروجه وهذه عادة الايام معي اذا عقدت اصبعي وذلك اني لم أثق بصاحب * من الناس الا خانني وترحلا في البيت لفظ قلبته لغرض

المساواة

وقول زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقول طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

وقد مدحت بما تم البديع به * مع حسن مفتتح منه ومختتم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

خطت مساواة معناه وصورته * فى الحسن شاهدة فى نون والقلم

وبيت بديعيتى فى المساواة قولى

تمت مساواة أنواع البديع به * لكن يزيد على ما فى بديعهم

(وقلت بعده فى حسن الختام)

(حسن ابتدائى به أرجو التخلص من * نار الجحيم وهذا حسن مختتمى)

هذا النوع ذكر ابن أبى الاصبع انه من مستخرجاته وهو موجود فى كتب غيره بغير هذا الاسم فان التيفاشى سماه حسن المقطع وسماه ابن ابى الاصبع حسن الخاتمة وهذا النوع الذى يجب على الناظم والناثر ان يجعلاه خاتمة لكلامهما مع أنهما لا يبدآن بحسنا فيه غاية الاحسان فانه آخر ما يبقى فى الاسماع وربما حفظ من دون سائر الكلام فى غالب الاحوال فلا يحسن السكوت على غيره وغاية الغايات فى ذلك مقاطع الكتاب العزيز فى خواتم السور الكريمة فمن المعجز فى ذلك قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره انظر أيها المتدبر هذه البلاغة المعجزة فان السورة الكريمة بدئت بأهوال يوم القيامة وختمت بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (ومثله) قوله تعالى فى سورة عبس يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ومن ذلك قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (ومن كلام أمير المؤمنين) على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو المقدم فى فنون البلاغة على بلغاء البدو والحضر فى ختام جواب كتب به الى معاوية ثم ذكرت انه ليس لى ولاصحابى عندك الا السيف فلقد أضحكت بعد استعبار وانى مرقل اليك بجحفل من المهاجرين والانصار وقد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية عرفت مواقع نصالها فى أخيك وخالك وجدك وما هى من الظالمين ببعيد [illegible]

بقية

حسن الختام

أصبته ومعنى غيرته لشئ آثرته وهو الطرف الهمذانى فليعلم ذلك والسلام

(وله الى أبى سعيد الطائى الهمذانى)

انا بحاجة دى الى من أخبار الشيخ قرير العين قوى الظهر مستظهر على الدهر معتد للايام بما يوليه من حال يرضاها ومحاب يبلغها راغب الى الله تعالى فى حفظ ما خوله والزيادة فيما فضله ومن فتى سمى بالثناء عليه وبرد صبرى بحسن القول فيه أبو فلان فقد أبدا وأعاد وأبلغ وزاد وأحسن وأجاد ووراء الانفصال وراءه الى ما خلف من خطه بخدمته ومكانه من مجلسه وسالنى تزويده هذه الاحرف ليتخذها عنده ذريعة وتكون له يدا وذريعة فأنعمت له بالجواب وسيصل بمشيئة الله فلا

بعد ذلك على ان فواصل المقامات يقوم غالبها مقام المثل السائر وحسن خواتمها تعقد عليه الخناصر (وقد عن لى) ان أورد هنا مقامة كاملة فاذا نظر المتأمل الى براعة استهلالها وفهم القصد الذى جنح اليه الحريرى عرف مقدار حسن الختام الذى تمت به الفائدة وحسن السكوت عليه (وقد اخترت المقامة الثالثة عشرة) وهى الزورائية لانه ثبت عن القاضى الفاضل انه شرع فى معارضة المقامات وعارض منها كل فصل بفصل أحسن منه الى ان وصل الى فصل هذه المقامة الذى سيأتى وأنبه عليه فى موضعه والمقامة الموعود بايرادها هى قوله (حكى الحرث بن همام) قال ندوت بضواحى الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبار بغبار ولا يجرى معهم ممار فى مضمار فأفضنا فى حديث يفضح الازهار الى ان نصفنا النهار فلما غاض در الافكار وصبت النفوس الى الاوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر احضار الجرد وقد استتلت صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل فما كذبت اذ رأتنا أن عرتنا حتى اذا ما حضرتنا قالت حيا الله المعارف وان لم يكن معارف اعلموا يا مآل الآمل وثمال الارامل انى من سروات القبائل وسريات العقائل (والفصل الذى عجز القاضى الفاضل عنه هو) لم يزل أهلى وبعلى يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهت اليمين وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب (قلت) وهذا الفصل الذى أحجم القاضى عن معارضته قلت فى معناه وكتبت الى سيدنا قاضى القضاه صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه رسالة بجسده مشتملة على ذلك جميعه راعيت فيها النظير لاجل الصدر من الرأس الى القدم ولم أخرج فيها عن حسن الختام الذى ما ختمت رسالة بنظيره والتزمت فيها السجع الذى فر الحريرى منه فى فصله (وقد عن لى) ان أثبت الرسالة هنا بكمالها وارجع الى ما كنا فيه من حسن الختام فى المقامة الحريرية (وهى)

يقبل أرضا بالعلا قد تجسدت * بأرواح أهل العلم روضة مشتهى
وهبت بانفاس العلوم قبولها * ولا زال صدر الدين منشرحا بها

وينهى أن الصدر رأس العلوم وكم له من فرق دق على الافهام وهو كالغرة فى جبهة الايام لازال الجد له حاجبا وقرونا بسعده الشامل ولا برح بعلمه عين الوجوه الماثل فلله أهداب معانيه التى هى أسحر من عيون الغزلان وأمضى من السيوف اذا برزت من الاجفان واصداغ فضائله التى هى عاطفة على وجنات الوجود لانها كالعوارض الماطرة وكم أنست عند ذكره من سالفة وكم لها فى قلوب الاعداء من خدود وفدى جوده الذى اذا جاءه الشارب وجد عنده شفاه وحلاوة نظمه الذى انسانا ذكر العذيب وثناياه وعنق مكارمه التى التفت من البديع الا التفت وأرصافه التى غدت على خد الدهر شامات حتى تبدلت سيآته حسنات كف عنا نصب الفقر بكرم راحته المتزايد من غير أن يقال له ساعد وشهدنا بان أياديه مصر يفيض بسنائعه فأشار النيل الى قبول هذه الشهادة بأصابعه فلله ندى يمينه الذى لم يزل

بالوداع زانا واهتزازا وانا الى ما أنظمه من سائر أخباره فقير وهو بامدادى بها جدير ويسرنى له ان يصل رحم البلدية بالجواب اذا لم يصلها بالافتتاح فليفعل وليهد الى من ثمرات يديه ولسانه ما أسكن اليه وأشكره عليه الشيخ أبو فلان وصف لى ظمأ فى جوار البحر وسغبا فى جنان الخلد وضيقا فى فضاء الارض على قرب الرحم وعلو السن والذنب فى ذلك لتمام الاجل وانقضاء المدة ومثل الشيخ من شال بضبع الاحرار من هفوة الادبار وكان به فضل الاستظهار على الليل والنهار فان فعل خيرا شكر وان عاق عائق عذر وانا الى ذلك الشيخ بالاشواق شهرنا كل الظلم ونخشى فى الاسواق حتى يفرج الله وبرتاح فيصل عقله

المملوك به فى بلاد الشام مكنى وكم فاض منه قلب النيل وجهدان يوفيهما بالباع والذراع فما وفى جبلت على محبته القلوب فصار حبه ظاهرا فى كل باطن وحنت اليه الجوارح لما سارت مناقبه الى كل جانب فحركت كل ساكن ورفع المملوك أدعيته التى هى ان شاء الله تعالى نعيم للبدن الكريم واعتدال لطيف ذلك المزاج وأثنيته التى هى كالمناطق على خصور الحسان وبها الكل قلب ابتهاج لكن تثاقلت عليه أرداف النوى وأسكنت فى وسط قلبه الجوى وقده الانقطاع بسيفه الذى زاد فى حده ولكن جار فى قده ولو حصر المملوك ما ساق اليه البعد من الاشتياق الى تقبيل الاقدام لم تسعه قائمه وهو يعد القلب بالصبر ولكن كما ذكر كعب عن مواعيد عرقوب فنسأل الله حسن الخاتمة (رجع) الى ما كنا فيه من تكملة المقامة الحريرية والتنبيه على حسن ختامها قال بعد الفصل المجسد الذى آخره ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثى لى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوى من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغية أحدهم ثرده وقصارى امنيته برده وكنت آليت ان لا أبذل الحر الا للحر ولو أنى مت من الضر وقد ناجتنى القرونة بأن توجد عندكم المعونة وآذنتنى فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ أبر قسمى وصدق توسمى ونظر الى بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود (قال الحرث بن همام) فهمنا البراعة عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف الحامك فقالت يفجر الصخر ولا فخر فقلنا لها ان جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينكم أولا شعارى ثم لأرينكم أشعارى فأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درديس وانشأت تقول

أشكو الى الله اشتكاء المريض * جور الزمان المعتدى البغيض
يا قوم انى من أناس غنوا * دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع * وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة أعوزت * فى السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم * ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا * ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى * بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى * آساد التحامى وأساة المريض
فمحملى بعد المطايا المطا * وموطنى بعد اليفاع الحضيض
وافرخى ما تأتلى تشتكى * بؤساله فى كل يوم وميض
اذا دعا القانت فى ليله * مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب فى عشه * وجابر العظم الكسير المهيض
اتح لنا اللهم من عرضه * من دنس اللؤم نقى رحيض

الحرمان وتفصل أنياب الزمان والسلام

(وله الى أبى القاسم الكاتب)

أمالا أحسد أحدا على ما خوله الله من نعمة ورزقه من خير ولكن هذه الكتب التى تصدر عن قلم الشيخ يجل منها قدره ولا أحب أن يصدر مثلها صدره ولا أراه يحمد الله الا موقنا على أمسه ولا أجد آثار الربيع الا لآثار خمسه أعجب والله عبد الشيخ الجليل وبارك الله فى السليل وما ضره تلفه والشيخ الفاضل خلفه وما عاموته ما بقى صيته وصوته وأما الحواصل فانها غير حواصل والسلام

(وله الى صديق له يستدعى بقرة)

الكدخدائية زرع ان لم يصادف ثرى تربا من التدبير وجوا غنيا من

يطفي نار الجوع عنا ولو * بمذقة من جازر او مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم * ويغنم الشكر الطويل العريض
فو الذي تعنو النواصي له * يوم وجوه الجمع سود و بيض
لولاهم لم تبد لي صفحة * ولا تصديت لنظم القريض

(قال الراوي) فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم يخل يرتاح فلما افعوعم جيبها تبرا وأولاها كل منا برا تولت يتلوها الاصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد ممرها الى سبرها لتبلو مواقع برها فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت أقفو اثر العجوز حتى انتهت الى سوق مغتصة بالانام مختصة بالزحام فانغمست في الغمار واملست من الصبية الاغمار ثم عاجت بخلو بال الى مسجد خال فأماطت الجلباب ونضت النقاب وانا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ما سيبدي من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيا أبي زيد قد سفر فهممت بأن أهجم عليه لأعنفه على ما أجرى اليه فاستلقى استلقاء المتردين ثم رفع عقيرة المغردين واندفع ينشد

يا ليت شعري أدهري * أحاط علما بقدري
وهل درى كنه غوري * في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنيه * بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرف * عليهم وبنكر
اصطاد قوما بوعظ * وآخرين بشعر
واستفز بخل * عقلا وعقلا بخمر
وتارة أنا صخر * وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلا * مألوفة طول عمري
لخاب قدحي وقدحي * ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هذا * عذري فدونك عذري

(قال الحرث بن همام) فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة أمره ومازخرف في شعره من عذره علمت ان شيطانه المريد لا يسمع التفنيد ولا يفعل الا ما يريد فثنيت الى أصحابي عناني وأبثثتهم ما أثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز (قلت) قد علمت أيها المتأمل أن هذه المقامة البديعة بنيت على ترهات هذه العجوز وما زخرفته من الباطل في نظمها ونثرها الذي خلب كل منهم سما القلوب وسلب عقول السامعين الى أن بالغوا في اكرامها فلما كشف لهم الغطاء عن جميع ما نمقته وتحققوا أنه بني على الباطل كانت الخاتمة فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز (قلت) والالفاظ المحتاجة الى الحل في هذه المقامة هي قوله ندوت أي حضرت النادي والجوازل فراخ الحمام واحدها جوزل وعرتنا قصدتنا يقال عراه واعتراه والمعارف الوجوه والمعارف الثانية من المعرفة وتمال

التقدير لم يحصل بالغه ولم يجن يانعه والجملة اذا اجتمعت على معد مختلفة الاهواء متفقة الارجاء طاحنة الرحى جرت الى الاحتيال فيما يقيم الاود ويكفي العدد وقد احتيج في الدار الى بقرة يحلب درها فلتكن صفوفا تجمع بين قعبين في حلبه كما تنظم بين دلوين في شربه وليملأ العين وصفها كما يملأ اليد خلفها وليزن مشبها سعة الذرع كما يزين درها سعة الضرع ولتكن عوان السن بين البكر والمسن ولتكن طروح الفصل رموح الرجل وليصف لونها صفاء لبنها وليكن ثمنها كفاء سمنها ولتكن رخصة اللحم جمة الشحم كثيرة الطعم سريعة الهضم صافية كالجون فاقعة اللون واسعة البطن وطية الظهر ممتلئة

القوم من يقوم بأمرهم وسروات القبائل السرو هو السخاء والمروأة واحد السروات سراة لا يجوز أن يكون سراة بالضم وسريات جمع سرية وهى القطعة الصغيرة والقلب هنا قلب العسكر ويعلون الظهر أى يحملون المنقطع ويولون اليد أى النعمة وأردى أهلك والاعضاد جمع عضد وهو ما يمسك الشئ ويقويه والجوارح هنا الاعضاء التى تجرح وقوله وانقلب ظهر البطن المراد به عكس الحال ونبا ارتفع والحاجب صاحب الامير وصلد الزند أى لم يور ووهت أى ضعفت واليمين القوة والثنية الناقة التى لها ستة أعوام والناب المسنة واغبر العيش أى تكدر وازورّ مال والمحبوب الاصفر هو الدينار وفودى صدغى والموت الاحمر كناية عن الفقر والعدوّ الازرق الشديد العداوة والاصل فيما العطش وبه فسر قوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا أى عطاشا وتلوى تابعى وعينه فراره أى عيانه يغنيك عن اختباره وفى المثل ان الجواد عينه فراره أى عيانه وقصارى أمره أى آخر أمره وآليت أى حلفت وابتذل الحر أى الوجه والقرونة النفس والحوباء النفس أيضا ونضر بمعنى حسن ويقذيها يلقى فيها القذى والجمود الامساك ويقذيها الجود يخرج عنها القذى والجامك بمعنى تطمك الشعر والشعار الثوب الذى يلى الجسد والدثار ما فوقه والردن الكم ودرديس من أسماء الداهية والسنة الشهباء المجدبة ونشب توقد وغريض طرى وساغب جائع والجريض الغصص والاساة الاطباء والمطايا الابل والمطا الظهر واليفاع التل المشرف والحضيض القرار من الارض تأتلى تترك والنعاب فرخ الغراب والمهيض الذى كسر بعد جبر وأم وفق ورحيض مغسول وبجذقة أى بجرعة واعشار القلوب أى قطع القلوب وحق ماحها من يشبه الامتياح أى أعطاها من عادته يعطى وافعوعم امتلأ وفاغر مفتوح فاشرأبت تطلعت وسبرها اختبارها واستنباط استخراج والمرموز المبهم والغمار الزحام والاغمار البله وعاجت عطفت وأماطت الجلباب باعدته وهو الرداء ونضت جردت وخصاص جمع خصاصة وهو الثقب فى الباب وكذلك الصير وفى الحديث من نظر الى قوم من صير باب فقئت عينه وانسرت انكشفت والخفر الحياء وسفر انكشف وأسفر أضاء وأجرى قصد واستلقى رقد على ظهره ورفع رجلا على رجل والمفردين المطربين والعقيرة الصوت وكنه غوري حقيقة أمرى والخل والخمر هنا كنايتان عن الخير والشر وادحى تهمى وقدحى استخراجى أمره العجيب والمريد العاتى والمراد العتو وجموا أى سكتوا اه تفسير الالفاظ المحتاجة الى البيان من هذه المقامة (ومن صناعات القاضى الفاضل فى حسن الخواتم قوله) فى حسن خاتمة رسالة كتب بها الى الديوان العزيز الخليفى وهو لا برحت راياته السود سويدات قلوب العساكر وأجنحة الدعاء الطلق الى السماء من أفق المنابر ومثله قوله لا برحت الاقدار جنودا والجديدان يسوقان اليه فى أيامهما ولياليهما امامه وعبيدا ومثله قوله والله تعالى يرد النصب الهاطلة الى الامكنة المجدوبة والمغفرة الشاملة الى مواقع الذنوب والمترو مستقرها من مطالع القلوب (ومن ذلك) قوله فى ختام جواب كتاب المفترى ولا زال للاسلام بسيفه الذى بجفنه كفنه ساهر ولا أخلى الله منه الدين بقوة منه ولا أمر

الصهوة فسيحة اللهوة لا تضيق بطنها عن العلف فيؤديها الى التلف ترد الهول ولا تخافه وتشرب الرنق ولا تعافه واجهد أن تكون كبيرة الحلق لتكون فى العين أهيب ضيقة الحلق ليكون صوتها فى الاذن أطيب واحذر ان تكون نطوحا أو سلوحا واياك ان تنتهبها ملوحا أو رشوحا ولتكن مطاوعة عند الحلب لا تمنع نفسها ولا تكثر لمسها وداهية فى الرعى لا تقرب سعى سقاء الى الحوض كالنعجة لا تأمن من البهجة الوقة للراعى الذى يرعاها مجيبة لصوته اذا دعاها مهتدية الى المنزل بغير هاد ذاهبة الى المرعى بغير قياد ولا أظنك تجدها اليوم الان عسح القاضى بقرة وهو على رأى التناسخ جائز فاجهد جهدك وابذل ما عندك

بقوله) والله تعالى يغني عن المكاتبات بلقائه كما أغنى عن بقية الخلق ببقائه (ومن ذلك قول العلامة الشهاب أبي محمود في ختام رسالة) والله تعالى يجعل الآمال منوطة به وقد فعل ويجعله كهفا للاولياء وقد جعل (ومنه) ابن الصاحب أمين الدين من زماوه ومن أصناف الطير الجليل ومن طيور الواجب وسأل الشيخ جمال الدين في انشاء مطالعة الى الحضرة الشريفة المقدسة الخليلية يسأل فيها القبول فيما شرعه من الواجب فانشأ الشيخ جمال الدين بن نباتة رسالة بديعة في هذا المعنى وحسن ختامها أبدع (وهو) والله المسؤل سبحانه ان يمتع المملوك في ولاء المواقف المقدسة باتباع طرقه وان ينفعه بالانتماء اذ ألزمته الدنيا طائره في يديه وألزمته الآخرة طائره في عنقه (ومن ذلك) حسن ختام العهد الذي انشأه القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر عن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون لولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل (وهو) والله تعالى يجعل استخلافه هذا المتقين اماما وللمعتدين انفصاما ويطفئ بماء سيوفه نار كل خطب حتى تصبح كما أصبحت نار سميه بردا وسلاما (ومن ذلك) حسن ختام رسالتي التي تقدم ذكرها في باب الاقتباس المشتملة على الكائنة التي قدرها الله تعالى على دمشق المحروسة من الحريق وغيره (وهو) فوصل المملوك الى البلاد وقدود يومه لو تبدل بالامس ولم يسلم له في وقعة الحرب غير الفرس والنفس فأعاذ الله مولانا و بلاده من هذه القيامة القائمة وبدأه في الدنيا ببراعة الامن وفي الآخرة بحسن الخاتمة (ومن أبدع الامثلة التي ليس لها مثال في حسن الختام قولي في تقليد بالاشارة الشريفة) والوصايا كثيرة ولكن لا يهدى تمر الى هجر فانا الى مشورته أحوج من المبتدا الى الخبر والله تعالى يديمه ركنا لهذا البيت الشريف الذي تطوف الناس حوله وبسعى اليه ولا برح كلامه في المشورة لفظا ومعنى تتم الفائدة به ويحسن السكوت عليه (وقلت في خاتمة تقليد بنظر الكسوة) فليباشر ذلك عملا ونالا أنه من تقرب الى الله بخدمة بيوته فقد فاز ولا بد أن يصير له بديباجة هذا البيت بحسن توشيعه دار الطراز فقد أسعده الله وظاهره في توشيع هذا البيت تطلم مفيد ولا ينكر حسن هذا التوشيع للقاضي السعيد والله تعالى يكرم مثواه في الآخرة بتشييد هذا البيت وقيام شعاره ولا زالت أنامل بره تختم بخواتيم الخير وتنقل أحاديث المحاسن بفصها في أخباره (ومثله قولي) في تقريظ كتبته لاقضى القضاة ولي الدين القرشي على كتابه المسمى بعمدة المناسك (وهو) والله تعالى يزيد صناعة هذا النسك بهجة على كل ناظم ويجعله لاعماله الصالحة المقبولة من أحسن الخواتم (وتقدم لي بالديار المصرية) بشارة بوضع المقر الاشرف سيدي موسى ولد المقام الشريف المؤيدي سقى الله من غيث الرحمة ثراه من رأس القلم بالحضرة الشريفة جاءت نسيج وحدها وواسطة عقدها (منها) حملت به أمه وأبرزته كشمس الحمل بهجة ونورا وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ولكن ملأ الدنيا سرورا (وتوجهت) بعد ذلك التاريخ الى ثغر الاسكندرية المحروسة في مهم شريف فورد على نائب الثغر المحروس بشارة شريفة بولد سيدي المقر الاشرف الناصري محمد ولد المقام الشريف المؤيدي نور الله ضريحه فركب نائب السلطنة الشريفة بالثغر المحروس الى ان جاء عندي وسألني الجواب

واجعل اهتمامك امامك وحرصك قدامك يوفق سعيك ويحسن هديك واستعن بالله تعالى فانه نعم المولى ونعم المعين والسلام

(وله نسخة وصية)

هذا ما أوصى أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد يوصي وهو يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اليه مثابه ومآبه خلقه ولم يك شيأ مذكورا ورزقه قدرا مقدورا وضرب له أمدا محدودا وأمره ونهاه فأطاعه وعصاه ولم يطعه الا بتوفيق من عنده ولم يعصه الا اعتمادا على لطفه بعبده واتكالا على رحمته وعفوه لا اجتراء على نقمته ومقته ولا معتزا بنفسه ووقته ويشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق فبلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة وأراهم الجادة وحذرهم تنيات الطرق

قوله من رأس القلم كذا في النسخ ولعل معناه بدون تفكر اه

فكتبت تهنئه بديعة وحسن ختامها أبدع منها (وهو) أكرم بها صحيفة محمدية أمسى بها كل قلب مأنوسا وتلت مسرتها من تقدم قبلها من الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فالحمد لله على تواتر هذه التهانى التى أتم بها كل حاد والمجد وعمت بركتها بابراهيم وموسى ومحمد والله تعالى يوصل أحاديث التهانى المؤيدية ليتسلسل كل حديث بسنده ولا برحت الخواطر الشريفة مسرورة بمحمد وحديثه ومولده (ومن ذلك) قولى فى ختام تقليد قاضى القضاة ولى الدين العراقى بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية والممالك الاسلامية (وهو) والله تعالى يطلق له أعنة الاقبال وينيله من نعمه ما لا يخطر قبل وقوعه ببال ويحلى به جيد الدهر وقد تحلى بعد ما ذهب رونقه وزال وكما أحسن له فى البداية أن يحسن اليه فى النهاية حتى يقول الحمد لله على كل حال (ومثله) فى الحسن ختام تقليد قاضى القضاة أبى البقاء علم الدين صالح البلقينى (وهو) والله يرفع علم علمه على كل غادور ائح ويجعل كلا من عمله وحكمه واسمه الكريم صالحا فى صالح (وقد عن لى) أن أختم ما تقدم لى من الامثلة فى حسن الخواتم بختام كتاب المسلك من أقل عبيده ويود منثور الدر ان ينتظم فى سلك عقوده وذلك انى كتبت للمقر المرحومى القضوى فتح الله صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان على لسان قاضى القضاة شرف الدين مسعود الشافعى واعيان طرابلس المحروسة وقد وصلوا الى الديار المصرية فى البحر قسرا مما عاينوه من أهوال تلك المحنة المشهورة التى قدرها الله تعالى على طرابلس المحروسة وحسن الختام فى القصة المذكورة قولى والقوم بانتظام الملك قد دهمهم من لم يفرق بين التحليل والتحريم الى ان صرحوا بالطلاق ووقعوا فى التغابن وشمت المنافقون ومنعوا فى الجمعة الصف وأمست فرقتهم الممتحنة فى الحشر ولم يسمع لهم مجادلة لما نازعوا بالحديد فى هذه الواقعة ولكن من الرحمن وطلع قمر الامن ولاحظهم نجم السعد وصعدوا طور النجاة وكفكفوا اذاريات الدموع وطردت عنهم العداة الى قاف لما دخلوا حجرات مصر وحظوا من مولانا السلطان بعد سد المذاهب بالفتح (قلت) هذا الختام جعلته خاتمة للامثلة المنثورة فى هذا الباب وأما الامثلة الشعرية فمن المجيدين فيها أبو نواس حيث قال فى خاتمة قصيدة يمدح بها الخصيب

وانى جدير اذ بلغتك بالمنى * وأنت بما أملت منك جدير

فان تولنى منك الجميل فأهله * والا فانى عاذر وشكور

ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة

فان يك ذنب عن أو تك هفوة * على خطاى فعذرى على عمد

ومنه قول أبى الطيب فى ختام قصيدة

فلا حطت لك الهيجاء سرجا * ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقال أبو العلاء من ختام قصيدة

ولا تزال بك الدنيا ممتعة * بالآل والمال والعلياء والعمر

وقول الارجانى فى ختام قصيدة

وأمرهم أن يأخذوا بالسنة ويعضوا عليها بالنواجذ وضمن الجنة للآخذ وخلف فيهم القران حبلا ممدودا وجسرا معقودا ليتخذوه اماما ولا يحلوا دونه حلالا ولا حراما ثم لحق بالرفيق الاعلى وقد خرج عن عهدة ما حمل وصدع بما أمر فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما فأوصى وهو يقول ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وأوصى وهو يدين لله تعالى بما دان به السلف الصالح والصدر الاول من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان بريأ من الاهواء والبدع والرأى المخترع والافك المتسع راجيا قوى الطمع خائفا شديد الفزع حاذرا أهوال المطلع مؤمنا بعذاب القبر وفتنته عائذا بالله منهما ومنه راغبا اليه فى ان يلقنه حجته ويثبته بالقول الثابت موقنا بالبعث والبعث شاهدا

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحا * فانك فى هذا الزمان فريد
علاك سوار والممالك معصم * وجودك طوق والبرية جيد

وقال ابن نبيه فى ختام قصيدة أشرفية

دمتم بنى أيوب فى نعمة * تجوز فى التخليد حد الزمان
والله لا زلتم ملوك الورى * شرقا وغربا وعلى الضمان

وقال شيخ شيوخ حماة فى ختام مديح مظفرى

فلا زلت ذا ملك جديد مؤيد * تدين لك الدنيا وتصفو لك الاخرى
ولا زال للايام طول على الورى * وما الطول الا ان يطيل لك العمرا

وقال ابن سنا الملك فى ختام مديح عادلى

بقيت حتى يقول الناس قاطبة * هذا ابو الياس او هذا أبو الخضر

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله فى ختام مديح مؤيدى

فابق عالى المقام دانى العطايا * قاهر الباس ظاهر الانباء
يتمنى عدولك العيش حتى * أتمنى له امتداد البقاء

وقال الشيخ برهان الدين القيراطى رحمه الله تعالى فى ختام مديح نبوى

يا امام الهدى عليك صلاة * وسلام فى الصبح ثم العشاء
ماصبا فى أصائل قلب صب * ذكر الملتقى على الصفراء

ومثله قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردى فى ختام قصيد نبوى

صلى عليك الله يا خير الورى * ما نار نور من ضريحك فى الدجى

ومثلهما قولى فى ختام مديح نبوى ولكن مسك هذا الختام أضوع من ختامهما فى المديح النبوى وهو

عسى وقفة او قعدة لابن حجة * على بابكم يسمى بها وهو محرم
فقد جاء يشكو من ذنوب تعاظمت * وقدرك فى يوم الشفاعة اعظم
وقد ناله فى عنفوان شبابه * هموم وسيف الهم للظهر يقصم
وعارضه قد شاب فى زمن الصبا * عسى بك من ذا العارض الصعب يسلم
فيا وردنا الصافى طيور قوافينا * عليك اذا ما نابها الضيم حوم

وقلت بعده فى حسن الختام

عليك سلام نشره كلما بدا * به يتغالى الطيب والمسك يختم

وبيت الشيخ صفى الدين فى حسن الختام

فان سعدت فمدحى فيك موجبه * وان شقيت فذنبى موجب النقم

وبيت العميان فيه

لكن وان طال مدحى لا أفى أبدا * فأجعل العذر والاقرار مختتمى

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

فاجعل له مخلصا من قبح زلته * فى حسن مفتتح منه ومختتم

ان الجنة حق وحسنت مستقرا ومقاما وان النار حق وان عذابها كان غراما وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور اوصى اذا جاءه الحق واشخصه الامر وجد به الجد وتوفاه الموت ان لا تقعد عليه مناحة ولا يلطم خد ولا يخمش وجه ولا ينشر شعر ولا يمزق ثوب ولا يشق جيب ولا يهال نقع ولا يرفع صوت ولا يدعى ويل ولا يسود باب ولا يخرق متاع ولا يقلع غرس ولا يهدم بناء ولا يطرق للشيطان اليه طريقا ولا يمثل له امرا فان فعل ذلك فليس من الله تعالى فى حل ولا من الميت فى حل وانما يفعل ذلك من لا يرى الحياة عارية ولا يرى العارية مردودة ومن علم ان الدنيا

و بيت العميان فى حسن الختام ابدع من بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى حسن ختامه وموجب ذلك التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فى آخر البيت و بيت الشيخ عز الدين أبدع من بيت العميان اذ فيه الترشيح بذكر التخلص والافتتاح والختم ولكن فاته الترتيب فانه قدم ذكر التخلص على الافتتاح وبيت بديعتى

حسن ابتدائى به أرجو التخلص من * نار الجحيم وهذا حسن مختتمى

هذا البيت العامر بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ختام مسك لكونه جاء خاتمة لما وصلت اليه القدرة من الاوصاف النبوية واجتمع فيه حسن الابتداء مورى به مع حسن التخلص وحسن الختام على الترتيب ولو قال الشيخ عز الدين فى بيته بحسن مبتدا ساعدته التورية بتسمية النوع الذى هو حسن الابتداء قال المؤلف رحمه الله تعالى هذا المصنف المبارك أعنى البديعية وشرحها اذا املكه متأدب شرفت نفسه عن النظر فى غيره من تذاكر الآداب فانى ماتركت نوعا من أنواع البديع الا أطلقت عنان القلم فى ميادين الطروس مستطردا الى استيعاب ماوقع من جيده ورديه ونصبت فيه البحث بين المقصرين والمجيدين بيدانى أقول والله المستعان ان العميان اختصروا واجتنبوا كثيرا من البديع وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه والشيخ صفى الدين الحلى أجاد فى الغالب لخلاصه من التورية فى تسمية النوع ولكنه قصر فى مواضع نبهت عليها فى مظانها والشيخ عز الدين رحمه الله قصر فى غالب بديعيته لالتزامه بتسمية النوع البديعى ومراعاة التورية والبحث مقرر مع كل منهم فى اجادته وتقصيره عند ايراد بيته على ذلك النوع الوارد وقد تقدم الاطناب فى تقرير حسن الابتداء وبراعة الاستهلال وفى الفرق بينهما وأوردت فى حسن التخلص ماوقع من غريبه وبديعه وما تقرر من البحث مع المقصر فى نظمه وما يتفرق به شمل مجاميع الادب وينسى تذكره وقد انتهت الغاية بحمد الله الى حسن الختام وأوردت فيه مالا خفيت محاسنه على المتأمل ولا ضمه صدر كتاب وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ببركة الممدوح عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

قال المصنف رحمه الله فرغت من تاليف هذا الكتاب فى شهر ذى الحجة الحرام سنة ست وعشرين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم واستغفر الله العظيم وأتوب اليه وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

دار جهاز وان الموت جسم جواز استشعره قبل حلوله ولم يرعه وقت نزوله وان يكفن فى ثلاثة اثواب بيض قباطى لا سرف فيها ولا حرج على من يتولى امره ان يقرنه ثوب خيلاء من مطرز او معلم او ابريسيم او منسوج بذهب انه لمحتاج ان يستنفق ويتشبه بالمساكين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وان يتولى الصلاة عليه أصحاب الحديث واهل السنة وان يلحد ولا يبنى عليه ولا تشهد النساء فيحملهن على الصراخ والعويل *(تم)*

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم انبيائه يقول راجى شفاعة المختار ابراهيم الدسوقى الملقب بعبد الغفار خادم تصحيح كتب العلوم بدار الطباعة أعانه الله على مشاق هذه الصناعة

تم بعون ملهم الحجة طبع كتاب خزانة ابن حجة موشاة الطرر بالمنشآت ذات الحسن الدانى المنسوبة لاديب زمانه البديع الهمذانى على ذمة صاحب الاخلاق الغرر حضرة على أفندى قمر بالمطبعة العامرة ذات التحريرات الباهرة المتوفرة دواعى المجد المشرقة كواكب السعد فى ظل فرد الزمان ونور طلعة كيون حسنة الليالى والايام من ركز مدار العدل فى سائر الاحكام صاحب السمت الجميل والقدر الجليل جناب عزيز مصر

الخديو اسمعيل لازالت الايام مشرقة بطلعة وجوده والليالى منيرة بكوكب سعوده ولا برح قرير العين منتعش الروح والعين برؤية انجاله الكرام وأشباله الفخام لافتئت الايام مضيئة بشموس علاهم والليالى منيرة ببدور حلاهم وكان طبعه الميمون وتمثيله المصون مشمولا بادارة من خاطبته المعالى بابالناعى سعادة حسين بك حسنى ونظارة وكيله السالك جادة سبيله من لم تزل عليه احاسن اخلاقه تثنى حضرة محمد افندى حسنى

وملاحظة ذى الرأى المسدد حضرة ابى العينين افندى احمد وكان

تمام طبعه فى اوائل الشهر المعظم وهو شهر الله المحرم ابتداء

سنة ١٢٩١ الف ومائتين واحدى وتسعين من هجرة

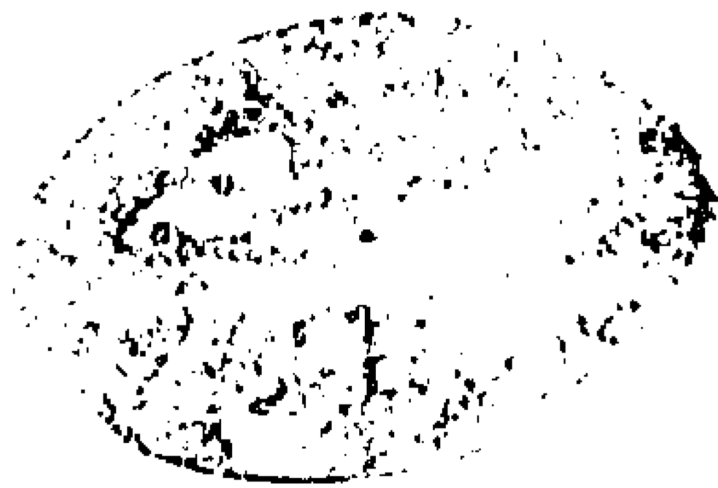
خاتم النبيين صلى الله وسلم عليه وآله

وكل منتسب اليه ماذر

شارق ولمع بارق

آمين

م



(فهرسة كتاب خزانة الادب)

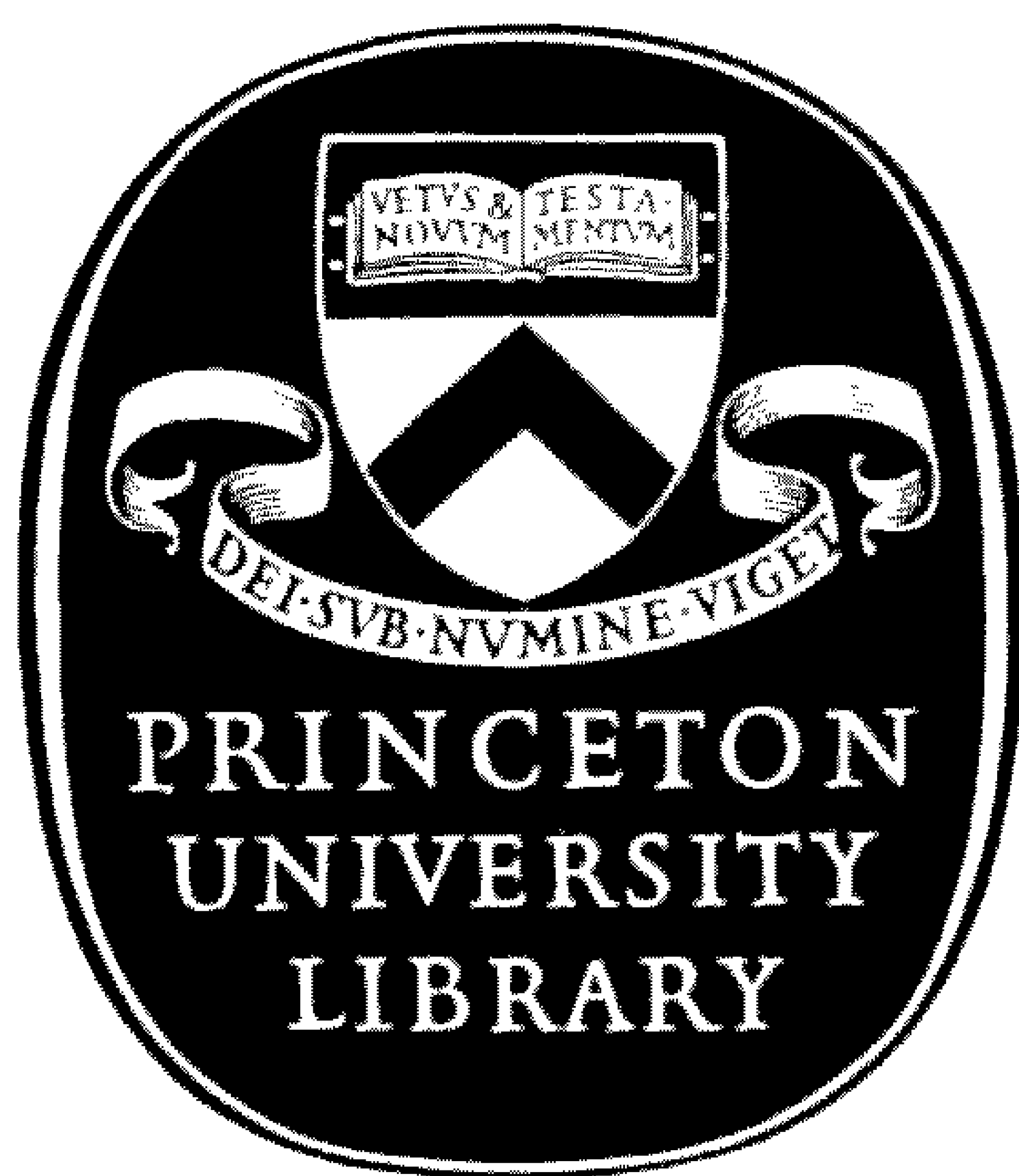
صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(فهذه الانواع البديعية مائة واثنان وأربعون نوعا)


VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

